مُعْتَرَكُ الأَقْرَانْ

فى

إِعْجَازِ القُرْآن

للشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره

أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي

الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هجرية رحمه الله

ضبطه وصححه وكتب فهارسه

أحمد شمس الدين

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت — لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٣٦٦١٣٥
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

حَرف الهمزة

﴿آدم﴾ أبو البشَر، ذكر أنه أفعل مشتق من الأدمَة؛ لذا مُنع صرفه.

قال الجواليقي: أسماء الأنبياء كلها أعجمية، إلا أربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس، قال: إنما سُمِّي آدم، لأنه خُلق من أدِيم الأرض.

وقال قوم: هو اسمٌ سرياني أصله آدام، بوزن خاتام، عُرِّب بحذف الألف الثانية. وقال الثعلبي: التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به.

قال ابن أبي خيثمة: عاش تسعمائة وستين سنة.

وقال النووي في تهذيبه: اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة.

﴿إدريس﴾: قيل إنه قَبْل نوح. قال ابن إسحاق: إدريس أوَّلُ بني آدم، أعطي النبوءة؛ وهو أخنوخ بن يَرْد بن مهائيل بن أنُوش بن قينان بن شيث بن آدم.

وقال وهب بن منبه: إدريس جدّ نوح الذي يقال له خنوخ، وهو اسم سرياني، وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف.

وفي المستدرك بسند رواه الحسن عن سمرة، قال: كان نبيُّ اللهِ إدريس أبيض طويلاً ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكان إحدى عينيه أعظم من الأخرى، وفي صدره نكتة بياض من غير بَرَص، فلما رأى الله من جَوْر أهل الأرض واعتدائهم رفعه إلى السماء السادسة، وهو حيث يقول: ﴿ورَفَعنَاه مَكَاناً عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

وذكر ابن قُتيبة أنه رُفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي صحيح ابن حبان: كان نَبِيّاً رَسولاً، وأنه أول من خطّ بالقلم. وفي المستدرك عن ابن عباس، قال: كان فيما بين نوح وإدريس ألفٌ.

﴿إبراهيم﴾ قال الجواليقي: هو اسم قديم ليس بعربيّ، وقد تكلمت به العربُ على وجوه؛ أشهرها إبراهيم، وقالوا إبراهام، وقرىء به في السبع، وإبراهم بحذف الياء، وإبْرَهَم، وهو اسم سرياني، معناه أبٌ رحيم، وقيل مشتقّ من البرهمة وهي شدّةُ النظر، حكاه الكرماني في عجائبه؛ وهو ابن آزر واسمه تارح - بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة - ابن ناحور - بنون ومهملة مضمومة - ابن شاروخ - بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة - ابن راغو بغين معجمة - ابن فالَغ - بفاء ولام مفتوحة ومعجمة، ابن عابر - بمهملة وموحدة - ابن شالخ - بمعجمتين - ابن أرْفَخشَذ بن سام بن نوح.

قال الواقدي: ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خَلق آدم.

وفي المستدرك من طريق ابن المسيّب عن أبي هريرة، قال: اختتن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة، ومات ابن مائتي سنة. وحكى النووي وغيره قولاً إنه عاش مائة وخمسة وسبعين.

﴿إسماعيل﴾ قال الجواليقي: ويقال بالنون آخره. قال النووي وغيره: هو أكبر ولد إبراهيم.

﴿إسحاق﴾ وُلد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة، وعاش مائة وثمانين سنة. وذكر أبو علي بن مسكويه في كتابه الفريد: إن معنى إسحاق بالعبرانية الضحاك.

﴿أيوب﴾ قال ابن إسحاق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل، ولم يصح في نسبه شيء، إلا أن اسم أبيه أبيض. وقال ابن جرير: هو أيوب بن موسى بن رَوح بن عيص بن إسحاق. وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم؛ وعلى هذا فكان قبل موسى.

وقال ابن جرير: كان بعد شعيب. وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان ابْتُلِي وهو ابن سبعين، وكانت مدة بلائه سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة، وقيل ثلاث سنين. وحكى الطبراني أن مدةَ عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة.

﴿إلياس﴾ قال ابن إسحاق في المبتدأ: هو ابن ياسين بن فنحاص بن العَيْزَار ابن هارون أخي موسى بن عمران.

وقال ابن عسكر: حكى القتبيّ أنه من سبط يوشع. قال ابن وهب: إنه عُمِّر كما عُمر الخضر، وإنه يبقى إلى آخر الدنيا. وعن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس. وإلياس بهمزة قَطْع: اسم عبراني. وقد زيد في آخره ياء ونون في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إلْيَاسِين﴾ [الصافات: ١٣٠]، كما قالوا في إدريس إدراسين. ومن قرأ آل ياسين فقيل المراد آل محمد.

﴿إليسع﴾ قال ابن جرير: هو ابن أخطوب بن العجوز. قال: والعامةُ تقرؤه بلامٍ واحدة مخفضة. وقرأ بعضهم: واللِّيسع بلامين وبالتشديد، فعلى هذا هو أعجمي، وكذا على الأول. وقيل عربي منقول من الفعل، من وسع يسع.

﴿إسرائيل﴾ لقب يعقوب، ومعناه عبدالله. وقيل صَفْوة الله. وقيل سريّ الله؛ لأنه أَسرَى لما هاجر.

أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك عبدالله.

وأخرج عَبْد بن حُميد في تفسيره عن أبي مِجْلَز، قال: كان يعقوب رجلاً بطيشاً فلقي ملكاً فعالجه، فصرعه الملك، فضرب على فخذه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به، فقال: ما أنا بتاركك حتى تُسَمِّيَني باسم؛ فسمّاه إسرائيل. قال أبو مجلز: ألا ترى أنه من أسماء الملائكة.

وفي لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام، وقرىء إسراييل بياء بلا همز. قال: ولم يخاطَب اليهود في القرآن إلا بيابَنِي إسرائيل دون يا بني يعقوب

لنُكتة؛ وهي أنهم خُوطبوا بعبادةِ اللهِ، وذُكِّروا بدين أسلافهم موعظةً لهم وتنبيهاً من غفلتهم؛ فسمُّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله؛ فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله في التأويل، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب ـ وكان أولى من إسرائيل، لأنها موهبة بمعقِّب آخر، فناسب ذكر اسمٍ يشعر بالتعقيب.

﴿أحمد﴾ نبينا ومولانا محمد ﷺ، وله أسماء كثيرة حتى أنهاها إلى مائة وخمسة وعشرين. قال الراغب: وخص لفظ أحمد فيما بُشِّر به عيسى، تنبيهاً على أنه أحمد منه، ومن الذي قبْلَه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة، قال: خمسة سموا قبل أن يكونوا: محمد، و﴿ومُبَشِّراً برَسُول يأتي من بَعدِي اسمهُ أحمد﴾ [الصف: ٦]. ويَحيي: ﴿إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسمهُ يحيي﴾ [مريم: ٧١]. وعيسى: ﴿مُصَدِّقاً بكلمةٍ من الله﴾ [آل عمران: ٣٩]. وإسحاق ويعقوب: ﴿فبَشّرْنَاهَا بإسحاقَ ومِنْ وَرَاءِ إسحاقَ يَعقوب﴾ [هود: ٧١].

﴿أباريق﴾ حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية. وقال الجواليقي: الإبريق فارسي معرب، ومعناه طريق الماء، أو صبّ الماء على هِينَة.

﴿أبّ﴾ قال بعضهم: هو الحشِيش بلغة أهل المغرب، حكاه شَيْذَلة.

﴿ابلَعِي﴾ أخرج ابن أبي حاتم، عن وهب بن مُنبِّه في قوله: ﴿ابْلَعِي ماءَكِ﴾ [هود: ٤٤] ـ قال بالحبشية ازْدِميه. وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اشربيه ـ بلغة الهند.

﴿أخلَد﴾ قال الواسطي في الإرشاد: «أخلَد إلى الأرض»: ركن بالعبرانية.

﴿الأَرائك﴾ حكى ابن الجوزي في فنون الأفنان: أنها السِّدْر بالحبشية.

﴿آزَر﴾ عدّ في المعرب على قول أنه ليس بعلم لأبِ إبراهيم ولا الصنم. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يقرأ: ﴿وإذ قال

إبراهيم لأبيه آزر﴾ [الأنعام: ٧٤] - يعني بالرفع: أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه. وقال بعضهم هي بلغتهم يا مخطىء.

﴿أسباط﴾ حكى أبو الليث في تفسيره أنهم بلغتهم كالبساتين بلغة العرب.

﴿اسْتَبْرَق﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه الدّيباج الغليظ بلغة العجم.

﴿أسفَار﴾ قال الواسطي في الإرشاد: هي الكتب بالسريانية. وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية.

﴿إصْرِي﴾ قال أبو القاسم في لغات القرآن: معناه عَهْدي بالنبطية.

﴿أكواب﴾ حكى ابن الجَوزي أنها الأكواز بالنبطية. وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية الجِرَار ليس لها عُرى.

﴿إل﴾ بكسر الهمزة - قال ابن جنى: ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية.

﴿أليم﴾ حكى ابن الجوزي أنه المُوجع بالزنجية. وقال ابن شَيْذلة: بالعبرانية.

﴿إنَاه﴾ نُضجه بلسان المغرب، ذكره شيذلة. وقال أبو القاسم بلغة البربر. وقال في قوله: حميم - إنه هو الذي انتهى حره بها. وقال في قوله: ﴿مِنْ عين آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]؛ أي حارّة بها.

﴿أوّاه﴾ أخرج أبو الشيخ ابن حيان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الأوَّاه»: الموقن بلسان الحبشة. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة. وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال: الرحيم - بلسان الحبشة. وقال الواسطي: الأوّاه الدعاء بالعبرانية.

﴿أوّاب﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال: الأوَّاب المسبّح بلسان الحبشة. وأخرج ابن جرير عنه في قوله: ﴿أوِّبي معه﴾ [سبأ: ١٠]؛ قال: سبحي بلسان الحبشة

﴿الأولى﴾ الآخرة، قال في قوله الجاهلية الأولى، أي الآخرة في الملة.

﴿الآخرة﴾ أي الأولى بالقبطية. والقبط يسمون الآخرة الأولى، والأولى الآخرة، حكاه الزركشي في البرهان.

﴿آية﴾ له معنيان: أحدهما عبرة وبرهان، والثاني آية من القرآن، وهي كلام مُتّصل إلى الفاصلة. والفواصل هي رؤوس الآيات.

﴿أتى﴾ بقصر الهمزة، معناه جاء، ومضارعه يَأْتِي، ومصدره إتيان، واسم الفاعل منه آت، واسم المفعول مَأْتِي. ومنه قوله تعالى: ﴿إنه كان وَعدهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

﴿وآتى﴾ بمد الهمزة معناه أعطى، ومضارعة يُؤتي، ومصدره إيتاء، واسم الفاعل مُؤتي؛ ومنه: ﴿المُؤتون الزّكاة﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿أبَى﴾ أي امتنع.

﴿أثَر﴾ الشيء: بقيّته وأمارته، وجمعه آثار. والأثر أيضاً الحديث، وأثَارة من عِلم: بقيّته. وأثاروا الأرض: حرثوها. وآثر الرجل بالشيء يؤثره: أي فضّله.

﴿إثْم﴾ ذَنب، ومنه آثِم وأثِيم: مُذنب.

﴿أجر﴾ ثواب. وبمعنى الأجرَة؛ ومنه: ﴿استَأْجرْه﴾ [القصص: ٢٦]. ﴿وعلى أن تَأْجُرَني﴾ [القصص: ٢٧]. ﴿ويُجِرْكُم مِنْ عذاب أليم﴾ [الأحقاف: ٣١]. و﴿لن يجيرني من الله﴾ [الجن: ٢٢]. ﴿وهو يجير ولا يُجَارُ عليه﴾ [المؤمنون: ٨٨]. فذلك كلّه من الجوار بمعنى التأمين.

﴿آمن﴾ إيماناً: أي صدق. والإيمان في اللغة التصديق مطلقاً، وفي الشرع التصديق بالله وملائكته وكتُبه ورسله واليوم الآخر. والمؤمن في الشرع المصدّق بهذه الأمور. والْمُؤمِنُ اسمُ الله تعالى إذ هو المصدق لنفسه. وقيل: إنه من الأمن، أي يُؤمِنُ أولياءه من عذابه. وأمِن ـ بكسر الميم وقصر الألف ـ أمناً، وأمِنْتُ ضدّ الخوف. وأمن أيضاً من الأمانة، وأمَّنَ غيره من التأمين.

﴿إمام﴾ له أربعة معان: القُدوَة، والكنَف، والطريق، وجمع آمٍ؛ أي تابع؛ وهو ﴿اجعلنَا للمتّقين إمَاماً﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿الأجَل﴾ عبارة عن الوقت الذي تنقطع به الحياة، فإذا قيل: أجل الحياة وأجل الموت، فالمراد به الوقت الذي يحلّ فيه الدَّين وتنقطع به الحياة، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنّ المقتول لو لم يقتل لبقي؛ وهذا باطل للآية: ﴿فإذا جاءَ أجلُهم لا يستَأْخِرون ساعةً ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿أُمِّيّ﴾ لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وُصِف العرب بالأميين.

﴿أُمّ﴾ له معنيان: الوالدة، والأصل. وأُمُّ القرى: مكة.

﴿آل﴾ له معنيان: الأهل، ومنه: آل لوط. والأَتباع والجنود؛ ومنه آل فِرْعون.

﴿أمْس﴾ اليوم الذي قبل يَوْمِك. والزّمان الماضي.

﴿إنَاه﴾ وقتُه، وجمعه آناء؛ ومنه: آناء الليل.

﴿أمر﴾ له معنيان: أحدهما طَلبُ الفعل على الوجوب أو النّدب أو الإباحة. وقد قدَّمنَا صيغ الأمر، كالتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر. والثاني بمعنى الشأن والصفة؛ وقد يراد به العذاب. ومنه: ﴿جاءَ أمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠].

﴿إيَاب﴾: رجوع، ومنه: ﴿إنَّ إلينا إيَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥]. ﴿وإليه مَآب﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿إفْك﴾ أشدّ الكذب. والأَفَّاك الكذاب. وأفك عنه؛ أي صرف، ومنه: تُؤفكون.

﴿أوى﴾ الرجل إلى الموضع بالقصر، وآواه غيره ـ بالمد. ومنه الْمَأْوَى.

﴿أُفّ﴾ كلمة شَرّ.

﴿آلاء الله﴾ نِعَمه.

﴿أسف﴾ له معنيان: الحُزن والغَضب. ومنه: ﴿فلما آسَفُونا﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿أسوة﴾ بكسر الهمزة وضَمّها: قدوة.

﴿أسِي﴾ الرجل يَأْسى أسًى؛ أي حزن. ومنه: ﴿فلا تَأْسَ على القَوْمِ الكافرين﴾ [المائدة: ٢٦]. ﴿فكَيْفَ آسَى﴾ [الأعراف: ٩٣].

﴿أذان﴾ بالقصر: إعلام الشيء. ومنه الأذان بالصلاة، والآذان بالمد: جمع أذُن.

﴿إذن الله﴾ يأتي بمعنى العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة. وأذِنتُ بالشيء علمت به ـ بكسر الذال. وآذَنتُ به غيري ـ بالمد.

﴿أُكُل﴾ بضم الهمزة: اسم للمأكول. ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها. والأَكل ـ بفتح الهمزة: المصدر.

﴿أيْكة﴾ غَيْضَة.

﴿أثاثاً﴾ متاع البيت.

﴿أُجَاج﴾ مُرّ.

﴿آنِيَة﴾ له معنيان: جمع إناء، ومنه: ﴿بآنِيَةٍ من فِضَّة﴾ [الإنسان: ١٥] وشديد الحر، ومنه: ﴿عَيْنٍ آنِية﴾ [الغاشية: ٧٨]. ووَزْن الأول أفعلة، والثاني فاعلة، ومذكَّره آن. ومنه ﴿حَمِيمٍ آن﴾ [الرحمن: ٤٤].

﴿أأنذرتهم﴾ أأعلمتهم بما تحذّرهم منه، ولا يكون الْمُعْلِمُ مُنْذراً حتى يحذِّر بإعلامه؛ فكلُّ منذر مُعلم، وليس كل مُعلم منذراً.

﴿أَنْدَاداً﴾ أمثالاً ونُظَراء، واحدها ندّ.

﴿أزَلَّ﴾: أي نحّى. يقال: أزلَلته فزَلّ؛ ومنه: ﴿فأزَلَّهما الشيْطَان﴾ [البقرة: ٣٦].

﴿أمَاني﴾ جمع أمنية، وهي التلاوة. ومنه: ﴿ألقَى الشيطانُ في أمْنِيّته﴾

[الحج: ٥٢]؛ أي في تلاوته. والأماني الأكاذيب أيضاً. ومنه قول عثمان: ما تمنّيْتُ منذ أسلمت. ومنه قول بعض العرب لابن دَأب وهو يُحَدّث: أهذا شيءٌ روَيتَه أم شيء تمنّيْته؛ أي افتعلته. والأماني أيضاً: ما يتمناه الإنسان ويشتهيه.

﴿أيّدناه﴾ قوّيناه.

﴿الأبُ﴾ من له ولادة، والعرب تجل العمّ أباً والخالة أمًّا. ومنه: ﴿ورفع أَبَوَيْهِ عَلَى العرْش﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿أسباب﴾ وصلات، الواحد سبب ووصلة، وأصلُ السبب الحبْل يشدّ بالشيء فيجذب به، ثم جعل لكل ما جرَّ شيئاً سبباً.

﴿أصْبَرهم﴾ وصبّرهم واحد. ويقال: ﴿ما أصبرهم على النار﴾؛ أي ما أجرأهم عليها.

﴿أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا.

﴿أهِلّة﴾ جمع هلال، يقال له هلال إلى أن يكمل نُورُه إلى سبع ليال، ثم قمر، ثم بدر لاستدارته، وقيل لمبادرته الشمس بالطلوع إذا غرب.

﴿أفَضْتُم﴾ دفعتم بكثرة.

﴿أيام معلومات﴾ أيام التشريق. والمعلومات: شوّال، وذو القعدة، وعشرين من ذي الحجة؛ أي خذوا في أسباب الحج وتهيّئُوا له في هذه الأوقات من التلبية وغيرها.

﴿الأشهُر الحرمُ﴾ رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ واحد فَرْد وثلاثة سرد.

﴿ألَدّ الخصَام﴾ أي شديد الخصومة.

﴿أفْرغ﴾ اصبُبْ، ومنه: ﴿أفْرغ عَلَيْنَا صَبْراً﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿اقسِطْ﴾ اعدل.

﴿آتَت أكُلَها ضِعفَيْن﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي ضعفي غيرها من الأرضين

﴿أسلَمْتُ وَجهي﴾ [آل عمران: ٢٠] أخلصت.

﴿أقلامهم﴾ قِدَاحهم، يعني سِهَامهم التي كانوا يجيلونها عند العزم على الأمر، ويكتبون اسم الخصم على القلم، ويُلْقُونه في الماء، فإذا جرى القَلم على الماء عُلم أنه حق، وإذا رسب في الماء عُلِم أنه باطل.

كما أن القربان كان حاكم آدم عليه السلام، فمن احترق قربانه علم أنه حقّ، ومَنْ لم يحترق قربانه علم أنه باطل.

والسفينة كانت حاكم نوح، فمن وضع يده على السفينة ولم تتحرك علم أنه حق، ومن وضع يده عليها وتحركت علم أنه باطل.

والسلسلة كانت حاكم داود عليه السلام، فمن مدّ يده إليها وأخذها فهو حق، ومن لم يقدر على أخذها فهو باطل.

والنار كانت حاكم إبراهيم عليه السلام، فمن وضع يده على النار فلم تحرقه فهو على الحق، ومن وضع يده عليها وأحرقته فهو على الباطل.

والصّاع كانت حاكِمَ يوسف عليه السلام، فمن وضع يده عليه وسكت فهو حق، ومن وضع يده على الصاع وصاح وصوّت فهو باطل.

والحفرة التي كانت في صَوْمعة سليمان عليه السلام كانت حاكمه، فمن وضع رِجلَه فيها ولم تأخذه وخرجت عُلم أنه حق، ومن وضع رِجْله فيها وانضمّت عليه علم أنه باطل.

فإن قلت: كان أوْلَى بهذه الخواصّ نبيُّنا ومولانا محمد ﷺ، فما باله مُنعها؟

والجواب أنه أُعطي البيِّنة على المدعي واليمين على المنكر لئلا يهتك سترَ مَنْ كذب في دَعواه في الدنيا، فكيف يهتك ستر مَنْ شهد الشهادة في القربى. وفي الحديث: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى كل نبيّ أن يحاسبَ مع أمّته، ويقول: يا محمد؛ ألا تحاسَب مع أمّتك! فيناجي رسول الله ﷺ ربّه، ويقول: إلهي لا تَفضَحْني في أمتي، واجعل حسابهم في يدي حتى لا يطلع على مساويهم غيري. فيقول: يا محمد، أنت تريد ألا يطلع على مساويهم غيرك، وأنا لا أريد أن يطلع

على مساويهم أنت ولا غيرك، لأني أرفق بهم منك. اللهم كما أنعمت علينا به وشرفتنا بشرفه، اقبَلْ من مُحْسننا وتجاوَزْ عن مُسيئنا، ولا تشف فينا الأعداء، إنّكَ ذو الفضل العظيم.

﴿الأَكْمَه﴾ الذي يُولَد أعمى.

﴿أحَسّ﴾ علم ووجد.

﴿أوْلَى﴾ [آل عمران: ٦٨] الناس بإبراهيم: أحقّهم به.

﴿الإيناس﴾ الرؤية، والعلم بالشيء، والإحساس به؛ ومنه: ﴿فإنْ آنَسْتُم منهم رُشْداً﴾ [النساء: ٦]. و﴿آنَسْتُ ناراً﴾ [طه: ١٠].

﴿أذَاعُوا به﴾ أفشوه.

﴿أرْكَسَهم﴾ نكسهم وردّهم في كُفْرِهم.

﴿آمِّينَ البيتَ الحرام﴾ أي عامدين. وأما في الدعاء فتخفف الميم وتمدّ وتقصر، وتفسيره: اللهم استجب. ويقال ﴿آمين﴾ اسم من أسماء الله عزّ وجل.

﴿الأزلام﴾: القِدَاح التي كانوا يَضرِبونها على المَيْسر، واحدها زَلَم وزُلَم.

﴿أجْل ذلك﴾ أي من سببه، ويقال: من أجل ذلك، ومن جرَّاء ذلك بالمد والقَصْر.

﴿أغرَيْنَا بَينَهم﴾ هيَّجْنا. ويقال أغرينا: ألصقنا بهم. وأصل ذلك - من الغِراء. والعداوة تباعد القلوب والنيات. والبغضاء: البغض.

﴿الأوليان﴾ واحدها الأولى: والجمع الأوّلون. والأنثى الاوّلة، والجمع الأوّلات.

﴿أكِنَّة﴾ أغطية، واحدها كنان.

﴿أساطير﴾ أباطيل وتُرَّهَات، واحدها أسطورة وإسطَارة.

﴿أوْزَارها﴾ آثامها؛ ومنه: ﴿وهم يَحمِلُون أوْزَارَهُم﴾ [الأنعام: ٣١]؛ وأصل الوِزر ما حَمَل الإنسان، فسمّي السلاح أوزاراً، لأنه يحمل. وأما قوله:

﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤]؛ أي لا تُؤخَذ نَفسٌ بذنبِ غيرها.

﴿أفَل﴾ غاب.

﴿أكابر﴾ عظماء.

﴿الأعراف﴾ سُورٌ بين الجنّة والنار، وسُمِّيَ بذلك لارتفاعه. ومنه سُمّي عُرْف الديك؛ ويستعمل في الشرف والمجد، وأصله في البناء.

﴿أقَلّتْ﴾ حملت؛ وإنما سُميت الكيزان قلالاً لأنها تُقَل بالأيدي فيُشرب فيها.

﴿أنفال﴾ غنائم. والنَفْل: الزيادة على الفرض. ويقال لولد الناقة نافلة؛ لأنه زيادة على أمه. وأما قوله تعالى: ﴿ووهَبْنَا له إسحاق ويعقوب نافلةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]؛ أي دعاء بإسحاق، فاستُجيب له وزيد يعقوب، كأنه تفضُّل من الله عز وجل، وإن كان كلٌّ بتفضله.

﴿أمْطرْنَا عليهم﴾ [الأعراف: ٨٤] ـ بالهمزة: معناه العذاب، وللرحمة مطرنا.

﴿أقاموا الصلاة﴾ حافظوا عليها بشروطها، يقال: قام بالأمر، وأقاموا به: إذا جاء به مُعْطٍ لحقوقه.

﴿أسلَفَت﴾ قدّمت.

﴿أخبَت﴾ تواضع وخشع. والخَبْت: ما اطمأن من الأرض.

﴿الأراذل﴾ [هود: ٢٧]: الناقص القدر والقيمة.

﴿أوْجَس﴾ أحسَّ في نفسه خوفاً.

﴿أسرى﴾ من سُرى الليل؛ يقال سرى وأسرى ـ لُغتان.

﴿أدْلى﴾ دَلْوَه: أرسلها ليملأها. ودلاّها: أخرجها.

﴿أشُدّه﴾ منتهى شبابه وقوته، واحدها شَدّ، مثل فَلْس وأفْلس. قال

مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة. واستوى: قال أربعين سنة. وأشُدّ اليتيم: قالوا ثمان عشرة سنة.

﴿أكبَرْنَهُ﴾ أعظَمْنَهُ.

﴿أصْبُ إليهنَّ﴾ [يوسف: ٣٣] أمِلْ إليهن، ويقال أصباني فصبوت؛ أي حملني على الجهل، وعلى ما يفعل الصبي، ففعلت.

﴿أضْغاث أحلام﴾ [يوسف: ١٢]: أخلاط، مثل أضغاث الحشيش، واحدها ضِغث، وإنما قالوا أضغاث أحلام بالجمع وكانت واحدةً، لأنه كقولهم: فلان يركب الخيل وإن رَكِبَ فرساً واحداً.

﴿استَبَقَا الباب﴾ [يوسف: ٢٥] من المسابقة، معناه: سابق كلٌّ واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصد هو الخروج والهروب منها، وقصدَت هي أن تردّه.

فإن قلت: لِمَ قال هنا الباب بالإفراد، وقد قال: وغُلِّقَت الأبواب بالجمع؟
فالجواب أن المراد هنا الباب البَرَّاني الذي هو المخرج من الدار.
﴿آثرك﴾ الله، أي فضَّلك. ويقال على أُثْرَة: أي فَضْل.

﴿أصنام﴾ جمع صنم، وهو ما كان مصوّراً من حجر أو صُفر أو نحو ذلك. والوثَن ما كان من غير صورة. وقد سمى الله تعالى في كتابه أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس: وُدّ، وسواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسْر. وهي أصنام قوم نوح. واللاّت، والعُزّى، ومَنَاة. وهي أصنام قريش. وكذا الرُّجز فيمن قرأه بضم الراء، ذكره الأخفش في كتاب الواحد والجمع على أنه اسم صَنَم.

﴿أصْفَاد﴾ أغلال، واحدها صفَد.

﴿أسقَيْنَاكُموه﴾ يقال لما كان مِنْ يدك إلى فمه سقيته، فإذا جعلت له شرباً وعرضته لأن يشرب أو لزَرْعه قلت أسقيته. ويقال سقى وأسقى بمعنى واحد.

﴿أرْذَل العُمر﴾ الهرم الذي يُنقِص قُوّته وعقله، ويصيِّرُه إلى الخرف ونحوه.

﴿أكنَاناً﴾ جمع كِنّ، وهو ما سَتَر ووقى من حر البرد.

﴿أمَّرنا﴾ بالتشديد: جعلناهم أمراء.

﴿أرْبَى﴾ أي أزيد عدداً. ومن هذا سمي الرِّبا.

﴿اجلِبْ عليهم﴾ جَمّع عليهم.

﴿أعثَرنا﴾ أطلعنا.

﴿أسَاور﴾ جمع أسورة، وأسورة جمع سِوَار، وهو الذي يُلبس في الذراع من ذهب، فإن كان من فضة فهو قُلب، وجمعه قِلَبَة، وإن كان من قَرْن أو عاج فهو مَسَكة، وجمعها مِسَك.

﴿أهُشُّ بها على غنَمِي﴾ [طه: ١٨]أضرب بها الأغصان ليسقط ورقُها على غنمي فتأكله، وإنما سأله تعالى ليريه عظم ما يَفعَلُه في العصا من قلبها حيَّة؛ فمعنى السؤال تقرير أنها عصا ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها. وقيل: إنما سأله ليُؤنِسَه ويبسطه بالكلام.

﴿أزْرِي﴾ عِزّي وظَهْري. ومنه: ﴿فآزره﴾ [الفتح: ٤٨]؛ أي أعانه.

﴿أمثَلهم طريقة﴾ أي أعدَلهم طريقة وقَوْلاً عند نفسه.

﴿أمْتاً﴾ ارتفاعاً وهبوطاً.

﴿أتْرَفناهم﴾ نعّمناهم؛ والمترف المتقلب في لين العيش.

﴿أحَاديث﴾ أي عِبَراً يتمثّل بهم في الشر، ولا يقال جعلته حديثاً في الخير.

﴿الأَيِّم﴾ الذي لا زوج لها، ويقال للرجل والمرأة.

﴿أشْتاتاً﴾ فِرَقاً، واحدهم شت.

﴿أصيل﴾ ما بين العَصْرِ إلى الليل، وجمعه أُصُل، ثم أصائل جمع الجمع.

﴿أنَاسي﴾ جمع إنسي، وهو واحد الإنسان، جمعه على لفظه، مثل كرسي وكراسي، والإنس جمع الجنس يكون بطرح ياء النسب، مثل رومي وروم.

ويجوز أن يكون أنَاسي جمع إنسان، وتكون الياء بدلاً من النون؛ لأن الأصل أناسين بالنون، مثل سراحين جمع سرحان، فلما أُلغيت النون من آخره عوضت الياء.

﴿أَزْلَفْنَا﴾ أي جمعناهم في البحر حتى غرقوا، ومنه ليلة المُزْدَلفة؛ أي ليلة الاجتماع. ويقال: أزلفنا: قربنا؛ أي قربناهم من البحر. ومنه: ﴿وإنَّ لَهُ عندنا لزُلفى﴾ [ص: ٢٥].

﴿أعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم [الشعراء: ١٩٨] وأعجمي أيضاً إذا كان في لسانه عُجمة، وإن كان من العرب. ورجل عجمي منسوب إلى العَجَم وإن كان فصيحاً؛ ورجل أعرابيّ إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب. ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً. وقال الفراء: العجمي منسوب إلى نفسه من العجمة، كما قيل للأحمر أحمري، وكقوله: ★ والدّهْرُ بالإنسان دوّاري ★؛ إنما هو دوّار، وقد نسب الله في كتابه إلى الأماكن:

الأمِّي قيل إنه نسبةٌ إلى أم القُرَى: مكة. وعبقري قيل إنه منسوب إلى عَبْقر: موضع للجن يُنسب إليه كل نادر. والسامريّ قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون وقيل سامرة. والعربي قيل منسوب إلى عَرَبة، وهي ناحية دار إسماعيل عليه السلام، وأنشد:

وعَـرْبَـة أرض مـا يحل حـرامهـا   من الناس إلا اللّـوْذَعـيّ الحُلاحِـلُ

يعني النبي ﷺ.

﴿أوْزِعْنِي﴾ أَلْهِمْنِي؛ يقال فلان مُوزَع بكذا ومُولع ومغرًى بمعنى واحد.

﴿أهْوَن عليه﴾ أي هيّن، كما تقول فلان أوحد أي وحيد، وإني لأرجل أي رجل. وفيه قول آخر: أي وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون؛ لأن الإعادة عندكم أسهل من الابتداء. وأما قوله: الله أكبر ـ فالمعنى الله أكبر من كل شيء.

﴿أنْكَر الأصوات﴾ أقبحها، وإنما يُكْرَهُ رَفع الصوت في الخصومة والباطل؛ ورفع الصوت محمود في مواطن؛ كالتلبية والأذان.

﴿أدْعِيَاءَكم﴾ [الأحزاب: ٤] جمع دَعِيّ، وهو الذي يُدعى ولد فلان وليس بولده. وسببها أمر زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه

بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبنّاه، فكان يقال له: زيد ابن محمد، حتى نزلت هذه الآية.

فسبحان من قاده بسلاسل العناية: واحد من كلب، وآخر من الحبشة، وآخر من الروم، وآخر من فارس، وأبو طالب واقف على الباب ينصره ويذبُّ عنه، وحرم من الدخول؛ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا إله إلا أنت.

﴿أقْطَارها﴾ جوانبها، وقريء بالتاء، وهو بمعنى واحد. الواحد قُطْر وقُتْر.

﴿أَشِحَّةً﴾ عليكم: جمع شحيح؛ أي بخيل.

﴿أسَلْنَا﴾ [سبأ: ١٢] أذَبْنا، من قولك: سال الشيء وأسلته. قال ابن عباس: كانت تسيل له باليمن عين من نحاس يصنع منها ما أحب. والمعنى أن الله أذاب له النُّحاس بغير نار، كما صنع بالحديد لداود، فطلب من الله أن يعمل منها صور رجال يقاتل بها أعداءه، ويستعين بهم في خدمته لأنهم أقوى. فأجابه إلى ذلك، ونفخ فيهم الروح، فكان يستعين بهم في حوائجه؛ فهذا هو الملك العظيم؛ ومع هذا سماه رُخَاءً ليتنبَّه العبدُ على أن جميع ما في الدنيا لا عِبْرَةَ به عنده.

﴿أثْل﴾ شجر يشبه الطَّرْفَاء، إلا أنه أعظم منه.

﴿أسَرُّوا﴾ أظهروها [سبأ: ٣٣]، وقيل كتموها، يعني كتمها العظماء من السفلة الذين أضلُّوهم، فهو من الأضداد.

﴿أذْقَان﴾ جمع ذَقَن، وهو مجتمع اللَّحْيَيْنِ.

﴿أجداث﴾ قبورهم، واحدها جدَث، يعني أنهم ينسلون من قبورهم عند النفخة الثانية.

﴿الأحزاب﴾ الذين تحزَّبوا على أنبيائهم، وصاروا فرقاً.

﴿الخَيْر﴾ [ص: ٣٢]: الخيل، سميت بذلك لما فيها من المنافع، وفي

الحديث: الخير معقود في نواصي الخيل. وقيل المال. وهذا يختلف بحسب الاختلاف في القصة.

فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيْل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة، فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال: الأول وهو الذي قدمناه. وأحببت بمعنى آثرت، أو بمعنى فِعْلٍ يتعدى بعَنْ، كأنه قال: آثرت حب الخير فشغلني عن ذكر ربي.

والآخر أن الخيل هنا يراد به المال، لأن الخيل وغيرها مال؛ فهو كقوله تعالى: ﴿إنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ [البقرة: ١٨٠]: أي مالاً.

والثالث أن المفعول محذوف وحب الخير مصدر، والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حبِّ الخير، فشغلني عن ذِكر ربي.

وأما الذين قالوا إنه كان يصلّي فعُرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى أنه قال: أحببت حبَّ الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، فشغلني ذلك عن النظر إلى الخيْل.

﴿أكْفِلْنيها﴾ ضُمها إليّ، واجعلني كافلها؛ أي تلزم نفسي حياطتها؛ وأصله اجعلها في كفالتي. وقيل اجعلها كِفْلي؛ أي نصيبي.

﴿أتْرَاب﴾ أقران، واحدها تِرْب، يعني أن أسنان الآدميات وأسنانَ أزواجهنّ سواء، من سن ثلاثين سنة والطول ستين ذراعاً. وأما الحورُ العين فعلى حسب ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين.

﴿أشرقت الأرض﴾ أضاءت.

﴿أمَتّنَا اثنتَيْن وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْن﴾ [غافر: ١١] هذا كقوله: ﴿وكُنْتُم أمواتاً فأَحْياكم ثم يُمِيتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة: ٢٨]. فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدماً، أو كونهم في الأرحام، أو في الأصلاب. والموتة الثانية الموتة المعروفة. والحياة الأولى حياة الدنيا. والحياة الثانية حياة البعث في القيامة.

وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا، والثانية الحياة في القبر. والموتة الأولى الموتة المعروفة، والموتة الثانية بعد حياة القبر. وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مراتب.

فإن قيل: كيف اتصال قولهم: أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله؟.

فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقَتوا أنفسهم على ذلك، فأقرّوا به حينئذ ليرى الله إقرارهم بقولهم: «أمتّنا اثنتين وأحْيَيْتَنا اثنتين»؛ إقراراً بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعاً منهم أن يخرجوا عن المَقْتِ الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يُدْعَون إلى الإيمان فيكفرون.

﴿أقْوات﴾ أرزاق بقدر ما يحتاجون إليه. وقيل يعني أقواتَ الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض. والأول أظهر.

﴿أرْدَاكم﴾ [فصلت: ٣٢] أهلككم.

﴿أكمامها﴾ أوعيتها التي كانت فيها مستترة قبل تفطّرها، واحدها كِم. وقوله: ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ [الرحمن: ١١]؛ أي الطّلع قبل أن ينفَتِقَ.

﴿أكواب﴾: أباريق، لا عرى لها ولا خراطيم، واحدها كُوب.

﴿أبْرمُوا﴾ أحكَموا.

﴿آنِفاً﴾ أي الساعة، من قولك: استأنفْتُ الشيء: ابتدأته.

﴿أحقاف﴾: جمع حِقْف، وهو الكُدْس من الرمل. واختلف أين كانت؛ فقيل بالشام. وقيل: بين عمان وحضرموت. والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن.

﴿أثخَنتُموهم﴾: أكثرتُم فيهم القَتل والأسْر.

﴿آسِن﴾ [محمد: ١٥] مُتَغَيِّر الرائحة والطعم.

﴿أشراطها﴾: علاماتها، ويقال أشرط نفسه الأمر إذا جعل نفسَه علماً فيه. ولهذا سمي أصحاب الشُّرَط؛ للبسهم لباساً يكون علامةً لهم. والشرط في البَيْع

علامة بين المتبايعين، والذي كان قد جاء من أشراط الساعة مَبْعثُ مولانا محمد ﷺ، لأنه قال: أنا من أشراط الساعة، وبُعثت أنا والساعة كهاتين.

﴿أمْلَى لهم﴾: أي مَدَّ لهم في الأماني والآمال. والفاعل هو الشيطان. وقيل الله تعالى. والأول أظهر، لتنَاسُب الضميرين الفاعلين في سوّل وأملَى.

﴿أضْغَانهم﴾ أحقادهم، ويراد به هنا النفاق والبُغْض في الإسلام وأهله.

﴿ألقَى السّمْع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧] أي استمع كتابَ الله وهو شاهد القَلْب والفهم، ليس بغافل ولا ساه.

﴿ألقِيَا في جهنم﴾ [ق: ٢٤] خطاب للملكين السائق والشهيد. وقيل: إنه خطاب للواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أبدل منها ألفاً، على أن يكون معناه ألقِ ألْقِ، فثَنَّى مبالغة وتأكيداً، وعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: خليليّ وصاحبيَّ. وهذا كله تكلف بعيد. ومما يدل على أن الخطاب للاثنين قوله: ﴿فألْقِيَاهُ في العذابِ الشديد﴾ [ق: ٢٦].

﴿أدْبَار السّجُود﴾ جمع دُبُر. والإدبار مصدر أدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: الركعتين بعد المغرب. وقال ابن عباس: هي النوافل بعد الفرائض. وقيل الوتْر.

﴿اللاّت والعزى﴾ أصل اللات رجل كان يلتّ السويق للحاجّ. والعُزّى كانت صخرة بالطائف، مؤنثة الأعز.

وقيل: إنّ رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد فقطع شجرة يقولون لها العُزّى، فخرجت منها شيطانة ناشرة شَعْرها تَدْعُو بالوَيْل والثبور، فضربها بالسيف حتى قتلها. وهذه مخاطبة لمن كان يعبدها من العرب على جهة التوبيخ لهم.

﴿أكدَى﴾ أي قطع العطاء، وأمسك، مأخوذ من كُدْيَة الركيّة، وهو أن

يحفر الحافر فيبلغ إلى الكُدْية، وهي الصلابة من حجر أو غيره، فلا يعمل مِعْوَلُه شيئاً فييأس وينقطع عن الحفر.

﴿أَقْنَى﴾ [النجم: ٥٣]: أكسبَ عبادَه المال، فهو من كَسْب المال وادّخاره.

وقيل معنى أقنى أفقر؛ وهذا لا تقتضيه اللغة. وقيل معناه أرضى. وقيل أقنع عَبْدَه.

﴿أزِفت﴾؛ أي قربت، سُميت بذلك لقربها، يقال: أزف شخصُ فلان أي قرب. وقوله: ﴿وأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَة﴾ [غافر: ١٨]؛ يعني القيامة.

﴿أَعْجاز نَخْل﴾ [القمر: ٢٠]: أُصول نَخْلٍ مُنقَعِر. وأعجاز نخل منقلع. وأعجاز [الحاقة: ٧] نخل خاوية؛ أي بالية. شبّه اللهُ عاداً لما هلكوا بذلك، لأنهم طوالٌ عِظَامُ الأجسام، كان طول أحدهم مائة ذراع كالنخل. وقيل: كانت الريح تقلعهم حتى حفروا حفراً يمتنعون بها من الرّيح فهلكوا فيها؛ فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حُفرها.

﴿أَبَشَراً﴾ [القمر: ٢٤]: هو صالح عليه السلام؛ وانتصب بفعل مضمر. والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشراً، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة؛ ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحداً وهم جماعة كثيرون.

﴿أشِر﴾؛ أي بطر [القمر: ٢٥] متكبر، وربما كان للمدح من النشاط.

﴿الأنام﴾: الخَلْق كلهم. وقيل الحيوان كله.

﴿الأعلام﴾: الجبال، شبه السُّفُن بها، وإنما سمّاها منشآت لأن الناس ينشئونها.

﴿أفنَان﴾: أغصان، واحدها فَنَن وهو الغُصْن. أو جمع فَن، وهو الصنف من الفواكه وغيرها.

﴿أول الحَشْر﴾ [الحشر: ٢]، في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حَشْر القيامة؛ أي خروجهم من حصونهم أول الحشر، والقيام من القبُور آخره.

ورُوي في هـذا المعنى أن النبي ﷺ قال لهم: امضوا، هذا أول الحشر وأنا على الأثر.

الثاني: أن المعنى لأول موضع الحشر، وهو الشام؛ وذلك أن أكثر بني النَّضِير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر أن حَشْرَ القيامة إلى الشام.

وروي في هذا المعنى أن النبي ﷺ قال لبني النَّضِير: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض الحشر.

الثالث: أن المراد بالحشر في الدنيا هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر، وإخراج أهل خَيْبَر آخره.

الرابع: أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول الحشر لقتالهم؛ لأنه قال قاتلهم.
قال الزمخشري: اللام في قوله «لأَوَّل» بمعنى عند، كقولك: جئت لِوَقْتِ كذا.

﴿أَوْجَفْتم﴾؛ من الإيجاف، وهو السير السريع. والمعنى أنَّ ما أعطى الله رسوله من أموال بني النَّضير لم يَمْشِ المسلمون إليه بخَيْل ولا رِكاب، ولا تَعِبُوا فيه ولا حصّلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله في هذه الآية أن ما أخذ لبني النضير وما أخذ من فَدَك، فهو خاصٌّ بالنبي ﷺ يفعل فيه ما شاء؛ لأنه لم يُوجف عليها ولا قُوتلت كبير قتال، بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال؛ فأخذ ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوتَ عياله، وقسَّم سائرها في المهاجرين، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئاً، غير أن أبا دُجَانَة وسهْل بن حُنَيْف شكواً فاقةً فأعطاهما رسول الله ﷺ منها. هذا قولُ جماعة.

وقال عمر بن الخطاب: كان رسول الله ﷺ يُنْفِق منها على أهله نفقةَ سنة، وما بقي جعله في السلاح والكُرَاع عدة في سبيل الله.

قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حَاجتهم، ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿أفاء الله﴾، من الفَيء. ويعني أن الله جعل فيئاً لرسوله ﷺ.

﴿الذي﴾، واحد الألى والذين جميعاً. واللاّتي واحدها التي.

﴿أرجائها﴾ [الحاقة: ١٧]: نواحيها وجوانبها، واحدها رَجَا ـ مقصور، يقال ذلك لِحَرْف البِئر وَلِحَرف القَبر وشِبهها. والضمير يعود على السماء؛ لأنها إذا وهت [الحاقة: ١٦] وقفوا على أطرافها. وقيل يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها. وروي في ذلك: إن الله يأْمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض.

والأول أظهر وأشهر.

﴿أوسطهم﴾: أعدلهم وأفضلهم. ومنه: ﴿أمّة وَسَطاً﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿أوعَى﴾، يقال: أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعائه، فالمعنى جمع المالَ وجعله في وعاء. وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلّه، ووضعوه في غير محله.

﴿أصَرّوا﴾: أقاموا على المعصية.

﴿أطواراً﴾؛ أي طَوْراً بعد طَوْرٍ، يعني أن الإنسان كان نُطْفةً، ثم عَلَقه، ثم مُضْغة إلى سائر أحواله.

وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى أن الناس على أنواع في ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم وغير ذلك.

﴿أقْوَم قِيلا﴾: أصحّ قولاً؛ لهدأة الناس وسكون الأصوات. والمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر فيه.

﴿أنكالا﴾: جمع نِكْل وهو القَيْد من الحديد. وروي أنها قيودٌ سُود من نار لو وضع قَيْد منها على الأرض لأحرقها.

﴿أَسْفَرَ﴾ : أضاء ، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿أمشاج﴾ [الإنسان : ٢] : أي أخلاط ، واخدها مَشَج - بفتح الميم والشين. وقيل مَشْج بوزن عدل.

وقال الزمخشري : ليس أمشاج بجمع ، وإنما هو مفرد ، كقولهم: بُرْمَة أعشار. ولذلك وقعَ صفةً للمفرد. واختلف في معنى الاختلاط هنا ؛ فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء. وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة. وروي أن عظام الإنسان وعَصَبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة. وقيل معناه أطوار ، وألوان: أي يكون نطفة ثم علقة ... الخ.

﴿أَسْرَهم﴾ [الإنسان: ٢٨] : خلقتهم. وقيل المفاصل والأوصال. وقيل القوة.

﴿أَلْفافاً﴾ : ملتفّة من الشجر ، وهو جمع لُف - بضم اللام. وقيل بالكسر. وقيل لا واحد له.

﴿أفواجاً﴾ : جماعات. يعني بعد نَفْخَةِ القيامة من القبور.

﴿أحقاباً﴾ : جمع حقبة أو حُقْب وهي المدّة الطويلة من الدهر غير محدودة. ثم أختلف في مقدارها ؛ عن النبي ﷺ أنها ثلاثون سنة. وقال ابن عباس: ثمانون سنة. وقيل ثلاثمائة. وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقاباً كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية. وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: ﴿فذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكُم إلاَّ عذَابا﴾ [النبأ: ٣٠]، وهذا خطأ ؛ لأن الأخبار لا تنسخ. وقيل هي في عُصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ؛ وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وكَذَّبُوا بآياتِنَا كِذّابا﴾ [النبأ: ٢٨].

وقيل معناه أنهم يبقون أحياناً لا يذوقون لا بَرْداً ولا شراباً ، ثم يُبَدَّل لهم نوع آخر من العذاب ؛ وهذا أليق.

﴿أَغْطَش ليلها﴾ [النازعات : ٢٩] : أي جعله مُظلماً. يقال غَطَش الليلُ إذا أظلم ، وأغطشه الله.

﴿اقْبَره﴾ [عبس: ٢١]: جعله ذا قَبْرٍ، يقال قبرت الميّتَ إذا دفنْته، وأقبرته إذا أمرت أن يُدْفن.

﴿أنْشَرَه﴾ [عبس: ٢٢]: أي بعثه من قبره يوم القيامة.

﴿أذِنَتْ لربِّها﴾ [الانشقاق: ٢]: أي استمعت، وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها، وإنما انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لـمَّا أراد مَدَّها وإلقاءَ ما فيها؛ وحقّ لها أن تَنْشقّ من أهوال يوم القيامة. أقال الله عثَراتنا.

﴿أفْلح﴾ [الشمس: ١٠]: نجا، يعني ظَفِرَ مَنْ طهَّر نَفسه بالعمل، وجانَبَ الظفر مَنْ أهملها بالكفر والمعاصي.

﴿أهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]: يعني لم يحسن إليَّ. وقد أنكر الله على الإنسان قوله عند النعماء أكْرَمني [الفجر: ١٥]، ويقول عند الضرر به ﴿أهَانَنِ﴾، على وجه التشكّي من الله وقلّة التسليم لقضائه، فاعتبرُ هذا العبدُ الدنيا، وجعل بسط الرزق فيها كرامةً، وتضييقه إهانة؛ وليسِ الأمر كذلك؛ فإن الله يبسط الرزق لأعدائه، ويضيِّقُه لأوليائه، ولم يكن في زمان موسى أكرَمُ على الله منه، وقد قطع الشوك رجليه من الحَفَا، وكان يرى على بطنه أثر البقول. وفرعون حينئذٍ يدّعي الربوبية، وقد أمر الله نبيَّه بالإعراض عن زَهْرَة الدنيا، والنظر إليها في قوله: ﴿ولا تَمُدّن عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١].

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع، قال: أضاف النبي ﷺ ضَيْفاً، فأرسلني إلى رجل من اليهود أنْ أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب. فقال: لا، إلا بِرَهْن. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: والله إني لأمين مَنْ في السماء أمين من في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿لا تَمدّنّ عينيك إلى ما متّعْنَا به أزواجاً منهم﴾.

فإن قلت: قد أثبت اللهُ تعالى في قوله: ﴿ربي أكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].
فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه لم ينكر عليه ذكره الإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامُه من الفخر والخُيلاء، وقلّة الشكران، ومن اعتبار الدنيا دون الآخرة.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ربي أكْرَمَنِ إذ اعتقد أن إكرام الله باستحقاقه الإكرام على وجه التفضُّل والإنعام، كقول قارون: ﴿إنما أُوتِيْتُه على عِلْمٍ عندي﴾ [القصص: ٧٨].

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: رَبِّي أهَانَنِ، لا لقوله: ربي أكرمن؛ فإن قوله: ربي أكرمن اعترافٌ بنعمة الله، وقوله: ربي أهانن شكاية من فِعْل الله.

﴿أنْقَض ظَهْرَك﴾ [الشرح: ٣]: النِّقْض البعير الذي قد أتعبه السفر والعمل فنقض لحمه، فيقال له حينئذ نِقْض، وهو هنا عبارة عن ثقل الوِزْر المذكور وشدته عليه.

قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهي مغفورة لهم لو صَدَرَت منهم، فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله، وهي عند الله خفيفة. وهذا كما جاء في الأثر أن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبَه كالذبابة تطير فوق أنفه. وعلى هذا قول من جوَّز صغائر الذنوب على الأنبياء. أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة. والصحيح أن الوِزْر هي أثقال النبوة وتكاليفها، فأعانه عليها.

﴿أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢]: جمع ثِقْل، وإذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها. وقيل هي الكنوز؛ وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجّال. والمراد إخراج الموتى الذين في جوفها عند النفخة الثانية في الصور.

﴿أَوْحَى لها﴾ [الزلزلة: ٥]: أوحى إليها؛ إما بكلام أو إلهام. وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها؛ وهذا بعيد. وفي التفسير أوحى إليها أمرها.

﴿أَلْهَاكُمُ التكاثر﴾ [التكاثر: ١]: أي شغلكم التكاثر في الدنيا للمباهاة بكثرة الأموال والأولاد عن محاسبة أنفسكم، ستعلمون ما يحلُّ بكم. وإنما كرر ﴿كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣] للتأكيد والتهويل، وعطفه « بثُمَّ » إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول. وإنما حذف معمول ﴿تعلمون﴾ لقَصْدِ التهويل، فيقدر السامع أعظم ما يَخْطر بباله.

﴿أَبَابيل﴾ [الفيل: ٣]: جماعات متفرقة، شيئاً بعد شيء.

قال الزمخشري: واحدها إبَّالَة. وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحد له من لفظه.

وقصتهم أنّ اللهَ أرسل على أصحــاب الفيل طيوراً سوداً وقيل خضراً، عند كل طائر ثلاثة أحجار في مِنْقاره ورِجْلَيْه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجرُ يقتلُ مَنْ وقع عليه.

وروي أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دُبره، ووقع في سائرهم الجدْرِيّ والأسقام وانصرفوا، فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل؛ وتقطع أبرهةُ أنملة أنملة.

وروي أن كلَّ حجر منها فوق العدسة ودون الحمّصة. وقال ابن عباس: أدركت عند أم هانىء نحو قَفِيز من هذه الحجارة، وأنها كانت مخطّطة بحمرة.

وروي أنه كان على حجر اسمُ مَنْ يقَعُ عليه مكتوب.

﴿الأَبْتر﴾ [الكوثر: ٣]: هو الذي لا عقب له، ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل: وقيل في أبي جهل على وجه الردّ عليه؛ قال: إن محمداً أبْتَر، لا ولد له؛ فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر، وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي مقطوع عنها، وأنه لايُذْكَرُ - إذا ذُكِرَ - إلا باللَّعْنة، بخلاف نبينا ومولانا محمد ﷺ فإنّ ذكره خالد إلى آخر الدهر بالصلاة والسلام، مرفوع على المنابر والصوامع، مقرون بذكر الله.

﴿الفَلَق﴾ : قيل الصبح. ومنه : ﴿فَالِق الإصباح﴾ [الأنعام: ٩٦]. قال الزمخشري: هو فَعَل بمعنى مفعول. وقيل: إنه كلُّ ما يفعله الله؛ كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحَبّ والنَّوَى، وغير ذلك.

وقيل: إنه جُبٌّ في جهنم. وقد روي عنه ﷺ.

﴿أُهِلَّ﴾ بضم الهمزة: ذُكر عند ذَبْحه اسمٌ غير الله. وأصل الإهلال رَفْعُ الصوت.

﴿اضْطُرَّ﴾ : أُلجِىء، وهو مشتقّ من الضرورة، ووزنه افتعل وأبدل التاء طاء. واختلف في حدّ الاضطرار؛ والصحيح أنه ثلاثة أيام. والحكمة فيه أن المَيْتَة إنما حرمت لسمّها وضرّها، والآدميّ إذا خلت معدته من الطعام نشأ منها سمٌّ قاتل، يغلب على سم الميتة؛ فلذا أُبيح أكْلُها.

﴿أُمَّة﴾ : يرد لمعان: جماعة؛ ومنه: ﴿وَجَد عليه أُمَّةً﴾ [القصص: ٢٣] ورجل جامع للخير، ومنه: ﴿إنّ إبراهيمَ كان أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]. ودين وملّة؛ كقوله: ﴿إنّا وجَدْنَا آباءنا على أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]. وحين وزمان؛ كقوله تعالى: ﴿إلى أُمَّةٍ معدودة﴾ [هود: ٨]. ﴿وادَّكَرَ بَعدَ أُمَّة﴾ [يوسف: ٤٥]؛ أي نسيان. ﴿وأمَّةٌ قائمة﴾ [آل عمران: ١١٣]. يقال فلان حسن الأمة؛ أي قائمة.

وأمة: رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد، كقول رسول الله ﷺ: يبعث زيد بن عمرو بن نُفَيل أمة وحده.

وأمة: أم، يقال هذه أمَّة زيد؛ أي أمه.

﴿أحْصِرتُم﴾ : مُنعتم. والمشهور في اللغة أَحصره المرض بالألف، وحصره العدو. وقيل بالعكس. وقيل هما بمعنى واحد؛ فقال مالك: أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهَدْي ولم يوجبه على مَنْ حصره العدو.

وقال الشافعي وأشهب: يجب الهَدْي على من حصره العدوّ؛ وحمَلَا الآية على ذلك، واستدلّا بِنَحْرِ الْهَدْي بالحُديْبية.

وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصَر بعدو وبمرض.

﴿أُخْراكم﴾: آخركم؛ وفيه مدْحٌ للنبي ﷺ؛ فإن الآخر هو موقف الأبطال يرفع جريحهم، ويقوِّي منهزمهم.

﴿أجورهنّ﴾: مهورهن وصداقهنّ، يعني إذا استَمْتَعْتُم بالزوجة بالوَطْء فيجب إعطاء الصداق كاملاً.

﴿أُبْسِلُوا﴾ [الأنعام: ٧٠]: ارتهنوا وأسلموا للهلكة.

﴿استَهْوَته﴾؛ أي ذهبت به الشياطين في مَهَامِهِ الأرض، وأخرجته عن الطريق، فهو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها.

وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى، مثل استزل بمعنى زل.

﴿أُمْلي لهم﴾؛ أي أطيل لهم المدة، وأتركهم ملاوة من الدهر مع إرادة العقوبة؛ فظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿أُذُن﴾ [التوبة: ٦١] يعني يقبل كلَّ ما قيل له ويصدقه. ورُوي أن قائل هذه المقالة نَبْتَل بن الحارث، وكان من مردة المنافقين. وقيل عتّاب بن قيس فردّ الله عليه قوله بأنه يسمع الخير والحق ويؤمن للمؤمنين.

﴿اجتُثّت﴾؛ معناه استُؤْصلت واقتلعت، وحقيقةُ الاجتثاث أخْذُ الجثّة، وهذا في مقابلة قوله: ﴿أصلها ثابت﴾ [إبراهيم: ٢٥].

﴿أُخْفِيها﴾ [طه: ١٥]: أسترها وأظهرها أيضاً، فهو من الأضداد. قال ابن عطية: هذا قولٌ مختلّ؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال أخفى بالألف من الإخفاء، وخفى بغير ألف بمعنى أظهر؛ فلو قال بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح الهمزة في المضارع. وقد قرىء بذلك في الشاذ.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغة أخفى بمعنى خفي؛ أي ظهر؛ فلا يكون هذا القول مُخْتلاً على هذه اللغة. والصحيح أن الله أبْهم وقت الساعة فلم يُطلع عليه أحداً حتى كاد أن يخفى وقوعُها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها؛ فالإخفاء على معناه في اللغة، «وكاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه؛ وهذا هو اختيار المحقّقين.

﴿اضْمُم﴾ ﴿واسْلُكْ﴾ [القصص: ٢٢]، بمعنى الدخول.

﴿اغْضُض﴾: أنْقِص منه. ومنه: ﴿قل للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أبصارهم﴾ [النور: ٣٠] أي ينقصوا من نظرهم عما حرم الله عليهم، فقد أُبيح لهم ما سوى ذلك.

﴿ارْكُضْ﴾ برجلك: اضرب الأرض. والتقدير قلنا له ارْكُض الأرْضَ؛ فضَرب الأرض برجله، فنبعَتْ له عَيْنٌ باردة صافية، فشرب منها، فذهب كلُّ مرض كان في جسده. وروي أنه ركض الأرض مَرّتين فنبع له عَيْنان، فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

﴿أمّ الكتاب﴾: أصل كلّ كتاب، وهو اللوحُ المحفوظ الذي كتبَ اللهُ فيه مقاديرَ الأشياء كلها.

﴿أولو﴾ العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى. وقيل هم الثمانية عشرة المذكورون في سورة الأنعام بقوله: ﴿فبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقيل كلُّ مَنْ لقي مِنْ أمّته شدةً. وقيل الرسل كلُّهم أولو عزم.

﴿ازْدَجر﴾: انتهر وشتم، وقالوا له: ﴿لئن لم تَنْتَه يا نوحُ لتكوننّ من الْمَرْجومين﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿أجِّلَتْ﴾: أخِّرت: وهو من الأجل، كالتوقيت من الوقت، وفيه توقيف يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم، ثم بيّنه بقوله: ﴿وما أدرَاكَ ما يَوْمُ الفَصْل﴾ [المرسلات: ١٣، ١٤].

﴿إبليس﴾: إفعيل من أَبْلَس أي يئس. وقد كان اسمه أولاً عزرائيل. وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: كان اسم إبليس عزرائيل. وقال السدّي: إبليس هو عزرائيل. وقال ابن عسكر: قيل اسمه قِتْرَة. وقيل أبو مُرّة، وقيل أبو لُبَيْنى، حكاه السهيلي في «الرّوض الأنُف».

﴿استوقد﴾؛ أي أوقد. وقيل طلب الوقود على الأصل في استفعل.

﴿ارهبونِ﴾: خافوني. وإنما حذفت الياء لأنها في رأس آية، ورؤوس الآيات بَنَوا الوقوف عليها، والوقوف على الياء يُسْتَثْقَل، فاستغنوا عنها بالكسرة.

﴿ادّارأْتُم﴾ [البقرة: ٧٢]؛ أي اختلفتم، وهو من المدارأة أي الْمُدَافعة، وأصله تدارأتُم، أي تدافعْتُم، أي أَلْقَى بعضُكم على بعض، فأدغمت التاء في الدال لأنها من مخرج واحد، فلما أُدغمت سكنت، فاجتُلبت لها ألف الوصل للابتداء، وكذلك ﴿ادّارَكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨] فيها و﴿اثّاقَلْتُم﴾ [التوبة: ٣٨].

﴿ابْتَلى﴾؛ أي اختبر، أي اختبره بما تعبَّدَه به من السنن. وقد اختلف فيها اختلافاً كثيراً، فقيل خصال الفِطْرة. وقيل مناسك الحج. وقيل ثلاثون خصلة، عشرة ذُكرت في ﴿براءة﴾ من قوله: ﴿التّائِبُون...﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرة في الأحزاب من قوله: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات...﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وعشرة في المعارج من قوله: ﴿إلا الْمُصَلِّين﴾ [المعارج: ٢٢].

﴿الإمام﴾ الذي يؤمُّ الناس إليه في الطريق ويتبعونه، ويقال للطريق إمام. ومنه قوله: ﴿وإنّهما لَبِإمَامٍ مُبين﴾ [الحجر: ٧٩]، أي بطريق واضح يمرُّون عليها في أسفارهم ـ يعني القَرْيَتَيْن المهلكتين: قريتي قوم لوط، وأصحاب الأيْكَة، فيرونها، ويعتبر بها مَنْ خاف وعيد الله تعالى. والإمام الكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم نَدْعُو كلَّ أنَاس بإمامهم﴾ [الإسراء: ٧١] والإمام كل ما ائتممتَ به واقتديت به.

﴿اصطفى﴾: اختار.

﴿استجاب﴾: أجاب.

﴿اعتمر﴾؛ أي زار البيت، ومنه سُمِّيت العُمْرة، لأنها زِيارة للبيت. ويقال: اعتمر، أي قصد.

﴿استَيْسَر﴾؛ أي تيسّر وسهل، وذلك شاة.

﴿انْفِصَام﴾: انقطاع.

﴿إعْصَار﴾: رِيح عاصف، تَرْفَعُ تراباً إلى السماء كأنه عمود نار فيه سَمُوم مُحْرقة.

﴿إلحافاً﴾: إلحاحاً في السؤال. والمعنى أنهم إذا سألوا يتلطّفون ولا يُلِحُّون. وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاف معاً.

﴿ائذَنُوا بِحَرْبٍ﴾: اعلموا ذلك واسمعُوه وكونُوا على إذْنٍ منه، ومن قرأ: ﴿فَآذِنُوا﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أي فأَعلِمُوا ذلك غيركم. ولما نزلت قالت ثَقِيف: لا طاقة لنا بحَرْبِ اللهِ ورسوله.

﴿إنجيل﴾: إفعيل من النجل، وهو الأصل. والإنجيل أصل العلوم. ويقال: هو من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته. والإنجيل مستخرج به علوم وحكم.

﴿استَكانُوا﴾: خضعوا [آل عمران: ١٤٦]. قال بعض النحاة: استكان مشتق من السكون، ووَزْنُه افتعلوا، أشْبعت فتحة الكاف فحدث عن شبعها ألف، وذلك كالإشباع، وقيل إنه من كان يكون فوزنه استفعلوا، وهذا تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أُحُد.

﴿إسرافنا﴾: إفراطنا [آل عمران: ١٤٧].

﴿انفَضُّوا﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي تفرقوا، وأصل النفض الكسر.

﴿ادرءوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]: ادفعوا. والمعنى ردّ عليهم.

﴿إناثاً﴾ [النساء : ١١٧] : مَوَاتاً. واختلف ما المراد بقوله؟ فقيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمّي الأصنام بأسماء مؤنثة، كاللّات والعُزى. وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إناث، وكانوا يعبدونهم، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد. وقيل المراد الأصنام؛ لأنها لا تَعْقِل فيُخْبَر عنها كما يُخْبَر عن المؤنث.

﴿إمْلاق﴾ [الأنعام: ١٥١، والإسراء: ٣١]: فَقْر، وإنما نهى عن قَتْل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب، فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه.

﴿افْتِراء﴾ الافتراء الكذب، وذلك أنهم كانوا قد قسموا أنعامهم وقالوا هذه أَنْعامٌ [الأنعام: ١٣٨]... الخ ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذباً، ونصبه على الحال أو مفعول من أجله أو مصدر مؤكد.

﴿ادَّارَكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨] تلاحقوا واجتمعوا. والمراد بأولهم الرؤساء والقادة وآخرهم الأتباع والسفلة. والمعنى أن أُخْراهم طلبوا من الله أن يُضَاعِف العذاب لأولاهم؛ لأنهم أضلوهم. وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم، إنما هو كقولك: قال لفلان كذا، أي قاله عنه وإن لم يخاطبه به.

﴿افْتَحْ بيننا﴾؛ أي احكم.

﴿اسْتَرْهَبُوهم﴾ [الأعراف: ١١٦] أي خوّفوهم بما أظهروا لهم مِنْ أنواع السحر.

﴿إلهتك﴾ ـ بكسر الهمزة في قراءة مَنْ قرأها ـ معناها عبادتك.

﴿انْسَلَخَ منها﴾؛ أي خرج [الأعراف: ١٧٥] كما تخرج الحية من القشر، والانسلاخ من الثياب. وقد اختلف في هذا المُنْسلِخ؛ فعند ابن مسعود هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مَدْين، فرشاه الملك على أن يترك دين موسى ويُتَابع الملك على دينه، ففعل، وأضل الناسَ بذلك. وقال ابن عباس: هو بَلْعَام الذي دعا على موسى، فالآياتُ التي أعطيها على هذا القول هي

اسم الله الأعظم. وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: هو أمية بن أبي الصَّلْت، وكان قد أوتي علماً وحكمة، وكان قد أسلم قبل غَزْوَة بَدْر، ثم رجع عن ذلك، ومات كافراً، وفيه قال ﷺ: كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم.

فالآيات على هذا ما كان عنده. وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة. وقيل ما كان عنده من صحف إبراهيم.

﴿إلاًّ ولَا ذِمّة﴾ [التوبة: ٨، ١٠] قد قدمنا أنّ «إل» على خمسة أوجه: بمعنى الله، والعهد، والقرابة، والحلف، والجوار.

﴿اقْتَرَفْتُموها﴾: اكتسبتموها.

﴿إحْدى الحُسْنَيَيْن﴾: الصبر والظفر، أو الموت في سبيل الله. وكلٌّ واحدة من الأمرين حَسن.

﴿إرصاداً﴾ يقال رصدت وأرصدت في الخير والشر جميعاً، وهو الترقّب والانتظار. ومعناه هنا أن بني عمرو بن عَوْف من الأنصار بَنَوْا مسجد قُبَاء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غَنْم بن عَوْف وبنو سالم بن عوف، فبنوا مسجداً آخر مجاوراً له، ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قُبَا، فذلك هو الضِّرار الذي قصدوا. وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيَه ويصلّي لهم فيه، فنزلت عليه هذه الآية [التوبة: ١٠٧]. والذي حارب الله ورسوله هو أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان من أهل المدينة، فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكُفْر والنِّفاق، ثم خرج إلى مكة فحزَّبَ الأحزاب من المشركين، فلما فُتحت مكةُ خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بِقَيْصَر، فهلك هنالك. وكان أهلُ مسجد الضِّرَار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد. والإشارة بقوله ﴿مِنْ قَبْل﴾ إلى ما فعل مع الأحزاب.

﴿إيْ وربّي﴾؛ إيْ توكيد للإقسام. المعنى نعم وربي.

﴿اقضُوا إليّ﴾ [يونس: ٧١]، أي أمْضُوا ما في أنفسكم ولا تؤَخِّرُوه،

كقوله: ﴿فاقضِ ما أنت قاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي أَمضِ ما أَنت مُمْض. ومعناه أَن نوحاً عليه السلام قال لقومه: إن صَعُب عليكم دُعائي لكم إلى الله فامضوا في غاية ما تريدون، فإني لا أُبالي بكم لتوكُّلي على الله وثِقَتي به سبحانه.

﴿اطمِسْ﴾ [يونس: ٨٨]؛ أي امْحُه، من قولك: طُمِس الطريقُ إذا عفا ودَرَس.

﴿إجرامي﴾، مصدر أَجْرَمْتُ إجراماً؛ أي أذنبت.

﴿اعْتَرَاك﴾: قصدك [هود: ٥٤]. ومعناه ما نقول إلا أنّ بعض آلهتنا أصابَتْك بجنون، لأنك سَبَبْتَها ونَهَيْتَنَا عن عِبَادتها.

﴿استعمركم﴾؛ أي جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض. وقيل هو من العُمْر، أي استبقاكم.

﴿ارتقبوا﴾؛ أي انتظروا. ومعناه التهديد والتخويف.

﴿اسْتَعْصَمَ﴾؛ أي طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه من الفاحشة.

﴿استيئسوا﴾؛ أي يئسوا.

﴿اصدع﴾؛ أظهر، أُخذ من الصديع وهو الصبح. قال الشاعر:

★ كأنَّ بياضَ لَبَّتِهِ صَدِيع★

﴿المُقْتَسِمين﴾: اختلف فيهم، فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموه إلى قسمين. وقيل: هم قُريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كلُّ واحد منهم على باب، يقول أحدهم هو شاعر، ويقول الآخر ساحر. والكاف من قوله ﴿كما﴾ [الحجر: ٩٠] متعلقة بقوله: ﴿أنا النَّذِير المُبين﴾ [الحجر: ٨٩]، أي أُنذر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذي أُنزل على المقتسمين. وقيل يتعلّق بقوله: ﴿ولقد آتَينَاكَ﴾ [الحجر: ٨٧]، أي أنزلنا عليك كتاباً كما أَنْزَلنا على المقتسمين.

﴿استَفْزِز﴾؛ أي اخدع بدعائك إلى أهل المعاصي، واستخفّ بهم.

﴿ارْتَدَّا على آثارهما﴾ [الكهف: ٦٤] أي رجعا في طريقهما يَقُصّان أَثَرَهُمَا الأول، لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿إِمْراً﴾: عجباً، ويقال داهية.

﴿انْتَبَذَتْ من أهلها﴾ اعتزلتهم ناحية. يقال: قعد نَبْذَةً وَنُبْذَةً: أي ناحية.

﴿إلْحَاد﴾، أي ميل عن الحق.

﴿أَسْمِعْ بهم﴾ أي ما أسمعهم، وما أبصرهم يوم القيامة، على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿اخسئوا﴾: كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد. وفي الحديث أنه قال ﷺ لابن صياد: اَخْسَأْ فلن تَعدُوَ قَدْرَكَ.

﴿إفْك﴾ أشدّ الكذب، ونزلت الآيات الست من قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءُوا بالإفْك عُصْبَةٌ منكم...﴾ [النور: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿لهم مغفرة ورِزْقٌ كَرِيم﴾ - في شأن عائشة وبراءتها مما رماها أهل الإفك، وذلك أن الله برّأَ أربعة بأربعة: برّأَ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأَ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثَوْبه. وبرأ مريم بكلام وَلَدِها في حِجْرِها. وبرأ عائشة من الإفك بنزول القرآن في شأنها.

ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتشديد على من قذفها. وقد خرّج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما؛ واختصاره أن عائشةَ رضي الله عنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني الْمُصْطَلق، فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجلٌ يقال له صَفْوان بن المعطّل، فرآها فنزل عن ناقته، وتَنَحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ما بال رجال رمَوْا أهلي! والله ما علمت على أهلي إلا خيراً؛ ولقد رموا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً.

وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصائغ عن الذهب الأحمر. ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة؛ وهم: عبدالله ابن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحَمْنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت. وقيل: إن حسان لم يكن معهم.

﴿الإرْبَة﴾ [النور: ٣١] الحاجة إلى الوطء. وشرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطان: أحدهما أن يكونوا تابعين، ومعناه أن يتبع لشيء يُعْطَاه، كالوكيل والمتصرّف؛ ولذلك قال بعضهم: هو الذي يَتْبعك وهمّتُه بَطْنُه. والآخر ألا يكون لهم إرْبَة في النساء؛ كالخصِيّ، والمخنَّث، والشيخ الهرم، والأحمق. فلا يجوز رُؤْية النساء إلا باجتماع الشرطين.

واختلف هل يجوز أن يراها عَبْدُ زَوْجها وعَبْد الأجنبي أم لا؟ على قولين. وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي. والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة. والجوازُ بشرط أن يكون العَبْدُ وغداً وهو مذهب مالك،واحْتَجّ بهذه الآية.

﴿اطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧]: أصله تَطَيَّرْنَا، ومعناه تَشَاءَمْنَا، وكانوا قد أصابهم القَحْط، فَنَسَبُوا ما أصابهم إلى صالح، فلذلك جاوبهم بقوله: ﴿طائِرُكُم عند الله﴾ [النمل: ٤٧]، أي السبب الذي يحدث عنه خَيْركم وشَرُّكم هو عند الله، وهو قضاؤُه وقَدَرُه.

﴿اقْصِدْ في مَشْيِك﴾ [لقمان: ١٩]: أي اعتدل فيه، فلا تُسرع فيه إسراعاً يدلُّ على الطَّيْش والخِفّة التي تذهب ببهاء الوجه؛ ولا تبطىء لأنه يدل على النخوة والكِبْر. والْقَصْد: ما بي الإسراف والتقصير. وقد كان ﷺ يمشي مُتَواضعاً لا مُتَبَخْتِراً ولا كسلاً، وكان بين ذلك قَوَاماً.

﴿امْتَازُوا﴾ أي انْفَرِدُوا [يس: ٨٩] عن المؤمنين وكونوا على حدة، لتأخذكم الزَّبَانية.

﴿اصْلَوْها﴾: ذُوقوا حرّها. ويقال صليت النار إذا نالك حَرُّها.

﴿استَفْتِهِم﴾ سَلْهم. والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار، أي اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زَعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضِيْزَى.

﴿إلْيَاسِين﴾ [الصافات: ١٣٠] يعني إلياس وأهل دينه، جمعهم بغير إضافة بالياء والنون على العدد، كأنّ كلَّ واحدٍ منهم اسمه إلياس. وقال بعض العلماء: يجوز أن يكون إلياس وإلياسين بمعنى واحد، كما يقال ميكايل وميكال. وتقرأ على آل ياسين، أي على آل محمد ﷺ.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنَدٍ حسن عن ابن مسعود، قال: إلياس هو إدريس، وقراءته: وإن إدريس لَمِنَ المُرْسلين. سلاَمٌ على إدْرَاسين. وفي قراءة أُبيّ: وإن إلياس... سلام على إلْيَسِين. وقيل إنه لقب إدريس. وقد أخطأ مَنْ قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ.

﴿اشمأزّتْ﴾ معناه نفرت، والمشمئزّ النافر. ومعنى الآية أن الكفار يكرهون توحيد الله، ويحبُّون الإشراك به، ونزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فألقى الشيطانُ... حسبما ذكر في الحج [٥٢]، فاستبشر الكفّارُ من ذكر اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزّوا.

﴿اصْفَح﴾: أعرض. وأصلُ الصفح أن تنحرف عن الشيء، فتُولِيه صفحةَ وجهك، وهذا الإعراض منسوخٌ بآية السيف كما قدمنا.

﴿الغوا﴾ [فصلت: ٢٦] من اللّغَا، وهو الهُجْر والكلام الذي لا نَفْع فيه. ورُوي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله، وقال لهم: تشاغلوا عند قراءته برَفعِ الأصوات وإنشاد الشعر، وشِبْه ذلك حتى لا يسمعه أحد. وقيل المعنى: قَعُوا فيه وعِيبُوه.

﴿اعتِلوه﴾ [الدخان: ٤٧]؛ أي سُوقوه بتَعْنيف إلى سَوَاءِ الجحيم، يعني

وسطها. واختلف على مَنْ يعود الضمير، فقيل على أبي جهل. وقيل على العموم، وهو الأظهر.

﴿انشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١] معناه ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوَسِّعوا لغيركم

واختلف في هذا النشوز المأمور به، فقيل إذا دعوا إلى قتالٍ أو صلاةٍ أو فعلِ طاعةٍ. وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ، لأنه كان يحب الانفراد أحياناً، وربما جلس قومٌ حتى يُؤمَروا بالقيام. وقيل المراد القيامُ في المجلس للتوسع.

﴿استحوذ﴾ [المجادلة: ١٩]؛ أي غلب عليهم الشيطانُ وتملّك نفوسهم. واستحوذ مما خرج على الأصل ولم يُعَلّ. ومثله اسْتَرْوَح، واستَنوَق الجمل، واستَصْوَب رأيه.

﴿اسعوا﴾: امضوا إلى ذِكْر الله بالهيئة والجدّ، ولم يرد الغدو والإسراع، للحديث: لا تَأْتُوا الصلاة وأنتم تسعون وأتُوها وعليكم السكينةُ والوقار.

وأمر في هذه الآية بالسعي إلى الجمعة، وذلك عند جلوس الإمام على المنبر وأخذ المؤذّنين في الأذان.

﴿وائتمروا﴾ خطاب للرجال والنساء. والمعنى أن يأْمُرَ كلٌّ واحد صاحبَه بخير، من المسامحة، والرِّفق، والإحسان. وقيل: معنى ائتمروا تشاوروا. ومنه: ﴿إنّ الملأَ يَأْتَمِرُون بكَ ليَقْتُلُوك﴾ [القصص: ٢٠].

﴿استَغشَوْا ثِيابَهُم﴾ [نوح: ٧]: جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه ولئلا يراهم. ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم. فانظر نُصْحَه صلى الله على نبينا وعليه وسلم، ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجَهْر والإسرار، وهذه غايةُ الجد في النصيحة، وتبليغ الرسالة.

﴿التَفّتِ السّاقُ﴾ [القيامة : ٢٩] هذه عبارة عن شدّةِ كَرْب الموت وسكَرَاته، أي التفّت ساقه إلى ساقه الآخر عند السباق. وقيل مجاز، كقولك: كشفت الحَرْب عن ساقها، إذا اشتدّت. وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله. وقيل التفت؛ أي لفّها الكَفَن إذا كُفِّن.

﴿انكدرت﴾؛ أي تساقطت من مواضعها. وقيل تغيرت. والأول أرجح، لأنه موافق لقوله: ﴿وإذا الكواكب انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار : ٢].

﴿اتّسق﴾ القمر إذا تمّ وامتلأ ليلة أربع عشرة. ووزن اتسق افتعل، وهو مشتق من الوسق. ويقال: اتسق استوى.

﴿إرَم﴾ هي قبيلة عاد، سُمِّيت باسم أحد أجدادها، كما يقال هاشم لبني هاشم. وإعرابه بدل من عاد، أو عطف بيانٍ. وفائدته أنّ المراد عاد الأولى، فإنّ عاداً الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم. وقيل إرم اسمُ مَدِينتهم، فهو على حذف مضاف، تقديره بعاد عاد إرم. ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعادِ إرم على الإضافة من غير تنوين عاد، وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث.

﴿اقتحم العَقَبة﴾ [البلد : ١١] الاقتحام: الدخول بشدة ومشقّة. والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة. وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعد ويشق صُعُودها على النفوس. وقيل هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلاّ مَنْ عمل هذه الأعمال؛ ولا هنا تحضيض بمعنى هلا. وقيل هي دعاء. وقيل: هي نافية. واعترض على هذا القول بأن « لا » النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها.

وأجاب الزمخشري: بأنها مكررة في المعنى، والتقدير فلا اقتحم العقبة ولا فَكّ رقبة، ولا أطعم مسكيناً.

﴿انْبَعَثَ﴾ يعني خرج إلى عَقْرِ الناقة بسرعة ونشاط. و﴿أَشْقَاهَا﴾

[الشمس: ١٢] أُحَيْمر ثمود قُدَار بن سَالفٍ عاقر الناقة. ويحتمل أن يكون أشقاها واقعاً على جماعة؛ لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع. والأول أظهر.

﴿انْحَرْ﴾: اذبح. ويقال انحر: ارفع يديك بالتكبير إلى نحرك. والأول أظهر؛ لأن الله أمره بالصلاة على الإطلاق. وبِنَحْرِ الهَدْي والضحايا. وقيل إنه عليه الصلاة والسلام كان يضحي قبل صلاة العيد، فأمره أنْ يُصَلِّي ثم ينحر؛ فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة. وقيل: إن الكفار كانوا يصلون ﴿مُكَاءً وتَصْديةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه: صل لربك وحده، وانحر له؛ أي لوجهه لا لغيره؛ فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

﴿الهَمْزة﴾ تأتي على وجهين: أحدهما الاستفهام، وحقيقته طلب الإفهام، وهي أصل أدواتها، ومن ثَمَّ اختصت بأمور:

أحدها: جواز حذفها.

الثاني: تأتي لطلب التصوّر والتصديق، بخلاف هل، فإنها للتصديق خاصة، وسائر الأدوات للتصور خاصة.

ثالثها: أنها تدخل على الإثبات، نحو: ﴿أكان للناس عَجَبا﴾ [يونس: ٢]. ﴿آلذّكَرَيْنِ حَرّم﴾ [الأنعام: ١٤٣]. وعلى النفي نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. وتُفيد حينئذ معنيين: أحدهما التذكير والتنبيه، كالمثال المذكور، وكقوله: ﴿ألم تَر إلى رَبّك كَيْفَ مَدّ الظِّلّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. والثاني التعجب من الأمر العظيم، كقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الّذين خَرَجُوا مِنْ ديَارِهم وهم أُلُوفٌ حَذَر الموت﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وفي كلا الحالتين هو تحذير، نحو: ﴿ألم نُهْلِك الأَولين﴾ [المرسلات: ١٦].

رابعها: تقدمها على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو: ﴿أوَ كلما عاهَدُوا عَهْداً﴾ [البقرة: ١٠]. ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أثُمّ إذا ما وقع﴾ [يونس: ٥١]. وسائر أخواتها متأخّر عنه، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، نحو: وكيف تكفرون. فأين تذهبون. فأنَّى تُؤْفَكون. فهل يهلك. فأيّ الفريقين. فما لكم في المنافقين.

خامسها: أنه لا يُستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف هل فإنه لما لا يترجّح عنده نَفْيٌ ولا إثبات، حكاه أبو حيان عن بعضهم.

سادسها: أنها تدخل على الشرط. نحو: ﴿أفَإنْ مِتّ فهمُ الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤]. ﴿ولئن متُّمْ أو قُتِلتم﴾ [آل عمران: ١٥٨]. ﴿أفَإن ماتَ أَوْ قُتِل انقَلَبْتُم﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ بخلاف غيرها.

وتخرج عن الاستفهام الحقيقي فتأتي لمعانٍ قدمناها في الخبر والإنشاء.

فائدة

إذا دخلت على « رأيت » امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القَلب، وصارت بمعنى أخبرني. وقد تُبدل هاء؛ وعلى ذلك قراءة قُنْبُل: ﴿هأنتُم﴾ [آل عمران: ٦٦] هؤلاء ـ بالقصر. وقد تَقَعُ في القسم؛ ومنه: ﴿ولا نكتُم شهادةً آلله﴾ [المائدة: ١٠٦] بالتنوين، آلله بالمد.

الثاني: من وجهي الهمزة أن تكون حرفاً يُنَادَى به القريب، وجعل منه الفراء قوله تعالى: ﴿أمَنْ هو قَانِتٌ آناءَ الليل﴾ [الزمر: ٩] ـ على قراءة تخفيف الميم؛ أي يا صاحب هذه الصفات.

قال ابن هشام: ويبعده أنه ليس في التنزيل نداءٌ بغير ياء، ويقربه سلامته من دَعوى المجاز؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومن دَعوى كثرة الحذف؛ إذ التقدير عند مَنْ يجعلها للاستفهام: أمّنْ هو قانت خَيْرٌ أم هذا الكافر؟ أي المخاطب بقوله تعالى: ﴿قل تَمتّع بكُفْرِكَ قليلاً﴾ [الزمر: ٨]؛ فحُذف شيئان: معادل الهمزة والخبر.

﴿أحَد﴾ قال أبو حاتم في كتاب الزينة: هو اسمٌ أكمل من واحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر، بخلاف قولك لا يقوم له أحد.

وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد؛ تقول: ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحوش والإنسان، فيعمّ الناس وغيرهم، بخلاف ليس في الدار أحد؛ فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم.

قال: ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات وفي النفي، نحو: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١]؛ أي واحد، وأوّل. ﴿فابْعَثُوا أحدَكم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]؛ وبخلافها فلا يستعمل إلا في النفي؛ تقول: ما جاءني من أحد. ومنه: ﴿أيَحْسَبُ أنْ لن يَقْدِرَ عليه أحد﴾ [البلد: ٥]. ﴿أيحسبُ أنْ لم يَرَه أحد﴾ [البلد: ٧]. ﴿فما منكم من أحد﴾ [الحاقة: ٤٧]. ﴿ولا تُصَلّ على أحد﴾ [التوبة: ٨٤].

وواحد يستعمل فيها مطلقاً.

وأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ قال تعالى: ﴿لستُنّ كأحدٍ مِنَ النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢]؛ بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدةٍ.

وأحد يصلح للأفراد والجمع.

قلت: ولهذا وُصِف به في قوله تعالى: ﴿فما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عنه حَاجِزين﴾ [الحاقة: ٤٧]. بخلاف الواحد.

والأحد له جمع مِنْ لفظه، وهو الأحد والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال وحد، بل اثنان وثلاثة.

والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب، بخلاف الواحد. انتهى ملخصاً. وقد تحصَّلَ من كلامه أن بينهما سبعة فروق.

وفي أسرار التنزيل للبارزي في سورة الإخلاص: فإن قلت المشهور في كلام

العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي والواحد بعد الإثبات، فكيف جاء أحد هنا بعد الإثبات؟.

قلت قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد وحينئذٍ فلا يختص أحدهما بمكان دون الآخر، وإن غلب استعمال أحد في النفي. ويجوز أن يكون للعدول هنا عن الغالب رعاية للفواصل.

وقال الراغب في مفردات القرآن: أحد تستعمل على ضربين:

أحدهما في النفي فقط، والآخر في الإثبات.

فالأول لاستغراق جِنْسِ الناطقين، ويتناول القليل والكثير؛ ولذلك صحّ أن يُقال ما من أحد فاضلين؛ كقوله: ﴿فما مِنْكُمْ مِن أَحَدٍ عنه حَاجِزِين﴾ [الحاقة: ٤٧].

والثاني على ثلاثة أوجه:

الأول: المستعمل في العَدَد مع العشرات؛ كأحد عشر وأحد وعشرين.

والثاني: المستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول، نحو: ﴿أما أحدُكما فيَسْقِي رَبَّه خَمْراً﴾ [يونس: ٤١].

والثالث: المستعمل وصفاً مطلقاً، ويختص بوصف الله تعالى، نحو: «قل هو الله أحد». وأصله وَحد، إلا أن وَحد يستعمل في غيره.

﴿إذْ﴾ تَرِد على أوجه:

أحدها أن تكون اسماً للزمان الماضي، وهو الغالب؛ ثم قال الجمهور: لا تكون إلا ظرفاً، نحو: ﴿فقد نصره الله إذْ أَخرجهُ الّذِين كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٤٠]. ومضافاً إليها الظرف: ﴿بَعْدَ إذْ هدَيْتَنا﴾ [آل عمران: ٨]. ﴿يومئذ تُحَدّثُ﴾ [الزلزلة: ٤]. ﴿وأنتم حينئذ تَنْظُرون﴾ [الواقعة: ٨٤].

وقال غيرهم: تكون مفعولاً به، نحو: ﴿واذكرُوا إذا أَنتُم قَلِيل﴾ [الأنفال: ٢٦]. وكذا المذكورة في أوائل القصص كلها مفعول به، بتقدير اذكر.

أو بدلاً منه نحو: ﴿واذْكُرْ في الكتاب مَرْيَم إذِ انْتَبَذَتْ﴾؛ فإنها بدل اشتمال

من مريم على وجه البدل في: ﴿يسألونكَ عن الشّهر الحرام قِتالٍ فيه﴾ [البقرة: ٢١٧]. ﴿اذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ جعل فيكم أنبياءَ﴾ [المائدة: ٢٠]؛ أي اذكروا النعمةَ التي هي الجَعْل المذكور؛ فهي بدل كلٍّ من كل.
والجمهور يجعلونها في الأول ظرفاً لمفعول محذوف، أي واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم قليلاً. وفي الثاني ظرفاً لمضاف إلى مفعول محذوف؛ أي واذكر قصة مريم. ويؤيّد ذلك التصريح به في: ﴿واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءً﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وذكر الزمخشري أنها تكون مبتدأ، وأخرج عليه قراءة بعضهم: ﴿لقد مَنّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ قال التقدير «مَنّه» إذ بعث؛ فإذْ محل رفع كإذا في قولك: أَخطَبُ ما يكون الأمير إذا كان قائماً، أي لقد مَنّ الله على المؤمنين وقت بعْثه.

قال ابن هشام: ولا نعلم بذلك قائلاً. وذكر كثير أنها تخرج عن المضي إلى الاستقبال، نحو: ﴿يومئذ تُحَدِّث أَخبَارَها﴾ [الزلزلة: ٤]. والجمهور أنكروا ذلك وجعلوا الآية من باب: ﴿ونُفخَ في الصُّور﴾ [الكهف: ٩٩] ـ يعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضي الواقع. واحتج المثبتون ـ ومنهم ابن مالك ـ بقوله: ﴿فسوف يعلمون إذ الأغلالُ في أعناقهم﴾ [غافر: ٧٠، ٧١].
قال: يعلمون مستقبلٌ لفظاً ومَعْنًى؛ لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في إذ، فيلزم أن تكون بمنزلة إذا.

وذكر بعضهم أنها تأْتي للحال نحو: ﴿ولا تعملون مِنْ عَمَلٍ إلا كُنّا عليكم شهوداً، إذ تُفيضون فيه﴾ [يونس: ٦١].

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم من طريق السديّ عن أبي مالك، قال: كل ما كان في القرآن ﴿إنْ﴾ ـ بكسر الألف ـ فلم يكن؛ وما كان إذ فقد كان.

الوجه الثاني: أن تكون للتعليل، نحو: ﴿ولن يَنفَعكم اليَوْمَ إذ ظَلَمْتُم أنكم في العذاب مُشتَرِكون﴾ [الزخرف: ٣٩]؛ أي ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظُلمكم في الدنيا.

وهل هي حرف بمنزلة لام العلة، أو ظرف بمعنى وقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ؟ قولان، المنسوب إلى سيبويه الأول، وعلى الثاني في الآية إشكال؛ لأن إذ لا تُبْدَل من اليوم لاختلاف الزمانَيْنِ، ولا تكون ظرفاً لينفع؛ لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا «مشتركون»؛ لأن معمول خبر أن وأخواتها لا يتقدم عليها، ولأن معمول الصِّلَة لا يتقدم على الموصول، ولأن اشتراكهم في الآخرة لا في زمن ظلمهم.

ومما حُمل على التعليل: ﴿وإذ لم يَهْتَدوا به فسيقُولُونَ هـذا إفـكٌ قَـديم﴾ [الأحقاف: ١١]. ﴿وإذ اعْتَزَلتُموهم وما يَعْبدونَ إلاَّ الله فَأْوُوا إلى الكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦]. وأنكر الجمهور هذا القِسْم، وقالوا: التقدير: بعد إذ ظلمْتُم.

وقال ابن جني: راجَعْتُ أبا علي مِرَاراً في قوله: ﴿ولن ينفعكم اليوم...﴾ الآية. مستشكلاً إبدال إذ من اليوم. فآخِرُ ما تحصّل منه أنّ الدنيا والآخرة متصلتان، وأنهما في حكم الله سواء؛ فكأن اليوم ماض.

الوجه الثالـث: التوكيد، بأن تُحْمَل على الزيادة، قاله أبو عُبيدة، وتبعه ابن قتيبة، وحملا عليه آيات منها: ﴿إذ قال ربكَ للملائكة﴾ [البقرة: ٣٠].

الرابع: التحقيق كقد، وحملت عليه الآية المذكورة، وجعل منه السُّهَيلي قوله: ﴿بعد إذ أنتم مُسلمون﴾ [آل عمران: ٨٠]. قال ابن هشام: وليس القولان بشيء.

مسألة

تلزم إذ الإضافة إلى جملة إمّا اسمية، نحو: ﴿واذكروا إذ أنتُم قَليل﴾ [الأنفال: ٢٦]. أو فعلية فعلها ماض لفظاً أو معنى، نحو: ﴿وإذ قال رَبُّك

للملائكـة﴾ [البقـرة: ٣٠]. ﴿وإذ ابتلى إبـراهيم ربُّـه بكلمات﴾ [البقـرة: ١٢٤]. أو معنًى لا لفظاً؛ نحو: ﴿وإذ تَقُولُ للَّذِي أنعم اللهُ عليه وأنعَمْتَ عليه﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد اجتمعت الثلاثة في قوله: ﴿ إلاَّ تَنصُروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفَرُوا ثَانِيَ اثنين إذ هُما في الغَار إذ يقُول لصاحبه﴾ [التوبة: ٤٠].

وقد تحذف الجملةُ للعلم بها ويعوض عنها التنوين. وتكسر الذال لالتـقاء السـاكنين، نحو: ﴿يـومئـذٍ يَفـرَحُ المؤمنـون﴾ [الروم: ٤]. ﴿وأنتم حينئـذٍ تنظرون﴾ [الواقعة: ٨٤].

وزَعم الأخفش أن « إذ » في ذلك معربة، لزوال افتقارها إلى الجملة، وأن الكسرة إعراب، لأن اليوم والحين مضافٌ إليها.

ورُدَّ بأن بناءها لـوضعهـا على حـرفين، وبـأَنَّ الافتقـار بـاقٍ في المعنـى، كالموصول تُحْذَف صلته.

﴿ إذا ﴾ على وجهين:

أحدهما: أن تكون للمفاجأة، فتختصّ بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال؛ نحو: ﴿ فألقَاها فإذا هي حيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠]. ﴿ فلمَّا أنجَاهُم إذا هم يَبْغون﴾ [يونس: ٢٣]. ﴿وإذا أذَقْنا الناسَ رحمةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتهم إذا لهم مَكرٌ في آيَاتِنا﴾ [يونس: ٢١].

قال ابن الحاجب: ومعنى المفـاجـأة حضـورُ الشيء معـك في وصْـفٍ مـن أوصافك الفعلية، تقول: خرجت فإذا الأسد في الباب؛ ومعناه حضورُ الأسد معك في زَمن وصْفِك بالخروج، أو في مكان خروجك؛ وحضورُه معك في مكان خروجك ألصقُ بك من حضوره في زمن خروجك؛ لأن المكان يخصك دون ذلك الزمان، وكلما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى.

واختلف في إذا هذه؛ فقيل إنها حرف، وعليه الأخفش، ورجّحه ابن مالك. وقيل ظرف مكان، وعليه المبرد؛ ورجّحه ابن عصفور. وقيل ظرف زمان، وعليه الزجاج، ورجّحه الزمخشري؛ وزعم أن عاملها فعل مقدّر مشتقٌّ من لفظ المفاجأة. قال: التقدير: ثم إذا دعاكم... فاجأتم الخروج في ذلك الوقت.

قال ابن هشام: ولا يعرف ذلك لغيره؛ وإنما يعرف ناصبها عندهم الخبر المذكور أو المقدّر. قال: ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرّحاً به.

الثاني: أن تكون لغير المفاجأة، والغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل تضمّنت معنى الشرط. وتختصُّ بالدخول على الجمل الفعلية، وتحتاج لجوابٍ، وتقَعُ في الابتداء، عكس الفجائية؛ والفعلُ بعدها إما ظاهر؛ نحو: ﴿إذا جاء نَصْرُ اللهِ﴾ [النصر: ١]. وإما مقدّر؛ نحو: ﴿إذا السماءُ انشَقَّت﴾ [الانشقاق: ١]. وجوابُها إما فعل؛ نحو: ﴿فإذا جاءَ أمر اللهِ قُضِيَ بالحق﴾ [غافر: ٧٨]. أو جملة اسمية مقرونة بالفاء؛ نحو: ﴿فإذا نُقِر في النّاقُور فذلك يَوْمئذٍ يوم عَسِير﴾ [المدثر: ٨]. ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنسابَ بَيْنَهم﴾ [المؤمنون: ١٠١]. أو فعلية طلبية كذلك؛ نحو: ﴿فسبِّح بِحمدِ ربك﴾ [النصر: ٣]. أو اسمية مقرونة بإذا المفاجأة؛ نحو: ﴿إذا دَعَاكُم دَعْوةً من الأرض إذا أنتُم تَخرُجون﴾ [الروم: ٢٥]. ﴿فإذا أصاب به مَنْ يشاءُ مِنْ عباده إذا هم يَستَبشِرُون﴾ [الروم: ٤٨].

وقد يكون مقدَّراً لِدَلالة ما قبله عليه، أو لدلالة المقام، كما تقدم في أنواع الحذف.

وقد تخرج إذا عن الظرفية؛ قال الأخفش ـ في قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣]: إن إذا جرّ بحتى. وقال ابن جني في قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة. خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ١، ٢، ٣] ـ فيمن نصب خافضة رافعة: إن إذا الأولى مبتدأ والثانية خبر. والمنصوبان حالان. وكذا جملة ليس ومعمولاها. والمعنى وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين، وهو وقت رَج الأرض.

والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية، وقالوا ـ في الآية الأولى: إن حتى حرف ابتداء دخل على الجملة بأسرها، ولا عمل له. وفي الثانية إن إذا الثانية، بدل من الأولى والأولى ظرف، وجوابها محذوف لفَهْمِ المعنى؛ وحسّنه طول الكلام. وتقديره بعد إذا الثانية؛ أي انقسمتم انقساماً، وكنتم أزواجاً ثلاثة.

وقد تخرج عن الاستقبال فترد للحال؛ نحو: ﴿والليلِ إذا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]. فإنّ الغشيان مقارِنٌ لليل. ﴿والنهار إذا تَجَلّى﴾ [الليل: ١]. ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم: ١]. وللماضي؛ نحو: ﴿وإذا رأَوْا تجارة أو لَهْواً...﴾ [الجمعة: ١١] الآية. فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض. وكذا قوله تعالى: ﴿ولا على الّذِين إذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهم﴾ [التوبة: ٩٢]. ﴿حتى إذا بَلَغَ مَطْلَعَ الشّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠]. ﴿حتى إذا ساوَى بين الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩١].

وقد تخرج عن الشرطية، نحو: ﴿وإذا ما غَضِبُوا هم يَغْفِرُون﴾ [الشورى: ٣٧]. ﴿والذين إذا أصابهم البَغْيُ هم يَنتَصِرون﴾ [الشورى: ٣٩] فإذا في الآيتين ظرف للمبتدأ بعدها، ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواب قرنت بالفاء.

وقول بعضهم: إنه على تقديرها مردودٌ بأنها لا تحذف إلا ضرورة. وقول آخر: إن الضمير توكيد مبتدأ، وإن ما بعده الجواب ـ تعسّف.

وقول آخر إن جوابها محذوف مدلولٌ عليه بالجملة بعدها تكلُّفٌ من غير ضرورة.

تنبيهات

الأول ـ المحققون على أن ناصب ﴿إذا﴾ شَرْطها، والأكثرون أنه ما في جوابها مِنْ فعلٍ أو شبهه.

الثاني ـ قد تستعمل إذا للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك. ومنه: ﴿وإذا لَقُوا الذين آمَنُوا قالوا آمنّا

وإذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينهم قالوا إنّا معكم إنما نَحْنُ مُسْتَهزِئون﴾ [البقرة: ١٤] أي هذا شأنهم أبداً. وكذا قوله: ﴿وإذا قامُوا إلى الصَّلَاةِ قامُوا كُسَالى﴾ [النساء: ١٤١].

الثالث ـ ذكر ابن هشام في المغني إذا ولم يذكر إذا ما، وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في أدوات الشرط، فأمّا إذ مَا فلم تقع في القرآن. ومذهب سيبويه أنها حرف. وقال المبرد وغيره: إنها باقية على الظرفية وأما « إذَا ما » فوقعت في القرآن في قوله: ﴿وإذا ما غَضِبُوا هم يَغْفِرون﴾ [الشورى: ٣٧] ﴿إذا ما أَتَوكَ لتَحملهم﴾ [التوبة: ٩٢]. ولم أجِد مَنْ تعرّض لكونها باقيةً على الظرفية أو محولة إلى الحرفية. ويحتمل أن يجري فيها القولان في إذ ما. ويحتمل أن يُجزم ببقائها على الظرفية؛ لأنها أبعد عن التركيب بخلاف « إذ ما ».

الرابع: تختص « إذا » بدخولها على المتيقّن، والمظنون، والكثير الوقوع، بخلاف إن فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إذا قمتُم إلى الصلاةِ فاغْسِلوا وجوهكم﴾ [المائدة: ٦]. ثم قال: ﴿وإن كنتم جُنُباً فاطّهَرُوا﴾. فأتى بإذا في الوضوء لتكرّره وكثرة أسبابه، وبإنْ في الجنابة لقلّة وقوعها بالنسبة إلى الحدث.

وقال تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنَةُ قالوا لنا هذه وإن تُصِبْهم سيئةٌ يَطَّيّروا﴾ [الأعراف: ١٣١]. ﴿وإذا أذقنَا الناس رحمةً فرحوا بها وإن تُصِبْهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يَقنَطُون﴾ [الروم: ٣٦]؛ أتى في جانب الحسنة بإذا لأنَّ نِعَمَ الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، وبأن في جانب السيئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها.

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان الأولى: ﴿ولئن مِتّم﴾ [آل عمران: ١٥٨] ﴿أفإنْ متَّ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، مع أن الموت محقّق الوقوع؛ والأخرى قوله: ﴿وإذا مسّ الناسَ ضُرٌّ دَعَوْا ربّهم مُنِيبين إليه ثم إذا أذاقَهم منه رحمةً﴾ [الروم: ٣٣]؛ فأتى بإذا في الطرفين.

فأجاب الزمخشري عن الأولى بأن الموت لما كان مجهول الوقت أُجرِيَ مجرى غير المجزوم.

وأجاب السكاكي عن الثانية بأنه قصد التوبيخ والتقريع؛ فأتى بإذا ليكون تخويفاً لهم، وإخباراً بأنهم لابد أن يمسَّهم شيء من العذاب، واستُفيد التقليل من لفظ المس، وتنكير ضر.

أما قوله: ﴿وإذا أنعَمْنَا على الإنسان أعْرَض ونَأَى بجانبه وإذا مَسّهُ الشرُّ فذُو دُعاءٍ عَرِيض﴾ [فصلت: ٥١]. فأجيب عنه بأن الضمير في مسَّه للمُعرض المتكبر لا لمطلق الإنسان، ويكون لفظ ﴿إذا﴾ للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً.

وقال الحوفي: الذي أظنه أن ﴿إذا﴾ يجوز دخولُها على المتيقّن والمشكوك؛ لأنها ظرف وشرط؛ فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقَّن، كسائر الظروف.

الخامس ـ خالفت ﴿إذا﴾ ﴿إن﴾ في إفادة العموم. قال ابن عصفور: فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو أفادت أنه كلما قام زيد قام عمرو؛ وهذا هو الصحيح.

وفي أن المشروط بها إذا كان عـدماً يقع الجزاء في الحال. وفي « إن » لا يقع الجزاء حتى يتحقّق اليأس من وجوده.

وفي أن جزاءهَا متعقب لشرطها على الاتصال، ولا يتقدم ولا يتأخّر، بخلاف إن؛ وفي أن مدخولها لا تجزمه لأنها لا تتمحّض شرطاً.

خاتمة

قيـل: قـد تَـأْتي ﴿إذا﴾ زائـدة، وخـرج عليـه: ﴿إذا السماءُ انشقّـت﴾ [الانشقاق: ١] أي انشقت السماء.

﴿إذن﴾ قال سيبويه: معناها الجواب والجزاء، فقال الشَّلَوْبين: في كل موضع. وقال الفارسي في الأكثر. والأكثر أن تكون جواباً لإن أو لو؛ ظاهرتين أو مقدرتين. قال الفراء: وحيث جاءت بعدها اللام فقبْلَها ﴿لو﴾ مقدرة إن لم تكن ظاهرة، نحو: ﴿إذاً لَذَهَبَ كلُّ إلهٍ بما خلَق﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهي حرف يَنْصِبُ المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها بالقَسَم أو بلا النافية.

قال النحاة: وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان؛ نحو: ﴿وإذاً لا يَلْبَثُون خِلاَفَك إلّا قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٦]. ﴿فإذاً لا يُؤتُونَ الناسَ نَقِيراً﴾ [النساء: ٥٢] وقرىء شاذّاً بالنصب فيهما.

وقال ابن هشام: التحقيق أنه إن تقدمها شرط وجزاء وعطفت فإن قدرْتَ العطف على الجزاء جزمَت وبطل عملُ إذن لوقوعها حشواً، أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب؛ وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره فعل مرفوع إن عطفت على الفعلية رفعت أو على الاسمية فالوجهان.

وقال غيره: إذن نوعان:

الأول: أن تدل على السببية والشرط، بحيث لا يُفهم الارتباط من غيرها، نحو: أزورك؛ فتقول: إذن أكرمَك؛ وهي في هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل الفعلية فتنصب المضارع المستقبل المتصل إذا صُدّرت.

والثاني: أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم، أو منبهةً على سبب حصل في الحال؛ وهي حينئذ غير عاملة؛ لأن المؤكدات لا يُعْتَمد عليها، والعامل يعتمد عليه، نحو: إن تأْتني إذاً أتيتك. ووالله إذن لأفعلنّ. ألا ترى أنها لو سقطت لفُهم الارتباط. وتدخل على الاسمية فتقول: إذن أنا أكرمك. ويجوز توسطها وتأخيرها. ومن هذا قوله تعالى: ﴿ولئن اتَّبَعْتَ أهواءَهم من بعد ما جاءَكَ من العلم إنَّك إذاً﴾ [البقرة: ١٤٥]. فهي مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم.

تنبيهان

الأول: سمعت شيخنا العلامة الكافيجي يقول في قوله تعالى: ﴿ولئن أطعْتُم بَشَراً مثلَكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٢٤] ـ ليست إذاً هذه الكلمة المعهودة؛ وإنما هي إذا الشرطية حذفت جملتها التي تضاف إليها، وعُوِّض عنها التنوين، كما في يومئذٍ. وكنت أستحسن هذا جدّا، وأظن أن الشيخ لا سلف له في ذلك. ثم رأيت الزركشي قال في البرهان ـ بعد ذكره لإذَنْ المعنيين السابقين: وذكر لها بعضُ المتأخرين معنى ثالثاً؛ وهو أن تكون مركبة من ﴿إذا﴾ التي هي ظرف زمان ماض، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً، لكن حذفت الجملة تخفيفاً، وأبدل منها التنوين، كما في قولهم: حينئذ. وليست هذه الناصبة للمضارع؛ لأن تلك تختص به، ولذا عملت فيه، ولا يعمل إلا فيما يختص، وهذه لا تختص به، بل تدخل على الماضي؛ كقوله: ﴿وإذاً لآتَيْنَاهم﴾ [النساء: ٦٧]. ﴿إذاً لأمسكْتُم خشيةَ الإنْفَاق﴾ [الإسراء: ١٠٠]. ﴿إذاً لأذَقناك﴾ [الإسراء: ٧٥]. وعلى الاسم، نحو: ﴿وإنكم إذاً لمن المُقَرَّبِين﴾ [الشعراء: ٤٢].

قال: وهذا المعنى لم يذكره النحاة، ولكنه قياس ما قالوه في إذ.

وفي التذكرة لأبي حيان: ذكر لي علم الدين القعنبي أن القاضي تقي الدين بن رَزِين كان يذهب إلى أن إذن عوض من الجملة المحذوفة، وليس هذا قول نحوي.

وقال الحوفي: وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال: أنا آتيك: إذاً أكرمك ـ بالرفع ـ على معنى إذا أتيتني أكرمك، فحذفت أتيتني وعوضت التنوين عن الجملة فسقطت الألف لالتقاء الساكنين.

قال: ولا يقدح في ذلك اتفاق النحاة على أن الفعل في مثل هذا المثال منصوب بإذن؛ لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً له، ولا ينفي

ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية مُعَوَّضاً من جملتها التنوين، كما أن منهم مَنْ يجزم ما بعد «من» إذا جعلها شرطية، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة.

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام الشيخ إلا أنه ليس أحد منهم من المشهورين بالنحو، وممن يعتمد قولُه فيه. نعم ذهب بعض النحاة إلى أن أصل إذا الناصبة اسم، والتقدير في إذن أكرمك - إذا جئتني أكرمك، فحذفت الجملة وعوّض عنها التنوين وأضمرت إن. وذهب آخرون إلى أنها أحرف مركبة من إذ وإن، حكى القولين ابن هشام في المغني.

التنبيه الثاني: الجمهور على أن إذا يوقف عليها بالألف المبدلة من النون. وعليه إجماع القراء، وجوّز قوم منهم المبرد والمازني في غير القرآن الوقوف عليها بالنون كإن وأن. وينبني على الخلاف في الوقف عليها كتابتها؛ فعلى الأول تكتب بالألف كما رُسمت في المصاحف. وعلى الثاني بالنون.

وأقول: الإجماع في القرآن على الوقوف عليها، وكتابتها بالألف - دليل على أنها اسم منوّن لا حرف آخره نون، خصوصاً أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع؛ فالصواب إثبات هذا المعنى لها كما جنح إليه الشيخ ومَنْ سبق النَقْلُ عنه.

﴿أُفّ﴾ قد قدمنا أنها كلمةٌ تستعمل عند الضجر.

وقد حكى أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿فلا تَقُل لهما أُفّ﴾ [الإسراء: ٢٣] - قولين أحدهما أنه اسم لفعل الأمر، أي كُفّا وَاتْرُكَا. والثاني أنه اسم لفعلٍ ماض؛ أي كرهت وتضجّرت.

وحكى غيره ثالثاً: أنه اسم لفعل مضارع؛ أي أتضجَّر منكما.

وأما قوله في سورة الأنبياء: [٦٧]: ﴿أُفّ لَكُمْ﴾. فأحاله أبو البقاء على ما سبق في الإسراء، ومقتضاه تساويهما في المعنى.

وفَسَّر صاحب الصحاح أفّ بمعنى قذر. وقال في الارتشاف: أَتضجر. وفي

البسيط معناه التضجّر. وقيل الضجر. وقيل تضجرت. ثم حكى فيها تسعاً وثلاثين لغة.

قلت: قرىء منها في السبع أفٍّ بالكسر - بلا تنوين. وأفٍّ - بالكسر والتنوين. وأُفَّ - بالفتح بلا تنوين. وفي الشاذ أفٌّ - بالضم منوناً. وأُفْ - بالتخفيف.

أخرج ابنُ أبي حاتم عن مجاهد في قوله: فلا تَقُل لهما أف. قال: لا تقـذرهما. وأخرج عن أبي مالك قال: هو الرديء من الكلام.

﴿ألْ﴾ على ثلاثة أوْجُهٍ:

أحدها: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه، وهي الداخلة على أسماء الفـاعلين والمفعـولين، نحو: ﴿إنّ المسلمينَ والمسلمات...﴾ [الأحـزاب: ٣٥] إلى آخر الآية. ﴿التّائِبُون العابِدون...﴾ [التوبة: ١٢] الآية. وقيل هي حينئذ حَرْف تعريف. وقيل موصول حَرْفي.

الثاني: أنْ تكون حرف تعريف؛ وهي نوعان: عَهْديّة وجنْسية؛ وكلٌّ منهما ثلاثة أقسام؛ فالعَهْدِية إما أن يكون مصحوبُهَا معهوداً ذِكرِيًّا؛ نحو: ﴿كما أرْسَلْنَا إلى فرعون رسولاً. فَعَصى فِرْعَونُ الرّسولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]. ﴿فيها مصباحٌ، المصباحُ في زجاجةٍ، الزجاجةُ كأنها كَوْكبٌ دُرِّي﴾ [النور: ٣٥] وضابطُ هذه أن يسدَّ الضمير مسدها مع مصحوبها. أو معهوداً ذِهنيّاً، نحو: ﴿إذ هُمَا في الغارِ﴾ [التوبه: ٤٠]. ﴿إذ يُبَايِعُونك تَحتَ الشَّجَرة﴾ [الفتح: ١٨]. أو معهوداً حضورياً؛ نحو: ﴿اليـومَ أكملـتُ لكـم دينَكـم﴾ [المائدة: ٣]. ﴿اليوم أُحِلَّ لكم الطَّيِّباتُ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن عصفور: وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة، أو أيْ في النداء، أو إذا الفجائية، أو في اسم الزمن الحاضر، نحو: الآن.

والجنسية إما لاستغراق الأفراد؛ وهي التي تخلفها «كلّ» حقيقة، نحو:

﴿وخُلِق الإنسانُ ضعيفاً﴾ [النساء : ٢٨] . ﴿عالم الغَيْبِ والشهادة﴾ [الأنعام : ٧٣]. ومن دلائلها صحةُ الاستثناء من مدخولها ، نحو : ﴿إن الإنسانَ لفي خُسْر ، إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات﴾ [العصر : ٢ ، ٣] . ووصفه بالجمع ؛ نحو : ﴿أوِ الطِّفلِ الذين لم يَظْهَرُوا﴾ [النور : ٣١] وإمّا لاستغراق خصائص الأفراد ، وهي التي تخلفها ﴿كل﴾ مجازاً ؛ نحو : ﴿ذلك الكتاب﴾ ؛ أي الكتاب الكامل في الهداية ، الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها . وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس ، وهي التي لا تخلفها ﴿كل﴾ لا حقيقة ولا مجازاً ؛ نحو : ﴿وجعَلْنَا مِنَ الماءِ كلَّ شيء حَيّ﴾ [البقرة : ٢] . ﴿أُولئك الذين آتَيْنَاهُم الكتابَ والحكم والنبوَّة﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

قيل : والفرق بين المعرَّف بأَل هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيَّد والمطلق ؛ لأن المعرف بها يدل على الحقيقة لا باعتبار قيد .

الثالث: أن تكون زائدة، وهي نوعان: لازمة كالتي في الموصولات على القول بأن تعريفها بالصلات ، وكالتي في الأعلام المقارنة لنقلها ؛ كاللات والعُزّى . أو لغلبتها كالبيت للكعبة ، والمدينة لِطيْبَة ، والنجم للثريّا . وهذه في الأصل للعهد .

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم : ١] ـ قال : الثُّريا .

وغير لازمة في الحال ، وخرّج عليه قراءة بعضهم: ﴿ليَخْرجنَّ الأعَزُّ منها الأذَلّ﴾ [المنافقون : ٨] ـ بفتح الياء ، أي ذليلاً ؛ لأن الحال واجبة التنكير ؛ إلا أن ذلك غير فصيح ؛ فالأحسن تخريجه على حذف مضاف ؛ أي خروج الأذل ، كما قدّره الزمخشري .

مسألة

اختلف في « أل » في اسم الله ؛ فقال سيبويه ؛ هي عوض من الهمزة المحذوفة بناء على أن أصله إله ، دخلت أل فنُقلت حركة الهمزة إلى اللام ، ثم أدغمت .

قال الفارسي: ويدل على ذلك قَطْعُ همزها ولزومها.

وقال آخرون: هي مزيدة للتعريف تفخيماً وتعظيماً، وأصله إلاَه أو وِلَاه.

وقال قوم: هي زائدة لازمة لا للتعريف.

وقال بعضهم: أصله هاء الكناية، زيدت فيه لام الملك، فصار له، ثم زيدت أل تعظيماً، وفخَّموه توكيداً.

وقال الخليل، وخلائق: هي من بِنْيَة الكلمة، وهي أصلُ علَم لا اشتقاق له ولا أصل.

خاتمة

أجاز الكوفيون وبعضُ البصريين وكثيرٌ من المتأخرين نيابة « ال » عن الضمير المضاف، وخرجوا على ذلك: ﴿فإن الجنّةَ هي الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩]. والمانعون يقدرون له. وأجاز الزمخشري نيابتها عن الظاهر أيضاً. وخرّج عليه: ﴿وعلّم آدمَ الأسماءَ كلَّها﴾ [البقرة: ٢٣]. قال: وأصل الأسماء المسميات.

﴿أَلَا﴾ - بالفتح والتخفيف - وردت في القرآن على أوجه:

أحدها: التنبيه، فتدل على تحقيق ما بعدها. قال الزمخشري: ولذلك قلَّ وقوعُ الجمل بعدها إلا مصدّرةً بنحو ما يُتلقى به اسم القسم، وتدخل على الاسمية والفعلية، نحو: ﴿ألاَ إنهم هُم السفهاءُ﴾ [البقرة: ٣]. ﴿ألَا يَوْمَ يَأْتيهم لَيْس مَصْروفاً عنهم﴾ [هود: ٨]. قال في المغني: ويقول المعربون فيها: حرف استفتاح فيبيِّنُون مكانها ويُهملون معناها. وإفادتها التحقيق من جهة تركبها من الهمزة، ولا، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق، نحو: ﴿أَلَيْسَ ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ الموتى﴾ [القيامة: ٤٠].

الثاني والثالث: التحضيض والعرض، ومعناهما طلب الشيء، لكن الأول طلب بحثّ، والثاني طلب بلين، وتختص فيهما بالفعلية، نحو: ﴿أَلَا تقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أيمانهم﴾ [التوبة: ١٣]. ﴿قومَ فرعونَ أَلَا يتّقُون﴾ [الشعراء: ١١].

﴿ألَا تأْكُلون﴾ [الصافات: ٩١]. ﴿ألا تُحِبُّون أنْ يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢].

﴿ألاّ﴾ ـ بالفتح والتشديد: حرف تحضيض، لم يقع في القرآن هذا المعنى فيما أعلم، إلا أنه يجوز عندي أن يخرج عليه: ﴿ألاّ يَسجُدوا للهِ﴾ [النمل: ٢٥]. وأما قوله: ﴿ألا تَعْلُوا عليّ﴾ [النمل: ٣١]، فليست هذه؛ بل هي كلمتان: ﴿أن﴾ الناصبة، و﴿لا﴾ النافية، أو ﴿أن﴾ المفسرة و﴿لا﴾ الناهية.

﴿إلاّ﴾ ـ بالكسر والتشديد على أوجه:

أحدها ـ الاستثناء، متصلاً؛ نحو: ﴿فَشرِبُوا منه إلا قليلاً منهم﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿ما فعلُوه إلا قليلٌ منهم﴾ [النساء: ٦٦]. أو منقطعاً، نحو: ﴿قُلْ ما أسأَلُكم عليه مِنْ أجرٍ إلا مَنْ شاء أن يتخِذَ إلى ربه سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٥٧]. ﴿وما لِأَحَدٍ عنده مِنْ نعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابتغاءَ وَجه رَبِّه الأعلى﴾ [الليل: ١٩].

الثاني: بمعنى ﴿غير﴾، فيوصف بها وبتاليها جمع منكّر أو شبهه، ويعرب الاسم الواقع بعدها بإعراب ﴿غير﴾، نحو: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء؛ لأن ﴿آلهةٌ﴾ جمع منكر في الإثبات، فلا عمومَ له، فلا يصح الاستثناء منه، ولأنه يصير المعنى حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وهو باطل باعتبار مفهومه.

الثالث: أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك، ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة، وخرّجوا عليه: ﴿لئلا يكونَ للناسِ عليكم حُجةٌ إلا الذين ظَلَمُوا منهم فلا تَخْشَوْهم﴾ [البقرة: ١٥٠]. ﴿لا يخافُ لديّ الْمُرْسَلُون إلا مَنْ ظلم ثم بدّل حُسْناً بَعدَ سُوء﴾ [النمل: ١٠]؛ أي ولا الذين ظلموا ولا مَنْ ظلم. وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

الرابع: بمعنى بل، ذكره بعضهم وخرّج عليه: ﴿طه. ما أنزَلنَا عليكَ القرآن لِتَشقَى. إلا تذكرةً لمن يخشى﴾ [طه: ١]؛ أي بل تذكرة.

الخامس: بمعنى ﴿بدل﴾، ذكره ابن الصائغ، وخرج عليه: آلهة إلا الله؛ أي بدل الله أو عِوَضه، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بإلا من جهة المفهوم.

وغلط ابن مالك فعدَّ من أقسامها؛ نحو: ﴿إلا تَنْصُرُوه فقد نصره الله﴾ [التوبة: ٤٠] وليست منها، بل هي كلمتان: إن الشرطية، ولا النافية.

فائدة

قال الرماني في تفسيره: معنى ﴿إلا﴾ اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره، فإذا قلت: جاءني القومُ إلا زيداً فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجيء. وإذا قلت: ما جاءني القومُ إلا زيداً فقد اختصصته بالمجيء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلا راكباً فقد اختصصتَه بهذه الحال دون غيرها من المشي والعَدو ونحوه.

﴿الآن﴾ اسم للزمان الحاضر، وقد تستعمل في غيره مجازاً. وقال قوم: هي حدٌّ للزمانين، أي ظرف للماضي، وظرف للمستقبل. وقد يُتجوّز بها عما قرب من أحدهما.

وقال ابن مالك: لوقت حضر جميعه، كوقت فعل الإنشاء حالَ النطق به، أبو بعضه، نحو: ﴿الآن خَفّفَ اللهُ عَنكم وعَلِم أن فيكم ضَعفاً﴾ [الأنفال: ١] ﴿فمَنْ يَستَمِعِ الآن يَجِد لَهُ شِهَاباً رَصداً﴾ [الجن: ٩]. قال: وظرفيته غالبة لازمة.

واختلف في ﴿ال﴾ التي فيه، فقيل للتعريف الحضوري، وقيل زائدة لازمة.

﴿إلى﴾ حرف جَرّ، وله معنيان:

أشهرهما انتهاء الغاية زماناً، نحو: ﴿أتِمّوا الصِّيَام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧]. أو مكاناً نحو: ﴿إلى المسجدِ الأَقصَى﴾ [الإسراء: ١]. أو غيرهما، نحو: ﴿والأمرُ إليكِ﴾. ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى.

وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفيين معانيَ أُخر، منها المعيّة كمع، وذلك إذا ضممتَ شيئاً إلى آخر في الْحُكم به أو عليه أو التعلّق، نحو: ﴿مَن أنصَارِي إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦]. ﴿ولا تَأْكُلُوا أموالَهم إلى أموالكم﴾ [النساء: ٢].

قال الرضي: والتحقيق أنها للانتهاء؛ أي مضافة إلى المرافق وإلى أموالكم.

وقال غيره: ما ورد من ذلك يُؤَول على تضمين العامل وإبقاء ﴿إلى﴾ على أصلها. والمعنى في الآية الأولى من يُضيف نصرته إلى نصرة الله؟ أو من ينصرني حال كوني ذاهباً إلى الله؟

ومنها الظرفية كَفِي، نحو: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُم إلى يَوم القيامة﴾ [النساء: ٨٧]؛ أي فيه. وقوله: ﴿إلى أن تَزَكّى﴾ [النازعات: ١٨]؛ أي في أن.

ومنها مرادفة اللام، وجُعل منه: ﴿والأمرُ إليكِ﴾ [النمل: ٣٣]؛ أي لك. وتقدم أنه من الانتهاء.

ومنها التبيين؛ قال ابن مالك: وهي المبيِّنَة لفاعلية مجرورها بعد ما يُفيد حبًّا أو بُغضاً؛ من فعل تعجب، أو اسم تفضيل؛ نحو: ﴿رَبِّ السجنُ أحبُّ إلي﴾ [يوسف: ٣٣].

ومنها التوكيد - وهي الزائدة نحو: ﴿أفئدة من الناس تَهوَى إليهم﴾ [إبراهيم: ٣٧] - في قراءة بعضهم بفتح الواو: أي تهواهم؛ قاله الفراء. وقال غيره: هو على تضمين تهوى معنى تميل.

تنبيه

حكى ابنُ عصفور في شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنباري: أن «إلى» تستعمل اسماً، فيقال: انصرفت مِن إليك، كما يقال غدوت مِنْ عليه. وخرج عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إليك﴾ [مريم: ٢٥]؛ وبه يندفع إشكال

أبي حيّان فيه بأن القاعدة المشهورة أن الفعل لا يتعدى إلى ضمير متصل بنفسه أو بالحرف، وقد رفع المتصل وهو لمدلولٍ واحد في غير باب ظن.

﴿اللهم﴾ المشهور أن معناه يا ألله، حذفت ياء النداء، وعُوِّض منها الميم المشددة في آخره. وقيل: أصله يا أللهُ أمنا بخير، فركب تركيب حَيَّهَلا.

وقال أبو رجاء العُطاردي: الميم تجمع تسعين اسماً من أسمائه.

وقال ابن ظفَر: قيل إنها الاسم الأعظم؛ واستدل لذلك بأن الله دالٌّ على الذات، والميم دالة على الصفات التسعة والتسعين، ولهذا قال الحسن البصري: اللهم تجمع الدعاء.

وقال النضْر بن شُميل: من قال اللهم فقد دعا اللهَ بجميع أسمائه.

﴿أم﴾ حرف عطف، وهي نوعان: متصلة، وهي قسمان:

الأول: أن يتقدم عليها همزة التسوية، نحو: ﴿سواءٌ عليهم أأنذَرتَهُم أم لم تُنْذِرْهم﴾ [البقرة: ٦]. ﴿سواء علينا أجَزِعنَا أم صَبَرنَا﴾ [إبراهيم: ٢١] سواءٌ عليهم أستَغْفَرْتَ لهم أَمْ لم تَسْتَغْفِر لهم﴾ [المنافقون: ٦].

والثاني: أن يتقدم عليها همزة يُطلب بها وبأم التعيين؛ نحو: ﴿آلذَّكَرَينِ حَرَّم أم الأنْثيَيْن﴾ [الأنعام: ١٤٣]. وسُمِّيت في القسمين متصلة؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى أَيضاً معادلة؛ لمعادلتها الهمزة في إفادتها التسوية في القسم الأول والاستفهام في الثاني.

ويفترق القسمان من أربعة أوجه:

أحدها وثانيها أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً؛ لأن المعنى معها ليس على الاستفهام. وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب؛ لأنه خبر، وليست تلك كذلك، لأن الاستفهام معها على حقيقته.

والثالث والرابع أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين، ولا

تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردَيْن؛ وتكون الجملتـان فعليتين واسميتين ومختلفتين، نحو: ﴿سواء عليكم أَدَعَوْتُموهم أم أنتُم صَامِتُون﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وأم الأخرى تقع بين المفردين، وهو الغالب فيها، نحو: ﴿أنتم أشدُّ خَلقاً أم السماء﴾ [النازعات: ٢٧]. وبين الجملتين ليسا في تأويلها.

النوع الثاني: منقطعة؛ وهي ثلاثة أقسام:

مسبوقة بالخبر المحض، نحو: ﴿تنزيلُ الكتابِ لا رَيْبَ فيه مِنْ رَبِّ العالمين. أمْ يقُولون افْتَرَاه﴾ [السجدة: ١ ـ ٣].

ومسبوقة بالهمزة لغير الاستفهـام، نحو: ﴿أَلَهُمْ أَرجلٌ يَمْشُونَ بها أم لهم أيدٍ يَبْطِشونَ بها﴾ [الأعراف: ١٩٥]؛ إذ الهمزة في ذلك للإنكار، فهي بمنزلة النفي. والمتصلة لا تقع بعده.

ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة، نحو: ﴿هل يَسْتَوِي الأعمى والبَصير أم هل تَسْتَوِي الظُّلمات والنُّور﴾ [الرعد: ١٦].

ومعنى أم المنقطعة التي لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجردة؛ وتارة تضمّن معَ ذلك استفهاماً إنكارياً أو استفهاماً طلبياً؛ فمن الأول: ﴿أم هل تستوي الظلماتُ والنور أم جعلوا لله شُرَكاء﴾؛ لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام. ومن الثاني: ﴿أم لَهُ البناتُ ولكم البَنُون﴾ [الطور: ٣٩]؛ تقديره: بل أَله البنات؛ إذ لو قدرت الإضراب المحْضَ لزم المحال.

تنبيهان

الأول: قد ترد أم محتملة الاتصال والانفصال، كقوله تعالى: ﴿قل أَتّخَذْتُم عند الله عهداً فلن يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٨٠] قال الزمخشري: يجوز في أم أن تكون معادلة بمعنى أيّ الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة.

الثاني: ذكر أبو زيد أنَّ أمْ تقع زائدة، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿أفلا تُبْصِرُون أم أنَا خَيْر﴾ [الزخرف: ٥١]، قال: التقدير: أفلا تبصرون أنا خير.

﴿أمَّـا﴾ - بالفتح والتشديد - حرف شرط وتفصيل وتوكيد، أما كونها شرطاً فبدليل لزوم الفاء بعدها، نحو: ﴿فأمَّا الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصالحات فيوفِّيهم أُجورَهم﴾ [النساء: ١٧٢]. ﴿فأمَّا الذين آمنُوا فيعلمُونَ أنّه الحقُّ مِنْ ربِّهم، وأَمّا الذين كفروا فيقولون﴾ [البقرة: ٢٦]. وأما قوله تعالى: ﴿فأما الذين اسْوَدَّتْ وجوهُهم أكفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٦] - فعلى تقدير القول؛ أي فيُقال لهم أكفرتم؛ فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبعته الفاء في الحذف. وكذا قوله: ﴿وأما الَّذِين كفروا أفَلَمْ تَكُنْ آياتي﴾ [الجاثية: ٣١].

وأما التفضيل فهو غالب أحوالها، كما تقدم؛ وكقوله: ﴿أمَّا السفينةُ فكانت لمسَاكِينَ﴾. ﴿وأما الغُلامُ فكان﴾. ﴿وأما الجِدَار فكان﴾ [الكهف: ٧٩، ٨٠، ٨٦].

وقد يُتْرَكُ تكريرها استغناءً بأحد القسمين عن الآخرين، وقد تقدم في أنواع الحذف.

وأما التوكيد، فقال الزمخشري: فائدة أما في الكلام أنْ تُعطيه فضْلَ توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذلك، وانه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة قلت: أما زيد فذاهب، ولذلك قال سيبويه في تفسيرها: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب.

ويفصَل بين أمّا والفاء إما بمبتدأ كالآيات السابقة، أو خبر، نحو: أما في الدار فزيد، أو جملة شرط، نحو: ﴿فأما إنْ كان من المُقرَّبين فَرَوْح...﴾ [الواقعة: ٨٨] الآيات. أو اسم منصوب بالجواب، نحو: ﴿فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَر﴾ [الضحى: ٩]. أو اسم معمول لمحذوف يفسِّرُه ما بعد الفاء، نحو: ﴿فأمّا ثَمُودَ فهَدَيْنَاهم﴾ [فصلت: ١٧] - في قراءة بعضهم بالنصب.

تنبيه

ليس من أقسام أمّا ـ أمَّا التي في قوله تعالى: ﴿أمّاذَا كنْتُم تعملون﴾ [النمل: ٨٤]. بل هي كلمتان: ﴿أم﴾ المنقطعة، و﴿ما﴾ الاستفهامية.

﴿إمّا﴾ بالكسر والتشديد ـ تَرِدُ لمعان:

الإبهام، نحو: ﴿وآخرون مَرْجُوّون لأَمْرِ اللهِ إمّا يُعَذِّبُهم وإمّا يَتُوبُ عليهم﴾ [محمد: ١٠].

والتخيير، نحو: ﴿إما أنْ تعذِّبَ وإما أنْ تَتَّخِذَ فيهم حُسْناً﴾ [الكهف: ٨٦]. ﴿إما أنْ تُلْقِيَ وإما أنْ نكونَ أوّلَ من ألْقَى﴾ [طه: ٦٥]. ﴿فإما مناًّ بَعْدُ وإما فِدَاءً﴾ [القيامة: ٤].

والتفصيل، نحو: ﴿إما شاكِراً وإما كَفُوراً﴾ [الدهر: ٣].

تنبيهات

الأول: لا خلاف في أن إما الأولى في هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة. واختلف في الثانية: فالأكثرون على أنها عاطفة، وأنكره جماعة منهم ابن مالك، لملازمتها غالباً الواو العاطفة. وادعى ابن عصفور الإجماع على ذلك، قال: وإنما ذكروها في باب العطف لمصاحبتها لحرفه. وذهب بعضهم إلى أنها عطفت الاسم على الاسم، والواو عطفت إما على إما، وهو غريب.

الثاني: ستأتي هذه المعاني لأَوْ، والفرق بينها وبين ﴿إما﴾ إما لأنّ ﴿إما﴾ ينبني الكلامُ معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله، ولذلك وجب تكرارها، وأو يُفتَتَح الكلام معها على الجزم ثم يطرأ الإبهام، أو غير ذلك؛ ولهذا لم تتكرر.

الثالث: ليس من أقسام إمَّا التي في قوله تعالى: ﴿فإمَّا تَرَيِنَّ من البشر أحداً﴾ [مريم: ٢٦]، بل هي كلمتان: إن الشرطية، وإما الزائدة.

﴿إنْ﴾ بالكسر والتخفيف ـ على أوجه:

الأول: أن تكون شرطية، نحو: ﴿إنْ يَنْتَهُوا يُغْفر لهم ما قد سلَف وإنْ يَعُودُوا فقد مضَتْ سنَّةُ الأوّلين﴾ [الانفال: ٣٨]. وإذا دخلت على لم فالجزم بلم لا بها، نحو: ﴿وإن لم تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، وعلى لا فالجزم بها لا بلا، نحو: ﴿وإلاَّ تَغْفِر لي وتَرْحَمْني﴾ [هود: ٤٧]. ﴿إلا تَنْصُروه﴾ [التوبة: ٤٠].

والفرقُ أن لم عاملٌ يلزم معموله، ولا يفصل بينهما بشيء، و ﴿إنْ﴾ يجوز الفصل بينها وبين معمولها بعدوله، ولا لا تعمل الجزم إذا كانت نافية، فأضيف العملُ إلى إن.

الثاني: أن تكون نافية، وتدخل على الاسمية والفعلية؛ نحو: ﴿إن الكافرون إلا في غُرور﴾ [الملك: ٢٠]. ﴿إن أُمّهاتُهم إلا اللاّئي وَلَدْنَهم﴾ [المجادلة: ٢]. ﴿إن أرَدنَا إلا الحُسْنَى﴾ [التوبة: ١٠٧]. ﴿إن يَدْعُون مِنْ دونِه إلا إنَاثاً﴾ [النساء: ١١٧]. قيل: ولا تقع ﴿إن﴾ إلا وبعدها إلا كما تقدم، أو لَمَّا المشددة، نحو: ﴿إن كلُّ نَفسٍ لَمَّا عليها حافِظ﴾ [الطارق: ٤] ـ في قراءة التشديد.

ورد بقوله: ﴿إن عندكُمْ مِنْ سُلطَانٍ بهذا﴾ [يونس: ٦٨]. ﴿إنْ أدرِي لعله فِتنَةٌ لكم﴾ [الأنبياء: ١١١].

ومما حمل على النافية قوله: ﴿إنْ كُنَّا فاعِلين﴾ [الأنبياء: ١٧]. ﴿قل إن كان للرحمن وَلَد﴾ [الزخرف: ٨١]. وعلى هذا فالوقف هنا. ﴿ولقد مكنّاهم فيما إن مَكّنَاكم فيه﴾ [الأحقاف: ٢٦]. وقيل هي زائدة، ويؤيد الأول قوله: ﴿مَكنّاهمْ في الأَرض ما لم نُمَكِّن لكم﴾ [الأنعام: ٦]، وعدل عن ما لئلا يتكرر فيثقل اللفظ.

قلت: وكونها للنفي هو الوارد عن ابن عباس كما تقدم.

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله: ﴿ولَئن زالَتا إنْ أَمْسكهُمَا مِن أحدٍ من بَعْدِه﴾ [فاطر: ٤١].

وإذا دخلت النافية على الاسمية لم تعمل عند الجمهور، وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس، وخرج عليه قراءة سعيد بن جبير: ﴿إنَّ الذين تَدْعون مِن دون الله عبادٌ أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن إن فهو إنكار.

الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتدخل على الجملتين، ثم الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها، نحو: ﴿وإن كلّ ذلك لَمَّا مَتَاعُ الحياةِ الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٥]. ﴿وإن كلٌّ لما جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضرون﴾ [يس: ٣٢]. ﴿إن هذَان لَسَاحِرَان﴾ [طه: ٦٣] - في قراءة حفص وابن كثير.

وقد تعمل، نحو: ﴿وإن كُلاًّ لما لَيُوَفِّيَنَّهُم﴾ [هود: ١١٢] - في قراءة الحرميين.

وإذا دخلت على الفعل فالأكثر كونه ماضياً ناسخاً، نحو: ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ [البقرة: ٤٥]. ﴿وإن كادُوا لَيَفتِنُونَك﴾ [الإسراء: ٧٣]. ﴿وإن وَجَدْنَا أكثَرهم لَفَاسِقِين﴾ [الأعراف: ١٠٢]. ودونه أن يكون مضارعاً ناسخاً، نحو: ﴿وإن يكادُ الذين كفروا﴾ [القلم: ٥١]. ﴿وإن نَظُنّك لَمِنَ الكاذبين﴾ [الشعراء: ١٨٦]. وحيث وجدت إن وبعدها اللام المفتوحة فهي المخفّفة من الثقيلة.

الرابع: أن تكون زائدة، وخرج عليه: ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ [الأحقاف: ٢٦].

الخامس: أن تكون للتعليل كإذ، قاله الكوفيون وخرجوا عليه: ﴿واتّقُوا اللهَ إن كنتُم مؤمنين﴾ [المائدة: ٥٧]. ﴿لتَدْخُلُنّ المسجدَ الحرام إن شاءَ الله آمِنين﴾ [الفتح: ٢٧]. ﴿وأنتم الأعلَون إن كنتُم مُؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩]. ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع.

وأجاب الجمهور عن هذه المشيئة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أَخْبَرُوا عن المستقبل، وبأن أصل ذلك الشرطُ، ثم صار يُذكر للتبرك. أو بأن المعنى لتدخلن المسجد جميعاً إن شاء الله ولا يموت منكم أحد قبل الدخول.

وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب، كما تقول لابنك: إن كنت ابني فأَطِعْني.

السادس: أن تكن بمعنى قد، ذكره قُطرب، وخرج عليه: ﴿فَذَكِّر إن نَفَعَتِ الذِّكرى﴾ [الأعلى: ٩]؛ أي قد نفعت. ولا يصح معنى الشرط فيه، لأنه مأمور بالتذكير على كل حال.

وقال غيره: هي للشرط، ومعناه ذَمُّهم واستبعاد لنَفْع التذكير فيهم. وقيل التقدير: وإن لم تنفع، على حد قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُم الحَرّ﴾ [النحل: ٨].

فائدة

قال بعضهم: وقع في القرآن إنْ بصيغة الشرط، وهو غير مراد في ستة مواضع: ﴿ولا تُكرِهُوا فَتَيَاتِكم على البِغَاء إن أَرَدنَ تحصُّنا﴾ [النور: ٣٣]. ﴿واشكروا نعمةَ الله إن كنتم إيّاه تَعبُدُون﴾ [النحل: ١١٤]. ﴿وإن كنتم على سَفَرَ ولم تَجِدُوا كاتباً فَرِهَانٌ مَقبُوضة﴾ [البقرة: ٢٨٣]. ﴿إن ارتَبْتُم فعدتُهن﴾ [الطلاق: ٤]. ﴿أن تَقصُروا من الصلاة إن خِفْتُم﴾ [النساء: ١٠١]. ﴿وبُعُولَتُهُنّ أحقُّ بردهنّ في ذلك إن أرادوا إصْلاحاً﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿أنْ﴾ بالفتح والتخفيف ـ على أوجه:

الأول: أن تكون حرفاً مصدريّاً ناصباً للمضارع؛ وتقع في موضعين: الابتداء، فتكون في محل رفع؛ نحو: ﴿وأن تَصُومُوا خَيْرٌ لكم﴾ [البقرة: ١٨٤]. ﴿وأن تَعفُوا أَقْرَبُ للتقوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وبعد فعلٍ دالّ على معنى غير اليقين، فتكون في محل رفع؛ نحو:

﴿أَلَمْ يأنِ للذين آمنُوا أنْ تخشَعَ قلوبُهم لِذِكرِ الله﴾ [الحديد: ١٦]. ﴿وعسى أن تَكرَهُوا شيئاً وهو خَيْرٌ لكم﴾ [البقرة: ٩٦]. ونصب؛ نحو: ﴿نَخْشَى أن تُصيبَنَا دائرة﴾ [المائدة: ٥٢]. ﴿وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى﴾ [يونس: ٣٧]. ﴿فأَرَدتُ أن أعِيبها﴾ [الكهف: ٧٩]. وخفض؛ نحو: ﴿أُوذِينَا من قَبْلِ أن تَأتِينَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]. ﴿مِن قبل أن يأْتي أحدَكم الموتُ﴾ [المنافقون: ١٠].

وأن هذه موصول حرفي، وتوصل بالفعل المتصل: مضارعاً كما مر، وماضياً؛ نحو: ﴿لولا أن مَنَّ اللهُ علينا﴾ [القصص: ٨٢]. ﴿ولولا أن ثَبّتنَاكَ﴾ [الإسراء: ٧٤].

وقد يرفع المضارع بعدها إهمالاً لها، حملاً على ما أختها، كقراءة ابن محيصن: ﴿لِمَنْ أرادَ أن يُتِم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣].

الثاني: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتقع بعد فعل اليقين، أو ما نُزِّل منزلته، نحو: ﴿أفلا يَرَوْنَ ألا يرجع إليهم قَوْلاً﴾ [طه: ٨٩]. ﴿علم أن سيكون﴾ [المزمل: ٢٠]. ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ [المائدة: ٧١] - في قراءة الرفع.

الثالث: أن تكون مفسرة بمنزلة أي، نحو: ﴿فأوحينا إليه أن اصنَعِ الفُلْكَ بأعيننا﴾ [المؤمنون: ٢٧]؛ ﴿ونُودُوا أن تلكم الجنة﴾ [الأعراف: ٤٢].

وشرطها أن تسبق بجملة؛ فلذلك غَلِطَ مَنْ جعل منها: ﴿وآخِرُ دَعواهم أنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين﴾ [يونس: ١٠]. وأن يتأخر عنها جملة، وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول. ومنه: ﴿وانطلق الملأ منهم أنِ امْشوا واصبِروا﴾ [ص: ٦]، إذ ليس المراد بالانطلاق المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام، كما أنه ليس المراد بالمشي المتعارف، بل الاستمرار على المشي. وزعم الزمخشري أن التي في قوله: ﴿أنِ اتَّخِذِي من الجبالِ بُيوتاً﴾ [النحل: ٦٨] - مُفسرة.

ورُد بأن قوله: ﴿وأَوْحَى ربّك إلى النَّحْل﴾ ؛ والوحْيُ هنا إلهام باتفاق، وليس في الإلهام معنى القول، وإنما هي مصدرية؛ أي باتخاذ الجبال.

وألا يكون في الجملة السابقة أحرف القول؛ وذكر الزمخشري في قوله: ﴿ما قُلْتُ لَهُمْ إلا ما أَمَرْتَنِي به أنِ اعْبُدوا الله﴾ [المائدة: ١١٧] ـ أنه يجوز أن تكون مفسرة بالقول على تأويله بالأمر؛ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله.

قال ابن هشام: وهو حسن. وعلى هذا فيقال في الضابط: آلا يكون فيها حروف القول إلا والقول مؤوّل بغيره.

قلت: وهذا من الغرائب كونهم يشترطون أن يكون فيها معنى القول، فإذا جاء لفظه أوّلوه بما فيه مع صريحه، وهو نظير ما تقدم من جعلهم ﴿ال﴾ في الآن زائدة مع قولهم بتضمنه معناها وألا يدخل عليها حرف جر.

الرابع: أن تكون زائدة؛ والأكثر أن تقع بعد لمّا التوقيفية؛ نحو: ﴿ولما أَنْ جاءَتْ رسلُنا لوطاً﴾ [العنكبوت: ٣٣]. وزعم الأخفش أنها قد تنصب المضارع وهي زائدة، وخرج عليه: ﴿وما لنا ألاَّ نُقَاتِلَ في سبيل الله﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ﴿وما لنا ألا نتوكَّلَ على الله﴾ [إبراهيم: ١٢]؛ قال: فهي زائدة، بدليل: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ [المائدة: ٨٤].

الخامس: أن تكون شرطية كالمكسورة، قاله الكوفيون؛ وخرج عليه: ﴿أنْ تضِلّ إحداهما﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ﴿أن صَدُّوكم عن المسجدِ الحرام﴾ [المائدة: ٢]. ﴿صَفْحاً أن كنْتم قوماً مُسرفين﴾ [الزخرف: ٥]. قال ابن هشام: ويرجِّحه عندي توارُدهما على محل واحد. والأصل التوافق. وقد قريء بالوجهين في الآيات المذكورة؛ ودخول الفاء بعدها في قوله: « فتذكر ».

السادس: أن تكون نافية، قاله بعضهم في قوله: ﴿أن يُؤتى أَحَدٌ مثْلَ ما

أُوتيتم﴾ [آل عمران: ٧٣]؛ أي لا يؤتى. والصحيح أنها مصدرية؛ أي ولا تؤمنوا أن يؤتى، أي بإيتاء أحد.

السابع: أن تكون للتعليل كإذ؛ قاله بعضهم في قوله: ﴿بل عَجِبوا أنْ جاءَهم مُنْذِرٌ منهم﴾ [ق: ٣]. ﴿يخرِجُون الرسولَ وإيّاكم أنْ تُؤمنوا﴾ [الممتحنة: ١]. والصواب أنها مصدرية وقبلها لام التعليل مقدرة.

الثامن: أن تكون بمعنى لئلا؛ قاله بعضهم في قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي لئلا تضِلوا. والصوابُ أنها مصدرية، والتقدير كراهة أن تضلوا.

﴿إنّ﴾ بالكسر والتشديد ـ على أوجه:

أحدها: التأكيد والتحقيق، وهو الغالب، نحو: ﴿إن اللهَ غَفورٌ رحيم﴾. ﴿إنا إليكم لَمُرْسلون﴾ [يس: ١٦]. قال عبد القاهر: والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام. قال: وأكثر مواقعها بحسب الجواب لسؤال ظاهر أو مقدر إذا كان للسائل فيه ظن.

الثاني: التعليل، أثبته ابن جني وأهل البيان، ومثّلوه بنحو: ﴿واستَغْفِرُوا اللهَ إن اللهَ غفورٌ رحيم﴾ [البقرة: ١١٩]. ﴿وَصَلِّ عليهم إن صَلاتَك سَكَنٌ لهم﴾ [التوبة: ١٠٤]. ﴿وما أُبَرِّيءُ نَفسِي إن النفسَ لأمّارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] ـ وهو نوع من التأكيد.

الثالث: معنى نعم، أثبته الأكثرون، وخرّج عليه قوم: ﴿إنَّ هذان لساحِرَان﴾ [طه: ٦٣].

﴿أنَّ﴾ بالفتح والتشديد ـ على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف تأكيد. والأصحُّ أنها فرع المكسورة، وأنها موصول حرفِيّ تؤوَّل مع اسمها وخبرها بالمصدر؛ فإن كان الخبر مشتقاً فالمصدرُ المؤول به من لفظه؛ نحو: ﴿لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ على كل شيء قَدِير﴾ [الطلاق: ١٢]؛ أي قدرته. وإن كان جامداً قُدِّر بالكَوْن.

وقد استشكل كونها للتأكيد بأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك لم يُفد توكيداً.

وأُجيب بأن التأكيد للمصدر المنحل؛ وبهذا لم يُفرق بينها وبين إن المكسورة، لأن التأكيد في المكسورة للإسناد، وهذه لأحد الطرفين.

الثاني: أن تكون لغة في لعل؛ وخرج عليها: ﴿وما يُشْعِرُكم أنها إذا جاءت لا يُؤمنون﴾ [الأنعام: ١٠٦] - في قراءة الفتح؛ أي لعلها.

﴿أنّى﴾ اسم مشترك بين الاستفهام والشرط؛ فأما الاستفهام فترِدُ فيه بمعنى كيف، نحو: ﴿أنّى يحْيِي هذهِ اللهُ بعد مَوْتها﴾ [البقرة: ٢٥٩]. ﴿فأنَّى يُؤفَكون﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومن أين، نحو: ﴿أنّى لكِ هذا﴾؟ [آل عمران: ٣٧]. أي مِنْ أين. ﴿قُلْتم أنى هذا﴾ [آل عمران: ١٦٥]؛ أي من أين جاءنا.

قال في عروس الأفراح: والفرق بين أيْن ومِنْ أين أن أين سُؤال عن المكان الذي حلّ فيه الشيء. ومن أين سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء؛ وجعل من هذا المعنى ما قريء شاذاً: ﴿أنَّى صبَبْنَا الماءَ صَبّاً﴾ [عبس: ٢٤].

وبمعنى متى؛ وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فأتُوا حَرْثَكم أنَّى شِئْتُم﴾ [البقرة: ٢٢٣]؛ فأخرج ابن جرير الأول من طريق ابن عباس، وأخرج الثاني عن الربيع بن أنس واختاره، وأخرج الثالث عن الضحاك، وأخرج قولاً رابعاً عن ابن عمر وغيره: أنها بمعنى حيث شئتم.

واختار أبو حيان وغيره أنها في الآية شرطية، وحُذِف جوابها لدلالة ما قبلها عليه، لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها كما هو شأن الاستفهامية أن يكتفى بما بعدها وأن يكون كلاماً يحسُنُ السكوت عليه أو اسماً أو فعلاً.

﴿أو﴾ حرف عطف ترد لمعان:

الشك من المتكلم؛ نحو: ﴿قالوا لَبِثْنَا يوماً أو بَعْضَ يوم﴾ [الكهف: ١٩].

والإبهام على السامع؛ نحو: ﴿وإنَّا أو إيّاكم لَعَلَى هُدًى أو في ضَلاَلٍ مُبين﴾ [سبأ: ٢٤].

والتخيير بين المعطوفين بأن يمتنع الجمع بينهما.

والإباحة بألا يمتنع الجمع.

ومثل الثاني بقوله تعالى: ﴿ولا عَلَى أَنْفُسكم أنْ تَأْكُلوا من بيوتكم أو بُيُوت آبائكم...﴾ [النور: ٦١] الآية. ومثل الأول بقوله: ﴿ففِدْية من صيامٍ أو صدقَةٍ أَو نُسُك﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقوله: ﴿فكفارتُه إطعامُ مَساكين من أوْسَط ما تُطْعِمُون أهليكم أو كِسْوَتُهم أو تَحْرِيرُ رَقَبة﴾ [المائدة: ٨٩].

واستشكل بأن الجمع في الآيتين غير ممتنع.

وأجاب ابن هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كلٍّ كفارة أو فِدْية، بل تقع واحدة منهن كفّارة أو فدية. والثاني قربة مستقلة خارجة عن ذلك.

قلت: وأوضَحُ من هذا التمثيل قوله: ﴿أن يُقَتَّلوا أوْ يُصَلَّبُوا...﴾ [المائدة: ٣٣] الآية. على قول مَنْ جعل الخيرة في ذلك إلى الإمام، فإنه يمتنع عليه الجمعُ بين هذه الأمور؛ بل يفعل منها واحداً يؤدي اجتهاده إليه.

والتفصيلُ بعد الإجمال؛ نحو: ﴿وقالوا كُونوا هُوداً أو نَصَارى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ﴿قالوا: ساحر أَو مَجْنُون﴾ [الذاريات: ٣٩]؛ أي قال بعضهم كذا، وقال بعضهم كذا.

والإضراب كَبَلْ؛ وخرِّج عليه قوله: ﴿وأرْسلْنَاهُ إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧]. ﴿فكان قَابَ قَوْسَيْن أو أدنى﴾ [النجم: ٩]. وقراءة بعضهم: ﴿أوْ كلَّما عاهَدُوا عَهْداً﴾ [طه: ٤٤] ـ بسكون الواو.

ومطلق الجمع كالواو؛ نحو: ﴿لعلّه يتذكّرُ أو يَخشَى﴾ [طه: ٤٤]. ﴿لعلهم يتّقون أو يُحدِث لهم ذكرا﴾ [طه: ١٠٣].

والتقريب، ذكره الحريري وأبو البقاء، وجعل منه: ﴿وما أمْرُ الساعةِ إلا كلَمْح البصر أو هو أقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

ورُدّ بأن التقريب مستفاد من غيرها.

ومعنى إلا في الاستثناء، ومعنى إلى، وهاتان يُنصب المضارع بعدهما بأن مضمرة، وخرج عليه: ﴿لا جُنَاح عليكم إنْ طلقْتم النساءَ ما لم تمسُّوهنَّ أو تَفرِضوا لهنَّ فَرِيضة﴾ [البقرة: ٢٣٦]. فقيل: إنه منصوب لا مجزوم بالعطف على «تمسّوهن»، لئلا يصير المعنى: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهنَّ في مدة انتفاء أحدِ هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصفُ المسمَّى، فكيف يصح رَفْعُ الجناح عند انتفاء أحد الأمرين؟ ولأن المطلقات المفروض لهنَّ قد ذُكر ثانياً بقوله: ﴿وإنْ طلقتموهنّ...﴾ الآية. وترك ذِكْر الممسوسات بما تقدم من المفهوم. ولو كان ﴿تفرضوا﴾ مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستوياتٍ في الذكر. وإذا قدرت ﴿أو﴾ بمعنى إلا خرجت المفروض لهن عن مشاركة الممسوسات في الذّكر؛ وكذا إذا قدرت بمعنى ﴿إلى﴾ وتكون غاية لنفي الجنَاح لا لنفي المسيس.

وأجاب ابن الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدّة انتفاء أحدهما؛ بل مدة لم يكن واحد منهما؛ وذلك ينفيهما جميعاً، لأنه نكرة في سياق النفي الصريح.

وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكرَ المفروض لهن إنما كان لتعيُّن النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة.

ومما خرج على هذا المعنى قراءة أُبَيّ: ﴿تقاتلونهم أو يُسْلِمُون﴾ [الفتح: ١٦٢].

تنبيهات

الأول: لم يذكر المتقدمون لأَوْ هذه المعاني؛ بل قالوا: هي لأحد الشيئين أو الأشياء.

قال ابن هشام: وهو التحقيق؛ والمعاني المذكورة مستفادة من القرائن.

الثاني: قال أبو البقاء: أو في النهي نقيضة أو في الإباحة، فيجب اجتنابُ الأمرين؛ كقوله: ﴿ولا تُطِعْ منهم آثماً أو كَفُورا﴾ [الإنسان: ٢٤]؛ فلا يجوز فعل أحدهما؛ فلو جمع بينهما كان فاعلاً للمنهي عنه مرّتين؛ لأن كل واحد منهما كان منهيّاً عنه لا أحدهما.

وقال غيره: ﴿أو﴾ في هذا بمعنى الواو تفيد الْجَمع.

وقال الخطيبي: الأوْلى أنها على بابها؛ وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي، والنكرة في سياق النفي تعمُّ؛ لأن المعنى قبل النهي: تطيع آثماً أو كفوراً؛ أي واحداً منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً، فالمعنى لا تطع واحداً منهما؛ فالتعميم فيها من جهة النفي، وهي على بابها.

الثالث: لكَوْن مبناها على عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردها بالإفراد، بخلاف الواو. وأما قوله: ﴿إنْ يكُنْ غنيّاً أو فقيراً فاللهُ أوْلى بهما﴾ [النساء: ١٣٥]؛ فقيل إنها بمعنى الواو. وقيل المعنى إن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين.

فائدة

أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس، قال: كل شيء في القرآن فيه ﴿أو﴾ فهو مخيّر، فإذا كان ممن لم يخير فهو الأول فالأول.

وأخرج البيهقي في سُننه عن ابن جريج. قال: كل شيء في القرآن فيه ﴿أو﴾ فالتخيير إلا قوله: ﴿أن يقتَّلُوا أو يُصَلّبُوا﴾ [المائدة: ٣٣] ليس بمخيَّر فيها. قال الشافعي بهذا أقول.

﴿أَوْلَى﴾ في قوله: ﴿أوْلَى لكَ فأولى﴾ [القيامة: ٣٥]. وفي قوله: ﴿فأَوْلى لهم﴾ [محمد: ٢٠] قال في الصحاح: قولهم: أَوْلَى لك، كلمة تهدد ووَعيد؛ قال الشاعر:

★ فأوْلَى ثم أوْلى ثم أولى ★

قال الأصمعي: معناه قاربه ما يهلكه، أي نزل به.
قال الجوهري: ولم يقل أحد فيها أحسن مما قاله الأصمعي.
وقال قوم: هو اسم فعل مبني، ومعناه أولى لك شر بعد شر، ولك تبيين.

وقيل: هو عَلَم للوعيد غير معروف؛ ولذا لم ينون، وإن محله رفع على الابتداء ولك الخبر، ووزنه على هذا فَعْلى للإلحاق. وقيل افعل.

وقيل معناه الويل لك، وإنه مقلوب منه. والأصل أويل؛ فأخّر حرف العلة. ومنه قول الخنساء:

همَمْتُ بنفسي بعض الهموم ... فأولى لِنَفْسِيَ أوْلى لها

وقيل معناه الذم لكَ أوْلى مِنْ تَرْكه، فحذف المبتدأ لكثرة دوَرانه في الكلام.

وقيل المعنى أنتَ أولى وأجدر بهذا العذاب، كأنه يقول: قد وليت الهلاك، أو قد دانيت الهلاك. وأصله من الْولْيِ وهو القرب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قاتِلُوا الذين يَلُونَكُمْ من الكفار﴾ [التوبة: ١٢٤]، أي يقربون منكم.

وقال النحاس: العرب تقول أوْلى لك؛ أي كدتَ تهلك، وكأنّ تقديره أولى لك الهلكة.

﴿إيْ﴾ بالكسر والسكون ـ حرف جواب بمعنى نعم، فتكون لتصديق المخبر ولإعلام المستخبر، ولِوَعْدِ الطالب. قال النحاة: ولا تقع إلا قبل القسم.

قال ابن الحاجب: وإلا بعد الاستفهام؛ نحو: ﴿ويَسْتَنْبِئُونك أحقٌّ هو؟ قل إي وربّي﴾ [يونس: ٥٣].

﴿أيّ﴾ بالفتح والتشديد ـ على أوجه:

الأول: أن تكون شرطية؛ نحو: ﴿أيّمَا الأَجَلَيْنِ قضَيْتُ فلا عُدْوَانَ﴾ [القصص: ٢٨]. ﴿أيّا ما تَدْعُوا فَلَه الأسماءُ الْحُسنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

الثاني: استفهامية؛ نحو: ﴿أيّكُمْ زَادَتْه هذه إيماناً﴾ [التوبة: ١٢٥]. وإنما

يُسأل بها عما يميز أحدَ المتشاركين في أمر يعمهما؛ نحو: ﴿أيُّ الفريقين خَيْرٌ مَقَاماً﴾ [مريم: ٧٣] أنحن أم أصحاب محمد؟

الثالث: موصولة؛ نحو: ﴿لننزعنَّ من كل شيعةٍ أيهم أشدّ﴾ [مريم: ٦٩].

وهي في الأوجه الثلاثة معربة. وتبنى في الوجه الثالث على الضم إذا حُذف عـائدُها وأُضيفت كالآية المذكورة. وأعربـها الأخفش في هذه الحالة أيضاً، وخرّج عليه قراءة بعضهم بالنصب. وأول قراءة الضم على الحكاية، وأوّلها غيره على التعليق للفعل. وأوّلها الزمخشري على أنها خبر مبتدأ محذوف. وتقديرُ الكلام لننزعنّ بعض كلِّ شيعة، فكأنه قيل مَنْ هذا البعض؟ فقيل: هو الذي بالمكر أشدّ، فحذف المبتدآن ثم المكتَنِفَان لأي.

وزعم ابن الطراوة على أنها في الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية، وأيهم أشدّ مبتدأ وخبر.

ورُد برسم الضمير متصلاً بأي، وبالإجماع على إعرابها إذا لم تُضَفْ.

الرابع: أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل، نحو: يا أيها الناس. يا أيها النبي.

﴿إيّا﴾ زعم الزَّجّاج أنه اسم ظاهر. والجمهور أنه ضمير. ثم اختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: أنه كله ضمير هو وما اتصل به.

والثاني: أنه وحده ضمير، وما بعده اسم مضاف له يفسّره ما يراد به من تكلُّم أو غيبة أو خطاب، نحو: ﴿فإيّاي فارْهَبون﴾ [النحل: ٥١]. ﴿بل إياه تَدْعُون﴾ [الأنعام: ٤١]. ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة: ٥].

والثالث: أنه وَحْده ضمير وما بعده حروف تفسر المراد.

والرابع: أنه عماد وما بعده هو الضمير. وقد غلط من زعم أنه مشتق.

وفيه سبع لغات ـ وقرىء بها: تشديد الياء، وتخفيفها مع الهمزة، وإبدالها هاء مفتوحة ومكسورة. هذه ثمانية يسقط منها فتح الهاء مع التشديد.

﴿أيّان﴾ اسم استفهام؛ وإنما يُستفهم به مع الزمان المستقبل، كما جزم به ابن مالك وأبو حيان، ولم يذكرا فيه خلافاً. وذكر صاحب إيضاح المعاني مجيئها للماضي.

وقال السكاكي: لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم وغيره. وقال بالأول من النحاة علي بن عيسى الرّبَعي، وتبعه صاحب البسيط، فقال: إنها تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظّم أمره.

وفي الكشاف: قيل إنها مشتقة من أيّ، فَعْلان منه، لأن معناه أي وقت؟ وأي فعل؟ من أويت إليه، لأن البعض أوى إلى الكل ومتساند له، وهو بعيد. وقيل أصله أي آن. وقيل أي أوان، حذفت الهمزة من أوان والياء الثانية من أي، وقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء الساكنة فيها. وقرىء بكسر همزتها.

﴿أيْنَ﴾ اسم استفهام عن المكان، نحو: ﴿فأين تَذْهَبُون﴾ [التكوير: ٢٦] ويَرد شرطاً عاماً في الأمكنة.

وأينما أعَمُّ منها، نحو: ﴿أيْنَمَا يُوَجِّهْه لا يَأْت بخير﴾ [النحل: ٧٦].

حرف الباء المفردة

﴿ بَطَائِنها ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي ظواهرها بالقبطية؛ قاله الزركشي وابن شَيْذَلة.

﴿ بلاء ﴾ على ثلاثة معان: نِعْمة، واختبار، ومكروه؛ ومنه: ابْتَلَى ونبلُوكم.

﴿ بارئكم ﴾ خالقكم. وإنما خص هنا اسم البارىء لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العِجْل، كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم. وروي أن من لم يعبد العجل قَتل مَنْ عبده حتى بلغ القتل سبعين ألفاً، فعفا الله عنهم.

﴿ باءُوا ﴾ انصرفوا بذلك. ولا يقال ﴿ باء ﴾ إلا بشّرٍ. ويقال باء بكذا إذا أقرَّ به. والضمير في هذه الآية راجع إلى بني إسرائيل؛ فتارة دعاهم بالملاطفة، وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم؛ وتارة بالتخفيف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذِكْر العقوبات التي عاقبهم بها.

فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء؛ وهي: ﴿ إذْ أَنْجاكم من آل فرعون ﴾ [إبراهيم: ٦]. ﴿ وإذْ فَرَقْنَا بكم البَحْرَ ﴾. [البقرة: ٥٠]. ﴿ وبعثناكم من بعد موتكم ﴾ [البقرة: ٥٦] ﴿ وظَلَّلْنَا عليكمُ الغَمام وأنْزَلْنَا عليكم المَنّ والسَّلْوَى ﴾ [البقرة: ٥٧]. ﴿ وعفونا عنكم ﴾ [البقرة: ٥٢]. ﴿ فتاب عليكم ﴾ [البقرة ٥٤]. ﴿ ويغفر لكم ﴾ [البقرة: ٥٨]. ﴿ وآتَيْنَا مُوسى الكتابَ والفُرْقَان لعلكم تَهْتدون ﴾ [البقرة: ٥٣]. ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنا ﴾ [البقرة: ٦٠].

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء، قولهم: ﴿ سمِعْنَا وَعَصيْنا ﴾ [البقرة: ١٩٣]. ﴿ ثم اتخذْتُم العِجْل ﴾ [البقرة: ٩٢]. وقولهم: ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرة ﴾ [النساء: ١٥٣]. ﴿ فبَدّلَ الذين ظلمُوا ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة: ٦١]. ﴿ ويحرِّفونه ﴾ [البقرة: ٧٥] ﴿ وتَوَلّيتُم من بَعْد

ذَلك﴾ [البقرة: ٦٤]. ﴿وقَسَتْ قُلوبُكم﴾ [البقرة: ٧٤]. ﴿وكُفْرهم بآيات الله﴾ [النساء: ١٥٥]. ﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ [النساء: ١٥٥].

وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء: ﴿ضُرِبت عليهم الذِّلَّةُ والمسكَنَةُ وباءوا بغضب من الله﴾ [البقرة: ٦١]. ﴿ويعطوا الجزية﴾ [التوبة: ٢٩]. ﴿واقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿وكونوا قِرَدةً﴾ [البقرة: ٦٥]. ﴿فأَرْسلْنَا عليهم رِجْزاً من السماء﴾ [الأعراف: ١٦٢]. ﴿وأخذتهم الصاعقة﴾ [النساء: ١٥٢]. ﴿وحَرَّمْنَا عليهم طَيِّبَاتٍ أُحلَّتْ لهم﴾ [النساء: ١٥٨].

وهذا كله جزاءٌ لآبائهم المتقدمين. وخُوطب به المعاصرون لمولانا محمد ﷺ، وقد وُبّخ المعاصرون له توبيخاً آخر؛ وهي عشرة: كتمانهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به و﴿يحرِّفُون الكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦] ويقولون هذا من عند الله، وتَقْتُلُون أنفسكم. ويُخْرِجُون فريقاً مِنْ دِيَارهم. وحرصهم على الحياة وعَدَاوتهم لجبريل. وإثباتهم للسحر. وقولهم: ﴿نحن أبناءُ الله وأَحبَّاؤه﴾. ﴿يَدُ الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿بديع﴾: مخترع، وخالق.

﴿بَثّ فيها﴾: أي فَرّق.

﴿باغ﴾: طالب. وقوله: ﴿غير باغ ولا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]؛ أي لا يبغي الميتة؛ أي لا يطلبها وهو يَجِدُ غيرها، ولا عادٍ في تجاوزه على الشبع؛ ولهذا لم يُجزِ الشافعي الشبع من الميتة. وقال مالك: بل يشبع ويتزوّد، فإن استغنى عنها طرحها، ولم يرخّص - في رواية عنه - للعاصي بسفره أن يأكل الميتة. والمشهور عنه الترخيص له.

﴿باشِرُوهُنّ﴾: المشهور أنه كناية عن الجماع، سُمّي بذلك لمسّ البشرة البشرةَ، والبشرة: ظاهر الجلدة. والأدمة: باطنها، وفيها تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف.

﴿بَسْطة﴾: أي سعة؛ من قولك: بسطت الشيء إذا كان مجموعاً ففتحته

ووسّعته، ووصف في آية البقرة [٢٤٧] طالوت بزيادته على قومه زيادة علمه بالحروب وقيل بالعلم، وكان أطول رجل يصل إلى منكبيه.

قال وهب بن مُنَبه: أوحى اللهُ إلى نبيهم إذا دخل عليك رجلٌ فنَشّ الدهن الذي في القَرَن فهو ملكهم.

وقال السدّي: أرسل الله إلى نبيهم اشمويل وقيل شمعون، وقال له: إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم، فكان ذلك طالوت.

وقوله في الأعراف: [٦٨]: ﴿وزادَكُمْ في الخلق بَصْطَة﴾؛ فمعناه طول قوم عاد كما قدمنا أنّ طول أحدهم مائة ذراع. وكان الظبي يبيض ويُفرخ في عين أحدهم.

﴿بَكّة﴾ هي مكة، والباء بدل من الميم. وقيل: مكة الحرم كله، وبَكة المسجد وما حوله؛ وسمِّيَتْ بذلك لاجتماع الناس فيها من كل أُفق.

وقيل: تَمَكّكْتُ العظم: أي اجتذبت ما فيه من المخ. وتمكك الفَصيلُ ما في ضَرْع الناقة، فكأنها تجذب لنفسها ما في البلاد من الأقوات ببركة دعاء إبراهيم. وقيل: إنها تمكّ الذنوب أي تذهبها. وقيل لقلة مائها، لأنها في بطن واد، تمكك الماء من جبالها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول. وقيل الأصل الباء، ومأخذه من البكّ، لأنها تَبُكّ أعناق الجبابرة، أي تكسرهم فيذلّون لها ويخضعون حُفاة عراة. وقيل من التباكّ وهو الازدحام؛ لازدحام الناس فيها في الطواف.

﴿بيِّنات﴾ يعني أن في مكة آياتٍ كثيرة، منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البِنَاء ارتفع الحجر في الهواء حتى أكمل البناء وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق في الحجر إلى اليوم.

ومنها أن الطير لا تعلوه. ومنها هلاك الفيل وردّ الجبابرة عنه، ونَبْع زمزم

لِهَاجر أمّ إسماعيل بهمز جبريل بعقبه. وحفر عبد المطلب لها بعد دثور مائها، وأن ماءها ينفع لما شُرِب له، إلى غير ذلك.

وكان أول مَنْ بنى المسجد الحرام آدم عليه السلام، فجعل طوله خمسة وعشرين ذراعاً وعَرْضه عشرين، وحج إليه من الهند على قدميه سبعين حجة.

وقيل إنه دُفن فيه. ورُدّ بأن طوله ستون ذراعاً. فقيل: ما فضل منه فهو خارج عن البيت. وقيل: إنه دوّر بالبيت. وهذا فيه ضعف؛ ثم بناه إبراهيم عليه السلام ثم العمالقة مِنْ بعده، ثم قريش حين كان ﷺ ينقل الحجر على عاتقه: وهو الذي وضع الحجر الأسود بتحكيم قريش عنده، ثم بناه الحجاج بعد أن هَدَم بعضه عبدالله بن الزبير.

﴿بيَّت﴾ ؛ أي قدم رأيه بالليل؛ ومنه قوله: ﴿فجاءها بَأْسُنا بَيَاتا﴾ [الأعراف: ٣] وكذلك بيّتهم العدوّ.

﴿بَهيمة﴾ : كلّ ما كان من الحيوان غير ما يعقل. ويقال: البهيمة ما استُبهم من الجواب، أي استغلق.

﴿بَحِيرة﴾ : إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فإن كان الخامس ذَكراً نَحَرُوه، فأكله الرِّجالُ والنساءُ، وإن كان الخامس أنثى بَحَرُوا أذنها؛ أي شقُّوها، وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها. فإذا ماتت حلّت للنساء.

ولما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية: هل تعظَّم كتعظيم الكعبة والْهَدْي؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً لعباده من هذه البدائع التي كانت عندهم؛ وإنما جعلوا الكفّار ذلك.

﴿بَغْتَة﴾ ؛ أي فجأة، وفيه تنبيه على الاستعداد لها والتفكر في أمرها.

﴿بازغاً﴾ : طالعاً. والضمير في الآية يعود على القمر الذي رآه إبراهيم قبل البلوغ والتكليف؛ وذلك أنْ أُمّه ولدَتْه في غَارٍ خَوْفاً من نمرود؛ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبيّ.

ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح، لقوله بعد ذلك: ﴿إني بريءٌ مما تُشْرِكون﴾ [الأنعام: ٧٧]. ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار، لأن ذلك يقتضي محاجّة ورداً على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبيّن لهم الخطأ في دينهم، ويُرْشِدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلهاً لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأُفُولها وانتقالها هو الواحد المنفرد.

فإن قلت: لم احتجّ بالأفول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال؟

قلت: الأفول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

﴿بَيْنكم﴾: [الأنعام: ٩٤] وَصْلكم. ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظّرْف، واستعمله استعمال الأسماء، أو يكون البين بمعنى الفُرْقَة، أو بمعنى الوصل، لأنه من الأضداد. ومن قرأه بالنصب فالفاعل مصدر الفعل، أو محذوف تقديره تقطّع الاتصال بينكم.

﴿بَصَائر﴾ [الأنعام: ١٠٤] جمع بَصِيرة، وهي نور القلب. والبَصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ لقوله: ﴿وما أنا عليكم بحَفِيظ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

﴿بَوَّأَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٤]: أنزلكم، والضمير لقوم صالح، وكانت أرضهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها ﷺ وأصحابه، فقال لهم: لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلا وأنتم باكون مخافةَ أن يُصيبكم مثلُ الذي أصابهم.

﴿بأساً﴾: شدة. ويقال أيضاً: بؤس، أي فقر وسوء حال.

﴿بنَان﴾ : أصابع ، واحدتها بنانة .

﴿براءة﴾ : خروج من الشيء ومفارقته . والمراد التبرّي من المشركين .

﴿بَوَّأْنا﴾ [يونس : ٩٣] ، أي أنزلنا . والمراد أن الله أنزل بني إسرائيل منزلاً حسناً ، وهو مصر والشام . ويقال جعلناهم مُبَوّأً ، وهو المنزل الملزوم .

﴿بادىء الرأي﴾ [هود : ٢٧] : أي أول الرأي من غير نظر ولا تدبر . وبادىء منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم . والعامل فيه اتبعوك على أصحِّ الأقوال . والمعنى اتبعك الأَراذِل ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهْلاً منهم ، واعتقاداً أن الشرف بالمال والجاه ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرفَ منهم على حال فَقْرِهم وخمولهم في الدنيَا ، وهذه عادةُ الله في أتباع الرسل ؛ لا يتبعهم إلا الضعفاء ، لأن المال يُورِثُ التجبّر على الله ورُسله .

وقيل : إنهم كانوا حاكَة ونجّامين .

واختار ابنُ عطية أنهم أرادوا أنهم أرذالٌ في أفعالهم ؛ لقول نوح : وما علمي بما كانوا يعملون . ويحتمل أن يكون بادي الرأي بغير همز ، أي ظاهر الرأي ، أي ظهر لهؤلاء صلاح رأيهم فتهكَّمُوا بهم .

﴿بَعْلاً﴾ : ربًّا ، بلغة اليمن . وأما قوله في الصافّات : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ [الصافات : ١٢٥] ، فهو اسم صنم كان لقوم الياس .

وروى البخاري عن ابن عباس قال : ودّ ، وسُوَاع ، ويغوث ، ويَعُوق ، ونَسْراً ، وبعلاً ؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبُوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسمّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعْبد ، حتى إذا هلك أولئك وتفسخ العلم عبدت .

﴿بَعِير﴾ قال مقاتل : هو كل ما يحمل عليه بالعبرانية . وأخرج البزار عن مجاهد في قوله : ﴿كَيْل بَعير﴾ [يوسف : ٦٥] ؛ أي كَيْل حمار على وجه الجعل .

﴿بِقَيَّة الله﴾ [هود : ٨٦]، أي ما أبقاه الله لكم من الحلال فلا نحرِّمه عليكم، فيه مقنع ورضا عن الحرام.

﴿بَعِدَت﴾ [هود : ٩٥]، أي هلكت. والضمير يعود على قوم صالح.

﴿بَخْس﴾ : نُقصان؛ وإنما نهاهم عن البخس لأنهم كانوا ينقصون في الكيل والوَزْنِ ، فبعث الله شعيباً لينهاهم عن ذلك.

﴿بَثّي﴾ : أي شدّة حُزْني، وإنما ردّ يعقوب شَكواه إلى الله لتفنيدهم، أي إنما أشكوا إلى الله لا لكم ولا لغيركم. والحزن: أشدُّ الهمّ.
فالمعنى أنه لا يصبر عليه صاحبه حتى يشكوه.

﴿بَصِيرة﴾ : إشارة إلى شريعة الإسلام، أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري وحُجَّةٍ واضحة.

﴿بشير﴾ المراد به في قصة يوسف يهوذا، لأنه الذي جاء بقميص الدم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص التَّرْحَة، فدَعُوني أذهب إليه بالفرحة، وهو من البشارة والإعلام بالخير قبل وروده. وقد تكون للشر إذا ذكر معها كقوله: فبَشِّرْهم بعذابٍ أليم - تهكُّماً بهم. ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف. ومنه الْمُبشِّر والبشير، واستبشر بالشيء إذا فرح به.

﴿بعثناهم﴾ : أحييناهم من قبورهم. ويقال: بعث الرسل إلى قومهم ساروا إليهم.

﴿الباقيات الصالحات﴾ [مريم : ٧٦]: هي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. هذا قول الجمهور.

وقد روي في ذلك عن النبي ﷺ. وقيل الصلوات الخمس. وقيل الأعمال الصالحة على الإطلاق.

﴿بارزة﴾ [الكهف : ٤٨]: ظاهرة لزوال الجبال عنها، فليس فيها ظلٌّ ولا

فَيْءٌ ، وقد وصفها ﷺ في الحديث كقرصة النّقْي ليس فيها عَلَم لأحد ، ويقال للأرض الظاهرة البَرَاز .

﴿بَغِيّاً﴾ البَغِي: المرأة المجاهرة بالزِّنى، ووَزْن بَغي فَعُول. ومنه: ﴿ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكم عَلَى البِغَاء﴾ [النور: ٣٣]. وكان لعبد الله بن أبيّ بن سَلول جاريتان، فكان يأمرهما بالزنى لتكتسبا ويولد لهما، ويضربهما على ذلك، فشكتا للنبي ﷺ ، فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فِعْله.

﴿بَهيج﴾ : حسن، أي يبهج مَنْ يَرَاهُ ويسرُّه. والبهجة السرور أيضاً.

﴿بيت عَتِيق﴾: المراد بالبيت [الحج: ٣٣] المسجد الحرام، وسُمِّي عتيقاً لأنه أقدم ما في الأرض ولم يملك. وقيل إن الله يعتق من دخله من النار إذا توفَّاهم على توحيده وما عليه نبيه ﷺ . وقيل العتيق: الكريم، كقولهم فَرَس عتيق.

﴿بَادٍ﴾ : أي قادم عليه. والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك.

﴿بَرْزَخ﴾ [الرحمن: ٢٠]، أي حاجز. والمراد به مكان المؤمنين في المدة التي بين الموت والقيامة، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وأما قوله في الفرقان: ﴿وجعل بينهما بَرْزَخاً﴾ [الفرقان: ٥٣]، أي فاصلاً يفصل ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان. وقيل هذا البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر.

﴿بَغَى عليهم﴾ [القصص: ٧٦]: تكبّر وطَغى. والضمير لقارون؛ وذلك أنه كفَر بموسى للمال الذي أعطاه الله، فدعا عليه فخسف الله به وبداره الأرض لئلا تقول بنو إسرائيل إنما دعا عليه ليرث ماله، لأنه كان ابن عمِّ موسى، وقيل عمه.

﴿بَيض مكنون﴾ [الصافات: ٤٩] شبّه الجواري بالبَيْض بياضاً وملاسة

وصفاءَ لون، وهي أحسن منه، وإنما وقع التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي، وهو المكنون؛ أي المصُون تحت القشر الأول.

﴿بَطْشة﴾ أخذه بشدة، والمراد بها في آية الدخان [١٦] يوم بَدْر. وقال ابن عباس: هي يوم القيامة.

﴿بَدْر﴾: قرية قرب المدينة.

وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: كانت بدر لرجل من جُهينة يسمى بدراً فسُمِّيَتْ به.

قال الواقدي: فذُكر ذلك لعبدالله بن جعفر ومحمد بن صالح فأَنْكرا ذلك، وقالا: فلأي شيء سُميت الصفراء ورابغ. هذا ليس بشيء، إنما هو اسم الموضع.

وأخرج الضحاك قال: بَدْر ماء بين مكة والمدينة.

﴿البيت المعمور﴾ [الطور: ٤]: بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه، وبهذا عُمْرانه.

وقيل البيت المعمور الكعبة، وعمرانها بالحجاج والطائفين، فلا يخلو منهما أبداً إن لم تكن من البشر كانت من الملائكة.

والأولُ قول عليّ وابن عباس.

﴿بَرِقَ البصر﴾ [القيامة: ٧] بفتح الراء، معناه لمع وصار له بريق. وقرىء بكسر الراء، ومعناه تحيَّر من الفزع. وقيل معناه شخص، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

وهذا إخبارٌ عن يوم القيامة. وقيل عن حالة الموت؛ وهذا خطأ؛ لأن القمر لا يُخْسَف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

﴿بَاسِرة﴾ [القيامة: ٢٤]: متكرهة؛ أي تظهر عليها الكراهة، والبسور أشدُّ من العبوس.

﴿بَرْداً﴾ [النبأ: ٢٤]، أي نوماً. وليس بصحيح، وإنما هو البرد؛ يعني أنهم

لا يذوقون فيها بـرودة تخفِّـف عنهـم حـرَّ النـار. وقيـل: لا يـذوقـون مـاءً بارداً.

﴿البلـد الأَمـين﴾ [التين: ٣]، هو مكة باتِّفاق. والأمين من الأمانة، أو من الأمْن لقوله: اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً. وقوله: ﴿أَو لَمْ نُمَكِّن لهم حَرَماً آمِناً﴾ [القصص: ٥٧]؛ أي لا يُغَارُ عليه.

﴿بريّة﴾ [البينة: ٦، ٧] خلق. مأخوذ مِنْ برأ اللهُ الخَلْق، فترك همزها. ومنهم مَنْ يجعلها من البَرَى، وهو التراب لخلق آدم عليه السلام من التراب. وتخفيف الهمز أكثر استعمالاً عند العرب.

﴿بَصِيرة﴾ من البصر، يقال أبصرته وبصرت به. والبصائر: البراهين، جمع بَصِيرة وقوله: ﴿بل الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصيرة﴾ [القيامة: ١٤]، أي من الإنسان على نفسه عَيْن بصيرة، أي جوارِحُه يشهدن عليه بجميع عمله.

وقيل معناه الإنسان بصير على نَفسه. والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت في عَلاّمة ونَسّابة.

ونحو ذلك ﴿مُبْلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] جمع مُبْلس، وهو البائس، وقيل الساكت الذي انقطعت حجَّته. وقيل الحزين النادم. ومنه يبلس؛ ومنه اشتقّ إبليس.

﴿بات﴾ معروف، ومصدره بَيَات

﴿بُكْمٌ﴾: خُرْس. والضمير راجع للمنافقين، وليس المراد به فَقْد الحواس، وإنما هذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم.

﴿برهانكم﴾: حجَّتكم؛ وإنما طلب منهم الحجة على وجه التعجيز والرد عليهم. يقال: بَرْهَن على الشيء إذا بيَّنَه بحجةٍ.

﴿فبُهِتَ الذي كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨]: أي انقطع وقامت عليه الحجة. والضمير يعود على نمرود.

فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن الدليل الأول من الإحياء والإماتة إلى الثاني، والانتقالُ علامة الانقطاع؟.

فالجواب أنه لم ينقطع، ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء كان له حقيقةٌ، وهو فعل الله؛ ومجاز وهو فعل غيره؛ فتعلق نمرود بالمجاز غلطاً منه أو مغالطة؛ فحينئذٍ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني؛ لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدول عنه.

﴿بُروج﴾: حصون، واحدها بُرْج. وبروج السماء من الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً تقطعها الشمس في سنةٍ. وقيل هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرَّج أي تَظْهر.

﴿بُوراً﴾: هَلْكَى.

﴿بُكِيّاً﴾ [مريم: ٥٨] جمع باك، ووزنه فعول، فأدغمت الواو في الياء وكسرت الكاف فصارت بكياً.

﴿بُدْن﴾: جمع بَدَنة، وهي ما جعل في الأضحى للنّذْر والنّحر وأشباه ذلك؛ فإذا كانت للنحر على كل حال فهي جزور.

﴿بُسّت الجِبَال﴾ [الواقعة: ٥]، أي فُتِّتَتْ. وقيل سُيِّرَتْ حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس، أي المبلول.

﴿بُنْيَان مرصوص﴾ [الصف: ٤] لاصق بعضه ببعض لا يغادِر منه شيءٌ منه شيئاً، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة.

﴿برّ﴾، ومنه. ﴿ولكن البِرّ مَنْ آمن بالله﴾. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

﴿بطانَة﴾: دخلاً. وبطانة الرجل أهل سِرّه ممن يسكن إليه ويثق بموَدّته. ومعنى الآية [آل عمران: ١١٨] نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم.

وقيل لعُمر رضي الله عنه إن هنا رجلاً من النصارى لا أحد أحسن خطّاً منه؛ أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذاً أتّخِذُ بطانةً من دون المؤمنين.

﴿بِدَاراً﴾ أن يكبروا [النساء: ٥]: معناه مبادرة لكبرهم؛ يعني أن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر.

وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببداراً، أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا.

﴿بضاعة﴾: قطعة من المال يُتَّجَر فيها.

﴿بِضْعَ سنين﴾: من الثلاثة إلى العشرة. وقيل إلى التسعة. وقيل إلى السبعة.

ورُوي أن يوسف عليه السلام سُجن خمس سنين أولاً، ثم سُجن بعد قوله ذلك سبع سنين.

﴿بِيَع﴾: جمع بيعة النصارى، وهي كنائسهم.

قال الجواليقي في كتاب المعرب: البِيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين.

والمعنى لولا دفاعُ الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهَدَموا مواضع عبادتهم.

﴿بِدْعاً﴾ من الرُّسل. البديع من الأشياء: ما لم يُرَ مثله؛ أي ما كنتُ أولَ رسول ولا جئتُ بأمر لم يجيء به أحد قبلي؛ بل جئتُ بما جاء به قبلي ناس كثيرون، فلأي شيء تنكرون عليّ؟.

﴿الباء حرف جر﴾، له معان:

أولاً: الإلصاق، ولم يذكر له سيبويه غيره. وقيل: إنه لا يفارقها؛ قال في شرح اللب: وهو تعلُق أحد المعنيين بالآخر. ثم قد يكون حقيقة نحو: ﴿وامسحوا برؤُوسكم﴾ [المائدة: ٧]؛ أي ألصقوا المسح برؤوسكم.

﴿فامْسَحُوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [المائدة: ٦]؛ وقد يكون مَجَازاً؛ نحو: ﴿وإذا مَرُّوا بهم يَتَغَامزُون﴾ [المطففين: ٣٠]؛ أي بمكان يقربون منه.

الثاني: التعدية كالهمزة؛ نحو: ﴿ذهب الله بِنُورِهم﴾ [البقرة: ١٧]. ﴿ولو شاء الله لذهب بِسَمْعهم﴾ [البقرة: ٢٠]؛ أي أذهبه، كما قال: ﴿ليُذْهِبَ عنكم الرجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وذهب المبرد والسهيلي أن بين تعدية الباء والهمزة فَرْقاً، وأنك إذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب. وردّ في الآية.

الثالث: الاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل، كباء البَسْمَلة.

الرابع: السببيّة، وهي التي تدخل على سبب الفعل، نحو: ﴿فكُلاًّ أخَذْنَا بذَنْبِه﴾ [العنكبوت: ٤٠]. ﴿ظلمْتُم أنْفُسَكم باتِّخَاذِكم العِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤]. ويعبّر عنها أيضاً بالتعليل.

الخامس: المصاحبة، كمع؛ نحو: ﴿اهْبِطْ بسلام﴾ [هود: ٤٨]. ﴿جاءكم الرسولُ بالحق﴾ [النساء: ١٦٩]. ﴿فسبِّح بِحَمْدِ ربِّك﴾. [النصر: ٣].

السادس: الظرفية، كَفِي زَمَاناً ومكاناً؛ نحو: ﴿نجيناهم بِسَحَر﴾ [القمر: ٣٤]. ﴿نَصَركم اللهُ بِبَدْر﴾ [آل عمران: ١٢٣].

السابع: الاستعلاء كعَلى، نحو: ﴿إنْ تَأْمَنْه بِقِنْطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي عليه.

الثامن: المجاوزة كعن، نحو: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي عنه، بدليل: يسألون عن أنبائكم. ثم قيل: تختصُّ بالسؤال. وقيل لا، نحو: ﴿يسعى نُورُهم بين أيديهم وبأَيمانهم﴾ [الحديد: ١٢]، أي وعن أيمانهم. ﴿ويوم تشقّق السماء بالغَمام﴾ [الفرقان: ٢٥]؛ أي عنه.

التاسع: التبعيض كمِنْ، نحو ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ الله﴾ [الدهر: ٦]، أي منها.

العاشر: الغاية كإلى، نحو: ﴿وقد أحسن بي﴾ [يوسف: ١٠]، أي إليّ.

الحادي عشر: المقابلة، وهي الداخلة على الأعواض، نحو: ﴿ادْخُلُوا الجنّةَ بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢]. وإنما لم نقدِّرها بالسببية كما قالت المعتزلة، لأن المعطي بِعوض قد يُعطي مجاناً. وأما المسبّب فلا يوجد بدون السبب.

الثاني عشر: التوكيد، وهي الزائدة؛ فتزاد في الفاعل وجوباً؛ نحو: ﴿أَسْمِعْ بهم وأَبصر﴾ [مريم: ٣٨]. وجوازاً غالباً؛ نحو: ﴿وكفى بالله شَهيدا﴾ [النساء: ٧٨]؛ فإنّ الاسم الكريم فاعل، وشهيداً نصب على الحال أو التمييز، والباء زائدة؛ ودخلت لتأكيد الاتصال، لأن الاسم في قوله: ﴿كفى بالله﴾ ـ متصل بالفعل اتصالَ الفاعل.

قال ابن الشَّجَري: وفعل ذلك إيذاناً بأنّ الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عُظْم المنزلة، فضوعف لفظها لتضاعف معناها.

وقال الزجاج: دخلت لتضمّن كفى معنى اكتفى.

قال ابن هشام: وهو من الحُسْنِ بمكان.

وقيل: الفاعل مقدّر. والتقدير كفى الاكتفاء بالله، فحُذف المصدر وبقي معموله دالاًّ عليه، ولا تُزَاد في فاعل كفى بمعنى وقى، نحو: ﴿فسيكفيكهم الله﴾ [البقرة: ١٣٧]. ﴿وكفى اللهُ المؤمنين القتال﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وفي المفعول؛ نحو: ﴿ولا تُلْقُوا بأَيديكم إلى التَّهْلُكة﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿وهُزِّي إليك بِجِذْعِ النخلة﴾ [مريم: ٢٤]. ﴿فَلْيَمْدُدْ بسببٍ إلى السماء﴾ [الحج: ١٥]. ﴿ومَنْ يُرِد فيه بإلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وفي المبتدأ، نحو: ﴿بأَيِّكُمُ المفتُون﴾ [ن: ٦]، أي أَيكم. وقيل: هي ظرفية، أي في أي طائفة منكم.

وفي اسم ليس في قراءة بعضهم: ﴿وليس البرّ بأن تأتوا﴾ [البقرة: ١٨٩] ـ بنصب البر.

وفي الخبر المنفي؛ نحو: ﴿وما الله بغافلٍ﴾ [آل عمران: ٩١]. قيل: والموجَب، وخرّج عليه: «جزاء سيئة بمثلها».

وفي التوكيد، وجعل منه: ﴿يتربَّصْنَ بأَنفُسهنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فائدة

اختلف في الباء من قوله: ﴿وامسحوا بِرُؤوسكم﴾ [المائدة: ٧]، فقيل للإلصاق. وقيل للتبعيض. وقيل زائدة. وقيل للاستعانة؛ وإن في الكلام حذفاً وقلباً، فإن مسح يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه وإلى المزيل بالباء، فالأصل امسحوا رؤوسكم بالماء.

﴿بل﴾: حرف إضراب إذا تلاها جملة. ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها، نحو: ﴿وقالوا اتَّخذَ الرحمنُ وَلداً سبحانه بل عِبَادٌ مُكْرَمون﴾ [الأنبياء: ٢٦]، أي هم عباد مُكْرَمُون. ﴿أم يقولون به جِنَّةٌ بل جاءهم بالحق﴾ [المؤمنون: ٧١].

وتارة يكون معناها الانتقال من غرض إلى آخر؛ نحو: ﴿ولدينا كتابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ وهم لا يظلمون. بل قلوبُهم في غَمْرةٍ من هذا﴾ [المؤمنون: ٦٣، ٦٤]. فما قبل ﴿بل﴾ فيه على حاله. وكذا قوله: ﴿قد أفلح مَنْ تَزَكّى وذكر اسم ربه فصلّى. بل تؤثرون الحياةَ الدنيا﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥، ١٦].

وذكر ابنُ مالك في شرح كافيته أنها لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه. ووهّمه ابن هشام. وسبق ابن مالك إلى ذكر ذلك صاحبُ البسيط، ووافقه ابن الحاجب، فقال في شرح المفصل: إبطال الأول وإثبات الثاني إن كانت في الإثبات من باب الغلط، فلا يقع مثله في القرآن.

أما إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف ولم يقع في القرآن كذلك.

﴿بلى﴾: حرف أصلي الألف. وقيل: الأصل بل، والألف زائدة. وقيل هي للتأنيث بدليل إمالتها.

ولها موضعان: أحدهما أن تكون ردّاً لِنَفْيٍ يقع قبلها، نحو: ﴿ما كنّا نَعْمَلُ مِنْ سوءٍ بلى﴾ [النحل: ٢٨]، أي عملتم السوء. ﴿لا يبعَثُ اللهُ مَنْ يموت بلى﴾ [النحل: ٣٨]، أي يبعثهم. ﴿زعم الذين كفروا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا. قل بلى وربي لتبعَثُنّ﴾ [التغابن: ٧]. ﴿قالوا: ليس علينا في الأمِّيِّين سَبِيل﴾ [آل عمران: ٧٥]. ثم قال: ﴿بلى﴾؛ أي عليهم سبيل. ﴿وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الجنّةَ إلا مَنْ كان هُوداً أو نصارى﴾ [البقرة: ١١١]، ثم قال: ﴿بلى﴾، أي يدخلها غيرهم. ﴿وقالوا لن تَمَسَّنَا النارُ إلا أياماً معدودة﴾ [البقرة: ٨٠]. ثم قال: ﴿بلى﴾، أي تمسّهم ويخلدون فيها.

الثاني: أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نَفْيٍ فتفيد إبطالَه. سواء كان الاستفهام حقيقة، نحو: أليس زيد بقائم؟ فتقول: بلى. أو توبيخاً، نحو: ﴿أم يَحْسَبُون أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجْوَاهم، بلى﴾ [الزخرف: ٨٠]. ﴿أيحسب الإنسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامه. بلى﴾ [القيامة: ٣، ٤].

أو تقريريّاً، نحو ﴿أَلَسْتُ بِرَبّكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ٣]. قال ابن عباس وغيره: لو قالوا: نعم... كفَروا، ووجهه أن ﴿نعم﴾ تصديق للخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم قالوا: لست ربنا؛ بخلاف بلى؛ فإنها لإبطال النفي، فالتقدير أنتَ ربُّنا.

ونازع في ذلك السهيلي وغيره بأن الاستفهام التقريري خبر موجَب، ولذلك منع سيبويه مَنْ جعل أم متصلة في قوله: ﴿أفلا تبصرون أم أنا خير﴾ [الزخرف: ٥١]؛ لأنها لا تقع بعد الإيجاب. وإذا ثبت أنه إيجاب فنَعَمْ بعد الإيجاب تصديق له.

قال ابن هشام: ويُشْكِل عليه أن ﴿بلى﴾ لا يُجاب بها عن الإيجاب اتفاقاً.

﴿بئس﴾: لإنشاء الذم لا يتصرّف. وقريء بالهمز وتركه. وقريء على وزن فيعل وعلى وزن فيعيل، وكلها من معنى البؤس.

﴿بين﴾: قال الراغب: موضوع للخَلَل بين الشيئين ووسطهما. قال تعالى:

﴿وجعلنا بينهما زَرْعا﴾ [الكهف: ٣٢]، وذلك أن أخوين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر وَرِثا مالاً فاشترى الكافر بماله جنتَيْن، وأنفق المُؤْمِنُ ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيَّره الكافر بفقره فأهلك الله مالَ الكافر.

وتارة تُستعمل « بين » ظرفاً، وتارة اسماً، فمن الظرف: ﴿لا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيِ الله﴾ [الحجرات: ١]. ﴿فقدّموا بين يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدقة﴾ [المجادلة: ١٢]. ﴿فاحْكُمْ بيننا بالحقّ﴾ [ص: ٢٢].

ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو: بين البلدان، أوله عددٌ مَّا اثنانِ فصاعداً؛ نحو: بين الرجلَيْن، وبين القوم.

ولا تضَافُ إلى ما يقتضي معنى الوحدة إلا إذا كرّر؛ نحو: ﴿ومِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ﴾ [الأنعام: ٩٤]. وقرىء قوله تعالى: ﴿لقد تقطّع بينكُمْ﴾ [فصلت: ٥] بالنصب على الظرف، وبالرفع على أنه مصدر.

حرف التّاء المثناة

﴿تَلقّى آدمُ﴾ [الأنعام: ٣٧]؛ أي أخذ، وقبل؛ على قراءة الجماعة. وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات؛ فتلقى على هذه من اللقاء.

﴿توّاب﴾: من أسماء الله. والتوّاب من العَبْد: كثير التوبة.

﴿تاب﴾، إذا رجع. وتاب الله على العبد: ألهمه التوبة، أو قبل توبتَه.

﴿تَجْزي﴾: تقضي وتُغْنِي. ومنه: ﴿لا تَجْزِي نَفسٌ عن نَفْسٍ شيئاً﴾ [البقرة: ٤٨]. يقال جزاه فلان دَيْنَه إذا قضاه. وتجازى فلان ديْن فلان: أي تقاضاه. والمتجازي: المتقاضي.

﴿تَتْلُون﴾: تقرؤون.

﴿تنسون﴾: تتركون.

﴿تَلبِسُون﴾ [آل عمران: ٧١]: تخلطون.

﴿تَعْثَوا﴾: تفسدوا.

﴿تعقلون﴾ العاقل الذي يحبس نفسَه ويردها عن هواها. ومن هذا قولهم: اعتقل لسان فلان؛ إذا حبس ومنع من الكلام.

﴿تَسْفِكون﴾ تصبّون.

﴿تَظَاهَرُون﴾ [البقرة: ٨٥]: تتعاونون.

﴿تقتلون أنفُسَكم﴾ في هذا وفيما بعدها جاء مضارعاً مبالغة؛ لأنه أُريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ، لولا أن الله عَصَمه. وضمير هذه الآية لقُرَيظة؛ لأنهم كانوا حلفاء الأوس، والنَّضير حلفاء الخزرج، وكان كلٌّ فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به.

﴿تَهْوَى أَنفُسكم﴾ [البقرة: ٨٧]، أي تميل. ومنه: ﴿أفرأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلههُ هَوَاه﴾ [الجاثية: ٢٣]، أي ما تميل إليه نفسه.

﴿تشابهت قلوبُهم﴾ [البقرة: ١٨] الضمير للذين لا يعلمون والذين من قبلهم، وتشابُهُ قلوبهم في الكفر، وفي طلب ما لا يصح أن يُطْلب. وهو قولهم يكلِّمنا الله.

﴿تصريفِ الريَاحِ ﴾ [البقرة: ١٦٤]: تحويلها من حال إلى حال جنوباً وشمالاً ودَبُوراً وصَباً وما بينها بصفات مختلفة؛ فمنها مُلقِحَةٌ للشجر، وعقيم وصر، وللنصر وللهلاك، كأنه تعالى يقول: خلقت الخفاش من الريح، وحفظت ملك سليمان فوق الريح، وأهلكت قوم عادٍ بالريح، ولقحت الشجر بالريح، ونحتُّ ورَقها بالريح.

ونظيره: أخرجت ناقة صالح من الحجر، وأدخلت ولدها في الحجر، وأهلكت قوم لوط بالحجر.

ونظيره: خلقتُ إبليس من النار، وحفظت إبراهيم في النار، وعذّبت الكفار في النار.

ونظيره: خلقت آدَم من التراب، وحفظتُ أصحاب الكهف في التراب، وأهلكت قوم عاد بالتُّراب، كلُّ ذلك إشارة لكم أنه ملك قادر وصابر قاهر.

﴿تَهْلُكة﴾ [البقرة: ١٩٤]: هلاك. قال أبو أيوب الأنصاري: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد. وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العَيْلة، وقيل: لا تقْنَطوا من الغربة. وقيل: لا تقتحموا المهالك.

﴿تَرَبُّص أربعةِ أشهُر﴾ [البقرة: ٢٢٦]؛ أي تمكث. والآية في الإيلاء، إلا أنَّ مالكاً جعل مدة إيلاء العبْد شهرين، خلافاً للشافعي. ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم، خلافاً للشافعي في قصره الإيلاء على الحلف بالله؛ ووجهُه أنها اليمين الشرعية. ولا يكون مُولياً عند مالك والشافعي

إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر. وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعداً. فإذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاقُ دون توقيف. ولفظُ الآية يحتمل القولين.

﴿تَختَانُونَ انفُسَكم﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ أي تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان.

﴿تَعْضُلوهنَّ﴾: تمنعوهن من التزويج. وأصله من عضلت المرأة إذا نشب ولدُها في بطنها وعند خروجه.

﴿تيَمَّمُوا﴾؛ أي تقصدوا الرديء للنفقة.

﴿تَسْأَمُوا﴾: تملُّوا من الكتابة إذا ترددت وكثُرَت، سواء كان الحق صغيراً أو كبيراً.

﴿تَرْتَابُوا﴾: تشكّوا.

﴿توراة﴾ معناه الضياء والنور.

﴿تأويل﴾: مصير ومَرْجع وعاقبة. يقال فلان تأوّل الآية؛ أي نظر إلى ما يؤول معناها إليه.

وقد قدمنا الأخبار عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذَمِّه لمن طلب عِلْمَ ذلك من الناس؛ وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

﴿تَخْلقُ من الطِّين﴾ [المائدة: ١١٣]؛ أي تقدّر؛ يقال لمن قدر شيئاً فأصلحه قد خلقه، فأما الخَلْق الذي هو الإحداث فهو لله وحده. قيل إن عيسى لم يخلق غير الخفاش.

﴿تَقْوى﴾: مصدر مشتقٌّ من الوقاية، فالتاء بدل من واو، ومعناه الخوف، والتزام طاعةِ الله، وتَرْكُ معاصيه؛ فهو جِمَاع كلِّ خير.

﴿تهِنُوا﴾: تضعفوا، وفيه تقوية للمؤمنين.

﴿تَفرّقوا﴾ ، من الفرقة ، وهي القطيعة ، فنهى المؤمنين عن التدابُر والتقاطع ؛ إذ كان الأوس والخَزرَجُ يقتتلان لما رأى اليهود إيقاعَ الشر بينهم .

﴿تَمنَّوْن الموت﴾ [آل عمران : ١٤٣] ، من التمنّي . وخُوطب به قوم فاتتهم غزوةُ بَدْرٍ فتمنَّوْا حضورَ قتال الكفار مع النبي ﷺ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد ؛ فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد ، وهو سبب الموت .

فإن قلت : قد صح النهي عن تَمَنِّي لقاء العدو .

فالجواب : إنما نهي عن تمني لقائهم مع العدد القليل ؛ ولذلك قال ﷺ : وسَلُوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا للقائهم ، وتمنّوا الشهادة في سبيل الله لنُصْرَةِ دينه .

﴿تَحُسُّونَهم﴾ [آل عمران : ١٥٢] : تقتلونهم قتلاً ذَرِيعاً ، يعني في أول الأمر .

﴿تنَازَعْتُم﴾ ، يعني وقع التنازع بين الرُّماة ؛ فَثبت بعضُهم كما أمِروا ، ولم يثبت بعضهم ، فعفا الله عنهم بفضله ورحمته .

﴿تَعُولوا﴾ [النساء : ٣] : تميلوا . وفي الآية إشارة إلى الاقتصار على الواحدة . والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن تَعُولوا . وقيل : يكثر عيالكم ؛ وهذا غير معروف في اللغة .

﴿تَغْلُوا في دينكم﴾ [النساء : ١٧١] تجاوزوا الحدَّ ، وترتفعوا عن الحق ؛ وهذا الخطاب للنصارى ؛ لأنهم غلوا في عيسى حتى قالوا ابن الله .

﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾ [المائدة : ٣] : تستفعلوا ، وهو طلبُ ما قسم له ، وذلك أنهم كانوا يكتبون على الأزلام ـ وهي السِّهَام ـ على أحدها : افْعَلْ ، وعلى الآخر : لا تَفْعَلْ ، والثالث مهمل ؛ فإذا أراد الإنسان أن يفعل أمراً جعلها في خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ؛ فإن خرج الذي فيه « افعل » فعل ، وإن خرج الذي فيه « لا تفعل » تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب . ومن هذا المعنى أخذ

الفأل في المصحف والقرعة وزَجْر الطير، ونحوهما مما لا يجوز فعله. وقد شدَّدَ ابن العربي في النظر في شيء منها حتى جعلها من الكفر والعياذ بالله، مستدلاً بالآية: ﴿ذلكم فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]. وإنما حرّمه الله وجعله فِسْقاً لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها لما يُرام به من الاطلاع على الغيوب.

﴿تَنْقِمُون منّا﴾ [المائدة: ٥٩]: أي تُنكرون منّا إلا إيماننَا بالله، وبجميع كتبه ورسله؛ وذلك أمر لا ينكر ولا يُعاب. ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الذين يُؤمن بهم، فتلا آمنا بالله وما أنزل إلينا... إلى آخر الآية. فلما ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به.

﴿تَبُوء بإثْمي وإثمِك﴾ [المائدة: ٢٩]: أي تنصرف بإثمي إذا قتلتني، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قُرْبانك. أو بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي. وإنما تحمَّل القاتل الإثمين لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: المستبان ما قالاَ فهو على البادي. وقيل بإثمي؛ أي تحمل عنّي سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في يوم القيامة ذنوب المظلوم.

﴿تُصغي﴾: تميل. ومنه: ﴿قد صَغَت قلوبُكما﴾ [التحريم: ٤].

﴿تَلقَف﴾ [الأعراف: ١١٧، طه: ٦٩، الشعراء: ٤٥]، وتلقَم وتلهم بمعنى تبتلع. ويقال: تلقّفه والتَقَفَهُ، إذا أخذه أخذاً سريعاً. وروي أن الثعبان أَكَلَ ما صوَّروا من كذبهم، ملء الوادي، من حبالهم وعصيِّهم، ومدَّ موسى يده إليه فصار عصاً كما كان، فعلم السحرةُ أن ذلك ليس من السحْرِ، وليس في قُدْرة البشر؛ فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام.

﴿تجلّى﴾، أي ظهر وبان، أما تجلّي الرب للجَبَل فإنما كان ذلك لأجل موسى؛ لأنه سأل رُؤيته، فقال له: لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلّى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصَّبْر لرؤيتي ولهَيْبَتي أمكنَ أَنْ ترى

أَنتَ، وإن لم يُطِقْ فأَحرى ألاّ ترى أنتَ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالاً لموسى. وقال قوم: المعنى سأتجلّى لك على الجبل؛ وهو ضعيف، يبطله قوله: ﴿فلما تجلَّى ربُّه للجبل﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ورُوِيَ أن طائرين ذكراً وأنثى كانا في الجبل، فلما سمعا طلبَ موسى الرؤيَة قال لها الذَّكَر: نَفِرُّ من هذا الجبل، لأنّا لا نقدر على رؤية الحق. فقالت له: نقرُّ فيه لنفوز بحظ الرؤية، فيكون لنا فَخْرٌ على سائر الطيور. فقال لها الذكر: إذاً فيكون ذلك لك. فلم تجلى الحقُّ للجبل تفتّتَ حتى صار غُباراً، وساخ في الأرض، وأفضَى إلى البحر؛ ولهذا كان رأي الأنثى فاسداً؛ لقوله ﷺ: شاوِرُوهنّ وخالفوهن.

﴿تأذّنَ ربّك﴾ [الأعراف: ١٦٦]: أعلم. وتَفَعّل يأتي بمعنى أفعل؛ كقولهم أوعدني وتوعّدني.

﴿تَغَشّاها﴾: علاها بالنكاح. فسبحانَ مَنْ خاطب العرب بلغاتهم؛ إذ كانوا يتصرّفون بالتسمية لمسمى واحد، كالجماع؛ فتارة كنى عنه سبحانه بالسر والقُرْب والنكاح.

وكانوا يوسعون في التسمية لاختلاف أحواله بأسماء، كتسمية طِفْلِ بني آدم ولداً، ومن الخيل فَلُوًّا ومُهْراً، ومن الإبل حواراً وفَصِيلاً، ومن البقر عِجْلاً، ومن الغنم سَخْلة، ومن الأَرْنَب خِرْنقاً، ومن الغزال خِشْفاً، ومن الكلب جَرواً؛ إلى غير ذلك.

ويداً تلوّثَتْ بلحم غَمِرة، وبطين لَثِقَة، وبطيب عَبِقة، وبوسخ وَضِرَة، إلى غير ذلك.

وكطعنته بالرمح، وضربته بالسيف، ورميته بالسهم، ووكَزْتُه بالعصا وباليد، ورَكَلْته بالرِّجل؛ إلى غير ذلك.

ويدل علي اتّساع اللغة وكثرة فنونها أنهم قد جعلوا بألفاظها شبهاً بمعنى،

فقالوا: خَلاَ، ولِمَا كثُرَت حلاوته احْلَوْلَى، وللخشن إذا زادت خشونته اخشَوْشَن. ولثوبٍ خلقٍ إذا زاد رثاثةً اخلَوْلَق. ولحائط مَيْل - بإسكان وسطه ليكون ميله ثابتاً، وحرّكوه فيما يتحرك كشجرة مَيل، وكالنّزَوَان وكالرَمَلان والْغَلَيان ليشبه لفظه معناه.

وبدائعُ اللغة كثيرةٌ، وحكمها وإعجازها في القرآن، ولا يحيط بجميعها إلا نبينا ومولانا محمد ﷺ.

﴿تَصْدِية﴾ [الأنفال: ٣٥]: تَصْفيق بإحدى يديه على الأخرى، فيخرج بينهما صوتٌ؛ وكانوا يفعلونها عند البيت إذا صلّى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم.

﴿تَفشَلوا وتَذهب رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٧]: تجْبُنوا وتذهب دولتكم؛ وهو استعارة.

﴿تَثْقَفَنّهم في الْحَرْب﴾ [الأنفال: ٥٨]: تظفر بهم؛ والضمير عائد على بني قُرَيظة؛ لأنهم نقضوا العهد.

﴿تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: ٤٩]؛ أي تؤثمني. وقائل هذه المقالة الجَدّ بن قَيْس؛ وكان من المنافقين لما دعا رسول الله ﷺ إلى غزوة تَبُوك؛ فقال: ائذن لي في القُعود ولا تَفْتِنِّي برؤية بني الأصفر؛ فإني لا أصبر على النساء.

﴿تَزهَق أَنفُسهم﴾ [التوبة: ٥٥]؛ أي تهلك؛ وهذا إخبار بأنهم يموتون على الكفر.

﴿تَزِيغُ قُلُوبُ فريقٍ منهم﴾ [التوبة: ١١٧]؛ أي تميل عن الحقّ. وهذا الضمير راجع إلى من اتّبعه ﷺ في غزوة العُسْرة لما رأوا من الضّيق والمشقّة، فتاب الله عليهم عما كانوا يفعلون فيه.

﴿تَفِيض مِنَ الدمْعِ﴾ [التوبة: ٩٣]؛ أي تبكي وتسيل أَعينُهم بالدموع حين قال لهم ﷺ: لا أجد ما أحملكم عليه في غزوة تَبُوك. وفي هذا مدح لبني

مُقرن. وقيل سبعة نَفَر مِنْ بطون شتى، ويكفيك وصفهم بالإحسان ونُصْحهم لله ولرسوله.

﴿تَبْلُو﴾: تختبر ما قدمت من الأعمال. وقرىء تتلو - بتاءين، بمعنى تتبع، أو تقرؤه في المصاحف.

﴿تَغْنَ بالأَمْس﴾ [يونس: ٢٤]: تعمر. والمغاني: المنازل التي يعمرها الناس بالنزول.

﴿تَرْهقهم﴾: تَغشَاهم. والضمير للذين كسبوا السيئات فلا يعصمهم أحد من عذاب الله. ومنه قولهم: غلام مُرَاهِق؛ أي غشي الاحتلام.

﴿تَبْدِيل﴾ [يونس: ٦٤]: تغيير الشيء عن حاله، والإبدال جعل الشيء بمكان شيء. وقد استدل ابنُ عمر بهذه الآية على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدِّله.

﴿تَخْرُصون﴾ [الأنعام: ١٤٨]: تحدسون وتحزرون.

﴿تَلْفِتَنا﴾، أي تصرفنا وتردّنا عن دين آبائنا.

﴿تَزْدَري أعْيُنكم﴾ [هود: ٣١]، أي تحتقر. والمراد من قولك زريت على الرجل عبته. والضمير في ﴿لكم﴾ عائد على ضعفاء المؤمنين.

﴿تَتْبِيب﴾ [هود: ١٠١]: تخسير؛ أي كلما دعوتكم إلى هذا ازددتم تكذيباً، فزادت خسارتكم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جُبير في قوله: ﴿ولِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الإسراء: ٧]. قال: تبره بالنبطية.

﴿تَرْكَنُوا﴾؛ أي تركنوا إليهم وتسكنوا إلى كلامهم. ومنه قوله: ﴿لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤]. وفي الحديث: يُجَاءُ بالظلمة ومَنْ برى لهم قلماً أوألَان لهم دواة فيلقون في توابيت مِنْ نارٍ فيلقى بهم في النار.

وانظر كيف عطف عدمَ نصرتهم بثم لبُعْد النصرة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون

على عدم نصرتنا لدين الله وشَرَهنا لموالاة الظلمة، وجعنا لجِيَفهم كالكلب الشره لها، ولم تعلموا أنه كالنفط في جوف خشبة الجسم، فإذا هبَّتْ عواصفُ المنون التهب وفات التدارك، اللهم إنا عاجزون عن إصلاح أنفسنا، فمنَّ علينا بهداية تجبر بها حالنا المظلمة، لأنك لا تحب الظالمين، ورحمتك قريب من المحسنين.

﴿تَعْبُرون﴾ [يوسف: ٤٣]؛ أي تعرفون تأويل الرؤيا، يقال عبرت الرؤيا - بتخفيف الباء. وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب.

﴿تأويل الأحاديث﴾: تفسير الرؤيا.

﴿تركْتُ مِلّةَ قَوْم﴾ [يوسف: ٣٧]؛ أي رغبت عنها. والتركُ على ضربين: أحدهما - مفارقة ما يكون الإنسان عليه. والآخر - ترك الشيء رغبة عنه من غير دخولٍ كان فيه. ويحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلاً لما قبله من قوله: علمني ربي. أو يكون استئنافاً.

﴿تَبْتَئِس﴾: تحزن، وهو من البؤس.

﴿تَفتأُ﴾ [يوسف: ٨٥]: أي لا تفتأُ، والمعنى لا تزال. وحذف حرف النفي؛ لأنه تلبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتاً لكان مؤكداً باللام والنون.

﴿تَثرِيب﴾؛ أي تعيير وتوبيخ. والمراد عفو جميل. وقوله ﴿اليوم﴾ راجع إلى ما قبله، فيوقف عليه؛ وهو يتعلق بالتثريب، أو بالمقدَّر في ﴿عليكم﴾ من معنى الاستقرار. وقيل: إنه يتعلق بيغفر؛ وذلك بعيد؛ لأنه تحكّم على الله، وإنما يغفر دعاء؛ فكأنه أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لا تَثرِيبَ عليكم اليوم﴾ [يوسف: ٩٢]، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقّه.

﴿تَحَسَّسُوا﴾ - بالمهملة والمعجمة: طلبُ الشيء بالحواس السمع والبصر؛ أي تعرفوا يوسف وأخيه، وإنما لم يذكر الولد الثالث لأنه بقي هناك اختياراً منه؛ لأن يوسف وأخاه كانا أحبّ إليه.

﴿تَيْئَسُوا﴾: تقنطوا.

﴿تَغِيض الأرحام وما تَزْدَاد﴾ [الرعد: ٩]؛ أي تنقص. وتزداد من

الزيادة، فقيل: إن الإشارة إلى دم الحيض، فإنه يقل ويكثر. وقيل للولد؛ فالغيض السقط أو الولادة لأقل من تسعة أشهر. والزيادة البقاء أكثر من تسعة أشهر. ويحتمل أن تكون «ما» في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد موصولة أو مصدرية.

﴿تَهْوِي إليهم﴾ [إبراهيم: ٣٧]: تقصدهم بجد وإسراع؛ ولهذه الدعوة حبّب الله حَجّ البيت إلى الناس، على أنه قال: ﴿من الناس﴾ بالتبعيض. قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس لحجَّته فارس والروم.

﴿تَسْرَحون﴾؛ أي حين تَرُدُّونها بالغداة إلى الرعي.

﴿وتُريحون﴾ [النحل: ٦] حين تردُّونها بالعَشِيِّ إلى المنازل؛ وإنما قدم تريحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر؛ لأنها ترجع وبطونُها ملأى وضروعها حافلة.

﴿تَمِيد﴾ [النحل: ١٥] تتحرك، وهو في موضع مفعول من أجله. والمعنى أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض. وروي أن الله لما خلق الأرض جعلت تَمُور، فقالت الملائكة: لا يستقر على ظهرها أحد، فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال.

﴿تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٦] فيه وجهان:

أحدهما: أنّ معناه على تنقُّص، أي ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يُهلكهم جملة واحدة؛ ولهذا أشار بقوله: ﴿فإن ربكم لرَؤُوف رحيم﴾ [النحل: ٤٧]؛ لأن الأخذ هكذا أخفّ من غيره. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشكل عليه معنى التخوف في الآية حتى قال له رجل من هُذَيل: التخوف التنقص في لغتنا.

الوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي يهلك قوماً قَبْلَهم فيتخَوَّفُوا هُمْ ذلك فيأخذهم بعد أن توقَّعوا العذاب وخافوه؛ وذلك خلاف قوله: وهم لا يشعرون.

﴿تَقْفُ﴾ [الإسراء: ٣٦] المعنى: لا تقل ما لم تعلم من ذمّ الناس، وشبه ذلك. واللفظ مشتقٌّ من قفوته إذا تبعته.

﴿تَبْذِيراً﴾: تفريقاً. ومنه قولهم: بذرت الأرض، أي فرّقت البذر فيها، أي الحب. والتبذير في النفقة الإسراف فيها، وتفريقها في غير ما أحل الله. والإخوة في قوله: ﴿إخوان الشياطين﴾ [الإسراء: ٢٦] للمشاركة والاجتماع في الفعل؛ كقولك: هذا الثوب أخو هذا؛ أي يشبهه. ومنه قوله تعالى: ﴿وما نُريهم من آية إلاّ هي أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها﴾ [الزخرف، ٤٨]؛ أي من التي تشبهها وتُواخيها.

﴿تَخْرِق الأرض﴾ [الإسراء: ٣٧]: تقطعها وتبلغ آخرها. وقيل معناه: لا تقدر أن تشقّ في جميعها بالمشي. والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخُيَلاء؛ أي إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خَرْق الأرض ولا على مُطاولة الجبال، فكيف تتكبَّر وتختال في مشيك، وإنما الواجب عليك التواضع

﴿تَبِيعاً﴾ [الإسراء: ٦٩] أي طالباً مطالبّاً.

﴿تَزَاوَرُ﴾ [الكهف: ١٧]: أي تميل وتَمُور؛ولهذا قيل للكذب لأنه أميل عن الحق.

﴿تَقْرِضهم﴾: تخلِّفُهم وتجاوزهم، وهو من القرض بمعنى القطع، ومعنى هذا أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها؛ فقيل: إن ذلك كرامة من الله لهم، وخَرْقُ عادة. وقيل: كان باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نَعْش، فلذلك لا تصيبهم الشمس. والأول أظهر؛ لقوله: ذلك مِنْ آياتِ الله. والإشارةُ إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة؛ وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بالجملة.

﴿تحسبهم﴾؛ أي يظنهم من يراهم أيقاظاً.

﴿تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ أي تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا. قال

الزمخشري: عَدَاه إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمّن معنى نَبَت عينُه عن الرجل إذا احتقره.

﴿تَذْروه الرِّياح﴾ [الكهف: ٤٥]؛ أي تفرقه. ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خُضْرته.

﴿تَخِذْت﴾: بمعنى اتخذت، أي أخذت طعاماً تأكله.

﴿تَنْفَد﴾ [الكهف: ١١٠]: تفنى. وفي الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى. والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات؛ فمعنى الآية: لو كُتِبَ عِلْمُ اللهِ بمداد البحر لنفِدَ البحر ولم يَنْفَد علم الله؛ وكذلك لو جيء ببحر مثله، وذلك أن البحر مُتَنَاه وعلم الله غير مُتَناه.

﴿تؤُزُّهم أزّا﴾ [مريم: ٨٣]: أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي. والإشارة إلى الكفر، وفيه تسلية له ﷺ.

﴿تَجْهر﴾: تُعلن. ومنه: ﴿ولا تَجْهَرْ بصلاتك﴾ [الإسراء: ١١٠]. وأما قوله تعالى: ﴿وإن تَجْهَرْ بالقول﴾ [طه: ٧]؛ فطابق الشرط جوابه، كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى.

﴿تذكرة﴾ [طه: ٣] نصب على الاستثناء المنقطع. وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من موضع ﴿لتشقى﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجِنْسَين. ويصح أن ينصب بفعلٍ مضمر تقديره أنزلناه تذكرة.

﴿تنزيلاً﴾ نصب على المصدرية، والعامل فيه مضمر. وأما أنزلنا في لفظ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ما أنزلنا، ثم رجع إلى الغيبة في قوله تنزيلاً ممَّن خلق الأرض... الآية؛ فذلك هو الالتفات.

﴿تَسْعى﴾: تعمل. ومنه: ﴿لسعْيها راضية﴾ [الغاشية: ٩].

﴿تَزِرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤، والزمر: ٧].

﴿تَعْلُو﴾ من العلو، وهو الكبر والتجبُّر.

﴿تَرْدَى﴾ [طه: ١٦]: تهلك، وهذا الفعل منصوب في جواب ﴿لا يصدنّك﴾.

﴿تَنِيَا﴾: أي تضعفا أو تقصرا. والوني هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿تَظْمَأ﴾: تعطش.

﴿تَضْحَى﴾: تبرز للشمس.

﴿تَشْقَى﴾: تتعب. وخص آدم بهذا الخطاب؛ لأنه كان المخاطب به أولاً، والمقصود بالكلام. وقيل: إن الشقاء في معيشة الدنيا مختصّ بالرجال.

﴿تَبْهَتُهم﴾ [الأنبياء: ٤٠]، أي تفجؤهم. وهذا الخطاب لمن استعجل القيامة أو نزولَ العذاب. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهم﴾ [الأنبياء: ٩٣]: أي اختلفوا فيه، وهو استعارة من جَعْل الشيء قطعاً. والضمير لجميع الناس، أو المعاصرين له ﷺ. والمعنى إنما بعثت الأنبياء المذكورين بما أمرتُ به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقين في العقائد فلم تقطعتم.

﴿تَنْبُتُ بالدُّهْن﴾ [المؤمنون: ٢٠]، يعني الزيت. وقرىء تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال؛ كقولك جاء زيد بسلاحه. وقرىء بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها أن أنبت بمعنى نبت. والثاني حذف المفعول، تقديره تنبت ثمرتها بالدهن. والثالث زيادة الباء.

﴿تَتْرَى﴾ [المؤمنون: ٤٤] وزنه فَعْلى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوع موضعَ الحال؛ أي متواترين واحداً بعد واحد، فمن قرأه بالتنوين فألفه للإلحاق. ومن قرأه بغير تنوين فألفه للتأنيث ولم ينصرف وتأنيثه لأن الرسل

جماعة. والتاء الأولى فيها بدل من واو، وهي فاء الكلمة. ويجوز في قول الفراء أن تقول في الرفع تترا، وفي الخفض تترا، وفي النصب تترا، الألف بدل من التنوين.

﴿تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]: ترفعون أصواتكم بالدعاء. ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة أو يكون بلسان الحال.

﴿تَنْكِصون﴾ [المؤمنون: ٦٦]؛ أي ترجعون إلى وراء؛ وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن.

﴿تَهْجرون﴾: مَنْ قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون ﴿الهُجْرَ﴾ بضم الهاء، وهو الفحشاء من الكلام. ومَنْ قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهَجر بفتح الهاء؛ أي تهجرون الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين. أو من قولك: هجر المريض إذا هَذَى؛ أو يقولون اللغو من القول.

﴿تَلَقَّوْنَهُ بِألسنتكم﴾ [النور: ١٥]؛ أي يأخذه بعضكم من بعض. وخاطب بهذا الكلام مُعَاتباً لمن خاض في الإفْك، وإن كانوا لم يُصدِّقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلّية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء؛ وهي تلقّيه بالألسنة، أي السؤال عنه وأخذه من المسؤول. والثاني قولهم ذلك. والثالث أنهم حسبوه هيِّناً وهو عند الله عظيم.

وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارةُ إلى أن الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا ذلك حقيقة بقلوبهم. وقرىء تُلْقُونه من الإلقاء، وهو استمرار اللسان بالكذب.

﴿تَبَارَك﴾، تفاعل، من البركة، وهي الزيادة والنّمَاء والكثرة والاتساع؛ أي البركة تُكتسب وتُنال بذكره. ويقال تبارك تقدَّس، أي تطهّر. ويقال تبارك تعاظم، وهو فِعْلٌ مختص بالله تعالى لم يُنْطق له بمضارع.

﴿تشقّق السماء﴾: تتفطّر.

﴿تَغَيُّظاً﴾ [الفرقان: ١٢] التغيظ: الصوت الذي يُهَمْهِم به المتغايظ، والتغيظ لا يُسمع؛ وإنما يُسمع أصوات تدل عليه، ففي لفظه تجوّز.

﴿تَبَسَّم﴾ التبسم: أول الضحك الذي لا صوتَ له؛ وتبسُّمه كان لأحد أمرين: إما سروره لما أعطاه الله، أو لثناء الله عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وهم لا يشعرون﴾ وصفٌ لهم بالتقوى والتحفظ من مضَرّة الحيوان.

﴿تَقَلّبك في الساجدين﴾ [الشعراء: ٢١٩]: معطوف على ضمير المفعول في قوله «يراك». والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد. وقيل معناه: يرى صلاتك مع المصلين. وفي ذلك إشارة إلى الصلاة في الجماعة. وقيل: يرى تقلّب بصرك في المصلين خَلْفك؛ لأنه ﷺ كان يرى من وراء ظهره.

﴿تَحْتَك﴾: أي تحت رجليك. وأما قوله: ﴿فناداهَا مَنْ تحتها﴾ [مريم: ٢٤] - بفتح الميم وكسرها - فقد اختلف على القراءتين هل هو جبريل أو عيسى؟ وعلى أنه جبريل قيل: إنه كان تحتها كالقابلة لها. وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها. قال أبو القاسم في لغات القرآن: فناداها من تحتها؛ أي بطنها بالنبطية ونقل الكرماني في العجائب مثله عن مؤرّج.

﴿تَقَاسَمُوا باللهِ﴾ [النمل: ٤٩]: أي حلفوا به. وقيل: إنه فعل ماض؛ وذلك ضعيف. والصحيح أنه فعل مضارع، والضمير يعود على قوم صالح؛ أي قال بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه لنقتلُنّه وأهله بالليل. وهذا الفعل الذي حلفوا عليه.

﴿تأْجُرَنِي﴾ [القصص: ٢٧]: تكون أجيراً لي. وهذا الخطاب كان من شُعيب لموسى عليهما السلام حين زوَّجه بنته صَفُورا على أن يخدمه ثمانية أعوام. قال مكّي: في هذه الآية خصائص في النكاح؛ منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حدّ أوّل الأمَد، وجعل المهر إجارة.

وهذا لا ينهض، لأن التعيين يحتمل أن يكون عند عَقْد النكاح بعد هذه المراودة. وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عَقْدَ نكاح، وإنما كان مواعدة. وأما ذِكْرُ أوّل الأمد فالظاهر أنه كان من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقرره شَرْعُنَا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: قد زوجتكما بما معك من القرآن أي على أن تعلِّمَهَا ما معك من القرآن.

وقد أجاز النكاحَ بالإجارة الشافعيُّ وابنُ حنبل وابنُ حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك؛ وقال: هذه قضية عينية.

﴿تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]: أي تمنعان الناس عن غنمهما. وقيل: تذودان غنَمهما عن الماء حتى يسقِيَ الناس. وهذا أظهر؛ لقولها: ﴿لا نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعَاء﴾؛ أي كانت عادتها لا يسقيان غَنَمهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس، أو لضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس.

﴿تَوَلَّى إلى الظل﴾ [القصص: ٢٤]، أي جلس في ظل سَمُرة لشدة ما نزل به من الجوع والتعب الذي لحقه في سَقْي الغنم؛ وأكثَرُ ما يستعمل الذَّوْد في الغنم والإبل، وربما استُعمِل في غيرهما. ويقال: سنَذُودكم عن الجهل علينا، أي سنَكُفّكم ونمنعكم. وفي حديث الحوض: إني على الحوض أنتظر مَنْ يرد عليّ منكم فيجيء ناس ويُذادون عنه، فأقول: يارب؛ أُمَّتي، أُمَّتي؛ فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك! إنهم ارتدُّوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا همل النعم.

وروى الترمذي عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: أعيذك بالله يا كعب بن عُجْرة من أمراء يكونون بعدي؛ فمن غشي أبوابهم فصدّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يَرِدُ عليَّ الحوض. ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يُعِنْهُمْ على ظلمهم فهو مني وأنا منه، ويرد عليَّ الحوض. يا كعب بن عُجرة؛ الصلاة برهان، والصبر جُنّة حصينة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار. يا كعب بن عُجرة؛ لا يربو لهم نبت من سُحْت إلا كانت النار أولى به.

﴿تَصْطَلُون﴾ : معناه تستدفئون بالنار من البرد ، ووزنه تفتعلون ، وهو مشتق من صَلِيَ بالنار ، والطاء فيه بدل من تاء .

﴿تَنُوء بالعُصْبَة﴾ [القصص : ٧٦] : معناه تثقل . يقال : ناء به الجبل إذا أثقله . وقيل : معنى تنوء تنهض بتحمّل وتكلف . والوجه على هذا أن يقال إن العُصْبَة تنوء بالمفاتح ، لكنه قَلْب ، كما جاء قَلْبُ الكلام عن العرب كثيراً ، ولا يحتاج إلى قَلْب على القول الأول .

﴿تَفْرح﴾ الفرح هنا هو الذي يقود إلى الإعجاب والطُّغيان . ولذلك قال : ﴿إنّ اللهَ لا يحبُّ الفَرِحين﴾ [القصص : ٧٦] ؛ أي الأشِرين . وأما الفرح بمعنى السرور فيما يجوز فليس بمكروه .

﴿تَخْلقون إفْكاً﴾ [العنكبوت : ١٧] هو من الخلقة ، يريد نَحْتَ الأصنام ، فسماه خِلْقَه على وَجْه التجاوز . وقيل : هو من اختلاق الكذب .

﴿تَتَجافَى جُنُوبُهم﴾ [السجدة : ١٦] : أي ترتفع . والمعنى يتركون مَضَاجِعهم بالليل من كثْرة صلاتهم للنوافل . ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ حظّه من هذا إن شاء الله .

﴿تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب : ٢٧] هذا وعد بفتح أرضٍ لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر ؛ فأورث الله المسلمين جميعَ ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب . ويحتمل عندي أن يريد به أرض قُرَيظة ؛ لأنه قال أورثكم بالفعل الماضي ، وهي التي كانوا قد أخذوها . وأما غيرها من الأرضين فإنما أخذوها بعد ذلك ، فلو أرادها لقال يورِثكم ؛ وإنما كررها بالعطف ليصفها بقوله : لم تطئوها ؛ أي لم تدخلوها قبل ذلك .

﴿تَبَرَّجْن تَبَرُّجَ الجاهليَّةِ الأولى﴾ [الأحزاب : ٣٣] : وهو إظهار الزينة ، فنهى الله نساءَ النبي ﷺ أن يفعلن مثْلَ ما كان نساءُ الجاهلية يفعلن من

الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام. وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح. وقيل ما بين موسى وعيسى.

﴿تناوش﴾ [سبأ : ٥٢] بالواو، والتناول أخوان؛ إلاّ أنّ التناوش تناوُل سهل لمكان قريب. وقرئ بهمز الواو. ويحتمل أن يكون المعنى واحداً، أو يكون المهموز بمعنى الطلب.

ومعنى الآية استِبْعادُ وصولهم إلى مرادهم، والمكان البعيد عبارة عن تَعذُّر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا يكون، وهو رجوعُهم إلى الدنيا، أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿تَسَوَّرُوا﴾ [ص: ٢١]: نزلوا من ارتفاع، ولا يكون التسوُّر إلا من فوق. وجاءت هذه القصةُ بلفظ الاستفهام؛ تنبيهاً للمخاطب، ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يُلْقى البال لها. وجاء بضمير الجمع لأن المتسوِّر للمحراب اثنان فقط، ونفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، وأقلُّ الجمع اثنان. ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ، فيقع على جميعهم. والمحراب: الأرفع من القصر أو المسجد؛ وهو موضع التعبد. وروي أنهما جبريل وميكاييل، بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود، وهي نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفُتْيَا هي واقعة عليه في نازلته. ولما فهم المراد أناب واستغفر.

﴿تَوَارَتْ بالحِجَاب﴾ [ص: ٣٢]: الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذِكْرُها، ولكنها تُفهم من سياق الكلام، وذِكْرُ العشيّ يقتضيها. والمعنى حتى غابت الشمس. وقيل الضمير للخيل. والمعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها. والأوّل أظهر وأشهر.

﴿تَرَكْنَا عليهِ في الآخِرين﴾ [الصافات: ٧٨، ١٠٨، ١٢٩]، يعني أبقينا له ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة.

﴿تَقْشَعِرُّ منه﴾ [الزمر : ٢٣]: تنقَبضُ. والضمير راجع للقرآن المتقدِّم الذكر لفصاحته وعدم اختلافه.

﴿تَلِينُ جلودهم﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ أي تميل وتطمئن إلى ذكر الله.

فإن قيل: كيف يتعدَّى تلينُ بإلى ؟

فالجواب أنه تضمَّن معنى فِعْلٍ يتعدى بإلى، كأنه قال: تسكن قلوبُهم إلى ذكر الله.

فإن قيل: لِمَ ذَكَر الْجُلود أولاً وحدها، ثم ذكر « قلوبهم » بعد ذلك معها ؟

فالجواب أنه لما قال أولاً تقشعر ذكر الجلود وحدها ؛ لأن القَشْعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها. ولما قال ثانياً، تلين، ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود. أما لينُ القلوب فهو ضد قسوتها، وأما لينُ الجلود فهو ضد قشعريرتها ؛ فاقشعرتْ أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء.

﴿تقلُّبُهم في البِلاَد﴾ [غافر : ٤]: أي تصرُّفهم فيها للتجارة. وفي هذا تسلية له ﷺ ؛ كأنه قال له: لا يحزنك يا محمد تصرُّفُهم وأمْنُهم وخروجهم من بلد إلى بلد ؛ فإن الله محيط بهم قادر عليهم.

﴿تَخْتَصمون﴾ [الزمر : ٣١]: يعني الاختصام في الدماء. وقيل في الحقوق. والأظهر أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون مِنْ تمام ما قبله. ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من التظالم وغيرها. ولما نزلت قال بعض الصحابة: أوَ تعاد علينا الخصومة يوم القيامة؟ قال: نعم، حتى يُقَادَ للشاة الْجَلحَاءِ من الشاة القَرْنَاء.

﴿تلاق﴾: اللقاء، ومنه: ﴿لينذرَ يوم التّلاَقِ ﴾ [غافر : ١٥]. والمراد به يوم القيامة. وسُمِّي بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه. وقيل: لأنه يلتقي فيه أهلُ السماء وأهل الأرض. وقيل: لأنه يلتقي الخَلْقُ مع ربهم. والفاعل بينذر ضمير يعود على من يشاء، أو على الروح، أو على الله.

﴿تَناد﴾ [غافر : ٣٢] بالتشديد ـ من نَدّ البعير إذا مضى على وجهه. وبالتخفيف من التنادي، وهو يوم يَتَنَادَى فيه أهلُ الجنة وأهل النار: أن قد وجَدْنا ما وعدنا ربُّنَا حقّا. وأن أفيضوا علينا من الماء. ونادى أصحاب

الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم. وينادي المنادي الناس. ومنه قوله: ﴿يوم نَدْعُو كلّ أُناس بإِمَامهم﴾ [الإسراء: ٧١].

﴿تغَابن﴾ [التغابن: ٩]: نقْص في المعاملة والمبايعة والْمُقَاسمة. وأما يوم التغابُن فهو يَوْم يغْبنُ أهل الجنة أهل النار؛ لأنهم غبنوهم في منازلهم التي كانوا ينزلون فيها لو كانوا سعداء؛ فالتغابن على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين؛ كقولك تضارب وتقابل؛ إنما هي فعل واحد، كقولك: تواضع؛ قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: يعني نزول السعداء منازل الأشقياء، ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين. قال: وفيه تهكّم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن السعداء. .

﴿لِتأْفِكَنَا عن آلِهتنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]: تَصْرِفنا عنها.

﴿تضَعَ الْحَرْبُ أوزارَها﴾ [محمد: ١]: الأَوْزَار في اللغة الآثام، لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين. واختلف في الغاية المرادة هنا؛ فقيل حتى يسلم الجميع، وحينئذ تضعُ الحرب أوزارها. وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم. وقيل: حتى ينزل عيسى ابن مريم. قال ابن عطية: ظاهرُ اللفظِ أنها استعارة يُرَاد بها التزام الأمر أبداً، كما تقول: إنما أفعل ذلك إلى يوم القيامة.

﴿تَعْساً﴾ [محمد: ٨]، أي هلاكاً وعثاراً؛ وانتصابُه على المصدريّة، والعامل فيه فِعلٌ مُضمر، وعلى هذا الفعلِ عطف قوله: وأضلّ أعمالهم. ويقال التعس أن يخرّ على وجهه. والنكس أن يخر على رأسه.

﴿تَزَيّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥]؛ أي تَمَيَّزُوا عن الكفار. والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان؛ أي لو انفصلوا عن الكفار لعذّبْنَا الكفار.

﴿تَفِيء﴾ [الحجرات: ٩]: ترجع إلى الحق؛ وأَمَرَ الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية؛ وذلك إذا تبين أنها باغية، فأما الفتن التي تقَعُ بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال. هذا مذهبُ سعد بن أبي وقّاص وأبي ذَرّ وجماعة من الصحابة؛ وحُجّتُهم قوله ﷺ: قِتَال المُسلم كُفْر، وأمْرُه عليه السلام بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوضَ فيها واجب؛ لتكفَّ الفئة الباغية. وهذا مذهب عليّ وطلحة وعائشة وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء؛ وحجتُهم هذه الآية، فإذا فرّعنا على القول الأول فإن دخل داخلٌ على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فعليه دَفْعُه عن نفسه، وإن أدّى ذلك إلى قتله، لقوله عليه الصلاة والسلام: مَنْ قُتل دون نفسه وماله فهو شهيد.

وإذا فرّعنا على القول الثاني فاختلف مع من يكون النهوض في الفِتَن؛ فقيل مع السواد الأعظم. وقيل مع العلماء. وقيل مع مَنْ يرى أنّ الحقّ معه. وحكمُ القتال في الفتن ألا يُجهز على جريح، ولا يُطْلَب هارب، ولا يُقتل أسير، ولا يقسم فَيْء.

﴿تلْمِزُوا أَنفسكم﴾ [الحجرات: ١١]: اللَّمْز العَيْب، سواء كان بقولٍ أو إشارة أو غير ذلك.

﴿تَنَابَزُوا بالألقاب﴾ [الحجرات: ١١]: أي لا يَدْعُ أَحدٌ أحداً بلقبٍ. وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

﴿تَجَسّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] قد قدمنا أنه بالحاء المهملة والمعجمة. وقيل بالمعجمة في الشرّ، وبالمهملة في الخير. وقيل بالمعجمة هو للمكان وبالمهملة الدخول والاستعلام.

﴿تَمُور السماء﴾ [الطور: ٩]: تجيء وتذهب. وقيل: تدور. وقيل تشقق. وذكر الجواليقي والثعالبي أنه فارسي معرّب.

﴿تسير الجبال﴾ [الطور: ٩]: أي تسير كما يسير السحاب. ومنه: ﴿وتَرَى

الجبالَ تحسبها جامدةً وهي تمرُّ مَرَّ السحاب﴾ [النمل : ٨٨] . ومرورها يكون في أول أحوال القيامة ثم ينسفها اللهُ خلالَ ذلك فتكون كالعِهْنِ ، ثم تصير هباءً منبثّاً .

﴿تَأْثِيم﴾ [الطور : ٢٣] : أي لَغْو الكلام الساقط . والتأثيم الذنب ، فهو بخلاف خَمْر الدنيا .

﴿تَمَارَوْا﴾ [القمر : ٣٦] : تشككوا . والضميرُ عائد على قوم لوط .

﴿تجْرِي بأعيننا﴾ [القمر : ١٤] قد قدّمنا أنه عبارة عن حفظ الله ورَعْيه للسفينة .

﴿تَرَكْناها آيـة﴾ [القمـر : ١٥] : الضمير لقصـة قَـوْم نـوح ، أو الفعـلـة للسفينة . وروي في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائلُ هذه الأمة .

﴿تَنْزِع الناسَ﴾ [القمر : ٢٠] : أي تقلع الريحُ قومَ عاد من مواضِعِهم .

﴿تَطْغوا في الميزان﴾ [الرحمن : ٨] : تجاوزوا القدر والعدل ، وإنما كرر الميزان اهتماماً بأمره . وقيل : أراد العمل .

﴿تَحْرُثُون﴾ [الواقعة : ٦٣] : أي إصلاح الأرض بالحرث وإلقاء البذر فيها .

﴿تَخْلُقونه﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق .

﴿تعلمون﴾ [الواقعة : ٦١] : معناه ننشئكم في خِلْقَةٍ لا تعلمونها على وجهٍ لا تصل عقولكم إلى فهمه ؛ فمعنى الآية أن الله قادر على أن يُهلكهم وعلى أن يبعثهم ، ففيها تهديد واحتجاج على البعث ، ولذا ختمها بقوله : أفلا تَذكّرون . وحضّ على التذكر والاستدلال بالنَّشْأَةِ الأولى على النشأة الآخرة ، وفي هذا دليل على صحة القياس .

﴿تَزْرَعُونه﴾ [الواقعة: ٦٤] المراد بالزراعة هنا إنباتُ ما يُزرع، وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يَدّعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: لا يقولنّ أَحَدُكم زرعت، ولكن يقول حرثت. وقد يقال لهذا زَارع. ومنه قوله: يعجب الزّرَّاعَ.

﴿تَفَكَّهون﴾ [الواقعة: ٦٥]، أي تطرحون الفاكهة، وهي المسرّة، يقال: رجل فكه، إذا كان مسروراً مُنْبَسط النّفس. ويقال تفكّه إذا زالت عنه الفاكهة فصار حزيناً، لأن صيغة تفعل تأتي لزوال الشيء، كقولهم: تحرّج وتأثّم إذا جانب الحرج والإثْم، فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حُطَاماً. وقد عبّر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تفجعون. وقيل: تندمون. وقيل تعجبون. وهذه معان متقاربة. والأصل ما ذكرناه.

﴿تَذْكرة﴾؛ أي تذكِّرُ بنار جهَنّم.

﴿تجعلون رِزْقَكم﴾ [الواقعة: ٨٢]: قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر إنه نزل بِنَوْءِ كذا وكذا؛ فالمعنى تجعلون شكرَ رزقكم التكذيبَ، فحذف شكراً لدلالة المعنى عليه. وقرأ علي بن أبي طالب: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وكذا قرأ ابن عباس، إلا أنه قرأ تُكذِّبون ـ بضم التاء والتشديد، كقراءة الجماعة. وقراءة علي بن أبي طالب بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب؛ أي يكذبون في قولهم: نزل المطر بِنَوْءِ كذا. ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب؛ فأما مَنْ قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما مَنْ قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب.

والمنهيّ عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً في المطر، وأما مراعاةُ العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بَأْسَ به؛ كقوله ﷺ: إذا نشأت بَحْرية ثم تشاءمت فتلك عَيْن غُدَيْقَة.

وقال عمر للعباس ـ وهما فـي الاستسقاء: كم بقي من نَوْء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً. قال ابن المسيّب: فما مضت سبع حتى مُطِروا.

وقيل: إن معنى الآية تجعلون سببَ رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ؛ فإنهم كانوا يقولون إن آمنّا حرمنا اللهُ الرِّزْق، كقولهم: إن نتبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا؛ فأنكر الله عليهم ذلك. وإعراب «أنكم» على هذا القول مفعول بتجعلون على حَذْفِ مضاف، تقديره تجعلون رزقكم حاصلاً من أجل أنكم تكذبون.

وأما على القول الآخر فإعرابُ أنكم تكذّبون مفعولاً لا غير.

﴿تشتكي إلى الله﴾ [المجادلة: ١]: ضمير المؤنث يعود على خَوْلة بنت حَكِيم على أحد الأقوال لَمَا ظاهر منها أَوس بن الصامت الأنصاري، وكان الظِّهَارُ في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبَّداً؛ فلما فعل جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله؛ إنّ أَوْساً أكل شبابي، ونثرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهَرَ منّي.

فقال ﷺ: ما أراكِ إلاّ قد حَرُمْتِ عليه. فقالت: يا رسول الله؛ لا تفعَلْ فإني وحيدة ليس لي أهْلٌ سواه. فراجعها ﷺ بمِثْلِ مَقَالته، فرجعت إلى الله؛ وقالت: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفَقْري.

وقيل: إنها قالت اللهم إن لي منه صبيةً صغاراً إن ضَمَمْتُهم إليّ جاعوا، وإن ضممتُهم إليه ضاعوا. فأنزل الله كفّارة الظهار. وهكذا عادته سبحانه في كل ملهوف يرجع إليه يفرج عنه.

﴿تَحَاوُرَكما﴾ [المجادلة: ١]؛ أي مراجعتكما. وضمير التثنية يعود على النبي ﷺ، وخَوْلة.

قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان مَنْ وسِعَ سمعه الأصوات! لقد كنْتُ حاضرةً، وكان بعض كلام خَوْلة يخفى عليَّ، وسمع الله كلامها، ونزل القرآن

في ذلك؛ فبعث رسول الله ﷺ في طلب زوجها، وقال له: أَتعتق رَقبةً؟ فقال: والله ما أَملكها. فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله ما أَقْدِر. فقال: أَتُطْعِمُ ستين مسكيناً؟ فقال: لا أَجِد إلا أَنْ يُعينني رسولُ الله ﷺ بمعونة وصلاةٍ ـ يريد الدعاء؛ فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، ودعا له؛ فكفّر بالإطعام، وأمسك زوجه.

﴿تَفَسَّحُوا﴾ [المجادلة: ١]: توسعوا، ونزلت الآية بسبب ازْدِحَام الناس في مجلس رسول الله ﷺ، وحرصهم على القُرْبِ منه.

وقيل نزلت في مقاعد الحرب والقتال. وقيل: أقام النبي ﷺ قوماً من مَجْلسه ليُجْلِسَ أشياخاً من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية.

ثم اختلف: هل هي مقصورة على مجلسه ﷺ أَوْ هي عامَّةٌ في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة؛ ويدل على ذلك قراءةُ «المجلس» بالإفراد.

وذهب الجمهور إلى أنها عامَّة؛ ويدلّ على ذلك قراءة «المجالس» بالجمع؛ وهذا هو الأصحُّ، ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس. والتَّفَسُّحُ المأمورُ به هو التوسع دون القيام؛ ولذلك قال ﷺ: لا يَقُومُ أَحدٌ من مجلسه، ثم يجلس الرجلُ فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا.

وقد اختلف في هذا النَّهْي عن القيام من المجلس لأحَدٍ؛ هل هو على التحريم أو الكراهة؟

﴿تَحْرِير رقبة﴾ [المجادلة: ٣]؛ أي عِتْقها، وجعل الله الكفّارةَ في الظهار ثلاثة أنواع مرتبةً، لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجزَ عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني. والرقبةُ ترجمة عن الإنسان، ولا يشترط فيها الإيمان، بخلاف القَتْل واليمين.

﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩]: لزموها واتخذوها مسكناً.

والدار: المدينة، والضمير يعود على الأنصار؛ لأنها كانت بلدهم.

فإن قيل: كيف تُبوِّأ الدار والإيمان، وإنما تُتبوَّأ الدار؛ أي تُسكن ولا يُتبوَّأ الإيمان؟

فالجواب من وجهين ـ الأول: أن معناه تبوءُوا الدار وأخلصوا الإيمان؛ فهو كقوله: عَلَفْتُهَا تِبناً وماءً بَارِداً، تقديره علفتها تِبناً وسقيْتُها ماء بارداً. الثاني أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكّنهم فيه، كما جعلوا المدينة كذلك.

فإن قيل: قوله [الحشر: ٩]: من قبلهم - يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سَبْقهم لهم بنزول المدينة فلا شكّ فيه، لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكلٌ؛ لأن أكثر المهاجرين أَسْلَمُوا قبل الأنصار.

فالجواب مِنْ وجهين: أحدهما أنه أراد بقوله: مِنْ قبلهم: مِنْ قبل هجرتهم. والآخرُ أنه أراد تَبَوّءوا الدار مع الإيمان معاً؛ أي جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمانِ لا بنزول الدار؛ فيكون الإيمانُ على هذا مفعولاً معه.

وهذا الوجه أحسنُ؛ لأنه جوابٌ عن السؤال. وعن السؤال الأول بأنه إذا كان الإيمان مفعولاً به لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلْزَم إلا إن كان الإيمان معطوفاً على الدار.

﴿تعاسَرْتُم﴾ [الطلاق: ٦]؛ أي تضايقْتُم. والمعنى إن تشطّطت الأم على الأب في أجرة الرضاع، وطلبَتْ منه كثيراً فِللأبِ أَنْ يستَرْضِعَ لولده امرأةً أخرى بما هو أَرْفَق به إلاَّ ألاَّ يقبل الطفل غير ثَدْيِ أُمّه فتُجْبَر حينئذ على رضاعه بأجْرَة مثلها، ومثل الزوج؛ فلا تضيع الزوجة ولا يكلّف هو ما لا يطيق.

وفي هذه الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف الناس، وهو مذهب

مالك، خلافاً لأبي حنيفة؛ فإنه اعتبر الكفاية. ومَنْ عجز عَنْ نفقة امْرَأتِه فمذهبُ مالك دون الشافعي أنها تطلّق عليه خلافاً لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب.

﴿تَفاوُت﴾ [الملك: ٣]: أي مِنْ قلَّةِ تناسُب وخروج عن الإتقان.

والمعنى أن خلقة السموات في غاية الإتقان، بحيث ليس فيها ما يَعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف. وقيل: أراد خِلْقَة جميع المخلوقات. ولا شك أنَّ جميع المخلوقات متقنةٌ، ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات والأرض لورودها بعد قوله: ﴿خلق سبْعَ سَمٰوات طِبَاقاً﴾ [الملك: ٣]، فكأن قوله: «ما ترى في خَلْق الرحمن من تَفَاوُت» بَيَانٌ وتكميل لما قبله. والخطاب في قوله: ما ترى، وارجع البصر، وما بعده للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر.

﴿تكاد تَمَيَّزُ من الغَيْظ﴾ [الملك: ٨]: أي تكاد جهنم تنفصل بعضها من بعض لشدة غَيْظها على الكفّار؛ فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غَيْظَ الزبانية. والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذْكر بعد هذا. وغيظُ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراكٍ يخلقه الله لها، أو يكون عبارة عن شدتها.

﴿تَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]: الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير «لنجعلها» وهذا يُقَوِّي أن يكون للفعْلَةِ.

والأُذُن الواعية: هي التي تحفظ ما تسمَعُ وتفهمه. يقال: وعيت العلم إذا حصلته؛ ولذلك عبَّر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله. ورُوِي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب: إني دعوتُ الله أن يجعلها أذنك يا عليّ. قال عليّ: فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعْته. قال الزمخشري: إنما قال: أذن واعية ـ بالتوحيد والتنكير للدلالة على قِلَّةِ الوُعاة، ولتوبيخ الناس بقلة مَنْ يَعِي منهم، وللدلالة على أنّ الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله فهي المُعْتَبرة عند الله دون غيرها.

﴿تَرْجُون للهِ وَقاراً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنّ الوقَار بمعنى التوقير والكرامة؛ فالمعنى ما لكم لا تَرْجُون أن يوقّركم الله في دار ثوابه. قال ذلك الزمخشري. وقوله: «لله» على هذا بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفةً لوقاراً.

والثاني: أن الوقار بمعنى التُّؤَدة والتثبيت. والمعنى ما لكم لا ترجون لله تعالى متثبتين حتى تتمكّنوا من النظر بوقاركم. وقوله «لله» على هذا مفعول دخلت عليه اللام؛ كقولك: ضربت لزيد، فإعرابُ «وقاراً» على هذا مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء على هذا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى العظمة، والسلطان؛ فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمةَ الله وسلطانه، ولله على هذا صفة للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار، من قولك وقَر في المكان إذا استقرّ فيه. والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو في النار.

﴿تحرَّوا رَشَدا﴾ [الجن: ١٤]: أي قصدوا الرشد. واختار ابن عطيَّة أن يكون هذا ابتداءً لكلام الله، لا من كلام الجنّ.

﴿تَبتَّلْ﴾ [المزمل: ٨]: أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه. وقيل التبتلُ رَفْض الدنيا.

وقد امتثل ﷺ فكان قليلَ الأمل كثير العمل لم يشقق نهراً، ولا شيّد قصراً، ولا غرس نَخْلاً، ولم يضرب قطّ بيده إلا في سبيل الله وقام لله حتى تَوَرَّمَتْ قدماه؛ فمن شاهد أحواله، وسمع أخلاقه وأفعاله وآدابه وبدائع تدبيره لمصالح الخَلْق، ومحاسن إشارته في تفضيل ظاهر الشَّرْع المعجز للعلماء عن درك أوائل دقائقها طولَ أعمارهم لم يَبْقَ عنده رَيْبٌ في أنّ ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة،

وأنه لا يتصور إلا بتأييد سماوي؛ إذ لا يصح للمبس؛ لأن شمائله ﷺ شواهدُ قاطعة بصدقه، فسبحان من أعطى وأثنى بقوله تعالى: ﴿وإنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، صلَّى الله عليه وسلَّم أفضل صلاة وأزكى تسليم.

﴿ترجفُ الأرْضُ والجِبَال﴾ [المزمل: ١٤]: أي تَهْتَزُّ وتتزلزل، وذلك يوم القيامة المتقدم الذكر.

﴿تَتَقُون إن كَفَرْتُم﴾ [المزمل: ١٧]: أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم. وقيل: هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم. وقيل: هو ظرف؛ أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة! ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفاً تقديره اذكروا.

﴿تصدَّى﴾ [عبس: ٦]: أي تعرّض له.

﴿تَلَهَّى﴾ [عبس: ١٠]: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لَهِيتُ عن الشيء إذا تركته.

ورُوِي أنّ رسول الله ﷺ تأدَّبَ بما أدَّبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير، ولا تعرّضَ لِغَني؛ وكذلك اتبعه الفُضَلاء من أصحابه. وانظر كيف كان الفقراءُ في مجلس سفيان كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنَّوْن أن يكونوا فُقَراء. ونحن عكسنا في القضية، وصرنا إلى أسوأ حال؛ لمخالفتنا الشريعة المحمدية.

﴿تذكرة﴾ [عبس: ١٠]: فيها وجهان: أحدهما ـ أن هذا الكلام المتقدم تذكرة؛ أي موعظة للنبي ﷺ. والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس؛ فلا ينبغي أن يُؤْثر فيه أحد على أحد. وهذا أرجح، لأنه يناسبه.

﴿تَرْهَقها﴾ [عبس: ٤١]: تغشاها. والضمير يعود على وجوه الكُفَّار.

﴿تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]؛ أي استطار واتّسع ضوؤه. والضمير يعود على الصبح؛ وهو استعارة.

﴿تَسْنِيم﴾ [المطففين: ٢٧]: اسم عَلَمٍ لعَيْنٍ في الجنة يشربُ به المُقَرَّبون

صرفاً، ويخرج منه الرحيقُ الذي يَشْرب منه الأبرار؛ فدلّ ذلك على أن درجات المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

ويقال: تسنيم عيْنٌ تجري مِنْ فوقهم تَتَسَنَّمُهُمْ في منازلهم؛ تنزل عليهم من عال. يقال تسنّم الفحل الناقة إذا علاها.

﴿تَخَلَّت﴾ [الانشقاق: ٤]: تفعلت، من الخلوة.

﴿تَرَائب﴾ [الطارق: ٧]، عظام الصدر، واحدها تَريبة. وقيل هي الأطراف كاليدين والرجلين. وقيل: هي عصارة القَلْب. ومنه يكون الولد. وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصُّلْب. والأول هو الصحيح المعروف في اللغة؛ ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القِلاَدَةِ ما بين ثديي المرأة. ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها. وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿تَزَكَّى﴾: تتطهر من الذنوب بالعمل الصالح.

﴿تردّى﴾ [الليل: ١١]: تميل وتسقط في القبر أو في جهنم، أو تردّى بأكفانه من الرداء. وقيل هذا الكلام في أبي سفيان بن حرب. وهذا ضعيف؛ لقوله: فَسَنُيسِّرُه لِلْعُسْرى. وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك. والصحيح أنه لم يخل بذلك الإطلاق.

﴿تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]: تلتهب وأصله تَتَلَظَّى، فأسقطت إحدى التاءين استثقالاً لهما في صدر الكلمة. ومثله: [illegible] عنه تلّهى.

﴿تنزل الملائكة﴾ [القدر: ٤]، أي إلى الأرض. وقيل إلى السماء الدنيا؛ وهو تعظيم لليلة القدر. وقيل رحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿تَقْهر﴾ [الضحى: ٩]: أي على ماله وحقه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه. ووجوه القهر كثيرة، والنهي يَعُمُّ جميعها.

﴿تَنْهَر﴾ [الضحى: ١٠]: من الانتهار والزجر؛ فالنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل، كما قال: فقُلْ لهم قولاً ميسوراً.

﴿تبَّتْ﴾ [المسد: ١]: أي خسرت.

﴿تُغْمضوا﴾ [البقرة: ٢٦٧]: من قولك أَغْمَض فلان عن بعض حقّه إذا لم يستوفه. وأغمض بصره. ومعنى الآية: لستم بآخذين الخبيث من الأموال ممَّن لكم قبَله حقٌّ إلاَّ عَلَى إغماض أو مسامحة، فلا تؤدوا في حق الله ما لا ترضون مثله من غرمائكم. ويقال تغمضوا فيه؛ أي ترخصوا فيه. ومنه قول الناس للبائع: أغْمض وغمّض؛ أي لا تستنقص، وكن كأنك لم تبصر.

﴿تُبْدُوا ما في أنفسكم أو تُخْفُوه﴾ [البقرة: ٢٨٤]: الإبداء الظهور، والإخفاء ضده. ومقتضى الآية المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب سواء أبدوه أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله، أو الغفران لمن شاء الله. وفي ذلك إشكال لمعارضته للحديث: إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثَتْ به أَنْفُسها. ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أنه لما نزلَتْ شقَّ ذلك على الصحابة. وقالوا: هلكنا إنْ حُوسِبْنَا بخواطر أنْفُسنا. فقال لهم ﷺ: « قولوا سمِعْنا وأَطَعْنَا ». فقالوها؛ فأنزل الله بعد ذلك: لا يُكلِّف الله نَفْساً إلا وُسْعَها، فكشف عنهم الكربة، ونسخ بذلك هذه الآية.

وقيل: هي في معنى كَتْم الشهادة وإبدائها، وذلك مُحَاسَب به. وقيل يحاسب الله الخَلْق على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذِّبُ الكافرين والمنافقين.

والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح. وقد ورد أيضاً عن ابن عباس وغيره.

فإن قيل: الآية خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ.

فالجواب أنَّ لفظ الآية خبَرٌ ومعناها حكم.

﴿تُولج اللَّيْلَ﴾ [آل عمران: ٢٧]: تدخل هذا في هذا، فما زاد في واحد نقص من الآخر مثله.

﴿تُخْرِجُ الحيَّ من الميت﴾ [آل عمران: ٢٧]: أي الكافر من المؤمن والمُؤمن من الكافر. وقيل: يعني الحيوان. قال ابن مسعود: هي النُّطْفة تخرج من الرجل ميّتةً وهو حَيّ، ويخرج الرجل منها حيّاً وهي ميتة. وقال عكرمة: البيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة. وعلى كل فالحياة والموت على هذا استعارة.

﴿تُؤَاخِذنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] من المؤاخذة بالذنب، وقد كان يحقُّ أن يؤاخذ الله بالنسيان، وهو الذهول الغالب على الإنسان والخطأ غير العمد، لولا أن الله رفعه فلم يبقَ إلا مَحْضُ التلفّظ بالآية على وجه العبادة. وأما الاعتقاد فهو عدم المؤاخذة؛ للحديث: رفع عن أُمتِي الخَطَأُ والنسيان.

﴿تُحَمِّلنا ما لا طاقَة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] في هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يَقَع. ثم إنَّ الشرع رفع وقوعه.

وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع: عقلي محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يُؤْمِنُ، فهذا جائز ووقع باتفاق.

والثاني عادِيّ كالطَّيَران في الهواء.

والثالث عقلي وعاديّ كالجمع بين الضدّين؛ فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه.

والرابع تكليف ما يشقّ ويصعبُ؛ فهذا جائز اتفاقاً. وقد كلّفه الله مَنْ تقدم من الأمم، ورفعه عن هذه الأمة المحمدية لحُرْمَةِ نبيِّها عنده.

﴿تُبَوِّئُ المؤمنين﴾ [آل عمران: ١٢١]: أي تهيّىء لهم المصافّ لقتال أعداء الله؛ وذلك يوم السبت في غَزْوَة أُحد. وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة؛ وذلك ضعيف، لأنه لا يقال غدوة فيما بعد الزوال إلاّ عَلَى وجْهِ المجاز. وقيلَ ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس؛

وذلك ضعيف؛ لأنه لم يُبَوّأ حينئذٍ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه يُبَوِّئهم بالتدبير حين المشاورة.

﴿تُصْعِدُون ولا تَلْوُون على أحد﴾ [آل عمران: ١٥٣]: الإصعاد: الابتداء في السفر. والانحدار: الرجوع. ولا تلوون مبالغة في صفة الانهزام. وقريء شاذاً: إذ تصعدون ولا تلوون على أُحُد ـ بضم الحاء.

﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ [الأنعام: ٧٠]: معناه تُحبس. وقيل تفضح. وقيل تهلك؛ وهو في موضع مفعول من أجله؛ أي كرهه كراهة أن تُبْسَل نَفْسٌ بما كسبت.

﴿تُشِمتْ بي الأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]: تسرهم، والشماتة: السرور بمكاره الأعداء.

﴿تُرْهِبُون﴾ [الأنفال: ٦٠]: تخوفون به الأعداء.

﴿تُفِيضون﴾ [يونس: ٦١]: تدفعون فيه بكثرة.

﴿تُحْصِنُون﴾: تخزنون وتَجْنُون.

﴿تُفَنِّدُون﴾ [يوسف: ٩٤]: أي تلومونني؛ أو تردون عليّ قولي. معناه تقولون ذهب عقلُك؛ لأن الفند هو الخَرَف. يقال أَفند الرجل إذا خرف، وتغيَّرَ عقله، ولم يحصل كلامه. ثم قيل: فند الرجل إذا جهل. والأصل ذلك.

﴿تُسِيمون﴾ [النحل: ١٠]: ترعون أنعامكم. وقد قدمنا أن تريحون تردُّونها بالعشيّ إلى المنازل.

﴿تُخَافِتْ بها﴾ [الإسراء: ١١]: تُخْفِها. وسبب الآية أن رسول الله ﷺ جهر في القراءة في الصلاة فسمعه المشركون فَسَبُّوا القرآن ومَنْ أنزله، فأمر ﷺ بالتوسُّط بين الجهر والإسرار، ليسمع أصحابه الذين يصلُّون معه، ولا يسمع المشركون.

وقيل المعنى: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرّاً وجَهْراً، حسبما أحكمته السنَّةُ. وقيل الصلاة هنا الدعاء.

﴿تُمَارِ﴾ [الكهف: ٢٣]، من المِرَاء، وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج.
ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عِدّة أصحاب أهل الكهف إلا مراءً ظاهراً؛ أي غير متعمّقٍ فيه، من غير مبالغة ولا تَعْنيف في الردّ عليهم.

﴿تستَفْتِ﴾ [الكهف: ٢٣]: تَسْأل؛ أي لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأنَّ اللهَ قد أَوْحَى إليك في شأنهم ما يُغنيك عن السؤال.

﴿تُصْنَع عَلَى عَيْني﴾ [طه: ٣٩]؛ أي تُرَبَّى ويُحْسَن إليك بِمَرْأى مِنّي وحفظ، والعامل في لتصنع محذوف.

﴿تعذِّبهم﴾: أي تمتهنهم، والضمير لبني إسرائيل؛ لأن فرعون كان يسخّرهم ويُذلّهم.

﴿تُخْبِتَ له قُلوبُهم﴾ [الحج: ٥٤]؛ أي تخضع وتطمئن. والمخبت: الخاضع المطمئن إلى ما دعي إليه. والخَبْت: المطمئن من الأرض.

﴿تُسْحَرون﴾ [المؤمنون: ٩٠]: أي تخدعون عن الحق، والخادع لهم الشيطان؛ وذلك شبيهٌ لهم بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل؛ ورتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج؛ فقال أولاً: أفلا تذكَّرُون. ثم قال ثانياً: أفلا تَتَّقُون؛ وذلك أبلغ؛ لأن فيه زيادة تخويف. ثم قال ثالثاً: فأنّى تُسحرون. وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿تُلْهيهم تِجَارةٌ ولا بَيْع﴾ [النور: ٣٧]؛ أي تشغلهم. ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سَمِعُوا النِّدَاء بالصلاة تركوا كل شغل، وبادروا إليها. والبيع: من التجارة، ولكن خصَّه بالذكر تجريداً؛ كقوله: فيها فاكهة ونخل ورُمّان. أو أراد بالتجارة الشراء.

﴿تتقلب﴾ [النور: ٣٧]؛ أي تضطرب من شدة الهول والخوف. وقيل تَفْقَه القلوب وتبيضّ الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذٍ. والأول أصح؛ كقوله: ﴿وإذا زَاغَتِ الأبصار﴾ [الأحزاب: ١٠].

﴿تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناس﴾ [لقمان: ١٨]؛ أي تُعْرِض بوجهك عنهم. والصعَر ما يأخذ البعير في رأسه فيقلب رأسه في جانب، فيشبَّهُ الرجل الذي يتكبَّرُ على الناس به.

﴿تكنّ صدُورهم﴾ [النحل: ٧٤، والقصص: ٦٩]؛ أي تخفي صدورهم.

﴿تحيّتُهم يَوْمَ يلقَوْنَه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤]؛ قيل يوم سلام. قيل: يوم القيامة. وقيل: في الجنة؛ وهو الأرجح؛ لقوله: وتحيتهم فيها سلام. ويحتمل أن يُرِيد تسليم بعضهم على بعض، أو قول الملائكة لهم سلام عليكم.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ منهنّ وتُؤْوِي إليكَ من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١]؛ أي تؤخر وتبعد، وتضم وتقرب. واختلف ما المراد بهذا الإرجاء والإيواء؛ فقيل: إن ذلك في القسمة بينهنّ؛ أي تُكثر لمن شئْتَ وتقلِّلُ لمن شئت. وقيل: إنه في الطلاق؛ أي تمسك مَنْ شئت وتطلق من شئت. وقيل معناه تتزوج من شئت.

والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ وإباحة له أن يفعل ما شاء.

وقد اتفق الباقون على أنه ﷺ كان يعدل في قسمته بين نسائه أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له.

والضمير في قوله ﴿منهن﴾ يعود على أزواجه ﷺ خاصة، أو على كل ما أُحِلّ له على حسب الخلاف المتقدم.

﴿تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢]؛ أي تجاوز في الحكم. يقال أشطّ الحاكم إذا جار. وقرىء في الشاذ: ولا تشطط ـ بفتح الطاء؛ أي لا تبعد عن الحق. يقال شَطّ إذا بَعُد.

﴿تُمَارُونَه﴾ [النجم: ١٢]؛ أي تجادلونه. والضمير عائد على قريش لَمّا كذبته ﷺ في قوله: أُسْرِي بي. والذي رأى جبريلُ على هيئته التي قد خلقه الله عليها، قد سد الأفق. وقيل الذي رأى ملكوت السموات والأرض. والأول

أرجح لقوله: ﴿ولقد رآه نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]. وقيل الذي رأى هو الله تعالى.

وقد أنكرت ذلك عائشة. وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: نوراني أراه.

﴿تُخْسِروا الميزان﴾ [الرحمن: ٩] تنقصون الوزن. وقرىء بفتح التاء بمعنى لا تخسروا الثَّوَابَ الموزون يوم القيامة.

﴿تمْنُون﴾ [الواقعة: ٥٨]، من المنيّ، وهو الماء الدافق الذي يكون منه الولد، رائحته كرائحة الطلع، أحد درجات التمر، لشبهها بخلقة الإنسان فأشبهت الرائحة الأصل؛ ولذلك قال ﷺ: أكرموا عماتكم النخلة؛ وهذا يتضمّن إقامةَ برهانٍ على الوحدانية وعلى البعث، ويتضمن وعيداً وتعديد نعم.

﴿تورُون﴾ [الواقعة: ٧١]؛ أي تقدحونها من الزناد. والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر، وهو الرَّخّ والعَفَار.

ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله لهم: ﴿أَنْتُمْ أَنشأْتُم شجرتَهَا﴾ [الواقعة: ٧٢]، أي الشجرة التي يَزْنِد النار منها. وقيل: أراد بالشجرة نفس النار؛ كأنه يقول نوعها أو جنسها؛ فاستعار الشجرةَ لذلك.

﴿تُدْهِنُ﴾ [القلم: ٩] من المداهنة وهو النِّفاق. والإدهان الإبقاء، وترك المناصحة والصدق؛ ومنه قوله: ﴿أفَبِهَذَا الحديثِ أَنْتُم مُدْهِنُون﴾ [الواقعة: ٨١]. معناه متهاونون. وأصله لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن. وروي أنّ الكفار قالوا لرسول الله ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبَدْنا إلهك؛ فنزلت الآية.

﴿ترَاث﴾ [الفجر: ١٩]: ما يورث عن الميّت من المال. والتاء فيه بدل من واو.

﴿تِلْقَاءَ أصحابِ النّار﴾ [الأعراف: ٤٧]: تجاه أصحاب النار، ونحو أهل النار، وكذلك تلقاء مَدْيَن. وقوله: من تلقاء نفسي، أي من عِنْد نفسي.

﴿تِبْيَان﴾ [النحل: ٨٩] تِفْعال من البيان.

﴿تسع آيات بيِّنات﴾ [الإسراء: ١٠١]، منها خروج يده بيضاء، والعصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفات، والجراد، والقُمَّل، والضفادع والدم، وحلّ العقدة من لسانه، وفرق البحر، ورفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر عند قوم.

وروي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «ألاَّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تَسرقوا، ولا تَزْنوا، ولا تقتلوا النفْسَ التي حرّم الله، ولا تسعوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تَفِرُّوا يوم الزّحْفِ، وعليكم خاصة اليهود ألا تعتدوا في السبت».

﴿التِّين والزّيتون﴾ [التين: ١]: جَبَلاَن بالشام يُنْبِتَانِ التِّيْن والزيتون، يقال لهما طور تينا وطور زَيْتَا بالسريانية، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون؛ وهذا أظهر الأقوال؛ لأن الله ذكر بعد هذا الطُّور الذي كلم عليه موسى، والبلد الذي بعث منه محمداً ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة؛ أن اللهَ جاء من طور سينا وطلع من سَاعِير، وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فَارَان، وهي مكة؛ وأقسم اللهُ بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين.

وقيل: إنه التين الذي يُؤْكَلُ والزيتون الذي يُعْصر، أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الفواكه.

ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً، فقال: لو قلت إن فاكهةً نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوه فإنه يقطع البَوَاسير، وينفع من النقرس.

وقال ﷺ : « نعم السِّوَاك الزيتون من الشجرة المباركة ، هي سِواكي وسواك الأنبياء من قبلي » .

﴿التاء حرْف جرّ﴾ معناه حرف القسم يختص بالتعجّب ، وباسم الله تعالى . قال في الكشاف في قوله تعالى : ﴿تاللهِ لأَكِيدَنَّ أصْنَامَكم﴾ [الانبياء : ٥٧] : الباء أصل أحرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجّب ، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يَدَيْه وتأتِّيه مع عُتُوّ نمرود وقَهْره .

﴿تبارك﴾ قد قدمنا أنه فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضي ، ولا يستعمل إلا لله تعالى ، أي لا يتصرف . ومن ثم قيل إنه اسم فعل .

حَرف الثّاء المثلثة

﴿ثَقِفْتُموهم﴾ [البقرة: ١٩١]: ظفرتم بهم.

﴿ثقلَتْ في السموات والأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]: أي خفي عِلْمُها على أهل السموات والأرض، وإذا خَفِيَ الشيء ثقل.

وقيل ثقلت على أهل السموات والأرض لهيْبَتها عندهم وخوفهم منها.

وقيل ثقلت عليهم لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض.

﴿ثمود﴾: قبيلة من العرب الأقدمين، هذا على أنه غير منصرف. وأما من صرفه فهو على وَزْن فعول من الثمد، وهو الماءُ القليل.

﴿ثَبَّطهم﴾: حبسهم؛ أي كسر عزمهم، وجعل في قلوبهم الكسل.

﴿الثَّرى﴾ [طه: ٦]: التراب النَّدِيّ، والمراد به في الآية الأرض.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: ٩]، أي عادلاً جانبه. والعِطْف: الجانب؛ يعني مُعْرِضاً متكبِّراً. واختلف على من يعود الضمير، فقيل على الأخْنَس بن شَرِيق. وقيل في النّضر بن الحارث، بدليل: ﴿له في الدنيا خِزْيٌ﴾ [الحج: ٩]؛ فالخِزْي أسْرُه ثم قتله.

﴿ثاوِيًا﴾ [القصص: ٤٥]: مقيماً.

﴿ثلاث عَوْرَات﴾ [النور: ٥٨]، جمع عَوْرة من الانكشاف؛ كقوله تعالى: ﴿إنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]. ومن رفع ثلاث فهو خبر مبتدأ مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي تنكشفون فيها. ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات.

ومعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها مُتَجَرِّدين للنوم في غالب الأمر، وهذه الآية محكمة. وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على النّدْب.

﴿ثَاقِب﴾ [الصافات: ١٠]: مضيء كثيراً.

﴿ثَجَّاجاً﴾ [النبأ: ١٤]: سيالاً، ومنه قول النبي ﷺ: أحبُّ العمل إلى الله العجّ والثّجّ، فالعَجّ التلبية ورفع الصوت بها وبذكر الله تعالى. والثجُّ: إسالة الدماء من النَّحر والذبح.

﴿ثُبَات﴾ [النساء: ٧١]: جمع ثُبَة، أي جماعات في تفرقة، أي حلقة حلقة كل جماعة منها ثُبَة، ووزنها فَعلة بفتح العين ولامُها محذوفة. وقيل إن الثبة ما فَوْق العشرة.

﴿ثُعْبان﴾ [الأعراف: ١٠٧]: حية عظيمة الجسم.

﴿ثَمَر﴾ [الكهف: ٣٤] جمع ثمار، ويقال الثُّمر - بضم الثاء: المال. والثَّمر - بفتح الثاء: جمع ثمرة من ثمار المأكول.

﴿ثُبُوراً﴾ [الانشقاق: ١١]: أي هَلاَكـاً. ومعنـى دعـائهـم ثبـوراً لأنهم يقولون يا ثبوراه، كقول القائل يا حسرتى، يا أسفي، فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً وادْعُوا ثُبُوراً كثيراً.

﴿ثُلّة من الأوّلين﴾ [الواقعة: ١٣]: أي جماعة من هذه الأمة وجماعة من آخرها. وقد قال ﷺ: «الفرقتان من أُمَّتِي». وفي ذلك ردٌّ على من قال: إنهما من غير هذه الأمة.

وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين، بخلاف السابقين، فإنهم قليل في الآخرين، وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر

منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح. وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها.

﴿ثُوِّبَ الكفّار﴾ [المطففين: ٣٦]: يقال ثوّبه وأثابه. وأصله إيصال النفع إلى المكلف على طريق الجزاء. قال تعالى: ﴿مَثُوبةً عند اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ [المائدة: ٦]. وأما المثيب فهو مَنْ فعل الثّواب. وأما الْمُثَاب فهو من فُعِل الثواب به.

وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع معمول ينظرون فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفاً فيوقف قبلها. ويكون معمول ينظرون محذوفاً.

﴿ثيابك فطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]: فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه حقيقة في التطهير للثياب من النجاسة. واختلف على هذا هل يحمل على الوجوب، فتكون إزالة النجاسة واجبةً، أو على الندب فتكون سعة؟ والآخر أنه يُراد به الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا مجاز. الثالث أن معناه لا تلبس من مكْسبٍ خبيث.

﴿ثُمَّ﴾ حرف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة، وفي كل خلاف:

أما التشريك فزعم الكوفيُّون والأخفش أنه قد يتخلّف بأن تقع زائدة، فلا تكون عاطفة البتّة، وخرّجوا على ذلك قراءة: ﴿حتى إذا ضاقَتْ عليهم الأَرْض بما رَحُبَتْ وضاقَتْ عليهم أنفسهم وظَنوا أنْ لاَ مَلْجَأَ من الله إلاّ إليه ثم تاب عليهم﴾ [التوبة: ١٩]. وأجيب بأن الجواب فيها مقدّر.

وأما الترتيب والمهلة فخالف قوم في اقتضائها إياهما تمسُّكاً بقوله: ﴿خلقكم مِنْ نَفْسٍ واحدة ثم جعل منها زَوْجَها ثم بَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ من طين ثم جعل نَسْلَه من سُلاَلَةٍ من ماءٍ مهينٍ ثم سَوَّاه﴾ [السجدة: ٨]. ﴿وإني لغَفَّارٌ لمن تاب وآمنَ وعمل صالحاً ثم اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]. والاهتداء سابِقٌ على ذلك.

﴿ذلكم وصّاكُمْ به لعلكم تَتَّقُون. ثم آتينا موسى الكتاب﴾ [الأنعام: ١٥٣، ١٥٤].

وأجيب على الكلِّ بأن ثم فيه لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم. قال ابن هشام: وغير هذا الجواب أَنْفَع منه، لأنه يصحح الترتيب فقط لا المهلة، إذ لا تراخي بين إخبارهن.

والجواب المصحح لها ما قيل في الأولى إن العطف على مُقَدّر، أي من نفسٍ واحدة أنشأها، ثم جعل منها زوجها. وفي الثانية إن سوّاه عطف على الجملة الأولى لا الثانية. وفي الثالثة إن المراد ثم دام على الهداية.

فائدة

أجْرَى الكوفيون ثُم مجرى الفاء والواو في جواز نَصْبِ المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط. وخرّج عليه قراءة الحسن: ﴿ومَنْ يخرجَ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِراً إلى الله ورسوله ثم يُدركه الْمَوْت﴾ [النساء: ٩٩] بنصب يدركه.

﴿ثَمّ﴾ - بالفتح: اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو: ﴿وأزلَفْنَا ثَمّ الآخرين﴾ [الشعراء: ٦٤]. وهو ظرف لا يتصرف، فلذلك غلط من أعربه مفعولاً لرأيت في قوله: ﴿وإذا رأَيْتَ ثَمّ رأيْتَ﴾ [الإنسان: ٢٠]. وقرىء: ﴿فإلينا مَرْجِعُهم ثَمّ اللهُ شهيدٌ على ما يفعلون﴾ [يونس: ٤٦]، بدليل: ﴿هنالك الولاية للهِ الحق﴾ [الكهف: ٤٤].

وقال الطبري في قوله: ﴿أثُمّ إذا ما وقع آمَنْتُم﴾ [يونس: ٥١]: معناه هنالك، وليست العاطفة. وهذا وَهْمٌ اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة. وفي التوشيح لخطاب: ثم ظرف فيه معنى الإشارة إلى حيث، إلا أنه هو في المعنى.

حَرف الجِيم

﴿ جَنَفاً ﴾ [البقرة: ١٨٢]: مَيْلاً وعُدولاً عن الحق، يقال جَنِفَ عليّ، أي مال علي.

﴿ جار ﴾ في قوله: ﴿ والجار ذِي القُرْبَى ﴾ [النساء: ٣٦]، هو القريب النسب. والجار الْجُنُب هو الأجنبي. وقيل ذي القربى القريب المسكن منك، والجنب: البعيد المسكن منك. وحدُّ الجوار عند بعضهم أربعون ذراعاً من كل ناحية. وقيل أربعون باباً. والصاحب بالْجَنْب: الرفيق في السفر. وابن السبيل: الضعيف.

﴿ جَوَارِح ﴾ [المائدة: ٤]: كواسب، وسميت الكلاب جوارح لأنها تكسب لأهلها. ولا خلاف في جواز الصيْد بالكلاب. واختلف فيما سواها. ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة. ومنعَ بعضهم ذلك؛ لقوله: ﴿ مكلِّبين ﴾ [المائدة: ٤]؛ فإنه مشتق من الكلب. ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد.

﴿ جَبَّارين ﴾ [المائدة: ٢٢، الشعراء: ١٣٢]: أقوياء، عظام الأجسام بقيّة من العمالقة. والجبار: من أسماء الله، معناه القهّار. والجبَّار المسلَّط؛ كقوله: ﴿ وما أَنْتَ عليهم بِجَبّارٍ ﴾ [ق: ٤٥]؛ أي بمسلط. والجبار: المتكبر، كقوله: ﴿ ولم يَجْعَلْني جَبّاراً شَقِيّا ﴾ [مريم: ٣٢]. والجبار: القتّال، كقوله: ﴿ وإذا بطشْتُم بَطشتُم جبّارين ﴾ [الشعراء: ١٣٠] أي قتالين. والجبار: الظالم.

﴿ جَرَحْتُم ﴾ [الأنعام: ٦٠]: كسبتم، ومنه: اجتَرَحُوا السِّيئات.

﴿جَنّ﴾ [الأنعام: ٧٦]: أظلم وغَطّى، يقال: جنّه وأجنّه؛ ومنه سمي المجنون؛ أي لتغطية عقله.

﴿جَعل الليل سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]؛ أي يسكن فيه عن الحركات.

﴿جعل﴾ لها أربعة معان: صيّر، وألفى، وخلق، وأنشأ يفعل كذا.

﴿جَنَاح﴾ الطائر: معروف. وجناح الإنسان إبطيه، كقوله: ﴿واضْمُمْ إليكَ جناحَكَ﴾ [القصص: ٣٢]. ولا جُناح: لا إثم، فمعناه إباحة. وجنَح للشيء: مال إليه.

﴿جَاثِمين﴾: باركين على الركَب بعضهم على بعض. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير.

﴿جوَابَ قَوْمِهِ﴾: أي قوم صالح لم يكن لهم جواب إلا قولهم: ﴿أخرجوهم مِنْ قَرْيَتِكم﴾ [الأعراف: ٨٢].

﴿جَنَحُوا للسَّلم﴾ [الأنفال: ٦١]: أي مالوا للصلح. والآية منسوخة بآية السيف في براءة، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿جَهَّزَهُمْ﴾ [يوسف: ٥٩] أي أصلح لهم ما احتاجوا إليه من زادٍ وغيره، والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم يوسف.

﴿جَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَار﴾ [الإسراء: ٥]؛ أي عاثوا وقتلوا، وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا. رُوي أنهم قتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وأخربوا المساجد، وسبَوْا منهم سبعين ألفاً.

واختلف على من يعود الضمير؟ فقيل: لجالوت وجنوده. وقيل بُخْت نَصّر ملك بابل.

﴿جاء وَعْدُ أُولاهما﴾ [الإسراء: ٥]، يعني إفسادهم في المرة الأولى.

﴿جَنِيّا﴾ [مريم: ٢٥]: الذي طاب وصلح لأن يجتنى. ويقال جنيّ طَرِي.

﴿جانّ﴾، يعني من الحيات، لأنهم على أصناف شتّى.

﴿جَلاَبيب﴾ [الأحزاب: ٥٩]: ملاحف، واحدها جلباب، وكان نساء العرب يكشفن وجوههن، كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعياً إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلباب، وهو ثوبٌ أكبر من الخمار، وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا ينظر منها إلا عين واحدة تبصر بها. وقيل: أن تَلْوِيه حتى لا يظهر إلا عيناها. وقيل: أن تُغَطِّي نصف وجهها.

﴿جوَابٍ﴾ [سبأ: ١٣]: جمع جابِية، وهي البركة التي يجتمع فيها الماء.

﴿الْجَوارِ في البحر كالأَعْلاَمِ﴾ [الشورى: ٣٢]: سفن في البحر كالجبال، الواحدة جارية، ومنه قوله: ﴿إنّا لما طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكُم في الْجَارِية﴾ [الحاقة: ١١]، يعني سفينة نوح.

﴿جَاثِية﴾ [الجاثية: ٢٨]: باركة على الركب، وهي جلسة المخاصم والمجادل. ومنه قول علي رضي الله عنه: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله.

﴿جدَلاً﴾ [الزخرف: ٥٨]: أي يقصد الإنسان أن يغلب مَنْ يُنَاظره سواء عليه بحق أو بباطل، فإن ابن الزِّبَعْرَى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ولكنهم أرادوا المخالطة فوصفهم بأنهم ما ضربوا لرسول الله هذا المثل إلاَّ عَلَى وجه الجدل، وهذا كقوله: ﴿ما يُجَادِل في آيات الله إلاَّ الذين كفروا﴾ [غافر: ٤]. ﴿ويَعْلَمُ الذين يُجَادِلُون في آياتِنَا ما لهم مِنْ مَحِيص﴾ [الشورى: ٣٥].

﴿جَنَى الجنَّتَيْنِ﴾ [الرحمن: ٥٤]: قد قدمنا أن الجنى ما يُجتنى من الثمار. ورُوي أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام وقعود واضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا رآها، فتقول له كُلْني يا ولي الله، هذا هو النعيم المقيم. وكيف لا ونبينا فيها نديم، والثواب عظيم، والبقاء فيها قديم، والعطاء فيها جسيم، والحزن فيها عديم، والمضيف فيها كريم؛ نعيمها مؤبد، ومقامها مخلّد، وبقاؤها سَرْمَد، وفرشها منضود، ومرافقها ممهد، وحورها منهد، وقصورها

مشيد، وظلها ممدود، وفيها جنة الفردوس نُزُولاً لمن لم يجعل لمولاه شريكاً ولا مثيلاً وأخلص له في دنياه قولاً وعملاً وفعلاً، ولم يزل على عصيانه خائفاً وَجلاً، ولم يطلب الأعواض على أعماله فاتخذه موئلاً.

﴿ جَدُّ رَبِّنا ﴾ [الجن: ٣]؛ أي عظمته. وقيل غناه؛ من قولك: فلان مجدود إذا استغنى. ويقال: جَدّ فلان في الناس أي عظم في عيونهم، وجَلّ في صدورهم. ومنه قول أنيس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدّ فينا؛ أي عَظُمَ.

﴿ جَابُوا الصّخْرَ بالْوَاد ﴾ [الفجر: ٩]؛ أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتاً.

والوادي: ما بيْنَ الْجَبَلَيْن، وإنْ لم يكن فيه ماء. وقيل أراد وادي القرى. والضمير يعود على ثمود المتقدم الذكر. وقد فَسَّرتها الآية: وتَنْحِتون من الجبال بيوتاً.

﴿ جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠]: شديداً كثيراً، وهو ذمّ الحرص على المال، وشدة الرغبة فيه.

﴿ جُنُباً ﴾ [النساء: ٤٣]: الذي أصابته الجنابة، يقال جَنِبَ الرجل وأجنب، واجتنب وتجنبه. والجنب: الغريب. وجنّب: بعد.

﴿ جَهَنّم ﴾ [التوبة: ١٠٩]: اسم لأَحَدِ طبقاتها. وقيل: إنها عَلَمٌ على سائر النار. وقيل: إنها عجمية. وقيل فارسية. وقيل عبرانية.

﴿ جُرُف ﴾: ما تجرف السيول من الأودية.

﴿ جُهْدَهم ﴾ [التوبة: ٧٩]: وسعهم وطاقتهم؛ والضمير يعود على الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به، ونزلت في أبي عقيل تصدق بصاعٍ مِنْ تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا.

﴿ جُودِيّ ﴾ [هود: ٤٤]: جبل بالموصل. وروي أن الله أَوْحَى إلى الجبال أني مُرْسٍ هذه السفينة، فتطاولت لها الجبال كلها إلا هذا الجبل، فإنه لم يرَ

نَفْسه أَهْلاً لذلك، فاستَوَتْ عليه واستقرَّتْ، وهكذا شأنه لا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه، مصداقه الحديث: مَنْ تواضَعَ لله رَفعه الله.

﴿جُب﴾ [يوسف: ١٠]: ركية لم تُطْوَ، فإذا طُوِيت فهي في بئر.

﴿جُفَاء﴾ [الرعد: ١٧]: يجفاهُ السَّيْل؛ أي يرمي به إلى جنباته. ويقال: جفأَتِ القِدْرُ بزبدها إذا أَلْقَتْه عنها.

﴿جُرز﴾ [الكهف: ٨] - بالضم والفتح والكسر: الأرض الغَليظة اليابسة التي لا نَبْتَ بها. ويقال الجرز التي تَجْرُز ما فيها من النبات وتبطله، يقال جَرُزَت الأرضُ إذا ذهب نباتها، فكأنها قد أكلته، كما يقال رجل جروز إذا كان يأتي على كلِّ مأكول لا يُبْقي منه شيئاً، وسيف جُراز يقطَعُ كل شيء يقَعُ عليه فيهلكه، وكذلك السنة الجروز. وأما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنا نَسوقُ الماءَ إلى الأَرْضِ الجُرُز فنخرِجُ به زَرْعاً تأكل منه أنعامُهم وأنفسهم﴾ [السجدة: ٢٧]؛ فمعناه العطشانة.

﴿جُذَاذاً﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ أي فُتَاتا. ويجوز فيه الضم والفتح والكسر. وهو من الجذّ بمعنى القطع. ويقال جذَّ الله دَابِرَهم؛ أي استَأْصلهم.

﴿جُدَد﴾ [فاطر: ٢٧]: جمع جدَّة، وهي الخطط والطرائق في الجبال.

﴿جزْءاً﴾ [الزخرف: ١٥]: أي نَصِيباً. وقيل إناثاً. وقيل بنات. ويقال أجزأت المرأة إذا ولدت أُنْثَى. وجاء التفسير: أن مُشْرِكي العرب قالوا إن الملائكة بنات. وقالوا إنهم إناث؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَلِرَبِّكَ البنـاتُ ولهم البنـون﴾ [الصافات: ١٤٩]. ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهم﴾ [الزخرف: ١٩] يعني أنهم لم يشهدوا خَلْق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم.

﴿جِبِلاًّ﴾ [يس: ٦٢] - بالضم والفتح والكسر: خلقا.

﴿جُنَّة﴾ [المجادلة: ١٦، والمنافقون: ٢] تُرْس وما أشبهه مما يُتَستَّر به،

واستعمل في آية المجادلة وغيرها استعارة؛ لأنه كانوا يُظهرون الإيمان لتُعْصَم دماؤهم وأموالهم.

﴿جمعَ الشَّمْسَ والقمر﴾ [القيامة: ٩]: أي في إذهاب ضوئهما. وقيل يجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب. وقيل يجمعان يوم القيامة ثم يُلقى بهما في النار.

﴿جِبْت﴾ [النساء: ٥١]: فيه أقوال والصحيحُ أنه كلُّ ما عُبِد من دون الله ويقال الجِبْت السِّحْر. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الجبت اسم الشيطان بالحبشية. وأخرجه أيضاً عبد الرحمن عن عكرمة، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبير، قال: الجبت الساحر، بلسان الحبشية.

﴿جِزْية﴾ [التوبة: ٢٩]: خراج مجعول على كل رأس. وسميت جزية أهل الكتاب؛ لأنها قضاء منهم لما عليهم. ومنه قوله: ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً﴾ [البقرة: ٤٨]؛ أي لا تقضي ولا تُغْنِي. ويلتحق بأَهْل الكتاب المجوسيّ لقوله ﷺ: «سنّوا بهم سنَّةَ أَهل الكتاب». واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين. ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين؛ وقَدْرُها عند مالك أَربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورِق.

فإن قلت: قد اتَّفَق العلماء على قبول الجزية مع بقائهم على كُفْرِهم، فما الفَرْق بينهما وبين أخْذِ مالٍ على البقاء على المعصية كالزنى وشبهه؟

فالجواب: أن بقاء أهل الكفر على دينهم متحقّق ممّن أسلم منهم أو منْ ذرِّيتهم، بخلاف البقاء على المعصية. وقد جعل القرافي لهذه القاعدة فَرْقاً في فروقه؛ فليتأمل هناك.

﴿جِدَاراً﴾ [الكهف: ٧٧]: حائطاً، وجمعه جُدُر.

﴿جَذْوَة﴾ [القصص: ٢٩] - بضم الجيم وفتحها وكسرها: قطعة غليظة من الحطب فيها نار ولا لهب لها.

﴿جفَان﴾ [سبأ : ١٣]: قصاع كبار، واحدها جفنة وقَصْعَة، وقد قدمنا أنها كانت كالحياض في كبرها؛ لأنه كان يطبخ كل يوم ألْف جزور، وأربعة آلاف رأْس بقر، وثمانية آلاف رأس غنم، وكانت له قُدورٌ راسيات يطبخ فيها الجزور من غير تفريق أعضائها.

﴿جِمَالاَت صُفْر﴾ [المرسلات: ٣٣]: فيها قولان: أحدهما أنه جمع جمال، شبّـه به الشرر. وصُفْر على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة. وقيل: صفر هنا بمعنى سود. يقال جمل أصفر؛ أي أسود. وهذا ألْيَقُ بوصف جهنم. الثاني أن الجِمَالات قِطَعُ النّحاس الكبار؛ فكأنه مشتقٌّ من الجملة. وقرىء جُمالات ـ بضم الجيم ـ وهي قلوس السّفُن، وهي حبالها العظام.

﴿جيدِها﴾ [المسد: ٥]: عنقها. والضمير يعود على أم جميل بنت حَرْب ابن أُميَّة، وهي أخت أبي سفيان وعمَّةُ معاوية. وفي المراد به ثلاثة أقوال:

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا، وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها.

والآخر أن حالها في جهنم يكون كذلك؛ أي يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت لها قلاَدة فاخرة، فقالت: لأنفقنّهَا على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المَسَدِ على جهة التفاؤل أو الذم لها بتبرُّجها.

﴿جِنَّة﴾: جن؛ كقوله: ﴿من الجِنَّة والناس﴾ [الناس: ٦]. وهذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن ومن الإنس. وجِنَّة جنون؛ كقوله عز وجل: ﴿ما بِصَاحبكم مِنْ جِنَّة﴾ [سباء: ٤٦].

﴿جعل﴾ قال الراغب: فعل عام في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من فَعَل وصنع وسائر أخواتها، وتتصرف على خمسة أوجه:

تجري مجرى صار وطفق، ولا تتعدى، نحو جعل زيْدٌ يقول كذا.

والثاني مجرى أوْجد فتتعدّى لمفعول واحد ؛ نحو : ﴿وجَعل الظلماتِ والنورَ﴾ [الأنعام : ١] .

والثالث في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه؛ نحو : ﴿وجعل لَكُم مِنْ أَنْفُسكم أَزْوَاجاً﴾ [النحل : ٧٢] . ﴿وجعل لكم مِنَ الجبال أكْنانا﴾ [النحل : ٨١] .

والرابع في تصيير الشيء على حالة دون حالة؛ نحو : ﴿الذي جعل لكم الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ [البقرة : ٢٢٥] . ﴿وجعل القمر فيهنَّ نُوراً﴾ [نوح : ١٦] .

الخامس الحكم بالشيء على الشيء حقًّا كان؛ نحو : ﴿وجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلين﴾ [القصص : ٧] . أو باطلاً ؛ نحو : ﴿وَيَجْعَلُون لله البنات﴾ [النحل : ٥٧] . ﴿الذين جَعَلُوا القُرْآن عِضِين﴾ [الحجر : ٩١] .

حَرف الحاء المهملة

﴿حمد﴾ هو الثّنَاء، سواء كان عن نعمة أو ابتداء، والشُّكْرُ إنما يكون جزاء؛ فالحمد من هذا الوجه أعمّ. والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعم. وحميد اسم الله تعالى محمود. والحمد بمعنى الشكر لا يصح على الله سبحانه؛ لأنه ليس بِمنْعَمٍ عليه، وإنما هو المنعم على الخلق، فلا يصحُّ منه الْحَمدُ الذي هو بمعنى الشكر. والحمد الذي هو بمعنى الثناء على ضربين: قديم ومحدث؛ فالقديم ثناؤه على أنبيائه والمؤمنين من عبيده، وذلك كلامه وهو قديم. والحمد الْمحْدَث هو كلام الْخَلْقِ وشكرهم له سبحانه.

﴿حَظّ﴾ [النساء: ١١، ١٧٦، القصص: ٧٩، فصلت: ٣٥]: نصيب.

﴿حَنِيفاً﴾ [البقرة: ١٣٥] موحّداً. وقيل حاجّاً. وقيل مُخْتتناً، وجمعه حُنَفَاء. والحَنيف اليوم المسلم. وقيل: إنما سمي إبراهيم حنيفاً لأنه كان حنف عما كان يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله؛ أي عدل عن ذلك ومال. وأصل الحنَف مَيْلٌ من إبهامي القدمين كل واحدة منهما على صاحبتها.

﴿حجّ البيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]: أي قصده، وسُمِّي السفر إلى البيت حَجّاً دون ما سواه. والحج ـ بالفتح والكسر لغتان. ويقال الحَج: القصد. والحِج الاسم. وقوله تعالى: ﴿إلى الناس يَوْمَ الحجّ الأكبر﴾ [التوبة: ٣]: هو يوم النَّحْرِ. ويقال يوم عَرَفَة؛ وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر.

واختلف هل وجوب حج البيت على الفور أو على التراخي.

وفي الآية ردٌّ على اليهود لما زعموا أنهم على مِلَّةِ إبراهيم. قيل لهم: إن كنتم صادقين فحجُّوا البيْتَ الذي بنَاه إبراهيم، ودعَا الناسَ إليه.

﴿حَصُوراً﴾ [آل عمران: ٣٩]: على ثلاثة أوجه: الذي لا يَقْرَب النساء. والذي لا يولد له. والَّذِي لا يخرج مع الندامى، وأتى وصف السيد يحي بذلك، فإنه كان يمسك نفسه، لا أنه خلق كذلك؛ لأنه نقص في الخلقة. والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كاملون.

﴿حَوَارِيُّون﴾: هم صَفْوَة الأنبياء عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم ونصرتهم. وقيل: إنما سموا حواريين بالنبطية لتَبْيِيضهم الثياب، ثم صار هذا الاسم مستعملاً فيمن أشبههم من المصدقين. وقيل: كانوا صيّادين. وقيل: كانوا مُلوكاً. ونداء الحواريين لعيسى باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظّمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا يُنَادونه باسمه؛ وإنما يقولون، يا رسول الله، يا نبيّ الله. وقولهم: ابن مريم - دليلٌ على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح مِنْ نِسْبَتِهِ إلى أُمٍّ دون وَالدٍ، بخلاف ما اعتقده النصارى.

﴿حَبْل﴾ [آل عمران: ١٥٣]: عَهْد، والمراد بحبْل الله القرآن. وقيل الجماعة، مستعار من الحبل الذي يشدّ عليه اليد.

﴿حَسْرة﴾ [آل عمران: ١٥٦]: ندامة واغْتِمام على ما فات، ولم يمكن ارتجاعه.

﴿حَسْبُنا الله﴾ [آل عمران: ١٧٣]: أي كافينا، وهي كلمةٌ يدفع بها ما يُخاف ويُكره؛ وهي التي قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار.

﴿حبطَتْ﴾: بطلت.

﴿حَرِيق﴾: نار تلتهب.

﴿حَلائل﴾ [النساء: ٢٣]: جمع حليلة، وهي الزَّوْجة. وإنما قيل لها حليلة؛ لأنه يحلُّ معها وتحلُّ معه. ويقال حليلة بمعنى محلّة؛ لأنه يحل لها وتحل له؛ وإنما

خص الابن من الصلْبِ ليخرجَ عنه زوجةُ الابن الذي يتبنّاه الرجل وهو أجنبي عنه، كتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يُقَال له زيد ابن محمد.

﴿حَسِيبا﴾ [النساء: ٦، ٨٦]: فيه أربعة أقوال: كافياً، وعالماً، ومقتدراً، ومحاسباً.

﴿حَصِرَت صدُورُهم﴾ [النساء: ٩٠]: معناه ضاقت عن القتال وكرهته. ونزلت الآية في قوم جاءوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضاً أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار؛ فأمر الله بالكف عنهم، ثم نُسخ أيضاً ذلك بالقتل.

﴿حاقَ بهم﴾ [الأنعام: ١٠]: أحاط بهم.

﴿حَمِيم﴾ [الأنعام: ٧٠]: على أوجه: ماء حارّ؛ وقد قدمناه. والحميم: القريب في النسبة؛ كقوله عن رجل: ﴿ولا يسْأل حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ [المعارج: ١٠] أي قريب قريباً. والحميم أيضاً الخاص، يقال: دُعينا في الحامّة لا في العامة. والحميم أيضاً: الغريق.

﴿حَشَرْناهم﴾ [الكهف: ٤٧]: جمعناهم؛ قال الزمخشري: إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضي بعد قوله: «نُسَيِّر»؛ للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال.

﴿حَيْرَان﴾ [الأنعام: ٧١]: أي ضالّ عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول في استهوته.

﴿حَمُولَةً﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وهي الإبل التي تطيق الْحَمْلَ. قال المفسرون: الْحَمُولة الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل ما حُمِلَ عليه.

﴿حَوَايا﴾ [الأنعام: ١٤٦]: جمع حويّة، على وزن فعيلة، فوزنُ حوايا على هذا فعائل، كصحيفة وصحائف. وقيل وزنها حاوية على وزن فاعلة، فحوايا

على هذا فواعل كضاربة وضوارب. وهو معطوف على ما في قوله: ﴿إلاّ ما حملت ظُهورها﴾؛ فهو من المستثنى من التحريم. وقيل عطف على الظهور؛ فالمعنى إلاّ ما حملت الظهورُ، أو حملت الحوايا؛ وهي المَبَاعير، وقيل المصارين، والحشْوة ونحوهما مما يتحوَّى في البطن. وقيل عطف على الشحوم؛ فهو من المحرم.

﴿حَرَّمَ ربكم عليكم﴾ [الأنعام: ١٥١]: أي نهى.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن عكرمة قال: حرم: وجب - بالحبشية. والخطاب لجميع الْخَلْق.

أمر الله نبيَّه ﷺ أن يدعو جميعَهم إلى سماع تلاوة ما حرّم الله عليهم، وذكر في آيات الأنعام المحرمات التي أجمعت عليها جميعُ الشرائع، ولم تنسخ قط في ملّة.

وقال ابن عباس: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى.

﴿حَرْث﴾ [الأنعام: ١٣٦]: الأرض، مصدر، ثم استعمل بمعنى الأرض والزَّرع والجنّات.

﴿حَثِيثا﴾ [الأعراف: ٥٤]: سَرِيعاً. والجملة في موضع الحال من الليل؛ أي يطْلُبُ النَّهار فيدركه.

﴿حَقِيق على ألاّ أقول على الله إلّا الحق﴾ [الأعراف: ١٠٥] من قرأ «عليّ» بالتشديد على أنها ياء المتكلم؛ فالمعنى ظاهر. وهو أن موسى قال: حقيق عليه ألاّ يقولَ على الله إلا الحق. وموضع ألّا أقول على هذا رفع، على أنه خبر حقيق. وحقيق مبتدأ أو بالعكس. ومَنْ قرأ عَلَى بالتخفيف فموضع ألّا أَقول خفض بحرف الجرِّ، وحقيق صفة لرسول. وفي المعنى على هذا وجهان: أحدهما أن على بمعنى الباء؛ فمعنى الكلام رسول حقيق بألا أقول على الله إلاّ الحق. والثاني أن معنى حقيق حريص؛ ولذلك تعدَّى بعلى.

﴿حَفِيّ عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧]: أي مهتبل بها معْتَنٍ بشأنها. والمعنى يسألونك كأنّكَ حَفِيٌّ بعلمها.

وقيل المعنى: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم لقرابتك منهم؛ فعنها على هذين القولين يتعلق بيسألونك.

وقيل المعنى يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها. والحفى السؤال باستقصاء.

﴿حملت حَمْلاً خَفِيفاً﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ أي خفّ عليها ولم تَلْقَ ما يلقى بعضُ الْحَبَالى من حملهنَّ من الأذى والكرب. وقيل الحمل الخفيف المنيّ في فَرْجها. والضمير عائد على حوّاء حين تَغَشَّاهَا آدم.

﴿حرض﴾ [النساء: ٨٤] وحثّ وحضّ بمعنى واحد، وهو الحثُّ على الشيء.

﴿حَنِيذ﴾ [هود: ٦٩]: مشويّ في حر الأرض بالرضف، وهي الحجارة المحماة. وفعيل هنا بمعنى مفعول.

﴿حَصْحَص الحقُّ﴾ [يوسف: ٥١]؛ أي تبيَّن وظهر.

﴿حَرَضا﴾ [يوسف: ٨٥]: وهو الذي قد أدى به الحزن أو العشق إلى سقم وفناء.

﴿حَمأ مَسْنُون﴾ [الحجر: ٢٣] الحمأ: الطين الأسود. والمَسْنُون: المتغِّيرُ الْمُنْتِن. وقيل: إنه من أسنَ الماءُ إذا تغيَّر. والتصريف يردُّ هذا القول. وموضع حمأ صفة لصلصال؛ من صَلْصَالٍ كَائنٍ من حمأ.

﴿حفَدة﴾ [النحل: ٨٢]: خدم. وقيل: أَخْتَان. وقيل أصْهار. ابن عباس: هم أولادُ البنين. وقيل البنات؛ لأنَّ لفظ البنين المذكّر لا يدل عليهن.

﴿حاصباً﴾ [الإسراء: ٦٨]: يعني حجارة أو ريحاً شديدة تَرْمي بالحصباء. وهي الحصا الصغار.

﴿حَفَفْناهما بنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢]: أطبقناهما من جوانبهما. والحفاف: الجانب، وجمعه أحفّة. والضمير راجع للجنتين المذكورتين.

﴿حَمِئة﴾ [الكهف: ٨٦] وحَامِية وحَمِيَة: حارَّة. وقرىء بالهمز على وزن فعلة؛ أي ذات حمأة. وقرىء بالياء على وزن فاعلة؛ وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فبعثا إلى كَعْبِ الأحبار ليخبرهما بالأمر؛ فقال: أمَّا العربية فأنتما أعْلَمُ بها منِّي، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين؛ فوافق ذلك قراءة ابن عباس. ويحتمل أن تكون بمعنى حمية، ولكن سهلت همزته فيتفق معنى القراءتين. وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمأة وتكون حارة لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوَصْفَيْن؛ ويجتمع معنى القراءتين.

﴿حنَانا﴾ [مريم: ١٣]: رحمة. وقال ابن عباس: لا أدري ما الحَنان.

﴿حَصِيداً خامدين﴾ [الأنبياء: ١٥]: معناه - والله أعلم - أنهم حُصِدُوا بالسَّيْفِ والموْت كما يُحْصَدُ الزرع، فلم تَبْقَ بلقية منهم. وشُبِّهُوا في هلاكهم بالزرع المحصود. ومعنى خامدين مَوْتَى؛ وهو تشبيه بخمود النار. وقوله: ﴿منها قائم وحصيد﴾ [هود: ١٠٠] قد امَّحَى أثَرُه.

﴿حَدَب﴾ [الأنبياء: ٩٦]: مرتفع.

﴿حَصَب جهنَّم﴾ [الأنبياء: ٣] كل شيء ألقَيْتَه في نارٍ فقد حصبْتها به. وقرأ علي بن أبي طالب: حطب. وقرئت بالضاد المعجمة وهي ما هيجت به النار وأوقدته. والمرادُ بكلٍّ أن ما عُبِدَ من دون الله يُحرق بالنار توبيخاً لمن عبدها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: حَصَب جهنم - قال: حطب جهنم - بالزنجية.

﴿حَسِيسَها﴾ [الأنبياء: ١٠٢]: صوتها.

﴿حمل﴾: الْحَمْل - بفتح الحاء: ما كان في بطن أو على رَأْس شجرة، والحِمْل - بالكسر: ما كان على ظهر أو رأس.

﴿حَذِرُونَ﴾ الحذر: المتيقظ.

﴿حاذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦] مُؤدون، أي ذوو أداة، أي ذوو سلاح. والسلاح: آلات الحرب.

﴿حدائق ذاتَ بَهجة﴾: بساتين ذات حسن، واحدتها حديقة. والحديقة: كل بستان عليه حائط، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة.

﴿حقّ عليهم القول﴾ [الأحقاف: ١٨]؛ أي وجبت عليهم الحُجّة، فوجب العذاب. ومثله: ﴿حقّتْ كلمةُ ربك﴾ [يونس: ٣٣]؛ أي وجبت. والحق له أربعة معانٍ: الصدق، والعدل في الحكم، والشيء الثابت، والأمر الواجب. والحق اسم الله تعالى؛ أي واجب الوجود. ومنه الحديث: السِّحْر حقّ - يعني أنه موجود لا أنه صواب. والعين حقّ؛ يعني يصيب الشيء؛ وليس معناه أنه حسن. وقد يعبَّر به عن كلامه سبحانه حيث يقول: والله يقولُ الحق. ومنه: ﴿وما خَلَقْنا السّموات والأرض وما بينهما إلا بالحقّ﴾ [الأنعام: ٧٣]؛ يعني بالقول. وهو قوله تعالى: ﴿إنما قولُنا لشيءٍ إذا أردْناهُ أن نقول له كُنْ فيكُون﴾ [النحل: ٤٠]. فسمي القول حقاً - يعني صدقاً. وقد يعبر به عن الإسلام؛ نحو قوله تعالى: ﴿يحقّ اللهُ الحقَّ بكلماته﴾ [يونس: ٨٢]: يعني الإسلام. وقوله تعالى: ﴿إنّ الذين حقَّتْ عليهم كَلِمَةُ ربِّك﴾ [يونس: ٩٦]؛ أي وجبت. وقد يُعبر عنه بالنبيّ ﷺ لقوله تعالى: ﴿وأكثَرُهم للحقِّ كارِهُون﴾ [المؤمنون: ٧٠].

﴿حَيَوان﴾ [العنكبوت: ٧٤]: كلّ ذي رُوح. ويُراد به أيضاً الحياة؛ كقوله تعالى: ﴿وإن الدارَ الآخرة لَهِيَ الحَيَوان﴾ [العنكبوت: ٦٤]؛ أي الحياة الدائمة التي لا مَوْت فيها. ولفظ الحيوان مصدر كالحياة.

﴿حناجر﴾ [الأحزاب: ٦]: جمع حنجرة وحُنْجُور، وهي الْحَلق. وبلوغ القلوب إليها في آية الأحزاب مجازٌ وعبارة عن شدة الخوف. وقيل هي حقيقة؛ لأن الرِّئَة تنتفخ من شدة الخوف فترْبو ويرتفِعُ الحلق بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿حَرُور﴾ [فاطر: ٢١]: ريح حارة تهب بالليل. وقد تكون بالنهار. وآية فاطر تمثيلٌ للثواب والعقاب. وقيل: الظل الجنة. والحَرُور النار.

﴿حافِّين من حَوْلِ العرش﴾ [الزمر: ٧٥]؛ أي مُحْدِقين به، دائرين حوله. ومنه حفّ به الناسُ؛ أي صاروا في جوانبه.

﴿حَرْثَ الآخرة﴾ [الشورى: ٢٠]: عبارة عن العمل لها. وكذلك:

﴿حَرْث الدنيا﴾ [الشورى: ٢٠]؛ وهو مستعارٌ من حَرْث الأرض؛ لأن الحارثَ يعمل وينتظر المنفعةَ مما عمل.

﴿حَمِيّة الجاهلية﴾ [الفتح: ٢٦]: الأنَفَة والغَضَب، وذلك أنهم منعوا النبي ﷺ والمسلمين من العُمرة، ومنْعهم من أن يكتب في كتاب [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله، [illegible] رسولُ الله لتابعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

﴿حَبَّ الحَصِيد﴾ [ق: ٩]: هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يُحصد، وهو مما أُضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿حَبْل الوَرِيد﴾ [ق: ٢٦]: هو عِرْقٌ كبير في العنق، وهما وريدان عن يمين وشمال؛ وهذا مثل في فرط القُرب. والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك مسجد الجامع؛ أو يراد بالحبل [illegible]

﴿حقّ اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥]: معناه الثابت من اليقين. وقيل: [illegible] واليقين بمعنى واحد؛ فهو من إضافة الشيء إلى نفسه. واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أو صواب الصواب؛ بمعنى [illegible] نهاية الصواب.

﴿حادّ الله﴾ [المجادلة: ٢٢] شاقّه؛ أي عاداه، وخالفه.

﴿حاجَة﴾: فقْرٌ ومِحْنة. والحاجة أيضاً: الحسد؛ ومنه: ﴿ولا يَجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩]. ويحتمل أن يكون بمعنى الاحتياج على أصلها.

﴿حَسير﴾ [الملك: ٤]: كَلِيل أدركه التَّعب. ومعنى هذا أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرةٍ لترى فيها شقاقاً أو خَلَلاً رجع بصَرُك ولم تر شيئاً من ذلك؛ فكأنه ناسٍ لاَءٍ لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل. وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التَّأمل.

﴿حَرْد﴾ [القلم: ٢٥]: فيه أربعة أقوال: المنع، والقصد، والغضب. وقيل: إن الحرد اسم علم للجنة؛ ويقال: حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر.

﴿حاقة﴾ [الحاقة: ١، ٢، ٣]: يعني القيامة؛ وسميت بذلك لأنها تحقّ؛ أي يصح وجودها ولا رَيْبَ في وقوعها؛ أو لأنها حقّت لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تُبْدِي حقائق الأمور.

﴿حافرة﴾ [النازعات: ١٠]: رجوع إلى أول الأمر. ويقال رجع فلان في حافرته. وقول الكفار: ﴿أئنّا لَمَرْدُودونَ في الحافرة﴾ [النازعات: ١٠] - إنكار منهم لذلك؛ ولذلك اتفق القرّاءُ على قراءته بهمزتين، إلا أنّ منهم مَنْ سهّل الثانية. ومنهم من حقّقها. واختلفوا في: ﴿أإذا كُنّا عظاماً نَخِرة﴾ [النازعات: ١١]؛ فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيداً للإنكار المتقدم. والمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت. وقيل: إن الحافرة الأرض، بمعنى المحفورة؛ فالمعنى أئنّا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدَّفْنِ في القبور؟ وقيل: إن الحافرة النار.

﴿حمّالة الحطَب﴾ [المسد: ٤] في وصف أُمّ جميل بحمّالة الحطب أربعة أقوال:

أحدها: أنها كانت تحمل حَطباً وشَوْكاً فتُلْقِيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه.

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس؛ أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضَرة على المسلمين؛ يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرارَ به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

﴿حدود الله﴾ [البقرة: ١٨٧]: ما حَدّها لهم من امتثالِ أوامره واجتناب نواهيه؛ لأنّ الحدَّ هو النهاية التي إذا بلغها المحدود له امتنع.

﴿حُوبا﴾ [النساء: ٢] - بالضم: الاسم. والحَوْب - بالفتح: المصدر. ومعناه أثم إثماً عظيماً. قال ابن عباس: هو الإثم بلغة الحبشة.

﴿حُرُم﴾ [المائدة: ١]: محرمين، واحدهم حرام؛ ومنه: ﴿وحرّمَ عليكم صَيد الْبَرِّ ما دُمْتُم حُرُماً﴾ [المائدة: ٩٦].

﴿حكم، حكمة﴾ يقال حكم وحكمة، وذل وذِلّة، ونِحَل ونِحْلَة، وخُبز وخبزة، وقل وقلة، وعُذْر وعذرة، وبغض وبِغضة، ووقر ووقرة.

﴿حُسبانا﴾: حساباً، ويقال جمع حساب، مثل شهاب وشُهْبان. فأما في الأنعام [آية: ٩٦] فالمراد بها أن الله تعالى جعل الشّمْسَ والقمرَ يُعْلَمُ بهما حسابُ الأزمان والليل والنهار. وأما آية الكهف [آية: ٤٠] فالمراد أن يرسل عليها عذاب حسبان؛ وذلك الحسبان حسبان ما كسبت يداك كالصِّرّ والبرد ونحو ذلك.

﴿حُبُك﴾ [الذاريات: ٧]: طرائق تكون في السماء من آثار الغَيْم، واحدتها حَبِيكة وحِبَاك. والحبك أيضاً الطرائق التي تراها في الماء القائم إذا ضربته الريح؛ وكذلك حُبُك الرمل الطرائق التي تراها فيه إذا هبت عليه الريح. ويقال شَعْره حبُك إذا كان مُتَكَسِّراً جعودته طرائق.

﴿حُطاماً﴾ [الزمر: ٢١]: متَفَتّتاً يابِساً، وشبّه الله الدنيا بالزرع الذي ينبته الزارع في سرعة تغيره بعد حُسنه، وتحطمه بعد ظهوره.

﴿حُور﴾ [الدخان: ٥٤]: جمع حوراء؛ وهي الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها.

﴿حُسُوماً﴾ [الحاقة: ٧]: ابن عباس: معناه متتابعة كاملة لم يتخللها غير ذلك. وقيل: معناه شُؤْماً ونحساً. وقيل: هو جمع حاسم، من الحسم، وهو القطْعُ؛ أي قطعتهم بالإهلاك.

وحسوم على القولين مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله.

﴿حُطَمَة﴾ [الهمزة: ٤]: هي جهنَّم؛ وسميت بذلك لأنها تحطِّمُ ما يُلقى فيها وتلتهمه؛ وقد عظّمها بقوله: ﴿وما أدراكَ ما الحُطَمة﴾ [الهمزة: ٥]؛ فإذا كان العظيم يعظم شيئاً هل يدرك حقيقته غَيْرُه؟ عصمنا الله منها بجاه نَبِيِّهِ ﷺ. والحطَمة: السَّنَة الشديدة أيضاً.

﴿حين﴾: غاية ووقت وزمان غير محدود. وقد يجيء محدوداً. وأما الحين المذكور في الإنسان فهو الحال الذي أتى عليه حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح، وضعّف لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إنّا خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ نُطْفةٍ﴾ [الإنسان: ٢] وهو هنا جنس باتّفاق؛ إذ لا يصح هذا في آدم.

والآخر أنّ مقصد الآية تحقير الإنسان.

﴿حِطَّة﴾ [الأعراف: ١٦١]: مصدرُ حط عنا ذنوبنا حطة. والرفع على تقدير إرادتنا حطة، ومسألتنا حطة. ويقال الرفع على أنهم أُمِروا بهذا اللفظ بعينه فبدّلوا حنطة. وروي حبّة في شعرة. وقيل معناه: قولوا صواباً بلغتهم. وقيل معناه بالعبرانية لا إله إلا الله.

﴿حلّ﴾: حلال، و﴿حرم﴾: حرام. وقرئت: ﴿وحرم على قرية﴾ [الأنبياء: ٩٥]؛ أي واجب. والمعنى واحد. وقوله: ﴿وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد﴾ [البلد: ٢] أي حلال. ويقال حل حال: أي ساكن؛ أي لا أقسم به بعد خروجك منه؛ لأن السورة نزلَتْ والنبي ﷺ بمكة.

وقيل: إنَّ المعنى تُسْتَحل حُرْمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قَتْلُ صيْد ولا بشر، ولا قطْع شجر. وعلى هذا قيل لا أقسم نفي؛ أي لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذَاية.

وقيل معنى حل حلال يجوز لك في هذا ما شئْتَ من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوزُ لغيرك؛ وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: إن هذا البلد حرامٌ حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يحل لأحد قبلي، ولا يحِلُّ لأحد بعدي، وإنما أُحِلَّ لي ساعةً من نهار - يعني يوم فتح مكة. وفي ذلك اليوم أمر عليه السلام بقتل ابن خَطَل، وهو مُتَعَلِّقٌ بأستار الكعبة، ولا يحل قتْل من تعلق بها. وهذه خصوصية له عليه السلام؛ لأنه كان يؤذي الله ورسوله.

فإن قيل: السورة مكية وفتح مكة كان ثمانية من الهجرة؟

فالجواب: أن هذا وَعْدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تعده بالكرامة: أنت مكرم، تعني فيما يستقبل.

وقيل: إن السورة على هذا مدنيّة، نزلت يوم الفتح؛ وهذا ضعيف.

﴿حِنْث﴾ [الواقعة: ٤٦]: شرك؛ ومنه: ﴿وكانوا يُصِرُّون على الحِنْث العظيم﴾ [الواقعة: ٤٦]. وقيل: الحنث في اليمين: أي اليمين الغَمُوس. وقيل الإثم.

﴿حكمة﴾: اسم للعقل، وإنما سُمي حكمة لأنه يمنع صاحبه من الجهل. ومنه حَكَمة الدّابّة؛ لأنها ترد من غَرْبها وإفسادها.

﴿حِوَلا﴾، أي تحوّلاً وانتقالاً.

﴿حِجْراً مَحْجوراً﴾ [الفرقان: ٢٢]: أي حراماً محرّماً عليكم. والحِجْر: ديار ثمود؛ ومنه: ﴿ولقد كذّب أصحابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِين﴾ [الحجر: ٨٠]. والحجر: العقل؛ كقوله: ﴿هَلْ في ذلك قَسَمٌ لِذِي حِجْر﴾ [الفجر: ٥]. والحجر: حجر الكعبة؛ وهو ما حولها في أحد جهاتها. والحجر الفرس الأنثى. وحِجر القميص وحَجره لغتان مشهورتان. والفتح أفصح.

﴿حاشا﴾: اسم بمعنى التنزيه في قوله: ﴿حاشَا لِله ما عَلِمْنَا عليه مِنْ سُوء﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿حاشا لله ما هذا بَشَرا﴾ [يوسف: ٣١]. لا فعلٌ ولا حرف، بدليل قراءة بعضهم حاشاً بالتنوين، كما يقال براءة من الله. وقراءة ابن مسعود: حاشَ اللهِ، بالإضافة، كمعاذ الله، وسبحان الله، ودخولها على اللام في قراءة السبعة، والجار لا يدخل على الجار. وإنما ترك التنوين في قراءتهم لبنائها؛ لشبهها بحاش الحرفية لفظاً.

وزعم قوم أنها اسم فعل معناه: أتبرأ وتبرأت لبنائها. ورد بإعرابها في بعض اللغات.

وزعم المبرد وابن جني أنها فعل، وأن المعنى في الآية جانَبَ يوسفُ المعصية لأجل الله. وهذا التأويل لا يتأتى في الآية الأخرى.

وقال الفارسي: حاشا فعل من الحشَى؛ وهو الناحية؛ أي صار في ناحيةٍ؛ أي بَعُد مما رُمِي به وتنحَّى عنه فلم يَغْشه ولم يلابسه، ولم يقع في القرآن حاشا الاستثنائية.

﴿حتى﴾: حرف لانتهاء الغاية، كإلى؛ لكن يفترقان في أمور؛ فتنفرد حتى بأنها لا تجر إلا الظاهر، وإلا الآخر المسبوق بذي أجزاء أو الملاقي له، نحو: ﴿سَلامٌ هي حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

وأنها لإفادة تقضِّي الفعل قبلها شيئاً فشيئاً.

وأنها لا يقابَل بها ابتداء الغاية.

وأنها يقَعُ بعدها المضارع المنصوب بأن المقدرة ويكونان في تأويل مصدر مخفوض مرادفة إلى، نحو: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يَرْجِعَ إلينا مُوسى﴾ [طه: ٩١]؛ أي إلى رجوعه. ومرادفة كي التعليلية؛ نحو: ﴿ولا يَزَالُون يقاتلونكم حتى يردوكم﴾ [البقرة: ٢١٧]. ﴿لا تُنْفِقُوا على مَنْ عند رسولِ اللهِ حتى ينفضُّوا﴾ [المنافقون: ٧]. وتحتملها: ﴿فقاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى

أَمْرِ اللهِ﴾ [الحجرات: ٩]. ومرادفة إلا في الاستثناء؛ وجعل منه ابن مالك وغيره: ﴿وما يعلمان مِنْ أحَدٍ حتى يَقُولاَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

مسألة

متى دلَّ دليلٌ على دخول الغاية التي بعد إلى وحتى في حكم ما قبلها أو عدم دخوله فواضح أنه يعمل به؛ فالأول نحو قوله: ﴿وأيدِيَكم إلى الْمَرَافق، وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦]. دلت السنة على دخول المرافق والكعبين في الغسل.

الثاني نحو: ﴿ثُمّ أتِمُّوا الصيامَ إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧]. دل النهيُ عن الوصال على عدم دخول الليل في الصيام. ﴿فَنِظرَةٌ إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠]؛ فإن الغايةَ لو دخلت هنا لوجب الإنظار حال اليسار أيضاً؛ وذلك يؤدي إلى عدم المطالبة وتَفْويت حق الدائن. وإن لم يدل دليل على واحد منهما ففيه أربعة أقوال:

أحدها ـ وهو الأصح ـ تدخل مع حتى دون إلى حَمْلاً على الغالب في البابين؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع إلى والدخول مع حتى، فوجب الحمل عليه عند التردد.

والثاني: تدخل فيهما.

والثالث: لا تدخل فيهما، واستدل القولان في استوائهما بقوله: ﴿فمَتَّعْنَاهم إلى حين﴾ [يونس: ٩٨]. وقرأ ابن مسعود حتى حين.

تنبيه

حتى تَـرِد ابتدائية؛ أي حرفاً يبتدأ بعده الجمل، أي تستأنف، فيدخل على الاسمية والفعلية المـضارعة والماضية؛ نحو: ﴿حتى يقولُ الرسولُ﴾ [البقرة:

٢١٤] بالرفع. ﴿حتى عَفَوْا وقالوا﴾ [الأعراف: ٧٥]. ﴿حتى إذا فشلْتُمْ وتنازَعْتم﴾ [آل عمران: ١٥٢] وادعى ابن مالك أنها في الآيات جارّة لإذا ولأن مضمرة، كما في الآيتين الأوليين. والأكثر على خلافه.

وترد عاطفة، ولا أعلمه في القرآن، لأن العطف بها قليل جداً. ومِنْ ثَمّ أنكره الكوفيون البتّة.

﴿حيث﴾: ظَرْف مكان. قال الأخفش: وتَرِد للزمان مبنيةً على الضم تشبيهاً بالغايات، فإنَّ الإضافة إلى الجملة كلا إضافة، ولهذا قال الزجاج - في قوله تعالى: ﴿من حيث لا تَرَوْنَهم﴾ [الأعراف: ٢٨]: ما بعد حيث صلة لها، وليست بمضافة إليه، يعني أنها غير مضافة للجملة بعدها، فصارت كالصلة لها، أي كالزيادة، وليست جزءاً منها. وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة. ورُد عليه.

ومن العرب من يعربها، ومنهم مَنْ يبنيها على الكَسْرِ لالتقاء الساكنين، وعلى الفتح للتخفيف، وتحتملها قراءة مَنْ قرأ: ﴿مِنْ حيثِ لا يعلمون﴾ بالكسر. ﴿الله يَعْلَمُ حيْثَ يجعَلُ رِسالاته﴾ [الأنعام: ١٢٤] - بالفتح. والمشهور أنها لا تتصرف.

وجوّز قومٌ في الآية الأخيرة كونها مفعولاً على السعة، قالوا: ولا تكون ظرفاً؛ لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان، ولأنه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئاً في المكان، وعلى هذا فالناصب لها يُعلم محذوفاً مدلولاً بأعلم لا به، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إنْ أوَّلْتَه بعالم.

وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الظرفية المجازيّة وتضمين أعلم معنى ما يتعدّى إلى الظرف، فالتّقْدِيرُ: اللهُ أنفذ عِلْماً حيث يجعل، أي هو نافذ العلم في هذا الموضع.

حَرف الخاء المعجَمة

﴿خلق﴾: له معنيان: من الخلقة، ومنه الخالق اسم الله، والخلاق. وخلق الرجل: كذب. ومنه: ﴿وتخلقون إفكاً﴾ [العنكبوت: ١٧]. واختلاق كذب.

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧]: أي طبع عليها؛ وهذا تعليل لعدم إيمانهم؛ وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز، وقيل حقيقة، وإن القلب كالكف يُقبض مع زيادة الضلال أصبعاً أصبعاً حتى يختم عليه. والأول أظهر.

﴿خالدون﴾: باقون بقاءً لا آخر له. وبه سميت الجنة دار الخلد. وكذلك النار. وتعلق المعتزلة بقوله تعالى: ﴿خالداً فيها﴾ [النساء: ١٤]: أن العصاة من المؤمنين مخلدون في النار. وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار.

﴿خاشعين﴾: متواضعين. وقوله تعالى: ﴿وخشعت الأصواتُ للرحمن﴾ [طه: ١٠٨]؛ أي خفتت، ويراد به السكون. ومنه: ﴿وترى الأرضَ خاشعة﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿خير﴾: ضد الشر، وله أربعة معان: العمل الصالح، والمال؛ ومنه: ﴿إنْ ترك خَيْرًا الوصيّة﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ والخيرة، والتفضيل بين شيئين.

﴿لا خَلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]: لا نَصِيب.

﴿الخيْط الأَبيض﴾ [البقرة: ١٨٧]: بَيَاض النهار، ﴿والخيط الأسود﴾ سواد الليل.

﴿خاوِية﴾: خالية حيْثُ وردت.

﴿خَبَالاً﴾ [آل عمران: ١١٨]: فساداً.

﴿خائبين﴾: فاتهم الظَّفَر.

﴿خطأ﴾: ضد الصواب. وهو عَدَم الإصابة؛ وهو فيمن قتل مؤمناً خطأ بمعنى السهو؛ كقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جُنَاحٌ فيما أَخطأْتُمْ به﴾ [الأحزاب: ٥]. وقد يُعَبَّر به عن الباطل؛ كقوله تعالى: ﴿لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نسينا أو أَخطأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ ففرَّق بين الخطأ والنّسيان.

وأما المخطىء فهو المبطل. والخاطىء نقيض العامد. وقيل المخطىء: ما كان في الدِّين خاصة، والخاطىء ما كان في غيره. وقيل: هما سواء، يقال: خطأ وأخطأ بمعنى واحد؛ قاله أبو عبيدة.

﴿خَلِيل﴾: صديق؛ وهو فعيل من الخُلّة، وهي الصداقة والمودّة.

﴿خَصِيم﴾ [النحل: ٤]: جيِّد للخصومة.

﴿خائنة﴾ [المائدة: ١٣]: مصدر بمعنى الخيانة، والهاء للمبالغة؛ كما قالوا: رجل علامة.

﴿خَسِرُوا أنفسهم﴾: غبنوها وأهلكوها.

﴿خَوّلنَاكم﴾ [الأنعام: ٩٤]: ملكناكم من الأموال والأولاد.

﴿خلفْتُموني مِنْ بعْدِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]؛ أي قمتم مقامي. والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العِجْل مع السامريّ في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل؛ كهارون عليه السلام حيث لم يكفّر الذين عبدوا العجل.

﴿خالفين﴾ [التوبة: ٨٣]: متخلّفين عن القوم الذاهبين إلى الجهاد. وأما قوله تعالى: ﴿رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخَوَالف﴾ [التوبة: ٨٧]؛ أي مع النساء والصبيان.

﴿خَرَقُوا له بنين وبناتٍ بغَيْر علم﴾ [الأنعام: ١٠٠]؛ أي اختلقوا وزَوَّرُوا، والبنين: قولُ النصارى في المسيح، واليهود في عزير. والبنات قولُ

العرب في الملائكة. وإنما قرأه ابن عباس بالتشديد مبالغة في قولهم ذلك مرةً بعد أخرى.

﴿خلائفَ الأرض﴾ [الأنعام: ١٦٥]: يخلفُ بعضهم بعضاً في سكناها، واحدهم خليفة.

﴿خاطئين﴾: قال أبو عبيدة: خطأ وأخطأ بمعنى. وقيل أخطأ في كل شيء إذا سلك سبيلاً خطأً عامداً وغيْر عامد.

﴿خَطْبُكُنَّ﴾ [يوسف: ٥١]: أمركن؛ والضميرُ للنسوة اللاَّتي جمعهنّ الملكُ وامرأة العزيز معهنّ، فسألهن عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن؛ لأنه لم يكن عنده عِلم بأنَّ امرأة العزيز هي التي راوَدَتْه وحْدَها.

﴿خَلَصُوا نَجيّا﴾ [يوسف: ٨٠]: أي انفردوا عن غيرهم يُنَاجي بعضُهم بعضاً. والنّجِيُّ يكون بمعنى المنادي مصدراً.

﴿خَرُّوا له سجّداً﴾: كان السجودُ عندهم تحيةً وكرامة لا عبادةً.

﴿خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرا﴾ [الإسراء: ٩٧]: أي سكن لَهَبُ النار. ومعناها كلما أكلَتْ لحومَهم فسكن لهيبها بُدِّلوا أجساداً أُخر، ثم صارت ملتهبةً أكثر مما كانت. وهذه الآية كالتي في النساء: ﴿كلما نَضِجَتْ جلودهُم بَدَّلْنَاهم جُلوداً غيرها﴾ [النساء: ٥٦].

﴿خَرْجاً﴾ [الكهف: ٩٤]: جِبَاية. ويقال فيه خراج. وقُرِىء بهما، فعرضوا على ذي القرنين أن يجمعوا له أموالاً يُقيم بها السد، فقال: ما مكّنّي فيه ربِّي خير.

وقيل: إن الخرج أخَصُّ من الخراج. يقال: أدِّ خرج رَأْسِك، وخراج مدينتك. وأما قولُه تعالى: ﴿أم تسألُهم خَرْجاً، فخراجُ ربك﴾ [المؤمنون: ٧٢] ـ فمعناه أم تسألهم أجراً على ما جئت به فأَجْرُ ربك وثوابه خير؛ لأنه يرزقك ويغنيك عنهم. وهذا كقوله: أم تسألهم أَجْرًا، فيثقل عليهم اتِّبَاعُك.

﴿الخبيثات للخَبِيثين﴾ [النور : ٢٦] : معناه أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفْكِ؛ لأن النبيّ ﷺ أطيبُ الطيبين وزوجته أطيب الطيبات.

وقيل: إن الخبيثات مِنَ الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس. وفيه أيضاً ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشةَ لا يليقُ بها إلا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهلُ الإفك.

وقيل الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس؛ والإشارةُ بذلك إلى أهل الإفك؛ أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم.

﴿خلق الأولين﴾ [الشعراء : ١٣٧] : أي اختلاقهم وكذبهم. وقُرِئت خلق للأولين؛ أي عادتهم.

﴿خَبْء﴾ : مستتر. وقيل معناه في الآية [النمل : ٢٥] : الغيب. وقيل يخرج النبات من الأرض. واللفظ يَعُمُّ كل خفي. وبه فسره ابن عباس.

﴿خَتّار﴾ [لقمان : ٣٢] : غدّار. والْخَتر أكبر الغدر، وأكبر الغَدْر جحدان نعم الله.

﴿خاتم النبيين﴾ [الأحزاب : ٤٠]: من أسماء نبينا ومولانا محمد ﷺ. وقرىء بكسر التاء، بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم. وبالفتح بمعنى أنهم خُتِمُوا به، فهو كالخاتم والطابع لهم.

فإن قلت: كيف كان خاتمهم، وهذا عيسى ينزل في آخر الزمان؟

فالجواب أنه عليه السلام ينزل مجدِّداً لهذه الشريعة المحمدية، كالمهدي الذي يكون قبله، وكما جرت الحكمة في أنه لا ينصر الرجلَ ولا يذبُّ عنه إلا مَنْ كان من قرابته، يبعث الله المهدي من ذريته عليه السلام، كما قال: اسمه كاسمي، ونسبه كنسبي، ويمكث في الأرض خمس سنين أو سبعاً على اختلاف الروايات، ثم يأتي بعده عيسى عليه السلام ليجدِّدَ شريعته، ويلتقي مع المهديّ

بالشام فيموت المهدي، ويجدد عيسى عليه السلام هذه الشريعة المحمدية؛ لأن نبينا ﷺ يتزوّج أمَّه مريم في الجنة، فيكون عيسى ربيباً لنبينا ﷺ؛ ولذلك يقال لعيسى: تقدم للصلاة، فيقول: إمامُكم منكم، يشير إلى أنه لم يَأْتِ بشريعةٍ أخرى. وقيل: إنه عليه السلام طلب مِنَ اللهِ أَنْ يكون من هذه الأمة المحمدية لما علم مِنْ فَضْلِها، فأعطاه الله ذلك، وبعثه في آخرهم. فهنيئاً لكم يا أُمَّةَ محمد بما خَوّلكم الله مِنَ الفَضْلِ، وخَصَّكم بهذا النبيّ الكريم، عليه أَفضلُ صلاةٍ وأزكى تسليم.

﴿خَرّ مِنَ السماء﴾ [الحج: ٣١]: معناه سقط؛ لأنه تمثيل للشِّرْكِ بمَنْ أهلك نَفسه أشد الهلاك.

﴿الْخَلْف﴾ [الأعراف: ١٦٩]: الرديء من الناس. ويقال في عقب الخير خلَف - بفتح اللام، وفي عقب الشر خَلْف - بالسكون؛ وهو المعني هُنَا. واختلف مَن المعنيُّ بذلك؟ فقيل: النصارى، لأنهم خلفوا اليهود. وقيل: كل من كَفَر وعَصَى بعد بني إسرائيل.

﴿خَمْط﴾ [سبأ: ١٦]: الْخَمْط: شَجَرُ الأَرَاك. وقيل: كلُّ شجرة ذات شوك.

﴿خَطِف الْخَطْفَة﴾ [الصافات: ١٠]؛ أي خطفوه بسرعة واستلاب. والمعنى لا تسمع الشياطينُ أخبارَ السماء إلاّ الشيطان الذي خَطِف الْخَطفة.

﴿خَوَّلَه﴾ [الزمر: ٨]: أعطاه.

﴿خيرات﴾: يريد خَيّرات - بالتشديد، جمع خيرة. وقال الزمخشري وغيره: أصله خيرات - بالتشديد، ثم خُفف، كميت. قالت أم سلمة: أخبرني يا رسول الله عَنْ قوله تعالى: ﴿خيرات حسان﴾ [الرحمن: ٧٠]. قال: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

﴿خافضة رَافِعة﴾ [الواقعة: ٣]: تقديره هي خافضة رافعة، فينبغي أن

يوقف على ما قبله لبيان المعنى. والمراد بالخفض والرفع أنها ترفع أقواماً إلى الجنة، وتخفض أقواماً إلى النار.

وقيل ذلك عبارة عن هَوْلها؛ لأن السماءَ تنشق، والأرض تزلزل وتمتد، والجبال تنسف، فكأنها تخفض بعضَ هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿خَصاصة﴾ [الحشر: ٩]: حاجة وفقر. وأصل الخصاصة الخلل والفُرَج، ومنه خَصَاص الأصابع، وهي الفرج التي بينها. وفي هذه الآية مَدْحٌ للأنصار، لأنهم كانوا يؤثرون غيْرَهم بالمال على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الاحتياج.

وروي أن سبب نزولها أن رَسولَ الله ﷺ لما قَسّم هذه القُرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودِيَاركم، وشارَكْتُموهم في هذه الغنيمة. وإن شئتم أمسكْتم أموالكم وتركتم لهم هذا. فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة .

وروي أن سببها أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين، فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله، فقالت له زَوْجه: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان. فقال لها: نَوِّمِي صبيانك، وأطفئِي السِّرَاج، وقَدِّمي ما عندك للضيف، ونُوهمه نحن أنّا نَأْكُل، ولا نأكل، ففعلا ذلك. فلما غَدَا إلى رسول الله ﷺ قال: «عَجِب الله مِنْ فِعلكما البارحة»، وتلا عليه الآية.

﴿خَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨]: بالخاء والكاف بمعنى ذهاب ضوئه ويقال خُسف هو، وخسفه الله.

وقيل: الكسوف ذَهَابُ بَعْضِ الضوء، والخسوف ذهابُ جميعه.

﴿خَاسِئا﴾ [الملك: ٤]: هو المنفَّر عن الشيء الذي طلبه.

﴿خاب مَنْ دَسَّاها﴾ [الشمس: ١٠]؛ أي حقرها بالكُفْرِ والمعاصي. وأصله دسس بمعنى أخفَى، فكأنه أخفِي نفسه لما حقرها، وأبدل من السين الأخيرة حرف علة، كقولهم: قصّيْتُ أظفاري، وأصله قصصت.

﴿خُطُوات الشيطان﴾ [البقرة: ١٦٨]: آثاره.

﴿خُلّة﴾ [البقرة: ٥٤] - بضم الخاء: موَدة؛ ومنه الخليل، وجمعه أخلاَّء. والخَلَّة الحاجة. وأما قوله: ﴿ولا خلّة﴾، فالمراد بها الدار الآخرة؛ لأن كل أحد يومئذ مشغولٌ بنفسه.

﴿خُوَار﴾ [الأعراف: ١٤٨، وطه: ٨٨]: صوت البقر، وكان السامِرِيّ قد قبض قبْضة من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فصار له خُوار. وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل، فيصيح فيه فيُسْمَع له خوار.

﴿خُمرِهنّ﴾ [النور: ٣١]: جمع خمار، وهي الْمِقْنَعة، سميت بذلك لأن الرأس يخمَّر بها؛ أي يُغطى؛ وكل شيء غطيته فقد خَمَّرته. والخمَر: ما واراك من شَجر.

﴿خلطاء﴾: شركاء.

﴿خُشب مُسَنَّدة﴾ [المنافقون: ٤١]، جمع خشبة، وشبَّه المنافقين بالخشب المسنَّدَة في قلّة إفهامهم، فكان لهم منظر بلا مخبر، ولما كانت الخشبُ المسندة لا منفعة فيها كانوا كأنها هم، بخلاف الخشب المسقف بها أو المغروسة في جدار فلها منفعةٌ حينئذ.

وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم بالخشُب المسنَّدة.

﴿الْخُنّس﴾ [التكوير: ١٥]: يعني الدراري السبعة؛ وهي الشمس، والقمر، وزُحَل، وعطارد، ومريخ، والمشتري، والزهرة؛ وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جرْيها؛ أي تتقهقر؛ فيكون النَّجْمُ في البرج فيكر راجعاً، وهي في جوار الفلك.

﴿خُطبة﴾ - بالضم: حمد وتصلية ودعاء. وبالكسر: تزويج. وفي قوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم فيما عرَّضتم به مِنْ خِطبةِ النِّساءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]: غير

المعتدة. وأما المعتدّةُ فيجوز لها التعريض، كقوله: إنكم لأكفاء كرام؛ وكقوله: إن الله يفعل معكم خيراً. وشبه ذلك.

﴿خِلاَف﴾ [المائدة: ٣٣]: مخالفة. ومنه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُون بمقْعَدِهم خِلاَفَ رسولِ الله﴾ [التوبة: ٨١]. ﴿وإذاً لا يلبثون خلاَفك إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٦]؛ أي بعدك: وأما قوله تعالى: ﴿أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خِلاَف﴾ [المائدة: ٣٣] - فمعناه أن تقطع يَدُه اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى. وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرُّسْغ، وَقطع الرجل من المفصل؛ وذلك في الحرابة وفي السرقة.

﴿خِزْي﴾: هَوَان وهَلاَك أيضاً.

﴿أخْدَان﴾ [النساء: ٢٥]: جمع خِدْن، وهو الخليل.

﴿خطب﴾: خبر. والخطب أيضاً: الأمر العَظِيم.

﴿خُفْيَة﴾ [الأنعام: ٦٣]؛ من الإخفاء. وقرىء - خيفة، من الخوف.

﴿خَوْفاً وطمعاً﴾ [الرعد: ١٢] جمعَ اللهُ الخوفَ والطمَعَ، ليكون العبد خائفاً راجياً، كما قال تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَه ويخافُونَ عذابَه﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ فإنَّ مُوجِبَ الْخَوْفِ معرفةُ عقابِ اللهِ وشدة سطْوَته، ومُوجِب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه؛ قال تعالى: ﴿نَبِّىء عِبَادِي أنّي أنا الغَفُورُ الرحيم. وأنَّ عَذابي هوَ العذَابُ الأَلِيم﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ومن عرف فضل الله رجاه، ومن عرف عقابه خافه؛ ولذلك جاء في الحديث: «لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعْتَدلا»؛ إلا أنه يُستحَبُّ أن يكُون طول عمر العبد يغلب عليه الخوف، ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يغلب عليه الرّجاء عند حضور الموت؛ للحديث: «لا يموتَنّ أحدكم إلا وهو يُحْسِن الظن بالله».

واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب ولا يؤثّر في الباطن ولا في الظاهر؛ فوجودُ هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قوياً فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أنْ يشتدَّ حتى يبْلغ إلى القنوط واليأس؛ وهـذا لا يجوزُ. وخيْـرُ الأمورِ أوساطها.

والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخَوْفُ العامَّةِ من الذنوب. وخَوْف الخاصَّةِ من الخاتمة. وخوف خاصة الخاصة من السابقة؛ فإن الخاتمة مبنية عليها.

والرجاء على ثلاث درجات:

الأولى: رجاءُ رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته، وترك معصيته؛ فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان؛ فهذا غرور.

والثالثة: أن يَقْوَى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمْنِ، فهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات:

فمقام العامة رجاء ثواب الله. ومقام الخاصة رجاء رضوان الله. ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبًّا فيه، وشَوْقاً إليه.

﴿خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]: أَزِقَّتُها. وخلال: مخالفة أيضاً، كقوله تعالى: ﴿لا بَيْع فيه ولا خِلاَل﴾ [إبراهيم: ٣١]. وخلال السحاب وخللها: الذي يخرج منه المطر.

﴿خِلْفة﴾ [الفرقان: ٦٢]: أي يخلف هذا هذا. وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود. والخلفة: اسم للهيئة كالرِّكبة والجِلْسة؛ فالأصل جعلها ﴿ذَوِي خلفة﴾ [الفرقان: ٦٢]. لمن أراد أن يَذَّكر؛ أي يعتبر في المصنوعات. وقيل: يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه

بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه بالليل؛ وهو قَوْلُ عُمَرَ بن الخطاب وابن عباس.

﴿خِتَامه مِسْك﴾ [المطففين: ٥٦]: أي آخر خاتمته وعاقبته إذا شُرب؛ أي يوجد في آخره كشم المسك ورائحته؛ يقال للعطار إذا اشترى منه الطيب اجعل خاتمه مسكاً.

وقيل: إنه يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن الاشتقاق. وقيل: إنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه.

والمعنى أنه ختم على فَمِ الإناء الذي هو فيه بالمسك كما يُخْتم على أفواه آنية الدنيا بالطِّين إذا قُصد حِفْظُها وصيانتها.

وقرىء خاتمة، بألف بعد الخاء، وبفتح التاء وكسرها.

حَرف الدال المهمَلة

﴿داود﴾ هو ابن إيْشا ـ بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ـ ابن عَرْبد ـ بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن نخشون بن عمي بن يارب ـ بتحتية وآخره موحَّدة ابن رام بن حضرون ـ بمهملة ثم معجمة ـ ابن فارص ـ بفاء وآخره مهملة ابن يهوذا بن يعقوب.

وفي الترمذي أنه كان أعْبَدَ البَشَر؛ ولهذا لما قال: يا رب، كن لسليمان كما كنت لي. فقال له: قل لسليمان يكون لي كما كنتَ لي أكون له كما كنت لك. وكان يقول: يا رب، كيف تغفر لمن عصاك وقد تجرَّأ عليك؟ فلما وقع له من «الخصمان» ما أَخْبَر اللهُ به قال: إلهي اغفر لمن عصاك لعلي أن ألحق بهم.

قال كعب: كان أحْمرَ اللَّوْن، سبْط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية، فيها جُعودة، حسن الخلق والصوت، وجمع الله له النبوءة والملك، وكان يأمر أن تُسْرَجَ فَرَسُه فيُوحَى له قراءة الزبور فيقرأه قبل أن يركب.

وقد قدمنا أن الله هيّأ لهذه الأمة المحمدية مثل ذلك في قراءة هذا القرآن العظيم.

قال النَّوويّ: قال أهل التاريخ: عاش مائة سنةٍ، مدة مُلْكه منها أربعون سنة. وكان له اثنا عشر ابنا.

﴿دابَّة﴾: كل ما يَدِبُّ على الأرض من حيوان وغيره. وأما قوله تعالى: ﴿وكأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزقها﴾ [العنكبوت: ٦٠]؛ فهي تقويةٌ لقلوب

المؤمنين إذا خافوا الجوع والفَقْرَ في الهجرة إلى بلاد الإسلام؛ أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلادكم.

﴿دَأْب آل فرعون﴾ [آل عمران: ١١]: أي عادتهم. وفي تشبيه الآية تهديد؛ أي دأب هؤلاء كدأب آل فرعون.

﴿دَرَجات عند الله﴾ [آل عمران: ١٦٣]؛ أي منازل بعضها فَوْقَ بعض. والمعنى تفاوت ما بين منازِلِ أهْل الرضْوان وأهل السخط، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان؛ فإنّ بعضَهم فوق بعض، فكذلك درجات أهل السخط. وكما أنَّ أهل الجنة على درجات فكذلك أهل النار على دركات بعضها أسفل من بعض. ومنه: ﴿إنَّ المنَافِقين في الدَّرْكِ الأَسفَلِ من النار﴾ [النساء: ١٤٥] وفي الآية دليلٌ على أنهم أسفل من الكفار. قال ابن عباس: الدرك الأسفل توابيت من حديد مُبْهَمة عليهم - يعني - أنها لا أبواب لها.

﴿دَابِر القَوْم﴾ [الأنعام: ٤٥]؛ أي آخرهم؛ وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية.

﴿دارست﴾ بالألف؛ أي دارست العلماء وتعلمت منهم ودَرَسَت [الأنعام: ١٠٥] بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآية ودثرت. ومعناه قرأت بلغة اليهود، ومنه بيت المدارس، أي القراءة.

﴿دَلاّهُمَا بغُرور﴾ [الأعراف: ٢٢]؛ أي أزلّهما إلى الأكل من الشجرة، وغَرَّهما بحلفه لهما وقَسَمه أنه من الناصحين؛ لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذباً، فلما أكلا منها بدت لهما سَوْءَاتهما؛ أي زال عنهما اللباس، وظهرت عَوْراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا لأحدهما من الآخر. وقيل: كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النَّظر.

﴿دكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]: مدكوكاً من الأرض، فهو مصدر بمعنى مفعول؛ كقولك: ضرب الأمير. والدّكّ والدق: أخوان، وهو التفتّت. وقرىء دَكَّاء - بالمد والهمز؛ أي أَرْضاً دَكاء ملساء. وناقة دكاء، وهي المفترشة السنام في ظهرها، أو المجبوبة السنام.

﴿دَار السلام﴾ [يونس: ٢٥]: يعني الجنة، وسميت بذلك لأنها سالمةٌ من الفناء والتعب. وقيل السلام هو اسم الله، وأضافها إليه لأنها ملكه وخلقه. ودوائر السلام التي تأتي مرةً بخير ومرة بشر. يعني ما أحاط الإنسان منه. وقوله: ﴿عليهم دائرةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨]؛ أي يدور عليهم من الدهر ما يَسُوءُهم. ويحتمل أن يكون خيراً أو دعاء.

﴿دَعْوَاهُم فيها﴾ [يونس: ١٠]: أي يكون دعاؤهم في الجنة سبحانك. والدعاء الادّعاء أيضاً.

﴿أدْنى﴾ له معنيان: أقرب فهو من الدنو، وأقلّ فهو مِنَ الدنيء الحقير.

﴿دَأَبا﴾ [يوسف: ٤٧] قد قدّمنا أن معناه عادة وجدّ. ومعناه أيضاً المُلاَزمة. ومنه سبع سنين دَأَبا ـ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه.

﴿دَاخِرون﴾ [النحل: ٤٨] صاغرون أذِلاَّء، وجمِعَ بالواو لأن الدُّخور من أوصاف العقلاء.

﴿دَخَلاً بينكم﴾: [النحل: ٩٢] أي دغلاً وخيانة؛ وهذه الآية فيمَنْ بايَع النبيَّ ﷺ وآمن به، ثم رجع. وفي قوله: ﴿فتَزِلّ قَدَمٌ بعد ثُبوتها﴾ [النحل: ٩٢] ـ استعارةٌ في الرجوع مِنَ الخيْرِ إلى الشر؛ وإنما أفرد القدم ونكَّرَها لاستعظام الزّلل في قدم واحدة فكيف في أقدام كثيرة!

﴿دَرَكا﴾ [طه: ٧٧]: إلحاقاً؛ أي لا تخافُ أنْ يُدْرِكَك فرعون وقومه، ولا تخشى الغَرق في البحر.

﴿داحِضَة﴾ [الشورى: ١٦]: باطلة زائلة، وكذلك: ﴿ليُدْحِضُوا به الحقّ﴾ [الكهف: ٥٦] أي ليُزيلوا به الحقّ، ويذهبوا به. ويقال: مكان دحْض؛ أي مزل مزلق، ولا يثبت فيه قَدَمٌ ولا حافر.

﴿دهر﴾: مرور السنين والأيام.

﴿ديَّارا﴾ [نوح: ٢٦]: من الأسماء المستعملة في النفي، يقال: ما في الدَّار ديَّار، أي ما بها أحد. وزْنه فَيْعال؛ وكان أصله دَيوار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعَّال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل دوار؛ لأنه مشتقٌّ من الدوَرَان.

وروي أن نوحاً عليه السلام لم يَدْعُ على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وبعد أن أخرج اللهُ كلَّ مُؤمِنٍ من أصلابهم.

﴿أَدْبر﴾ في قوله: ﴿والليل إذا أَدبر﴾ [المدثر: ٣٣]. وقرىء دَبر بغير ألف. والمعنى واحد ـ يقال دبر الليل والنهار؛ أي جاء في دبره، وأدبر.

﴿دَحَاها﴾ [النازعات: ٣٠]: بسطها؛ وبهذا استدلَّ مَنْ قال: إنّ الأرض بسيطة غير كروية؛ ولكن يفهم من هذه الآية أنّ الأرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السماء. وفي آية فصلت السماء قبْلها؛ والجمع بينهما أن الله خلقها قبل السماء، ثم دحاها بعد ذلك.

فإن قلت: لِمَ قال: أخرج [النازعات: ٣١] ـ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسير لما قبلها؛ قاله الزمخشري.

﴿دَسَّاها﴾: أي أَخْفَاها بالفُجور والمعاصي. والأصل دسّسها فقُلِبَتْ إحدى السينين ياء، كما قيل تظنّيت.

﴿دمْدمَ عليهم ربُّهم﴾ [الشمس: ١٥]: عبارة عن إنزال العذاب بقوم صالح. وفيه تهويل عليهم وعلينا؛ إذ لا يؤَاخَذ أَحَدٌ إلاَّ بسبب ذنبه، بل يؤخذ به البريء والفاعل، كما قالت عائشة: أنهلك يا رسول الله وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث.

قوله: فسَوَّاها. قال ابن عطية: معناه فسوَّى القبيلة في الهلاك. وقال

الزمخشري والضمير للدمدمة؛ أي سواها بينهم. اللهم لا تسو هذه الأمة بإنزال العذاب عليها بحرمة نبيها وشفيعها ﷺ.

﴿دَعا﴾ ورد على أوجه: العبادة: ﴿ولا تَدْعُ مِنْ دونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّك﴾ [يونس: ١٠٦]. والاستعانة: ﴿وادْعُوا شهداءَكم﴾ [البقرة: ٢٣]. والسؤال: ﴿ادعُونِي أَسْتَجِبْ لكم﴾. [غافر: ٦٠]. والقول: ﴿دَعْواهُم فيها سبحانَكَ اللهم﴾ [يونس: ١٠]. والنداء: ﴿يوم يدعوكم﴾ [الإسراء: ٥٢]. والتسمية: ﴿لا تَجْعَلُوا دعاءَ الرسولِ بينكم﴾ [النور: ٦٣].

﴿دلُوك الشمس﴾: هو زَوَالُها إلى أن تغيب، والإشارة بهذا لصلاة الظُّهْرِ والعَصْر.

﴿دُرّيّ﴾ [النور: ٣٥] - بضم الدال وتشديد الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدُّرِّ، لبياضه وصفائه، أو يكون مسهّلاً من الهمز. وقُرِىء بالهمز وكسر الدال وبالضم والهمز؛ وهو مشتق من الدَّرْء بمعنى الدّفع. وشبّه الزُّجاجة في إنارتها بكوكب دُرِّي؛ لأنها تضيء بالمصباح الذي فيها. وحكى أبو القاسم شَيْذلة أنَّ معنى الدّري المضيء بالحبشية.

﴿دحُوراً﴾ [الصافات: ٩]: أي طَرْداً وإهانة وإبعاداً؛ لأن الدَّحْر الدفع بعُنْف. وإعرابه مفعول من أجله، أو مصدر من ﴿يقذفون﴾ على المعنى، أو مصدر في موضع الحال؛ تقديره مدحورين.

﴿دُخَان﴾ [فصلت: ١١] روي أنه كان العرش على الماء؛ فأخرج الله من الماء دخاناً، فَارْتَفَع فَوْقَ الماء، فأيبس الماء، فصار أرضاً، واشْتَدَّ يَبس الأرضِ، فصار حجراً، ثم خلق الله السماء فجعلها سبعة أجزاء؛ جزءاً منها ماء، وجزءاً قطراً، وجزءاً حديداً، وجزءاً فضة، وجزءاً ذهباً، وجزءاً لؤلؤاً، وجزءاً ياقوتاً أحمر، فخلق سماء الدنيا من الماء، ومن القِطر الثانية، والثالثة من الحديد، والرابعة من الفضة، والخامسة من الذهب، والسادسة من اللؤلؤ، والسابعة من الياقوت، ثم فتقها فجعل بين كل واحد منها مسيرة خمسمائة عام.

نكتة: خلقَ من دخان واحد سَبْعَ سموات لا تُشْبِهُ إحداها الأخْرَى.

وأعجبُ من هذا أنه أنزل من السماء ماءً فأَحْيَا به الأَرْضَ بعد موتها، فأخرج من قطرةِ المطر أنواع النَّبَات؛ بعضُها أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أخضر، وبعضها أسود، وبعضها حُلْو، وبعضها مرّ، قال تعالى: ﴿ونُفَضِّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ في الأكُل﴾ [الرعد: ٤].

وأعجبُ مِنْ هذا نطفة وقعَتْ في رَحِم امرأةٍ فصيَّرها عَلَقة، وصيّر العَلقة مُضْغَةً، وخلق المُضْغة عِظاماً؛ وخلَق من نطفة ذَكَراً، ومن أُخرَى أُنثَى، ومن نطفة مؤمناً، ومن أخرى كافراً؛ ومن نطفة صالحاً، ومن أخرى طالحاً، ومن نطفة موفّقاً، ومن أخرى منافقاً؛ ومن نُطفة موحِّداً، ومن أخرى معانداً؛ ومن نطفة سعيداً، ومن أخرى شقِياً؛ أَلَا لَهُ الخَلْق والأمرُ تبارك الله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تأتي السماءُ بدُخَانٍ مُبِين...﴾ [الدخان: ١٠] الآية. ففيه قَوْلان: أحدهما قول عليّ بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما، إنّ الدُّخَان يكونُ قبل يَوْم القيامة يُصيب المؤمِنَ منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين؛ وهو من أشراط الساعة. وروى حُذَيفةُ أن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ أَوَّلَ الآيات الدخان».

والثاني قولُ ابن مسعود: إنَّ الدخانَ عبارة عما أصاب قُريشاً حين دعا عليهم رسول الله بالجَدْبِ، فكان الرجُلُ يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع. قال ابن مسعود: خَمْسٌ قد مَضَيْنَ: الدخان، واللِّزام، والبَطْشَة، والقمر، والرُّوم. وقيل: إنه يقال للجدب دخان ليبس الأرض وارتفاع الغُبَار. فشبه ذلك بالدخان. وربما وضَعَتِ العَربُ الدخان في موضع الشرِّ إذا علَا؛ فتقول كان بيننا أمرٌ ارتفع له دخان.

﴿دُسُر﴾ [القمر: ٢٣]: مسامير، واحدها دسار. وقيل: مقادم السفينة. وقيل أضلاعها، والأول أشهر. والدسار: أيضاً الشرط التي تشد بها السفينة.

﴿دُولة﴾ [الحشر: ٧] ـ بالضم والفتح: ما يدول الإنسان، أي يدور عليه.

ويحتمل أن يكون من المداولة، أي كي لا يتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بينهم، وهو الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى، ويبْقَى الفقراءُ بلا شيء، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ قسّم أمْوَال بني النَّضِير على المهاجرين، فإنهم كانوا حينئذ فقراء. ولم يُعط الأنصار منها شيئاً، لأنه كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سَهْمُنا مِنْ هذا الفَيْء، فأنزل الله الآية [الحشر: ٧]. ويقال الدُّولة في المال بالضم. والدَّولة في الحرب بالفتح. ومنه الحديث: إنهم يُدَالون كما تنصرون. ويقال الدولة ـ بالضم: اسم الشَّيْءِ الذي يُتَداول بعينه. والدَّولة بالفتح: الفعل.

﴿دِين﴾: له خمسة معان: الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر. قال تعالى: ﴿إنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿ما كان ليَأْخُذَ أخاه في دِين الملك﴾ [يوسف: ٧٦]. ﴿ولا تَأْخُذْكم بها رَأفَةٌ في دِين الله﴾ [النور: ٢]، أي في حكم الملك. ﴿يومئذ يُوَفِّيهم اللهُ دِينَهم الحق﴾ [النور: ٢٥]، أي الحساب.

والدّين بمعنى الدينونة والمذهب، يقال دين فلان. قال عليه السلام: «كما تَدِين تُدَان».

﴿دُكَّت الأرْض﴾ [الفجر: ٢١]: أي دقّت جِبَالها حتى استوت مع وجه الأرض.

﴿دِفْء﴾ [النحل: ٥] ما استدفىء به من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب.

﴿دِهَان﴾: جمع دهن. وأما قوله تعالى: ﴿فكانَتْ وَرْدَةً كالدهان﴾ [الرحمن: ٣٧] ـ فإنما شبّه السماءَ يوم القيامة به لأنها تذوب من شدة الهول. وقد شبّه لمعانها بلمعان الدُّهن. وقيل: إن الدُّهن هو الجلد الأحمر.

﴿دينار﴾ [آل عمران: ٧٥] حكى الجواليقي وغيره أنه فارسي.

﴿دِهَاقا﴾ [النبأ: ٣٤]: أي ملأى. وقيل صافية؛ والأول أشهر.

﴿دُونَ﴾ : ترد ظـرفـاً نقيـض فَـوْق فلا تنصرف على المشهـور. وقيـل: تنصرف؛ وبالوجهين قرىء: ومنا دون ذلك بالرفع والنصب. وتَرِد اسماً بمعنى غير؛ نحو: ﴿اتَّخَـذُوا مِـنْ دُونِـه آلهةً﴾ [الكهـف: ١٥]؛ أي غيره. وقـال الزمخشري: معناه أَدْنى مكان من الشيء؛ وتستعمل للتفاوت في الحال؛ نحو: زيد دون عمر؛ أي في الشرف والعلم. واتُّسع فيه فاستعمل في تجاوز حدٍّ إلى حد؛ نحو: ﴿أولياء من دون المؤمنين﴾ [آل عمران: ٢٨] أي لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين.

حَرف الذال المعجمة

﴿ذو الكِفْل﴾ [ص: ٤٨ ، والأنبياء: ٨٥]: قيل: هو ابن أيّوب. وفي المستدرك عن وهب ـ أنَّ الله بعث بعد أيوب ابنه، واسمه بشر بن أيوب نبيئاً، وسماه ذا الكِفْل وأَمَرَهُ بالدعاء إلى توحيده، وكان مُقيماً بالشام عُمْره حتى مات وعُمْرُه خمس وسبعون سنة.

وفي العجائب للكرماني: قيل: هو إلياس. وقيل يوشع بن نُون. وقيل هو نبيّ الله ذو الكفل. وقيل كان رجلاً صالحاً تكفل بأُمُور فوفَّى بها. وقيل: هو زكرياء في قوله: ﴿وكَفَّلَهَا زكريّا﴾ [آل عمران: ٢٧]. وقال ابن عسكر: هو نبيء تكفَّلَ الله له في عمله بضِعْفِ عمل غيْرِه من الأنبياء. وقيل: لم يكن نبياً، وأن اليسع استخلفه فتكفّل له أن يصوم النهار ويقوم الليل. وقيل أن يصلي كل يوم مائة ركعة. وقيل هو اليسع، وإن له اسمين.

﴿ذو القرنين﴾: اسمه اسكندر. وقيل: عبدالله بن الضحاك بن سعد. وقيل هو المنذر بن ماء السماء. وقيل: الصعب بن قرين بن الهمال، حكاه ابن عسكر.

ولُقِّبَ ذا القَرْنَيْن؛ لأنه بلغ قَرْنَي الأرض المشرق والمغرب. وقيل: لأنه ملك فارس والروم. وقيل: كان على رأسه قَرْنان؛ أي ذُؤَابتان. وقيل: كان له قرنَان من ذهب. وقيل: لأنه ضُرِب على قرنه فمات؛ ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر. وقيل: لأنه كان كريم الطرفين. وقيل: لأنه انقرض في وقْته قَرْنَان من الناس، وهو حيّ. وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

﴿ذَلُول﴾ [البقرة: ٧١]: أي ذُلِّلت للحرث، والمراد بها بقرة بني إسرائيل ـ يعني أنها غير مذَلَّلة للعمل.

﴿ذَكَّيْتُم﴾ [المائدة: ٣]: قطعتم أوداجَه، ونَهَرْتم دمَه، وذكرتم اسم الله عليه. وأصل الذكاة في اللغة تمام الشيء؛ ومن ذلك ذكاء السن؛ أي تمام السن؛ أي النهاية في الشباب. والذكاء في الفهم أن يكون فهماً تامّاً سريع القبول. وذكّيت النار: أتممت إشعالها. وقوله: ﴿إلاَّ ما ذَكَّيْتُم﴾؛ أي أدركتم ذَبْحَه على التمام. قيل: إنه العِرْق المنقطع؛ وذلك إذا أُريد بالمنخنقة ونحوها ما مات من الاختناق، والوقذ والتردّي والنطح وأَكْل السبع.

والمعنى حُرِّمت عليكم هذه الأشياء لكن ما ذَكَّيْتم من غَيْرِها فهو حلال.

وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي مَيْتة؛ فقد دخلت في عموم الميتة؛ فلا فائدة لذِكْرِها بعدها.

وقيل: إنه استثناء متّصل، وذلك إن أُريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب، وأدركت ذكاته.

والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال. ثم اختلف أهلُ هـذا القول: هل يشترط أن تكون لم ينفذ مقاتلـها أم لا. وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاته جائزة باتفاق.

﴿ذات الصُّدُور﴾ [آل عمران: ١١٩]: حاجاتها وما يخطر لها.

﴿ذَرَأكم﴾: خلقكم. ومنه: ﴿ولقد ذَرَأنا لجهنّم﴾ [الأعراف: ١٩٧].

﴿ذَنوب﴾ ـ بفتح المعجمة: نصيب. ومنه: ﴿ذَنُوباً مثل ذَنُوب أصحابهم﴾ [الذاريات: ٥٩]. ويريد به هنا نصيباً من العذاب. وأصل الذَّنوب الدَّلْو، والمراد بالضمير كُفّار قريش وأصحابهم ممّنْ تقدم ذِكْرُهم.

﴿ذَرْعُها سبعون ذِرَاعاً﴾ [الحاقة: ٣٢] أي طولها، ومبلغ كيلها. واختلف في مبلغ هذا الذراع؛ فقيل: إنه الذراع المعروف. وقيل: بذراع الملك. وقيل:

سبعون باعاً كل باع كما بَيْنَ مكّةَ والمدينة. ولله دَر الحسن البَصْري في قوله: الله أعلم بأيّ ذراع هي، فإن السبعين من الأعداد التي تَقْصِدُ بها العَرب التكثير.

ويحتَمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحدٍ مِنْ أهل النار، أو تكون بين جميعهم. ورُوي أن هذه السلسلة تدخل في فَمِ الكافر، وتخرج من دُبره، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى؛ كقولهم: أدخلت القلنسوة في رَأسي. ورُوي أنها تُلْوَى عليه حتى تلمّه وتضغطه؛ فالكلام على هذا على وجهه؛ وهو السلوك فيها. وإنما قدّم قوله: في سلسلة ـ على: «اسلكوه» لإرادة الحصْرِ؛ أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، وكذلك قدّم الجحيم على صَلّوه لإرادة الحَصْرِ أيضاً.

﴿ذُلُلا﴾: جمع ذلول، وهو السهل اللين الذي ليس بصعب. ومنه: ﴿فاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّك ذُللا﴾ [النحل: ٦٩] ـ يعني الطرق في الطيران؛ وأضافها إلى الرَّبِّ لأنها ملكه وخَلْقه. ويحتمل أن يكون قوله: ذللاً ـ حالاً من السُّبُل. قال مجاهد: لم يتوعّر قط على النحل طريق. أو حالاً من النحل؛ أي منقادة لما أمرها الله به.

﴿ذرّية﴾: فُعلية من الذَّر؛ لأن الله تعالى أخرج الْخَلْقَ مِنْ صُلْبِ آدم كالذّر. وقيل: أصل ذرية ذُرّورة على وزن فُعْلُولة، فلما كثر التصريف أُبدلت الراء الأخيرة ياء فصارت ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء فصارت ذرية، وهم أولاد الرجل وأولاد الأولاد وإنْ بَعَدُوا. وقيل: ذرية فعلية أو فُعِّيلَة من ذرأ الله الخلق فأبدلت الهمزة ياء، كما أُبدلت في نبي.

وذكر في العقد لابن عبد ربه أن الحجاج عتب على يَحْيي بن يعمر فقال له: أنت الذي تقول إنَّ الحُسَيْن ابن رسول الله؟ فقال: نعم. قال: والله لئن لم تَأْتني بالمخرج لأضْرِبَنَّ عنقك. فقال: قال تعالى: ﴿وتلك حُجَّتُنَا آتَيْنَاها إبراهيمَ على قَوْمِه...﴾ [الأنعام: ٨٣، ٨٤] إلى قوله تعالى: ﴿ومِنْ ذُرِّيَّتِه دَاوُد ...﴾ الخ. فقال له: فمن أَبْعَدُ؛ عيسى عليه السلام من إبراهيم أم الحسين من محمد

ﷺ ؟ فقال الحجاج: والله ما كأني قَرَأْتُها. ثم ولّاه قضاء بلدِه؛ فلم يزل بها قاضياً حتى مات.

وتأمّلْ هذا؛ فإنَّ النزاع إنما هو في تسمية ابن البِنْتِ ابناً؛ وغاية ما في هذه الآية أنه جعل عيسى من الذرية؛ لأن عيسى ليس له أَبٌ فهو ابن بنت نوح. ولا شك أن الابن أخص من الذرية. والنص في القضية قوله عليه السلام: إن ابني هذا سيِّد... الحديث. وقوله تعالى: ﴿وحلَائل أبنائِكم﴾ [النساء: ٢٢]؛ فإن اللخميّ وغيره حكى الإجماع في مذهب مالك وغيره على دخول ابن البنت فيها.

﴿ذِلّة﴾: صغار ومسكنة.

﴿ذِكْرى لهم﴾: فيها وجهان:

أحدهما: أن المعنى ليس على المؤمنين حسابُ الكفار، ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر؛ تقديره يذكرونهم ذكرى. أو رفع على المبتدأ تقديره عليهم ذكرى. والضمير في لعلهم عائد على الكفّار؛ أي تذكرونهم رجاء أن يتّقُوا، أو عائد على المؤمنين؛ أي يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تَقْوى الله.

والثاني: أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القُعود مع الكافرين بسبب أنّ عليهم من حسابهم شيئاً؛ وإنما هو ذكرى للمؤمنين. وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مُضْمر، تقديره: ولكن نهيه ذكرى. أو مفعول من أجله، تقديره إنما نهوا ذِكْرَى. والضمير في لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير.

﴿ذكر﴾: وَرَدَ على أوْجه: ذكر اللِّسان: ﴿فاذْكُرُوا اللهَ كذِكْرِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. وذكر القلب: ﴿ذكَرُوا اللهَ فاستَغْفَرُوا لذنوبهم﴾ [آل عمران: ١٣٥]. والحفظ: ﴿واذْكُرُوا ما فيه﴾ [البقرة: ٦٣]. والطاعة والجزاء: ﴿فاذْكُرُوني أذْكركم﴾ [البقرة: ١٥٢]. والصلوات الخمس: ﴿فإذا أمِنْتم فاذْكرُوا الله﴾ [البقرة: ٢٣٩]. والعظمة: ﴿فلما نسوا ما ذكّروا به﴾ [المائدة: ١٣]. والبيان: ﴿أو عجبتم أنْ جاءكم ذِكْرٌ من ربكم﴾ [الأعراف: ٨٣].

والحديث: ﴿اذكرْني عند ربِّك﴾ [يوسف: ٤٢]؛ أي حدثه بحالي. والقرآن: ﴿ومَنْ أعرض عن ذِكْري﴾ [طه: ١٢٤]. ﴿ما يَأْتيهم من ذِكْرٍ من ربهم﴾. والتَّوْراة: ﴿فاسْأَلوا أهل الذكر﴾. والخبر: ﴿سأَتْلُو عليكم منه ذِكْرا﴾ [الكهف: ٢٣]. والشرف: ﴿وإنّه لذِكْرٌ لكَ ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤]. والعيب: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ [الأنبياء: ٣٦] واللوح المحفوظ: ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. والثناء: ﴿وذكروا الله كثيراً﴾. والوحي: ﴿فالتاليات ذِكرا﴾ [الصافات: ٣]. والرسول: ﴿ذِكْراً. رسولاً﴾. والصلاة: ﴿ولَذِكر الله أكبر﴾. وصلاة الجمعة: ﴿فاسْعَوْا إلى ذِكْر الله﴾. وصلاة العصر: ﴿عن ذِكْرِ ربِّي﴾.

﴿ذِمّة﴾ [التوبة: ٨، ١٠]: عهد. وقيل: الذمة التذمّم ممن لا عَهْدَ له؛ وهو أن يلزمَ الإنسان ذمّاً أي حقائق واجبة عليه، يجري مَجْرَى المعاهدة من غير معاهدة ولا تحالف.

﴿ذِبْحٌ عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧]: اسم لما يُذْبح، وأراد به الكَبْشَ الذي ذبحه ولد آدم، وفدّى الله إسماعيل من الذبح، ولذلك وصفه بعظيم؛ لأنه تَقَبَّلَهُ الله منه وربّاه في الجنة. وفي القصص: إن الذبيح قال لإبراهيم: اشدد برباطي لئلا أضطرب، واصرِفْ بصرك عنّي لئلا ترحمني. فلما أَمَرَّ الشفْرة على حَلْقه ولم تقطع؛ لأن المراد الوصل لا القطع، كأنه يقول: يا إبراهيم امتثل، ويا سكّين لا تقطع؛ لأن لي في أمره سراً وتدبيراً. وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية تركناه لطوله وعدم صحته.

فإن قلت: كيف قال: ﴿وناديْنَاه أنْ يا إبراهيم قد صدَّقْتَ الرؤيَا﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]. ولم يذبح؟

فالجواب: أنه فعل ما قَدر عليه، ونِيَّتُه امتثال الأمر ولو لم يَفْدِه الله لذبحه؛ وامتناع الذّبح إنما كان من عند الله. والمَدْحُ إنما يكون على النية، ونيّة المؤمن خيْر من عمله.

﴿ذَرْ﴾ حيثما ورد في القرآن بمعنى اترك، وهي منسوخةٌ بآية السيف. وقيل: تهديد؛ فلا متاركة ولا نسخ فيها.

﴿ذَكِّرْ به﴾ [الأنعام: ٧٠] الضمير عائد على الدين، أو على القرآن.

﴿ذُو﴾: بمعنى صاحب، وُضِعَ للتوصل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس، كما أن الذي وُضعت وصلة إلى وصف المعارف بالجمل. ولا يستعمل إلا مضافاً، ولا يُضَاف إلى ضمير ولا مشتق. وجوَّزَه بعضهم؛ وخرج عليه قراءة ابن مسعود: ﴿وفَوْق كلِّ ذِي عَالِمٍ عليم﴾ [يوسف: ٧٦].

وأجاب الأكثرون عنها بأن العالم هذا مصدر كالباطل؛ أو بأن ذي زائدة.

قال السهيلي: والوصف بذو أبْلَغ من الوصف بصاحب. والإضافة بها أشْرَف؛ فإن ذو يضاف للتابع وصاحب يضاف إلى المتبوع؛ تقول أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة. وأما ذُو فإنك تقول: ذو المال وذو الفرس، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع، وبُنِي على هذا الفرق أنه قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وذا النُّون﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فأضافه إلى النون، وهو الحوت. وقال في سورة ن: ﴿ولا تَكُنْ كصَاحِب الحوت﴾ [ن: ٤٨].

قال: والمعنى واحد؛ ولكن بين اللفظين تَفَاوُت كبير في حُسْنِ الإشارة إلى الحالين؛ فإنه لما ذكره في معرض الثناء عليه أتى بذي؛ فإن الإضافة بها أشرف، وبالنون؛ لأنه لفظ أشرف من لفظ الحوت، لوجوده في أوائل السور؛ وليس في لفظ الحوت ما يُشرفه لذلك؛ فأتى به وبصاحبٍ حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه.

حَرف الراء المهملة

﴿ربّ﴾ له أربعة معان: الإله. والسيّد. والمالك للشيء. والمُصْلِح للأمر. وكلُّها تصلح في رَبّ العالمين؛ إلا أن الأرْجحَ معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في العالمين أن يُراد به كل موجودٍ سِوَى الله تعالى، فيعمّ جميع المخلوقات.

﴿رحمن﴾: ذو الرحمة، ولا يوصف به غَيْر الله.

﴿رحيم﴾: عظيم الرحمة.

﴿رسول﴾: قد ذكرنا أن الرسالة والإرسالَ بمعنى واحد. والرسول: المتحمِّل للرسالة إلى الأمة، فكلُّ رسول نبي وليس كل نبيء رسولاً؛ فالرسول الذي يأتيه جبريل بالوحي من عند الله لإنذار الخَلْق. وأما من أُوحي إليه في المنام فليس برسول. وقد اجتمع أنواع الوحي في قوله تعالى: ﴿وما كان لِرَسُولٍ أَنْ يُكلِّمَه اللهُ إلا وَحْياً أو مِنْ وَرَاء حجاب...﴾ [الشورى: ٥١] الآية؛ وكلها اجتمعت في نبينا ومولانا محمد ﷺ.

﴿رَيْب﴾: شك. ومنه: ﴿ارْتَابُوا﴾ [النور: ٥٠]. ومريب، ﴿ورَيْبَ المَنُون﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

فإن قلت: هَلّا قدم قوله تعالى: ﴿لا رَيب فيه﴾ [البقرة: ٢]، كقوله تعالى ﴿لا فيها غَوْل﴾ [الصافات: ٤٧].

فالجواب أنه إنما قصد نفي الرَّيبِ عنه، ولو قدم ﴿فيه﴾ لكان إشارةً إلى أن ثَمَّ كتاباً آخر فيه رَيْب، كما أن ﴿لا فيها غَوْل﴾ إشارة إلى أن خَمْر الدنيا

فيها غول. وهذا المعنى يبعد قَصْدُه؛ فلم يُقدم الخبر؛ وإنما نفى الشك عنه أنه من عند الله في اعتقاد أهل الحق، وفي نفس الأمر. وأما اعتقاد أهل الباطل فلا عبرة به.

وقد قيل: إنّ خبر لا في قوله: ﴿فيه﴾، فيوقف عليه. وقيل خبرها محذوف فيوقف على لا رَيْب. والأول أرجح لتعيّنه في قوله: لا رَيْب فيه في مواضع أُخر.

﴿رَغَدا﴾: كثيراً واسعاً بلا غنى.

﴿رَفَث﴾ [البقرة: ١٨٧]: نكاح. ويقال أيضاً للإفصاح بما يجب أن يكنى عنه مِنْ ذكر النكاح. ويقال أيضاً: للفحش من الكلام.

﴿رَؤوف﴾: شديد الرحمة.

﴿رَاسِخُون في العلم﴾: هم الذين رسخ إيمانهم، وثبت، كما يرسخ النخل في منابته.

﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]: أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس، قال: راعنا - سبٌّ بلسان اليهود، وكان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ: راعِنَا؛ وذلك من المراعاة؛ أي راقبنا وانظرنا؛ فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء. فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود؛ فالنَّهيُ سَدٌّ للذريعة. وأمروا أن يقولوا: ﴿انْظُرْنَا﴾؛ لخلُوِّه عن ذلك الاحتمال الملزوم؛ وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نهي المسلمون عنها لما فيه من الجفاء وقلة التوقير.

﴿رَمْزاً﴾ [آل عمران: ٤١]: إشارة باليد أو بالرّأس أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع. قال ابن الجوزي في فنون الأفنان: من المعرّب. وقال الواسطي: هو تحريك الشفتين بالعبرانية.

﴿رَبَّانِيِّين﴾ [آل عمران: ٧٩]: جمع ربَّانيّ، وهو العالم. وقيل الذي يربّ الناس بصغار العلم قبل كبره.

قال الجواليقي: قال أبو عبيدة: العرب لا تعرف الربانيين؛ وإنما يعرفها الفقهاء وأهل العلم. قال: وأحسب الكلمة ليست بعربية، وإنما هي عبرانية أو سريانية. وجزم أبو القاسم بأنها سريانية. قال محمد ابن الحنفية حين مات ابن عباس: اليوم مات ربانيّ هذه الأمة. وقال أبو العباس ثعلب: إنما قيل للفقهاء ربّانيُّون، لأنهم يربّون العلم؛ أي يقومون به.

﴿رَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: أقيموا في الثُّغُورِ مُرَابطين، واربطوا خَيْلَكم مستعدين للجهاد.

وقيل: هو مرابطة العبْد فيما بينه وبين الله تعالى؛ أي معاهدته على فعل الطاعات وترك المعصية. والأول أظهر وأشهر؛ لقول رسول الله ﷺ: « رِبَاطُ يَوْمٍ في سبيل الله خَيْرٌ من صيام شهرٍ وقيامه ». وأما قوله ﷺ في انتظار الصلاة: فذلكم الرِّباط ـ فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لِعظَم أَجْره. والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور ليُرَابط فيها، وهي غَيْر موطنه. وأما سكناها دائماً للمعاش فليسوا بمرابطين، ولكنهم حماة. حكاه ابن عطية. وقال غيره: إذا سكن بأَهْلِه بقَصْد إعفافه وقيامها بشؤونه فيعد منهم. وفضل الله أَوْسع.

﴿ربّكم﴾: أي مُرَبّيكم بالنعم. قال الطيبي بعد كلام نَقَله: الفرق بين قوله اعبدوا الله ـ وبين قوله: اعبدوا ربكم ـ أن في الثاني إيجاب العبادة بواسطة النعمة التي بها قوامُهم، وفي: اعبدوا إيجاب عبادته لمراعاته عز وجل من غير واسطة، فحيث ذكر الناس بقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ ذكر الربوبية، كقوله: يا أيها الناس اتَّقُوا ربكم. وحيث ذكر **الإيمان** بقوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله.

﴿رَقِيباً﴾ [النساء: ١]، أي حافظاً، وهو من أسماء الله. وإذا تحقَّقَ العَبْد بهذا الاسم العظيم وأمثاله استفاد مقام المراقبة، وهو مقامٌ شَرِيف، أصله علم

وحال، ثم يثمر حالين؛ أما العِلْم: فهو معرفة العبد بأن الله مُطَّلع عليه، ناظِرٌ إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، وكلّ ما يخطر على باله.

وأما الحالُ: فهو ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال.

فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين الحياء من الله ـ وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي، والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند الْمُقَرّبين المشاهدة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار ﷺ بقوله: «الإحسان أن تَعْبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»؛ إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكاً عظيماً فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة.

وقوله: فإنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنّه يَرَاك؛ إشارة إلى الثمرة الأولى. ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك؛ فإنه من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأَعْلَى رأى أن كثيراً من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعْلَمْ أَنَّ المراقبةَ لا تستَقِيمُ حتى تتقدَّم قبلها المشارطة والمرابطة، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة.

فأما المشارطة: ففي اشتراطِ العَبْد على نفسه التزامُ الطاعة، وتركُ المعاصي. وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربِّه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة في أَوّلِ الأمر تكون المراقبة إلى الرب. وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه؛ فإنْ وجد نفسه قد وفّى بما عاهد عليه الله حَمِدَ الله، وإنْ وجد نفسه قد حلّ عَقْد المشارطة، ونقض عقد المرابطة ـ عاقب النفس عقاباً بأن يزجرها عن العَوْدَة إلى مثل ذلك. ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون العبد مع ربه.

﴿رَبَائبكم﴾ [النساء : ٢٣] : بناتُ نسائِكم من غيركم ، الواحدة رَبِيبة . وسمِّيت بذلك لأنّه يربّيها ؛ فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة .

﴿رَجْفة﴾ [الأعراف : ٧٨] : حركة الأرض ، بمعنى الزلزلة الشديدة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صَيْحةً بين السماء والأرض ، فمات منها قَوْمُ صالح .

﴿رَحُبت﴾ [التوبة : ٢٥] : أي ضاقت على كثرة اتساعها .

﴿روع﴾ : فَزَع .

﴿رَعْدا﴾ [البقرة : ١٩ ، والرعد : ١٣] : اسم ملك ، وصَوْته المسموع تسبيح . وروي عنه ﷺ أنه قال : « إن الله يُنْشيءُ السحابَ ، فينطق أَحْسنَ المنطق ، ويضحك أحسن الضحك ، فمنطقه الرّعدُ ، وضحكه التبسم » .

وقد جاء في الأثر أن صوته زجر للسحاب ؛ فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك . وقال أهل اللغة : الرَّعْدُ : صوت السحاب . والبرق : نورٌ وضِيَاء يصحبان السحاب .

﴿رَابِيا﴾ [الرعد : ١٧] : عالياً على الماء . ومنه الربْوَة .

﴿رَدُّوا أَيْدِيَهم في أَفواههم﴾ [إبراهيم : ٩] : فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الضمائر لقوم الرُّسل . والمعنى أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم غَيْظاً على الرسل ، كقوله تعالى : ﴿عَضُّوا عليكُمُ الأَناملَ مِنَ الغَيْظِ﴾ [آل عمران : ١١٩] ؛ واستهزاء وضحكاً ، كمن غلبه الضحك ، فوضع يده على فيه .

الثاني : أن الضمائر لهم ـ والمعنى أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم ؛ إشارةً على الأنبياء بالسكوت .

والثالث : أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه الأنبياء ؛ تَسْكِيتاً لهم ودفْعاً لقولهم .

﴿رَجِلِك﴾ [الإسراء : ٦٤] : جمع رَاجِل ، وهو الذي يمشي على رجليه ، لتقدم الخيل . وقيل : هو مجاز واستعارة ؛ فهو بمعنى افعل جهدك . وقيل : إن له

من الشيطان خَيْلاً ورجلاً. وقيل: المراد فُرسان الناس ورجالتهم المتصرِّفون في الشر.

﴿رَقِيم﴾ [الكهف: ٩]: لوح كتب فيه خبر أهل الكهف، ونصبه على باب الكهف. وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم. وقيل: هي القرية التي كانت بإزاء الكهف. وقيل: الجبل الذي فيه الكهف. وقيل: اسم كلبهم. قال الأصمعي: كنت لا أدري ما الرَّقيم حتى مررت بولد أعرابي، وهو يقول: يا أبت تعلق الرقِيم بالأديم؛ فطردته فتبارك الجبل؛ أي ارتفع.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الرَّقيم.

﴿رَتْق﴾ [الأنبياء: ٣٠]: مصدر وصف به، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذي لا صَدْع فيه ولا قبح.

﴿ربَتْ﴾ [الحج: ٥]: ارتفعَتْ.

﴿رحمةً للعالمين﴾: المراد به نبينا ومولانا محمد ﷺ، وانتصابُ رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول. والمعنى على هذا أن النبي ﷺ هو الرحمة. ويحتمل أن يكون مصدراً في موضع الحال من ضمير الفاعل؛ تقديره أرسلناكَ راحماً للعالمين. أو يكون مفعولاً من أجله.

والمعنى على كلِّ وَجْهٍ: أنَّ الله رحم العالمين بإرسال هذا النبيّ الرحيم إليهم؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيراتِ الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلَّمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

فإن قلت: رحمة للعالمين عموم، والكفار لم يرحموا به.

فالجواب من وجهين:

أحدهما ـ أنهم كانوا مُعَرَّضينِ للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها.

والآخر ـ أنهم رُحموا به لكونهم لم يعاقَبُوا بمثل ما عُوقب به الكفّار المتقدمون، من الطوفان والصيحة وغير ذلك.

﴿رَبْـوةٍ ذَاتِ قَــرَارٍ ومَعِينٍ﴾ [المؤمنــون: ٥٠] - بضم الراء وفتحهـا وكسرها: الأرض المرتفعة. والقرار المستوي من الأرض؛ فمعناه أنها بسيطة يتمكَّنُ فيها الحرث والغراسة. وقيل: القرار هنا الثمار والحبوب. والمعين: الماء الجاري، فقيل: إنه مشتقٌ من العين، فالميم زائدة ووزْنه مفعول.

واختلف في موضع هذه الرّبْوة، فقيل: بيت المقدس، وقيل: بغُوطة دمشق. وقيل: فلسطين.

﴿رؤُوف رَحيم﴾: من أسمائه ﷺ، مُشْتَقَّان من أسماء الله، وقد اشتق له من اسمه نحو السبعين اسماً، وهذه خصوصية له ﷺ، كالكريم، والخير، والحق المبين، والشاهد، والشهيد، والعظيم، والجبّار، والفاتح، والشكور، وغير ذلك مما يطول ذكرها.

﴿رَكُوبُهم﴾ [يس: ٧٣] - بفتح الراء: هو المركوب.

﴿رَسّ﴾ [الفرقان: ٣٨، ق: ١٢]: معدن، وكل ركيّة لم تُطْوَ فهي رَسّ. وفي العجائب للكرماني: أنه أعجمي، ومعناه البئر.

﴿رَدِفَ لكم﴾ [النمل: ٧٢]: أي تبعكم، واللام زائدة، أو ضُمّن معنى قَرُب، فتعدى باللام.

ومعنى الآية: أنهم استَعْجَلوا العذاب بقولهم: متى هذا الوَعْدُ؟ فقيل لهم: عسى أن يكون قَرُب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتلهم يوم بَدْر.

﴿رَمِيم﴾ [يس: ٧٨، الذاريات: ٤٢]: بالية متفتّتة.

﴿راغ إلى آلِهَتِهم﴾ [الصـافـات: ٥١]: أي مـال إليهـا، فقـال لهم: ألا تأْكلون! على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

فإن قلت: ما وَجْهُ دخول الفاء في آية الصافّات وحذفها من الذاريات؟

فالجواب: إنما أدخلها في الصافّات لأنها لم تتكرر، فقالها للأصنام على جهة التوقيف على الأكل والنطق والمخاطبة للأصنام؛ والقصدُ الاستهزاء بعابديها؛ إذ

كانوا يتركون في بُيُوت الأصنام طعاماً، ويعتقدون أنها تُصِيبُ منه شيئاً، ونحو هذا من المعتقدات الباطلة؛ ثم كان خدَمة البيت يأكلونه. وحذَفَها في الذاريات لتكررها قبله. ويحتمل أن تكون حثًّا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية.

﴿روَاكدَ على ظَهْرِه﴾ [الشورى: ٣٣]؛ أي سواكِنَ. ومعناه لو أراد الله أن يسكن الرياح، أو تهديد بإسكانه.

﴿رَهْواً﴾ [الدخان: ٢٤]؛ أي ساكناً على هيئته بالسريانية. وقيل: يابساً.

ورُوي أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق، كما ضربه فانْفَلق؛ فقال الله له: اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا.

وقيل: معنى رَهْواً سهلاً. وقيل: منفرجاً.

وروي أن الله أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له؛ فبات يضطرب من خَوْفِ الله وفرحاً بخطابه؛ وأنتَ يا عبد الله خاطبك بكلامه، وأكرمك بأَمْرِه ولا تمتثل! بئس العبد، ولنعم الرب!

﴿رَقّ مَنْشُور﴾ [الطور: ٣]: الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة. والرّقّ في اللغة: الصحيفة. وخُصّصت في العُرْف بما كان من جِلْد. والمنشور: خلاف الْمَطْوِيّ.

﴿رَبّ المشرِقَيْن ورَبّ المغربين﴾ [الرحمن: ١٧]: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيها. وقيل مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما.

﴿رَوْح ورَيْحان﴾ [الواقعة: ٨٩]: الروحُ الاستراحة، وقيل الرحمة.

ورُوِي أنّ رسولَ الله ﷺ قرأ: فروح ـ بضم الراء، ومعناه الرحمة. وقيل: الخلود؛ أي بقاء الروح. وأما الريحان فقيل: إنه الرزق. وقيل: الاستراحة. وقيل: الطيب. وقيل: الريحان المعروف في الدنيا يلقاه المؤمن في الجنة. وفي قوله: رَوْح وريحان ضَرْبٌ من ضروب التجنيس.

﴿ورَتّلِ القُرْآنَ ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤]؛ أي بيّنْه وتمهّل في قراءته بالمدّ وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك معين على التفكّر في معاني القرآن، بخلاف الهذّ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، ولذا كان ﷺ يقطع في قراءته حرفاً حرفاً ولا يمر بآية رحمة إلاّ وقف وسأل، ولا بآية عذابٍ إلا وقف وتعوّذ، وقام بآية من القرآن ليلة: ﴿إنّ لَدَيْنَا أَنْكالاً وجَحِياً وطعَاماً...﴾ [المزمل: ١٢] الآية؛ وكان يصعق لبعض الآيات.

وقد افرد الناس في آداب تلاوته تواليف كالنّووي والغزالي وغيرهما، وسنذكر منها الإشارة إلى بعضها: أخرج من حديث عبيدة المالكي مرفوعاً وموقوفاً: يا أهل القرآن لا تتوسّدُوا القرآن، واتلُوه حقَّ تلاوته آناء الليل والنهار، وأَفْشُوه وتدبَّرُوا ما فيه لعلكم تفلحون. وقد كان للسلف في قَدْر القراءة عاداتٌ؛ فأكثر ما ورد في قراءة القرآن مَنْ كان يختم في اليوم والليلة ثمان مرات؛ أربعاً في الليل، وأربعاً في النهار. ويليه مَنْ كان يختم في اليوم والليلة أربعاً، ويليه ثلاثاً، ويليه ختمتين، ويليه ختمة. ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين، ويليه من كان يختم في كل ثلاث، وهو حَسَن. وكره جماعة الختم في أقل من ذلك، لما روى أبو داود والتِّرمذي ـ وصحّحه، من حديث عبدالله بن عمر ـ مرفوعاً: لا يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث.

ويليه من ختم في أَرْبَع، ثم في خمس، ثم في ست، ثم في سبْع؛ وهذا أوسطُ الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

ويلي ذلك مَنْ ختم في ثمان، ثم في عشرة، ثم في شهر، ثم في شهرين.

أخرج ابنُ أبي داوود، عن مكحول، قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن في سبع. وبعضهم في شَهْرٍ. وبعضهم في شهرين. وبعضهم في أكثر من ذلك.

وقال أبو الليث ـ في البستان: ينبغي للقارىء أن يختم في السنة مرّتَيْن إن لم يقدر على الزيادة.

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة، قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرَّتَين فقد أدَّى حقَّه؛ لأن النبيَّ ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قُبض فيها مرتين.

وقال غيره: يُكْرَه تأخير خَتْمِه أكثر من أربعين يوماً بلا عُذْر.

وقال النووي في الأذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص؛ فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقْتَصِرْ على قَدْرٍ يحصل له كمالُ فَهْم ما يقرأ، وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم، أو فصل الحكومات، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله. وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حَدّ الملل أو الهَذْرَمة في القراءة.

ونِسْيَانُه من أَعْظَمِ الذنوب، كما صحّ: عرِضت عليَّ ذنوبُ أمتي فلم أَرَ ذَنْبًا أعظم من سورة القرآن أو آية أُوتيها رجلٌ فنسيها.

ويستحب الوضوء لقراءته. وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها. وكذلك إن كان يكتبه. ويطيِّب فمه ما أمكنه، ويجلس مستقبلاً متخشّعاً خائفاً وَجِلاً، مطرقاً رأسه حياء ممنْ هو يخاطبه.

ويتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم. وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة. ولا يحتاج إلى نيّة إلا إذا نذرها خارج الصلاة؛ فلا بد من نيّة الفرض أو النَّذْر.

وقال في شرح المهذب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع، قالوا: وقراءة جُزْءٍ بترتيل أَفضل من قراءة جزءين في قَدْرِ ذلك الزمان بلا ترتيل.

وفي النشر: اختلف هل الأفضل الترتيل، وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرتها؟ وأحسنَ بعض أئمتنا فقال: إنّ ثوابَ قراءة الترتيل أجلّ قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً؛ لأن بكل حرف عشر حسنات. ويستحبُّ البكاءُ عند تلاوته، والتباكي لمن لا يقدر عليه، والحزن والخشوع، قال تعالى: ﴿ويخرُّونَ للأذْقان يَبْكُون﴾ [الإسراء: ١٠٩].

ويستحبُّ تحسينُ الصّوْت بالقراءة، للحديث: زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن.

وأما القراءةُ بالألحان المطربة بحيث ألا يفرط في المدّ وفي إشباع الحركات حتى يتولَّد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، ويدغم في غير موضع الإدغام ـ فلا بأس. وإن انتهى إلى هذا الحدّ فحرامٌ يفسقُ به القارىء، ويَأْثَم به المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم.

ولا بَأْسَ باجتماع الجماعة في القراءة، ولا بإدارتها؛ وهي أن يقرأ بعضُ الجماعة قطعةً ثم البعض قطعةً بعدها. وتستحَبُّ قراءته بالتفخيم؛ لحديث الحاكم: نزلَ القرآن بالتفخيم.

قال الحليمي: ومعناه أن يقرأه على قراءة الرجال، ولا يُخْضِع الصوت فيه ككلام النساء. قال: ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيارُ بعض القراء. وقد يجوز أن يكون نزل القرآن بالتفخيم، فيرخص مع ذلك في إمالة ما تحسن إمالته.

ووردت أحاديثُ باستحباب رَفْعِ الصوت بالقراءة، وأحاديث تَقْتَضِي الإسرار وخَفْض الصوت. وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ لأن الْمُسِرَّ قد يملّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار.

والقراءة في المصحف أَفضلُ من القراءة من حفظه؛ لأنه أبْعَدُ من الرياء، وأجمع للفكر، والنظر فيه عبادة مطلوبة.

قال النَّوَوِي: ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعُه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ. ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبُّره لو قرأ من المصحف ـ لكان هذا قولاً حسناً.

وإذا أُرْتِج على القارىء فلم يَدْرِ ما بعد الموضع الذي انتهى إليه، وسأل عنه

غيره، فينبغي أن يتأدب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود، قالوا: إذا سأل أحَدُكم أخاه عن آية فليقرأْ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول: كيف كذا وكذا؟ فإنه يلبّس عليه.

وقال مجاهد: إذا شك القارىء في حَرْفٍ؛ هل هو بالتاء أو بالياء فليقرأه بالياء؛ فإن القرآن مذكّر. وإن شكَّ في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليترك الهمز. وإن شك في حَرْفٍ هل يكون موصولاً أو مقطوعاً فليقرأه بالوصل. وإن شك في حَرْفٍ هل هو ممدود أو مقصور فليقرأه بالقصر. وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأه بالفتح؛ لأن الأول غير لَحْن في بعض المواضع، والثاني لحن في بعض المواضع.

ويكره قطعُ القراءة لمكالمة أحد. قال الحليميّ: لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره. وأيّدَه البيهقي بما في الصحيح: كان ابنُ عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغَ منه.

ويكره أيضاً: الضحك، والعبَثُ، والنظرُ إلى ما يُلْهِي.

ولا تجوزُ قراءته بالعجميّة مطلقاً، سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة أو خارجها. وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً، لكن في شرح البرذويّ أنّ أبا حنيفة رجع عن ذلك.

ووجه الْمَنْعِ أنه يُذهِب إعجازه المقصودَ منه. وعن القفّال من أصحابنا: أن القراءة بالفارسية لا تُتَصَوَّر. قيل له: فإذَنْ لا يقدر أَحَدٌ أَنْ يفسّر القرآن. قال: ليس كذلك؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مرادِ الله، ويعجز عن البعض. أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مُرَاد الله. لأنّ الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها؛ وذلك غَيْرُ ممكن، بخلاف التفسير.

والأَوْلى أن يقرأ على ترتيب المصحف؛ لأنه لحكمة فلا يتركها. فلو فَرَّق السور أو عكسها جاز، وترك الأفضل.

وقال في شرح المهذب: وأما قراءة السُّوَر مِنْ آخرها إلى أولها فمتَّفَقٌ على منْعِه؛ لأنه يذهب ببعض نَوْعِ الإعجاز، ويزيل حكمةَ الترتيب.

وأخرج الطبراني بسندٍ جيّد عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً. قال: ذلك منكوس القَلْب.

وأما خَلْط سورة بسورة فعن الحليميّ: تَرْكُه من الآداب، لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيَّب أن رسول الله ﷺ مَرّ ببلال وهو يقرأ القرآن من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: ما هذا؟ قال: أخْلِط الطيب بالطيب. فقال: اقرأ القراءة على وجهها، أو نحوها. مُرْسل صحيح.

وأخرج عن ابن مسعود، قال: إذا ابتدأت في سورة فأردتَ أن تتحوّل منها إلى غيرها فتحوَّل إلى: قل هو الله أحد. فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول منها حتى تختمها.

ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة.

قال البيهقي: وأحسن ما يحتجُّ به أن يُقال: إنَّ هذا التأليف لكتاب الله مأخوذٌ من جهة النبي ﷺ، وأخذَه عن جبريل، فالأَولى بالقارىء أَنْ يقرأه على التأليف المنقول. وقد قال ابن سيرين: تأليفُ الله خَيْرٌ من تأليفكم.

قال الحليمي: ويستحبُّ استيفاءُ كلِّ حرف أثبته قارىء ليكون قد أتى على جميع ما هو قرآن. قال ابن الصلاح والنووي: إذا ابتدىء بقراءة أحد من القُرّاء فينبغي ألاّ يُزال على تلك القراءة ما دام الكلامُ مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطُه فَلَهُ أن يقرأ بقراءة آخر. والأولى دوامُه على هذا في هذا المجلس.

وقال غيرهما بالمنع مطلقاً ـ قال ابن الجزري: والصواب أن يقال: إن كانت إحدى القراءتين مرتبة على الأخرى منع ذلك مَنْع تحريم، كمن يقرأ فتلَقّى آدم من ربه كلمات. برفعهما أو بنصبهما، أخذ رفع آدم من قراءة ابن كثير، ورفْع كلمات من قراءته، ونحو ذلك مما لا يجوز في العربية واللغة. وما لم يكن كذلك

فرق فيه بين مقام الرواية وغيرها ، فإن كان على سبيل الرواية حرم أيضاً ، لأنه كذبٌ في الرواية وتخليط. وإن كان على سبيل التلاوة جاز.

وأفضل القراءة ما كان في الصلاة ثم الليل ثم نصفه الأخير ، وما بين المغرب والعشاء محبوبة لفراغ القَلْبِ من أشغال الدنيا. وأَفْضَلُ النهار بعد الصبح. ولا تُكْرَهُ في شيء من الأَوْقَات.

وأفضلُ الذكر القرآن إلا فيما شرع فيه من الأذكار ، كأذكار الليل والنهار ، وعند الأكل والشرب ، ودخول المنزل والمسجد ، وغير ذلك.

وأما ما رواه ابن أبي داود عن مُعَان بن رفاعة ، عن مشايخه أنهم كرِهُوا القراءة بعد العصر ، وقالوا : هو دراسة يهود ، فَغَيْرُ مقبول ، ولا أصل له.

ويُخْتار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الاثنين والخميس ، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان ، والأول من ذي الحجة. ومن الشهور رمضان.

ويُختار لابتدائه يوم الجمعة وليلتها. ولختمه يوم الخميس أو ليلته. والأفضل الختم أول النهار أَوْ أَوَّل الليل ، لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : إذا وافق ختْم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه آخر الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يُمْسِي.

قال في الإحياء : ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر ، وأول الليل في ركعتي سنّة المغرب للوقت المبارك.

ويستحبُّ الختم في الشتاء أول الليل. وفي الصيف أول النهار.

ويستحبُّ صَوْم يوم الختم وإحضار أهله وولِده وأصدقائه ودعائه لهم لأنه مستجاب ، كما صح. وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ، ويقولون عنده تنزل الرحمة.

ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن. قال الحليميّ : ونكتته التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكمل عدّته يكبّر ، فكذا هنا يكبّر إذا أكمل عدّة

السور. قال: وصفته أن يَقِفَ بعد كلّ سورة وقفةً ويقول: الله أكبر، وكذا قال سليم الرازي من أصحابنا في تفسيره: يكبِّرُ بين كل سُورتين، ولا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة. قال: ومَنْ لا يُكَبِّر من القُرّاء حُجّتُهم أن في ذلك ذريعةً إلى الزيادة في القرآن، بأن يُدَاوِمَ عليه فَيتَوَهّم أنه منه.

وإذا فرغ من الختمة يشرع في أخرى لحديث الترمذي وغيره: أَحبُّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل، الذي يقرأ من أول القرآن إلى آخره، كلما حل ارتحل.

ومنع الإمام أحمد تكرير سورة الإخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه. قال بعضهم: الحكمةُ فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن، فيحصل بذلك ختمة.

فإن قيل: فكان ينبغي أن يقرأ أَربعاً، لتحصل ختْمتان.

قُلنا: المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة، إمّا التي قرأها، وإمّا التي حصل ثوابها بتكرير السورة.

قلت: وحاصِلُ ذلك يرجع إلى جبر ما لعلَّه حصل في القراءة من خلَل، وكما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان، فينبغي أن يُقَاس تكريره سورة الإخلاص على إتْبَاع رمضان بستّ من شوال.

ويكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسَّبُ بها، للحديث: مَنْ قرأَ القُرآن فليسأل الله، فإنه سيأتي قوِمٌ يقرأون القرآن يسألون الناس به.

وروى البخاري في تاريخه الكبير بسنَدٍ صالح حديث: من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لُعِنَ بكل حَرْفٍ عشر لعنات.

ويكره أن يقول نسيت آية كذا، بل أنسيتها، للحديث الصحيح في النهي عن ذلك.

والأئمة الثلاثة عَلَى وُصول ثَوَابِ القراءة للميِّت. ومذهبنا خلافه، للآية: ﴿وأنْ لَيْس للإنسانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٢٩].

وقد طوّلنا الكلام هنا فلنرجع إلى المقصود لأن هذا الكتاب لا يسع ذلك. وقد أودعنا أكثره في كتابنا الإتقان في علوم القرآن.

﴿رَاق﴾ [القيامة: ٢٧]: صاحب رُقْية، يعني قال أهل المريض مَنْ يرقيه حتى يشفيه الله. وقيل إن الملائكة تقول: من يرقى بروحه حتى يصعد بها إلى السماء، فالأولى من الرقية وهو أشهر، والثاني مِن الرقي إلى العلو.

﴿تَرْجُفُ الراجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَة﴾ [النازعات: ٦، ٧] قيل الراجفة النفخة الأولى في الصُّور. والرادفة النّفْخة الثانية، لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من قولك: ردفت الشيء إذا تبعته. وفي الحديث: أن بينهما أربعين يوماً.

وقيل الراجفة الموت، والرادفة القيامة. وقيل الراجفة الأرض، من قولك ترجُف الأرض والجبال. والرادفة السماء، لأنها تنشقّ يومئذ.

والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر، تقديره لتبعثنّ يَوْمَ ترجفُ الراجفة، وإنْ جَعَلْنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: قلوبٌ يومئذ واجفة، ويكون تتبعها الرادفة في موضع الحال.

ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها.

﴿رَانَ على قلوبهم﴾ [المطففين: ١٤]، أي غلب على قلوبهم كَسْبُ الذنوب، كما ترين الخمر على عَقْل السكران. والضمير راجعٌ على من يكسب السيئات، يطمس اللهُ بصائرهم حتى لا يعرفون الرشد من الغيّ؛ لأن المعاصي بريد الكفر. وفي الحديث: إنّ العَبْدَ إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنباً آخر زاد السَّوَادُ، فلا يزال كذلك حتى يتغطّى، وهو الرّين.

﴿رَحِيق﴾ [المطففين: ٢٥] خالصٌ من الشراب. وقيل العتيق منه.

﴿رحمة﴾ وردت على أوجه، الإسلام: ﴿يختَصُّ برحمته مَنْ يشاء﴾ [البقرة: ١٠٥] والإيمان: ﴿وآتَانِي رحمةً من عنده﴾ [هود: ٢٨]. والجنة: ﴿ففي رَحْمَةِ الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١٠٧]. والمطر: ﴿بِشْراً بين يدي

رَحْمَته﴾ [الأعراف: ٥٧]. والنعمة: ﴿ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُه﴾ [النساء: ١١٢]. والرزق: ﴿خزائن رحمة ربّي﴾ [الإسراء: ١٠٠]. والنصر والفتح: ﴿إنْ أَرَادَ بكُمْ سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾ [الأحزاب: ١٧]. والعافية: ﴿أو أَرَادَني برحْمَته﴾ [الزمر: ٣٨]. والمودّة: ﴿رأفة ورحمة﴾ [الحديد: ٢٧]. والمغفرة: ﴿كَتَبَ على نفسه الرحمةَ﴾ [الأنعام: ١٢]. والعصمة: ﴿لا عاصمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلّا مَنْ رَحِمِ﴾ [هود: ٤٣].

﴿روح﴾: ورد على أوجه: الأمر: ﴿وروح منه﴾. والوحي: ﴿ينزل الملائكةَ بالرُّوح﴾ [النحل: ٢]. والقرآن: ﴿أوْحَيْنَا إليكَ رُوحاً من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢]. والرحمة: ﴿وأيّدهم برُوح منه﴾ [المجادلة: ٢٢]. والحياة: ﴿فَروح ورَيْحان﴾ [الواقعة: ٨٩]. وجبريل: ﴿فأَرْسَلْنَا رُوحنا﴾ [مريم: ١٧]. ﴿نزل به الرُّوح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وملك عظيم: ﴿يوم يقومُ الرُّوح﴾. [عم: ٣٨]. وجنس من الملائكة: ﴿تنزَّلُ الملائكة والروح فيها﴾ [القدر: ٤]. وروح البدن: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح مِنْ أَمْرِ ربي﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ أي من علم ربي لا نَعْلَمُه نحن ولا أنتم؛ لأنه من الأمور التي استأثر الله بها، ولم يطلِعْ عليها خلْقَه، وكانت اليهود قد قالت لقريش: سَلُوه عن الروح فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبي، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمها.

وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ ولم يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح حتى أنهوه إلى خمسمائة قول، وليس فيها ما يعوَّل عليه.

﴿رُكْبَان﴾ [البقرة: ٢٣٩]: جمع راكب؛ أي صلّوا كيف ما كنتم ركوباً أو غيره، وذلك في صلاة المسايفة، ولا ينقص فيها عن ركعتين في السفر وأربع في الحضَر.

﴿رُحَماء بَيْنهم﴾ [الفتح: ٢٩]: وصفٌ للنبي ﷺ ومن آمن معه من أصحابه. واختار ابن عطية أن يكون الوصف بالشدّةِ والرحمة مختصًّا بالصحابة

والنبي ﷺ، وما أخصه بالوصف بذلك؛ لأن الله تعالى قال فيه: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾. وقال له: ﴿جاهِدِ الكفَّار والمنافقين واغلُظْ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣]؛ فهذا هو الوصف على الكفار والرحمة بالمؤمنين. وهذه الآية كقوله: ﴿أذِلَّة على المؤمنين أعِزّة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿رُكام﴾: بعضهم على بعض.

﴿رُفَاتا﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨]: هو الذي بلي، حتى صار غُباراً.

ومعنى الآية إنكارهم للبَعْثِ، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقاً جديداً بعد فنائهم.

﴿رَجْماً بالغَيْب﴾ [الكهف: ٢٢]، أي ظنًّا، وهو مستعارٌ من الرّجْم بمعنى الرمي.

ومعنى الآية أن اليهود وغيرهم ممن تكلّم في أصحاب الكهف اختلفوا في عددهم كما أخبر الله تعالى في كتابه، وأنهم ما يعلمهم إلا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب. وقال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة رجماً بالغيب، ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم.

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنَتْ بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدّقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم، والذين قالوا خمسة سادسهم كلبهم.

وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخْبَارٍ عن عددهم، لتَدُلَّ أن هذا نهايةُ ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام.

﴿روم﴾: اسم عجمي لهذا الجيل من الناس، قاله الجواليقي: وسمِّيَتْ باسم جدهم، وهو روم بن عيْصو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿رُخَاء﴾ [ص: ٣٦]: يعني ليّنة طيبة. وقيل مطيعة له، وحيث أصاب: أي قصد وأراد.

فإن قلت: قد وصفها في الأنبياء: [٨١] أنها عاصفة، أي شديدة بالجمع.

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليّنة طيّبة، وكانت تُسْرعُ في جريها كالعاصف، فجمعت الوصفين. وقيل: كانت رُخاءً في ذهابه وعاصفة في رجوعه إلى وطنه، لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع. وقيل: كانت تشتدّ إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته.

ومعنى الأرض التي باركنا فيها أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع ملكه، فخص في الآية الرجوع إليها لِيَدُلَّ على الانتقال منها، فمن يقدر على وصف هذا الملك الذي كانت الريح مركبه والإنس والجن جنوده، والطير مُعِينهُ ومحدّثه، والوحش مسخرة، والملائكة رسوله، وكان له ميدان لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وكان عسكره مائة فرسخ، وكان منزله شهراً، وكانت الجن نسجت له بساطاً من ذهب وفضة فيها اثنا عشر ألف محراب، في كل محراب كرسيّ من ذهب وفضة، على كل كرسيّ عالم من علماء بني إسرائيل، ومع ذلك لم يشغله هذا الملك عن عبادة مولاه، ولذا قال له: ﴿هذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمْسِكْ بغير حساب﴾ [ص: ٣٩].

﴿رُجَّت الأَرْضُ﴾ [الواقعة: ٤]: زلزلت وحُرِّكَتْ تحريكاً شديداً؛ وذلك يوم القيامة.

﴿رُجْعَى﴾ [العلق: ٨]: أي مرجعاً، وهذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿رِبا﴾ [الروم: ٣٩]: هو في اللغة الزيادة، ومنه: ﴿يُرْبِي الصدقاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. واستعمل في الشرع في بيوعات ممنوعة أكثرها راجعةٌ إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم أتَقْضِي أم تربي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويَجْبُر الطالب عليه. ثم إن الرِّبا على نوعين: ربا النَّسِيئة وربا التفاضل؛ وكلاهما يكون في الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة فَتحرُم في بَيْعِ الذهب بالذهب، وفي بيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة؛ وهو الصرف. وفي بيع الطعام بالطعام مطلقاً.

وأمَّا التفاضُلُ فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنْسه من النقدين ومن الطعام.

ومذهبُ إمامنا أنه يحرم في كل طعام. ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المُقْتَات المدَّخر من الطعام. ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره.

﴿رِبِّيُّون﴾ [آل عمران: ١٤٦]: جماعات كثيرة. وقيل علماء مثل ربّانيين. وذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزّينة أنها سريانية.

﴿رِيشا﴾ [الأعراف: ٢٦]: واحده رياش؛ وهو ما ظهر من اللباس، مستعار من ريش الطير. والرياش أيضاً: الخصب والمعاش.

﴿رِجْز﴾: عذاب؛ كقوله: ﴿فلما كشَفْنَا عنهم الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]؛ أي العذاب، وكانوا مهما نزل بهم أمر من الأمور المذكورة عاهدوا مُوسَى على أن يُؤْمنوا به إن كشفَهُ الله عنهم؛ فلما كشفه عنهم نَقَضُوا العهد، وتمادوا على كُفْرهم. ورجز الشيطان لطخه وما يدعو إليه من الكفر، وسميت الأصنام رُجْزاً في قوله: ﴿والرُّجْزَ فاهْجُر﴾ [المدثر: ٥]؛ لأنها سبب الرجز؛ أي سبب العذاب. وقرىء بضم الراء وكسرها. وتُبْدَل الزَّايُ سيناً ومعناهما واحد؛ كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إلى رِجسهم﴾ [التوبة: ١٢٥]؛ أي كُفْراً إلى كفرهم، فيتجدَّدُ عليهم العذاب بسبب كفرهم. وأما قوله تعالى: ﴿وينزِّلُ عليكم من السماء ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ به ويذهب عنكم رِجْزَ الشيطان﴾ [الأنفال: ١١] ـ فهو تعديد لنعمة أُخرى؛ وذلك أنهم عدموا الماء في غَزْوَةِ بَدْر قبل وصولهم إليها ـ وقيل بعد وصولهم ـ فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأَوْدِيَة، وكان منهم من أصابته جنابة فتطهر به وتوضأ سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماءٌ للطَّهُور ولا للوضوء. وكان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم

وَسْوَسَةً بسبب عدمهم للماء، فقالوا: « نحن أَولياءُ اللهِ وفينا رسولُه »، فكيف نَبْقَى بلا ماءٍ؛ فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان.

﴿رِفد﴾: يُرَادُ به العطاء، والعَوْن، ومنه قوله: ﴿بئس الرِّفدُ الْمَرْفُود﴾ [هود: ٩٩]، أي العطيّة المعْطاة. ويُقَال: بئس عون المعان رضوا به. قد قدمنا أن الرضا من الله هو إرادة تنعيم المؤمنين وثوابهم وإيصال النفع لهم، وسخطه إرادة العقاب لأعدائه وإضرارهم.

﴿رِئْياً﴾ [مريم: ٧٤]: بهمزة ساكنة قبل الياء. ما رأيت عليه من شارة وهَيْئة، وبغير همز بمعناه أيضاً. ويجوز أن يكون من الرئي، أي منظرهم مرئيّ من النعمة. وقرىء: زيّاً ـ بالزاي ـ يعني هيئة ومنظراً.

﴿رِكْزا﴾ [مريم: ٩٨]: صوت خَفِيّ. والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر. وفي ذلك تهديد لقريش.

﴿رِيع﴾: المرتفع من الأرض. وقيل: الطريق، وجمعه أَرْيَاع وريعي.

﴿رِعَاء﴾ [القصص: ٢٣]: جمع راع.

﴿رِدْءاً﴾ [القصص: ٣٤] بغير همز وبهمز على التسهيل من المهموز، بمعنى مُعِيناً، أو يكون من أرديت، أي زدت.

﴿رِزْقَكم أنكم تكَذِّبُون﴾ [الواقعة: ٨٢]: قد قدمنا أنها توبيخ للقائلين مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا، فجعلوا شكر الرزق التكذيب.

﴿ركاب﴾: إبل، ومنه قوله تعالى: ﴿فما أَوْجفْتُم عليهِ مِنْ خَيْلٍ ولا رِكَاب﴾ [الحشر: ٦].

﴿رُحْم﴾ [الكهف: ٨١]: جمع رحم، وهو فرج المرأة، ويستعمل أيضاً في القرابة.

﴿رُوَيْد﴾: اسم لا يتكلم به إلا مصغَّراً مأموراً به، تصغير رود، وهو المهل.

﴿رُبَّ﴾: حرف في معناها ثمانية أقوال:

أحدها: أنها للتقليل دائماً، وعليه الأكثرون.

الثاني: للتكثير دائماً؛ كقوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر: ٢]؛ فإنهم يكثُر منهم تَمنّي ذلك. وقال الأولون: هم مشغولون بغمرات الأهوال فلا يفيقون بحيث يتمنَّوْنَ ذلك إلا قليلاً.

الثالث: أنها لهما على السواء.

الرابع: للتعليل غالباً والتكثير نادراً، وهو اختياري.

الخامس: عكسه.

السادس: لم توضع لواحد منهما؛ بل هي حرف إثبات لا يدل على تقليل ولا تكثير؛ وإنما يفعل ذلك من خارج.

السابع: للتكثير في موضع المباهاة والافتخار. وللتقليل فيما عداه.

الثامن: لمُبْهَمِ العدد تكون تقليلاً وتكثيراً، وتدخل عليها ما فتكفّها عن عمل الجرّ. وتدخل على الجمل؛ والغالب حينئذ دخولها على الفعلية ـ الماضي فعلها لفظاً ومعنى، ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة. وقيل: إنه على حدّ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].

حرف الزاي المعجمة

﴿زكرياء﴾: كان مِنْ ذُرِّيَّةِ سليمان بن داود عليهما السلام، وقتل بعد قَتْل ولده يحيى؛ وذلك أنه هرب من اليهود، فقفوا أثره، فلما دَنَوْا منه رأى شجرةً فقال لها: اكتميني؛ فانشقت الشجرة، فدخل فيها، ثم التأمت عليه فجاءوا فلم يجدوه، فقال لهم إبليس: هو في هذه الشجرة فأَتَوْا بِمِنْشَارٍ وشقّوها على نصفين، فلما بلغ المنشار إلى أُمّ رَأْسِهِ صاح وتأَوّه، فتزلزل الملكوت فنزل عليه جبريل، وقال: يا زكرياء؛ إنَّ الله تعالى يقول لك: لئن قُلْتَ آه مرةً أخرى لأَمْحونّك من ديوان الأنبياء، فعضَّ زكرياء على شفتيه حتى شقّوه بنصفين.

فليتأمل العاقِلُ هذا التهديد والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه، فكيف بنا الذين عميت بصائرنا، وأظلمت سرائرنا، وليعلم أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.

قال أبو يزيد البسطامي: كنت أمشي في البادية فرأيت أربعين شابًّا من أصحاب الطريقة ماتوا عطاشاً جياعاً. فقلت: إلهي؛ كم تقتل الأحباب؟ وكم تُريق دم الأصحاب؟ فسمِعْتُ قائلاً يقول: يا أبا يزيد، اقتل النفس، وأعط ديتها. فقلت: ما دية هؤلاء؟ فسمعت هاتفاً يقول: دية مقتول الخلق الدنيا، ودية مَقْتُولِ الحقّ رؤية الجبّار.

وروي أن يحيى بن معاذ الرازي ناجى ربه في ليلة. فقال: إلٰهي؛ إن طلبتُك أتعبتني، وإن هربت منك أحرقتني، وإن أحببتك قتلتني؛ فلا منك فرار، ولا عنك قرار.

وكان لزكرياء يَوْمَ بُشِّر بولده اثنان وسبعون سنة. وقيل: تسع وتسعون سنة. وقيل: مائة وعشرون.

وزكرياء اسم أعجمي، وفيه خمس لغات: أشهرها المد. والثانية القَصْر؛ وقرىء بهما في السبع. وزكريا ـ بتشديد الياء وتخفيفها. وزكَر ـ كقلَم.

﴿زَكى، وزَكاة﴾ [في النور: ٢١]: طهارة ونماء أيضاً. وإنما قيل لما يجب في الأموال صدقة؛ لأنها تطهّر الأموال مما يكون فيها من الإثم والحرام إذا لم يؤدَّ حقَّ الله منها، وتُنميها وتزيد فيها بالبركة، وتقيها من الآفات. وتأتي بمعنى الثناء. ومنه قوله: ﴿وحَنَاناً مِنْ لَدُنّا وزَكاةً﴾ [مريم: ١٣]، كما يزكى الشاهد. وزكا هو ـ مخففاً: أي صار زكياً.

﴿زَيْغ﴾: ميل حيثما وقع. ومنه: ﴿وأمَّا الذين في قلوبهم زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] ونزلت في نصارى نَجْران، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: نعم. قال: فَحَسْبُنَا إذاً؛ فهذا من المتشابه الذي اتبعوه. وقيل: نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حُيَيّ. ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مُبْتَدع أو جاهل يَتْبَعُ المتشابه من القرآن.

﴿زَبُور﴾: فعول بمعنى مفعول، من زبرت الكتاب؛ أي كتبته. والزبور الذي أعطيه داود عليه السلام، وهو من الكتب المنَزَّلة على الأنبياء، وعددها مائة وأربعة. وقيل وأربعة عشر.

﴿زَحْفاً﴾ [الأنفال: ١٥]: حال من الذين كفروا، أو من الفاعل في لقيتم؛ ومعناه متقابلي الصفوف والأشخاص. وأصل الزحف الاندفاع.

﴿زَيَّلْنَا بينهم﴾ [يونس: ٢٨]: فَرَّقْنا.

﴿زَفِير﴾ [هود: ١٠٦، الأنبياء: ١٠٠]: إخراج النفس من الصدر، وهو أول نهيق الحمار.

﴿زَعِيم﴾ [يوسف: ٧٢]: بمعنى كفيل وضامن وحميل وصبير؛ وهذا من كلام المنادي الذي جعل لهم حِمْل بعير لمن ردَّ الصَّاعَ.

﴿زَهَق الباطل﴾ [الإسراء: ٨١]: ذهابه. ومن هذا زهوق النفس؛ وهو بطلانها. والمعنى أن الإيمان يُبْطِل الكُفْر.

﴿زُللا﴾ [النحل: ٦٩]: هو الذي لا يثبت القدم عليه؛ يعني أنه لا تثبت أشجاره ونباته.

﴿زاكية﴾ [الكهف: ٧٤]: ليس له ذنب لعدم بلوغه. وقيل: إنه بلغ؛ ولكنه لم ير له ذنباً. وقرىء زكيّة [الكهف: ٧٤]. قال أبو عمرو: الصواب زكية في الحال، وزَاكية في غد؛ والاختيار زَكِيت. مثل ميت ومائت، ومريض ومارض؛ وقوله: ﴿ما زَكَى منكم من أحد﴾[النور: ٢١]؛ أي لم يكن زاكياً.

﴿زَهْرَةَ الحياةِ الدّنيا﴾ [طه: ١٣١]: بالفتح والزاي والهاء: نَوْرُ النبات. وبضم الزاي وفتح الهاء: النجم. وبنو زهرة بتسكين الهاء.

وشبَّه نعم الدنيا بالزهرة؛ لأن الزَّهْرَ له منظر حسن ثم يضمحلّ.

وفي نَصْب زهرة خمسة أوجه: أن ينتصب بفعل مضمر على الذّم، أو يضمَّن متّعنا معنى أعطينا، ويكون زهرة مفعول ثان له، أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلاً من أزواج على تقدير ذوي زهرة، أو ينتصب على الحال.

﴿زَجْرة واحدة﴾ [الصافات: ١٩]: قدمنا أن الزجرة معناها الصيحة بشدة وانتهار. وأما قوله: ﴿فالزَّاجِرَات زَجْراً﴾ [الصافات: ٢] ـ فمعناها الملائكة تزجر السحب وغيرها. وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم. وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي. والمراد هنا النَّفْخ في الصُّور للقيام من القبور.

﴿زَوَّجْنَاهم﴾ [الدخان: ٥٤]: قرنّاهم بالحور، وليس في الجنة تزويج

كتزويج الدنيا؛ وإنما هو المقارنة بين الرجل والمرأة، والصاحب والصاحبة. وقد يأتي بمعنى الصنف والنوع، كقوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج﴾ [الأنعام: ١٤٣]. ﴿أزواجاً من نبات شتّى﴾ [طه: ٥٣]. ﴿من كل زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

﴿سُبْحَانَ الذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كلّها﴾ [يس: ٣٦]؛ يعني أصناف المخلوقات، ثم فسرها بقوله: مما تُنْبِتُ الأَرْض ومن أنفسهم ومما لا يعملون. ﴿من﴾ في المواضع الثلاثة للبيان.

﴿زَنِيم﴾ [القلم: ١٣]: معلّق بالقوم وليس منهم. وقيل: هو ولد الزِّنى. وقيل: هو الذي في عنقه زَنَمة الشاة التي تُعلَّقُ في حلقها. وقيل: معناه مريب قبيح الأفعال. وقيل: ظلوم.

واختلف من الموصوف بهذه الصفة الذميمة؟ فقيل: لم يُقصد بها شخص معيّن؛ بل كل من اتَّصَف بها. وقيل: المقصود بها الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ﴿ذو مال وبنين﴾، وكان كذلك. وقيل أبو جهل. وقيل الأخنس بن شريق. ويؤيد هذا أنه كانت له زَنَمة في عنقه. قال ابن عباس: عرفناه بزنمته، وكان أيضاً من ثقيف. ويُعَدُّ في بني زهرة فيصح وصفه بِزَنيم على القولين. وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿زَنْجَبيل﴾: معروف. والعرب تذكره في أشعارها، وتستطيب برائحته. وذكر الجواليقي والثعالبي أنه فارسيّ.

﴿زَرَابي﴾ [الغاشية: ١٦]: بسط فاخرة. وقيل: الطنافس، واحدها زَرْبِيَّة.

﴿زَبَانِية﴾ [العلق: ١٨]: واحدهم زِبْنِيّ، مأخوذ من الزّبْن؛ وهو الدَّفْع؛ كأنهم يدفعون أهل النار إليها. ونزلت الآية بسبب قول أبي جهل: أيتوعد محمد؛ فوالله ما بالوادي أعظم زَبْناً مني. فنزلت الآية؛ تهديداً وتعجيزاً له.

والمعنى فلْيَدْعُ أَهْلَ نادِيه لنُصْرَتِه إن قدروا على ذلك، ثم أوْعد بأن يدعو له زبانية جهنم، وهم من الملائكة الموكَّلُون بالعذاب.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً.

﴿زُلزلوا﴾ [البقرة: ٢١٤] بالتخويف والشدة. والآية خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد؛ أي لا تدخلون الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من قَبْلكم من الأمم.

﴿زُحْزِحَ عن النار﴾ [آل عمران: ١٨٥]: أي أبعد عنها.

﴿زُخْرفَ القَوْل﴾ [الأنعام: ١١٢]: أي ما يُزَيِّنُه من القول والباطل. والزخرف أيضاً الذهب. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يكون لك بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣].

﴿ولِبيُوتهم أبواباً وسُرراً عليها يتكئون وزُخرفا﴾ [الزخرف: ٣٥]. وأما قوله تعالى ﴿أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] - فهو تمثيل للعروس إذا زُيِّنَتْ بالثّياب والحلي، تزف إلى زَوْجها فلا يصلحها، كذلك الدنيا إذا ظن أهلها أنهم متمكنون من الانتفاع بها أَتَتْها بعضُ الجوائح؛ كالريح والصِّر، وغير ذلك.

﴿زُلَفاً من الليل﴾ [هود: ١١٤]: المراد به المغرب والعشاء. وزلفُ الليل ساعاته، واحدتها زُلْفة.

﴿زُبرَ الحديد﴾ [الكهف: ٩٦]: واحدتها زُبْرة.

﴿زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]: قُرْبى، فهو مصدر من يقربونا؛ أي يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلاَّ ليقَرِّبُونَا إلى الله ويشفعوا لنا عنده. ويعني بذلك الكفّار الذين عَبَدُوا الملائكة أو الأصنام أو عيسى أو عُزيراً؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة.

﴿زُمرا﴾ [الزمر: ٧١، ٧٣] في الموضعين جمع زُمرة، وهي الجماعة من الناس؛ قال ﷺ: أول زمْرة يدخلون الجَنَّة على صورة القمر ليلة البدر. والزمرة الثانية على صورة أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل.

﴿زِينةَ الله﴾ [الأعراف: ٣٢]: هي ما شرعه لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعضُ العرب إذا حَجُّوا يجردون من الثياب ويطوفون عُرَاة، ويحرمون الشحم واللبن؛ فنزل ذلك ردًّا عليهم وإنكاراً لتحريمها.

﴿زِلْزَالها﴾ [الزلزلة: ١]: مصدر؛ وإنما أُضِيفَ إلى الأرض تهويلاً، كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظمة جِرْمها.

﴿زَعم الذين كفروا﴾ [التغابن: ٧]: كناية عن كَرْبهم.

﴿زَيْد﴾ [الأحزاب: ٣٧]: هو ابن حارثة الذي تبنّاه رسولُ الله ﷺ، ولم يذكر في القرآن أحَدٌ من الصحابة غيره تعظيماً له.

حرف الطاء المهملة

﴿طاغوت﴾ [البقرة: ٢٥٧]: من الجن والإنس شياطينهم، ويكون واحداً وجمعاً، وجَمَعه في آية البقرة، وأفرده في غيرها؛ لأنه اسم جنْسٍ لما عُبِدَ مِنْ دون الله.

﴿طالوت﴾: هو الذي بعثه الله لقتال جالوت، وكان ملكاً وأعطى بِنْته لداود.

﴿طَلّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]: مَطَر ضعيف خفيف. والمعنى أنه يكفى هذه الجنة لكرم أرضها.

﴿طيِّبَاتِ ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧]: الجيد غير الرديء، ويُراد به الحلال. وهو المراد في كل موضع. وزاد، كقوله: ﴿كُلُوا من طيِّبات ما رَزَقْنَاكم﴾ [البقرة: ٥٧]. ﴿كلوا من الطيبات﴾ [المؤمنون: ٥١]. لكن اختلف في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفِقُوا مِنْ طَيِّبَات ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧]؛ فقيل إنها في الزكاة، فيكون واجباً. وقيل: في التطوع، فيكون مندوباً لا واجباً؛ لأنه كما يجوز التطوع في القليل يجوز في الرديء.

﴿طَوْعاً﴾ [آل عمران: ٨٣]: انقياداً بسهولة حيث ما وقع.

﴿طبعَ اللهُ على قلوبهم﴾ [النحل: ١٠٨]؛ أي ختم عليها.

﴿طَوْلاً﴾ [النساء: ٢٥]: هو السعة في المال. وأباح الله في هذه الآية تزوُّجَ الفتيات، وهن الإماء، للرجال إذا لم يجدوا طولاً للمحصنات. وذهب مالك

وأكثر أصحابه إلى أنه لا يجوز للحُرِّ نكاح أَمَةٍ إلا بشرطين: أَحدهما عدم الطول، وهو عدم الوجود بما يتزوَّج به امرأة. والآخر خوف الزنى وهو العنت؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ذلك لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ منكم﴾ [النساء: ٢٥].

وأجاز بعضُهم نكاحهنَّ دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يُعْتبر.

واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأَمَة التي تتزوج؛ لقوله: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾؛ إلا أهل العراق فلم يشترطوه.

وإعراب طولاً مفعول بالاستطاعة. وأن ينكح بدلاً منه؛ فهو في موضع نصب، بتقدير إلا أن ينكحن. ويحتمل أن يكون طولاً نُصب على المصدر، والعامل فيه الاستطاعة؛ لأنها بمعنى يتقارب. وأن ينكحن على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر.

﴿طوّعَتْ له نَفْسُه قَتْلَ أَخِيه﴾ [المائدة: ٣٠]: الضمير يعود على قابيل؛ وذلك أنه كان صاحب زَرْع، فقرّب أرْذَلَ زَرْعِه، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب أحسن كَبْش عنده. وقد قدمنا أن النار كانت حاكم آدم، فقام هابيل يصلّي، فنزلت النار وأخذت كبشه، وتركت زرع قابيل، فحسده على قَبُول قُرْبانه، فقتله؛ وإنما حسده على نكاح أُخته؛ لأن الله أوحى إلى آدم أن زوّج ذميا من قابيل واقليما من هابيل؛ فأخبرهما آدم بوحْيِ الله فَرَضِيَ هابيل وأبى قابيل. وقال: إن أُختي أَحسن، وكانت ولدت معه.

فقال آدم: يا بني، لا تخالف أمر الله. فقال: لَمْ يَأْمرك الله، ولكن أنت تحبّ هابيل وتُزَوِّجه أحسن بناتك. فقال آدم: اذهبا وتحاكما إلى الله، فوقع منهما ما أخبر الله به بقوله تعالى: ﴿وَاتْل عليهم نَبَأَ ابْني آدمَ بالحق إذْ قَرَّبا قُرْبَاناً فتُقُبِّلَ مِنْ أحدهما﴾ [المائدة: ٢٧]. كأنه تعالى يقول: أحرقت قربان سائر الأمم، ولم أجوز أنْ أحرق قربانَ حبيبي، فأمرتهم بإطعام الفقير؛ فإذا لم أجوز إحراق القربان فكيف أحرق من قرأ القرآن؟ فلما فقد هابيل سأل عنه جميع أولاده، فقالوا لا ندري أين هو؟ فاغْتَمَّ غَمّاً شديداً على فَقْده، وبات مهموماً؛ فرأى في

منامه هابيل وهو يناديه من بعيد: يا أبت، الغَوْث! الغَوْث! فانتبه من نومه مَذْعوراً، وبكى حتى غُشِي عليه، فنزل جبريل ورفع رأسه. فلما أفاق قال: يا جبريل، أين ولدي هابيل؟ فقال: الله يعظِّمُ أَجْرَكَ فيه؛ قتَله قابيل. فقال آدم: أنا بريء منه. فقال له جبريل: واللهُ بريء منه. ثم قال آدم: يا جبريل؛ أرنِيه، فأراه له تحت التراب وإذا هو ملطّخ بالدم، فصاح يَا حَسْرَتَاه! يا ويلتاه! يا ابناه! وبكى حتى بكَتِ الملائكةُ لبكائه، وقالوا: إلهنا؛ بكى آدم ثلاثمائة سنة ولم يسترح إلاَّ مدةً يسيرة، ثم اشتغل بالبكاء؛ فقال تعالى: الدنيا دار البكاء والعَنَاء، ودار البَلاَء والفناء.

﴿فَطَوَّعت﴾ [المائدة: ٣٠]: فعّلت من الطوع؛ يقال: طاع له كذا؛ أي أتاه طَوْعاً. ولساني لا يطوع بكذا؛ أي لا يَنْقَادُ.

﴿طفِقَا﴾ [الأعراف: ٢٢]: أي جعلا؛ تقول: طفق يفعل كذا، وجعل يفعل كذا؛ قال بعضهم: معناه قصد بالرومية، حكاه شَيْذَلة، وضمير التثنية على آدم وحواء.

﴿طائِفٌ من الشيطان﴾ [الأعراف: ٢٠١]: معناه لَمَّة منه، كما جاء: إن للشيطان لَمَّة، وللملك لَمَّة. ومَنْ قرأ طَيْف ـ بياء ساكنة ـ فهو مصدر، أو تخفيف من طيّف المشدد، كميّت وميْت. ومن قرأ طائف ـ بالألف ـ فهو اسم فاعل.

﴿طرَفَي النهار﴾ [هود: ١١٤]: أوله وآخره؛ فالأول الصبح، والطرف الثاني الظهر والعصر.

﴿طائره في عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]: أي عمله. والمعنى أنه لازمٌ له ما قدّر له وعليه من خير أو شر؛ يعني أن كل ما يَلْقَى الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عَبَّر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عادتها التيمّن والتشاؤم بالطير؛ وإنما عَبَّر بالعنق؛ لأنه لا ينفك عنه. ويقـال لكل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه؛

وهذا لك في عنقي. ومثله: ﴿ألا إنَّمَا طائِرُهم عند الله﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي حظُّهم ونصيبهم الذي قُدِّرَ لهم.

ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم.

﴿طه﴾: من أسماء النبي ﷺ. وقيل معناه: يا رجل. وأخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله: طه ـ قال: هو كقولك يا محمد، بلسان الحبَش. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس، قال: طه ـ بالنبطية. وأخرج عن عكرمة قال: طه: يا رجل، بلسان الحبشة.

﴿طغَى﴾ [الحاقة: ١١]: ترفَّعَ وعلا حتى جاوز الحدَّ أو كاد. ومنه قوله تعالى: ﴿لَمَّا طغَى الماءُ حَمَلْنَاكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١]؛ أي كثر؛ فيحتمل أنه طغى على أهل الأرض أو على خزَّانه، يعني وقت طوفان نوح عليه السلام.

﴿بطريقتكم المُثْلَى﴾ [طه: ٦٣]: أي سيرتكم الحسنة؛ وهذا من كلام فرعون يخاطب قومه أن هذا يذهب بدينكم، وما أنتم عليه. والمُثْلَى تأنيث الأمثل.

﴿طَهُوراً﴾ [الفرقان: ٤٨]: أي نظيفاً يطهر به من توضَّأ واغتسل من جنابته. والطهور: مبالغة في طاهر؛ ولهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهور، أي مطهِّر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر طهورا.

﴿طَوْد﴾ [الشعراء: ٦٣]: الجبل، ورُوِيَ أنه صار في البحر اثنا عشر طريقاً لكل سِبْط من بني إسرائيل طريق.

﴿طَلْعُها هَضِيم﴾ [الشعراء: ١٤٨]: أي منضم قبل أن ينشقّ ويخرج من الكمّ. والهضيم: الليِّن الرطب؛ فالمعنى أن طَلْعَها يتمُّ ويرطب. وقيل: هو الرخص أول ما يخرج. وقيل: الذي ليس فيه ندى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنّات، والجنات تحتوي على النخل؟.

فالجواب: أن ذلك تحديدٌ؛ كقوله تعالى: ﴿فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ ورُمّان﴾

[الرحمن: ٦٨]. ويحتمل أنه أراد الجنّات التي ليس فيها نخل، ثم عطف عليها النخل.

﴿طَلْعٌ نَضِيد رِزْقاً لِلعباد﴾ [ق: ١٠]: النَّضِيد هو المنضد، كحبِّ الرمان، فما دام بَعضُهُ ببعض فهو نَضِيد، فإذا تفرق فليس بنضيد.

﴿طَمَسْنَا أعْيُنهم﴾ [القمر: ٣٧]: الضمير راجع لقَوْم لوط لما راودوه عن ضَيْفه لِظَنِّهم أنهم من بني آدم، وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم، فاستَوَتْ مع وجوههم. وقيل: إن هذا الطمس عبارةٌ عن عدم رُؤيتهم لهم، وإنهم دخلوا منزل لوط فلم يَرَوْا فيه أحداً.

والمطموس الذي لا يكون بين جفنيه شق طرف خفيّ، ويحتمل أن يريد به العين، أو يكون مصدراً. وفيه قولان: أحدهما أنه عبارة عن الذل؛ لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة. والآخر أنهم يحشرون عُمْياً، فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم. واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري.

﴿طَلْح﴾ [الواقعة: ٢٩]: شجر عِظَام كثيرات الشوك؛ قاله ابن عطية. وحُكي عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ علي بن أبي طالب: وطَلْع منضود ـ بالعين؛ فقيل له إنها بالحاء؛ فقال: ما للطلح والجنّة. فقيل له: أنُصْلِحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغيَّر. وقال الزمخشري: والطلح هو شَجَر الموز.

﴿طاغية﴾ [الحاقة: ٥]: طغيان، مصدر كالعاقبة والواهية وأشباههما من المصادر.

﴿طرَائق قِدَداً﴾ [الجن: ١١] الطرائق: المذاهب والسير وشبهها. والقدد: المختلفة، وهو جمع قِدّة؛ وهذا بيانٌ للقسمة المذكورة قَبْل؛ وهو على حذف مضاف؛ أي كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿الطامّة الكبرى﴾ [النازعات: ٣٤]: هي القيامة. وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طمّ الأمر إذا علا وغلب.

﴿طبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: الطبق في اللغة له معنيان: أحدهما ما طابق غيره، يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه. والآخر جَمْع طبقة، فعلى الأول يكون المعنى لتركَبُنَّ حالاً بعد حال، كل واحدة منها مطابقة للأخرى. وعلى الثاني يكون المعنى لتركَبُنّ أحوالاً بعد أحوال، هي طبقاتٌ بعضُها فوق بعض.

ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال، وفي قراءة: تركبنَّ:

فأما من قرأه بضم الباء فهو خطابٌ لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها شدائد الموت، ثم البعث، ثم الحساب، ثم الجزاء.

والآخر: أنها كون الإنسان نطفة ثم علَقة إلى أن يخرج إلى الدنيا إلى أن يَهْرم ثم يموت.

والثالث: لتركبنّ سنَنَ مَنْ كان قبْلكم.

وأما من قرأ تركبن ـ بفتح الباء ـ فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا. وقيل: خطاب للنبي ﷺ. ثم اختلف القائلون على هذا؛ فقيل لتركبنّ مكابدة الكفّار حالاً بعد حال. وقيل: لتركبن فَتْحَ البلاد شيئاً بعد شيء. والآخر لتركبنَّ السموات في الإسراء سماءً بعد سماء.

وقوله: ﴿عن طَبَقٍ﴾ في موضع الصِّفَة لطبق، أو في موضع حال من الضمير في تركبن، قاله الزمخشري.

﴿طارق﴾ [الطارق: ١]: هو في اللغة ما يطرق، أي يجيء ليلاً. وقد فسره الله في الآية بأنه النجم الثاقب. وهو يطلع ليلاً. ومعنى الثّاقب المضيء أو المرتفع. فقيل: أراد جِنْسَ النجوم. وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العربُ النجم. وقيل: زحل، لأنه أرفع النجوم، إذ هو في السماء السابعة.

﴿طَحَاها﴾ [الشمس: ٦]: مدّها أو بسطها.

﴿بطَغْوَاها﴾ [الشمس: ١١]: هو مصدر بمعنى الطغْيَان، قُلِبَتْ فيه الياء واواً على لغة من يقول: طغيت. والباء الخافضة كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية.

والمعنى بسبب طغيانها. وقال ابن عباس: معناه كذبت ثمود بعذابها. ويؤيده قوله: ﴿فأمّا ثمودُ فأُهْلِكُوا بالطاغية﴾ [الحاقة: ٥].

﴿طُغْيَانهم﴾ [البقرة: ١٥]: غيّهم وكُفْرهم.

﴿طُور﴾: جبل بالسريانية؛ قاله مجاهد. وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه بالنبطية. وذلك أن موسى لما جاء بالتوراة أبوا أن يقبلوها، فرفع الجبل فوقهم كأنه ظُلّة. وقيل لهم: إن لم تأخذوها وضع عليكم.

﴿طُوفَان﴾ [الأعراف: ١٣٣]: سَيْلٌ عظيم، والطوفان: الموت الذَّريع. وطوفان الليل: شدةُ سَوَادِه. والطوفان المبعوث على بني إسرائيل كان مطراً شديداً دائماً مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة.

﴿طُوبَى﴾ [الرعد: ٢٩]: مصدر من طاب، كبشرى، ومعناها أصبت شيئاً طيباً. وقيل شجرة في الجنة.

وإعرابها مبتدأ. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد، قال: طوبى اسم الجنة بالحبشية. وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير. قال: بالهندية. طوبى في معناه قولان: أحدهما أنه اسم الوادي، وإعرابه على هذا بَدَل. ويجوز تنوينه على أنه مكان، وترْك صرْفه على أنه بقْعة.

والثاني أن معناه مرتين؛ فإعرابه على هذا مصدر؛ أي قدس الوادي مرة بعد أخرى، أو نُودي موسى مرة بعد مرة. وفي العجائب للكرماني: هو معرّب ﴿ليلاً﴾. وقيل: هو رجل بالعبرانية.

﴿طِبْتُم﴾ [الزمر: ٧٣]: أي من الذنوب والمعاصي؛ لأنها مَخَابث في الناس؛ فإذا أراد الله أن يُدخلهم الجنة غفر لهم، فطابوا لدخولها. ومن هذا قول العرب: طاب لي هذا؛ أي فارقته المكاره، وطاب له العَيْش.

﴿طائفين﴾ [البقرة: ١٢٥]: من الطواف بالبيت جمع طائف.

حرف الظاء المعجمة

﴿ظهر أمْرُ اللهِ﴾ [التوبة: ٤٨]: بدا. وأظهره غيره: أبْدَاه.

﴿ظلْتَ عليه عَاكِفا﴾ [طه: ٩٧]: أصله ظَلِلت فحُذِفت إحدى اللامين. والأصل في معنى ظلّ أقام بالنهار، ثم استعمل في الدؤوب على الشيء ليلاً ونهاراً. وهذا الخطابُ من موسى للسامريّ على وجه التهديد.

﴿ظَلّتْ أعناقُهم لها خَاضِعين﴾ [الشعراء: ٥]: الأعناق: جمع عُنق، وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، أو لأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء.

وقيل: الأعناق الرؤساء من الناس، شُبّهوا بالأعناق، كما يقال لهم رؤوس وصدور. وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل.

﴿ظَهِير﴾ [سبأ: ٢٢]: معين.

﴿ظَنِين﴾: والضمير للنبي ﷺ؛ لكن من قرأ بالضاد [التكوير: ٢٤] فمعناه بخيل؛ أي لا يبخل بأداء ما أُلْقِيَ عليه من الغَيْبِ، وهو الوحي. ومن قرأ بالظاء، فمعناه متّهم؛ أي لا يتهم على الوَحْيِ، بل هو أمين عليه. ورجّح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوه ﷺ إلى البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفى عنه ذلك.

﴿يَظْهَرُوه﴾ [الكهف: ٩٧]: ظهرت على الغيب: أي ارتفعت عليه. ومنه: ﴿فما اسْطَاعوا أنْ يَظْهَروه﴾ [الكهف: ٩٧]. وأصله استطاعوا، حذفت التاء تخفيفاً، وضمير يظهروه للسدّ. المعنى أن يأجُوج ومأجوج لا يقدرون على الصعود على السد، لارتفاعه، ولا ينقبونه لقوته.

﴿ظنّ﴾: له ثلاثة معان: التحقيق. وغلبة أحد الاعتقادين. والتهمة. ومنه: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اجتَنِبُوا كثيراً من الظن إنَّ بَعْضَ الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

قيل معنى الإثم هنا الكذب؛ لقوله ﷺ: الظـن أكذَبُ الحديث؛ لأنه قد لا يكون مطابقاً للأمر. وقيل: إنما يكون إثماً إذا تكلم به. وأما إذا لم يتكلم فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على دفع الخواطر، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سدّ الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناب أكثر الإثم احترازاً من الوقوع في البعض الذي هو إثْمٌ.

﴿ظَمَأ﴾ [التوبة: ١٢٠]: عطش.

﴿ظلم﴾: يقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر. والمعاصي، وظلم الناس؛ أي التعدّي عليهم. والجور والسفَه والظلم والتعدي بمعنى واحد، ولا يوصف سبحانه بها؛ لأنه لا رَاحِمَ فوقه ولا زاجر، فأفعالُه تعالى لا يقارنها نهي، وإنما يتصوَّر ذلك في حقوقنا المقارنة النهي لأفعالنا المنهي عنها.

﴿ظِلاَل﴾: جمع ظُلة، وهو ما عَلاَك من فوق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله فهو من المتشابه. والغمام: السحاب.

وقوله تعالى: ﴿فأخذهم عذَابُ يوم الظُّلَّة﴾ [الشعراء: ١٨٩] - فهي سحابة من نار أحرقت قَوْم شُعيب، فأهلك اللهُ مَدْيَن بالصَّيْحَة، وأهلك الأيكة بالظلة.

فإن قلت: لم كرّر الآية في الشعراء مع كل قصة؟.

فالجواب أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشد تنبيهاً للقلوب، وأيضاً فإن كل قصة منها كلام قائم مستقل بنفسه، فخُتمت بما ختمت به صاحبتها.

فإن قلت: الظلل إنما تكون من فوق؛ فلم قال: ﴿ومِنْ تحتهم ظُلَل﴾ [الزمر: ١٦]؟.

فالجواب إنما سماها ظلة لمن تحتهم، لأن جهنم طبقات.

وقيل إنما سماه ظلة لأنه يتلهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ [النور : ٤٠]: هذا تمثيلٌ للكفَّار في حيرتهم وضلالهم، فالظلماتُ أعمال الكفار والبحر اللجِّيّ صدره، والموج جَهْلُه، والسحاب الغطاء الذي على قَلْبِهِ.

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة. وفي وصف هذه الظلمة بهذه الأوصاف مبالغةٌ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة. وأما قوله تعالى ـ حكاية عن يونس عليه السلام: ﴿فنَادَى في الظلمات أنْ لاَ إلهَ إلاَّ أنْتَ سبحانَكَ إني كنْتُ من الظالمين﴾ [الأنبياء : ٨٧] ـ فهي ظلمة المشيمة، وظلمة الرَّحم، وظلمة البطن، وظلمة الليل، وظلمة البحر؛ ففي هذه الآية توحيد، ثم تنزيه، ثم اعتراف. وفيها ثلاث ظلمات، وثلاثة مفاتيح ظلمة، وثلاث هبات، وثلاثة علوم، وثلاثة أذكار. وقد وعد سبحانه بنجاة مَنْ قالها.

وروى أنَس عن النبي ﷺ أن يونس عليه السلام حين نادى في الظلمات ارتفع نداؤه إلى العرش، فقالت الملائكة: هذا صَوْتٌ ضعيف، مِنْ مَوْضِع غُرْبة فأغِثْه. فقال الله تعالى: قد أجبتكم فيه. قال تعالى: ﴿فاستَجَبْنَا له ونَجَّيْنَاهُ من الغَمّ﴾ [الأنبياء : ٨٨]. وروي أن قارون سمعه، فقال: يا رب، ما هذا الصوت الغريب؟ فأخبر بذلك، فبكى رحمة عليه لرحِمِهِ منه؛ فخفف الله عنه العذاب.

تنبيه

اجعل أيها العبد دارَ دُنْيَاكَ كبطن حوت يونس له، فلا تنس فيها ذكر مولاك، لعله يُنْقذك من بحْرِ هواك؛ لأن يونس كان في ثلاثة غموم، فدعا مرة أَنجَاهُ الله منها؛ فكيف لا ينجيك أيها المحمدي إن دعوت به مراراً من غم القيامة، وغم العقاب والحساب. ولهذا قال ﷺ: ما من عبدٍ دعا بهذا في مرضه إلا غفر الله له. وإذا تأملت قوله: لا إله إلا أنت ـ تفهم منه قُرْبَ مولانا منه

مع بُعْدِ مكانه في قعر البحور. وقول نبينا ومولانا محمد ﷺ ليلة الإسراء: لا إله إلا الله، فخاطبه بالغيبة مع قُرْبه منه كان ذلك دليلاً على أنه لا يقرب أحد منه إلا بتقريبه له، وهو معكم أين ما كنتم.

﴿ظِلاَلُهم بالغُدُوِّ والآصَال﴾ [الرعد: ١٥]: معطوف على معنى السجود. والمعنى أن الظلال تسجد غدوةً وعشيَّةً؛ وسجودها انقيادها لمشيئة الله. وقيل: سجودها فيها بالمشي.

﴿ظلالٍ على الأرائك﴾ [يس: ٥٦]: جمع ظُلّة مثل قُلّة وقِلاَل. وقريء بالضم. والأرائك جمع أريكة، وهي السرير.

﴿ظلّ ممدود﴾ [الواقعة: ٣٠]: أي دائم، لا تنسخه الشمس. قال ﷺ: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. وآقرأوا إن شئتم: ﴿وظلّ ممدود﴾.

فإن قلت: قد قلتم: إن الجنة لا شَمْسَ فيها، فما معنى هذا الظل؟.

فالجواب أنه على تقدير أن تكون هناك، وإنما ظلهم كما بين طلوع الشمس، فهي نورانية شعشعانية لا حَرّ فيها ولا قر.

﴿ظل مِنْ يَحْمُوم﴾ [الواقعة: ٤٣]: يعني أسود، وهو الدخان في قول الجمهور. وقيل: سرادق النار المحيط بأهله؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم. وقيل: هو جَبَل في جهنم.

﴿ظلّ ذي ثلاثِ شُعَب﴾ [المرسلات: ٣٠] يعني دخان جهنم يتشعّب على ثلاث؛ فيقال للمكذبين حين يطلبون الظلَّ الذي يرَوْنَ المؤمنين مستظلين به في ظلّ العرش: انطلقوا، فلا يغنيهم شيئاً، كما قال تعالى: ﴿لا ظَلِيل ولا يُغْنِي مِنَ اللَّهَب﴾ [المرسلات: ٣١]. فَنَفَى عنهم أن يُظلهم كما يُظلُّ العرشُ المؤمنين، ونفى أيضاً أن يمنع عنهم.

﴿ظِهْرِيّاً﴾ [هود: ٩٢]: أي ما يطرح وراء الظهور، ولا يُعْبَأُ به؛ وهو

منسوب إلى الظهر بتغيير النسب؛ وهذا من قول شعيب عليه السلام؛ لقومه حين قالوا له: ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُك لَرَجَمْنَاك﴾ [هود: ٩١] ـ بالحجارة، أو بالسب؛ فقال لهم: يا قوم؛ أَرَهْطِي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً، على وجه التوبيخ لهم.

فإن قلت: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه، وأنهم هم الأعزَّةُ دونه، فكيف طابَقَ جوابه كلامهم؟.

فالجواب أن تهاونهم به ـ وهو رسولُ الله ﷺ ـ تهاونُهم بالله.

﴿ظن﴾ أصلها الاعتقاد الراجح؛ كقوله: ﴿إنْ ظَنَّا أَنْ يُقيمَا حُدُودَ الله﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقد تستعمل في اليقين؛ كقوله: ﴿الذين يَظُنونَ أنَّهم مُلاَقُو رَبِّهم﴾ [البقرة: ٤٦].

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد، قال: كل ظن في القرآن يقين. وهذا مشكل بكثير من الآيات لم يستعمل فيها بمعنى اليقين؛ كالآية الأولى.

وقال الزركشي في البرهان: الفرق بينهما في القرآن ضابطان:

أحدهما أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين. وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشكّ.

والثاني أن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك نحو: ﴿بل ظَنَنْتُم أنْ لَنْ يَنقَلِبَ الرسولُ والمؤمنون﴾ [الفتح: ١٢]. وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين؛ كقوله: ﴿إنّي ظَنَنْتُ أنّي مُلاَقٍ حِسَابِيَه﴾ [الحاقة: ٢٠]. وظَنّ أنّه الفِرَاق﴾ [القيامة: ٢٨]. وقرىء: وأيقن أنه الفراق.

والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد، فدخلت على اليقين. والخفيفة بخلافها فدخلَتْ في الشك؛ ولهذا دخلت الأولى في العلم؛ نحو: ﴿فاعْلَم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وعلم أنّ فيكم ضَعْفاً﴾ [الأنفال: ٦٦]. والثانية في

الحسبان؛ نحو: ﴿وَحَسِبُوا ألا تكون فتنة﴾ [المائدة: ٧١] - ذكر ذلك الراغب في تفسيره.

وأوْرد على هذا الضابط: ﴿وظَنوا أنْ لا مَلْجَأ من الله﴾ [التوبة: ١١٨].

وأُجيب بأنها اتصلت بالاسم. وفي الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل، ذكره في البرهان، قال: فتمسَّكْ بهذا الضابط، فهو من أسرار القرآن.

وقال ابن الأنباري: قال ثعلب: العَرَبُ تجعل الظن علماً وشكّاً وكذباً، فإن قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشكّ فالظن شك، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب؛ قال الله: ﴿إنْ هم إلاَّ يَظُنون﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ أي يكذبون.

حرف الكاف

﴿كافر﴾: له معنيان: من الكفر، وهو الجحود بوجود الله المضاد لمعرفته. وقد يحكم بكُفْرِ الشخص مع كَوْنِهِ عالماً بالله من طريق الشرع؛ وهو إذا قال: إن الخمر حلال، والطُّهر غير واجب. وقيل الكافر هو المكذّب، مثل قوله تعالى: ﴿فكَفَرُوا وتَوَلَّوْا﴾ [التغابن: ٦]. وبمعنى الزرع، وهو قوله تعالى: ﴿أعجب الكفارَ نباتُه﴾ [الحديد: ٢٠]، أي الزرَّاع. وتكفير الذنوب: غفرانها.

﴿كافّة﴾: الهاء للمبالغة، ومنه: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادْخُلُوا في السَّلْم كافّة﴾ [البقرة: ٢٠٨] - بفتح السين المهملة. والمراد به ها هنا عقد الذمة بالجِزْية، فالأمر على هذا لأهل الكتاب. وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام. وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قَوْم من اليهود أسلَمُوا، وأرادوا أن يعظِّمُوا السَّبْتَ كما كانوا، فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه. ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأمر والنهي. وقوله: ﴿وما أرسلْنَاك إلا كافّة للناس بَشيراً ونَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨]؛ أي تكفّهم وتردعهم؛ لأنه ﷺ بُعث إلى الإنس والجن.

﴿كَفَلها زَكرِيّا﴾ [آل عمران: ٣٧]: أي ضمها وحصّنها. ومنه أَكْفِلْنِيها.

والضمير يعود على مريم، وزكريا كان زوج خالتها. وقيل: زوج أختها. وقريء كفّلها ـ بتشديد الفاء ونصب زكرياء، أي جعله الله كافلها.

﴿كَرّة﴾: أي رجعة. ومنه: ﴿لو أنَّ لنا كرّةً﴾ [البقرة: ١٦٧]. وقوله: ﴿ثم ردَدْنَا لكم الكرّة عليهم﴾ [الإسراء: ٦]، أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم. ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم، وقتل بُخت نصّر. وقيل قتل داود جالوت.

﴿كاظِمين الغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]: حابسين الغَيْظَ.

﴿كبِر﴾ ـ بكسر الباء ـ يكبَر ـ بالفتح ـ في المضارع. وكَبُر الأَمْرُ ـ بالضم ـ في الماضي والمضارع. وكُبَر بضم الكاف وفتح الباء جمع كُبْرى. وكُبّاراً ـ بالضم والتشديد: كبير، مبالغة. والكِبْر: التكبُّر. وكِبْر الشيء ـ بكسر الكاف وضمها: معظمه. والكِبرياء: الملك والعظمة. والمتكبِّر: اسم الله تعالى، وبمعنى العظمة.

وكان لامرأة زكرياء ثمان وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة مع علمه بقُدرة الله تعالى على ذلك، واستبعده، لأنه نادر في العادة وقيل: سأله وهو شاب، وأُجيب وهو شيخ؛ فاستبعده لذلك.

﴿كذلك الله﴾ [آل عمران: ٤٠]: أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعاله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة إلى هبة الولد لزكرياء. واسم الله مرفوع بالابتداء، و﴿كذلك﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: إن الخبر يفعل ما يشاء. ويحمل ﴿كذلك﴾ على وجهين: أحدهما ـ أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل؛ والآخر أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف، تقديره الأمر كذلك، أو أنتُما كذلك. وعلى هذا يوقف على كذلك. والأول أرجح؛ لاتصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يفعل ما يشاء﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائرَ كثيرة في القرآن؛ منها قوله: ﴿وكذَلِك أَخْذ رَبكَ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿كَلاَلَة﴾ [النساء :١٢]: هي انقطاعُ عمودي النسب، وهي خُلوٌّ الميت عن ولد أو والد. ويحتمل أن يُطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على الوراثة، أو على القرابة، أو على المال؛ فإن كانت للميت فإعرابها خبر كان، ويورَث في موضع الصفة. أو يورث خبر كان وكَلاَلَة حال من الضمير في يُورث. أو تكون كان تامة، ويورث في موضع الصفة، وكَلالة حال من الضمير.

وإن كانَتْ للورثة فهي خبر كان على حذْفِ مضاف، تقديره ذا كَلالة، أو حال على حَذْف مضاف أيضاً.

وإن كانت للوراثة فهي مصدر في موضع الحال.

وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، تقديره يورث من أجل القربى.

وإن كانت للمال فهي مفعولٌ ثانٍ ليُورث.

وكلٌّ وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ويورث في موضع الصفة؛ أو تكون ناقصة ويورث خبرها.

﴿كَظِيم﴾ [يوسف: ٨٤، النحل ٥٨، الزخرف: ١٨]: قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي شديد الحزن على أولاده. أو كاظم لحزنه لا يُظهره لأحد، ولا يَشكو إلا لله. وقيل بمعنى مفعول؛ كقوله: ﴿إذْ نَادَى وهو مَكْظُوم﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي مملوءُ القلْبِ بالحزن أو بالغيظ على أولاده.

﴿كَيْلَ بَعِير، ذلك كَيْلٌ يَسِير﴾ [يوسف: ٦٥]: يريدون بعير أخيه؛ إذ كان يوسف لا يُعطي إلاَّ كَيْلَ بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادي عشر لغيْبَة صاحبه، حتى يأتي. وإن كانت الإشارةُ بذلك إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلةٌ لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير. وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير فالمعنى أنه يسيرٌ على يوسف؛ أي قليل عنده، أو سهل عليه؛ فلا يمنعهم منه.

﴿كَلٌّ على مَوْلاَه﴾ [النحل: ٧٦]: أي ثقيل؛ يعني أنه عِيال على وليّه أو سيّده؛ وهو مثال للأَصْنَام.

﴿كَأْس﴾: إناء بما فيه من الشراب.

﴿كَهْف﴾ [الكهف: ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ٢٥]: غار واسع، دخله الفِتْيَة الذين قصّ الله علينا خبرهم؛ ولنذكر من قصتهم ما لا غنَى عنه؛ إذْ أكثر الناسُ فيها مع قلة الصحة في كثير ممّا نَقَلُوا:

وذلك أنهم كانوا قوماً مؤمنين، وكان ملكُ بلادهم كافراً يقتل كل مؤمن، ففرُّوا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتَّبعون لهم إلى الْغَار، فوجدوهم، وعرَّفُوا الملك بذلك، فوقف عليه بجنوده، وأمر بالدخول عليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دَعْهُم يموتوا عطشاً وجوعاً، وكان قد ألقى الله عليهم قبل ذلك نَوْماً ثقيلاً، فبقوا كذلك مدةً طويلة. ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً بدراهم كانت لهم؛ فعجب منها البيّاع، وقال: هذه الدراهم من عَهْدِ فلانٍ الملك في قديم الزمان؛ فمن أين جاءَتْك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجتُ أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهْف. فقال الناس: هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فَمَشوْا إليهم فوجدوهم مَوْتى.

وأمّا مَوْضِعُ كهفهم فقيل: إنه بمقربة فلسطين. وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة في جهة غرناطة. وفيه موتى ومعهم كلب.

وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له: الرَّقيم - قد بقي بعض جُدْرانه.

وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دِقْيَنوس، وفي تلك الجهة آثار مدينةٍ يقال لها مدينة دِقْيَنُوس. والله أعلم.

ومما يبعد ذلك ما روي أن معاوية مر عليهم، وأراد الدخول إليهم، فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك؛ قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لو اطّلَعْتَ عليهم

لَوَلَّيْتَ منهم فِرَاراً ولَمُلِئْتَ منهم رُعباً﴾ [الكهف: ١٨]. فبعث ناساً إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحاً فأحرقتهم. ولم يدخل معاوية الأندلس قط.

وأيضاً فإن الموتى الذين في غار لوشة يراهم الناس، ولا يدرك أحداً الرعب الذي ذكر الله في كتابه.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الكهف: ٥]: انتصب على التمييز، وقيل على الحال؛ يعني بالكلمة قولهم: ﴿اتخذ اللهُ وَلَداً﴾ [الكهف: ٤]. وعلى ذلك يعود الضمير في كبرت.

وأما قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عند الله﴾ [الصف: ٣] فانتصب على التمييز. و« أن تقولوا » فاعل كبر. وقيل الفاعل محذوف تقديره: كبر فِعْلُكم مَقْتاً، وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر مبتدأ مضمر؛ وكان بعضُ الناس يستحي أن يعظَ الناس لأجل هذه الآية، ويقول: أخاف من مَقْت الله. والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها.

﴿كَلْبُهم باسِطٌ ذِرَاعَيْه﴾ [الكهف: ١٨]: قيل إنه كان كلب الراعي، فمروا عليه فصحبهم وتَبِعهم فطردوه بأبى إلاَّ صُحْبَتَهم، فبِصُحْبتهم خلَّدَ الله ذكره في كتابه؛ لأن لصحبة الصالحين آثاراً؛ ألاَ تَرى ذَوْدَ البَقْلِ أَخْضر، ومَنْ ناسب شيئاً انجذب إليه، وظهر وصفه عليه. وأعمل اسم الفاعل، وهو بمعنى المضي؛ لأنه حكاية حال.

﴿كمِثْلِهِ شَيْء﴾ [الشورى: ١١]، أي كهو. والعرب تُقيم المثل مقام النفس، فتقول: مِثْلِي لا يقول كذا وكذا؛ أي لا أقول كذا وكذا. ومثلي لا يقال له كذا. وفيه تَنْزِيهٌ للهِ تعالى عن مشابهة المخلوقين. وقال بعضهم: إن الكاف زائدة. قال الطبري وغيره: ليست بزائدة، ولكن وضع ﴿مثله﴾ موضع هو. والمعنى ليس كهو شيء. قال الزمخشري: هذا كما تقول: مثلك لا يبخل. والمراد أنتَ لا تبخل؛ فنفى البخل عن مثله. والمراد نفيه عن ذاته.

﴿كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]: قيل مال عظيم. وقيل: كان عِلْماً في صحف مدفونة. والأول أظهر. وضمير التثنية يعود على الغُلاَمَيْن. وذكر الجواليقي وغيره أن لفظ الكنز فارسي.

﴿كفر عنهم سَيِّئَاتِهِم﴾ [محمد: ٢]: أي غفرها لهم. قال ابن الجوزي: معناه امْحُ عنّا ـ بالنبطية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني في قوله: كفَّر عنهم سيئاتهم ـ قال ـ بالعبرانية: محا عنهم.

﴿كما تَأْكُلُ الأنعام﴾ [محمد: ١٢]: عبارة عن كثرة أكلهم، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم.

﴿كأيّن مِنْ قَرْيَةٍ هي أشدُّ قوةً مِنْ قَرْيَتِك﴾ [محمد: ١٣]: يعني مكة وخروجه ﷺ منها وقْتَ الهجرة. ونَسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها؛ لأنهم آذوه حتى خرج.

﴿كان عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كمن زُيِّن له سُوءُ عَمله﴾ [محمد: ١٤]. أو: ﴿كمن هو خالدٌ في النار﴾ [محمد: ١٥]: تقديره: أمثل أهل الجنة المذكورة قَبْلُ كمن هو خالدٌ في النار، فحذف هذا التقدير المراد به النفي؛ وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم عليه.

﴿كيف إذا تَوَفَّتْهم الملائكةُ يضربون﴾ [محمد: ٢٧]: ضمير الفاعل للملائكة. وقيل: إنه الكفّار؛ أي يضربون وُجوه أنفسهم؛ وذلك ضعيف؛ أي كيف يكون فعل هؤلاء؟ والعربُ تكتفي بكيف عن ذِكْرِ الفعل معها لكثرة دورانها في الكلام.

﴿كفَّ أَيْدِي الناسِ عنكم﴾ [الفتح: ٢٠]: أي كفَّ أهْلَ مكة عن قِتَالكم في الْحُدَيْبِية. وقيل: كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذرّيتكم حين خرجتم إلى الحديبية.

﴿كفَّ أيديَهم عنكم وأيديَكُم عنهم﴾ [الفتح: ٢٤]: رُوِيَ أنّ جماعةً من

فِتْيَان قُرَيش خرجوا إلى الْحُدَيبية لِيُصيبوا من عَسْكرِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فبعث إليهم ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين، فهزموهم وأَسَرُوا منهم قوماً ، وساقوهم إليه ﷺ ، فأطلقهم؛ فكفُّ أيدِي الكفّار هو أن هُزِموا وأُسِروا ؛ وكفُّ أيدي المؤمنين عن الكفـار هو إطلاقُهم من الأسْرِ وسلامَتُهم من القتل. وقوله: « مِنْ بعد أَنْ أظفركم عليهم » يعني من بعدما أخذتموهم أسارى.

﴿ كلمة التَّقْـوى﴾ [الفتـح: ٢٦]: هـي لا إلـه إلا الله عنـد الجمهـور؛ للحديث. وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر. وهذه كلُّها مُتَقَارِبة. وقيل: بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفار أن تُكتب؛ بل قالوا: اكتب اسمك.

﴿ كانوا أحَقّ بها وأَهْلَها﴾ [الفتح: ٢٦]؛ أي المسلمون المذكورون. وقيل: أي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم. وقيل: أحق بها من اليهود والنصارى.

﴿ كَفى بالله شَهيدا﴾ [الفتح: ٢٨]: أي شاهداً بأن محمداً رسول الله، أو شاهداً بإظهار دينه.

﴿ كزَرْعٍ أَخْرَج شَطْأَه﴾ [الفتح: ٢٩]: هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفاً ثم قوي وظهر. وقيل: الزرع مثل النبي ﷺ ، لأنه بُعِث وحده، فكان الزرع حبةً واحدة، ثم كثر المسلمون.

﴿ كَثِيبا﴾ [المزمل: ١٤]: أي كُدْس الرَّمل؛ يعني أن الجبال فتّتَت من زلزلتها حتى صارت كالرمل المذري.

﴿ كصاحبِ الحوتِ﴾ [القلم: ٤٨]: قد قدمنا أنه يونس عليه السلام. وسببها أنه ﷺ همّ أن يدعو على الكفار، فنهاه الله أن يكون مثله في الضجر والاستعجال؛ لأنه ذهب مغاضباً لَمّا خالفه قَـوْمُـه، فـدعـا عليهـم. وأُجيـب وأَعلمهم بالعذاب؛ فلما رأى قومه مخايل الهلاك تابوا وآمنوا، فتاب الله عليهم

وصرفه عنهم، وإنما أَبَقَ من قومه لخوفه من القتل؛ وسمي أبّاقاً في قوله تعالى: ﴿إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ الْمَشْحُون﴾[الصافات:١٤٠] . وقيل: إنه لما وعد قومه بالعذاب ولم يُصبهم بسبب إيمانهم أخَذَتْه غَضْبَةٌ كما ذكر الله عنه. والأول أصح. فانظر قدرك، يا محمديّ، عند ربك، واشكره إذ هداك للإيمان بهذا النبي الكريم. وفي الخبر أنه ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: يا ربّ، أمرتني أن أعاملَ أمتي بخلاف سائر الأمم، فعامِلْهُم أنت كذلك. فأوحى الله إليه: هم أُمّتُك، وهم عبيدي، وقد أعطيتك الشفاعة فيهم، فكيف تضيع أمةٌ أنتَ شفيعها وأنا رحيمها؟ فالحمد لله الذي جعلنا من هذه الأمة، وخصنا بهذا النبي الكريم.

﴿كوَاعِبَ أتْرَابا﴾ [النبأ: ٣٣]: الكاعِبُ الجارية التي خرج ثديها، وهي أحبُّ إلى الرجل لصغرها.

[كافُورا ﴾ [الإنسان: ٥]: أي في طيب رائحته، كما تمدح طعاماً فتقول: هذا مسك. وذكر الجواليقي وغيره أنه فارسي.

﴿كَالُوهم﴾ [المطففين: ٣]: بمعنى كالوا لهم. يقال: كلتك وكِلْتُ لك، ووزنتك ووزنت لك، بمعنى واحد. وحذف المفعول الثاني وهو المكيل والموزون. وهم ضمير المفعول للناس، فالمعنى إذا كالوا للناس، أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يُكال أو يوزن بخسوهم حقوقهم. وقيل إنّ «هم» في قوله: كالوهم ووزنوهم تأكيد للضمير الفاعل. وقد رُوي عن حمزة أنه كان يقفُ على كالوا ووزنوا، ثم يبتدىء بـ «هم» ليبين هذا المعنى؛ وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا، فدل ذلك على أنّ هُمْ ضمير المفعول.

والآخر أن المعنى على هذا أنّ المطففين إذا تولّوا الكيل أو الوزن نقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر؛ ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم، وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم، فقابل القبض بالدّفْعِ؛ وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائع، وليس ذلك بالجليّ. قال: وصدر الآية في المشترين، فهم الذين يستوفون، أي يشاحّون ويطلبون الزيادة. وقوله: إذا كالوهم أو وزنوهم في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري.

﴿كمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]: المشكاة هي الكُوَّة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة وقيل: المشكاة الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر. والمعنى صفة نور الله في وضوحه كصفَةِ مِشْكَاةٍ فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة؛ وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نورُ الله أعظم؛ لأن ذلك غايةُ ما يدركه الناس من الأنوار؛ فضرب المثل لهم بما يوصل إلى إدراكه. وقيل الضمير في نوره عائد على محمد ﷺ. وقيل على القرآن. وقيل على المؤمنين. وهذه الأقوال كلها ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصحُّ أنْ يقال: الله نُور السموات والأرض، فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: مَثَل نُوره، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدّمناه: أي الله ذو نور السموات والأرض، أو كما تقول زيد كريم، ثم تقول: يعيش الناس بكرمه.

﴿كادح﴾ [الانشقاق: ٦]: الكدح في اللغة هو الجِدُّ والاجتهاد والسرعة؛ فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛ لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطعُ خُطاً من عُمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تُلاَقِي رَبَّك. فانظر فيما تصرف عُمْرَك، فإن أنفقته فيما فيه رضاه رضي عنك، وإن كان في غيره غضب عليك، ولا يقوم لغضبه شيء. وقيل: المعنى أنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر، ثم تَلْقى ربك فيجازيك به. والأول أظهر؛ لأن ﴿كادح﴾ تعدّى بإلى لما تضمَّن من معنى السير. ولو كان بمعنى العمل لقال لربك.

﴿كَنود﴾ [العاديات: ٦]: كَفُور للنعمة. والتقدير إن الإنسان لنعمة ربه

لكفُور. والإنسان جنس. وقيل الكنود العاصي. وقال بعض الصوفية: الكنود الذي يعبد الله على عِوَض.

﴿كَيْدهم﴾ [الفيل: ٢]: مكرهم وحيلتهم، والضمير لأصحاب الفيل القاصدين هَدْم الكعبة، فرَدَّ اللهُ عليهم كَيْدَهم. في تضليل: أي في إبطال وتخسير.

﴿كعَصْفٍ مأكُول﴾ [الفيل: ٥]: العصف: ورق الزرع وتِبْنُه. والمراد أنهم صاروا رَمِياً؛ وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثَتْه؛ وجُمع للتلف والخسارة، ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن.

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدوابّ.

الثالث: أنه أراد كعَصْفٍ مأكول زَرْعُه وبقي هو لا شيء.

﴿كَوْثر﴾ [الكوثر: ١]: بناء مبالغة من الكثرة. وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: أنه حَوْض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة؛ قاله ابن عباس، وتَمَّمَه سعيد بن جبير بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه. فالمعنى أنه من العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نورٌ وضعه اللهُ في قلبه.

والصحيح أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن المراد بالكوثر الذي تَرِدُه أُمَّتُه. آنِيَتُه على عدد نجوم السماء، طوله ما بين عمان إلى صنعاء، هكذا فسره ﷺ؛ قال أبو سعيد القرشي: لما نزلت على النبي ﷺ: ﴿أولئك الذين يَدْعُون

يَبْتغون إلى رَبّهم الوسِيلة أيهم أقرب﴾ [الإسراء : ٥٧] ـ قال ﷺ : « اتَّخَذْتَ إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، فماذا خَصَصْتَني ؟ » فأنزل الله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَح لك صَدْرك﴾ [الانشراح : ١]. فلم يكتف بذلك وحقّ له ألا يكتفي ؛ لأن السكون إلى الحال سبب قطع المزيد ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر : ١]. فقال له جبريل : إن الله تعالى يُقْرِئك السلام ويقول لك : إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ـ فقد اتخذتك حبيباً . وعزتي وجلالي لأفضلنّ حبيبي على خليلي وكليمي . فسكن .

وهذا من أجلّ الرضا ؛ لأن هذه هي الدلالة ، والرضا للحبيب والانبساط للخليل ؛ ألا ترى إلى قول إبراهيم : وجاءته البُشْرى وهو على الانبساط ؟

فإن قلت : قد وردت تحديدات من الشارع في عرض هذا الكوثر وطُوله يُفهم منها التضادّ .

فالجواب أنها ليست بمختلفة ؛ وإنما تحدث به ﷺ مرات عديدة ، وذَكَر فيها تلك الألفاظ المختلفة بحسب اختلاف الطوائف من العرب ، فخاطب كل أحد بما كان يعرفُ من المسافة . والمعنى المقصود أنه حوض كبير مُتَّسِع الجوانب والزوايا .

قال السُّهيلي في الرَّوْض الأنف : عن عائشة رضي الله عنها : قال لي رسول الله ﷺ : « إن الله أعطاني نَهْراً يقال له الكَوْثر ، لا يَشَاءُ أحَدٌ من أُمَّتي يسمع خَرِيرَه إلاَّ سمع ». قلت : يا رسول الله ؛ وكيف؟ قال : أدخلي إصبعيك في أُذُنَيْكِ وشدّي . قالت : قد فعلت يا رسول الله . قال : هذا الذي تسمعين هو من خرير الكوثر .

تنبيه

قال ﷺ : « إن لحَوْضِي أربعة أركان ؛ فالركن الأول في يَدِ أبي بكر ، والثاني في يد عمر ، والثالث في يد عثمان ، والرابع في يد عليّ ؛ فمن أبغض واحداً

منهم حرمه الباقون. وأوّل من يرده فقراء المهاجرين الدَّنِسُو الثياب، الشعث الرؤوس، الذين لا يتزوجون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدُود، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأَبَرّهُ».

فانظر يا مسكين هل بيننا من هذه الأوصاف شيء؟ نعم، قد اتّصفنا بأضدادها؛ فأنَّى لنا باللحوق بهم غير الصلاة والسلام على نبينا والرضا عن أصحابه الكرام.

﴿كُتِبَ عليكم القِتَالُ وهو كُرْهٌ لكم﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ أي فُرِض، وإن كان على الأعيان فنسخه: ﴿وما كان المؤمنون لِيَنْفِرُوا كافّة﴾ [التوبة: ١٢٢]، فصار القتال فَرْضَ كفايةٍ؛ وإن كان على الكفاية فلا نسخ.

و﴿كُرْه﴾: مصدر كره، للمبالغة، أو اسم مفعول كالخبر بمعنى المخبور. وأما قوله تعالى: ﴿كُتب عليكم القِصَاص﴾ [البقرة: ١٧٨] فليس بمعنى فُرض؛ بل شُرع، لأن وليّ المقتول مُخَيَّرٌ بين القصاص والدية والعفو. وقيل بمعنى فرض؛ أي فرض على القاتل الانقياد للقصاص، وعلى ولي المقتول ألاَّ يتعدّاه إلى فعل غيره؛ كفعل الجاهلية، وعلى الحكام التمكين من القصاص.

﴿كُتِب عليكم الصيامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]: المقصود بهذه الآية وبقوله تعالى: ﴿أيّاماً معدودات﴾ ـ تسهيلُ الصيام على المسلمين؛ وكأنه اعتذار عن كَتْبه عليهم؛ وملاطفة جميلة. والذي كُتب على من قبلنا الصيام مطلقاً. وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه.

﴿كَفَّار أثيم﴾ [البقرة: ٢٧٦]: أي من يجمع بين الكُفْرِ والإثْمِ، وهذا يدلُّ على أن الآية في الكفار.

﴿كريم﴾: من الكرم؛ وهو الحَسَب والجلالة والفضل. وكريم: اسم الله تعالى؛ أي محسن. وأما قول بلقيس: ﴿إنّي أُلْقِيَ إليّ كتاب كريم﴾ [النمل: ٢٩] ـ فلأنه من سليمان، أو لأن فيه اسمَ الله، أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: كرم الكتاب خَتمه.

فإن قُلْتَ: إنما كانت تعرف سليمان لا الخالق؛ ولذا كانت تسجد للشمس.

فالجواب إنما عظَّمت الكتاب لوجوهٍ؛ منها أنه لم يُلْقِه لها بشر ولم يأمرها فيه إلا بملاطنة؛ ولذا بدأ سليمان بذكْره على اسم الله غيرةً منه أنْ يقع منها في اسم الجلالة نقص أو خلل.

﴿كُفْرَان لسَعْيِه وإنّا له كاتِبُون﴾ [الأنبياء: ٩٤]: أي لا إبطال لثواب عمله؛ لأنَّا نكتب عمله في صحيفته.

﴿كَالِحُون﴾ [المؤمنون: ١٠٤]: الكلوح: انطباق الشَّفَتَيْن عن الأسنان، وكثيراً ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكلاب إذا شويت رؤوسها. وفي الحديث: إن شفَةَ الكافر ترتفع بالنار حتى تبلغ وسط رأسه. وفي ذلك عذاب وتشويه. وفي الحديث: ضرس الكافر أو نَابُه في النار مثل أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث.

﴿كبْكِبوا فيها﴾ [الشعراء: ٩٤]: أصله كبُّوا فيها على رؤُوسهم في جهنم مرةً بعد مرة، وكررت حروفُه دلالة على تكرير معناه. والضمير للأصنام.

﴿كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبين﴾ [الشعراء: ٩٧]: هذا قول المشركين المكبوبين.

﴿كذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ الْمُرْسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥]: أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث لأن القوم في معنى الجماعة والأمة.

فإن قلت: كيف قال المرسلين بالجمع، وإنما كذبوا نوحاً؟

فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيْل، وإن لم يركب إلا فَرَساً واحداً. والآخر أن مَنْ كذَّب نبيّاً واحداً فقد كذّب جميع الأنبياء؛ لأن قولهم واحد، ودعوتهم سواء؛ وكذلك الجواب في: كذبت عاد المرسلين، وغيره.

﴿كُبِتوا كما كُبِتَ الذين مِنْ قبلهم﴾ [المجادلة: ٥]: أي أهلكوا. وقيل: لُعِنوا. وقيل كُبِت الرجل إذا بقي خَزْيَان؛ ونزلت الآية في المنافقين واليهود.

﴿ كَرَّتَيْن﴾ [الملك: ٤]؛ أي انظر نظراً بعد نظر للتثبت والتحقق. وقال الزمخشري: معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصةً؛ كقولهم لبَّيْك، فإن معناه إجابات كثيرة.

﴿ كان مِقْدارُه خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٥]: اختلف في هذا اليوم على قولين:

أحدهما: أنه يوم القيامة.

والآخر: أنه في الدنيا.

والصحيح أنه يَوْمُ القيامة؛ لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: ما من صاحب ذهبٍ ولا فضّة لا يُؤَدّي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نارٍ يُكْوَى بها جبينه وجَنْبُه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضَى بين العباد.

ثم اختلف هل مقدارُه خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر. أو هل وصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال: طويل، إذا كانت فيه مصائب وهموم.

وإن قلنا: إنه في الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة. وقيل الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تنزل وتعرج في هذه المدة. وهذا كله على أن يكون قوله: ﴿ في يوم﴾ صفة للعذاب؛ فيتعيّن أن يكون اليوم يوم القيامة. والمعنى على هذا مستقيم.

﴿ كالْمُهْلِ. وتكون الجِبَالُ كالعِهْن﴾ [المعارج: ٩]: شبَّه السماء بالمهل، وهو دُرْدِيّ الزَّيت؛ في سوادها، وانكدار أنوارها يوم القيامة؛ أو هو ما أذيب من الفضة وشبهها؛ شبّه السماء به في تلوّنه، وشبّه الجبال بالعهن وهو الصّوف المصبوغ ألواناً، فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها سود ومنها بيض.

﴿ كُبَّاراً﴾ [نوح: ٢٢] ـ بتشديد الموحدة أبلَغُ من الكبار بالتخفيف. والكبَار المخفف أبلغ من الكبير.

﴿كَثِيباً مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]: معناه أن الجبال تصير إذا نُسفت يوم القيامة مثل الكثيب؛ وهو كُدْسُ الرمل. والمهيل: اللّيّن الرِّخْو نشرته الرياح؛ ووزنه مفعول.

﴿كما أرسلنا إلى فرعون رَسُولاً. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُول﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]: اللام للعهد. والرسول إلى فرعون موسى.

﴿الكُبَر﴾ [المدثر: ٣٥]: جمع كبْرى. وقال ابن عطية: جمع كبيرة. والأول هو الصحيح؛ والمراد بها إما جهنم، أو الآيات والنِّذَارَة.

﴿كوِّرت﴾ [التكوير: ١]: ذهب ضَوْؤُها. وقيل كوِّرَت كما تكون العِمَامة. وأخرج ابن أبي جرير عن سعيد بن جبير، قال: كوِّرت: غوِّرت بالفارسية.

﴿كُشِطَت﴾ [التكوير: ١١]: أي قُشرت كما يقشر جلد الشاة حين تُسلخ، وكَشْط السماءِ هو طيُّها كطيِّ السجلِّ؛ قاله ابن عطية. وقيل معناه كشفت. وهذا أليق بالكشط.

﴿كُنّس﴾ [التكوير: ١٦]: من قولك كَنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه. والمراد بها الدراري السبعة؛ لأنها تَكْنِس في جريها أو في أبراجهاوتَخْفَى بضوء الشمس. وقيل: يعني بقر الوحش؛ فالخنّس على هذا من خَنس الأنف، والكنس من سكناها في كناسها.

﴿كفُواً﴾ [الإخلاص: ٤]: مثلاً.

﴿كَهْلاً﴾ [آل عمران: ٤٦]: هو الذي انتهى شبابه. والمعنى أن عيسى عليه السلام يكلِّمُ الناسَ في الْمَهْد وكَهلاً.

﴿أكبَّ﴾ الرجل على وجهه فهو مُكب، وكبّه غيره بغير ألف.

﴿كِسَفاً﴾ [الإسراء ٩٢]: بفتح السين ـ جمع كِسْفة، وهي القطعة. وقرىء بالإسكان؛ ومنه قوله: ﴿أو تسقِط عليهم كِسْفاً من السماء﴾ [سبأ: ٩].

﴿كِفْلٌ منها﴾ [النساء: ٨٥]: أي نصيب؛ ومنه كِفْلَيْن من رحمته؛ أي نصيبين. ومنه الحديث: يُؤْتون أَجْرَهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي... الحديث. وقد نظم بعض المتأخرين الذين يُؤْتون أَجْرَهم مرَّتين:

ثلاث وعشر في المثبت فضّلوا — أمَنْ يرفع الأَخبار قد جاء مطلقا
فأَزْواجُ خَيْرِ المرسلين ومُؤْمن — من أهل الكتاب اليوم بالحقّ صَدَّقا
كذا العبد إن يَنْصَحْ مَوَاليه دائماً — ويلزم باب الله بالدّين والتُّقَى
وذو أمَة تأديبها كان مُحسناً — فصار لها زَوْجاً وقد كان أَعْتَقا
ومجتهد في الحق صادفَ رَأْيه — ومَنْ حاول القرآن بالجهد والشّقا
ومَنْ غسلُهُ ثِنْتَين حَالَ وضوئه — وعامٍ يسد الصفَّ مهما تَفَرَّقا
ومَنْ يشكر النعماء إن كان ذا غِنًى — ومن خصّ في الأرحام فيما تصدّقا
ومَنْ سنَّ خيراً، والجبان إذا رمى — بنفس على الكفّار واقتحم اللّقا
كذلك من صلّى بفرض تيَمُّم — وبعد وجود الماء عاد وحقّقا

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري، قال: كِفْلَيْن ضعفيْن - بالحبشية.

﴿كَيْدهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤]: قد قدمنا أن الكيد من الخَلْق احتيال، ومن الله مشيئته أمراً ينزل بالعبد من حيث لا يشعر. وأما قوله تعالى: ﴿كذلك كِدْنَا ليوسف﴾ [يوسف: ٧٦] فمعناه فعلنا له ذلك؛ لأنه كان في شرعه أو عادته أن يضرب السارق، ويضاعف عليه الغُرْم، ولكن حكم في هذه القضية بحكم آل يعقوب.

﴿كتمَ شهادةً عِنده مِنَ الله﴾ [البقرة: ١٤٠]: يعني الشهادة بأنّ الأنبياء على الحنفية. و﴿مِنَ الله﴾ يتعلق بكتم أو بعنده، كأنّ المعنى شهادة تخلصت له من الله.

﴿أكِنّةً أنْ يَفْقَهُوه﴾ [الأنعام: ٢٥]: جمع كِنَان، وهو الغطاء. وأن يفقهوه مفعول من أجله، تقريره كراهة أن يفقهوه؛ وهذه كلها استعارات في إضلالهم.

وأكناناً في قوله تعالى: ﴿وجعلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَال أَكنانا﴾ [النحل: ٨١] جمع كِنّ، وهو ما يقي من الحر والبرد والريح وغير ذلك. ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

﴿كِبْرَه﴾ [النور: ١١] - بفتح الكاف وكسرها لغتان: أي معظمه. وأما قوله تعالى: ﴿إلاَّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبَالِغيه﴾ [غافر: ٥٦]؛ أي تكبّر. وقوله: ﴿وتَكُونَ لَكُما الكِبْرِيَاءُ في الأَرض﴾ [يونس: ٧٨]؛ أي الملك. والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام؛ وإنما سمي الْمُلْك كبرياء، لأنه أكبر ما يُطلب من أمر الدنيا.

﴿كُنْتَ في شَكٍّ مّمّا أَنْزَلْنَا إليكَ فاسْأَلِ الذين يَقْرأُون الكتاب مِنْ قَبْلِك﴾ [يونس: ٩٤]: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقيل ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرّني مع أنه لا يشكُّ أنه ابنه، ولأن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم.

قال ابن عباس: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.

وقال الزمخشري: ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي إن فرضت أَنْ تقع في شكّ فاسأل. والمنزول عليه القرآن والشرع بجملته، وهذا أظهر. وقيل: يعني ما تقدم من أنّ بني إسرائيل ما اختلفوا إلاَّ من بعد ما جاءهم الحق. والذين يقرأون الكتاب هم عبدالله بن سلام، ومن أسلم من الأحبار؛ وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية. وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة فحَمْلُ الآية على الإطلاق أولى.

﴿كِفَاتاً﴾ [المرسلات: ٢٥]: من كُفِت، إذا ضمّ وجُمع. والمعنى أن الأرض تكْفِت الأحياء؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع؛ فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا.

ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياءً وأمواتاً، فيكون نصبها على الحال من الضمير؛ وإنما نكّر أحياءً وأمواتاً للتفخيم، ودلالة على كثرتهم؛ وكانوا يسمون بَقِيع الغَرْقَد كَفْتَة؛ لأنها مقبرة تضم الموتى.

﴿كِذّابا﴾ [النبأ : ٢٨] : بالتشديد ، مصدر بمعنى تكذيب . وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة ، وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿الكاف﴾ : حرف جَرّ له معان ؛أشهرها التشبيه ؛ نحو : ﴿ولَهُ الجوارِ المُنْشآتُ في البَحْرِ كالأعلام﴾ [الرحمن : ٢٤] .

والتعليل : ﴿كما أَرْسَلْنَا فيكم﴾ [البقرة : ١٥١] . قال الأخفش : أي لأجل إرْسالنا فيكم رَسُولاً منكم. ﴿واذكرُوه كما هَدَاكم﴾ [البقرة : ١٩٨] ؛ أي لأجل هدايته إياكم. ﴿وَيْكَأَنّه لا يُفْلحُ الكافرون﴾ [القصص : ٨٢] ؛ أي أعجب لعدم فَلاَحهم. ﴿اجعَلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

والتأكيد ، وهي الزائدة ؛ وحمل عليه الأكثرون : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ؛ أي ليس مثله شيء ، ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل ؛ وهو محال. والقصد بهذا الكلام نَفْيُه. قال ابن جنّي : وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً. وقال الراغب : إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفي ، تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف ؛ فنفى بليس الأمرين جميعاً. وقال ابن فُورَك : ليست زائدة. والمعنى ليس مثله مثل شيء ، وإذا نَفيْتَ التماثل عن المثل فلا مثل لله في الحقيقة.

وقال الشيخ زين الدين بن عبد السلام : مثل يُطلق ويراد بها الذات ؛ كقولك : مثلك لا يفعل ؛ أي أنت لا تفعله. كما قال :

ولم أقل مثلك ؛ أعني به ... سواك يا فَرْداً بلا مُشْبِه

وقد قال تعالى : ﴿فإنْ آمنُوا بِمثْلِ ما آمَنْتُم به فقد اهْتَدوا﴾ [البقرة : ١٣٧] . أي بالذي آمنتم به إياه ؛ لأن إيمانهم لا مثل له ؛ فالتقدير في الآية ليس كذاته شيء .

وقال الراغب : المِثْلُ ها هنا بمعنى الصفة ، ومعناه : ليس كصفته صفةٌ ؛ تنبيهاً على أنه وإن كان وُصِف بكثير مما وصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر ، وله المَثَل الأعْلَى .

تنبيه

ترد الكاف اسماً بمعنى مثل؛ فتكون في محلّ إعرابٍ، ويعود عليها الضمير، قال الزمخشري: في قوله: ﴿كهَيْئَةِ الطير فأنفخ فيه﴾ [آل عمران: ٤٩] - إن الضمير في فيه للكاف في كهيئة، أي أنفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيصير كسائر الطيور.

مسألة

الكاف في ﴿ذلك﴾ ونحوه حرف خطاب لا محل له من الأعراب. وفي إيّاك قيل حرف، وقيل اسم مضاف إليه. وفي: ﴿أرَأَيْتك﴾ قيل حرف، وقيل اسم، في محل رفع، وقيل نصب. والأول أرجح.

﴿كاد﴾: فعل ناقص أتى منه الماضي والمضارع فقط، له اسم مرفوع وخبر مضارع مجرد من أن، ومعناها قارب. فنفيها نفي للمقاربة، وإثباتها إثبات للمقاربة. واشتهر على ألسنة كثير أن نفيها إثبات وإثباتها نفي؛ فقولك: كاد زيد يفعل - معناه لم يفعل، بدليل: ﴿وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَك﴾ [الإسراء: ٧٣]. وما كاد يفعل، معناه فعل، بدليل: ﴿وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة: ٧١]

أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن وإن كادوا وكَاد ويكاد فإنه لا يكون أبداً.

وقيل: إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر. وقيل: نفي الماضي إثبات؛ بدليل: ﴿وما كادوا يفعلون﴾، ونفي المضارع نفي بدليل: ﴿لم يَكَدْ يَرَاها﴾ [النور: ٤٠]، مع أنه لم ير شيئاً. والصحيح الأول، وأنها كغيرها، نفيها نفي وإثباتها إثبات، فمعنى كاد يفعل قارب الفعل ولم يفعل. وما كاد يفعل ما قارب الفعل، فضلاً عن أن يفعل، فنفي الفعل لازم من نفي المقاربة عقلاً.

وأما آية: ﴿فذبحوها وما كادُوا يَفْعلون﴾ [البقرة: ٧١]، فهو إخبار عن

حالهم في أول الأمر؛ فإنهم كانوا أولاً بُعَداء من ذبحها، وإثبات الفعل إنما فهم من دليل آخر، وهو قوله: فذبحوها. وأما قوله تعالى: ﴿لقد كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ [الإسراء: ٧٤] ـ مع أنه ﷺ لم يركن لا قليلاً ولا كثيراً فإنه مفهوم من جهة أن «لَوْلا» الامتناعية تقتضي ذلك.

فائدة

ترد كاد بمعنى أراد. ومنه: ﴿كذَلِكَ كِدْنَا ليُوسف﴾ [يوسف: ٧٦]. و﴿أَكَادُ أُخْفيها﴾ [طه: ١٥]. وعكسه، كقوله تعالى: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضّ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي يكاد.

﴿كان﴾: فعل ناقص مُتصرِّف، يرفع الاسم وينصب الخبر، معناه في الأصل المضيّ والانقطاع، نحو: ﴿كانوا أَشدَّ منكم قوةً وأكثر أَموالاً وأَوْلاداً﴾ [التوبة: ٦٩].

وتأتي بمعنى الدَّوام والاستمرار، نحو: ﴿وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾. ﴿وكنّا بكل شيء عالمين﴾، أي لم نزل كذلك. وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان.

قال أبو بكر الرازي: كان في القرآن على خمسة أوجه:

بمعنى الأزل والأَبَد، كقوله: ﴿وكان الله عَلِيماً حكيماً﴾.

وبمعنى المضيّ المنقطع، وهو الأصل في معناها، نحو: ﴿وكان في المدينة تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وبمعنى الحال؛ نحو: ﴿كنْتُم خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس﴾. ﴿إنَّ الصلاةَ كانَتْ على المؤمنين كتاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء: ١٠٣].

وبمعنى الاستقبال؛ نحو: ﴿يخافون يَوْماً كان شَرُّه مُسْتَطيراً﴾ [الإنسان: ٧].

وبمعنى صار؛ نحو: ﴿وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤].

قلت: أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدِّيِّ، قال: قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال: أنتم، فكنَّا كلّنا، ولكن قال: كنتم في خاصة أصحاب محمد.

وترد ﴿كان﴾ بمعنى ينبغي؛ نحو: ﴿ما كان لكم أَنْ تُنْبِتُوا شجرها﴾ [النمل: ٦٠] ﴿ما يكون لنا أَنْ نتكلَّم بهذا﴾ [النور: ١٦].

وبمعنى حضر أو وجد؛ نحو: ﴿وإن كان ذو عُسْرَةٍ فَنظِرَةٌ إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠]. ﴿إلاَّ أنْ تكونَ تجارةً حاضرةً﴾. ﴿وإنْ تَكُ حَسَنَةً﴾.

وترد للتأكيد؛ وهي الزائدة، وجعل منه: ﴿وما عِلْمي بما كانُوا يَعْمَلُون﴾.

﴿كَأَنّ﴾ - بالتشديد: حرف للتشبيه المؤكد؛ لأن الأكثر على أنه مركّب من كاف التشبيه، وأن المؤكدة. والأصل في كأن زَيْداً أسدٌ - إن زيداً كأسد. قدم حرف التشبيه اهتماماً به، ففُتحت همزة أن لدخول الجار.

قال حازم: وإنما تستعمل حيث يقوى التشبيه حتى يكاد الرَّائي يشك في أن المشبَّه هو المشبّه به؛ ولذلك قالت بلقيس: ﴿كأنه هو﴾ [النمل: ٤٢].

قيل: وترد للظن والشك فيما إذا كان خبرها غير جامد.

وقد تخفَّف؛ نحو: ﴿كأن لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسّه﴾ [يونس: ١٢].

﴿كأين﴾: اسم مركب من كاف التشبيه وأيّ المنونة للتكثير في العدد؛ نحو: ﴿وكأيِّنْ مِن نبيٍّ قاتَل معه رِبِّيُّون كَثِير﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وفيه لغات؛ منها كائن بوزن بائع، وقرأ بها ابن كثير حيث وقعت. وكأيِّن بوزن كعيّن، وقرىء بها. وكأيِّن من نَبيٍّ قاتَل.

وهي مبنيَّة لازمة الصدر، ملازمة للإبهام، مفتقرة إلى تمييز؛ وتمييزها مجرور بمن غالباً - وقال ابن عصفور: لازماً.

﴿كذا﴾: لم ترد في القرآن إلا للإشارة، نحو: ﴿أهكذا عَرْشُك﴾ [النمل: ٤٢].

﴿كل﴾: اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر المضاف هو إليه، نحو: ﴿كلُّ نَفْس ذائقةُ الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والمعرّف المجموع؛ نحو: ﴿وكلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القيامة فَرْدا﴾ [مريم: ٩٥]. ﴿كلُّ الطَّعَامِ كان حِلاًّ لبني إسرائيل﴾ [آل عمران: ٩٣]. وأجزاء المفرد المعَرّف، نحو: ﴿يَطْبَعُ اللهُ على كلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّار﴾ [غافر: ٣٥]، بإضافة قلب إلى متكبر، أي على كل أجزائه. وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب.

وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون نعتاً لنكرة أو معرفة، فتدل على كماله، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر تُمَاثِلُه لفظاً ومعنى؛ نحو: ﴿ولا تَبْسُطْها كلَّ الْبَسْط﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي بسطاً كل البسط، أي تاماً. ﴿فلا تَمِيلُوا كلَّ المَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩].

ثانيها: أن تكون توكيداً لمعرفةٍ؛ ففائدتها العموم، وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد؛ نحو: ﴿فسجَدَ المَلاَئكةُ كلُّهم أجمعون﴾ [الحجر: ٣٠، ص: ٧٣]. وأجاز الفَرّاء والزمخشري قطعها حينئذ عن الإضافة لفظاً، وخرّج عليه قراءة بعضهم: ﴿إنّا كُلاًّ فيها﴾.

ثالثها: ألا تكون تابعة، بل تالية للعوامل، فتقع مضافةً إلى الظاهر، وغير مضافة؛ نحو: ﴿كل نَفْسٍ بما كسبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. ﴿وكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأمثال﴾ [الفرقان: ٣٩].

وحيث أُضيفت إلى منكَّر وجب في ضميرها مراعاة معناها؛ نحو: ﴿وكلُّ شَيْءٍ فَعَلُوه﴾ [القمر: ٥٢]. ﴿وكلَّ إنسان أَلْزَمْنَاه﴾ [الإسراء: ١٣]. ﴿كلّ نَفْس ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ﴿كلّ نَفْس بما كسبت رَهينة﴾ [المدثر: ٣٨]. ﴿وعلى كلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْن﴾ [الحج: ٢٧].

أو إلى معرفة جاز مراعاة لفظها في الإفراد والتذكير، ومراعاة معناها، وقد

اجتمعا في قوله: ﴿إنْ كلّ مَنْ في السموات والأرض إلاَّ آتِي الرَّحمنَ عَبْدا. لقد أَحْصَاهُمْ وعدَّهُمْ عَدّا. وكلهم آتِيهِ يوم القيامة فَرْدا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

أو قطعت فكذلك؛ نحو: ﴿كلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]. ﴿فكُلًّا أخَذْنَا بذَنْبِه﴾ [العنكبوت: ٤٠]. ﴿وكلٌّ كانوا ظَالِمين﴾ [الأنفال: ٥٤].

وحيث وقعت في حَيِّز النَّفْي بأن تقدمت عليها أداته أو الفعل المنفي فالمنفي يُوجَّه إلى الشمول خاصة، ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد. وإن وقع النفي في حيّزها فهو موجّه إلى كل فرد، هكذا ذكره البيانيون.

وقد أشكل على هذه القاعدة: ﴿والله لا يُحِب كلَّ مُخْتَال فَخُور﴾ [الحديد: ٢٣]؛ إذ يقتضي إثبات الحب لمن فيه أحد الوصفين. وأُجيب بأن دلالة المفهوم إنما يعوّل عليها عند عدم المعارض؛ وهو هنا موجود إذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً.

مسألة

تتصل ﴿ما﴾ بكلّ؛ نحو: ﴿كُلَّمَا رُزِقوا مِنْهَا من ثَمَرَةٍ رِزْقا﴾ [البقرة: ٢٥]، وهي مصدرية، لكنها نابت بصلتها عن ظرف زمان، كما ينوب عنه المصدر الصريح. والمعنى: كلّ وقت؛ ولهذا تسمَّى ﴿ما﴾ هذه المصدرية الظرفية؛ أي النائبة عن المصدر، لا أنها ظرف في نفسها؛ و﴿كل﴾ من ﴿كلما﴾ منصوب على الظرفية بإضافته إلى شيء هو قائم مقامه، وناصبه الفعل الذي هو جوابٌ في المعنى.

وقد ذكر الفقهاء والأصوليون أن كلما للتكرار؛ قال أبو حيان: وإنما ذلك من عموم ما، لأن الظرفية مرادٌ بها العموم، و﴿كل﴾ أكدته.

﴿كِلاَ وكِلْتَا﴾: اسمان مفردان لفظاً مثنيان معنى مُضَافَان أبداً لفظاً ومعنى إلى كلمة واحدة معرّفة دالة على اثنين. قال الراغب: وهما في التثنية ككلّ في

الجمع. قال تعالى: ﴿كلتا الجنَّتين آتَتْ أُكُلها﴾ [الكهف: ٣٣]؛ ﴿أحدهما أو كلاَهما﴾.

﴿كلّا﴾: مركب عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية، شددت لامُها لتقوية المعنى، ولدفع توهُّم بقاء معنى الكلمتين.

وقال غيره: بسيطة؛ فقال سيبويه والأكثرون: حرف معناه الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى إنهم أبداً يجيزون الوقْفَ عليها والابتداء بما بعدها؛ وحتى قال جماعة منهم: متى سمعتَ ﴿كَلاَّ﴾ في سورة فاحكم بأنها مكية؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد. وأكثر ما نزل ذلك بمكة؛ لأن أكثر العُتُوّ كان بها.

قال ابن هشام: وفيه نظر؛ لأنه لا يظهر معنى للزجر في نحو: ﴿ما شاء رَكّبَك. كَلّا﴾ [الانفطار: ٨] ﴿يوم يَقُومُ الناس لربّ العالمين؛ كَلَّا﴾ [المطففين: ٦]. ﴿ثم إنَّ علينا بَيَانَه كَلَّا﴾ [القيامة: ١٩]. وقولهم: انْتَهِ عن تَرْكِ الإيمان بالتصوير في أيّ صورة ما شاء الله، وبالبعث؛ وعن العجلة بالقرآن تَعسُّف؛ إذ لم يتقدم في الأولين حكايةُ نَفْي ذلك عن أحد، ولطول الفصل في الثالثة بين كلا، وذكر العجلة. وأيضاً فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العَلَق، ثم نزل: ﴿إنَّ الإنسان ليَطْغَى﴾ [العلق: ٦]، فجاءت في افتتاح الكلام.

ورأى آخرون أن معنى الرّدْع والزجر ليس مستمرًّا فيها؛ فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها، ويبتدأ بها. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى؛ قال الكسائي: تكون بمعنى حقاً. وقال أبو حاتم: بمعنى ألاَ الاستفتاحية. وقال النَّضْر ابن شُميل: حرف جواب بمنزلة أي ونعم، وحملوا عليه: ﴿كَلاَّ والقمر. واللَّيل إذا أدْبَر﴾ [المدثر: ٣٢، ٣٣]. وقال الفراء وابن سعدان: بمعنى سوف، حكاه أبو حيان في تذكرته. قال مكي: وإذا كانت بمعنى حقاً فهي اسم. وقُرِىء: ﴿كَلاًّ سيَكْفُرونَ بعبادتهم﴾ [مريم: ٨٢] بالتنوين. ووُجِّه بأنه مصدر كَلَّ إذا

أعيا، أي كَلوا في دعواهم، وانقطعوا؛ أو من الكَلِّ وهو الثقل؛ أي حملوا كَلاًّ.

وجَوّز الزمخشري كونه حرف الردع ونُوّن كما في ﴿سلاسلا﴾. وردَّهُ أبو حيان بأن ذلك إنما صح في ﴿سلاسلا﴾، لأنه اسم أصلُه التنوين. فرُجع به إلى أصله للتناسب.

قال ابن هشام: وليس هذا التوجيه منحصراً عند الزمخشري في ذلك؛ بل جَوَّزَ كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية، ثم إنه وُصل بِنية الوقف.

﴿كم﴾: اسم مبنيٌّ لازم الصدر مُبْهم مفتقر إلى التمييز.

وترِدُ استفهامية ولم تقع في القرآن. وخبرية بمعنى كثير، وإنما تَقَعُ غالباً في مقام الافتخار والمباهاة، نحو: ﴿وكم مِنْ مَلَكٍ في السموات﴾ [النجم: ٢٦]. ﴿وكم مِنْ قَرْيَةٍ أهلكناها﴾ [الأعراف: ٤]. ﴿وكم قَصَمْنَا مِنْ قرية﴾ [الأنبياء: ١١].

وعن الكسائي أنّ أصلها كما، فحذفت الألف مثل بِمَ ولِمَ، حكاه الزجاج. ورُد بأنه لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم.

﴿كَيْ﴾: حرف له معنيان:

أحدهما: التعليل؛ نحو: ﴿كَيْ لَا يكونَ دُولَةً بين الأغنياءِ منكم﴾ [الحشر: ٧].

والثاني: معنى أَنْ المصدرية، نحو: ﴿لكيلا تأْسَوْا﴾ [الحديد: ٢٣]، لحلول أن محلها، ولأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل.

﴿كيف﴾: اسم تَرِدُ على وجهين:

الشرط، وخرّج عليه: ﴿يُنْفِق كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤]. ﴿يصوِّركم في

الأرحام كيف يشاء﴾ [آل عمران: ٦]. ﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ [الروم: ٤٨]. وجوابُها في ذلك كلِّه محذوف، لدلالة ما قبلها.

والاستفهام، وهو الغالب، ويُستفهم بها عن حال الشيء لا عَنْ ذاته. قال الراغب: وإنما يُسْأَلُ بها عما يصح أن يُقال فيه شبيه وغير شبيه، ولهذا لا يصح أنْ يقال إن الله كيف.

وكلما أخبر الله بلفظ «كيف» عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب، أو التوبيخ، نحو: ﴿كيف تكفرون﴾. ﴿كيف يَهْدِي الله قَوْماً كفَرُوا بَعْدَ إيمانهم﴾ [آل عمران: ٨٦].

حرف اللام

﴿لعنهم﴾: طردهم وأبْعَدَهم. وأما قوله تعالى: ﴿ويَلْعَنُهم اللاَّعِنُون﴾ [البقرة: ١٥٩]، فيراد به الملائكة والمؤمنون. وقيل المخلوقات إلا الثَّقَلَيْن. وقيل البهائم لما يصيبهم من الجَدْب بسبب ذنوب بني آدم.

﴿لمستم، ولامستم﴾: بمعنى النكاح.

﴿لَغْو اليمين﴾: ساقطه، وهو: والله، ولا والله، الجاري على اللسان من غير قَصْد؛ هكذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه. وقال ابن عباس: اللغو: الحلف حين الغَضَب. وقيل: اللغو اليمين على المعصية. والمؤاخذة العقاب. أو وجوب الكفارة. واللَّغو أيضاً: الشيء المسقط المُلْقى؛ تقول: ألقيت الشيء؛ أي طرحته وأسقطته.

وأما قوله عز وجل: ﴿وإذا مَرّوا باللّغْوِ مَرُّوا كِرَاما﴾ [الفرقان: ٧٢] - فمعناه الإعراض عن قبيح الكلام، والاستحياء من الدخول مع أهله، تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك.

﴿لَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ [الأنعام: ٩]: أي خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضُعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا المَلَك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان، وليس بملك.

﴿لقُضِيَ الأَمْرُ ثم لا يُنْظَرُون﴾ [الأنعام: ٨]، قال ابن عباس: المعنى لو أنزلنا مَلَكاً فكفروا بعد ذلك لعُجِّل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف.

وقُضي الأمر على هذا تعجيل أخْذِهم. وقيل المعنى: لو أنزلنا مَلَكاً لماتوا من هَوْل رؤيته، فقضاء الأمر على هذا: موتهم.

﴿ليَجْمَعَنَّكم إلى يَوْمِ القيامة لا رَيْبَ فيه﴾ [النساء: ٨٧]: مقطوع مما قبله، وهو جوابٌ لقسم محذوف. وقيل: هو تفسير للرحمة المذكورة، تقديره إن يجمعكم؛ وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها؛ فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب. وقيل ﴿إلى﴾ هنا بمعنى في، يعني في يوم القيامة؛ وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها.

﴿لواقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]: بمعنى ملاقح جمع مُلْقَحة؛ أي تلقح الشجر والسحاب، كأنها تنتجه. ويقال لواقح حوامل، جمع لاقح؛ لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه، ثم تحلّه فينزل. ومما يوضِّح هذا قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ الرِّيَاحَ بُشْراً بين يَدَيْ رَحْمَته حتَّى إذا أقلّت سَحَاباً﴾ [الأعراف: ٥٧]. أي حملت.

﴿لَوْمَا تَأْتينا بالملائكة﴾: لوما: عرض وتحضيض، والضمير لكفّار قريش؛ وذلك أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة، فأخبر الحق بأنهم لو رأوا أعظم آية لقالوا: إنها تخيُّل أو سحر.

﴿لها سَبْعَةُ أبواب﴾ [الحجر: ٤٤]: يعني جهنم. روي أنها سبع طبقات في كل طبقةٍ بابٌ؛ فأعلاها للمذنبين من المسلمين. والثانية لليهود. والثالثة للنصارى. والرابعة للصابئين. والخامسة للمجوس. والسادسة للمشركين. والسابعة للمنافقين.

﴿لعَمْرُكَ إنَّهُم لَفِي سَكْرَتهم يَعْمَهون﴾ [الحجر: ٧٢]: هذا قسم. والعُمْر: الحياة. وفيه كرامةٌ له ﷺ؛ لأنه أقسم بحياته ولم يقسم بحياة غَيْره.

وقيل: هو من قول الملائكة لِلُوط؛ وارتفاعُه بالابتداء، وخبره محذوف، تقديره: لعمرُك قسمي. واللام للتوطئة. وسكرتُهم: ضلالهم وجهلهم.

﴿لَنسألَنَّهُمْ أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢]: هذا السؤال المثبت على وجه الحساب،

والسؤال المنفي في قوله تعالى: ﴿لا يُسأَل عن ذَنْبِه إنْسٌ ولا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، على وجه الاستفهام المَحْض، لأن الله يعلم الأعمال، فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿لا يلبثون خِلَافَك إلا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٦]، أي لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلاَّ قليلاً. فلما خرج ﷺ مُهاجراً من مكة لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلاً، وقتلوا بعد ذلك يوم بدر.

﴿لَيَسْتَفِزُّونَك﴾ [الإسراء: ٧٦]: الضمير لقريش، كانوا قد هَمُّوا أن يُخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة، فالأرض هنا يراد بها مكة، لأنها بلده.

﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياةِ وضعف المماتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]: أي ضعف عذابها، لو ركَنْتَ إليهم، ولم يركن إليهم ﷺ قبل النبوءة، فكيف بعدها؟

﴿لنذهبنَّ بالذي أَوْحَيْنَا إليك﴾ [الإسراء: ٨٦]: أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحَوناهُ من الصُّدُور والمصاحف، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وما أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ أي في قدرتنا أنْ نذهب بالذي أُوحي إليك، فلا يبقى عندكم شيء من العلم.

﴿لَنْ نؤمِنَ لكَ حتى تُفَجِّرَ لنا من الأَرْضِ يَنْبُوعا﴾ [الإسراء: ٩٠]: الذين قالوا هذا القول هم أَشرافُ قريش، طلبوا من رسول الله ﷺ أنواعاً من خوارق العادات، وضروباً من المعجزات، وهي التي ذكرها الله في كتابه؛ وهذه منها.

واليَنبوع: العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففَجِّرْ لنا فيها عيناً من ماء. وقيل: إن الذي قال عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمةِ النبيّ ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك.

﴿لو كان في الأرض ملائكةٌ يَمْشُون مُطْمئنّين﴾ [الإسراء: ٩٥]: معناها

لو كان أهلُ الأرض ملائكةً لكان الرسول إليهم مَلكاً ولكنهم بشر، فالرسول إليهم بشر من جنسهم.

﴿لو أَنْتُم تَمْلِكُون خَزَائِنَ رحمةِ رَبِّي إذاً لأَمسكْتُم خَشْيَةَ الإنفاق﴾ [الإسراء: ١٠٠]، أي لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن العطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق عاقبةُ الإنفاق، وهو الفقر. ومفعول ﴿أمسكتم﴾ محذوف.

وقال الزمخشري: لا مفعول له، لأن معناه بخلتم. من قولهم للبخيل: مُمْسك. ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح، وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى.

﴿لَفِيفاً﴾ [الإسراء: ١٠٤]. جميعاً مختلطين.

﴿لَبُوس لكم لتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكم﴾ [الأنبياء: ٨٠]: يعني دُرُوعاً، تكون واحداً، وتكون جمعاً، وأول من صنعها داود عليه السلام. وسببها أنه عليه السلام كان يتجسس عن أخباره وسيرته من الناس، فلقي يوماً ملكاً، فقال له: ما تقول في داود؟ فقال: نِعْمَ الرجل لو كان يأكل من كَدّ يده، فطلب من الله صنعة يتقوّت منها، فألاَن له الحديد، وعلمه جبريل صنعة الدروع.

قال ابن عطية: اللَّبُوس في اللغة السلاح. وقال الزمخشري: اللبوس: اللباس.

وقرىء: لتحْصِنَكم - بالتاء والياء والنون، فالنون للهَ تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود. واللبوس واللباس: الشدة.

﴿لَهْوَ الحديث﴾ [لقمان: ٦]: باطله، وهو الغناء. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المُغَنّيَات وبيعهنَّ حرام». وقيل نزلت هذه الآية في قُرَشي اشترى جارية مغنّية تغني بهجاء رسول الله ﷺ. فالشراءُ على هذا حقيقة. وقيل: نزلت في النَّضْر بن الحارث، وكان قد تعلم أخبارَ فارس، فذكر لَهْوَ الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابُه، وقولُه، وسماعُه؛ فالشراء على هذا مجاز. وقيل لهو الحديث الباطل. وقيل: الشرك. ومعنى اللفظ يعمٌّ ذلك كله. وظاهر الآية أنه

لفظ إلى كبر واستخفاف بالدين، لقوله: ﴿ليُضِلَّ عن سبيل الله...﴾ الآية، وأن المراد شخص معيّن لوصفه بعد ذلك بجملة أوْصاف.

﴿ليلةٍ مُبَاركة﴾ [الدخان: ٣] يعني ليلة القَدْرِ من رمضان. وكيفية إنزال هذا القرآن العظيم فيها أنه أنزل إلى السماء جملة واحدة، ثم نزل به جبريل مُفَرَّقاً في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة؛ قال تعالى: ﴿وقُرْآناً فَرَقْناهُ لتقرأه على الناس على مُكْثٍ، ونَزَّلناه تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة من طريق حسان بن حُرَيث عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: فُصِلَ القرآن من الذكر، فوُضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ. أسانيدها كلها صحيحة.

وأخرج الطبراني من وجهٍ آخر عن ابن عباس، قال: أُنْزِل القرآن في ليْلة القَدْرِ في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملةً واحدة، ثم أنزل نجوماً. إسناده لا بَأْسَ به.

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدّي عن محمد ابن أبي المجالد، عن مِقْسم، عن ابن عباس ـ أنه سأله ابن عطية الأسود، فقال: وقع في قلبي الشك! قوله تعالى: شهر رمضان الذي أُنزِل فيه القرآن وقوله تعالى: إنا أنزلناه في ليلة القدر. وهذا نُزّل في شوّال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة والمحرّم وصفر وشهر ربيع؛ فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القَدْر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم؛ رَسَلاً في الشهور والأيام.

قال أبو شامة: قوله: رسلاً؛ أي رِفقاً، وعلى مواقع النجوم؛ أي على مثل مساقطها؛ يريد أُنزل مُفَرَّقاً يَتْلُو بعضُه بعضاً على تؤدة ورفق.

وقيل: يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان؛ وذلك باطل، للآية: ﴿إنا أنزلناه...﴾ وقوله: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾.

قيل: السرُّ في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا تفخيم أمره وأمر مَنْ نزل عليه، وذلك بإعْلام سُكَّان السموات السبع أنَّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لِأشْرف الأمم. وقد قربناه إليهم لننزله إليهم. ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جُمْلَةً كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله بَايَنَ بينه وبينها، فجعل له الأمْرَيْن: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرَّقاً؛ تشريفاً للمنزل عليه. ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز.

وقال الحكيم التِّرْمذي: أُنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمد ﷺ؛ وذلك أن بعثته كانت رحمة، فلما خرجت الرحمةُ بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن فوُضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حدِّ الدنيا، ووُضعت النبوة في قلب محمد ﷺ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الْوَحْي، كأنه أراد تعالى أن يسلّم هذه الرحمة التي كانت حظَّ هذه الأمة مِنَ اللهِ إلى الأمة.

وقال السخاوي في جمال القراء: في نزوله إلى السماء جملة تكريمُ بني آدم، وتعظيمُ شأنهم عند الملائكة، وتعريفُهم عناية الله بهم ورحمته لهم؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيِّعَ سورةَ الأنعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أَمَرَ جبريل بإملائه على السَّفَرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له. قال: وفيه أيضاً التسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى ﷺ في إنزاله كتابه جملة، والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجّماً ليحفظه.

قال أبو شامة: فإن قلت فقوله تعالى: ﴿إنَّا أَنْزَلْنَاه في ليلة القَدْر﴾ [القدر: ١]: من جملة القرآن الذي أنزل جملة أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نُزِّلَ جملة، وإن كان منه فما وَجْهُ صحة هذه العبارة؟

قلت له وجهان:

أحدهما: أن يكون معنى الكلام إنا حكَمْنَا بإنزاله في ليلة القَدْر، وقضينا به وقدّرناه في الأزَل.

والثاني: أن لفظه لفظُ الماضي ومعناه الاستقبال؛ أي نزل جملة في ليلة القدر.

قال أبو شامة: الظاهر أنّ نزولَه جملة إلى السماء الدنيا بعد ظهورِ نبوءته ﷺ. قال: ويحتمل أن يكون قبلها.

قلت: الظاهر هو الثاني، وسياقُ الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد أخرج أحمد والبيهقي في الشّعَب عن واثلة بن الأسْقَع، أن النبي ﷺ قال: أنزلت التوراة لستّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خَلَتْ منه، والزبور لثمان عشرة منه. والقرآن لأربع وعشرين خلت منه. وفي رواية: وصُحف إبراهيم لأول ليْلة، قال: وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنْزِلَ فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ ولقوله: ﴿إنا أنْزَلنَاهُ في ليلة القَدْرِ﴾ فيُحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم أُنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض: ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

قلت: لكن يُشْكِلُ على هذا ما اشتهر من أنه ﷺ بُعث في شهر ربيع.

ويُجَاب عن هذا بما ذكروه أنه نُبِّيء أولاً بالرؤيا في شهر مولده، ثم كانت مدتها ستة أشهر، ثم أوحي إليه في اليقظة. ذكره البيهقي وغيره. نعم؛ يُشكل على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن عن أبي قِلابة، قال: أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان.

الثالث: قال أبو شامة: فإن قيل: ما السرُّ في نزوله منَجَّماً؟ وهلاّ نزل كسائر الكتب جملة؟

قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابَه، فقال تعالى: ﴿وقال الذين كفَرُوا لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدة﴾ [الفرقان: ٣٢] - يعنُون كما أنزل على مَنْ قبْله من الرسل؟ فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ - أي أنزلناه كذلك مفرّقاً - ﴿لنثبّتَ به فؤادَك﴾؛ أي لنقوّيَ به قلبك، فإن الوحْي إذا كان يتجدد في كل

حادثة كان أقوى للقلب، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه. ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل.

وقيل معنى ﴿لنثبِّتَ به فؤادَكَ﴾ ؛ أي لنحفظه ؛ فإنه ﷺ كان أُمِّيّاً لا يقرأ ولا يكتب، ففرِّق عليه ليثبت عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتباً قارئاً، فيمكنه حفْظُ الجميع.

قال ابن فُورك: قيل أنزلت التوراة جملة، لأنها نزلت على نبيّ يقرأ ويكتب - وهو موسى - وأنزل الله القرآن مفرّقاً، لأنه نزل غير مكتوب على نبي أميّ.

وقال غيره: إنما لم ينزّل جملة واحدة، لأنَّ منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتّى ذلك إلا فيما نزل مفرقاً. ومنه ما هو جواب لسؤال، ومنه ما هو إنكار على قول قِيل أو فعل فُعِل. وقد تقدّمَ ذلك في قول ابن عباس، ونزّله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم، وفَسّر به قوله: ﴿ولا يأتونك بِمَثَلٍ إلاَّ جئْنَاك بالحقّ، وأحسنَ تفسيراً﴾ [الفرقان: ٣٣]. أخرجه عنه ابن أبي حاتم.

فالحاصل أن الآية تضمّنت حكمتين لإنزاله مفرقاً.

تذنيب

ما تقدم في كلام هؤلاء من أنّ سائر الكتب أنزلت جملةً هو مشهور في كلام العلماء وعلى ألسنتهم، حتى كاد يكون إجماعاً. وقد رأيتُ بعضَ فضلاء العصر أنكر ذلك، وقال: إنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرقات كالقرآن.

وأقول: الصواب الأول، والدليل على ذلك آيةُ الفرقان السابقة.

أخرج ابن أبي حاتم، من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: قالت

اليهود: يا أبـا القـاسم، لولا أنزل هذا القرآن جملة، كما أنزلت التوراة على موسى. فنزلت.

وأخرجه من وجهٍ آخر عنه ـ بلفظ: قال المشركون. وأخرج نحوه عن قَتَادة والسدّي.

فإن قلت: ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو على تقدير ثُبوت قَوْلِ الكفار.

قلت: سكوتُه تعالى عن الردّ عليهم في ذلك وعُدُوله إلى بيان حكمته دليلٌ على صحته، ولو كانت الكتبُ كلها مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول: إن ذلك سنةُ الله في الكتب أنزلها على الرسل السابقة، كما أجاب بمثل ذلك عن قولهم: ﴿وقالوا ما لِهَذا الرسول يَأْكُلُ الطّعَامَ ويمشي في الأسواق﴾ [الفرقان: ٧] فقال: ﴿وما أرسلنا قَبْلَك مِن الْمُرْسَلِين إلاَّ إنَّهم ليأْكلونَ الطعام ويمشونَ في الأسواق﴾ [الفرقان: ٢٠]. وقولهم: ﴿أبعثَ اللهُ بَشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]. وقال: ﴿وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِك إلاَّ رجالاً نُوحي إليهم﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقولهم: كيف يكون رسولاً ولا له همٌّ إلا النساء؟ فقال: ﴿ولقد أَرْسلنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وجعَلْنَا لهم أزواجاً وذُريّة...﴾ [الرعد: ٣٨] الآية. إلى غير ذلك.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قولُه تعالى ـ في إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة: ﴿فَخُذْ ما أَتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرين. وكتَبْنَا له في الأَلْوَاحِ من كُلِّ شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكل شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقوّةٍ﴾ [الأعـراف: ١٤٤، ١٤٥]. ﴿وألْقَى الأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. ﴿ولما سكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخذ الأَلْوَاح، وفي نسختها هُدًى ورحمةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. ﴿وإذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فوقَهُمْ كأنه ظلَّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم. خذُوا ما آتينَاكم بقوّة﴾ [الأعراف: ١٧١].

فهذه الآيات كلها دالّة على إتيانه التوراة جملة.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس، قال: أعطي موسى التوراة في سبعة ألواح من زَبَرْجد، فيها تِبْيان لكل شيء وموعظة، فلما جاء بها ورأى بني إسرائيل عكوفاً على عبادة العِجْل رمى بالتوراة من يده فتحطمت، فرفع الله منها ستةَ أسباع وأبقى سبعاً.

وأخرج من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده ـ رفعه، قال: الألواحُ التي أنزلت على موسى كانت من سِدْر الجنة، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج، قال: جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبُر عليهم فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل، فأخذوه عن ذلك.

فهذه آثار صحيحة في إنزال التوراة جملة، يؤخذ من الأثر الأخير منها حكمةٌ أخرى لإنزال القرآن مفرّقاً؛ فإنه أدْعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة؛ فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس، لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

ويوضّح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشةؓ، قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورةٌ من المفصّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: «لا تَشربوا الْخَمْرَ» لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: «لا تَزْنوا» لقالوا لا نَدَع الزنى أبداً. ثم رأيتُ هذه الحكمة مصرحاً بها في الناسخ والمنسوخ لمكيّ.

وأخرج البيهقي في الشُّعَب، من طريق أبي خَلَدة عن عمر، قال: تعلَّمُوا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً. ومعناه ـ إن صح ـ إلقاؤه إلى النبي ﷺ هذا القَدْر حتى يحفظه، ثم يلقي إليه الباقي لا إنزاله خاصة بهذا القدر.

ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً عن خالد بن دينار، قال، قال أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً.

تنبيه

اتفق أَهل السنّةِ والجماعة على أن كلام الله تعالى منزّل. واختلفوا في معنى الإنزال؛ فمنهم من قال إظهار القراءة، ومنهم من قال إن الله تعالى أَلْهم كلامَه جبريل، وهو في السماء، وهو عال من المكان. وعلَّمه قراءته؛ ثم إن جبريل أدّاه في الأرض، وهو يهبط في المكان.

وفي التنزيل طريقان:

أحدهما: أن النبي ﷺ انتقل من صورة البشرية إلى صورة الملكية، وأخذه من جبريل.

والثاني: أن الملك انخلع إلى البشريّة حتى يأخذ الرسول منه. والأول أصعب الحالين.

وقال الطيبي: لعلّ نزول القرآن على الرسول ﷺ أن يتلقَّفه المَلَك من الله تَلَقُّفاً رُوحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ، فينزل به إلى الرسول ﷺ، ويُلقيه عليه.

وقال القطب الرازي في حواشي الكشّاف: التنزيل لغة بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من عُلْو إلى سفل، وكلاهما لا يتحققان في الكلام، فهو مستعمل فيه في معنى مجازي، فمن قال: القرآن معنى قائمٌ بذات الله تعالى فإنزالُه أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ. ومَنْ قال القرآن هو الألفاظ فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ. وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن أول المعنيين اللغويين. ويمكن أن يراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ؛ وهذا يناسب المعنى الثاني. والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقُّفاً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ، وينزل بها فيلقيها عليهم.

وقال غيره: في المنزَّل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

وذكر بعضهم أن أحْرُفَ القرآن في اللوحِ المحفوظ، كل حرف منها بقدر جَبَل قاف، وأن تحت كلّ حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله تعالى.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني، وعبَّر عنها بلغة العرب، وتمسَّك قائلُ هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الأمين. على قَلْبك﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

والثالث: أن جبريل ألقى عليه المعنى، وأنه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرأونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك.

وقال البيهقي - في معنى قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه في ليلةِ القَدْرِ﴾ [القدر: ١] يريد - والله أعلم: إنا أسمعنا الملك وألهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقِلاً به من عُلو إلى سفل.

قال أبو شامة: هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قِدَمَ القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى.

قلت: ويؤيد أن جبريل تلقَّفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النَّواس بن سَمعان مرفوعاً: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفةٌ شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهلُ السماء صُعقوا وخَرُّوا سجّداً، فيكون أولهم يرفع رأْسهَ جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به إلى الملائكة؛ كلما مرّ بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربنا؟ قال: الحق. فينتهي به حيث أمر.

وأخرج ابن أبي مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: إذا تكلم الله بالوحي

سمع أهلُ السموات صلصلةً كصلصلة السلسلة على الصَّفْوان، فيفزعون، ويرون أنه مِنْ أمر الساعة.

وأصل الحديث في الصحيح.

وفي تفسير علي بن سهل النيسابوري: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملةً في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بَيْتٍ يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل، وغُشي على أهل السموات من هيبة كلام الله، فمرّ بهم جبريل، وقد أفاقوا؛ فقال: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق - يعني القرآن - وهو معنى قوله: ﴿حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم﴾ [سبأ: ٢٣] - فأتى به جبريل إلى بيت العِزّة فأمْلاه على السفَرة الكرام - يعني الملائكة، وهو معنى قوله: ﴿بأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَام بررَةٍ﴾ [عبس: ١٥، ١٦].

وقال الْجُوَيني: كلام الله المنَزّلُ قسمان:

قسم قال الله لجبريل: قُلْ للنبيّ الذي أنت مُرْسل إليه: إن الله يقول افعل كذا وكذا، ومُرْ بكذا وكذا. ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي، وقال له ما قاله ربه. ولم تكن العبارة تلك العبارة؛ كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة، واجمع جُنْدَك للقتال؛ فإن قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي، ولا تترك الجند يتفرّق، وحث على المقاتلة - لا ينسب إلى كذب، وتقصير في أداء الرسالة.

وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان؛ فهو لا يُغَيِّر منه كلمة ولا حرفاً.

قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنّة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن.

ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى؛ لأن جبريل أدَّاه بالمعنى، ولم تَجُز القراءة بالمعنى، لأن جبريل أداه باللفظ، ولم يُبَحْ له إيحاؤه بالمعنى.

والسرُّ في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه، والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظٍ يقوم مقامه، وإنَّ تحتَ كل حرف منه معاني لا يحيط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي ببدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزّل إليهم على قسمين: قسم يَرْوُونه بلفظه الْمُوحَى به، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كلُّه مما يُرْوَى باللفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يُؤْمن التبديل والتحريف، فتأمل.

وقد رأيتُ عن السلف ما يعضّد كلام الجويني؛ فأخرج ابن أبي حاتم، من طريق عقيل، عن الزّهري ـ أنه سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يُوحِي الله إلى نبي من أنبيائه، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته؛ ولكن يحدِّثُ به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه.

فصل

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيّات:

إحداها: أن يأتِيَه الملَك في مثل صلصلة الجرس، كما صح في مسند أحمد عن عبدالله بن عمرو: سألت النبي ﷺ: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصل. ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقْبض.

قال الخطابي: والمراد أنه صوت متداول يسمعه ولا يتبيّنه أولّ ما يسمعه حتى يفهمه بعد.

وقيل: هو صوت خَفْق أجنحة الملَك.

والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه للوحي، فلا يُبقي فيه مكاناً لغيره.

وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه.

وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد.

الثانية: أن ينفُثَ في رُوعه الكلام نَفْثاً، كما قال ﷺ: «إن روحَ القُدس نَفث في رُوعي». أخرجه الحاكم، وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها، بأن يأتي في أحد الكيفيتين وينفث في رُوعه.

الثالثة: أن يأتيه في صفة الرجل فيكلمه، كما في الصحيح: وأحياناً يتمثَّلُ لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعِي ما يقول - زاد أبو عَوَانة في صحيحه: وهو أهونُه عليّ.

الرابعة: أن يأتيه المَلَك في النوم. وعدّ قوم من هذا سورة الكوثر، كما رَوَى مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغْفَى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل عليّ آنفاً سورة الكوثر... الخ.

وقال الإمام الرافعي في أماليه: ففهموا من الحديث أنها نزلت في تلك الإغفاءة. وقالوا: مِنَ الوحي ما كان يأتيه في النوم؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي. قال: وهذا صحيح، لكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزّلة في اليقظة، أو عُرِض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة، فقرأها عليهم، وفسرها لهم.

قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمي عليه. وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تَعْتَريه عند نزول الوحي. ويقال لها بُرَحاء الوحي.

قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، وهو الذي كنتُ أميل إليه قبل الوقوف عليه. والتأويل الأخير أصح من الأول؛ لأن قوله إنما يدفع في كونها نزلت قبل ذلك؛ بل نقول: نزلت في تلك الحالة، وليست الإغفاءة إغفاءةَ نوم؛ بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا.

الخامسة: أن يكلمه الله إما في اليقظة ـ كما في ليلة الإسراء، أو في النوم، كما في حديث معاذ: أتاني ربي، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى... الحديث. وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم؛ نعم، يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة لما تقدم، وبعض سورة الضحى، و﴿ألم نشرح﴾؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عدي بن حاتم، قال، قال ﷺ: «سألتُ ربي مسألة، ووددت أني لم أكن سألته؛ قلت: أي ربي، اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وكلمتَ موسى تكليماً. فقال: يا محمد؛ ألم أجدك يتيماً فآويتك، وضالاً فهديتُك، وعائلاً فأغنيتك، وشرحتُ لك صدرك، وحططت عنك وِزْرك، ورفعت لك ذكرك، ولا أذكر إلاّ ذكرتَ معي».

فوائد

الأولى: أخرج الإمام أحمد في تاريخه، من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: أنزل على النبي ﷺ النبوءة، وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوءته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم يُنزل عليه القرآن على لسانه. فلما مضت ثلاثُ سنين قرن بنبوءته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.

قال ابن عسكر: والحكمةُ في توكيل إسرافيل به أنه الملك الموكل بالصُّور الذي فيه هلاكُ الخلق وقيام الساعة، ونبوءته عليه الصلاة والسلام مؤذنة بقُرْب الساعة وانقطاع الوحي، كما وُكل بذي القرنين رونيافل الذي يطوي الأرض، وبخالد بن سنان مالك خازن النار.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سابط، قال: في أُمّ الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة، فوكل ثلاثة بحفظه من الملائكة؛ فوكل جبريل بالوحي، والكتب إلى الأنبياء، وبالنصر عند الحروب، وبالمهلكات إذا أراد الله أن يُهلك قوماً. ووكل ميكائيل بالقَطْر والنبات، ووكل ملك الموت بقَبْض الأنفس؛ فإذا كان يوم القيامة وعارضوا بين حفظه وبين ما كان في أم الكتاب فيجدونه سواء.

وأخرج أيضاً عن عطاء بن السائب، قال: أول من يحاسب جبريل؛ لأنه كان أمينَ الله إلى رسله.

الثانية: أخرج البيهقيّ والحاكم عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: أُنزل القرآن بالتفخيم كهيئة: ﴿عُذْراً أو نُذْراً﴾ [المرسلات: ٦] و﴿الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]. ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأشباه هذا.

قلت: أخرجه ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، فبيَّن أن المرفوع منه: أُنزل القرآن بالتفخيم فقط، وأن الباقي مدرجٌ من كلام عمّار بن عبد الملك أحد رواة الحديث.

الثالثة: أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثَّوْري، قال: لم ينزل وحْيٌ إلا بالعربية، ثم تَرْجم كلٌّ نبيء لقومه.

الرابعة: أخرج ابن أبي سعد عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغطّ في رأسه، ويتربَّدُ وجهه، ويجد برداً في ثناياه، ويعرق حتى يتحدّر منه مثل الْجُمان.

الخامسة: قال البغوي في شرح السنّة: يقال إن زيد بن ثابت شهد العَرْضَة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه، وكان يُقْرىء الناس بها حتى مات. وكذلك عليه اعتمد أبو بكر وعمر في جمعه، وولاّه عثمان كتب المصاحف.

﴿لَحْنِ القَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؛ أي مقصده وطريقته. وقيل اللَّحْن هو الخفيُّ المعنى، كالكناية والتعريض.

والمعنى أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرّفْه الله بهم على التعيين.

فانظر هذا اللطف العظيم في ستر الله عليهم، وعلى أقاربهم من المسلمين.

ورُوي أن الله لم يذكر له واحداً منهم باسمه؛ وهذا كما صح عن قوم مُوسى أنهم خرجوا للاستسقاء فلم يسقوا، فقال موسى: يا ربّ، لِمَ لم تُجِبهم؟ فقال: يا موسى؛ إن فيهم نَمّاماً. فقال: يا رب؛ مَنْ هو؟ فقال: أنهى عن النَّمِيمة وأكون نَمّاماً! ولكن ليتوبوا بأجمعهم؛ فتابوا، وسقاهم الله.

﴿لَذَّة للشاربين﴾ [الصافات: ٤٦، محمد: ١٥]: أي لذيذة، لا كلذَّةِ الدنيا.

﴿اللَّمَم﴾ [النجم: ٣٢]: فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب؛ فالاستثناء على هذا في الآية منقطع.
الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفَلْتَة والسقْطَة دون دوامٍ عليها.
الثالث: أنه ما أَلَمُّوا به في الجاهلية من الشِّرْكِ والمعاصي.
الرابع: أنه الهمُّ بالذنب، وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿ليس للإنْسان إلاَّ ما سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]: السعي هنا بمعنى العمل؛ وظاهرُها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجةٌ لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

واتفق العلماءُ على أن الأعمال المالية كالصدقة والعِتْق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نَفْعُها إلى مَنْ فُعِلَتْ عنه.

واختلفوا في الأعمال البدنيّة؛ كالصلاة، والصيام. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]. والصحيح أنها مُحْكَمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ.

وفي تأويلها ثلاثةُ أقوال: الأول ـ أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبة العاملِ له؛ فجاءت الآيةُ في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب. وقد اتُّفق على أنه لا يحمل أحد ذَنْبَ أحد؛ ويدل على هذا قوله قبلها: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ [النجم:٣٨]، كأنه يقول: لا يُؤْخَذُ أحد بذنب غيره، ولا يؤخذ إلا بذنب نفسه.

﴿لَظَى﴾ [المعارج: ١٥]: اسم علم مشتقّ من اللظى بمعنى اللهب.

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]: معنى اللَّوَّاحة مُغَيِّرة. يقال لاَحَهُ السّفَر: غَيَّره. والبشَر جمع بَشَرة، وهي الجِلْدة. فالمعنى أنها تُحْرِق الجلود. وقيل تُسَوِّدها. وقيل لوّاحة مِنْ لاح يعني ظهر، والبشر الناس؛ أي تلوح للناس. قال الحسن: تلوح لهم من مَسِيرة خمسمائة عام لا يخافون الآخرة؛ أي هذه العلة والسبب في إعراض مَنْ تقدّم ذكرهم.

﴿لَوَّامَة﴾ [القيامة: ٢]: هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعة، فإن النفوس على ثلاثة أنواع؛ فخيرها النَّفْسُ المطمئنة، وشرُّها النَّفْسُ الأمَّارة بالسوء، وبينهما النفس اللوَّامَة. وقيل اللوّامة المذمومة الفاجرة؛ وهذا بعيد؛ لأن الله لا يُقْسم إلا بما يعظم من المخلوقات. ويستقيم إن كان لا أقسم نفياً للقسم.

قال بعضهم: ليس من نفسٍ بَرَّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة، إن كانت عملت خيراً: هَلاَّ ازدادت منه، وإن كانت عملت سوءاً: لِمَ عملته؟.

﴿لَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]: هي عشر ذي الحجة عند الجمهور. وقيل: العشر الأول من المحرم. وفيها يوم عاشوراء. وقيل العشر الأخر من رمضان. وقيل العشر الأول منه.

﴿لَمًّا﴾ [الفجر: ١٩]: الجمع، واللّف؛ فالتقدير أَكْلاً ذا لَمّ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يُعْطون من الميراث أُنْثَى ولا صغيراً؛ بل ينفرد به الرجال.

﴿لا يُنَازِعُنَّكَ في الأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧] ضمير المنازعة للكفار، والمعنى أنهم لا ينبغي لهم منازعة النبيّ ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا ينازعُ أحد فيه. فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي. وقيل المعنى: لا تنازعهم فيُنَازِعُوك، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. ويحتمل أن يكون نَهياً لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

والمرادُ بالأمر الدين والشريعة؛ أي في الدين والذبائح.

﴿لُدّاً﴾ [مريم: ٩٧]: جمع ألَدّ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة. والمراد بذلك قُرَيش. وقيل معناه فُجَّاراً.

﴿لوط﴾: قال ابن إسحاق: هو لوط بن هاران بن آزر. وفي المستدرك عن ابن عباس قال: لوط ابن أخي إبراهيم.

﴿لُقْمان﴾: قيل إنه كان نبيئاً. والأكثر على خلافه.

أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: كان لقمان عبداً حبشياً اختار الحكمة على النبوءة، فأعطاها الله له، فكان ينطق بها. وفي الحديث: لم يكن لقمان نبيئاً، ولكن عبداً أحسن اليقين، أحبَّ الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة.

وروي أنه ابنُ أُخت أيوب، أو ابن خالته. وروي أنه كان قاضياً لبني إسرائيل. واختلف في صنعته؛ فقيل: كان نجاراً. وقيل خياطاً. وقيل راعي غنم. وكان ابنه كافراً، فما زال يوصيه حتى أسلم.

﴿لُجِّيّ﴾ [النور: ٤٠]: منسوب إلى اللُّجِّ، وهو معظم الماء. وذهب بعضهم إلى أنَّ أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثَّل به؛ فالظلمات أعمال الكافر، والبحرُ اللجيّ صَدْره، والموجُ جهله، والسحابُ الغطاء الذي على قلبه.

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيلٌ بالجملة من غير مقابَلة. وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغةٌ، كما أن في وصف النور [٣٥] المكرر قبلها مبالغة.

﴿لُغُوب﴾ [فاطر: ٣٥، ق: ٣٨]: الإعياء والتعب. ورُوِي أن اليهود أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أخبـرنا عما خلق الله في الأيام السبعة [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، ق: ٣٨، الحديد: ٤]، فقال ﷺ: «خلق الله السموات والأرض يوم الأحد، والجبال يوم الاثنين، والدوابَّ يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والجنةَ والنار يوم الخميس، وآدم وحواء يوم الجمعة»؛ فقالوا: أَصَبْتَ لو أتممت؛ فقال ﷺ: «ما إتْمَامُها؟» فقالوا: لما فرغ الله مِنْ خَلْقِ السموات والأرض استَلْقَى على قَفَاه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح، وكان ذلك يوم السبت الذي اتخذناه عِيداً واستراحة. فاغْتمّ رسولُ الله ﷺ غمّاً شديداً، فأنزل الله: ﴿ولقد خلَقْنَا السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستَّةِ أيام، وما مَسَّنَا مِنْ لُغُوب﴾ [ق: ٣٨]. وإنما يَلْغَب مَنْ يعمل بالآلات والجوارح؛ وإني أخلق الشيء إذا أردتُ وجودَه، أقول له كُنْ فيكون.

فظنَّ اليهود أن السبتَ لهم يوم الراحة، فصار يوم المحنة؛ وظنوا أنه يوم فَرَح، فصار يوم تَرَح؛ فقال عليه السلام: السبت لليهود، والجمعة لكم، فلا تخالفوا فيها أمر الله تعالى كما خالف اليهود والنصارى، فصار المخالفون منهم قِرَدة.

نكتة

إن اليهود لما خالفوا في يومهم مسخَهُم الله تعالى وغَيَّر شخصهم؛ والمؤمنون إذ أطاعوا الله وأدّوا صلاة الجمعة غيّرت صورة ذنوبهم حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿فأُولئكَ يُبَدِّلُ الله سيِّئاتِهم حسنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. إن اليهود لم يُمسخوا لصيْد السَّمكة؛ بل لتركهم تعظيم أمْر الله وارتكابهم لنَهْيه؛ ألاَ ترى أن آدم وحوّاء أكَلا من شجرة الخُلْد فبدَتْ لهما سوءاتهما. والنَّحْل أكل من ورق أشجار الجنّة فصار في بطنه عسلاً؛ لأن آدم أكل بغير إذن، والنحل أكل بإذن.

وأعجبُ من هذا أن الدودة التي أكلت جسم أيوب عليه السلام فصار لحمه في بطنها إبْريسماً؛ يا عجباً؛ إن آدميّاً يأكلُ سمكة فيغضب عليه الربُّ فيجعله قرداً، ودُودة تأكلُ النبيّ فيرضى عنها الربّ، فيجعل رَوْثها إبْرَيْسماً؛ لأن هذه أكلَتْ بأمره، وذلك أكل بغير أمره. دودة أطاعت الرب فاستحقت الخِلْعَة، والمؤمن المخلص إذا أطاع أمر الله فكيف لا يستحق الرحمة والقُربَة والكرامة.

﴿لُبَداً﴾ [البلد : ٦٠]: كثيراً، من التلبيد، كأنه بعضه على بعض.

﴿لُمَزَة﴾ [الهمزة: ١]: هو الذي يَعِيب الناس باللّسان. واختلف هل الهُمَزة واللُّمَزة سواء؟ واشتقاقه من الهَمْزِ واللمز، وصيغة فُعلَة للمبالغة. ونزلت السورة في الأخنس بن شَرِيق، لأنه كان كثير الوقيعة في الناس. وقيل في أميّة بن خلف. وقيل في الوليد بن المغيرة. ولفظها مع ذلك على العموم في كلِّ مَن اتَّصَفَ بهذه الصفات.

﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حرّمَ اللهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، أي ليوافقوا عددَ الأشهر الحرم، وهي أربعة. يقول: إذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا أن يحلّوا الحرام ويحرِّموا الحلال.

﴿لِوَاذاً﴾ [النور: ٦٣]، يعني الذين ينصرفون عن حَفْر الخندق. واللّوَاذ. الروغان والمخالفة. وقيل الانصراف في خِفْية. وفي هذا وعيد وتهديد لمن خالف أمر الله ورسوله.

﴿لِسَانَ صِدْق﴾ [مريم: ٥٠، والشعراء: ٨٤]: ثناء حسناً.

﴿لِيْنَة﴾ [الحشر: ٥]: نخلة، وجمعها لِيْن، وهي أَلْوَانُ النَّخْل ما لم تكن العَجْوَة والبَرْنيّ. قال الكلبي: لا أعْلَمها إلا بلسان يهود.

وسبب الآية أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قَطَع المسلمون بعض نخلهم، وأحرقوا بعضها؛ فقال بَنُو النَّضِير: ما هذا الإفساد يا محمد، وأنت تنهى عن الفساد؟ فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع وإحراق، فإن الله أذن للمسلمين في ذلك.

﴿لِيُخْزِي الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]: بني النَّضِير. واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد له مُصيب؛ فإن الله قد صوّب فعل من قطع النخل، ومن تركها.

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم؛ فأجازه الجمهور، لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قَوْمٌ لوصية أبي بكر الصديق الجيشَ الذي وجّهَهم إلى الشام ألاَّ يَقْطَعُوا شجَراً مُثْمِراً.

﴿لله خُمُسَهُ وللرّسُولِ ولِذي القُرْبَى...﴾ [الأنفال: ٤١] الآية. اختلف في قسم الخُمس وهو خمس المغانم؛ فقال قوم: يُصرف على ستة أسهم: سَهْم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين. وقيل للوالي بعده. وسهم لِذَوِي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة. وسهم لليتامى. وسهم للمساكين. وسهم للسبيل.

وقال الشافعي: على خمسة أسهم، ولا يجعل لله سهماً مختصاً، وإنما بدأ عنده بالله، لأن الكل ملكه.

وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة.

وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته، ويصرف الباقي في المصالح.

﴿لِيَميزَ اللهُ الخَبيثَ مِنَ الطيّب﴾ [الأنفال: ٣٧]: الخبيث: الكفّار، والطيب: المؤمنون. وقيل: الخبيث ما أنْفَقَه الكفّارُ، والطيّب: ما أنفقه المؤمنون. واللام في ﴿ليميز﴾ على هذا يتعلق بـ ﴿يُغْلبون﴾ وعلى الأول بـ ﴿يُحْشَرون﴾.

ومعنى يميز: يَفْرُقُ بين الخبيث والطيب.

﴿لله الأَسماءُ الحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، لا لغيره؛ ولا نهاية لعددها؛

وإنما أخبر الشارع بالتسعة والتسعين في قوله: إن للهِ تسعةً وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة.

وسببُ نزول الآية أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرةً والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد، وها هو يعبد آلهة كثيرة؛ فنزلت الآية، مبيّنةً أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمًّى واحد.

والحسنى: مصدر وصف بها، وتأنيث أحسن. وحُسْنُ أسماءِ الله أنها صفات مَدْحٍ وتعظيم وتحميد؛ فمنها ما هو للتعلّق، ومنها ما هو للتخلق؛ فينبغي الاعتناء بتبين معانيها، وبأخذ كلٍّ واحد منها حظاً ونصيباً.

﴿لِلَّذينَ أَحْسَنُوا الحُسْنى وزِيَادة﴾ [يونس: ٢٦]: الحسنى الجنة، والنظر إلى وجه الله. وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعَشْرة أمثالها، والزيادة التضعيف فَوْق ذلك إلى سبعمائة. والأول أصح، لوروده في الحديث، وكثرة القائلين به.

﴿لولا نزلت سُورة﴾ [محمد: ٢٠] بالهمز، من أسأرت أي أفضلت من السؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء، كأنها قطعةٌ من القرآن. ومَنْ لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم، وسهّل همزتها. ومنهم من شبهها بسورة البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة. وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت في السور. ومنه السِّوَار لإحاطته بالساعد.

وقيل: لارتفاعها، لأنها كلام الله.

والسورة المنزلة الرفيعة، وكان المؤمنون يقولون هذا الكلام على وجه الحِرْصِ على نزول القرآن والرغبة فيه، لأنهم كانوا يفرحون ويستوحشون من إبطائه.

تنبيه

قال الجَعْبَري: حَدُّ السورة قرآن يشتمل على آيٍ ذي فاتحة وذي خاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً ؛ أي المسمّاةُ باسم خاصّ بتوقيف من النبي ﷺ .

وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبيَّنْتُ ذلك .

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة ، قال : كان المشركون يقولون : سورة البقرة ، وسورة العنكبوت ـ يستهزئون بها ، فنزل : ﴿ إنا كفَيْناكَ المُستَهْزِئين﴾ [الحجر : ٩٥] .

وقد كره بعضهم أن يُقال سورة كذا لما رواه الطبراني والبَيْهقي مرفوعاً ، عن أنس : لا تقولوا سورة البقرة ، ولا سورة آل عمران ، ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ؛ ولكن قولوا : السورة التي تذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله . وإسناده ضعيف ؛ بل ادَّعَى ابن الجَوْزي أنه موضوع .

وقال البيهقي : إنما يُعرف موقوفاً عن ابن عمر ، ثم أخرجه عنه بسند صحيح . وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ .

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة . ومن ثَمَّ لم يكرهه الجمهور .

وقد يكون للسورة اسمٌ واحد وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان فأكثر ، من ذلك : الفاتحة ، وقد وقفت لها على نَيِّفٍ وعشرين اسماً ؛ وذلك يدل على شرفها ؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

قال بعضهم : وكما سمِّيت السورة الواحدة بأسماء سمِّيَت سورة باسم واحد ؛ كالسور المسماة بآلم وآلر ، على القول بأن فواتح السور أسماء لها .

قال الزركشي في البرهان : ينبغي البحث عن تعداد الأسماء ، هل هو توقيفيّ

أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورةٍ معاني كثيرة يقتضي اشتقاقها اسماً لها، وهو تعبيد.

قال: وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سُمِّيَتْ به.

ولا شكَّ أنَّ العرب تُرَاعِي في كثير من المسميات أَخْذَ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معها أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرأي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرَتْ سُور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها.

وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردَّد فيها شيء كثير من أحكام النساء.

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ومِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً...﴾ [الأنعام: ١٤٢] إلى قوله: ﴿أَمْ كنْتُم شهَداءَ إذْ وَصّاكمُ اللهُ بهذا﴾ [الأنعام: ١٤٤] ـ لم يردْ في غيرها، كما ورد ذِكْرُ النساء في سور، إلا أن ما تكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها، فسُميت بما يخصها.

فإن قيل: في سورة هود ذكر نُوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى، فلم خُصَّتْ باسم هود وَحْدَه؟ مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول.

قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأَوْعَب مما ورد في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور اسم هُود كتكرّره في سورته؛ فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع؛ والتكرارُ من أَقْوَى الأسباب التي ذكرنا.

فإن قيل: فقد تكرر اسم نوح فيها في ستّةِ مواضع؟.

قيل: لما أُفْرِدت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برَأْسِها فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أوْلى بأن تُسمَّى باسمه من سورة تضمّنَتْ قصتَه وقصة غيره.

قلت: فلك أن تسأل وتقول: قد سميت سورة جَرَتْ فيها قصص أنبياء بأسمائهم، كسورة نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يونس، وسورة آل عمران، وسورة طس سليمان، وسورة يوسف، وسورة محمد صلى الله على جميع الأنبياء، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمن. وسورة أقوام: كسورة بني إسرائيل، وسورة أصحابِ الكَهْف، وسورة الحِجْر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجِنّ، وسورة المنافقين، وسورة المطَفّفين. ومع هذا لم يفْرَدْ لموسى سورة تسمّى به، مع كثرة ذكره في القرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله موسى، وكان أولى سورة تسمى به سورة طه أو القصص أو الأعراف لبسط قصته في الثلاثة مما لم تُبْسط في غيرها.

وكذلك قصة آدم ذُكِرَتْ في عِدةِ سُوَر، ولم تسمّ به سورة كأنه اكتفي بسورة الإنسان.

وكذلك قصة الذَّبيح من بدائع القصص، ولم تُسَمّ به سورة الصافات. وقصة داود ذكرت في ﴿ص﴾ ولم تسم به، فانظر في حكمة ذلك.

على أني رأيت بعد ذلك في جمال القراء للسخَاوي أن سورة طه تسمى سورة الكَلِيم، وسماها الهُذَلي في كماله سورة موسى. وأن سورة ص تسمى سورة داود. ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافّات تسمى سورة الذبيح، وذلك يحتاج إلى مستند من الرأي.

﴿ليس على الأعْمى حَرَج﴾ [الفتح: ١٧]: اختلف في المعنى الذي رفع الله به الحرج عن الأعرج والأعمى والمريض في هذه الآية؛ فقيل: هو في هذه الآية الغزو؛ أي لا حَرَجَ عليهم في تأخرهم عنه، وحكمهم عام في كل جهاد إلى يوم القيامة إلا أن يحزب حازب في حصرةٍ ما، فواجب عليهم بحسب الوُسْع.

فإن قلت: أما رَفْع الحرج عن هؤلاء في هذه الآية فمفهوم تعقيبه به في عَتْب المتخلّفين من القبائل، وأما ذكرهم في سورة النور [٦١] فلم أفهم له معنى.

فالجواب: إنما ذكرهم في سورة النور لأنهم كانوا إذا نهضوا إلى الغَزْو

وخلّفوا أهلَ هذه الأعذار في بيوتهم، فكانوا يتجنّبون أكل مال الغائب، فنزلت في ذلك.

وقيل: إن الناس كانوا يتجنّبون الأكل معهم تقذُّراً، فنزلت الآية.

وهذا ضعيف؛ لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم.

والصواب أن يقال: إن الحرج مرفوع عن هؤلاء الثلاثة في كل ما يمنعهم منه أعذارهم من الجهاد وغيره؛ ألا ترى أنه أباح الأكل للإنسان في هذه البيوت المذكورة في الآية [النور: ٦١] من الآباء والأبناء والأخوات وغيرهم.

فإن قلت: إذا رُفع الحرج عن هؤلاء فما معنى الآية: ﴿انْفِروا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بأموالكم وأنفسكم﴾ [التوبة: ٤١].

فالجواب: أنه اختلف في الخفيف والثقيل؛ من هو؟ على أقوال: فقيل الخفيف الغنيّ، والثقيل الفقير. وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ. وقيل الخفيف النشيط والثقيل الكسلان. وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفّة. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ليس على الضُّعَفَاءِ ولا عَلَى المَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]. وعلى كلِّ تقديرٍ فجائز لأصحاب الأعذار الغَزْو، وأجرهم فيه مضاعف؛ لأن الأعرج قد يكون أجرأ الناس بالصبر وألاّ يفر. وقد غزا ابن أُمِّ مكتوم، وكان يمسك الراية في بعض حروب القادسية، وقد خرّج النسائي في بعض هذا المعنى، وذكر ابن أم مكتوم رحمه الله.

﴿للفقراء﴾ [الحشر: ٨]: هذا بدل من قوله ﴿لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ [الحشر: ٧]، ليُبين أن المراد بذلك ﴿المهاجرين﴾ [الحشر: ٨]، ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها ديارهم وأمْوالَهم.

﴿لقد زَيّنّا السماء الدُّنيا بِمَصابِيح﴾ [الملك: ٥]: السماء الدنيا: هي القريبة منا. والمصابيح يراد بها النجوم؛ فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال. وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا؛ لأنها ظاهرة

فيها لنا. ويحتمل أن يُريد أنه زيّن السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على أن القَوْلَ بمواضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يَرِدْ في الشريعة.

﴿لَطِيف﴾: اسم الله تعالى. قيل معناه رفيق، وقيل: خبير بِخَفِيَّات الأمور.

﴿لؤلؤ﴾: كبار الجَوْهَر.

﴿لِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّه جنَّتَان﴾ [الرحمن: ٤٦]: مقام ربه: القيام بين يديه للحساب. ومنه: ﴿يوم يقُومُ النَّاسُ لرَبِّ العَالَمين﴾ [المطففين: ٦]. وقيل قيام الله عليه بأعماله. ومنه: ﴿أفَمَنْ هو قائمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كَسبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقيل لمن خاف مقام ربه، وأبهم المقام؛ كقولك: خفت جانب فلان.

واختلف هل الجنتان لكل خائف على انفراد، أو لصنْفِ الخائفين؟ وذلك مبني على قوله: لمن خاف؛ هل يراد به واحد أو جماعة؟.

وقال الزمخشري: إنما قال جنتان؛ لأنّه خطاب الثَّقَلين؛ فكأنه قال جنة للإنسان وجنة للجن.

﴿لب﴾: عقل؛ من قولهم: لب في المكان إذا أقام به. ومنه: لأولي الألباب.

﴿ليس له اليوم هاهنا حَمِيم. ولا طعامٌ إلاَّ من غِسْلين﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧]؛ أي ليس له صديق. وقيل ليس له شراب ولا طعام إلاَّ من غِسْلين؛ فإنّ الحميم الماء الحار، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس. وقيل شجر يأكله أهل النار. وقال اللغوِيُّون: هو ما يجري من الجراح إذا غسلت، وهو فعلين من الغسل.

فإن قلت: قد قال في الغاشية: ﴿ليس لهم طَعَامٌ إلا مِنْ ضَرِيع﴾ [الغاشية: ٦]؛ وهو مناقض لما هنا.

فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم؛ أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال.

﴿لقَوْلُ رَسول كَرِيم﴾ [الحاقة: ٤٠]: هذا جواب قوله: ﴿فلا أُقْسِمُ بما تُبْصِرُون. وما لا تُبْصِرُون﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]. والضمير للقرآن. والرسول الكريم قيل جبريل. وقيل محمد ﷺ. وأَقْسَمَ تعالى بجميع الأشياء، لأنها تنقسم إلى ما يُبْصَر وإلى ما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجنّ، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ باليَمِين﴾ [الحاقة: ٤٥]: أي بالقوة. ومعناه لو تقوّلَ علينا محمد ما لم نَقُلْه، أو نسب إلينا قولاً لأخذناه بقُوّتنا. وقيل هي عبارة عن الهوان؛ كما يقال لمن يُسجن: أُخِذ بيده وبيمينه.

وقال الزمخشري: معناه لو تقوّل علينا لقتلناه، ثم صوّرَ صورة القَتْلِ ليكون أهول. وعبَّر عن ذلك بقوله: لقطعنا منه الوَتِين، وهو العِرْق الذي في عُنُقِ الإنسان. والسيَّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذه بيده اليمين ليكون ذلك أشدّ عليه لنظره إلى السيف.

﴿لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦]: هي أطراف الجسد. وقيل جِلْدُ الرأس. والمعنى أن النار تنزعها ثم تُعاد.

﴿لقادِرُون. عَلَى أن نُبَدِّلَ خَيْراً منهم﴾ [المعارج: ٤٠، ٤١]: هذا تهديد للكفّار بإهلاكهم وإبدال مَنْ هُوَ خيرٌ منهم.

﴿لا تَرْجُون للهِ وَقاراً﴾ [نوح: ١٣]: فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة؛ فالمعنى ما لكم لا تَرْجُون أن يوقركم الله في دَارِ ثَوَابِه. قال ذلك الزمخشري. وقوله: «لله» على هذا بيان للموقر، ولو تأخّر لكان صفة لوقار.

الثاني: أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبّت، والمعنى ما لكم لا ترجون لله تعالى متثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم. وقوله «لله» على هذا مفعول دخلت عليه اللام؛ كقولك: ضربت لزيد. وإعراب وقاراً على هذا مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء على هذا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى العظمة والسلطان؛ فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه. ﴿ولله﴾ على هذا صفة للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخَوْف، والوقار بمعنى الاستقرار؛ من قولك: وَقَر في المكان إذا استقرّ فيه؛ والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار؛ إما في الجنة وإما في النار.

﴿لَمَسْنَا السماءَ فوجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حرَساً شديداً وشُهُباً﴾ [الجن: ٨]: هذا إخبار عما حدث عندَ مبعث النبي ﷺ من مَنْعِ الجنّ من استراق السَّمْع في السماء ورَجْمهم بالنجوم.

واللمس: المسّ. واستُعِير هنا للطلب. والحَرَس: اسم مفرد في معنى الحرّاس كالخدم في معنى الخدام. ولذلك وصف بشديد، وهو مفرد. ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة. وكرر الشهب لاختلاف اللفظ.

﴿لِنَفْتِنَهم فيه﴾ [الجن: ١٧]: يحتمل أن يكون الضمير للمسلمين، أو للقاسطين المذكورين قبل [الجن: ١٤، ١٥]، أو لجميع الجنّ، أو الجن الذين استمعوا إلى النبي ﷺ، أو لجميع الخَلْق. ومعنى الفتنة الاختبار، هل يشكرون أم لا؟ هذا إن كانت الطريقة المذكورة [الجن: ١٦] بمعنى الإيمان، وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الاستضلال والاستدراج.

﴿لِبَداً﴾ [الجن: ١٩]: جماعة واحدها لِبْدَة. والمعنى يكاد الكفار من الناس يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكاد الجنُّ الذين استمعوا هذا القرآن يجتمعون عليه لاستماعه والتبرك به. ومن هذا اشتقاقُ هذه اللبود التي تُفْرَش بعضها على بعضها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الذين أوتوا الكتاب﴾ [المدثر: ٣١]: أي يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به نبيُّنا ومولانا محمد ﷺ عن عدد ملائكة النار حق؛ لأنه

موافق لما في كتبهم. ولما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: أيعجز عشرةٌ منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به، فنزلت الآية. ومعناها أنهم ملائكة لا طاقةَ لكم بهم. ورُوِي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار، فجعل الله هذا العدد لفِتْنَةِ الكفّار ولئلا يشكّ المؤمنون والذين أوتوا الكتاب.

فإن قلت: كيف نفى عنهم الشكّ بعد أن وصفهم باليقين، والمعنى واحد فهو تكرار؟.

فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نَفَى عنهم أن يشكّوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال. وقال الزمخشري: ذلك مبالغة وتأكيد.

﴿لِيَقُولَ الَّذِين في قُلوبهم مَرَض﴾ [المدثر: ٣١]: المرض عبارة عن الشكّ، وأكثر ما يُطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين، كقوله: ﴿في قلوبهم مَرَضٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢٩].

فإن قلت: هذه السورة مكيّة، ولم يكن حينئذ منافقون بالمدينة.

فالجواب من وجهين: أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدّثوا، ففيه إخبارٌ بالغيب. والآخر أن يُريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: ﴿ماذا أَرادَ اللهُ بهذا مَثَلاً﴾ [البقرة: ٢٦]؛ فهو استبعاد لأن يكون هذا من عند الله.

﴿لأي يوم أُجِّلَت.لِيَوْمِ الفَصل﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣]: فيه توقيف يُراد به تعظيم ذلك اليوم، ثم بينه بقوله: ﴿وما أدْرَاك ما يَوْمُ الفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٤].

﴿اللام﴾: على أربعة أقسام: جارّة، وناصبة، وجازمة، ومهملة غير عاملة؛ فالجارةُ مكسورة مع الظاهر؛ وأما قراءة بعضهم: الحمدُ لُله، فالضمة عارضة للاتباع؛ مفتوحة مع المضمر إلا الياء. ولها معان:

الاستحقاق؛ وهي الواقعة بين معنى وذات؛ نحو: ﴿الحمد لله﴾. ﴿الملك

لله﴾. ﴿للهِ الأمر﴾ [الروم: ٤]. ﴿ويل لِلمُطفِّفين﴾ [المطففين: ١]. ﴿لهم في الدنيا خِزْيٌ﴾ [البقرة: ١١٤]. ﴿وللكافرين النَّارُ﴾؛ أي عذابها.

والاختصاص؛ نحو: إنَّ لَهُ أباً. كان له إخوةٌ.

والملك؛ نحو: ﴿لَهُ ما في السموات وما في الأرض﴾.

والتعليل؛ نحو: ﴿إنه لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد﴾ [العاديات: ٨]؛ أي وإنه من أجل حُبِّ المالِ لَبَخِيل. ﴿وإذْ أخذَ اللهُ مِيثاقَ النبيين لِمَا آتَيْتُكم من كتابٍ وحِكْمَة...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، في قراءة حمزة، أي لأجل إيتائي إياكم بعضَ الكتاب والحكمة، ثم لمجيء محمد ﷺ مُصدِّقاً لما معكم لتؤمِنُنّ به، ولتنصرنّه، فما مصدرية واللام تعليلية. وقوله: ﴿لإيْلاَفِ قُرَيش﴾ [قريش: ١، ٢]. وتعلقها بـ ﴿يعبدوا﴾. وقيل بما قبله؛ أي فجعلهم كَعَصْفٍ مأكول، لإيلاف قريش. ورجّح بأنهما في مصحف عثمان سورة واحدة.

وموافقة إلى؛ نحو: ﴿بأن ربَّك أوحى لها﴾ [الزلزلة: ٥]. ﴿كلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وعلى؛ نحو: ﴿ويَخرُّون لِلأَذْقَان﴾ [الإسراء: ١٠٩]. ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ [يونس: ١٢]. ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِين﴾ [الصافات: ١٠٣]. ﴿وإن أسَأْتُم فَلَها﴾ [الإسراء: ٧]. ﴿لهم اللعنةُ﴾ [الرعد: ٢٥]، أي عليهم، كما قال الشافعي.

وفي؛ نحو: ﴿ونَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ ليَوْم القِيَامة﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لوَقْتِها إلاَّ هُو﴾ [الفجر: ٢٤]. ﴿يا لَيْتَنِي قدّمْتُ لِحَيَاتي﴾ [الأنبياء: ٤٧]، أي في حياتي. وقيل هي فيها للتعليل، أي لأجل حياتي في الآخرة.

و ﴿عند﴾ في قراءة الجَحْدَري: ﴿بل كذّبوا بالحقّ لما جاءهم﴾.

وبعد، نحو: ﴿أقِمِ الصلاةَ لدُلُوكِ الشمس﴾ [الإسراء: ٧٨].

وعن، نحو: ﴿قال الذين كفروا للذِين آمَنُوا لو كَان خيراً ما سبَقُونا إليه﴾

[الأحقاف: ١١]؛ أي عنهم وفي حقّهم، لأنهم خاطبوا به المؤمنين. وإلا لقيل ما سبقْتُمونا.

والتبليغ، وهي الجارّة لاسم السامع لقولٍ أو ما في معناه، كالإذْن.

والصيرورة، وتسمى لام العاقبة، نحو: ﴿فالْتَقَطَهُ آل فِرْعَوْن ليكون لهم عَدُوّاً وحَزَناً﴾ [القصص: ٨]، فهذا عاقبة التقاطهم لا علّته، إذ هي التبني. ومنع قوم ذلك، وقالوا: هي للتعليل مجازاً، لأن كونه عدواً لمّا كان ناشئاً عن الالتقاط وإن لم يكن غَرَضاً لهم، فنزّل منزلة الغرض على تقدير المجاز. وقال أبو حيان: الـذي عندي أنها للتعليل حقيقة، وأنهم التقطوه ليكون لهم عدواً، وذلك على حذف مضاف تقديره لمخافة أن يكون، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكم أنْ تَضِلوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي كراهة أن تضلوا.

والتأكيد، وهي الزائدة أو المقوية للعامل الضعيف لفرعية أو تأخير، نحو: ﴿رَدِفَ لَكم﴾ [النمل: ٧٢]. ﴿يُريدُ الله ليبيِّن لكم﴾. [النساء: ٢٦]. ﴿وأمِرْنا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١]. ﴿فَعّالٌ لِمَا يريد﴾ [هود: ١٠٧]. ﴿إن كنْتُم للرؤيا تَعْبُرون﴾ [يوسف: ٤٣]. ﴿وكنّا لِحُكْمِهم شاهِدين﴾ [الأنبياء: ٧٨].

والتبيين للفاعل أو المفعول، نحو: ﴿فَتعْساً لهم﴾ [محمد: ٨]. ﴿هيهات لِما تُوعدون﴾ [المؤمنون: ٣٦]. ﴿هَيْت لك﴾ [يوسف: ٢٣].

والناصبة هي لام التعليل، وادعى الكوفيون النصب بها. وقال غيرهم بأن مقدرة في محل جر باللام.

والجازمة هي لام الطلب، وحركتها الكسر. وسُلَيم يفتحونها، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها، نحو، ﴿فلْيَستَجِيبوا لي وليؤمِنُوا بي﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقد تسكن بعد ثُمّ؛ نحو: ﴿ثُمّ ليقْضُوا تَفَثَهم﴾ [الحج: ٢٩]. وسواء كان الطلب أمراً؛ نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ﴾ [الطلاق: ٧]. أو دُعاء؛ نحو: ﴿ليَقْضِ علينا ربُّك﴾ [الزخرف: ٧٧].

وكذا لو خرجت إلى الخبر؛ نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ لهُ الرَّحْمنُ مَدّا﴾ [مريم: ٧٥] ﴿ولْنَحْمِل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢]. أو التهديد؛ نحو: ﴿فمَنْ شاء فليؤمِنْ ومَنْ شاء فَلْيَكْفُر﴾ [الكهف: ٢٩].

وجزمُها فعلَ الغائب كثير؛ نحو: ﴿فَلْتَقُمْ طائفةٌ منهم معكَ. وليأْخُذوا أسلحتَهم. فليكونوا من وَرَائكم. ولتأْت طائفةٌ. فلْيُصَلوا معك﴾.

وفعل المخاطب قليل؛ ومنه: ﴿فبذلك فلْتَفْرَحوا﴾ [يونس: ٥٨] ـ في قراءة التاء. وفعل المتكلم أقل؛ ومنه: ﴿ولنَحْمِلْ خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢].

★ ★ ★

وغير العاملة أربع:

لام الابتداء؛ وفائدتها أمران: توكيد مضمون الجملة؛ ولهذا زَحْلقوها في باب إن من صدر الجملة كراهة توالي مؤكّدين. وتخليص المضارع للحال.

وتدخل في المبتدأ؛ نحو: ﴿لأنْتُمْ أشدُّ رَهْبَةً في صدورهم من الله﴾ [الحشر: ١٣] وفي خبر إن؛ نحو: ﴿إنّ رَبي لسميعُ الدعاء﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ﴿إنّ ربك ليَحْكُمُ بينهم﴾ [النحل: ١٢٤]. ﴿وإنّكَ لعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم: ٤]. واسمها المؤخر؛ نحو: ﴿إنّ علينا لَلْهُدَى وإن لنا للآخِرَة﴾ [الليل: ١٢].

واللام الزائدة في خبر أن المفتوحة، كقراءة سعيد بن جُبير: ﴿إلاّ أنهم لَيأْكلونَ الطّعامَ﴾ [الفرقان: ٢٠]. والمفعول؛ كقوله تعالى: ﴿يَدْعو لمن ضَرُّه أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِه﴾ [الحج: ١٣].

ولام الجواب للقسم أو «لو» أو لولا؛ نحو: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثركَ الله عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]. ﴿تَاللهِ لأكِيدَنّ أصنامَكم﴾ [الأنبياء: ٥٧]. ﴿لو تَزَيَّلُوا لعذَّبْنَا﴾ [الفتح: ٢٥]. ﴿ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

واللام الموطّئة، وتسمى المُؤذِنة؛ وهي الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنيّ على قَسم مقدّر؛ نحو: ﴿لئن أُخْرِجُوا لا يَخْرجونَ معهم، ولَئن قُوتِلُوا لا يَنْصُرونهم، ولَئن نصروهم لَيُوَلنَّ الأدبار﴾ [الحشر: ١٢]. وخرّج عليه قراءة قوله تعالى: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كتابٍ وحِكمة﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿لا﴾: على أوجه: أحدها أن تكون نافية، وهي أنواع:

أحدها: أن تعمل عمل إنّ، وذلك إذا أُريد بها الجنس على سبيل التنصيص، وتسمى حينئذ تبرئة، وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه، وإلا فيركّب معها، نحو: لا إله إلّا الله. لا ريب فيه. فإن تكرّرَتْ جاز التركيب والرفع، نحو:

﴿فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدَال﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿لا بَيْعٌ فيه ولا خُلّة ولا شَفَاعة﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ﴿لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثِيم﴾ [الطور: ٢٣].

ثانيها: أن تعمل عمل ليس؛ نحو: ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكْبَر إلّا في كتابٍ مُبِين﴾ [يونس: ٦١].

ثالثها ورابعها: أن تكون عاطفة أو جوابية. ولم يقَعَا في القرآن.

خامسها: أن تكون على غير ذلك؛ فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرُها معرفةٌ أو نكرة ولم تعمل فيها، أو فعلاً ماضياً لفظاً أو تقديراً وجب تكرارها، نحو: ﴿لا الشّمْسُ يَنْبَغي لها أن تُدْرِكَ القمرَ ولا الليل سابقُ النهار﴾ [يس: ٤٠].

﴿لا فيها غَوْل ولا هُمْ عنها يُنزَفون﴾ [الصافات: ٤٧]. ﴿فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١].

أو مضارعاً لم يجب، نحو: ﴿لا يُحِبُّ الله الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلّا منْ ظلم﴾ [النساء: ١٤٨]. ﴿قُلْ لا أسألُكم عليه أجراً﴾ [الأنعام: ٩٠].

وتعترض ﴿لا﴾ هذه بين الناصب والمنصوب، نحو: لئلا يكون للناس. والجازم والمجزوم؛ نحو: ﴿إلّا تَفْعَلوه﴾.

والوجه الثاني: أن تكون لطلب التَّرْك، فتخص بالمضارع، وتقتضي جَزْمه واستقباله، سواء كان نهياً، نحو: ﴿لا تَتّخذُوا عَدُوِّي﴾ [الممتحنة: ١]. ﴿لا يَتّخِذِ المؤمنون الكافرين﴾ [آل عمران: ٢٨]. ﴿ولا تَنْسَوا الفَضْلَ بينكم﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أو دعاء، نحو: ﴿لا تؤاخِذنَا﴾.

الثالث: التأكيد، وهي الزائدة، نحو: ﴿ما مَنعكَ ألاّ تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]. ﴿ما منعكَ إذ رأيتَهم ضَلُّوا أَلَّا تَتّبِعَن﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]. ﴿لئلاَّ يَعْلم أهْلُ الكتاب﴾ [الحديد: ٢٩]؛ أي ليعلموا. قال ابن جني: لا هنا مؤكّدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى.

واختلف في قوله: ﴿لا أُقسِمُ بِيَوْمِ القيامة﴾ [القيامة: ١]؛ فقيل زائدة، فائدتُها مع التوكيد التمهيد لنفي الجواب، والتقدير: لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سُدى. ومثله: ﴿فَلاَ وَربّكَ لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك﴾ [النساء: ٦٥]. ويؤيده قراءة لَأُقسم. وقيل: لا نافية لما تقدم عنهم من إنكار البعث، فقيل لهم: ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم. قالوا: وإنما صح ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولذا يُذْكر الشيءُ في سورة وجوابه في سورة أخرى نحو: وقالوا: ﴿يا أيها الذي نُزِّلَ عليه الذِّكْرُ إنَّكَ لمجنون﴾ [الحجر: ٦]. ﴿ما أنْتَ بنعمةِ ربّك بمجنون﴾ [القلم: ٢].

وقيل: منفيّها أقسم على أنه إخبار لا إنشاء. واختاره الزمخشري؛ قال: والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له، بدليل: ﴿فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النجوم، وإنَّه لَقَسَمٌ لو تَعْلَمُونَ عظيم﴾ [الواقعة: ٧٥]، فكأنه قيل: إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام، أي أنه يستحق إعظاماً فوق ذلك.

واختلف في قوله: ﴿قُلْ تَعَالوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ ربُّكم عليكم أَلَّا تُشْرِكُوا به شيئاً﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ فقيل نافية. وقيل ناهية. وقيل زائدة. وفي قوله: ﴿وحَرَامٌ

على قَرْيَةٍ أهلكناها أنّهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء : ٩٥] ؛ فقيل : زائدة. وقيل نافية والمعنى ممتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة.

تنبيه

تَرِدُ ﴿لا﴾ اسماً بمعنى غير ، فيظهر إعرابُها فيما بعدها ؛ نحو : ﴿غَيْرِ المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ [الفاتحة : ٦]. ﴿لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ﴾ [الواقعة : ٣٣] ﴿لاَ فَارِضٌ ولا بِكْرٌ﴾ [البقرة : ٦٨].

فائدة

قد تحذف ألفُها ، وخرَّج عليه ابنُ جني : ﴿واتقُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنّ الذين ظَلَمُوا منكم خَاصَّة﴾ [الأنفال : ٢٥].

﴿لات﴾ : اختلف فيها ؛ فقال قوم : فعل ماض بمعنى نقص. وقيل أصلها لِيس ، تركت الياء فقُلبت ألفاً لانفتاح ما قبلها ، وأبدلت السين تاء. وقيل هي كلمتان : لا النافية زيدت عليها التاء لتأنيث الكلمة ، وحركت لالتقاء الساكنين ، وعليه الجمهور. وقيل هي لا النافية والتاء زائدة في أول الحين. واستدل له أبو عبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط.

واختُلف في عملها ؛ فقال الأخفش : لا تعمل شيئاً ؛ فإن تلاها مرفوع فمبتدأ وخبر ، أو منصوب فبِفِعْل محذوف ؛ فقوله تعالى : ﴿ولاتَ حينُ﴾ [ص : ٣] - بالرفع ، أي كائن لهم. وبالنصب أي لا أرى حيْنَ مناص.

وقيل تعمل عمل إن.

وقال الجمهور : تعمل عمل ليس ؛ وعلى كلٍّ قول لا يُذكر بعدها إلا أحد المعمولين ، ولا تعمل إلا في لفظ الحين. قيل : أو ما رَادَفَهُ. قال الفراء : وقد تستعمل حرف جر لأسماء الزمان خاصة. وخرّج عليه قراءة : ولات حين - بالجر.

﴿لا جَرَم﴾: وردت في القرآن في خمسة مواضع [الأول في هود، وثلاثة في النحل، والخامس في غافر] متلوّة بأنّ واسمها ولم يجيء بعدها فعلٌ. واختلف فيها؛ فقيل: لا نافية لما تقدّم، و« جَرَم » فعل معناه حقّ، وأن مع ما في حَيّزها فاعله.

وقيل: زائدة، و« جرم » معناه كسب؛ أي كسب لهم عملهم الندامة، وما في حيّزها في موضع نصب.

وقيل: هما كلمتان، رُكِّبتَا وصار معناها حقاً. وقيل معناها لا بد، وما بعدها في موضع نصب بها بإسقاط حرف الجرّ.

﴿لكنَّ﴾ ـ مشدّدة النون: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر. ومعناه الاستدراك، وفُسِّرَ بأن ينسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلامٌ مخالف لما بعدها أو مناقض له؛ نحو: ﴿وما كفر سُلَيْمان ولكنَّ الشياطينَ كفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك؛ قاله صاحب البسيط، وفسر الاستدراك برفع ما توهّم ثبوته؛ نحو: ما زيد شُجاع، لكنه كريم؛ لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان، فَنفي أحدهما يوهم نَفْي الآخر. ومثَّل للتوكيد بنحو: لو جاءني أكرمته، لكنه لم يجيء، فأكدت ما أفادته ﴿لو﴾ من الامتناع.

واختار ابنُ عصفور أنها لهما معاً، وهو المختار، كما أن كأن للتشبيه المؤكد، ولهذا قال بعضهم: إنها مركبة من لكن أن فطُرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين.

﴿لكنْ﴾ ـ مخففة: ضربان:

أحدهما: مخفَّفة من الثقيلة، وهي حرفُ ابتداء لا تعمل، بل لمجرد إفادة الاستدراك، وليست عاطفة لاقترانها بالعاطف في قوله: ﴿ولكنْ كانُوا هُم الظالمين﴾.

والثاني: عاطفة إذا تلاها مُفرد، وهي أيضاً للاستدراك، نحو: ﴿لكِنِ اللهُ يشهدُ بما أنزل إليك﴾ [النساء: ١٦٦]. ﴿لكِنِ الرسولُ﴾ [التوبة: ٨٨]. ﴿لكنِ الذين اتَّقَوْا ربَّهم﴾ [آل عمران: ١٩٨].

ويأتي لدي، ولَدُن، عند حرف العين في ﴿عند﴾.

﴿لعلّ﴾ حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر. وله معان؛ أشهرها التوقع، وهي الترجِّي في المحبوب، نحو: ﴿لعَلَّكم تُفْلحون﴾. والإشفاق في المكروه، نحو: ﴿لعلّ الساعةَ قَرِيب﴾ [الشورى: ١٧]. وذكر التَّنوخي أنها تفيد توكيد ذلك.

الثاني: التعليل، وخرّج عليه: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً ليِّناً لَعَلَّهُ يتذكَّرُ أو يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

الثالث: الاستفهام، وخرّج عليه: ﴿لا تَدْرِي لعلَّ اللهَ يحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمْراً﴾ [الطلاق: ١]. ﴿وما يُدْرِيكَ لعلهُ يَزَّكى﴾ [عبس: ٣]. ولذا علق ﴿يدري﴾.

قال في البرهان: وحكى البغوي عن الواقدي أن جميع ما في القرآن من ﴿لعل﴾ فإنها للتعليل، إلا قوله تعالى: ﴿لعلكم تَخْلُدون﴾[الشعراء: ١٢٩] قال: وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة، ووقع في صحيح البخاري في قوله: ﴿لعلكم تَخْلُدون﴾ - أن لعل للتشبيه. وذكر غيره أنها للرجاء المحض، وهو بالنسبة إليهم.

قلت: أخرج ابن أبي حاتم من طريق السديّ عن أبي مالك، قال: ﴿لعلكم﴾ في القرآن بمعنى ﴿كي﴾، غير آية في الشعراء: ﴿لعلكم تَخْلُدون﴾ [الشعراء: ١٢٩]، بمعنى كأنكم تَخْلُدون.

وأخرج عن قتادة قال: كان في بعض القراءة: وتَتخِذونَ مصانِعَ كأنكم خالدون.

﴿لم﴾ : حرف جزم لنفي المضارع وقلْبه ماضياً؛ نحو: ﴿لم يَلِدْ ولم يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]. والنصب بها لغة ـ حكاه اللحياني. وخرَّج عليه قراءة: ألم نشرحَ.

﴿لما﴾ : على أوجه: أحدها: أن تكون حرف جزم، فتختصّ بالمضارع وتنفيه وتقلبه ماضياً، كلم، لكن يفترقان من أوجه:

أحدها: أنها لا تقترن بأداة شرط، ونفيها مستمر إلى الحال أو قريب منه، ومتوقع ثبوته.

قال ابن مالك في: ﴿لما يَذُوقُوا عَذَاب﴾ [ص: ٨]: المعنى لم يذوقوه، وذَوْقه لهم متوقّع.

وقال الزمخشري في: ﴿ولَمَّا يَدْخُل الإيمانُ في قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤] ـ ما في ﴿لَمَّا﴾ بمعنى التوقع، دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعدُ، وأن نفيها آكد من نفي لم؛ فهي لنفي قد فعل، ولم لنفي فَعَل؛ ولهذا قال الزمخشري في الفائق تبعاً لابن جني: إنها مركبة من ﴿لم﴾ و﴿ما﴾، وإنهم لما زادوا في الإثبات ﴿قد﴾ زادوا في النفي ﴿ما﴾، وإن منفيّ لما جائز الحذف اختياراً، بخلاف لم، وهي أحسنُ ما يخرج عليه: ﴿وإنْ كُلاًّ لَمّا ليُوَفِّيَنَّهُم ربك أعمالهم﴾ [هود: ١١١] أي لما يُهملوا أو يتركوا؛ قاله ابن الحاجب.

قال ابن هشام: ولا أعرف وجهاً في الآية أشبه من هذا، وإن كانت النفوسُ تستبعده؛ لأن مثله لم يقع في التنزيل. قال: والحق ألَّا يُستبعد، لكن الأولى أن يقدر لما يوفوا أعمالَهم، أي أنهم إلى الآن لم يوفوها وسيوفّوها.

الثاني: أن تدخل على الماضي، فتقتضي جملتين، وُجدت الثانية عن وجود الأولى؛ نحو: ﴿فلما نَجّاكُمْ إلى البر أَعْرَضْتُم﴾ [الإسراء: ٦٧].

ويقال فيها حرف وجود لوجود. وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين. وقال ابن مالك: بمعنى إذْ، لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة.

وجواب هذه يكون ماضياً كما تقدم، وجملة اسمية بالفاء أو بإذا الفجائية؛ نحو: ﴿فلما نَجَّاهُمْ إلى الْبَرِّ فمنهم مُقْتَصِد﴾ [لقمان: ٣٢]. ﴿فلما نَجَّاهم إلى البَرِّ إذا هم يُشْرِكُون﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وجوّز ابن عصفور كونه مضارعاً؛ نحو: ﴿فلما ذهب عن إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وجاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلنا﴾ [هود: ٧٤]. وأوّله غَيْرُه بـ﴿جادَلَنَا﴾.

الثالث: أن تكون حرف استثناء، فتدخل على الاسمية والماضية؛ نحو: ﴿إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] - بالتشديد، أي ﴿إلَّا﴾. ﴿وإنْ كُلُّ ذلك لمَّا متَاعُ الحياةِ الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٥].

﴿لن﴾: حرف نصب ونَفْي واستقبال. والنفي بها أبلغُ من النفي بلا، فهي لتأكيد النفي، كما ذكره الزمخشري وابن الخباز، حتى قال بعضهم: إن منعه مكابرة، فهي لنفي ﴿إني أفعل﴾، و﴿لا﴾ لنفي ﴿أفعل﴾، كما في لم، ولما. قال بعضهم: العرب تنفي المظنون بِلن والمشكوك بلا. ذكره ابن الزَّملكانيّ في التبيان، وادّعى الزمخشري أيضاً أنها لتأبيد النفي؛ كقوله تعالى: ﴿لن يَخْلُقُوا ذُبَابا﴾ [الحج: ٧٣]. ولن تَفْعَلوا. قال ابن مالك: وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿لن تَرَانِي﴾ أنَّ الله لا يُرى.

وردّه غيره بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيّد منفيها باليوم في: ﴿لن أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنسيّا﴾ [مريم: ٢٦]، ولم يصح التوقيت في: ﴿لن أَبْرحَ الأَرض حتى يأذن لي أبي﴾ [يوسف: ٨٠]. ﴿لن نَبْرَح عليه عَاكِفِين حتى يرجعَ إلينا موسى﴾ [طه: ٩١] ولكان ذكر الأبد في: ﴿لن يتمنَّوْه أبداً﴾ [البقرة: ٧٥] - تكرار. والأصل عدمه. واستفادة التأبيد في: ﴿لن يَخْلقوا ذُبَاباً﴾ [الحج: ٧٣] ونحوه، من خارج.

ووافقه على إفادة التأبيد ابن عطية. وقال في قوله: لن تراني: لو أبقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبداً ولا في الآخرة، لكن ثبت في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه.

وعكس ابن الزملكاني مقالة الزمخشري؛ فقال إن ﴿لن﴾ لنفي ما قرب وعدم امتداد النفي؛ و﴿لا﴾ يمتد معها النفي. قال: وسِرُّ ذلك أن الألفاظ مشاكلةٌ للمعاني، ولأن آخرها الألف فاللام يمكن امتداد الصوت بها بخلاف النون، فطابق كلٌّ لفظ معناه. قال: ولذلك أتى بلن حيث لم يرد به النفي مطلقاً، بل في الدنيا حيث قال: لن تراني، وبلا في قوله: ﴿لا تُدْرِكه الأبصار﴾ حيث أراد نفي الإدراك على الإطلاق. وهو مُغَاير للرؤية.

وتَرِدُ للدعاء؛ وخرج عليه: ﴿ربِّ بما أَنعمْتَ عليّ فَلَنْ أكونَ ظَهِيراً للمُجْرِمين﴾ [القصص: ١٧].

﴿لو﴾: حرف شرط في المضي تَصْرِف المضارعَ إليه، بعكس ﴿إن﴾ الشرطية.

واختلف في إفادتها الامتناع، وكيفية إفادتها إياه على أقوال:

أحدها: أنها لا تفيده بوجه، ولا تدل على امتناع الشرط ولا امتناع الجواب؛ بل هي لمجرد رَبْطِ الجواب بالشرط دالة على التعليق في الماضي، كما دلت إن على التعليق في المستقبل، ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا ثبوت.

قال ابن هشام: وهذا القول كإنكار الضروريات: إذ فَهْمُ الامتناع منها كالبديهي؛ فإن كل من سمع « لو فعل » فَهِمَ عدم وقوع الفعل من غير تردد؛ ولهذا جاز استدراكه، فتقول: لو جاء زيد لأكرمته لكنه لم يجيء.

الثاني: وهو لسيبويه، قال: إنها حرف لِمَا سيقع لوقوع غيره؛ أي تقتضي فعلاً ماضياً كان يُتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع؛ فكأنه قال: حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته.

الثالث: وهو المشهور على ألسنة النحاة ومشى عليه المعربون ـ أنها حرف امتناع لامتناع؛ أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط؛ فقولك: « لو جئت لأكرمتك » دالٌّ على امتناع الإكرام لامتناع المجيء.

واعترض بعدم امتناع الجواب في مواضع كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿ولو أنَّ ما في الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِه سبعةُ أَبْحُر ما نَفدت كلماتُ الله﴾ [لقمان: ٢٧]. ﴿ولو أَسمعهم لتَولَّوْا وهم مُعْرِضون﴾ [الأنفال: ٢٣]؛ فإن عدم النفاد عند فَقْد ما ذكر، والتولِّي عند عدم الإسماع أولى.

الرابع: وهو لابن مالك ـ أنها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرُّض لنفي التالي؛ قال: فقيام زيد في قولك: لو قام زيد لقام عمرو محكوم بانتفائه، وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام عَمْرو. وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له؟ لا تعرُّض لذلك. قال ابن هشام: وهذه أجودُ العبارات.

فوائد

الأولى: أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس، قال: كل شيء في القرآنِ ﴿لو﴾ فإنه لا يكون أبداً.

الثانية: تختص ﴿لو﴾ المذكورة بالفعل. وأما نحو: ﴿قل لو أنْتُم تملكونَ خزائِنَ رحمة ربِّي إذاً لأَمْسَكْتُم﴾ [الإسراء: ١٠٠] فعلى تقديره.

قال الزمخشري: وإذا أوقعت أن بعدها وجب كَوْن خبرها فعَلاً، ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف.

وردّه ابن الحاجب بآية: ولو أن ما في الأرض. وقال: إنما ذلك إذا كان مشتقاً لا جامداً. ورده ابن مالك بقوله:

لـــو أنّ حيّـــاً مـــدرك الفـــلاح أدركـــه مُـلاعِـــبُ الرّمـــاح

قال ابن هشام: وقد وجدتُ آيةً في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقاً ولم ينتبه لها الزمخشري، كما لم ينتبه لآية لقمان؛ ولا ابن الحاجب، وإلا لما منع ذلك، ولا ابن مالك وإلّا لما استدل بالشعر؛ وهي قوله تعالى: ﴿يَوَدوا لو أنهم بَادُونَ

في الأعراب﴾ [الأحزاب: ٢٠]. ووجدتُ آيةً الخبر فيها ظرف؛ وهي: ﴿لو أنّ عندنا ذِكراً من الأوّلين﴾ [الصافات: ١٦٨].

وردّ ذلك الزركشي في البرهان وابن الدماميني ـ بأنّ ﴿لو﴾ في الآية الأولى للتمني، والكلام في الامتناعية. وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السِّيرافيّ. وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديماً في شرح الإيضاح لابن الخباز، لكن في غير مظنته؛ فقال في باب « إنّ وأخواتها »: قال السِّيرافي تقول: لو أن زيداً قام لأكرمته. ولا يجوز لو أن زيداً حاضر لأكرمته؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسد مسدَّ ذلك الفعل. هذا كلامه. وقد قال الله تعالى: ﴿وإن يأْتِ الأحزابُ يوَدوا لَوْ أنهم بادُونَ في الأعراب﴾ [الأحزاب: ٢٠]. فأوقع خبرها صفة؛ ولهم أن يفرِّقوا بأن هذه للتمني فأجريت مجرى ليت، كما تقول ليتهم بادون. انتهى كلامه.

وجواب لو إما مضارع منفي بلم أو ماض مثبت أو منفي بما. والغالب على المثبت دخول اللام عليه، نحو: ﴿لو نشاء لجعلناه حُطَاماً﴾ [الواقعة: ٦٥] ومِنْ تجرده: ﴿لو نَشاءُ جعلناهُ أجَاجاً﴾ [الواقعة: ٧٠]. والغالب على المنفي تجرّده؛ نحو: ﴿ولو شاء رَبُّكَ ما فَعَلُوه﴾ [الأنعام: ١١٢].

الثالثة: قال الزمخشري: الفرق بين قولك: لو جاءني زيد أكرمته. ولو زيد جاءني لكسوته. ولو أن زيداً جاءني لكسوته ـ أن القصد في الأول مجرد ربط الفعلين وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير، مِنْ غَيْرِ تعرض لمعنى زائد على التعلق الساذج. وفي الثاني انضم إلى التعلق أحدُ معنَيين؛ إما نَفي الشك والشبهة، وأن المذكور مكسو لا محالة. وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره. ويخرّج عليه آية: ﴿قل لو أنتم تملِكُون﴾ [الإسراء: ١٠٠]. وفي الثالث مع ما في الثاني زيادة التأكيد الذي تعطيه ﴿أنَّ﴾، وإشعار بأن زيداً كان حقه أن يجيء وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظّه. ويخرج عليه: ﴿ولو أنهم صَبَرُوا﴾ [الحجرات: ٥] ونحوه. فتأمل ذلك. وخرج عليه ما وقع في القرآن من أحد الثلاثة.

تنبيه

ترد ﴿لو﴾ شرطية في المستقبل، وهي التي يصلح موضعها إنْ؛ نحو: ﴿ولو كَرِهَ المشركون﴾ [التوبة: ٣٣]. ﴿ولو أعجبكَ حُسنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

ومصدرية، وهي التي يصلح موضعها أنّ المفتوحة، وأكثر وقوعها بعد ﴿ودّ﴾ ونحوه؛ نحو: ﴿وَدّ كثير من أهل الكتاب لو يَردّونكم﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿يود أحَدُهم لو يُعَمَّرُ ألْفَ سنة﴾ [البقرة: ٩٦]. ﴿يَوَد المجرِمُ لو يَفْتَدِي مِنْ عذابِ يَوْمِئذ بِبَنِيه﴾ [المعارج: ١١]. أي يود التعمير والافتداء.

وللتمني، وهي التي يصلح موضعها ليْت، نحو: ﴿فلو أنَّ لنا كَرَّه فنكونَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]. ولهذا نُصب الفعل في جوابها.

والتعليل، وخرج عليه: ﴿ولَوْ عَلَى أنفُسكم﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿لولا﴾ على أوجه:

أحدها: أن تكون حرف امتناع لوجود، فتدخل على الجملة الاسمية ويكون جوابها فعلاً مقروناً باللام إن كان مثبتاً، نحو: ﴿فلولا أنّه كان من المُسَبِّحِين. للبث﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. ومجرداً منها إنْ كان منفياً؛ نحو: ﴿لولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتُه ما زَكَى منكم من أَحدٍ أَبداً﴾ [النور: ٢١]. وإن وليها ضمير فحقُّه أن يكون ضمير رَفْع؛ نحو: ﴿لولا أَنْتُم لكنّا مؤمنين﴾ [سبأ: ٣١].

الثاني: أن تكون بمعنى هلاّ، فهي للتحضيض والعَرْض في المضارع أو ما في تأويله؛ نحو: ﴿لولا تستغفِرونَ اللهَ لعلّكم تُرْحَمُون﴾ [النمل: ٤٦]. ﴿لولا أَخَّرْتَني إلى أجَلٍ قَرِيب﴾ [المنافقون: ١٠].

وللتوبيخ والتنديم في الماضي؛ نحو: ﴿لولا جَاءُوا عليهِ بأَربعةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣] ﴿فلولا نَصَرهم الذين اتَّخَذُوا مِنَ دون الله قُرْبَاناً آلهة﴾

[الأحقاف: ٢٨]. ﴿ولولا إذ سمِعْتُموه قلْتُم﴾ [النور: ١٦]. ﴿فلولا إذ جاءهم بَأْسُنَا تَضَـرَّعُـوا﴾ [الأنعـام: ٤٣]. ﴿فلـولا إذا بلغَـت الحلْقـوم﴾ [الواقعة: ٨٣]. ﴿فلولا إنْ كُنْتُم غَيْرَ مَدِينين﴾ [الواقعة: ٨٦].

الثـالـث: أن تكـون للاستفهـام؛ ذكـره الهروي، وجعـل منـه: ﴿لـولا أَخَّرْتَني﴾. [المنافقون: ١٠] ﴿لـولا أُنْـزِلَ عليـه مَلَـك﴾ [الأنعـام: ٨]. والظاهر أنها فيهما بمعنى هلاّ.

الرابع: أن تكون للنفي؛ ذكره الهروي أيضاً، وجعل منه: ﴿فلولا كانت قريةٌ آمنَتْ فنفعَها إيمانها﴾ [يونس: ٩٨]؛ أي فما آمنت قرية، أي أهلها عند مجيء العذاب فنفَعَها إيمانها. والجمهور لم يُثبتوا ذلك، وقالوا: المراد في الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجيء العذابُ. ويؤيِّدُه قراءة أبيّ: فَهَلاَّ. والاستثناء حينئذ منقطع.

فائدة

نُقِل عن الخليل أن جميع ما في القرآن من ﴿لولا﴾ فهي بمعنى هلا، إلا: ﴿فلولا أنه كانَ مِنَ المُسَبِّحين﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. وفيه نظر لما تقدّم من الآيات. وكذا قوله: ﴿لولا أنْ رأى بُرْهَانَ رَبّه﴾ [يوسف: ٢٤]: ﴿لولا﴾ فيه امتناعية جوابُها محذوف؛ أي لَهَمَّ بها، أو لواقعها. وقوله: ﴿لولا أنْ مَنَّ اللهُ علينا لخسفَ بنا﴾ [القصص: ٨٢]. وقوله: ﴿لولا أَنْ رَبطْنَا على قَلْبِها﴾ [القصص: ١٠]؛ أي لأَبْدَتْ به، في آيات أخرى.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى الْخَطْمِي، حدثنا هارون بن أبي حاتم، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، قال: كل ما في القرآن ﴿فلولا﴾ فهو: ﴿فهلاَّ﴾، إلا حَرْفَين: في يونس: ﴿فلولا كانَتْ قريةٌ آمنَتْ فنفعَها إيمانُها﴾ [يونس: ٩٨]؛ يقول: فما كانت قرية. وقوله: ﴿فلولا أنَّه كان من المسبّحين﴾ [الصافات: ١٤٣].

وبهذا يتضح مرادُ الخليل؛ وهو أن مراده ﴿لولا﴾ المقرونة بالفاء.

﴿لَوْمَا﴾: بمنزلة لولا. قال تعالى: ﴿لَوْمَا تَأْتِينا بالملائكة﴾ [الحجر: ٧] المالقي: لم ترد إلاَّ للتحضيض.

﴿ليت﴾: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، معناه التمني. وقال التنوخي: إنها تفيد تأكيده.

﴿ليس﴾: فعل جامد؛ ومن ثَمَّ ادَّعى قوم حرفيته، ومعناه نفي مضمون الجملة في الحال، وينفي غيره بالقرينة. وقيل: هي لنفي الحال وغيره. وقَوَّاهُ ابن الحاجب بقوله تعالى: ﴿ألاَ يَوْمَ يَأْتِيهم ليس مَصْرُوفاً عنهم﴾ [هود: ٨]؛ فإنه نفي للمستقبل.

قال ابن مالك: وترد للنفي العامّ المستغرق المراد به الجنس، كلا التبرئة؛ وهو مما يُغفل عنه، وخرَّج عليه: ﴿ليس لهم طعامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيع﴾ [الغاشية: ٦].

حرف الميم

نبينا ومولانا ﴿محمد﴾ ﷺ : سمَّاه الله في القرآن بأسماء كثيرة، وقد قدمنا أنا تعالى اشتق له من اسمه سبحانه نحو السبعين، واختلف هل تُحْصَى أَسماؤه؟ والصحيح: لا تحصى أسماء الله وأسماءُ رسوله؛ لأن كمالاتهما لا حَصْرَ لهما. ومِنْ أعظم معجزاته ﷺ القرآن الْمُعْجِز للخلْق عن الإتيان بمثله؛ فعلومه منه أجمع، ورثت أمته من علومه ما هو أَوفر وأسطع، فأجورهم وأنوارهم مِنْ بركته ﷺ لامعة؛ وقد ستر الله عليهم ما لم يقبل من عملها، ولم تُعَاجل عصاتُها، فهم خير أمة وأقل عملاً، وصفوتهم كالملائكة، وهم ثلثا أهل الجنة، ويدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب، ومع كلٍّ واحد منهم سبعون ألفاً وثلاثة حثَيَاتٍ تفضُّلاً منه وامتناناً، وهذه لا يُدْرَى ما عددها، وهم أوَّلُ مَنْ يُقضى لهم، ويدخل الجنة، نسأل الله بجاهه أن يهب لنا الحياة بسنته والوفاة على مِلَّته.

واعلم أن كل كمال في الخلق ظاهراً أو باطناً فقد جمعه ﷺ بأكمل مزيد مع ما تفرَّد به، ورؤيتُه ﷺ بمنام تعريف منه تعالى بمثالٍ له شكلٌ ولَوْنٌ وصورةٌ، والروح منزَّه عن ذلك. وكل من تراه في المنام إنما هو مثال محسوس لا رُوحه وجسده، وقوله ﷺ : من رآني في المنام فقد رآني؛ أي كأنه. وفي رواية في الصحيح: فكأنما رآني. فالرؤيا واسطة بينه وبين أُمَّته تعريفاً منه تعالى. قيل للأرواح قوة التشكل كالملائكة والجن بما لا يخفى؛ نحو: ﴿فتمَثَّلَ لها بَشَرًا سَوِيًا﴾ [مريم: ١٧]. وكتمثّل جبريل عليه السلام بصورة دِحْية الكلبي؛ وهذا للخاصة ولغيرهم تعريف بمثال، ولا يجب العمل بمنام لعدم ضبط الرائي؛ ومتى

صدقت الرؤيا فحقٌّ، وحقيقة تعبيرها هو نظر في المناسبات؛ كتمثيل السلطان في المنام بالشمس والسبع، والوزير بالقمر لنوع مناسبة؛ فافهم.

فإن قلت: أين تكون روح جبريل حين يَلْقَى نبيّنا ومولانا محمد ﷺ؛ هل في الجسد الذي يشبه دِحْيَة، أو في الجسد الذي خُلق عليه، وله ستمائة جناح؟ فإن كانت في الجسد الأعظم فمن الذي أتى إلى النبي ﷺ، أمن جهة روحه أو من جهة جسده؟ وإن كانت في الجسد المشبّه بجسد دِحْيَة فهل يموت الجسد الذي له ستمائة جناح كموت الأجساد التي فارقتها الأرواح، أم يبقى خالياً من الروح المنتقل منه إلى الجسد المشبه بجسد دِحْيَة الكلبي؟

قلت: لا يبعد أن يكون انتقالها من الجسد الأول غير موجب لموته، فيبقى؛ لأن موت الأجسام بمفارقة الأرواح ليس واجباً عَقْلاً كذلك الجسد، حتى لا ينقص من معارفه وطاعاته شيء، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح المؤمنين إلى أَجْوَافِ الطير الخضر؛ إذ ليس موتُ الأجساد بمفارقة الأرواح واجباً في العقل؛ وإنما هو بِعَادةٍ مُطَّرِدة أجراها اللهُ تعالى في أرواح بني آدم، وانتقالُ أرواح الشهداء إلى أجواف الطير الْخُضْر مشتبه بما يقوله أهل التناسخ. والأرواح كلُّها تنتقل يوم القيامة إلى هذه الأجساد، لكنها تعظم حتى يصير ضِرْسُ الكافر مثل أُحُد، وغِلَظ جلده مسيرة ثلاثة أيام، ومقعده كما بين مكّة إلى المدينة، وأجساد المؤمنين على هيئة جسد آدم ستون ذراعاً في السماء، فما الديارُ الديار، ولا الخيام الخيام.

﴿موسى عليه السلام﴾: هو ابن عِمْران بن يَصْهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، لا خلاف في نسبه؛ وهو اسم سُرْيَاني.

وأخرج أبو الشيخ، من طريق عكرمة، عن ابن عباس، قال: إنما سمي موسى لأنه أُلْقِي بين شجر وماء، فالماء بالقبطية مُو، والشجر سا.

وفي الصحيح أنه وصف بأنه آدم طوال، كأنه مِنْ رجال شنوءة.

قال الثعلبي: عاش مائة وعشرين سنة.

﴿الْمَغضُوبِ عليهم﴾ [الفاتحة: ٧]: هم اليهود. ولا الضالين: النصارى، بهذا فسّره ﷺ. وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

وتكرار ﴿لا﴾ في قوله: ولا الضالين ـ دليل على تغاير الطائفتين. وإنَّ الغضبَ صفةُ اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ الله﴾ [آل عمران: ١١٢]. والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليهما السلام، ولقول الله فيهم: ﴿قد ضَلُّوا من قَبْلُ وأَضَلوا كثيراً، وضَلّوا عن سَواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧].

﴿مرض﴾ [المائدة: ٥٢]: يحتمل أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازاً للشكّ أو الحسد. ويقال أصل المرض الفتور؛ فالمرضُ في القَلْبِ فُتُورٌ عن الحق. وفي الأبدان فتورُ الأَعضاء. وفي العيون فُتورٌ عن النَّظَر.

﴿مَنّ﴾ [الأعراف: ١٦٠، طه: ٨٠]: شِبْه العَسَل. وقيل خُبْز النَّقِيّ. والسلوى طائر. وقيل: إنه كان يسقط في السحر على شجَرِهم فيَجْتَنُونه ويَأْكُلونه. وقيل: المن التَّرَنْجَبِين.

والمنّ أيضاً ذِكْرُ الإنعام والعطية. ومنه: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكم بالمَنِّ والأَذَى﴾ [البقرة: ٢٤].

والمنُّ أيضاً: القطع. ومنه: ﴿لكم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون﴾ [فصلت: ٨].

﴿مَسْكَنَة﴾ [البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢]: الفاقة. وقيل الجزية. وقيل المسكنة فَقْرُ النَّفْسِ؛ لا يوجد يهوديٌّ مُوسِر ولا فقير غنيّ النفس أبداً، وإن تعمل لإزالة ذلك عنه

﴿مَجُوس﴾: هم الذين يعبدون النارَ، ويقولون: إن الخير من النور والشرّ من الظلمة، تعالى الله عن قولهم. وذكر الجواليقي أنه أعجمي.

﴿مَتَاع﴾: أي ما يتمتَّع به إلى حين الموت.

﴿مَثُوبَة﴾ [البقرة: ١٠٣]: من الثواب، وهو جواب لو أنهم؛ وإنما جاء جوابها بجملة اسمية، وعُدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره. وقيل الجواب محذوف.

﴿مَثَابةً﴾ [البقرة: ١٢٥]: اسم مكان، من قولك: ثاب؛ إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عاماً بعد عام. ويقال: ثاب جسم فلان إذا رجع بعد نُحُولِه.

﴿مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]: أي شعائرنا، واحدها مَنْسِك، ومَنْسَك. وأصل المنسك من الذّبح، ويقال: نسكت؛ أي ذبحت. والنسيكة الذَّبيحة الْمُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى، ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة. ومنه قيل للعابد: ناسك.

﴿مَشْعَر﴾ [البقرة: ١٩٨]: مَعْلم لمتعبّد من متعبداته، وجمعه مشاعر. والْمَشْعَر الحرام: هو مُزْدلفة، ويسمى أيضاً جَمْع، والوقوف بها سنّة.

﴿مَيْسر﴾ [البقرة: ٢١٩، والمائدة: ٩٠، ٩١]: قمار، وكان ميسر العرب بالقِدَاح في لحم الْجَزُور، ثم يدخل في ذلك النَّرْد، والشِّطْرَنْج، وغيرهما. وروي أن السائل عنه حمزة بن عبد المطلب.

﴿مَحِلَّه﴾ [البقرة: ١٩٦]: مَنْحره، يعني الموضع الذي يحلّ فيه نَحره.

﴿مَحِيض﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وحيض واحد. والسائل عن ذلك عبّاد بن بشر وأُسَيْد بن الْحُضَير؛ قالا لرسول الله ﷺ: أَلاَ نجامِعُ نساءَنا في الْمَحِيض خلافاً لليهود؟ فأخبر الله رسوله بأنه أذًى يُجْتَنَب، وعليهم اجتنابُه، وقد فسر ذلك في الحديث بقوله: لتشدّ عليها إزارها وشأنك بأعلاها.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقْرِضُ اللهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]: استفهام يرادُ به الطَّلَب والحضّ على الإنفاق. وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظِر المسلف ردَّ ما أسلف. وروي أن الآية نزلت في أبي الدَّحْدَاح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره.

﴿مَلَأ﴾ : اشتقاقه من ملأت الشيء ، وفلان مليء إذا كان متكثّراً. ومعنى الملأ حيثما ورد في القرآن هم الأشراف والوجوه الذين يملأون العيْن والقَلْب. ومنه الحديث: أولئك المَلَأ من قُريش. وأما قوله تعالى: ﴿ألم تَر إلى الملأ من بني إسرائيل﴾ [البقرة: ٢٤٦] ـ فالمراد بها رؤية قلب؛ وكانوا قوماً قَدْ نَالَتْهم الذِّلَّةُ من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال، فلما أمروا به كرهوه.

﴿مَسّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]: جنون. يقال رجل ممسوس؛ أي مجنون. والمسُّ باليد أيضاً.

﴿موعظة﴾: تخويف سوء العاقبة. والمعنى أن من أخذ الرّبا قبل نزول التحريم فانتهى وتاب فله ما سَلف، وأمره إلى الله. والضمير عائد على صاحب الربا، يعني أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا يؤاخذ به في الدنيا. وقيل الضمير عائد على الربا، والمعنى أمر الربا أتى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿مَوْلانا﴾ : وَلِيُّنَا وناصرنـا. والمولى على ثمانيـة أوجـه: المعتِق، والْمُعْتَـق، والوليّ، والأَوْلى بالشيء، وابن العم، والصهر، والجار، والحليف.

﴿أمَانيّ﴾ [البقرة: ٧٨]: جمع أمنية، ولها ثلاثة معان: ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب. وكذلك تمنَّى لها هذه المعاني الثلاثة.

﴿مَآب﴾ مرجع.

﴿مَفَازة﴾ : مَنْجَاة؛ مَفْعلة من الفَوْز، يقال: فاز؛ أي نجا، والفوز أيضاً: الظفر. ومنه: ﴿إنَّ للمتَّقين مَفَازا﴾ [النبأ: ٣١]، يعني الجنة؛ لأنهم يظفرون فيها بما يريدون.

﴿مَثْنَى وثُلاَث ورُبَاع﴾ [النساء: ٣]: لا ينصرف للعدل والوصف، وهي حالٌ من « ما طاب ». وقال ابن عطية: بدل، وهي معدولة عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها أنَّ الخطابَ لجماعةٍ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرر الناس. والمعنى انكحوا اثنين

أو ثلاثاً أو أربعاً. وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوُّج ما زاد على الأربع. وقال قوم: لا يعبأ بقولهم إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمع منه تسعة؛ وهذا خطأ؛ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع. ولو أراد الجمع لقال «تسع»، ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقلّ بياناً. وأيضاً قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة.

فإن قلت: هل الزيادة لحكمة أم لا؟ فالجواب أن الله تعالى أباح لمن تقدم من اليهود ستّاً، وأباح للنصارى اثنتين، فجعل الله لهذه الأمة الأربع؛ لأنهم خيْرُ الأمم؛ وخير الأمور أوساطها. هذا لمن قَدَر على العدد؛ وأما من لم يقدر فالاقتصار على الواحدة، وما ملكت اليمين أولى؛ رغبة في العدل، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى ألاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

﴿مَقْتاً﴾: بُغْضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿لمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكم أَنْفُسَكم﴾ [غافر: ١٠]؛ فمقتوا أنفسهم، واعترفوا بذنوبهم. وجعل كل واحد يلوم صاحبه؛ فتناديهم الملائكة وتقول: لمقْتُ اللهِ أَكْبَرُ من مقْتكم أنْفُسكم اليوم؛ فقوله: لمَقْتُ اللهِ - مصدرٌ مضافٌ إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه؛ وقوله: ﴿إذْ تُدْعون﴾ [غافر: ١٠] - ظرف للعامل فيه مقت الله من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن مقت الله مصدر، فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته، فيحتاج أن يقدّر للظرف عامل؛ وعلى هذا أجاز بعضهم الوقْف على قوله: أنفسكم، والابتداء بالظرف؛ وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى. وقد جعل الزمخشري مَقْتَ اللهِ عاملاً في الظرف ولم يعتبر الفصل.

وأما قوله تعالى: ﴿إنّه كان فاحشةً ومَقْتاً وساءَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٢٢] - فكانت العرب إذا تزوّج الرجلُ امرأةَ أبيهِ فأولدها يقولون للولد مَقْتِيّ؛ ولذا زاد المقت في هذه الآية؛ لأن هذا المقت أَقْبَح من الزنى.

﴿ما أصابكَ مِنْ حسنَةٍ فَمِنَ اللهِ وما أَصابكَ مِنْ سيِّئةٍ فمِنْ نَفْسِك﴾

[النساء: ٧٩]: هذه الآية خطابٌ للنبيّ ﷺ، والمراد به كل مخاطب على الإطلاق، فدخل فيه غيره من الناس؛ وفيه تأويلان:

أحدهما: نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى النفس تأدباً مع الله، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة؛ وهذا كقوله ﷺ: «والخير كلّه بيدك، والشرّ ليس إليك». وأيضاً فنسبةُ السيئة إلى العَبْدِ لأنها بسبب ذنوبه؛ لقوله تعالى: ﴿وما أَصابكم من مُصيبةٍ فَبِمَا كسبَتْ أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠]، فإنها من العبد بتسبُّبه فيها، ومن الله بالخلقة والاختراع.

والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل. والتقدير يقولون كذا، فمعناها كمعنى التي قبلها.

﴿ما قَد سلَف﴾ [النساء: ٢٣]، المعنى إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام؛ فقد عفا عنكم، ولا تؤاخذون به. هذا في أرجح الأقوال.

﴿ما مَلكَتْ أَيْمَانُكم﴾ [النساء: ٢٤]: يريد السبايا في أشهر الأقوال. والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زَوْجٌ ثم سُبِيَتْ جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها.

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى أَوْطاس فأصابوا سبياً من العدوّ، ولهنّ أزواج من المشركين، فتأثّم المسلمون من غشيانهن؛ فنزلت الآية مُبيحةً لذلك.

﴿مُدْخَلاً كَرِيما﴾ [النساء: ٣١]: اسم مكان، وهو هنا الجنة.

﴿مَغَانمُ﴾ [النساء: ٩٤]، ومَغْنم، وغُنْم: ما أُصيب من أمْوَال المحاربين. وفي هذه الآية وَعْدٌ وتزهيد في مال من أعلنوا الإسلام. وأما المحاربون فقد أباح الله لهذه الأمة أَخْذَها. وهي من خصائص نبيهم عليه الصلاة والسلام.

﴿مَوْقُوتاً﴾ [النساء: ١٠٣]: أي محدوداً بالأوقات. وقال ابن عباس: فرضاً مفروضاً.

﴿مَرِيداً﴾ [النساء : ١١٧] : يعني إبليس ، ومعناه أنه قد عدم من الخير ، وظهر شرُّه ، من قولهم : شجرة مَرْدَاء إذا سقط ورَقُها ، وظهرت عيدانها . ومنه غلام أمرد ؛ إذا لم يكن في وجهه شَعر .

﴿مَحِيصا﴾ [النساء : ١٢١] : أي مَعْدَلاً ومهرباً .

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالحاتِ مِنْ ذكر أوْ أُنْثى وهو مُؤْمن﴾ [النساء : ١٢٤] : دخلت ﴿من﴾ للتبعيض رِفْقاً بالعباد ؛ لأن الصالحات على الكمال لا يُطيقُها البشر ؛ واشترط مع فعلها الإيمان ؛ لأنه لا يقبَل عملٌ إلا به .

﴿مَسِيح﴾. [النساء : ١٥٧] ـ بالحاء المهملة : لقب لعيسى ابن مريم ، ومعناه الصديق ، وقيل الذي لرجله أخْمَص . وقيل الذي لا يمسح ذا عاهة إلا بريء . وقيل الجميل . وقيل الذي يمسح الأَرْضَ ؛ أي يقطعها . وبالخاء المعجمة : الدجّال ، لعنه الله . وقيل بالحاء المهملة .

﴿مَوْقُوذة﴾ [المائدة : ٣] : هي المضروبة بعصا أو حجر وشِبْه ذلك ، ثم تُترك حتى تموت ، وتؤكل بغير ذكاة .

﴿مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة : ٣] : مجاعة .

﴿مَكَّناهُمْ في الأَرْض﴾ [الأنعام : ٦] : ثَبَّتناهم فيها وملكناهم ؛ والضمير عائد على القَرْن ؛ لأنه في معنى الجماعة .

﴿ما المسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسول﴾ [المائدة : ٧٥] : في هذه الآية رَدٌّ على النصارى الذين غَلَوا فيه ، وقالوا : إنه ابن الله . فردَّ اللهُ عليهم بأنه عبده [النساء : ١٧١] وكلمته التي هي كُنْ من غير واسطة أبٍ ولا نُطفة ، ﴿ورُوح منه﴾ ؛ أي ذو رُوح منه ؛ فمِنْ هُنا لابتداء الغاية . والمعنى من عنده ؛ وجعلَه من عنده ، لأنه أرسل به جبريل إلى مريم عليها السلام .

﴿مائدة﴾ [المائدة : ١١٢] : هي التي عليها طعام ؛ فإن لم يكن عليها طعام فهي خِوَان .

فإن قلت: ظاهر سؤالهم نزول المائدة من عيسى عليه السلام يقتضي شكهم في قُدْرةِ اللهِ على إنزالها.

والجواب أنهم لم يشكُّوا في قُدْرَةِ الله، لكنه بمعنى هل يفعل ربُّك هذا؟ وهل تقع منه إجابة إلينا؟ لأن الله أثنى على الحواريّين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعةً تُنْكر.

وقد قرىء: تستطيع ربَّك ـ بالنصب؛ أي هل تستطيع سؤال ربّك؛ وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكّوا، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها، وقالت: كان الحواريون أعرف بِرَبّهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك أن ينزِّلَ علينا مائدة من السماء؛ فموضع ﴿أن﴾ مفعول بقوله: يستطيع، على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدّر على القراءة بالتاء.

﴿وَمَا تَأْتيهم مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهم﴾ [الأنعام: ٤]: مِنْ الأولى زائدة، والثانية للتبعيض أو لبيان الجنس؛ وهذا الخطاب للكفّار.

﴿مَلَكُوتَ السَّمَوات والأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]: قال عِكْرِمة: هو الملك، ولكنّه بكلام النبطيّة ملكوت. وقال الواسطي في الإرشاد: هو الملك بلسان القبط؛ ومعناه أن الله فرج له السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل؛ وهذا يفتقر لصحة نَقْل.

وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقَعْ لأهل زمانه.

وقيل إنما ابْتُلِي بِذَبْحِ وَلَدِه، لأنه رأى في هذا الكَشْف عاصياً، فدعا الله بهلاكه، وكذلك ثان وثالث، فقال الله: احجبوه. وابتلاه بذبح ولده، فقال: يا ربّ صبِّرْني؛ فإنك ابتليتني بما لم تبتل به أحداً قبلي، فنزل عليه جبريل، وقال له: يا إبراهيم؛ أما تذكرُ يوم كَشفَ الله لك الملكوت، ودعوت على عباد الله بالهلاك، أهلكْتَ له ثلاثاً، وهو طلب منك واحداً؛ فقال: يا جبريل؛ وهل تبلغ

رحمته بعباده كرحمتي بولـدي؟ فقال: الله أرحمُ بِعَبْدِهِ منك بولدك. فبكى إبراهيم ففدَّاه الله بذبح عظيم. والواو والتاء في ملكوت زائدتان مثل الرَحموت من الرحمة، والرَهبوت من الرهبة؛ تقول العرب رَهَبوت خَيْرٌ من رَحَموت؛ أي أن ترهب خير من أن ترحم.

﴿مَعْرُوشات﴾ [الأنعام: ١٤١]: مرفوعات على دعـائـم وشِبْهها. وغير معروشات: متروكات على وجه الأرض. وقيل: المعروشات ما غَرسه الناس في العمار. وغير معروشات ما أَنْبَتَه الله في الجبال والبراري.

﴿مَنْ تكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الأنعام: ١٣٥]: يحتمل أن تكون من موصولة في موضع نصب على المفعولية، أو استفهامية في مَوْضِعِ رَفْعٍ بالابتداء، والمرادُ بـ ﴿عاقبة الدارِ﴾ الآخرة؛ وهو الأصح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى الدَّارِ. جنّات عَدْن﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٣].

﴿مَكَانَتِكُم﴾ [الأنعـام: ١٣٥]: أي تمكنكـم. والأمـر هنـا في قـولـه: ﴿اعملوا﴾ [الأنعام: ١٣٥] للتهديد.

﴿مَسْفُوحاً﴾ [الأنعام: ١٤٥]: مصبوباً.

﴿مَعَايش﴾ [الأعراف: ١٠، الحجر: ٢٠]: بغير همز؛ لأنها مفاعل من العَيْش، واحدها معيشة، والأصل معيشة على مَفْعلة؛ وهي ما يُعَاشُ به من النبات والحيوان وغير ذلك.

﴿مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ [الأعـراف: ١٨]: مـن ذأمـه بـالهمـز إذا ذمّـه. والمدحور: المطرود حيث وقع. والمراد به إبليس لعنه الله؛ لأن الله أبعده.

﴿ما سبَقَكُمْ بها مِنْ أحَدٍ مِنَ الْعَالَمين﴾ [الأعراف: ٨٠]؛ أي لم يفعلها أحد من العالمين قَبْلكم. ومن الأولى زائدة، والثانية للتبعيض أو للجنس.

﴿وَمَا كان جوابَ قَوْمِه﴾ [الأعراف: ٨٢]: يعني أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله.

﴿مَدْين﴾ [الأعراف: ٨٥]: اسم أرض قوم شُعيب، كانوا يَبْخَسُونَ الكَيْلَ والوَزْنَ، فبعث الله لهم شُعَيباً ليَنْهاهم عن ذلك.

فإن قلت: هل المراد به الأيكة المذكورة في الشعراء [١٧٦] ومعناها الغَيْضَة، ولِمَ قال في الأعراف أخوهم كما قال في قصة نوح وحذفه من الشعراء؛ فدل على أنهم قبيلتان.

والجواب أنه بُعث إلى مَدْيَن، وكان من قبيلتهم، فنسبه إلى إخوتهم، وبعث أيضاً إلى أصحاب الأيكة، ولم يكن منهم؛ فلذلك لم يقل أخوهم؛ فكان شعيب على هذا مبعوثاً إلى القبيلتين.

وقيل: إن أصْحَاب الأيكة مَدْين، ولكن قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يَقُلْ أخوهم حين نسبَهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهاً لشُعَيْبٍ عن النسبة إليها. وقرىء الأيكةِ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحِجْر [١٨]، و﴿ق﴾ [١٤]؛ ومعناه الغَيْضَة كما قدمنا. وقرىء في الشعراء [١٧٦] بفتح اللام والتاء، فقيل: إنه مسهَّل من الهمز. وقيل إنه اسمُ بلدهم. ويُقَوِّي هذا على القول إن هذه القراءة بفتح التاء غير منصوب؛ فدلّ ذلك على أنه اسم علم. وضَعَّفَ ذلك الزمخشري، وقال: إنَّ «ليكة» اسمٌ لا يُعْرف.

﴿ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قدْرِه﴾ [الأنعام: ٩١]: أي ما عرفوه حقَّ معرفته في اللّطْف بعباده والرحمة لهم؛ إذْ أنكروا بعثةَ الرُّسُل وإنزاله الكتب. والقائلون: ﴿ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] هم اليهود، بدليل ما بعده؛ وإنما قالوا ذلك مبالغةً في إنكار نبوءة نبينا ومولانا محمد ﷺ.

ورُوِي أنَّ الذي قالها منهم مالك بن الصَّيْف؛ فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به، وهو إنزال التوراة على موسى.

وقيل القائلون قريش وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مُقرِّين بالتوراة.

﴿مكان السّيئة الحسنة﴾ [الأعراف: ٩٥]: أي أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختباراً لهم في الحالتين.

﴿ما وَجَدْنَا لأَكْثَرِهم مِنْ عَهْد﴾ [الأعراف: ١٠٢]: الضمير لأهل القرى. والمعنى وجدناهم ناقضين العهود. ومِصْداقُ ذلك أني سميتهم بشراً فتلا الاسم شر.

﴿ما تَنْقِمُ منّا إلاَّ أنْ آمنّا بآياتِ رَبِّنا﴾ [الأعراف: ١٢٦]: أي ما تعيب منا إلا إيماننا بموسى. وهذا قول السَّحَرة لما شاهدوا ما أعجز البشر.

وروي أنهم انطلقو إلى قُبُور أشياخهم يطلبون منهم تَبْيِين الحال، وقالوا لهم: انظروا إلى العصا؛ فإن رأيتموها ضامرةً فاعلَموا أنها من عند الله، وإن رأيتموها مجوّفة بعد بلعها لسحركم فليست هي من عند الله.

﴿مَهْمَا تَأْتِنَا به مِنْ آيةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢]: الضمير عائد على مهما؛ وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها بآية، أو على وجه التهكم.

﴿مَشَارِقَ الأرضِ ومَغَارِبَها﴾: [الأعراف: ١٣٧]: المراد بها مصر والشام فقط.

﴿ما كانوا يَعْرِشُون﴾ [الأعراف: ١٣٧]: أي يبنون. وقيل الكروم وشبهها؛ فهو على الأوّل من العرش وعلى الثاني من العريش.

﴿فمثَلُه كمثَلِ الْكلْب﴾ [الأعراف: ١٧٦]: المثل له أربعة معان: الشبيه والنَّظِير، ومنه المثل المضروب، وأصله من التشبيه. ومثل الشيء حاله وصفته. والمثل الكلام الذي يتمثّل به، ومثل الشيء بكسر الميم شبهه، والضمير عائد على الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها. وقد قدمنا الخلاف فيمن نزلت. وهذا المثل في غاية الخسّة والرداءة؛ قال ﷺ: «ليس لنا مثل السوء، العائد في هِبته كالكلب يعود في قَيْئه».

﴿مَثَلُ القَوْمِ الذين كذَّبُوا بآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦]؛ أي صفة المكذّبين كصفة الكلب في لهثه، أو كصفة الرجل المشبّه به؛ لأنهم إن أتوها لم يهتدوا،

وإن تركوها لم يهتدوا. وشبّههم بالرجل [الأعراف: ١٧٥] في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات.

﴿مَتِين﴾ [الأعراف: ١٨٣]: شديد، وسمى الله فعله بهم كَيْداً [الأعراف: ١٨٣]؛ لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿ما بِصاحبهم مِنْ جِنَّة﴾ [الأعراف: ١٨٤]: يعني بالصاحب النبي ﷺ، فنفى عنه ما نسبه المشركون له من الجنون.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ما بصاحبهم مِنْ جِنّة﴾ معمولاً لقوله: ﴿أَوَ لَمْ يتفَكّرُوا﴾ [الأعراف: ١٨٤]، فيعلموا أن ما بصاحبهم من جِنَّة.

ويحتمل أن يكونَ الكلام قد تَمَّ في قوله: أو لم يتفكروا، ثم ابتدأ إخباراً، مستأنفاً بقوله: ما بصاحبكم من جِنَّة. والأول أَحسن.

﴿ما خلَقَ اللهُ﴾ [الأعراف: ١٨٥]: عطف على الملكوت [الأعراف: ١٨٥]، ويعني بقوله: ﴿مِنْ شيء﴾. جميع المخلوقات؛ إذ جميعها دليل على وَحْدَانيَّة خالقها.

﴿ما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]: الخطاب بهذا لنبيّنا ومولانا محمد ﷺ؛ وذلك أنه أخذ يوم بَدْرٍ قبضةً من تُرَابٍ أو حصا، ورمى بها في وجوه الكفار، فانهزموا.

وفي الآية إخبار أن ذلك من الله في الحقيقة، وأنه ليس في قدرة البشر قَتْل من قتل، كما قال: ﴿فَلَمْ تَقتلوهم ولكنَّ اللهَ قَتَلهم﴾.

﴿وما كان الله لِيُعَذّبهم وأَنْتَ فيهم وما كان اللهُ مُعَذِّبَهُم وهم يَسْتَغْفِرُون﴾ [الأنفال: ٣٣]: في هذه الآية إكرام لنبينا ومولانا محمد ﷺ، وإخبار بأنهم لو آمنوا واستَغْفَرُوا لأَمِنُوا من العذاب.

قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب؛ وهما وجوده ﷺ، والاستغفار. فلما مات ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر.

وقيل الضمير في ليعذبهم للكفار، وفي: وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أَظْهُرِهم.

فعليك بكثرة الاستغفار تُمْحَى صحيفتك من الأوزار. قال ﷺ: طُوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً. وفي الأحاديث القدسية: يقول الله تعالى فيمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً: امْحُوا لعَبْدِي ما بين طرفي الصحيفة.

﴿وما لهم ألاَّ يُعذبهم اللهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]: المعنى أي شيء يمنعهم من العذاب وهم يصدُّون المؤمنين عن المسجد الحرام؟ والجملة في موضع الحال.

﴿ما كانوا أولياءَه﴾ [الأنفال: ٣٤]: الضمير للمسجد الحرام، أو لله.

﴿ما كانَ صَلاَتُهم عِنْدَ البيت﴾ [الأنفال: ٣٥]: قد قدمنا في حرف التاء معنى هذه الآية، والضمير عائد على قريش.

﴿مَضَتْ سنَّةُ الأوّلين﴾ [الأنفال: ٣٨]: تهديد بما جرى لهم يوم بدر، أو بما جرى للأمم السالفة.

﴿غَنِمْتم مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١]: لفظه عام، يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفّار منها ما يُخْمَس، وهو ما أخذ على وجه الغَلَبة بعد القتال؛ ومنها ما لا يُخْمس؛ بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ما أخذه مَنْ كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وما طرحه العدوّ خوف الغرق؛ ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائره في مصالح المسلمين، وهو الفيء الذي لم يوجف عليه بِخَيْلٍ ولا رِكاب.

﴿ما أنزلنا على عَبْدِنَا يوم الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقى الجَمْعَان﴾ [الأنفال: ٤١]: يعني بالعبد نبينا ومولانا محمداً ﷺ، والذي أُنْزِل عليه: القرآن والنصر. والمراد بالفرقان التفرقة بين الحقّ والباطل. والجَمْعَان يعني به المسلمين والكفار.

﴿مَنَامِكَ﴾: نومك، كقوله: ﴿إذ يُـرِيكَهُـمُ اللهُ في مَنَـامِـكَ قليلاً...﴾ [الأنفال: ٤٣] الآية. والخطاب بها لنبينا ومولانا محمد ﷺ؛ لأنه قد رأى

الكفّارَ في نومه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه، فقويت نفوسُهم. ويقال منامك عيْنك؛ لأن العيْنَ موضع النوم.

﴿ما كان لنبيّ أن يكـونَ لـه أسْـرَى﴾ [الأنفـال: ٦٧]: لما أخـذ ﷺ الأَسرى يوم بَدْرٍ أشار أبو بكر الصديق بحياتهم، وأشار عمر بقَتْلهم؛ فنزلت الآية؛ فقال ﷺ: لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر.

﴿ما كان للمشركين أنْ يَعْمُروا مساجدَ الله﴾ [التوبة: ١٧]: أي ليس لهم ذلك بالحق الواجب، وإن كانوا قد عمروها تغليباً وظُلْماً. ومن قرأ مساجد - بالجمع - أراد جميع المساجد. ومن قرأ مسجد - بالإفراد - أراد المسجد الحرام.

﴿ما لكم إذا قيل لكم انْفِرُوا في سبيل الله﴾ [التوبة: ٣٨]: هذه الآية عتاب لمن تخلَّفَ عن غَزْوَةِ تَبُوك.

﴿مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]: طريق. والجمع مَرَاصد.

﴿ما زادُوكم إلاَّ خَبَالاً﴾ [التوبة: ٤٧]: أي شَرّاً وفساداً. والضمير راجع لعبد الله بـن أُبيّ بن سَلُول، والجدّ بن قيس، وأصحابهما.

﴿مع الْقَاعِدِين﴾ [التوبة: ٤٦]: مع النساء والصبيان وأهل الأعذار؛ وفي ذلك ذمٌّ لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

﴿ما منَعهم أنْ تُقْبَلَ منهم نَفَقَاتُهم إلاَّ أنهم كَفَرُوا باللهِ وبرسوله﴾ [التوبة: ٥٤]؛ تعليل لعدم قَبُول نفقاتهم بكفرهم. ويحتمل أن يكون ﴿أنهم كفروا﴾ فاعل ما منعهم، أو في موضع المفعول من أجله، والعامل الله.

﴿مَلْجَأً أوْ مَغَارَاتٍ أو مُدَّخَلاً﴾ [التوبة: ٥٧]: أي ما يلجأون إليه من المواضع، ومغارات في الجبال؛ ووَزْن مُـدّخَـل مفتعـل مـن الدخـول، ومعنـاه ﴿سَرَباً﴾ في الأرض.

﴿ما على المحسنين مِنْ سَبِيل﴾ [التوبة: ٩١]: وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم نصحوا الله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

﴿مَرَدُوا على النِّفَاق﴾ [التوبة : ١٠١] : أي أقاموا عليه .

﴿ما كان للنبيّ والذِين آمَنُوا أن يَستَغْفِرُوا للمشركين﴾ [التوبة : ١١٣] : نزلت في شأن أبي طالب لما امتنع من الإيمان عند موته . قال ﷺ : والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك ، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية .

وقيل : إن رسول الله ﷺ استأذن ربّه في أن يستغفر لأمّه ، فنزلت الآية . وهذا القول يردُّه حكاية السهيلي في أن الله أحيا له أباه وأمه ، فأسلما . وأما أبو طالب فالاعتقاد أن الله خفَّف عنه العذاب ، كما صح أنه في ضَحْضَاحٍ من نارٍ لِذَبِّهِ عنه ﷺ وبِرّه به .

﴿ما كان اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهم﴾ [التوبة : ١١٥] : نزلت في قومٍ من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك ، فنزلت الآية تأْنيساً لهم ؛ أي ما كان ليُؤاخذكم بذلك قبل أن يتبين لكم المنع من ذلك .

﴿ما كاد يَزيغ قلوبُ فريقٍ منهم﴾ [التوبة : ١١٧] : يعني تزيغ من الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج في تلك الغَزْوَة ، لما رأوْا من الضيق والمشقّة . وفي كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع به القلوب .

﴿مَغْرَما﴾ [التوبة : ٩٨] : أي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقلَ المَغْرم الذي ليس بحقّ عليه .

﴿مع الصادقين﴾ [التوبة : ١١٩] : يحتمل أن يريد صِدْقَ اللسان ؛ إذ كان هؤلاء الثلاثة الذي تخلَّفُوا عن رسول الله ﷺ قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب ، فنفعهم اللهُ بذلك . ويحتمل أن يكون أعم من صدق اللسان ، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزم ؛ والمراد بالصادقين المهاجرين ؛ لقول الله في الحشر [٨] : ﴿للفُقَراء المهاجرين...﴾ إلى قوله : ﴿أُولئك هم الصادقون﴾ . وقد احتجَّ بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السَّقِيفة ، فقال : نحن الصادقون . وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ؛ أي تابعين لنا .

﴿مع الذين أَنْعَم اللهُ عليهم...﴾ [النساء : ٦٩] الآية هذه مفسِّرة لقوله: ﴿صِرَاط الذين أنْعَمْتَ عليهم﴾ [الفاتحة : ٧]. والصدّيق فعّيل من الصدق أو من التصديق. والمراد بها المبالغة. والصدّيقون أَرْفَعُ الناس درجة بعد الأنبياء، كالغريق وصاحب الهَدْم، حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة.

﴿وما لكم لا تُقَاتِلُون في سبيل الله﴾: [النساء : ٧٥]: تحريض على القتال. وما مبتدأ والجار والمجرور خبره، ولا تقاتلون في موضع الحال.

﴿متاعُ الدُّنْيَا قَلِيل﴾ [النساء : ٧٧]: هذه الآية تحقير للدنيا، وفيها الردُّ على من يكرَهُ الموتَ، ولا يبذل نفسه في مرضاة الله وفاءً بالعهد الذي عاهد عليه الله.

﴿مَا لِهؤلاءِ الْقَومِ﴾ [النساء : ٧٨]: توبيخ على قلةِ فَهْمهم.

﴿ما أَرسلناك عليهم حَفِيظاً﴾ [النساء : ٨٠]: أي من أعرض عن طاعتك يا محمد، فما أنت عَلَيْهِ حفيظ، تحفظ أعماله؛ بل حسابه وجزاؤه على الله. ﴿إنْ عليكَ إلاَّ البلاغ﴾ [الشورى : ٣٨]. وفي هذا مثاركة ومُوَادعة منسوخة بالقتال.

﴿ما كان لأَهْلِ المدينة...﴾ [التوبة : ١٢٠] الآية: عتاب لمن تخلّف عن غَزْوَة تَبُوك من أهل يَثْرب، ومَنْ جاورها من قبائل العرب.

﴿ما كان المؤمنون لِيَنْفِرُوا كافَّة﴾ [التوبة : ١٢٢]: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في التفاوت في الخروج إلى الغَزْوِ والسرايا؛ أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه؛ ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى في الخروج معه ﷺ، وهذه في السرايا التي كان يبعثُها.

وقيل هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع؛ فهو دليل على أن الجهاد فَرْضُ كفايةٍ لا فرض عَيْن.

وقيل: هي في طلب العلم على البعض؛ لأنه فرض كفاية.

﴿ما مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِن بعد إذْنِه﴾ [يونس: ٣]: أي لا يشفع إليه أحد إلاَّ مِنْ بعد أنْ يأذنَ له في الشفاعة. وفي هذا ردٌّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفَعُ لهم.

﴿ما خلق اللهُ ذلك إلا بالحقّ﴾ [يونس: ٥]؛ أي بدء الخلق، وضياء الشمس، ونور القمر، وسيره في المنازل؛ وجميع ما خلق إنما هو لحكمةٍ لا لعَبَث.

﴿ما تَلَوْتُهُ عليكم﴾ [يونس: ١٦]؛ أي ما تلوْتُه إلا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده لا من عندي.

﴿ما لهم مِنَ اللهِ من عَاصِمٍ﴾ [يونس: ٢٧]: الضمير يعود على من كسب السيئات؛ يعني أنه لا يعصمهم أحد من عذاب الله.

﴿ما جِئْتُم به السِّحْرُ﴾ [يونس: ٨١]: ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر - وقريء آلسِّحْرُ - بالاستفهام؛ فما على هذا استفهامية والسحر خبر ابتداء مُضمَر.

﴿ما آمَنَ لِمُوسَى إلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣]: الضمير عائد على موسى، ومعنى الذرية شبّان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون. وقيل: إن الضمير عائد على فرعون.

وروي في هذا أنها امرأة فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه. وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور.

﴿ما اختَلَفُوا حتّى جاءَهم العِلْم﴾ [يونس: ٩٣]: قيل يريد اختلافَهم في دينهم. وقيل اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿وما تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُون﴾ [يونس: ١٠١]؛ يعني مَنْ قضى الله عليه أنه لا يؤمن. وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿مَنْ كان يُريد الحياةَ الدُّنْيَا وزِينَتَها...﴾ [هود: ١٥] الآية. نزلت في الكفار الذين يُريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدقون بها.

وقيل نزلت في أهل الرِّبا من المؤمنين الذين يُريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث: في الغازي والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال ذلك لهم: أوّل مَن تسعّر به النار.

والأول أوضح؛ لتقدم ذكر الكفَّار المناقضين للقرآن. وإنما قصد بهذه الآية أولئك.

﴿ما كانوا يَسْتَطِيعونَ السَّمْعَ...﴾ [هود: ٢٠] الآية. ما نافية. والضمير للكفّار. والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يُبصرون؛ كقوله: ﴿خَتَمَ اللهُ على قُلوبهم وعلى سَمْعِهم﴾ [البقرة: ٧]. وقيل غير ذلك، وهو بعيد.

﴿مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سَبِيلِ الله﴾ [البقرة: ١٦١]: ظاهره الجهاد. وقد يُحْمل على جميع وجوه البرِّ، فمثّل الله بهذه الآية أنَّ الحسنة بسبعمائة، كما جاء في الحديث: إن رجلاً جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة ».

﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أو نذَرْتُم مِنْ نَذْرٍ فإنَّ اللهَ يَعْلَمُه﴾ [البقرة: ٢٧٠]: ذكر نوعين، وهما ما يفعله الإنسان تبرُّعاً، وما يفعله بعد إلزامه لنفسه بالنذر. وفي قوله: ﴿فإن اللهَ يَعْلَمُه﴾ وعْد بالثواب. وفي قوله: ﴿وما للظالمين مِنْ أَنصار﴾ [البقرة: ٢٧٠] وعِيد لمن يمنعُ الزكاة، أو يُنْفِق لغير الله.

﴿وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فلأَنْفُسكم...﴾ [البقرة: ٢٧٢] الآية: يعني منفعته لكم. وقيل: إنه خبر عن الصحابة، أي أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكيةٌ لهم، وشهادةٌ بفضلهم.

وقيل: ما تنفقون نفقةً تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حَضٌّ على الخلاص.

﴿مَثَلُ الفَرِيقين كالأعمى والأَصَمّ والبصِير والسَّمِيع﴾ [هود: ٢٤]: شبَّه الكافر في هذه الآية بالأعمى وبالأصم. وشبه المؤمن بالسميع وبالبصير؛ فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثلين. وقيل: التقدير كالأعمى والأصم والبصير والسميع؛ قالوا: ولعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد، وهو مَنْ جمع بين السمع والبصر؛ وتمثيل للكافر بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصَّمَم.

﴿ما آمَنَ مَعَهُ إلا قليل﴾ [هود: ٤٠]: قيل كانوا ثمانين. وقيل عشرة. وقيل ثمانية. والضمير لنوح. فتأمَّل الفعل الربّاني في طول بقائه معهم، وقلّة مَنْ آمن منهم.

﴿مَوْجٍ كالجِبَال﴾ [هود: ٤٢]: رُوِي أن الماء طبق ما بين السماء والأرض، فصار الكلُّ كالبحر. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ وأين كان الموج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال.

﴿مَعْزِلٍ﴾ [هود: ٤٢]: أي في ناحية، فناداه نوح: يا بنيّ، اركَب معنا ولا تكن مع الكافرين، فلم يلتفت له، فنادى نوح ربه إن ابني من أهلي، وإنّ وَعْدَك الحق، وأنت أحكم الحاكمين. فقال: فلا تسْأَلْنِ ما ليس لكَ به عِلْم؛ هل هو صواب أو غير صواب حتى تقف على كُنْهه.

فإن قلت: لِمَ سمّي نداؤه سؤالاً ولا سؤال فيه؟ فالجواب أنه تضمَّن السؤال، وإن لم يصرّح به، ولما أجابه الله بقوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين - بكى أربعين سنة على هذه الكلمة.

فإن قلت: ما الفرق بين هذا وبين قوله لنبينا محمد ﷺ: ﴿فلا تكُونَنَّ مِن الْجَاهلين﴾ [الأنعام: ٣٥]. فالجواب أنَّ نوحاً كان كبيراً ونَبِيّنا كان شابّاً، فقال له ذلك لحداثة سنّه. وأيضاً فنوح كان صفيّاً ومحمد حبيباً، ولإفراط المحبة فيه تكون الغيرة عليه أعظم، ولا أحد أعظم غيرة من الله. وينبغي أن يكون الحبيب أكثر اجتهاداً وحِرْصاً على طاعة محبوبه. وعلى ذلك جرى الخطاب معه في القرآن.

﴿ما جئْتَنا ببيِّنةٍ﴾ [هود: ٥٣]؛ أي بمعجزة؛ وذلك كذبٌ من قول قوم هود وجحودٌ. أو يكون معناه تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية.

﴿ما مِن دابَّةٍ إلاَّ هو آخِذٌ بنَاصِيتِها﴾ [هود: ٥٦]؛ أي في قبضته، وتحت قَهْرِه؛ والأَخْذُ بالناصية تمثيل لذلك. وهذه الجملة تعليل لقوله: ﴿توكَّلْتُ على الله ربي وربكم﴾ [هود: ٧٣].

﴿مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]: هو من المجد، وهو العلو، أو الشرف؛ من قولك: امْجِدْ الدابة علفاً؛ أي أكثر وزد.

﴿مَالَنَا في بَنَاتِك مِن حَقّ﴾ [هود: ٧٩]: هذا من قول قَوْمِ لوط لما عرض بناته للزواج عليهم لِيَقِيَ أَضْيافه بهنّ، فأعرضوا عنه، وقالوا له: لا أرب لنا إلا في إتْيَان الرجال.

﴿مَنْضُود﴾ [هود: ٨٢]: أي مضموم بعضه فوق بعض.

﴿ما هِيَ من الظالمين بِبَعِيد﴾ [هود: ٨٣]: الضمير للحجارة [هود: ٨٢]، والمراد بالظالمين كفَّارُ قريش، فهذا تهديد لهم؛ أي ليس الرَّمْيُ بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم.

وقيل الضمير للمدائن؛ فالمعنى ليست ببعيد منهم، فلا يعتبرون بها؛ كقوله تعالى: ﴿ولقد أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْء﴾ [الفرقان: ٤٠]. وقيل: أراد الظالمين على العموم.

﴿ما أُرِيد أَن أُخالِفَكم إلى ما أَنْهَاكُمْ عنه﴾ [هود: ٨٨]: يقال: خالفني فلان إلى كذا، إذا قصده وأنت مُوَلّ عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده.

﴿فما لكم في المنافقين فِئَتَيْن﴾ [النساء: ٨٨]: ما استفهامية بمعنى التوبيخ،

والخطاب للمسلمين. ومعنى فئتين أي طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال.

والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين، فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا؛ ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغْنَمُوا تجارتهم؛ لأنهم لم يهاجروا، أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون.

وقال زيد بن ثابت: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أُحُد، فاختلف الصحابة في أمرهم. ويرد هذا: حتى يهاجروا.

﴿مِثْلُ ما أصابَ قَوْمَ نُوح أو قَوْمَ هود أو قَوْمَ صالح، وما قَوْمُ لُوطٍ منكم ببَعِيد﴾ [هود: ٨٩]؛ أي لا تكسبنّكم عَدَاوتي أن يصيبكم مثل عذابِ الأمم المتقدمة؛ وإنما قَرُب قوم لوط منهم لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكة إليهم. ويحتمل أن يريد في البلاد.

﴿ما أَغْنَتْ عنهم آلِهتُهم التي يَدْعُون من دونِ الله مِنْ شي﴾ [هود: ١٠١] حجة على التوحيد، ونفي للشرك، لو عقلوا.

﴿ما دامَت السمواتُ والأرضُ إلاَّ ما شاء ربُّك﴾ [هود: ١٠٨]: فيه وجهان: أحدهما ـ أن يُراد بها سموات الآخرة وأرضها؛ وهي دائمة أبداً. والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد؛ كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك؛ مما يُقصد به الدوام. وفي هذا الاستثناء ثلاثة أقوال:

قيل: إنه على طريق التأدّب مع الله؛ كقولك: إن شاء الله، وإن كان الأمر واجباً.

وقيل المراد زمان خروج المُذْنبين من النار، ويكون ﴿الذين شَقُوا﴾ [هود: ١٠٦] على هذا يعمُّ الكفار والمذنبين.

وقيل استثني مدة كونه في الدنيا وفي البرزخ. وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني.

﴿مَجْذُوذ﴾ [هود: ١٠٨]: مقطوع. يقال جذذت وحذَذْتُ، أي قطعت.

﴿ما يَعْبُدونَ إلاَّ كما يَعْبُدُ آباؤهم من قَبْلُ﴾ [هود: ١٠٩]؛ أي هم متَّبِعون لآبائهم تقليداً من غير برهان؛ كقوله: ﴿إنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّة وإنّا على آثارِهم مُهْتَدُون﴾ [الزخرف: ٢٢].

﴿ما لكَ لا تَأْمَنّا على يوسف﴾ [يوسف: ١١]: أي لِمَ تخاف عليه منا؛ وقرأ السبعة تَأْمنّا بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى.

﴿ما أنْتَ بمُؤْمنٍ لَنا﴾ [يوسف: ١٧]: أي بمُصَدِّقٍ لمقالنا، ولو كنّا صادقين، فكيف وأنت تتهمنا. وقيل: معناه لا تصدقنا ولو كنا صادقين في هذه المقالة؛ فذلك على وجه المغالطة منهم. والأول أظهر.

﴿مَثْوَاه﴾ [يوسف: ٢١]: مقامه.

﴿ما جَزَاءُ مَنْ أَرادَ بأَهْلِكَ سُوءاً﴾ [يوسف: ٢٥]: هذا من قول زليخا لما رأت الفضيحة عكست القضية وادّعَتْ أنَّ يوسف راوَدها عن نفسها، فذكرت جزاء مَنْ فعل ذلك على العموم، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم، وبناء على أن الذَّنْبَ ثابت عليه بدعواها لصدقها عنده. ويحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية.

﴿ما هذا بشراً إنْ هذا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيم﴾ [يوسف: ٣١]: هذا من قول النسوة اللواتي عظَّمْنَ شأْنَه وجماله حتى قطّعن أيديهن، وهن لا يشعرن، كما يقطع الطعام.

﴿رَأَوُا الآياتِ﴾ [يوسف: ٣٥]: أي الأدلة على براءته من شهادة الصبي وغير ذلك. وضمير الجمع يعود على الزوْج والمرأة ومن تشاور معها على ذلك.

﴿ما تعبدونَ مِنْ دُونِه إلاَّ أَسماءً﴾ [يوسف: ٤٠]: وقع الأسماء هنا موقع المسميات. والمعنى سميتم آلهةً ما لا يستحق الإلهية ثم عبدتموها.

﴿ما نَحْنُ بِتَأْوِيل الأَحلامِ بعالمين﴾ [يوسف: ٤٤]: إما أن يريد تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على الإطلاق؛ وهو أظهر.

﴿ما قَدَّمْتُم لَهُنَّ﴾ [يوسف: ٤٨]؛ أي يأكلن فيها ما اختزنتم من الطعام في سُنْبله، وإسناد الأكل إلى السنين على جهة المجاز.

﴿ما عَلِمْنا عليه مِنْ سُوء﴾ [يوسف: ٥١]: هذا كلام النِّسوة اللاتي نَزَّهْنَ يوسف عن مُراودته لهن، أو لامرأة العزيز.

﴿ما أُبَرِّيءُ نفسي﴾ [يوسف: ٥٣]: اختلف هل هذا من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؛ فإن كان من كلامها فهو اعترافٌ بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما همّ به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد. أو قاله في عموم الأقوال على وجه التواضع.

﴿ما رَحِمَ ربي﴾ [يوسف: ٥٣]: استثناء من النَّفْس؛ إذ هي بمعنى النفوس؛ أي إلا النفس المرحومة، وهي المطمئنة، فما على هذا بمعنى الذي. ويحتمل أن تكون ظرفية؛ أي إلى حين رحمة الله.

﴿مَكِينٌ أَمِين﴾ [يوسف: ٥٤]: تأمّل حُسْن السياسةِ من هذا الملك في قوله: أَستَخْلِصه لنفسي. فلما كلّمه وظهَر له وُفُورُ عقله، وحسن كلامه قال له: إنَّك لَدَيْنَا مَكِين أمين، مَكِين من التمكن؛ والأمين من الأمانة؛ فهكذا ينبغي ألاَّ يصطفي الإنسان لنفسه صاحباً إلاَّ بعد الاختبار والامتحان؛ إذ بعدهما يعزّ المرء أو يُهان. يشهد لذلك الحديث: هل سافرت معه؟ هل بايعته؟ هل شاريته؟.

﴿مَكَّنّا ليوسفَ في الأرض﴾ [يوسف: ٥٦]: إشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صُنْع الله به. ورُوي أن الملكَ أسند إليه جميع الأمور حتى تغلّب على جميع

الأمور، وأن امرأة العزيز شابت وافتقرت فتزوَّجها يوسف. ورد الله عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القَحْط في السنة الأولى بالدنانير والدراهم حتى لم يَبْقَ لهم شيء منها، ثم بالحلي ثم بالدوابّ ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى تملَّكهم جميعاً، ثم أعتقهم ورد أملاكهم عليهم.

تنبيه

على قدر النعمة تكون النِّقْمة؛ لم يصل يوسفُ عليه السلام إلى هذا حتى امتحن بفراق أبَوَيْه، وبالجُبّ وبالسجن، واللوم والتعيير، فكيف تطمع باللحوق إلى منزل الكرامة الباقية دون امتحان رسول الله: بقي في السجن بقوله: اذكرني عند ربك ـ سبع سنين؛ فكيف حال مَنْ عصى مولاه سبعين سنة، فإن لم تمتحن نفسك بطاعة مولاك فلا بد لك أن تخرج من سجن الدنيا إلى ظُلمة القبر وهول المحشر وتطاير الصحف والحساب والميزان والجواز على الصراط ـ على مَتْنِ النار، وعليه كلاليب مثل شَوْك السَّعْدان، وكلّ مارّ عليه يذهل عن الأهل والإخوان، وكيف لا والأنبياء يقولون اللهم سلّم سلم؛ فإن عفا عنك مولاك جعل دار كرامته مَأْوَاك، وإلاَّ فتسقط فيها لأنها مَثْوَاك، وبئس مَثْوَى المتكبرين. اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ما نَبْغِي هذه بضاعَتُنا ردّتْ إلينا﴾ [يوسف: ٦٥]: ما استفهامية، ونبغي بمعنى نطلب. والمعنى أي شيء نطلب بعد هذه الكرامة، وهي رد البضاعة مع الطعام.

ويحتمل أن تكون ما نافية، ونبغي من البغي؛ أي لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك.

﴿ما كان يُغْنِي عنهم مِنَ اللهِ من شيء﴾ [يوسف: ٦٨]: جواب ﴿لما﴾. والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضى الله.

﴿ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ في الأرض﴾ [يوسف: ٧٣]: استشهدوا بعلمهم لما ظهر

من ديانتهم في دخولهم أرضهم حين كانوا يجعلون الأكمّة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس.

﴿ما كان لِيَأْخُذَ أخاهُ في دِينِ المَلِك﴾ [يوسف: ٧٦]: في شرعه وعادته.

﴿مَعَاذ الله﴾ [يوسف: ٧٩]: وعَوْذه وعياذه بمعنى واحد؛ أي أستجير بالله.

﴿ما شَهِدْنَا إلا بما عَلِمْنَا وما كُنّا للغَيْبِ حافظين﴾ [يوسف: ٨١]: أي قولنا لك إنَّ ابْنَكَ سرق إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى، ولا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر أم لا؛ إذ يمكن أن دُسّ الصاعُ في رحله من غير علمه.

وقال الزمخشري: المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقّناه؛ لأن الصاع استخرج من وعائه.

﴿وما كُنّا للغَيْبِ حافظين﴾ [يوسف: ٨١]: أي ما علمنا أنه يسرق حين أعطيناك الميثاق. وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول.

﴿ما فَعَلْتُم بيوسفَ وأَخيه﴾ [يوسف: ٨٩]: لما شكوا إليه رَقَّ لهم وعرَّفهم بنفسه. ورُوي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لِثَام، ثم أزال اللثام ليعرفوه، وأراد بقوله: ﴿ما فَعَلْتُم بيوسف وأخيه﴾ التفريق بينهما في الصغر، ومضرتهم ليوسف، وإذاية أخيه من بعده؛ فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه.

﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ [يوسف: ٩٩]: هنا محذوفات يدل عليها الكلام؛ وهي فرحل يعقوب، وترك أهله حين بلغه أمر يوسف...

﴿ما كُنْتَ لدَيْهم﴾ [يوسف: ١٠٢]: الخطاب للنبي ﷺ تأكيداً لمحبته. والضمير لإخوة يوسف.

﴿ما أَكثر النَّاسِ ولو حَرصْتَ بمُؤمنين. وما تسألهم عليه مِنْ أَجْر﴾

[يوسف: ١٠٣، ١٠٤]؛ أي لا يؤمن أكثر الناس ولو حرصْتَ على إيمانهم، ولست تسألهم أجراً على الإيمان فيثقل عليهم بحسب ذلك. وهكذا معناه حيث وقع.

﴿ما يُؤْمِنُ أكثرُهُم إلاَّ وهم مُشْرِكُون﴾ [يوسف: ١٠٦]: نزلت في كفار العرب الذين يُقِرُّونَ بالله ويعبدون معه غيره. وقيل في أهل الكتاب لقولهم: عُزَير ابن الله.

﴿ما أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالا﴾ [يوسف: ١٠٩]: رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر. وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء. واختلف في مريم والصحيح أنها صدّيقة.

﴿ما كان حديثاً يُفْتَرى﴾ [يوسف: ١١١]: يعني القرآن؛ وهذا أحد أسمائه.

قال الجاحظ: سَمَّى اللهُ كتابَه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية.

وقال أبو المعالي عَزِيزي بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلة في كتاب البرهان: اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً:

كتاباً، ومُبيناً في قوله: ﴿حم. والكتابِ المُبِين﴾ [الدخان: ١، ٢]
وقرآناً وكريماً في قوله: ﴿إنه لقرآنٌ كَرِيم﴾ [الواقعة: ٧٧]
وكلاماً: ﴿حتى يَسْمَعَ كلاَمَ الله﴾ [التوبة: ٦]
ونوراً: ﴿وأنزلنَا إليكم نُوراً مُبِينا﴾ [النساء: ١٧٤]
وهدى ورحمة في قوله: ﴿وهُدًى ورَحْمةً للمُحْسنين﴾ [لقمان: ٣].
وفُرْقاناً: ﴿نَزَّلَ الفُرْقَان على عَبْده﴾ [الفرقان: ١].

وشفاء: ﴿ونُنَزِّلُ من القرآن ما هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].
وموعظة: ﴿قد جاءَتْكُم موعظةٌ من رَبكم وشِفَاء لِمَا في الصُّدُور﴾ [يونس: ٥٧].
وذِكْراً ومباركاً: ﴿وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أنزلناه﴾ [الأنبياء: ٥٠].
وعَلِيّاً: ﴿وإنَّهُ في أُمّ الكتاب لدَيْنَا لَعَلِيٌّ حكِيم﴾ [الزخرف: ٤].
وحكمة: ﴿حِكْمَةٌ بالغة﴾ [القمر: ٥].
وحكيماً: ﴿تلك آياتُ الكتابِ الحكيم﴾ [يونس: ٢].
ومُهَيْمِناً ومصدّقاً: ﴿مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْه من الكتاب ومُهَيْمناً عليه﴾ [المائدة: ٤٨].
وحبْلاً: ﴿واَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً﴾ [آل عمران: ١٠٣].
وصِراطاً مستقيماً: ﴿وأَنّ هذا صِرَاطِي مُستقيماً﴾ [الأنعام: ١٥٣].
وقَيّماً: ﴿قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَديداً﴾ [الكهف: ٢].
وقَوْلاً وفصلاً: ﴿إنّهُ لقَوْلٌ فَصْل﴾ [الطارق: ١٣].
ونَبَأً عظيماً: ﴿عَمَّ يَتَساءَلُون. عن النَّبَإِ العَظِيم﴾ [النبأ: ١، ٢].
وأحسن الحديث، ومَثَاني، ومُتَشابهاً: ﴿اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتَشابِهاً مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].
وتنزيلاً: ﴿وإنّه لتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِين﴾ [الشعراء: ١٩٢].
ورُوحاً: ﴿أَوْحَيْنَاإليك رُوحاً مِنْ أمْرِنا﴾ [الشورى: ٥٢].
ووَحْياً: ﴿إنما أُنْذِرُكم بالوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].
وعربيّاً: ﴿قُرآناً عَربيّاً﴾ [يوسف: ٢].
وبصائر: ﴿هذا بَصَائِرُ للناس﴾ [الجاثية: ٢٠].
وبياناً: ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ [آل عمران: ١٣٨].
وعِلماً: ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُم العِلْم﴾ [آل عمران: ١٩].
وحقّاً: ﴿إنّ هذا لَهُوَ القَصصُ الحق﴾ [آل عمران: ٦٢].

وهادياً: ﴿إنَّ هذا القرآن يَهْدِي﴾ [الإسراء: ٩].

وعجباً: ﴿قرآنا عَجَبا﴾ [الجن: ١].

وتذكرة: ﴿وإنّه لَتَذْكرةٌ﴾ [الحاقة: ٤٨].

والعروة الوثقى: ﴿فقد استَمْسكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصدقاً: ﴿والذي جاء بالصِّدْق﴾ [الزمر: ٣٣].

وعدلاً: ﴿تَمَّتْ كَلِمةُ ربِّك صِدْقاً وعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥].

وأمْراً: ﴿ذَلِكَ أمْرُ اللهِ أنزلَهُ إليكم﴾ [الطلاق: ٥].

ومنادياً: ﴿إنَّنا سَمِعْنَا منادِياً للإيمان﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وبشرى: ﴿هُدًى وبُشْرَى﴾ [البقرة: ٩٧].

ومَجِيداً: ﴿بل هُو قُرْآنٌ مَجِيد﴾ [البروج: ٢١].

وزَبُوراً: ﴿ولقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُور مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبشيراً ونذيراً: ﴿كتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآناً عَرَبيًّا لقومٍ يعلمون، بَشِيراً ونَذِيراً﴾ [فصلت: ٣، ٤].

وعزيزاً: ﴿وإنه لَكِتَابٌ عَزِيز﴾ [فصلت: ٤١].

وبلاغاً: ﴿هذا بلاغٌ لِلنَّاس﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقَصصاً: ﴿أحسن القصص﴾ [يوسف: ٣].

وسماه أربعةَ أسماء في آية واحدة: ﴿في صُحفٍ مُكَرَّمَةٍ. مرفوعة مُطَهَّرة﴾ [عبس: ١٣، ١٤].

★ ★ ★

فأما تسميته كتاباً فلِجَمْعِهِ أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه. والكتاب لغة الجمع.

والمبين؛ لأنه أبان الحق من الباطل؛ أي أظهره.

وأما القرآن فاختلف فيه؛ فقال جماعة: هو اسم علَمٍ غير مشتقّ خاصّ بكلام الله، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير. وهو مرويٌّ عن الشافعي.

وأخرج الخطيب والبيهقي وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت ولا يهمز القرآن. ويقول: القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسمٌ لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

وقال قوم منهم الأشعري: هو مشتقٌّ من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء: هو مشتق من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، وهي قرائن. وعلى القولين هو بلا همز ونونه أصلية.

وقال الزجاج: هذا القول سهو. والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف. ونَقْل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.

واختلف القائلون بأنه مهموز؛ فقال قوم منهم الجياني: هو مصدر لقرأت؛ كالرُّجْحَان والغُفْران، سمي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فُعْلان، وهو مشتقّ من القَرْء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته.

قال أبو عبيدة: وسُمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب: لا يُقال لكل جَمْعٍ قرآن، ولا لجَمْعِ كلِّ كلامٍ قرآن، قال: وإنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

وحكى قُطْرب قولاً: إنه سُمِّي قرآناً لأن القارىء يظهره ويُبَيِّنُه من فيه أَخْذاً من قول العرب: ما قرأت الناقةُ سلًى قطّ؛ أي ما أسقطت ولداً؛ أي ما حملت قط. والقرآن يلفظه القارىء من فيه ويلقيه فسمي قرآناً.

قلت: المختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي.

وأما الكلام فمشتق من الكَلْم بمعنى التأثير؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده.

وأما النّور فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما الهدى فلأن فيه الدلالة على الحق، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة.

وأما الفرقان فلأنه فرق بين الحق والباطل. وجّهه بذلك مجاهد، كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وأما الشفاء فلأنه يشفي من الأمراض القلبية؛ كالكُفْر والجهل والغل؛ والبدنية أيضاً.

وأما الذِّكْر فَلِمَا فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية. والذكر أيضاً الشرف؛ قال الله تعالى: ﴿وإنَّه لَذِكْرٌ لَكَ ولقَوْمِك﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ أي شرف؛ لأنه بلغتهم.

وأما الحكمة فلأنه نزل على القانون المعتبر من وَضْع كل شيء في محله، أو لأنه مشتمل على الحكمة.

وأما الحكيم فلأنه أُحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأحكمت عن تطرُّق التحريف والتبديل، والاختلاف والتباين.

وأما المهيمن فلأنه شاهدٌ على جميع الكتب والأمم السالفة.

وأما الحَبْل فلأنه مَنْ تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى. والحبل: السبب.

وأما الصراط المستقيم فلأنه طريق إلى الجنّة قويم لا عوج فيه.

وأما المثاني فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثان لما تقدمه. وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه. وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى: لقوله: ﴿إنّ هذا لفي الصُّحُفِ الأولى. صُحُفِ إبراهيم وموسى﴾ [الأعلى: ١٨]. حكاه الكرماني في عجائبه.

وأما المتشابه فلأنه يُشبه بعضُه بعضاً في الصدق.

وأما الرُّوح فلأنه تحيي به القلوب والأنفس.

وأما المجيد فلِشَرفه.

وأما العزيز فلأنه يعزّ على مَنْ يروم معارضته.

وأما البلاغ فلأنه أُبلغ به الناس ما أُمروا به ونهوا عنه؛ أو لأن فيه بلاغاً وكفاية عن غيره.

قال السّلَفِيّ في بعض أجزائه: سمعت أبا الكرم النحوي، سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: سمعت أبا الحسن الرماني يقول - وقد سُئل: كل كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: هذا بلاغ للناس، ولِيُنْذِرُوا به.

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿ورِزْقُ رَبّك خَيْرٌ وأبقى﴾ [طه: ١٣١] - أنه القرآن.

فائدة

حكى المظفري في تاريخه، قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه. فقال بعضهم: سموه إنجيلاً، فكرهوه. وقال بعضهم: سموه السِّفْر، فكرهوه من اليهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف، فسموه بذلك.

قلت: أخرج ابن أشْتَه في كتاب المصاحف من طريق عيسى بن عقبة عن ابن شهاب، قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً. فقال بعضهم: السِّفْر. وقال بعضهم: المصحف؛ فإن الحبشة يسمونه المصحف. وكان أبو بكر أوّل من جمع كتاب الله وسماه المصحف. ثم أورده من طريق آخر عن ابن بُريدة.

وذكر ابن الضُّرَيس وغيره، عن كعب، قال: في التوراة: يا محمد؛ إني منزّل عليك توراةً حديثة، تفتح أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمًّا، وقلوباً غُلْفاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة، قال: لما أخذ موسى الألواح قال: يا ربّ؛ إني أجِدُ في الألواح أُمَّةً أناجِيلُهم في صدورهم، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أُمة أحمد.

ففي هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلاً. ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك. وهذا كما سميت التوراة فرقاناً في قوله: ﴿وإذ آتَيْنَا موسى الكتابَ والفُرقان﴾ [البقرة: ٥٣]، وسمى ﷺ الزبور قرآناً في قوله: خفِّف على داود القرآن.

﴿مَدّ الأرض﴾ [الرعد: ١]: يقتضي أنها بسيطة لا كرة؛ وهو ظاهر الشريعة، وقد يرتب لفظ المد والبسط مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوير لجملة الأرض. وقال الشيخ عبد الخالق: وكنت أسمع من الشيوخ أن في الأرض خمسة أقوال: قيل كروية. وقيل بسيطة. وقيل: إنها شبه مكب. وقيل بمنزلة حَمِيلة السيف الذي يتقلد به، وإنها شبه حلقة محيطة بهذا العالم، كإحاطة الحميلة. وقيل شبه سمكة.

ومن أجل ذلك وضعوا الاصطرلاب الحوتي الجنوبي.

قال: والصحيح عندهم أنها كورية، وأن السماء كورية.

وقال ابن عرفة: استدلّ بعضهم بهذه الآية على أنّ الأرض بسيطة ولا دليل له في ذلك؛ لأن اقليدس الهندسي قال الكرة الحقيقية لا يمكن إقامة الزوايا والخطوط عليها بوجه، ونحن نجد الأرض تقام عليها الخطوط وغير ذلك، ونراها مستوية؛ وذلك من أدلِّ دليل على أنها وإن كانت كروية فليست كالكرة الحقيقية؛ بل أعلاها مستو كبعض الكُوَر التي أعلاها يكون بسيطاً مستوياً.

﴿مَثُلاَت﴾ [الرعد: ٦]: جمع مثلة، على وزن سمرة، وهي العقوبةُ العظيمة التي تجعل الإنسان يضرب به المثل؛ ولذلك وقعت الأمثال في القرآن؛ لأنه بالمثال يتبين الحال؛ أفلا يخاف الإنسان أن يحل به ما حل بمن قبله إذا فعل مثل فعله.

﴿من أسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهر به﴾ [الرعد : ١٠]: المعنى أن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء؛ ولذلك أتى به بعد قوله: ﴿اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كلُّ أُنْثَى وما تَغِيضُ الأَرْحَام وما تَزْدَادُ﴾ [الرعد : ٨].

فإن قلت: قوله تغيض الأرحام قرينة في الخصوص.

فالجواب أنّ الفخر والآمدي قالا: إن العامَّ إذا عقِّب بصنف من أصنافه فمذهب مالك والشافعي بقاؤه على عمومه.

وقال الثوري: هو مقصور على ذلك الصنف؛ فقوله: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ - وإن كان لا يصدق إلا من الآدميات لا يخصِّصه. وذكر المؤرخون أنه كان في بلد «سَلاَ» عشرة ملوك وُلِدُوا من بطن واحدة.

قال ابن عطية: وقع لمالك ما يدلُّ على أنَّ الحامل عنده لا تحيض. ومذهب ابن القاسم أنها تحيض. قيل لابن عرفة: يلزم من قولكم إنها تحيض ألا يكون الحيض دليلاً على براءة الرَّحم، فكيف جعلتموه دليلاً على براءة الرحم في العدّة والاستبراء؟ فقال: إنما حكمنا بالمظنة. فقلنا: هو مظنة لبراءة الرحم، فتخلفه في بعض الأحيان لا يقدح، كما أن الغَيْمَ في زمن الشتاء مظنّةٌ لنزول المطر. وقد يتخلَّف.

فإن قلت: لم قدم النقص على الزيادة؟ فالجواب لأن الأصل عدم الزيادة.

فإن قلت: ﴿سواء﴾ [الرعد : ١٠] مصدر في الأصل، وهو خبر عن قوله: مَنْ أسرَّ القول؛ والمصادر لا تكون أخباراً عن الجثة، فهل هو كقولك: زيد عدل. قال الكوفيون: أي ذو عدل، وجعله البصريون نفس العدالة مبالغة ومجازاً.

والجواب أنه ليس مثله، وإنما جاز الإخبار هنا لأنّه ليس خبراً عن الذات؛ بل عن المجموع. قيل لابن عرفة: هلاَّ قال سواءٌ عنده ولم يقل منكم؛ ليعمَّ الكلام الإنسان والجن. بل ذكر الجن كان يكون أوْلى؛ لأنهم أجهل وأشد مكراً

واختفاء؛ أو الشياطين منهم. فقال: الجن أجسام لطيفة والإناء اللطيف الشفاف يُرَى ما في باطنه من ظاهره بخلاف الناس؛ فإن أجسامهم كثيفة؛فكان العلم بما في قلوبهم أبلغ؛ فلذلك ذكرهم ليدل ذلك على العلم بأسرار الجن من باب أحْرى.

﴿مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ وسَارِبٌ بالنهار﴾ [الرعد: ١٠]: المُسْتَخْفِي بالليل هو الـذي لا يظهر. والسارب: المنصرف في سَرْبه ـ بفتح السين؛ وقصد في هذه الآية التسوية بينهما في اطِّلاَع الله عليهما مع تَبَايُن حالهما. وقيل: إنهما صفتان لموصوف واحد، يستخفي بالليل ويظهر بالنهار. ويعضد هذا كونه قال: وسارب بالنهار ـ بعطفه عطف الصفات، ولم يقل ومَـنْ هـو سـاربٌ بتكـرار مَـنْ، كما قال: ﴿من أَسرَّ القول ومَنْ جهر به﴾ [الرعد: ١٠]؛ إلا أنّ جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به، فيكمل التقسيم إلى أربعة. وعلى هذا يكون قوله: ﴿وسَارِبٌ﴾ عطف على قوله: مَنْ هو مستَخْفٍ، لا على مستخف وَحْدَه.

﴿مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفه﴾ [الرعد: ١١]: أي جماعات تعتقب في حفظه وكلاءته. وقيل: أذكار وتسبيحات ودعوات. وردَّه ابن عرفة بأن المجموع بالألف والتاء إذا كان مكسراً يشترط فيه العقل إذا لم تكَسِّرْه العرب كجماعات؛ ولهذا حكى الزمخشريُّ فيه معاقيب.

فإن قلت: الوارد في الحديث أن الحفظة مَلك عن اليمين وملك عن الشمال فكيف قال: من بين يديه ومن خلفه؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن من لابتداء الغاية، فينزلون من أمامه ومن خلفه لعمارة يمينه وشماله بالحفظة الأول، ثم تصعد الحفظة الأوّل ويستقرّون هم عن يمينه وشماله.

الثاني: أن الضرر اللاحق للإنسان من أمامه وخلفه أصعب عليه وأشقّ، فما هو من أمامه يأتيه مصادرة وإليه يهرب. ألا ترى قوله تعالى: ﴿قل إنَّ الْمَوْتَ

الذي تَفِرُّونَ منه فإنّه مُلاَقِيكُم﴾ [الجمعة: ٨]. وما هو من خلفه يأتيه من حيث لا يشعر فحِفْظُ هاتين الجهتين آكد من غيرهما.

فإن قلت: هل هؤلاء المعقّبات للجنّ والإنس أو للإنْس خاصة؟ فالجواب أن الضمير يعود على من أسرَّ القولَ ومَنْ جهر، ومن استَخْفَى وظهر، يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم واستغفارهم.

﴿مَنْ في السمـواتِ والأَرْض﴾ [الرعد: ١٥]: لا تقع مَنْ إلَّا عَلَى مَنْ يعقل، فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن.

﴿ما لهم مِن دُونه مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]: أي من شفيع في رفع العذاب عنهم؛ فهو تأسيس. وقوله: ﴿فلا مردّ له﴾ [الرعد: ١١]؛ أي لا دافع عنه ابتداء قبل وقوعه بهم، ولا ناصر لهم يرفعه عنهم بعد وقوعه.

﴿مَنْ رَبُّ السمواتِ والأرض﴾ [الرعد: ١٦]: أمره الله أن يقول لهم هذا القول، لأنهم لا يجدون بُدًّا من قولهم: الله، كما قال تعالى: ﴿ولئن سألْتَهُمْ مَن خلقهم ليقولُنَّ الله﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ ولذا حصل تبْكِيتُهم بقوله تعالى: ﴿قل أفاتَّخَذْتُم مِن دُونِه أَوْلياءَ﴾. والمعطوف عليه مقدّر؛ أي كفَرْتُم فاتخذتم.

فإن قلت: لِمَ قال من دونه، وهم اتخذوهم شركاء مع الله؟

والجواب: إنا إن نظرنا إلى نفس اتخاذهم وليًّا وناصراً بالنوع فلا شك أنهم شركاء في وصف النصرة والولاية بين الله وغيره، وإن نظرنا إلى اتخاذهم وليًّا وناصراً بالشخص فلا شك أن هذا لا يصحُّ فيه الشركة.

وقد ذكر ابن التلمساني في مسألة الصلاة في الدار المغصوبة أن الواحد بالشخص لا يصح انقسامه إلى مأمور ومنهيّ؛ والواحد بالجنس أو النوع يصح فيه ذلك. ومثّلَه بالسجود لله والسجود للصنم.

فإن قلت: لِمَ قدم المجرور على أولياء، والأصلُ تقديم المرفوع ثم المنصوب ثم المجرور؟ والجواب لأنه أُضِيفَ إلى ضمير الله.

فإن قلت: لم قال: ﴿أولياء﴾، ولم يقل أرباباً؟ والجواب أن الأولياء أعمُّ من الأرباب؛ لأن الولي والناصر قد يكون ربًّا وقد لا يكون؛ فهم وبّخوا على الوصف الأعم، وهو طلبهم النصرة من غير الله؛ فيلزم منه الذمُّ على الوصف الأخص؛ وهو اتخاذهم أرباباً من دون الله من باب أحرى. ولو قال اتخذتـم من دونه أرباباً لأفاد التوبيخ على هذا الوصف الأخص، لا على ما دونه، وهو مطلق النصرة.

﴿ماء فسالَتْ أودِيةٌ بِقَدَرِها فاحتمل السَّيْلُ زَبَداً رَابِيا﴾ [الرعد: ١٧]: هذا مثل ضربه الله للحقّ وأهله، والباطل وحزبه؛ فمثل الحقِّ كالماء الذي ينزل من السماء فتَسِيلُ به الأَوْدِية، وتنتفع به الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصُّفْر وغيرها من المعـادن التي ينتفـع بها النـاس. وشبَّـه البـاطـل في سرعـة اضْمِحْلَالِه وزَواله بالزّبد الذي يرمي به السيْل وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أُذيبت، وليس في الزَّبَد منفعة، وليس له دوام.

وقال ابن العربي في قانون التأويل: ضربه الله مثلاً للحق والباطل؛ فإنه خلق الماء لحياة الأبدان، كما أنزل القرآن لحياة القلوب، وضرب امتلاء الأودية بالماء مثالاً لامتلاء القلوب بالعلم، وضرب الأودية الجامعة للماء مثالاً للقلوب الجامعة للعلم. وضرب قدر الأودية في احتمال الماء، بسعتها وضيقها، وصغرها وكبرها، مثالاً لقَدْرِ القلوب في انشراحها وضيقها بالحرج، وضرب حمل السيلِ الحصيدَ والهشيم، وما يجري به ويدفعه مثلاً لما يدفعه القرآن من الجهالة والزَّيْغ والشكوك ووَساوِس الشيطان، وضرب استقرار الماء ومُكْثَه لانتفاع الناس به في السَّقْيِ والزراعة مثلاً لمكث العلم واستقراره في القلوب للانتفاع به.

قال: هذا المثل الأول. وأما الثاني فضرب المثل فيما يوقد عليه النار بما في القرآن من فائدة العلم المنتَفع به كالانتفاع بالمتاع؛ وكما أن النار تميِّزُ الخبيث في هذه من الطيّب، كذلك القرآن إذا عرضت عليه العلوم يميز النافع فيها من الضارّ.

﴿ما أمَرَ اللهُ به أنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد : ٢٥] : القرابات والأرحام.

﴿مَنْ صَلَح مِنْ آبائهم وأزواجهم﴾ [الرعد : ٢٣] : ترتيب المعطوفات على حسبها في الوجود الخارجي؛ فوجود الأب سابق على وجود زوجك، وزَوْجك سابق على ولدك، ودخول الأنبياء الجنَّة إما لصلاحهم أو صلاح آبائهم، كما قال تعالى : ﴿وكان أبُوهُمَا صالِحاً﴾ [الكهف : ٨٢]. وقوله تعالى : ﴿والذين آمنُوا واتبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهم بإيمان ألْحَقْنَا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور : ٢١]. أو العكس وهو أن دخول الآباء بسبب الأبناء، كما في الحديث : من قرأ القرآن وعمل بما فيه أُلبس والِدُه يوم القيامة تاجاً أحسن من ضَوْءِ الشمس؛ ولذلك قال الشاطبي : هنيئاً مريئاً، والداكِ عليهما ملابس أنوار من التاج والحلي.

﴿ما الحياةُ الدُّنيا في الآخرةِ إلاّ مَتَاع﴾ [الرعد : ٢٦] : أي شيء يُتَمتَّعُ به وينفصل عنه. وهذه الآية إشارة إلى من يعمل للدنيا ويعمل للآخرة، وإلا فالآخرة ليست ظرفاً للدنيا بوجه. فإذا تذكَّرَ الإنسان أيامه التي قطعها في الشهوات ندم عليها؛ لأنها انقضت واضمحلّت بخلاف التي قطعها في الطاعات؛ فإنه يفرح بها ويتنعم إذا تذكّرها؛ فانظر من أي الفريقين تعدّ نفسك.

﴿مَثَلُ الجنة﴾ [الرعد : ٣٥] : الظاهر أن الخبر مقدَّر، وفي الآية حذف مضافين، والتقدير مَثل الجنَّة التي وُعِدَ المتَّقُون مثَلُ جنةٍ تجري من تحتها الأنهار.

ورُدَّ على قائل هذا بأنه إن أراد بالثانية جنَّة الآخرة فقد شبَّه الشيء بنفسه؛ ولا يصحّ أنها جنة الدنيا؛ لأن المشبه بالشيء لا يقوى قُوَّته، وهنا شبه الأقْوَى بالأضعف.

وأجيب بأنه قد يكون الفَرْعُ أقوى من الأصل، وهو نوع من القياس. وعند الفراء أن الخبر متأخِّر، وهو : ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾.

﴿مِنَ الأحزابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَه﴾ [الرعد : ٣٦] : ذكر الإمام الفخر عن المفسرين إما أن تكون بعضاً على بابها، وأن من ينكر بعضه فهو كافر. وبقي

عليهم أن المنطقيين قالوا إن سور القضية إن كان بعضاً وكان منفياً فقد يراد به العموم؛ ويكون بمعنى أحد، فمعناه من ينكره كله. وقالوا: إن السالبة الكلية تناقضها موجبة جزئية.

﴿مآب﴾ [الرعد: ٣٦]: مفعل، من الأوْب وهو الرجوع؛ أي مرجعي في الآخرة، أو مرجعي في التوبة. ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه قال له: قل لهم لست مكلّفاً بإيمانكم، وإنما كُلّفت بالتبليغ.

فإن قلت: أمره أولاً بالعبادة؛ ونفي الشرك مقدم عليها؛ إذ لا يَعْبُد إلا مَنْ لم يشرِكْ، وقد لا يشرك ولا يعبد.

فالجواب أن المراد بالشرك الرياء والكبر؛ فالمعنى أمرت أن أعبد الله عبادة خالصة من الرياء، ولكن هذا لا يناسب السياق.

قيل: وعلى هذا يكون قوله: ولا أُشرك به - حالاً، لكن نص الأكثرون على أن ﴿لا﴾ تخلِّصُ الفعل للاستقبال. فقال تكون هذه حالاً مقدرة؛ كقولهم: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً.

وقيل في الجواب: أمرت أن أعبده عبادة لا يتخلَّلها، أو لا يعقبها، إشراك.

وقيل: قدمت العبادة لتدل على نفي الإشراك باللزوم ثم بالمطابقة، فيدل اللفظُ دلالتين.

﴿مِنْ أطرافها﴾ [الرعد: ٤١]: أي من خيارها، يعني أن الله يقبض الخيار منها.

﴿مَنْ عِنْدَه عِلْمُ الكتابِ﴾: [الرعد: ٤٣]: المراد به القرآن أو اللوح المحفوظ.

واختلف مَنِ المراد به؟ فقيل: المراد به من أسلم من اليهود والنصارى على العموم. وقيل: الصحابة. وقيل عبدالله بن سلام.

وردَّ بأنه أسلم بالمدينة والسورة مكّية، فكيف يشهد حينئذ وهو كافر.

وأجيب باحتمال أن تكون هذه الآية خاصة مدنية. وقيل المراد الله تعالى؛ فهو الذي عنده علم الكتاب.

ويضعف هذا؛ لأنه عطف صفة على موصوف. ويقوِّيه قراءة: ومِنْ عنده علم الكتاب بمن الجارّة وخَفْض عند.

﴿ما أرسلنا مِنْ رَسُول إلا بلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّن لهم...﴾ [إبراهيم: ٤] الآية. فيها دليل على أن واضع اللغة هو الله تعالى. وفيها دليل على أن حصول العلم عقيب النظر عاديّ، وليس بعقلي؛ إذ لو كان عقلياً للزم من البيان الهداية. ويحتمل عدم لزومه؛ لأن المخاطب قد لا ينظر النَّظَرَ الموصّل للعلم.

﴿ما لَنَا أَلاَّ نتوكَّلَ عَلَى اللهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] المعنى أيُّ شيء يمنعُنا من التوكُّل على الله وقد هدانا سبُلنا؟

فإن قلت: كيف جمعه وقد تقرر غير ما مرة أن طريق الهدى واحدة حسبما أشار إليه الزمخشري في قوله: ﴿وجعلَ الظلماتِ والنور﴾.

والجواب أنه على التوزيع؛ قال تعالى: ﴿لكلٍّ جعلنا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]؛ فلكل رسول طريق باعتبار شريعته وأحكامه.

فإن قلت: لم كرر الأمر بالتوكل؟ والجواب أن قوله: ﴿وعلى الله فليتوكّلِ المُؤْمنون﴾ [إبراهيم: ١١] راجع إلى ما تقدم من طلب الكفّار ﴿بِسُلْطَان مُبين﴾ [إبراهيم: ١٠]؛ أي حجة ظاهرة، فتوكُّلُ الرسل في ورودها على الله. وأما قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكّلون﴾ [إبراهيم: ١٢]، فهو راجع إلى قولهم: ﴿ولنَصْبِرَنّ على ما آذَيْتمُونَا﴾؛ أي نتوكل على الله في دفع أذاكم. وقال الزمخشري: إن هذا الثاني بمعنى الثبوت على التوكل.

﴿ما هُوَ بميّت﴾ [إبراهيم: ١٧]: لا يراح بالموت؛ لأنه ذبح بين الجنة والنار.

﴿مَثَلُ الَّذِين كفَرُوا بِرَبِّهم أَعْمالُهم﴾ [إبراهيم: ١٨]: مذهب سيبويه والفراء كقولهما في: ﴿مثل الجنة﴾ المتقدم آنفاً.

والمثل هنا بمعنى الشَّبَه. وقال ابن عطية: بمعنى الصفة. ورُدَّ بأنه ليس مطلقاً، بل التي فيها غرابة؛ ولذلك جعلوا: لأَمْرٍ مَا جدَعَ قَصِير أَنْفَه ـ مثلاً. وذِكْر الرب تشنيع عليهم؛ يعني كفروا بمن أنعم عليهم ورحمهم؛ وشبّه أعمالهم بالرماد لخفته وسرعة تفرقه بالريح، ولأنه لا ينبت شيئاً بخلاف التراب، وجمع الرياح ليفيد شدة التفرق من جميع الجهات.

﴿ما لنا مِنْ مَحِيص﴾ [إبراهيم: ٢١]: أي مهرب حيث وقع. ويحتمل أن يكون مصدراً أو اسم مكان.

﴿ما أنا بِمُصْرِخكُمْ وما أَنْتُم بمُصْرِخيّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]: أي ما أنا بمُغيثكم وما أنتم بمغيثين لي؛ وإنما يقول هذا الشيطان حين يتعلّقون به ويقولون له: أنت أَغوَيْتَنا.

﴿مثَلاً كلمةً طيّبةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]: ابن عباس وغيره: هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيِّبَة هي النخلة في قول الجمهور. واختار ابن عطية أنها شجرةٌ غير معيَّنة، إلا أنها كلّ ما اتصف بتلك الصفات. والكلمة الخبيثة كلمة الكفر، أو كلّ كلمة قبيحة. والشجرة الخبيثة هي الحنظلة لمرارتها.

فإن قلت: لم عبَّرَ هنا بالاسم فرفع؛ وقال في المؤمن [٢٤، ٢٦]: ﴿ضرب الله مَثَلاً﴾؛ فعَبَّر بالفعل ونصب؟

فالجواب أن المؤمن له حالتان؛ لأنه انتقل من الكفر إلى الإيمان، والكافر له حالة واحدة ثبت عليها، ولم ينتقل عنها؛ فلذلك عبّر عن مثله بالاسم.

فإن قلت: هل الشجرة الخبيثة مقصورة على الحنظل أو تطلق على كل ما ليس لها ساق كالقثاء والثوم، وفيها منافع جَمَّة، فكيف يشبّه بها الكافر، وهو لا منفعة فيه بوجه؟

والجواب إنما شبّه بها من حيث أنها لا تثبت؛ إذا ليس لها ساق، فالتشبيه في اضمحلال العمل الخبيث وذهابه يوم القيامة ولا يبقى إلا العمل الصالح.

﴿مَنْ عَصَانِي فإنّكَ غَفُورٌ رَحِيم﴾ [إبراهيم: ٣٦]: هو من قول الخليل عليه السلام، دعاء لمن عصاه بغير الكُفْر، أو لمن عصاه بالكفر ثم تاب منه، وهو الذي يصح أن يُدْعى له بالمغفرة، لكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان فيه ـ عليه السلام ـ من الرحمة للخَلْق وحُسْن الْخُلق.

فإن قلت: كيف يدعو بما هو مستحيل عقلاً وشرعاً؛ لأن النبي معصوم عن عبادة الأصنام؟

فالجواب أنه دعا على سبيل الخضوع والتذلل والخوف؛ ألا ترى شعيباً لما قالوا له: ﴿أو لَتَعُودُنَّ في مِلّتنا﴾ [الأعراف: ٨٨] ﴿ما يكون لنا أنْ نعودَ فيها إلا أَنْ يَشَاءَ الله﴾ [الأعراف: ٨٩]، فالمقام مقام خَوْف، ولو ثبتت عصمتهم فهم أولى الناس بالخوف ممن اصطفاهم.

﴿ما لكم مِنْ زَوَال﴾ [إبراهيم: ٤٤]: هوّ المقسم عليه، يعني أنهم حلفوا أنهم لا يبعثون.

﴿مَكْرُهم لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال﴾ [إبراهيم: ٤٦]: يراد بالجبال هنا الشرائع والنبوات، شبّهت بالجبال في ثبوتها. والمعنى تحقير مكرهم؛ لأنها لا تزول منه تلك الجبالُ الثابتةُ الراسخة. وقرأ الكسائي: لَتَزُول ـ بفتح اللام ورفع تزول، و﴿إنْ﴾ على هذه القراءة مخفّفة من الثقيلة، واللام للتأكيد. والمعنى تعظيم مكرهم؛ أي أن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال، ولكنَّ الله عَصم ووَقَى منه.

﴿ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلا بالحق﴾ [الحجر: ٨]: الآية ردّت عليهم فيما اقترحوا عليه ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله،

لا باقتراح مُقْترح واختيار كافر معترض. وقيل الحق هنا العذاب. ولو أنزل الله الملائكة لم يؤخر عذابَ هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن عادة الله أن مَن اقترح آيةً فرآها ولم يؤمن ـ أنه يعجَّل له العذاب، وقد علم اللهُ أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ويؤمن أعقابهم، فلم يفعل بهم ذلك.

﴿مَنْ لسْتُمْ لهُ بِرَازِقين﴾ [الحجر: ٢٠]: يعني البهائم والحيوانات، و﴿مَنْ﴾ معطوف على معايش. وقيل على الضمير في لكم. وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض؛ وهو قويٌّ في المعنى؛ أي جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات.

﴿ما نُنَزِّلُه إلا بقَدَرٍ مَعْلُوم﴾ [الحجر: ٢١]: الضمير عائد على الشيء وهو المطر، واللفظ أعم من ذلك.

والمعنى أنه ما من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه بمقدار محدود.

﴿مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ ربِّه إلاَّ الضَّالُّون﴾ [الحجر: ٥٦]: دليل على تحريم القُنوط. وقرىء يقنِط ـ بفتح النون وكسرها، وهما لغتان.

﴿ما خَطْبُكم أيُّها الْمُرْسَلُون﴾ [الحجر: ٥٧]؛ أي ما شأنكم؟ أو بأي شيء جئتم؟ والخطابُ مع الملائكة الذين جاؤوا لإبراهيم عليه السلام بالبشرى.

﴿كما أَنْزَلنَا على الْمُقْتَسِمِين﴾ [الحجر: ٩٠]: الكاف متعلقة بقوله: ﴿أنا النَّذِيرُ الْمُبِين﴾ [الحجر: ٨٩]؛ أي أنْذِر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين. وقد قدمنا في حرف الهمزة معنى المقتسمين.

﴿مَنَافِع﴾ [النحل: ٥]: يعني شرب ألبان الأنعام، والحرث بها، وغير ذلك، وهذا فيه ترقّ وتدريج؛ لأن الدِّفْءَ متيسِّر قريب؛ إذ ليس فيه إلاَّ إزالة صوفها ووبرها والانتفاع به؛ فليس عليها فيه مضَرَّة، ثم الامتنان بالمنافع أقوى منه؛ لأن فيه تسخيرها والحمل عليها؛ وهذا مما لا يقدر الإنسان على فعله لولا ما أُبيح له؛ إذ فيه تكليف ومشقة عليها، ثم الامتنان بالأكل منها أقوى من ذلك

وأشد؛ لأن فيه ذبْحَها؛ وهذا لا يقدر الإنسان عليه؛ لأنها محترمة، فكيف تُذْبح لولا ما أباح الله لنا ذلك.

﴿ما لا تَعْلَمُون﴾ [النحل: ٨]: يعني أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل من ذكر في هذه الآية شيئاً مخصوصاً، فهو على وجه المثال. قال بعض العلماء: كنت يوماً أتصيَّدُ في البرية، فقامت بين يديّ هائشة عظيمة كالرحا، ولها أرجل كثيرة. قال: فشددت عليها حتى كدت أن أدركها فانفتلت إليّ، وقالت بلسانٍ طَلْقٍ: ما تريد؟ ما تريد؟ فقلت لها: من أنت؟ فقالت: من الذين قال الله فيهم: ﴿ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون﴾، فولّيْتُ عنها.

﴿مُخْتَلِفاً ألوانُه﴾ [النحل: ١٣]: قال الزمخشري: مختلف الهيئات والمناظر. وقال ابن عطية: أي أصنافه، كقولك: ألوان من التمر؛ لأن المذكورات أصناف عدّت في النعمة والانتفاع بها على وجوه، ولا يظهر إلا من حيث تلوّنها حمرةً وصفرة وغير ذلك. ويحتمل أن يكون تنبيهاً على اختلاف ألوانها حمرة وصفرة. قال: والأول أبين. وفي الآية رد على الطبائعيين؛ لأن أفعال الطبيعة لا تختلف، فبطل كَوْن الأرض تفعل بطبعها.

﴿ماءً لكم﴾ [النحل: ١٠]: يحتمل أن يتعلق بأنزل، أو يكون في موضع خبر لشراب، أو صفة لماء؛ فسبحان اللطيف بعباده. وانظر كيف قدم المجرور لشرف خَلْقها وعظمها، وقدم الزرع لعموم الحاجة إليه من الحيوان العاقل وغيره، وقدم الزيتون على التمر؛ لأنه مما يُؤْتَدَم به، فهو مكمل للقوت؛ والتمر مما يتفكه به، فهو تزييني، فكان أدون؛ لأنه زائد على القوت غير مكمل به. وقدم التمر على العنب لأن الخطاب لأهل الحجاز، وليس بأرضهم إلا التمر؛ فهوعندهم أشرف من العنب، لأن محبة الإنسان لما تعاهد ورُبِّي عليه أقوى من محبته لغيره؛ فالترتيبُ في هذه على هذا جهة العدل.

فإن قلت: لم جمع العنب وأفرد التمر، وأفرد في الآية الأولى والأخيرة وجمع الوسطى، وختم الأولى بالتفكير والثانية بالعقل والثالثة بالتذكير؟

فالجواب إنما جمع العنب لظهور الاختلاف في أنواعه؛ لأن منه الأبيض والأكحل والأحمر؛ فالاختلافُ في أنواعه بالطعم واللَّوْن والجرم، والتمر إنما الاختلاف في أنواعه بالطعم والجرم فقط. وأفرد الآية الأولى لأنها تقدمتها آياتٌ سماوية، وهي أكثر من الآيات الأرضية، لَخَلْق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ويقال: إنما جمع الثانية إشارة إلى أنها هي والأولى آيات.

ويحتمل أن يُقَال لما كانت الثانية نعمةً سماوية وهي أشرف وأَجْلَى وأظهر من النعمة الأرضية جعل كل واحد على انفراده آيات لشهرته وظهوره، أو لأن المذكورات أولاً راجعة إما لمجرد القوت أو لوصف النبات؛ وكلاهما شيء واحد، بخلاف الثانية.

وقال في الأولى: يتفكرون؛ لأنها أمور عادية؛ إذ حصول الشراب والشجر عن الماء أمر عادي، وقد لا يكون عنه شيء. وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر أمر عقلي، وليس بعادي. والثالث يقال لمن آمَنَ بالحجة والدليل بعد أن كان نسيه فهو أمر تذكري؛ فلذلك قال: لقوم يذكرون.

فإن قلت: هل التذكُّر والتفكر بمعنى واحد أم لا ؟ والجواب أن التذكُّرَ ثَانٍ عن التفكر؛ ولهذا اختلفوا؛ فذهب بعض الحكماء إلى أن العلوم كلها تذكرية، وأن النفوس كانت عالمة لكل علم، فلما خالطت الأبدان ذهب عنها ذلك، فكل ما تعلمه إنما هو تذكر لما كان وذهب.

ومذهب الجمهور أن أكثرها تفكّر، وبعضها تذكّر، فالتفكر لِمَا لم يكن يَعْلمه، والتذكر لما علمه ونسِيَه؛ فلذلك جعله ثالثاً.

وقال ابن الخطيب: التفكر إعمال الفكر لطلب الفائدة، والمذكوراتُ معه راجعةٌ لباب القوت، وكل الناس محتاج إليه؛ فعند ذلك يتفكرون النعم بها فيشكرونه. وأما الثانية فتدبرها أَعْلَى رُتْبَةً إذ منافعها أخفى وأغمض؛ فيستحق صاحبها الوصف بما هو أعلى وأغمض وهو العقل.

﴿مَوَاخِرَ فيه﴾ [النحل: ١٤]: جمع ماخرة: يقال مَخَرت السفينةُ،

والْمَخْر: شقُّ الماء. وقيل صَوْت جَرْيِ الفلك بالريح؛ ويترتب على هذا أن يكون المخر من الريح. وأن يكون من السفينة ونحوها؛ وهو في هذه الآية من السفن. ويقال للسحاب بنات مَخْر تشبيهاً؛ إذ في جريها ذلك الصوت الذي هو عن الريح والماء الذي في السحاب، وأمرها يشبه أمر البحر؛ على أن الزّجّاج قد قال: بنات الْمَخْرِ: سحائب بيض لا ماء فيها. وقال بعض اللغويين الْمَخْر في كلام العرب الشق؛ يقال مخر الماء الأرض. قال ابن عطية: فهذا بَيِّن أن يقال فيه للفلك مَوَاخر. وقال قوم: مَوَاخِر معناه تجيء وتذهب بريح واحدة، وهذه الأقوال ليست تفسيراً لِلَّفْظة، وإنما أرادوا أنها مواخر بهذه الأحوال، فنصّوا على هذه الأحوال؛ إذ هي موضع النعمة المعددة؛ إذ نفس كون الفلك ماخرة لا نعمة فيها، وإنما النعمةُ في مخرها بهذه الأحوال في التجارة والسفر فيها، وما يمنح الله فيها من الأرباح والمِنَن.

فإن قلت: ما فائدةُ تقديم المواخر في هذه الآية على آية فاطر [١٢]؟

والجواب لما كان الفلك المفعول الأول لترى، ومواخرَ المفعول الثاني، و« فيه » ظرف وحقُّه التأخير، والواو في ولتبتغوا للعطف على لام العلّة في قوله: ﴿لتأكلوا منه﴾ ـ أخَّرَه ليجيء على القياس في هذه السورة. وأما في فاطر فقدّم ﴿فيه﴾ لما قبله وهو قوله: ﴿ومِنْ كلٍّ تأكلُون لحماً طرياً﴾ [فاطر: ١٢]؛ فقدّم الجارّ على الفعل والفاعل والمفعول جميعاً ولم يزد الواو في لتبتغوا لأن اللام في لتبتغوا ها هنا لام العلة، وليس بعطف على شيء قبله. وقيل في الجواب غير هذا مما يطولُ ذكره.

﴿أفَمَنْ يَخْلُقُ كمَنْ لا يَخْلُق﴾ [النحل: ١٧]: تقرير يقتضي الرد على مَنْ عبد غير الله؛ وإنما عبَّر عنهم بمن لأن فيهم مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل، أو مشاكلة لقوله: أفمن يَخْلُق. وأورد الزمخشري هنا سؤالين: أحدهما أن الأصنام لا تعقل، فهَلاَّ قيل: كما لا يخلق؟ وأجاب ابن عرفة بأنه لو عبَّر بما لكان الإنكار عليهم بأمرين: من حيث كونها غير عاقلة، وكونها لا تخلق، وما المقصود في الآية إلا إنكار عبادتها من حيث كونها لا تخلق فقط.

وأجاب الزمخشري بأمرين: أحدهما أما أنهم سموها آلهة وعبدوها، فهو على نحو ما كانوا يعتقدون. وردَّهُ ابن عرفة بأنه إقرار لهم على معتقدهم.

وأما أنهم عاملوها معاملة من يعقل فرُوعي فيه المشاكلة بينه وبين من يخلق. وردَّه ابن عرفة بأن المشاكلة إنما تكون حيث التساوي؛ كقوله: ﴿ومَكَرُوا وَمَكَرَ الله﴾ [آل عمران: ٥٤]. وقوله:

قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طَبْخَه قلت اطبُخوا لي جبَّةً وقَمِيصا

فالأول مثبت، والثاني منفي.

السؤال الثاني: أنه إنما أنكر عليهم تشبيههم من لا يخلق بمن يخلق؛ فكان الأصل أن يُقال: أفمن لا يخلق كمن يخلق؛ لأن همزة الاستفهام إنما تدخل على المنكَر والمسؤول عنه.

وأجاب الزمخشري بجواب لا ينهض. وأجاب ابن عرفة بجواب: إن عادتهم يجيبون بأن الإنكار إنما يكون بإفهام الخصم نقيض دَعْواه، أما إذا كان الإنكار بإلزامه عَيْنَ الدعوى فلا يصح. وهنا لو قيل لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق لكان التشبيه راجعاً إلى نفي المساواة بينهما، وهم موافقون على ذلك، ويقولون. ﴿ما نَعْبُدُهم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. ولما قيل: أفمن يخلق كمن لا يخلق لم يكن الإنكار راجعاً لنفي المساواة، فلم يَبْقَ إلا أن يُراد أنَّ الله تعالى متَّصِفٌ بنقيض ما اتَّصفَ به معبودهم وهو الْخَلق، فيكون المراد الإشعار بتنقيص مقصودهم، والتنقيص موجب لعدم الألوهية؛ فليس المراد نفي مساواة الناقص للكامل؛ بل إنما المراد الإشعار بتنقيص الناقص؛ لأنه إذا قيل لهم: أفمن يخلق كمن لا يخلق كان الإنكار راجعاً لتشبيه الخالق بمن لم يخلق؛ لأن تشبيهه به يوجب تنقيص البارىء جلّ وعلا؛ والتنقيصُ موجِبٌ لعدم الألوهية. وقد قال: ﴿ولئن سأَلْتَهُمْ مَنْ خلقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ فيستلزم نقيض دعواهم.

﴿ما يَشْعُرونَ أيّانَ يُبْعَثُون﴾ [النحل: ٢١]: الضمير في يشعرون للأصنام،

وفي يُبعثون للكفار الذين عبدوهم؛ وعلى أنّه للكفّار يكونُ وعيداً؛ أي وما يشعر الكفار أيان يبعثون للعذاب. ولو اختصر هذا المعنى لم يكن في وصفهم بعدم الشعور فائدة؛ لأنّ الملائكة والأنبياء والصالحين كذلك هم في الجهل بوقت البعث؛ فهو أمر استأثر الله به، كما قال: ﴿إنّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعةِ﴾ [لقمان: ٣٤]. وإنما نفى عنهم الشعور به. والأنبياءُ قد حصل لهم الشعور به، وأعلموا بإشعار الساعة وعلامتها.

﴿ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]: قاله الكفار على حسب اعتقادهم في أنفسهم؛ فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذِبٌ في نفس الأمر، أو قصدوا الكذب اعتصاماً به، كقولهم: ﴿واللهِ رَبِّنَا ما كُنّا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿مِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهم بغير عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]: قيل: إنَّ ﴿من﴾ للتبعيض. ورُدّ بالحديث: من عمل حسنة فله أجرها... الخ.

وأجيب بأن الْمُضِلين ترتّب على كفرهم وِزْرَان: أحدهما مُتَعَلّق بهم. والآخر متعلق بمن أضلّهم.

ورده ابن عرفة بأنه إنما يتم هذا لو كانت التِّلاَوَةُ ومن أوزار إضلال من اتّبعهم؛ فتُضافُ الأوزار للضلال لا لهم. والظاهر أن من للسبب، وثَمَّ معطوف مقدّرٌ، هو مفعول؛ أي ليحملوا أوزارهم ووزراً آخر بسبب أوزار الذين يضلّونهم.

وقال أبو حيان: إن «من» تكون بمعنى مثل، ولكنه شاذّ. وكذلك قال: ﴿بغير علم﴾ حال من المفعول في يضلونهم.

وردّ بأنه حال من الفاعل؛ لأن العلم إنما يُطلب ممن نصب نفسه منصب المفيد، لا ممن نصبها منصب المستفيد. قيل للقائل: الأصوب أن يكون متعلّقاً بيضلونهم؛ فقال: والباء حينئذ للمصاحبة، فلا بُدّ من الحال.

﴿مِنَ القَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]: ما كان تحت الأرض فهو أساس، وما فوقها فهو أعمدة، ومجموعهما هي القواعد.

﴿مِنْ فوقهم﴾ [النحل: ٢٦]. يقال لما كان أَعْلى فوق، ومعلوم أن السقف أعْلى، ولكن ذُكر ليُزِيلَ الاحتمال الذي في الخَرِّ، وأن يكون عن يمين وشمال. أو أنهم كلما رأوا علاماتِ السقوط خرجوا، فحينئذ خَرّ عليهم، فقال: «من فوقهم»؛ ليفيد أنهم تربَّصوا حتى هلكوا.

﴿ماذا أَنزل ربُّكم قالُوا خَيْراً﴾ [النحل: ٣٠]: لما وصف مقالةَ الكفار الذين قالوا ﴿أساطير الأولين﴾ [النحل: ٢٤] قابل ذلك بمقالة المؤمنين؛ وهو قولهم: ﴿خيراً﴾.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً للقائلين. يريد أنه يحتمل أن يكون من كلام المحكيّ عنه. ونظير ذلك أن يقول زيد أقول خيراً، الحمد لله؛ فتقول أنت حاكياً لكلامه: قال زيد خيراً، الحمد لله؛ فهذا من كلام الحاكي، والقول يحكى به الجمل والمفرد المؤدّي معناها.

فإن قلت: لم رُفِع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين، ونُصب جواب المؤمنين؟

فالجواب أن قولهم خيراً منصوب بفعل مُضْمَرٍ، تقديره أنزل خيراً؛ ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله؛ وأساطير الأولين هو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو أساطير الأولين؛ فلم يعترفوا بأن الله أنزله؛ فلا وَجْهَ للنصب. ولو كان منصوباً لكان الكلام متناقضاً؛ لأن قولهم أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله، لأن تقديره أنزل

فإن قلت: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره هو أساطير الأولين، فهو غيْرُ مطابق للسؤال الذي هو ماذا أنزل ربكم؟

فالجواب أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، ولم ينزله الله.

﴿ما كانُوا به يَسْتهزِئُون﴾ [النحل: ٣٤]: معناه حيث وقع في القرآن إحاطة العذاب بمن استهزأ به، وعلى هذا فيجب التحفُّظُ مِنْ أسبابه.

﴿ما عبدنا مِنْ دُونه مِنْ شيء﴾ [النحل: ٣٦]: يحتمل أنهم يقولونه في الدنيا، لأنهم قالوا: لو شاء الله ما عبدنا غيره، فردّ الله عليهم بأنه نهى عن الشرك، ولكنه قضاه على مَنْ شاء من عباده؛ إذْ لا يكون في ملكه إلا ما يريد. أو يقولون ذلك في الآخرة على وجه التمني؛ فإن لو تكون للتمني، فإنهم إذا عاينوا العذاب تمنَّوْا أنْ لو عبدوه ولم يحرِّموا ما أحلّ الله مِنَ البَحِيرة والسائبة.

﴿وما أرسلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً﴾ [النحل: ٤٣]: يدلّ على تخصيص الرسالة بالرجال، وأما النبوءة فليست خاصة بهم؛ بل هي عامّة.

﴿ما هم بمُعْجِزين﴾ [النحل: ٤٦]: التقدير أو يأخذهم في تقلُّبِهم، فهم بسبب ذلك غير معجزين؛ أي بِمُفْلِتين؛ لأن أخذه لهم حالةَ التقلب والتحرك مظنَّةٌ لفرارهم وهروبهم؛ فدخل حرف النفي؛ فنفي ذلك السبب المترتب على تقلبهم؛ أي فما يكون تقلبهم سبباً في تعجيزهم له؛ لأن الفاء دخلت على معنى النفي، لأنه لا يصحُّ فيها السببية إلا على هذا التأويل.

﴿مِنْ دَابَّة﴾ [النحل: ٤٩]: يحتمل أن يكون بياناً لما في السموات والأرض، أو لما في الأرض. ويراد بما في السموات الخلْقُ الذي يقال له الروح غير جبريل، وهو أعظم المخلوقات المراد به في قوله تعالى: ﴿يوم يَقُوم الرُّوح﴾ [النبأ: ٣٨]. ﴿تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها﴾ [القدر: ٤].

وأمّا جبريل فيقال له الروح الأمين. وانظر هل الملائكة من الدوابّ أم لا؟ لكونهم ذَوِي أجنحةٍ يطيرون. والظاهر أنهم منهم للآية: ﴿وما مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ ولا طَائرٍ يَطِيرُ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ وعلى كلِّ حالٍ فالكل ساجدون

من عاقل وغيره، لكن سجود العاقل حقيقة وغير العاقل بمعنى التذلّل والانقياد؛ فيكون لفظ السجود للقدر المشترك بينهما وهو الخضوع والانقياد؛ أو يكون من باب استعمال اللفظ المشترك في مفهومَيْهِ معاً، أو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العُقَلاء.

﴿ما بكم مِنْ نِعْمَةٍ فمِنَ اللهِ ثُمَّ إذا مسَّكُمُ الضّرّ فإلَيْهِ تَجْأَرُون﴾ [النحل: ٥٣]: نَكّرَ النعمةَ ليدخلَ تنعيمُ الكافر، لا للتقليل؛ لأن عطاء الله لا يوصف بالقلَّةِ. وقيل الكافر غير مُنْعَمٍ عليه. وقيل منعَم عليه في الدنيا؛ لقول عمر: أولئك قوم عجّلت لهم طيباتُهم في الدنيا ولا يُنعَم عليهم في الآخرة؛ فالنعم الدنيوية والأخروية عامة للمؤمنين؛ لأن الضر نعمة من الله عليه لصبره، كما أن النعمة نعمة عليه لشكره، لكنه يتأدّبُ فلا يصرِّح بِنِسْبَةِ الشرّ إلى ربّه، وإن علم أن الكل من عنده؛ ويعتقد أن نعمه فضلٌ من الله، ونقمه عدل منه؛ ألا تراه كيف ذكر النعمة بأنها من الله، ثم سكت عن الضر؛ بل وصف الإنسان بالاستغاثة والتضرُّع عنده.

وفي هاتين الآيتين [النحل: ٥٣، ٥٤] عتابٌ في ضمنه نَهْيٌ لمن يدعو الله عند الضرّاء برَفْعِ الصوت ويَغْفُل عنه عند العافية.

﴿ما يشتَهُون﴾ [النحل: ٥٧]: يعني أنهم جعلوا الذُّكُورَ من الأولاد لأنفسهم؛ لأنهم يشتهونهم؛ والبنات اللائي يكرهونهنّ لربهم حيث قالوا الملائكة بنات الله. أو كرهوا التوحيد وجعلوا له سبحانه شريكاً، وهم يكرهون المشارك لهم في خططهم ومنازلهم وأموالهم، أو احتقروا الرسل وهم يكرهون ذلك فيمن يرسلونه إلى أحد أن يحتقر؛ وعلى كلٍّ وقع اللوم. وإذا كانوا هم لا يحتملون شيئاً من ذلك ولا يحبونه لأنفسهم فكيف ينسبونه لربهم؟ وهم مع ذلك يدَّعون أن الجنة لهم. والعجبُ منهم ينكرون البعث رأساً.

﴿ما أَنْزَلْنا عليكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لهم الذي اخْتَلَفُوا فيه﴾ [النحل: ٦٤]: دخلت اللام على تبيّن لأنه ليس لفاعل الفعل المعلّل؛ لأن الإنزال من الله

والبيان من النبيّ ﷺ. وألزمه أبو حيان التناقض؛ لأن الزمخشري جعل ﴿هُدًى ورحمة﴾ [النحل: ٦٤] معطوفين على لتبيّن؛ ومحلُّه عندهُ النصب، فكيف يمنع كونه مفعولاً من أجله في اللفظ، ويجعله كذلك في المعنى؟ وأجاب بعضهم بأنه إنما منع نَصْبَه فقط، ولا يلزم أنه لا يصحّ في المعنى إلا ما جاز النطْقُ به. وابن خروف لم يشترط في المفعول من أجله أن يكون مفعولاً لفاعل الفعل المعلل.

﴿مِمَّا في بُطُونِه مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ﴾ [النحل: ٦٦]: قال أبو حيان: حال من ضمير نُسْقيكم؛ أي خارجاً من بين فرث ودم. وقيل متعلق بنسقيكم المقدر؛ إذ لا يتعلق مجروران بفعل واحد. وجُوّز هنا لاختلاف معناهما؛ لأن من الأولى للتبعيض، والثانية لابتداء الغاية.

قال الزمخشري: إذا استقر العلف في كرش البهيمة طبَخْتُه، فكان أسفله فَرْثاً، وأوسطه لبناً، وأعلاه دماً؛ والكبد مسلطة على ذلك تقسمه، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضروع، ويبقى الفرث في الكرش.

وردّه ابن الخطيب بأنا ما رأينا قط في كرش البهيمة المذبوحة لبناً ولا دماً.

وأجاب بعضُهم عنه بأن حالة الحياة لها زيادة، ألا ترى أن الميت إذا قطع منه لم يخرج منه دم بوجهٍ، بخلاف الحيّ؛ ولذلك كان الفلاسفة يشقّون جوفَ الإنسان وهو حيّ لينظروا ما يتحرك في بطنه. والصحيحُ أن الغذاء يطبخه الكرش، فيخرج منه أولاً الأجزاء الكثيفة، وهي الفرث، ويبقى دماً فيطبخه ثانية، ويخرج منه إلى الضروع الأجزاء اللطيفة وهي اللبن، ويصير الباقي دَماً صِرْفاً، فيجعله في العروق؛ وإنما وقع الامتنان بلبن الأنعام المنفصل عنها دون لبن المرأة المتصل بها وبعيشنا، لأن تغذي الإنسان بلبن أُمّه حالة صغره وعدم عقله، ولبن الأنعام يتغذى به صغيراً وكبيراً ويدرك منفعته.

﴿ما تركَ عليها من دَابّة﴾ [النحل: ٦١]: الضمير للأرض، يعني لو عاف الله عباده في الدنيا بكفرهم ومعاصيهم لأهلك الحيوانات. وهذا يقتضي

مؤاخذتَها بذنوب بني آدم. وقد صح ذلك في الحديث: إن الفأرة لتهلك في جُحْرها من ذنوب بني آدم.

﴿ما يكرهون﴾ [النحل: ٦٢]: يعني البنات، وذلك أنهم كانوا يقولون الملائكة بناتُ الله، فَتَبًّا لِقوم كرهوا البنات وجعلوهن أرضاً والذكور سموات، جعلهم الله في كتابه سود الوجوه، وتوعدهم لما كرهوا قضاءَهُ بالجحيم.

﴿ما لا يَمْلِكُ لهم رِزْقًا مِنَ السَّموات﴾ [النحل: ٧٣]: انتصب رزقاً، لأنه مفعول ليملك. ويحتمل أن يكون مصدراً أو اسماً لما يرزق؛ فإن كان مصدراً فإعراب «شيئاً» مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول. وإن كان اسماً فإعراب «شيئاً» بدل منه.

وفي هذه الآية توبيخٌ للكفّار، وردٌّ عليهم في عبادتهم مَنْ لا يملِكُ لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون؛ فَنَفْيُ الاستطاعة بعد نفي الملك أبلغ في الذم. والضمير عائد على ﴿ما﴾ لأن المراد به الآلهة.

﴿مَثلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ على شَيء ومَنْ رَزَقْنَاه﴾ [النحل: ٧٥]: مَنْ: هنا نكرة موصوفة؛ والمراد بها من هو حرٌّ قادر، كأنه قال: وحُرًّا رزقناه؛ ليطابِقَ عبداً. ويحتمل أن تكون موصولة، وهذه الآية مثَل لله تعالى وللأصنام؛ فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء؛ والله تعالى له الملك وبيده الرزقُ، ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوَّى بينه وبين الأصنام.

وإنما قال لا يقدر على شيء؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور، كالْمُكاتَب والمأذون له.

﴿مثَلاً رَجُلَيْن أَحدُهُما أَبْكَمْ﴾ [النحل: ٧٦]: هذه الآية كالتي قبلها في ضرب المثل؛ لبطلان مذاهب المشركين وإثبات التوحيد.

وقيل: إن الرجل الأبكم هو أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عَمّار بن ياسر. والأظهرُ عدم التعيين.

﴿ما أَمْرُ الساعَةِ إلا كلَمْحِ البَصَرِ أو هو أَقْرَب﴾ [النحل: ٧٧]: بيان لقدرة الله تعالى على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه؛ كقوله تعالى: ﴿ما خَلْقُكمْ ولا بَعْثُكم إلاَّ كنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]. وإنما أجرى الله الأطوار، وخلق السموات والأرض في ستة أيام للاعتبار، وأن عادته التدرج في الأمور.

﴿مَنْ كفَر باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانه...﴾ [النحل: ١٠٦]: الآية: مَنْ شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ شَرَحَ﴾ [النحل: ١٠٦]؛ لأنه تخصيص من الأولى. وقوله: فعليهم غضبٌ ـ جوابٌ عن الأولى والثانية؛ لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جواباً للثانية، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية.

وقيل ﴿مَنْ كفر﴾ بدلٌ من الذين لا يؤمنون، أو من المبتدأ في قوله: أولئك هم الكاذبون. أو من الخبر. ﴿ومَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] استثناء من قوله: مَنْ كفر؛ وذلك أنّ قوماً ارتَدُّوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم مَنْ أُكْرِهَ على الكفر، فنطق بكلمة الكفر؛ وهو يعتقد الإيمان؛ منهم عمّار، وصُهيب، وبلال، فعذرهم الله.

ورُوِي أنّ عمار بن ياسر شكا إلى رسول الله ﷺ ما صُنع به من العذاب، وما سامح به من القول، فقال له ﷺ: كيف تجد قَلْبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. قال: فإجابتهم بلسانك لا تضُرّك. وهذا الحكم فيمن أكره على النطق بالكفر. وأما الإكراه على كفر كالسجود لصنم، فاختلف؛ هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم. وأما الإكراه على اليمين والعِتْق والطلاق فلا شيء عليه فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس. وأما الإكراه على قتل أحد وأخذ ماله فلا تجوز الإجابة إليه.

﴿ما فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠] ـ بضم الفاء قراءة الجمهور؛ أي عُذِّبوا، فالآية على هذا في عمّار وشبهه من المعذَّبين على الإسلام. وقرأ ابنُ عامر بفتح

الفاء؛ أي عذّبوا المسلمين، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ثم هاجر وجاهد كالحضرمي وأشباهه.

﴿مَتاعٌ قَلِيل﴾ [النحل: ١١٧]: يعني عيشهم في الدنيا وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

﴿ما قصَصْنا عليكَ مِنْ قَبْل﴾ [النحل: ١١٨]: الخطاب لنبينا ومولانا محمد ﷺ، ذكر له ما حرّم على المسلمين وما حرّم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراءٌ على الله، كما فعلت العرب. والذي حرم على اليهود ما نصّ الله عليه في سورة الأنعام [١٤٦]: ﴿حَرَّمْنَا كلَّ ذِي ظُفُر...﴾ الآية.

﴿ما عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]: المعنى إنْ صُنِعَ بكم صَنِيعُ سوء فافعلوا مثله، ولا تزيدوا عليه، والعقوبة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ.

ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عُقْبى، كقوله في الممتحنة: ﴿فعاقَبْتُم﴾ [الممتحنة: ١١]، بمعنى غنمتم، فيكون في الكلام تجنيس.

وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بَقَر المشركون بطنَه يوم أُحُد، قال النبي ﷺ: لئن أظفرني الله بهم لأمثِّلَنَّ بسبعين منهم، فنزلت الآية، فكفَّر ﷺ عن يمينه، وترك ما أراد من المُثْلة.

ولا خلاف أن المُثْلَة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك، ويقتضي ذلك أنها مدنية. ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة.

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجلٌ في مالٍ ثم ائتمن الظالمُ المظلومَ على مالٍ، هل يجوز له خيانتُه في القَدْر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قومٌ لظاهر الآية، ومنعه قوم للحديث: أدِّ الأمانة إلى من أئتمنك ولا تَخُنْ مَن خانك.

قلت: هذا في المال، وأما عقوبة البدن فلا خلاف أنّ العفو أفضل للآيات

الكثيرة، كقوله: ﴿ولئن صَبَرْتُم لهو خَيْر للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦]. وقوله: ﴿فمَنْ عَفَا وأَصْلَح فأَجْرُهُ على الله﴾ [الشورى: ٤٠]. والحديث: ما ازداد رجل بالعفو إلا عزاً. وفي حديث: فيقوم العافُون عن الناس. والتحريض على العفو لا يُحْصى ذكره.

ويحكى عن الشيخ أبي الحسن الزبيدي رحمه الله أنه كان يوماً ببيت الأشياخ في زاويته، وإذا به خارج هارب فاراً بنفسه، فسئل عن ذلك؛ فقال: خطر لي أني لا أحلل أحداً ممن ظلمني؛ فتذكرت أن النبي ﷺ أشد الناس حرصاً على إنقاذ رجل من أُمته من النار. قلت: وأنا أتسبب في دخولهم إليها! فخفت سقوط البيت عليّ، فهربت.

﴿مع الذين اتَّقوا﴾ [النحل: ١٢٨ ﴾: معناه مع الذين اتقوا بمعونته ونُصْرته، وهو مصدر مشتق من الوقاية؛ فالتاء بدل من واو؛ ومعناه الخوف والتزام طاعة الله، وترك معاصيه؛ فهو جِمَاعُ كل خير.

وقد ضمن الله لِلْمُتَمَسك به الهدى؛ لقوله: هُدًى للمتقين، والولاية لقوله: ﴿والله وليّ المتقين﴾. والمحبة لقوله: ﴿إن الله يحبُّ المتّقين﴾ والمعرفة لقوله: ﴿إنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لكم فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: ٢٩]، والمخرج من الغَمّ، والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿ومَنْ يَتَّقِ الله يجعل له مَخْرجاً. ويَرْزُقْه من حيثُ لا يَحْتَسبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. وتيسير الأمور لقوله: ﴿ومَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ له مِنْ أَمْره يُسْراً﴾ [الطلاق: ٤]. وغفران الذنوب وإعظام الأجور؛ لقوله تعالى: ﴿ومن يَتّقِ اللهَ يُكَفِّر عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجراً﴾ [الطلاق: ٥]. وتقبل الأعمال، لقوله تعالى: ﴿إنما يتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المتقين﴾ [المائدة: ٢٧]. والفَلاَح لقوله تعالى: ﴿واتقوا الله لعلكم تُفْلحون﴾. والبشرى لقوله: ﴿لَهُمُ البُشْرَى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. ودخول الجنة لقوله تعالى: ﴿إنَّ للمتقين عند ربهم جنَّاتِ النَّعيم﴾ [القلم: ٣٤]. والنجاة من النار، لقوله: ﴿ثم نُنَجّي الذين اتَّقَوْا﴾.

والباعث على التقوى عشرة: خوف العقاب الدُّنْيَوِي، وخوف العقاب الأخْرَوِيّ، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأخروي، وخوفُ الحساب، والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته؛ والعلم لقوله: ﴿ إنما يخشى اللهَ مِنْ عباده العلماءُ ﴾. وتعظيم جلال الله؛ وهو مقام الهَيْبة.

ودرجات التقوىٰ خمسة: أن يتّقي العبد الكفر؛ وذلك مقام الإسلام. وأن يتَّقي المعاصي والمحرّمات؛ وهو مقام التوبة. وأن يتقي الشبهات؛ وهو مقام الورَع. وأن يتقي المباحات؛ وهو مقام الزهد. وأن يتقي حضورَ غير الله على قلبه؛ وهو مقام المشاهدة.

﴿ما صَبْرُكَ إلاَّ بِالله﴾ [النحل: ١٢٧]: هذا عزْمٌ على النبي ﷺ في خاصة نفسه على الصبر.

ويروى أنه قال لأصحابه: أمّا أنا فأصبر كما أُمِرت، فماذا تصنعون؟ قالوا: نصبر كما ندبنا. ثم أخبره أنه لا يصبر إلاَّ بمعونة الله.

وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصَّبْر منسوخ؛ وهذا إذا كان الصبر يُرادُ به تركُ القتال، وأما إن كان الصبر يرادُ به ترك المُثْلة التي فُعل مثلها بحمزة فذاك غير منسوخ.

قلت: وبالجملة فقد ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً؛ وذلك لعظم موقعه في الدين. قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور في عشرة أمثالها إلى سبعمائة إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿ إنما يُوَفَّى الصابِرُون أجرَهم بغَيْرِ حساب﴾ [الزمر: ١٠].

وقال بعضهم: الأعمال البدنية الحسنة بعشر، والمالية الحسنة بسبعين، والقلبية ـ وهي الصبر ونحوه ـ إلى غير حد.

وقد ذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة: أولها: المحبة؛ لقوله: ﴿والله يُحِبُّ الصابِرين﴾. والثاني: النصرة؛ لقوله: ﴿ إن الله مع الصابرين﴾.

والثالث غُرفات الجنة؛ لقوله: ﴿يُجْزَوْن الغُرْفةَ بِما صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥]. والأجر الجزيل؛ لقوله: ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. والأربعة الأخر المذكورة في هذه الآية: ﴿وبَشّر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا...﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧] الخ.

والصبر على أربعة أوجه: صبر على البلاء، وهو منع النفس عن التسخّط والهلع والجزَع. وصبر على النعم؛ وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان والتكبر بها. وصبر على الطاعات بالمحافظة عليها. وصبر عن المعاصي بكفّ النفس عنها.

وفوق الصبر التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخّط ظاهراً وباطناً. وفوق التسليم الرضا بالقضاء وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة؛ إذ كل ما يفعل المحبوب محبوب. وعَيْنُ الرضا عن كلّ عَيْبٍ كليلة.

﴿ما أُنْزِل مِن قَبْلِك﴾ [البقرة: ٤]: التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل.

﴿ما هُمْ بمُؤْمنين﴾ [البقرة: ٨]: هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوْس والخزرج، ورأسُهم عبد الله بن أُبيّ، يظهرون الإسلام وَيُسِرُّون الكفر، ويسمى الآن من كان كذلك زِنْديقاً؛ وهم في الآخرة مخلّدون في النار. وأما الدنيا فإن لم تَقُم عليهم بيّنة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم؛ وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب الشافعي الاستِتَابَةُ وترك القتل. ومذهب الإمام القتل دون استتابة.

فإن قلت: كيف جاء قولهم آمَنَّا جملة فعلية، و « ما هم بمؤمنين » جملة اسمية؟ فهلاَّ طابقتها؟.

فالجواب أن قوله: ﴿ما هم بمؤمنين﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم من أن لو قال: وما آمَنُوا.

فإن قيل: لم جاء قولهم ﴿آمنا﴾ مقيّداً بالله واليوم الآخر، وما هم بمؤمنين مطلقاً؟.

فالجواب أنه يحتمل الوجهين: التقييد، وتُرك لدلالة الأول عليه. والإطلاق، وهو أعم في سَلْبهم عن الإيمان.

﴿ما رَبِحَتْ تِجَارَتهم وما كانوا مُهْتَدين﴾ [البقرة: ١٦]: لما ذكر الشراء على الإطلاق ذكر ما يتبعه من الربح والخسران، وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز، لأن الرابح والخاسر هو المتاجر. قال الزمخشري: نَفَى الربح في قوله: فما ربحت؛ ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وما كانوا مُهْتَدِين﴾ [البقرة: ١٦].

﴿مَثَلُهم كمَثَلِ الَّذِي اسْتَوقَد نَاراً﴾ [البقرة: ١٧]: أي أوقد. وقيل طَلَب الوقود، وإن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه؛ وإن كان المثل بمعنى الشبه فالكاف زائدة.

فإن قيل: ما وَجْه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمَتْ؟.

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده.

الثاني: أنّ اختفاء نُورِ كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده كالظلمة.

الثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم، ثم كفر؛ فإيمانه نورٌ وكفْره بعده ظلمة؛ ويرجِّح هذا قوله: ذلك بأنهم آمنوا ثم كَفَرُوا.

فإن قيل: لم قال: ﴿ذهب الله بِنُورهم﴾ [البقرة: ١٧]. ولم يقل ذهب الله بضوئهم، مشاكلةً لقوله: فلما أضاءت؟.

فالجواب أن ذهاب النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء فإنما يطلق على الكثير.

﴿مَحَوْنَا آيَةَ الليلِ وجَعَلْنَا آيةَ النّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أنّ الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع، أي الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، ومَحْوُ آيةِ الليل على هذا كون الفَجْر لم يُجْعَل له ضوء كضوء الشمس. ومعي مبصرة: تبصر فيه الأشياء.

﴿ما عَلَوْا﴾ [الإسراء: ٧]: ما مفعول ﴿لِيُتَبِّرُوا﴾، أي ليُهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد. وقيل إن ما ظرفية، أي ليفسدوا مدة علوِّهم.

﴿ما كُنّا معَذِّبين حتى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء: ١٥]: قيل: إنَّ هذا في حكم الدنيا، يعني أن الله لا يهلك أُمةً إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم.

وقيل: هو عامّ في الدنيا والآخرة، وإن الله لا يعذّب في الآخرة قوماً إلا وقد أرسل إليهم رسولاً فكفروا به وعصَوه. ويدل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سألهم خزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير. قالُوا: بَلَى﴾ [الملك: ٨، ٩].

ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات. واستدل أهل السنّةِ بهذه الآية على أنّ التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل.

﴿مَنْ كان يُريدُ العاجلةَ عجَّلْنَا لهُ فيها ما نَشاءُ لمن نُرِيد﴾ [الإسراء: ١٨]: الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعمُّ من ذلك.

والمعنى أن الله يعجِّل لهم حظاً من الدنيا بقيدين: أحدهما تقييد المقدار المعجّل بمشيئة الله. والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ﴿ولمن نُرِيد﴾ بدل من ﴿له﴾، وهو بدل بعض من كل.

﴿مَدحوراً﴾ [الإسراء: ١٨]: مُبْعَداً مُهَاناً.

﴿محظوراً﴾ [الإسراء: ٢٠]: ممنوعاً.

﴿مذموماً﴾، [الإسراء: ٢٢]، أي يذمّه الله وخيارُ عباده.

﴿مَخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]، أي غير منصور. ومنه: ﴿وإنْ يخذلكم فمَنْ ذَا الذي يَنْصُرُكم من بَعْده﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٩]: أي يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك؛ أو يلومك مَنْ يستحق العطاء؛ لأنك لا تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء. والمحسور: من قولهم: حسره السفَر البعيد فذهب بلحمه وقُوَّته بلا انبعاث ولا نهضة؛ يعني أن كثرة العطاء تقطع بك حتى لا يبقى بيدك شيء.

وفي هذه الآية إشارةٌ إلى الرفق في الأمور. وخيْرُ الأمور أوساطها. وما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا انتزع من شيء إلا شانه.

﴿مَنْ قُتِل مظلوماً فقد جعَلْنَا لِوَليِّه سُلْطانا﴾ [الإسراء: ٣٣]: يعني من قُتل بغير حق فلوليِّه ـ وهو ولي المقتول من سائر العصبة وليس النساء من الأولياء ـ القصاص من القاتل أو العفو عنه.

﴿مَنْصوراً﴾ [الإسراء: ٣٣]: الضمير للمقتول أو لوليه، ونصره هو بالقصاص.

﴿مالَ اليتيم﴾ [الإسراء: ٣٤]: كل متموّل، فلا يجوز الأخذ منه، وقد ورد النهي عن قربه في مواضع من كتابه.

﴿مسئولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من الطلب؛ أي يُطلب منه الوفاء بالعهد.

والثاني: أن يكون المعنى يُسأل عنه يوم القيامة، هل وفَّى به أم لا.

﴿مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولون﴾ [الإسراء: ٤٢]: الضمير يعود على كفّار العرب الذين جعلوا مع الله آلهة؛ فاحتجّ تعالى على وحدانيته بأنه لو كان كما يقولون لابْتَغَوْا سبيلاً إلى التقرّب إليه بعبادته وطاعته، فيكونون من جملة عباده أو لابْتَغوْا سبيلاً إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته. ومعلوم أن ذلك كله لم يكن، فلا إله إلا هو.

﴿مكروهاً﴾ [الإسراء : ٣٨] : الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات؛ من قتل النفس وغيره. والمكروه هنا بمعنى الحرام، لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام. وإعراب مكروهاً نعت لسيئة، أو بدل منها، أو خبر ثان لكان.

﴿مَنْ فِيهنَ﴾ [الإسراء : ٤٤] الضمير يعود على السموات والأرض، ومعناها أن جميع من في السموات والأرض يسبِّح له؛ من صامت وناطق.

واختلف في كيفية هذا التسبيح؛ فقيل: بما تدل عليه صنعتها من قدرته وحكمته. وقيل: إنه تسبيح حقيقة. وهذا أرجح لقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تَسْبِيحَهُم﴾ [الإسراء : ٤٤].

﴿مَسْحُوراً﴾ [الإسراء : ٤٧] : قيل معناه جُنّ فسحر. وقيل معناه ساحر. وقيل هو من السَّحر بفتح السين، أي بشراً ذا سَحْر مثلكم؛ وهذا بعيد.

﴿مَحْذوراً﴾ [الإسراء : ٥٧] : من الحذر، وهو الخوف.

﴿ما منَعَنا أَنْ نرْسِل بالآياتِ إلاَّ أَنْ كذَّبَ بها الأوَّلون...﴾ [الإسراء : ٥٩] : الآيات هنا المراد بها ما يقترحها الكفار.

وسبب نزولها أن قريشاً اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفَا ذهباً، فأخبره الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذِّبوا بها فيهلكوا. وعبّر بالمنع عن ترك ذلك، ﴿وأَنْ نُرْسِل﴾ في موضع نصب. ﴿وأنْ كذّب﴾ في موضع رفع. ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهاً على ذلك؛ لأنهم اقترحوها، وكانت سبب هلاكهم. ومعنى ﴿مُبْصِرةً﴾ واضحة الدلالة.

﴿ما نرْسِلُ بالآياتِ إلا تَخْوِيفاً﴾ [الإسراء : ٥٩] : إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يُرْسل بها تخويفاً من العذاب العاجل، وهو الإهلاك؛ وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفاً من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن.

وقيل المراد بالآيات هنا الزلازل والرعد والكسوف، وغير ذلك من المخاوف.

﴿ما جعَلْنَا الرُّؤْيَا التي أَرَيْنَاك إلاَّ فِتْنةً للنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]: اختلف فيها؛ فقيل: إنها الإسراء، فمَنْ قال إنه كان في اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعيْن. ومن قال: إنه كان في المنام فالرؤيا منامه. والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك، وارتداد بعض المسلمين حينئذٍ.

وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفَّارِ وقتلهم ببَدْر. والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به.

وقيل إنها رؤياه أنه يدخل مكة فعجل في سنَةِ الحديبية فرُدَّ عنها، فافتَتَن بعض المسلمين بذلك.

وقيل: رأى في المنام أنَّ بني أمية يصعدون على منبره ﷺ فاغتَمَّ لذلك.

﴿مَنْ تَبِعَكَ منهم فإنَّ جهنَّمَ جَزَاؤُكم جَزَاءً مَوْفورا﴾ [الإسراء: ٦٣]: كان الأصل أن يقال: جزاؤهم ـ بصيغة الغيبة؛ ليرجع إلى مَنْ تَبِعك؛ ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليباً للمخاطب على الغائب؛ وليدخل إبليس معهم؛ لأنه المخاطب بقوله: ﴿اذهَبْ﴾ [الإسراء: ٦٣] بصيغة الأمر على وجه التهديد.

قال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء، وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلاناً له وتخلية.

ويحتمل أن يكون معناه الطرد والإبعاد.

﴿موفوراً﴾ [الإسراء: ٦٣]: مكملاً، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿ما يعِدُهمُ الشيطانُ إلا غُرورا﴾ [الإسراء: ٦٤]: من المواعدة بشفاعة الأصنام وغير ذلك.

﴿مَنْ كانَ في هذه أَعْمَى فهُو في الآخرة أَعْمَى وأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الإسراء: ٧٢]: الإشارة بهذه إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب، يعني من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو في يوم القيامة أعمى، أي حَيْران، يئس من الخير.

ويحتمل أن يريد بالعمَى في الآخرة عمى البصر، كقوله: ﴿ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضلّ سبيلاً، لأنه حينئذٍ لا ينفعه الاهتداء. ويجوز في العمى الثاني أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من أفعل التي للتفضيل؛ وهذا أقوى لقوله: ﴿وأَضلُّ سبيلا﴾؛ فعطف أضلّ الذي هو أفعل من كذا على ما هو شبيهه.

وقال سيبويه: لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا، ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر لا عمى القلب.

﴿ما أُوتيتُمْ من العِلْمِ إلا قَليلا﴾ [الإسراء: ٨٥]: خطاب عام لجميع الناس؛ لأن عِلْمَهم قليل بالنظر إلى علم الله. وقيل خطاب لليهود خاصة. والأول أرجح؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح.

﴿ما منع الناسَ أنْ يُؤْمنوا...﴾ [الإسراء: ٩٤] الآية: يعني أن ما منع الناس من الإيمان إلا إنكارُهم لبعث الرسول من البشر. وقد قدمنا معارضة هذه الآية للتي بعدها. في سورة الكهف [٥٥].

﴿ماكِثينَ فيه أَبداً﴾ [الكهف: ٣]؛ أي دائمين. وانتصابُه على الحال من الضمير في ﴿لهم﴾ [الكهف: ٥].

﴿ما لَهُمْ بهِ مِنْ عِلْم﴾ [الكهف: ٥]: الضمير عائد على قولهم: ﴿اتخذ اللهُ ولَداً﴾ [الكهف: ٤].

﴿ما على الأَرْضِ زِينةً لَها﴾ [الكهف: ٧]: يعني ما يصلح للتزيّن، كالملابس، والمطاعم، والأشجار، والأنهار، وغير ذلك.

﴿ما يَعْبُدونَ إلاَّ الله﴾ [الكهف: ١٦]: عطف على المفعول في «اعتزلتموهم»؛ أي تركتموهم وتركتم ما يعبدون من دون الله. وهذا الاستثناءُ متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره. ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله.

وفي مصحف ابن مسعود: وما يعبدون من دون الله.

﴿ما يَعْلَمُهم إلا قَليلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]: أي عدة أصحاب الكهف. وقد قدمنا أن ابن عباس من ذلك القليل.

﴿ما لَهُمْ مِنْ دونه مِنْ وَلِيّ ولا يُشْرِكُ في حُكْمِه أحداً﴾ [الكهف: ٢٦]: الضمير لجميع الخلق، أو للمعاصرين النبي ﷺ. وقريء تشرك ـ بالتاء والجَزْم على النهي. وهو خَبَرٌ على القراءة بالياء والرفع.

﴿ما أشْهَدْتهُمْ﴾ [الكهف: ٥١]: الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم، أو للكفار، أو لجميع الخلق، فيكون فيه رد المنجّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتَخَرِّصَة.

﴿مَوْبِقاً﴾ [الكهف: ٥٢]: مهلكاً؛ وهو اسم موضع، أو مصدر من وَبَقَ الرجل إذا هلك؛ وقيل إنه من أودية جهنم. والضمير في ﴿بينهم﴾ للمشركين وشركائهم.

﴿ما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾ [الكهف: ٥٦]: يعني العذاب. وما موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه؛ أو مصدرية.

﴿مَوْعِداً﴾ [الكهف: ٤٨]: قيل هو الموت. وقيل عذاب الآخرة. وقيل يوم بَدْر.

﴿مَوْئِلاً﴾ [الكهف: ٥٨]: أي مَنْجى، ويقال وَأَل الرجل إذا نجا. ومنه قول علي رضي الله عنه ـ وكانت درعه صَدراً بلا ظَهْر، فقيل له: لو أحرزت ظهرك. فقال: إذا وليْتُ فلا وأَلْتُ؛ أي إذا أمكنْتُ من ظهري فلا نَجْوت.

﴿مَوْعِداً﴾ [الكهف: ٥٩]؛ أي وقتاً معلوماً لهلاكهم. والمهْلَك ـ بضم الميم وفتح اللام: اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعد. وقريء بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.

﴿مَصْرِفاً﴾ [الكهف: ٥٣]؛ أي معدلاً ينصرفون إليه.

﴿مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠]: قيل: بحر فارس وبحر الروم بالمشرق. وقيل عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو الأندلس. وقيل العَذْب المالح.

﴿ما كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]؛ أي نطلب فَقْدَ الحوت؛ لأنه أمارة على وجدان الخضْر عليه السلام.

﴿ما فَعَلْتُه عن أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]: هذا دليل على نبوءة الخضر؛ لأن المعنى أنه لم يفعل ما فعل إلا بأمرٍ من الله ووحيِهِ.

﴿مَكَّنّا لَهُ في الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤]: يعني أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم.

﴿ما مَكَّنِّي فيه رَبِّي خَيْر﴾ [الكهف: ٩٥]؛ أي ما بسط الله لي من الملك خَير مِنْ خَرَاجكم، فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿مَنْ كان يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه﴾ [الكهف: ١١٠]: إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حُسْنَ لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رِضاً وقبول. وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه.

﴿مَوَالِي﴾ [مريم: ٥]: أقاربي، وقد قدمنا أن المولى له سبعة معان.

﴿مَرْيم﴾ بنت عمران، ولم يذكر في القرآن من النساء إلا مريم لنكتة تقدمت في الكناية ومعناها بالعبرانية الخادم. وقيل المرأة التي تغازل الفتيان؛ حكاها الكرماني في عجائبه.

﴿مكانا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢]؛ أي بعيداً، وإنما بعدت من قومها حياء منهم أن يظنوا بها الشر.

﴿مَخَاض﴾ [مريم: ٢٣]: نفاس؛ وسمي مخاضاً؛ لأن الولد يتحرك فيه للخروج.

﴿ما كانَ أَبُوكِ آمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم : ٢٨] : لما رأت الآيات علمت أن الله سيُبَرِّئها فجاءتْ به من المكان القصي إلى قومها فعاتبوها بهذا الكلام.

﴿مَهْد﴾ [مريم : ٢٩] : هو المعروف. وقيل المهد هنا حِجْرها.

﴿مُبَاركاً﴾ [مريم : ٣١] : من البركة. وقيل نَفّاع، وقيل معلم للخير، واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿ما تَدْعُون مِنْ دُونِ الله﴾ [مريم : ٤٨] : أي ما تعبدون.

﴿مكانا عَلِيّاً﴾ [مريم : ٥٧] : قال ابن عباس : رفعه الله إلى السماء ، وهناك مات. وفي حديث الإسراء أنه في السماء الرابعة. وقيل : يعني رفعة النبوءة وتشريف منزلته. والأول أشهر، ويرجِّحه الحديث.

﴿مَلِيّاً﴾ [مريم : ٤٦] ، أي حيناً طويلاً ، وعطف اهجرني على محذوف تقديره : احذر رجمي لك.

﴿مَأْتِيّاً﴾ [مريم : ٦١] : وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ؛ لأن الوعد هو الذي يأتي. وقيل إنه على بابه ، لأن الوعد هو الجنة ، وهم يأتونها.

﴿ما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبّك﴾ [مريم : ٦٤] : هذا حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ ، فقال له : أبطَأْتَ عني ، وقد اشتقتُك. فقال : إني أشوق إليك ولكني عَبْدٌ مأمور ، إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست ؛ فنزلت هذه الآية.

﴿ما بَيْنَ أَيْدِينا وما خَلْفَنا وما بَين ذلك وما كان ربك نَسِيّا﴾ [مريم : ٦٤] : هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول. وقيل بمعنى الترك. ومعنى الآية : له ما قدامنا وما خلْفنا وما نحن فيها من الجهات والأماكن ؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله. وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصُّور. وما خَلْفنا الآخرة، وما بين ذلك ما بين النفختين. وقيل : ما مضى من أعمارنا ، وما بَقي منها ، والحال التي نحن فيها ، والأول أكثر مناسبةً لسبب الآية.

﴿مَقَاماً﴾ [مريم: ٧٣]: اسم مكان، مِنْ قام، وقريء بالضم من أقام. ومعنى الآية: إن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقاماً أي أحسن حالاً في الدنيا، وأجمل مجلساً، فنحن أكرم على الله منكم.

﴿مَدّاً﴾ [مريم: ٧٩]؛ أي إمهالاً.

﴿مَرَدّاً﴾ [مريم: ٧٦]: أي مرجعاً وعاقبة.

﴿مَالاً ووَلَداً﴾ [مريم: ٧٧]: قائل هذه المقالة العاص بن وائل، قال: لئن بعثتُ، كما يزعم محمد، ليكونن لي هناك مال وولد.

﴿ما أنزلنا عَلَيْكَ القرآنَ لتَشْقَى﴾ [طه: ٢]: قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورّمت قدماه، فنزلت الآية، تخفيفاً عنه. والشقاء على هذا: إفراط التعب في العبادة. وقيل: المراد به التأسّف على كُفْر الكفار. واللفظ أعمُّ من ذلك كله. والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة، لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو من أسباب السعادة.

﴿مآرِبُ أُخْرى﴾ [طه: ١٨]: أي حوائج، واحدها مأْربة، وكانت عصاه تحادثه، وتُؤانسه، وتضيء له بالليل، وتطعمه إذا جاع، ويركب عليها إذا أعياه الطريق.

﴿ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسى﴾ [طه: ١٧]: إنما سأله ليريه عِظَم ما يفعل في العصا مِنْ قَلْبها حيّة، فمعنى السؤال تقرير على أنها عصاً، ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها. وقيل: إنما سأله ليؤنسه في الكلام.

فإن قلت: لم سأله عن العصا وهو عالم بها، ولم يقل ما في يدك؟.

والجواب تعليماً للمعلم مع المتعلم؛ يسأله عن الشيء وهو عالم به، ولما تحيَّر موسى من هَيْبَته كلامَ خالقه آنسه، وانبسط معه، وتأدب موسى معه في إجمال الخطاب. ولعله اختصر له في الكلام رجاء أن يسمعه مرةً أخرى، وأعطاه الله العصا في يمينه، وسأله عنها؛ إشارة لك يا محمدي أن الله شرف موسى بالعصا.

﴿مَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]: إبهام يراد به تعظيم الأمر.

﴿محبّةً مِنّي﴾ [طه: ٣٩]؛ أي أحببتك. وقيل أراد محبة الناس حتى كان إبليس يحبّه، وكان لا يراه أحد إلا أحبه. وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له. وقوله: ﴿مِنّي﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿ألقيت﴾ [طه: ٣٩]، أو يكون صفة لمحبة، فيتعلق بمحذوف.

﴿مَنْ يَكْفلْه﴾ [طه: ٤٠]: يعني يُرَبِّيه؛ لأنه كان لا يقبل ثَدْي امرأةٍ، فطلبوا له مرضعةً، فقالت أخته ذلك ليُرَدَّ إلى أمه.

﴿معَنَا بَني إسرائيل﴾ [طه: ٤٧]: هذا من كلام موسى، طلب من فرعون أن يسرحهم؛ لأنهم كانوا تحت يده في المهنة؛ فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله تعالى، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿مَنِ اتَّبَع الهُدَى﴾ [طه: ٤٧]: يعني به التحية أو السلامة.

﴿ما بالُ القرونِ الأولى﴾ [طه: ٥١]: يحتمل أن يكون سؤال فرعون عن القرون الأولى محاجَّةَ ومناقضة لموسى، أي ما بالها لم تُبْعَث كما زعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿إنَّ العذاب على مَن كذَّب وتَولَّى﴾ [طه: ٤٨].

ويحتمل أن يكون ذلك قطعاً للكلام الأول، وروغاناً عنه، وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها: ﴿قال عِلْمُها عند رَبّي في كتابٍ﴾ [طه: ٥٢]، يعني اللوح المحفوظ.

﴿مَوْعِداً لا نُخْلِفُه﴾ [طه: ٥٨]: يحتمل أن يكون اسم مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان، ويدل على أنه اسم مكان قوله: ﴿مَكَاناً سُوًى﴾ [طه: ٥٨]، ولكن يضعّف بقوله: ﴿موعدكم يوم الزّينة﴾ [طه: ٥٩]، لأنه أجاب بظرف الزمان. ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله: يوم الزينة، ولكن يضعّف بقوله: مكاناً سُوًى. ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله: لا نخلفه، لأن

الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعّف ذلك بقوله: مكاناً، وبقوله يوم الزينة؛ فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار. ويختلف قوله مكاناً باختلاف تلك الوجوه؛ فأما إن كان الوعد اسم مكان فيكون قوله موعداً ومكاناً مفعولين لقوله: اجعل، ويطابقه قوله يوم الزينة، من طريق المعنى لا من اللفظ؛ وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكاناً على أنه ظرف مكان؛ والتقدير كائناً في مكان. وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكاناً على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بالفعل من معناه، ويطابقه قوله: يوم الزينة على حذف مضاف، تقديره موعدكم وعد يوم الزينة. وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

﴿مكاناً سُوًى﴾ [طه: ٥٨]: معناه مُسْتَوِي القُرب منا ومنكم. وقيل معناه مستَوٍ في الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع. وقرىء بكسر السين وضمها. والمعنى متفق.

﴿ما غَشِيَهم﴾ [طه: ٧٨]: إبهام لقصد التهويل، والضمير راجع إلى قوم فرعون حين تبعوا موسى في ألف ألف مرتين، فلما رآهم قوم موسى خافوا، وقالوا لموسى: ﴿إنا لَمُدْرَكُون﴾ [الشعراء: ٦١]. فقال موسى: ﴿إنَّ مَعِي رَبِّي سيَهْدِين﴾ [الشعراء: ٦٢]. وكذلك قال ﷺ لأبي بكر في الغار: لا تحزن إنَّ الله معنا. وكذلك قال الله لهذه الأمة: «وهو معكم أَينَما كنتم». فالذي قال: إن الله معنا، نجا من شر الكفار؛ فكيف لا ينجو مَنْ قال الله لهم: إن الله معكم ـ من عذاب النار. فأوحى الله إلى موسى: ﴿أن اضْرِبْ بعَصَاكَ البَحْرَ فانفلق، فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم﴾ [الشعراء: ٦٣]؛ فمرّ موسى مع قومه، وجاء فرعون، ودخل البحر مع جنوده فأغرقهم الله أجمعين.

وقيل: إن فرعون لما عاين العذاب أراد الإيمان في حال الغرق، فرفع جبريل الطين وجعله في فِيه حتى استغاث بجبريل سبعين مرة، فلم يُغِثه، فعاتبه الله، وقال

لجبريل: استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تُغثه، وعِزَّتي وجلالي لو استغاث بي لأَغَثْتُه؛ وكذلك عاتب موسى لما استغاث به قارون فلم يغثه، فهنيئاً لك يا محمدي في استغاثتك بمولاك إن رجَعْتَ إليه أفتَرَاه لا يغيثك؟ وهو يقول: ﴿أمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

﴿ما هَدَى﴾ [طه: ٧٩]: الضمير يعود على فرعون لتقدُّم الذكر له.

فإن قيل: إن قوله: ﴿وأضلَّ فرعونُ قومَه﴾ [طه: ٧٩]، يُغْنِي عن قوله: وما هدى.

فالجواب أنه مبالغة وتأكيد. وقال الزمخشري: إنه تهكّم بفرعون في قوله: ﴿وما أهْدِيكم إلَّا سبِيلَ الرَّشاد﴾ [غافر: ٢٩].

﴿ما أَعْجَلَكَ عن قومك يا موسى﴾ [طه: ٨٣]: قصص هذه الآية أن الله لما أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل إلى الطور تقدم وحده مبادرة إلى أمر الله وطلباً لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامريُّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال الله له: ﴿وما أَعجلك...﴾ [طه: ٨٣] الآية؛ فهذا السؤال على وجه الإنكار لتقدمه على قومه. وقيل: ليخبره بما صنعوا بعده من عبادة العجل، فاعتذر موسى بعُذْرَين:

أحدهما: أن قومه على أثره؛ أي قريب منه، فلم يتقدم عليهم بكثير يوجِبُ العتاب.

والثاني: أنه إنما تقدم طلباً لرضاه، وغلبة المحبة، ولذلك لم يطق الصبر مع قومه. وهذا كان سبب مراجعته لرسول الله ﷺ حين قال له: ارجع إلى ربك، واسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. ورحم الله القائل:

★ لعلّي أراهم أو أرى مَنْ يَراهم ★

﴿ما مَنَعَكَ إذ رأيْتَهم ضَلوا ألاَّ تَتّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]: هذا خطاب موسى

لهارون لما رجع من الطور بعد كمال الأربعين يوماً التي كلّمه الله فيها، و﴿لا﴾ زائدة للتأكيد. والمعنى ما منعك أن تتّبعني في المشي إلى الطور، أو تتَّبعني في الغضب لله وشدة الزّجْرِ لِمَنْ عبدوا العجل وقتالهم بمن لم يعبده.

﴿ما قَدْ سبَقَ﴾ [طه: ٩٩]: يعني أخبار الأمم المتقدمين.

﴿ما بَيْنَ أيديهم وما خَلْفَهم﴾ [طه: ١١٠]: الضمير للخَلْق. والمعنى يعلم ما كان قبلهم، وما يكون بعدهم. وقال مجاهد: ما بين أيديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة.

﴿مَنْ أذِن له الرَّحْمَنُ ورَضِيَ له قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩]: مَنْ واقعة على الشافع، والمعنى لكنْ مَنْ أذن له الرحمن يشفع.

﴿مَعيشةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]؛ أي ضيقة، فقيل إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حِرْصه، وإن كان واسع الحال. وقال بعض الصوفية: لا يُعْرِض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقْتُه وتكدّر عليه عيشه. وقيل ذلك في البَرْزَخ. وقيل في جهنم يأكل الزّقُّوم؛ وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة.

﴿ما يَأْتِيهم مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبّهم مُحْدَث﴾ [الأنبياء: ٢]: الضمير عائد على المشركين من قريش، ويعني بالذكر القرآن، ومحدث: أي محدث النزول.

﴿ما آمنَتْ قبْلَهُمْ مِن قَريَةٍ أهلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٦]: لما قالوا: ﴿فلْيَأْتِنا بآية كما أُرسِل الأولون﴾ [الأنبياء: ٥] بالآيات، أخبرهم أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا أُهلكوا. ثم قال: أفهم يُؤمنون؛ أي إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَنْ قبلهم.

ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن؛ فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جواباً لقولهم: فليَأْتِنا بآيةٍ، بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد. وأهلكنا في موضع الصفة لقرية، والمراد أهل القرية.

﴿ما جَعَلنَاهُم جَسداً لا يأكلون الطَّعَام﴾ [الأنبياء : ٨]؛ أي ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين، ووحّد الجسد لإرادة الجنس. ولا يأكلون الطعام صفة لجسد. وفي الآية ردٌّ على قولهم: ما لِهَذا الرسول يأكل الطعام.

﴿مَن نَشَاء﴾ [الأنبياء : ٩]: يعني المؤمنين.

﴿ما أرسلنا...﴾ [الأنبياء : ٢٥] الآية ردٌّ على المشركين. والمعنى أنَّ كلَّ رسولٍ إنما أتى بلا إله إلا الله؛ فكلمتهم واحدة، وفيها تصديق للحديث: الأنبياء أولادُ عَلاّت أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة.

﴿متَى هذا الوَعدُ إن كنتُم صادِقِين﴾ [الأنبياء : ٣٨]: مرادهم القيامة أو نزول العذاب بهم.

﴿مَنْ فَعلَ هَذَا﴾ [الأنبياء : ٥٩]: هذا من قول قوم إبراهيم، وقبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأَوُا الأصنام مكسورة فقالوا: مَنْ فعل هذا؟

﴿ما هؤلاء يَنْطِقُون﴾ [الأنبياء : ٦٥]: لما رجعوا إلى أنفسهم بالفكرة والنظر، قالوا لإبراهيم: لقد علمتَ عدم نُطْقهم، فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ فقد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم؛ فهذا غاية الضلال في فعلهم، وغايةُ المعاندة والمكابرة في جِدَالهم.

﴿مَسَّنِيَ الضُّر﴾ [الأنبياء : ٨٣]: هذا من كلام نبي الله أيوب حين سلط الله عليه البلاء، فخاف على ذهاب قَلْبِه؛ إذ هو موضع المعرفة.

فإن قلت: قد وصفه اللهُ بالصبر في قوله تعالى: ﴿إنا وجَدْنَاهُ صابِراً﴾ [ص : ٤٤]، وقَرَنه بنون العظمة فما بال قوله: مَسَّنِيَ الضرُّ؟

فالجواب أن قوله: مسني ليس تصريحاً بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه؛ فكان في ذلك من حسن التلطّف مما ليس في التصريح بالطلب.

وقيل غير هذا من الجواب أعرضنا عنه لطوله.

وفي الآية إشارة إلى الرجوع إلى الله في رَفْعِ المحن والشدائد؛ ولذا طلب موسى لغيره جَذْوة لعلهم يصطلون؛ فأوصله الله بالوادي المقدس، وطلب الخَضر لغيره فأوصله الله لعَيْن الحياة؛ فلا تنس أيها الناظر في هذا الكتاب الدعاء لموصّله إليك من غير كلفة؛ ولك مثله، كما ورد في الحديث، وأسأله سبحانه أن يفرّج عنّا كربَ الآخرة؛ إذ لا يفرجها غيره سبحانه؛ وتأمل إلى نداء أيوب ربَّه بما يوافق حاله ويقتضيه مقامه وهو الرحمة، فاستجاب له ورحمه.

روي أن الله أنبع له عيناً من ماء، وأمره بالشرب منها، فبرىء باطنه واغتسل منها فبرىء ظاهِرُه، ورُدّ إلى أكمل جماله، وأُتي بأحسن الثياب؛ وكانت امرأته غائبة عنه في بعض شأنها، فلم تره في موضعه الذي تركته فيه، فجزعت وظنَّت أنه نقل منه، وجعلت تتولّه؛ فقال لها: ما شأنك أيتها المرأة فهابته لحُسْن هيئته وجمال منظره، وقالت: فقدتُ مريضاً كان لي هنا، ومعالِم المكان قد تغيرت؛ وتأملت إلى مقاله فعرفته، وقالت: أنت أيوب! قال: نعم، واعتنقها وبكى، ولم يفارقها حتى أراه الله جميع ماله حاضراً بين يديه بعدما فقده.

وروي أن امرأته ولدت بعْدُ ستة وعشرين ابناً، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وآتَيْنَا أَهْلَه ومثْلَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾ [الأنبياء: ٨٤]. وإنما وصف الرحمة بالعِنْدية في هذه الآية لأنه بالغ في التضرع والدعاء؛ فقابله سبحانه بالمبالغة؛ لأن لفظ «عندنا» حيث جاء يدل على أنه سبحانه يتولّى ذلك من غير واسطة.

ولما بدأ القصة في ص بقوله تعالى: ﴿واذكر عَبْدَنا﴾ [ص: ٤١] ختم بقوله: ﴿مِنّا﴾ [ص: ٤٣]؛ ليكون آخر الآية مطابقاً لأول الآية.

﴿ما هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]: نَفْيٌ لحقيقة السكر؛ وقرىء سَكْرى، والمعنى متفق.

﴿مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفّق له ما يُعجبه في ماله وولده قال: هذا دينٌ حسن، وإذا اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام؛ فالحرف هنا كناية عن القلق والاضطراب. وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف، أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه.

﴿ما لا يَضُرُّه﴾ [الحج: ١٢]: يعني الأصنام، و﴿يَدْعُو﴾ بمعنى يعبد في الموضعين.

فإن قلت: قد وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرها أقرب من نَفعها، فنفى الضر ثم أثبته.

والجواب أن الضرّ المنفي أوّلاً يُراد به ما يكون من فعلها، وهي لا تفعل شيئاً. والضر الثاني يراد به ما كان يكون بسببها من العذاب وغيره.

فإن قلت: ما بالُ اللام دخلت على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿لمن ضَرُّه﴾، وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول؟

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه: أحدها أن اللام مقدمة على موضعها، كأن الأصل أن يقول: يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نَفْعه؛ فموضعها الدخول على المبتدأ.

وثانيها أنَّ ﴿يدعو﴾ هنا كرر تأكيداً ليدعو الأول، وتم الكلام؛ ثم ابتدأ قوله: لمن مبتدأ وخبره لبئس المولى.

وثالثها أنّ معنى يدعو: يقول يوم القيامة إذا رأى مضرّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام.

﴿مَا يَغِيظ﴾ [الحج: ١٥]: يعني إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب به ما يغيظه من الأمر، أو ليس يذهب؟

﴿مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض﴾ [الحج: ١٨]: دخل في هذا مَنْ في السموات من الملائكة ومَنْ في الأرض من الملائكة والجنّ، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكرهم في آخرها على وجه التحديد. وليس المراد بالسجود في هذه الآية السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذُكِر بعدهما؛ وإنما المراد به الانقياد.

ثم إن الانقياد يكون على وجهين: أحدهما: الانقياد لطاعة الله طَوْعاً، والآخر الانقيادُ لما يُجرِي الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره شاءوا أو أَبَوا.

﴿مَنْ يُهِنِ اللهُ فما له مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]؛ لأنه المعز المذِلّ الذي يفعل الأشياءَ لغير غرض؛ فلو اجتمع الثَّقَلانِ على رَفْع عبدٍ أراد الله وَضْعه لم يقدروا؛ وبالعكس، والعيان يشهد لذلك.

﴿مكان البَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]: موضعه؛ وذلك أنّ الله دَرَس البيتَ الحرام في الطوفان، فدل الله إبراهيم على مكانه، وأمره ببنائه، كما قدمنا.

﴿مَنَافِعَ لهم﴾ [الحج: ٢٨]: التجارة. وقيل أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعمّ من ذلك.

﴿ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٣٠]: يعني ما حرّمه في غير هذا الموضع؛ كالميتة.

﴿مَنَافِعُ﴾ [الحج: ٣٣]: من قال إن شعائر الله هي الهدايا، فالمنافع بها شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجلُ المسمى نَحْرُها، ومَنْ قال إن شعائر الله مواضعُ الحج فالمنافعُ التجارة فيها أو الأجر؛ والأجل المسمّى الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

﴿مَحِلُّها إلى البيت العَتِيق﴾ [الحج: ٣٣]: من قال إن الشعائر الهدايا فمحلّها موضع نحرها وهو منى، ومكّة؛ وخص البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهَدْيِ، و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محلها قبل نَحْرِها؛ وإنما هي لترتيب الجمل.

ومن قال إن الشعائر مواضع الحج فمحلّها مأخوذ من إحلال المُحْرِم؛ أي آخر ذلك كله الطواف بالبيت؛ يعني طواف الإفاضة؛ إذ به يُحِلّ المحرم من إحرامه.

﴿مَنْسَكاً﴾ [الحج: ٣٤]؛ أي موضعاً للعبادة. ويحتمل أن يكون اسم مصدر، بمعنى عبادة. والمراد بذلك الذبائح؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَذْكُروا اسْمَ اللهِ على ما رزَقَهُمْ مِنْ بَهيمةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]، بخلاف ما يفعل الكفار من الذبائح تقرباً إلى الأصنام.

﴿مَنْ يَنْصُرُه﴾ [الحج: ٤٠]: الضمير عائد على الله. والمعنى إنّ اللهَ ينصر من ينصر دينَه وأولياءه، وهو وعْدٌ تضمَّن الحضَّ على القتال.

﴿مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]: أي مبنيّ بالشِّيد وهو الجص. وقيل المشيد المرفوع البنيان، وكان هذا القصر بقيةً من بقايا ثمود.

﴿مَكَّنَّاهم في الأرض﴾ [الحج: ٤١] المراد بهم أُمةُ محمد ﷺ، مكنَهم الله في أرضه. وقيل الصحابة. وقيل الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مُكّنوا في الأرض بالخلافة، وفعلوا ما وصفهم الله به في الآية.

﴿مَنْ عاقَب بِمِثْلِ ما عُوقِبَ به﴾ [الحج: ٦٠]: قد قدمنا في آية النحل: [١٢٦] أن هذا من معنى التجوّز، ولكن وعد في هذه الآية بالنصر لمن بغي عليه.

فإن قلت: أي مناسبة لختم هذه الآية بالعفو والمغفرة؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعاراً بأن العفو أفضل من المعاقبة، كما قدمنا؛ فهو حضٌّ عليه.

والثاني: أن في ذكرهما إعلاماً بعَفْوٍ عن المعاقب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى.

﴿ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطاناً وما ليس لهم بهِ عِلْم﴾ [الحج: ٧١]: يعني علماً ضرورياً؛ فنفى أولاً البرهان النظري، وهو المرادُ بالسلطان؛ ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى؛ بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظريّ معاً.

﴿مَوْلاَكم﴾ [الحج: ٧٨]؛ أي وليّكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك.

﴿مَكِين﴾ [المؤمنون: ١٣]: متمكّن؛ والمراد به رحم المرأة.

﴿ما كُنَّا عن الخَلْقِ غافِلين﴾ [المؤمنون: ١٧]: يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين، أو المصدر.

﴿ماءً بقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]: يعني المطر الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيونُ والأنهار. وقيل يعني أنهاراً، وهي النيل والفرات ودجْلَة وسَيْحَان، ولا دليل على هذا التخصيص. ومعنى بقَدَر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

﴿ما هذا إلا بَشَرٌ مِثْلُكم﴾ [المؤمنون: ٢٤، ٣٣]: هذا الكلام من قوم نوح لما قال لهم: إني رسول الله إليكم ـ استبعدوا أن تكون النبوءة لبشر، وأثبتوا الربوبية لحَجَر.

﴿ما سمِعْنَا بهذَا في آبائِنَا الأوَّلِين﴾ [المؤمنون: ٢٤]؛ أي بمثل ما دعَوْتم إليه من عبادة الله، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترةٌ طويلة بينه وبين إدريس عليهما السلام.

﴿ما اسْتَكَانُوا لرَبِّهم وما يَتَضرَّعُون﴾ [المؤمنون: ٧٦]: قال بعض النحاة: استكان مشتق من السكون ووَزْنه افتعلوا مطّت فتحة الكاف فحدث عن مطها ألف، وذلك كالإشباع. وقيل إنه من كان يكون فوزْنُه استفعلوا. ومعنى الآية نفي التضرُّع والتذلل.

فإن قلت: هَلاَّ قال: فما استكانوا وما تضرعوا، أو ما يستكينون وما يتضرعون، باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال.

فالجواب أن ما استكانوا عند العذاب الذي أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم بابَ عذابٍ شديد، فَنْفيُ الاستكانة فيما مضى ونفي التضرع في الحال والاستقبال.

﴿ما تَشْكُرونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨]: ما زائدة، وقليلاً: صفة لمصدر محذوف، تقديره شكراً قليلاً تشكرون، وذكر السمع والأبصار والأفئدة وهي القلوب؛ لعظيم المنافع التي فيها، فيجب شُكْر خالقها، ومنْ شُكره توحيدُه واتباعُ رسوله عليه السلام؛ ففي ذكرها تعديد نعمه.

﴿ما قَال الأوَّلُون﴾ [المؤمنون: ٨١]: أي قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فَسّر قولهم بإنكارهم للبعث بقولهم: ﴿لقد وُعِدْنَا نحن وآباؤنا...﴾ [المؤمنون: ٨٣] الآية.

﴿مَنْ فيها﴾ [المؤمنون: ٨٤]: الضمير يعود على الأرض المتقدمة الذِّكر، وأمر الله في هذه الآية رسولَه أن يوقفهم على أُمورٍ لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقَرُّوا بها لزمهم توحيدُ خالقها والإيمانُ بالدار الآخرة.

﴿مَلَكوت﴾ [المؤمنون: ٨٨]: مصدر في بنائه مبالغة، وقد قدمنا أنه الملك بلسان القبط.

﴿ما مَلَكَتْ أَيْمانُهنَّ﴾ [النور: ٣١]: دخل في ذلك الإماء المسلمات والكتابيات. وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: مَنْعُهم لرؤية سيدتهم؛ وهو قول الشافعي. والجَوَاز؛ وهو قول ابن عباس وعائشة. والجواز بشرط أن يكون العبْدُ وَغْداً؛ وهو مذهب مالك.

﴿مثلاً مِنَ الذين خَلَوْا مِنْ قبلكم﴾ [النور: ٢٤]: يعني ضرب لكم الأمثال بمَنْ كان قبلكم في تحريم الزنى؛ لأنه حرام في كل مِلّة، أو في براءة عائشة كما برّأ يوسف ومريم.

﴿مَثَل نُوره﴾ [النور: ٣٥]: الضمير عائد على نور مولانا جلَّ جلاله.

والنور يطلق حقيقة على الضوء الذي يُدرك بالأبصار، ومجازاً على المعاني التي تُدرك بالقلوب؛ والله ليس كمثله شيء.

وقيل الضمير عائد على المؤمن. وقيل على القرآن. وهذه الأقوال كلها ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قلت: كيف يصح أن يُقال الله نورُ السمٰوات والأرض، فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النورَ إليه في قوله: مَثَلُ نوره، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه: أي الله منوّر السموات والأرض. أو كما تقول: زيد كريم، ثم تقول يعيش الناس بكرمه؛ فإن كان معنى نور السموات والأرض النور المدرك بالأبصار فمعناه أن الله خلق النورَ فيهما من الشمس والقمر والنجوم. أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود؛ فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء. ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب نَوَّرَ السموات والأرض ـ بفتح النون والواو والراء مع تشديد الواو، أي جعل فيهما النور. وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب؛ فمعنى نور السموات والأرض: أي جاعل النورِ في قلوب أهل السموات والأرض؛ ولذلك قال ابن عباس: معناه هادِي أَهْلِ السمٰوات والأرض.

﴿مَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه...﴾ [النور: ٥٢] الآية. قال ابن عباس: معناه من يُطع الله في فرائضه، ورسولَه في سُننه، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه، ويتَّقِيه فيما يستقبل.

وسأل بعضُ الملوك عن آية كافية جامعة فذُكرت له هذه الآية، وسمعها بعضُ بَطَارِقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعَتْ كلَّ ما في التوراة والإنجيل.

﴿ما مَلَكْتُم مَفَاتِحه﴾ [النور: ٦١]: يعني أن الله أباح للوكلاء والأجراء والعَبِيد الذين يمسكون خزائن الأموال. وقيل المراد ما ملك الإنسانُ من خَزائن نفسِه؛ وهذا ضعيف.

﴿ما أَنْتُم عَلَيْه﴾ [النور : ٦٤] : هذا خطاب لجميع المنافقين خاصة؛ وفيه معنى الوعيد والتهديد لدخول ﴿قد﴾ [النور : ٦٤] عليه. وقيل معناها التقليل على وجه التهكم.

﴿مَا لِهَذَا الرَّسول يَأْكلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]: هذا من كلام قريش طعناً على نبينا ومولانا محمد ﷺ، كما قيل لنوح، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وما أَرْسَلْنا قَبْلَك مِنَ المُرسلين...﴾ [الفرقان: ٢٠] الآية. وإقرارهم برسالته بلسانهم دون قلوبهم على وجه التهكم؛ كقول فرعون: ﴿إنَّ رَسُولَكُم الَّذِي أُرْسِلَ إليكم لمجنُون﴾ [الشعراء : ٢٧]. أو يعنون الرسول بزَعْمِه.

﴿مَكَاناً ضيِّقاً﴾ [الفرقان: ١٣]: يضيّق عليهم زيادة في عقابهم؛ ولهذا كان ضرس الكافر أو نابه مثل أُحُد؛ فانظر كيف يكون حال من ضيّق عليه، وعظم جرمه! نسأل الله العافية.

﴿ما كان يَنْبَغِي لنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلياءَ ولكن مَتَّعْتَهم وآباءهم حتى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨]: يعني نعمك التي أنعمت عليهم كانت سبباً لنسيانهم لذكرك وعبادتك. والقائلُ لذلك هم المعبودون، قالوا على وجه التبرّي ممن عبدهم؛ كقولهم: أَنْتَ وليُّنا. والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿مَنْ يَظْلِمْ منكم﴾ [الفرقان: ١٩]: الخطاب للكفار. وقيل للمؤمنين. وقيل على العموم.

﴿ما عَمِلُوا مِنْ عَمَل﴾ [الفرقان: ٢٣]: الخطاب للمجرمين، يعني أن الله قصد إلى أعمالهم التي عملوها من إطعام مسكين أو صِلَة رَحِم أو غير ذلك فنثرها ولم يقبلها؛ فلفظُ القدوم في الآية مجاز. وقيل هو قدوم الملائكة، أسنده إلى نفسه؛ لأنه عن أمره.

﴿مَحْجُوراً﴾ [الفرقان: ٢٢]: قد قدمنا أن معناه حراماً محرماً، يعني

الملائكة يقولون للمجرمين: لا بُشْرى لكم؛ وإنما هو حراماً محرماً عليكم؛ وإن كان الضمير للمجرمين فالمعنى أنهم يقولون حِجْراً بمعنى عوذاً؛ لأن العرب كانت تتعوّذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره. وانتصابه بفعل متروك ظاهرهُ؛ نحو: معاذ الله.

﴿مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤]: هو «مفْعلاً»، من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة. وقيل إنَّ حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿مع الرسول سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧]: يحتمل أن يكون نبينا ومولانا محمداً ﷺ، أو اسم جنس على العموم.

﴿مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠]: من الهَجْر، بمعنى البعد والتَّرْك، وقيل: من الهُجْر - بضم الهاء؛ أي قالوا فيه الهُجْر حين قالوا إنه شاعر وساحر؛ والأول أظهر.

﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]: قيل مدّهُ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها؛ واعترضه ابنُ عطية بأن ذلك الوقت من الليل ولا يُقال ظل بالليل. واختار أن مَدّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير. وقيل مدّ الظل؛ أي جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿مَرَجَ البَحْرَينِ﴾ [الفرقان: ٥٣]: اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عَذْب، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح؛ فقال ابن عباس: أراد بالبحر الملح الأجَاج بحر الأرض، وبالبحر العذب: الفرات. وقيل بحر السحاب، وقيل البحر المالح المعروف، والبحر العذب مياه الأرض من الأنهار والعيون، ومعنى الفُرات البالغ العذوبة، حتى يقرب إلى الحلاوة. والأجاج نقيضه.

واختلف في معنى مرجِها؛ فقيل جعلها متجاورين متلاصقين. وقيل: سال أحدهما في الآخر.

وأما قوله تعالى: ﴿وخلق الجانَّ مِنْ مَارِجٍ مِن نار﴾ [الرحمن: ١٥] - فمعناه أنه خلق إبليس من اللهب المضطرب من النار.

﴿ما الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]: لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرَتْه قريش، وقالوا: لا نعرف الرحمن. وكان مُسَيْلمة الكذَّاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿مَنْ يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ [الفرقان: ٦٨]: أي عقاباً. وقيل الأثام الإثم، فمعناهُ يَلْقَ جزاء أثام. وقيل الأثام وادٍ في جهنم. والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذُكر من الشرك بالله، وقَتْل النفس بغير حق، والزِّنَى.

﴿من تاب﴾ [الفرقان: ٧٠]: إن قلنا إن الآية في الكفار فلا إشكال فيها؛ لأن الكافر إذا أسلم صحَّت توبَتُهُ من الكفر والقَتْل والزنى. وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلافَ أنّ التوبةَ من الزنى تصح. واختلف هل تصحُّ توبة المسلم من القتل أم لا؟.

﴿مَتَاباً﴾ [الفرقان: ٧١]: مقبولاً مرضيّاً عند الله، كما تقول: لقد قلت يا فلان قولاً، أي قولاً حسناً.

﴿مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما﴾ [الفرقان: ٧٢]: اللغْوُ هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى مَرُّوا كراماً: أعرضوا عنه واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله، تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك.

﴿ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لولا دُعَاؤُكم﴾ [الفرقان: ٧٧]: يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يُبَالِي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وما خلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وقال ربُّكم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لكم، إنَّ الذين يستَكْبِرُون عَنْ عِبَادتي...﴾ [غافر: ٦٠].

الثاني: أنّ الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى لا يُبَالي الله بكم، ولكن يرحمكم إذا استغَثْتُم به ودعوتموهُ، ويكون على هذين القولين خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين، لأن فيهم من يعبد الله ويدعوهُ. أو خطاباً للمؤمنين خاصة، لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فقد كذَّبْتُم﴾ [الفرقان: ٧٧].

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة. والمعنى على هذا: ما يَعْبَأُ بكم رَبِّي لولا أنه يدعوكم إلى دِينه، والدعاء على هذا ـ بمعنى الأمر بالدخول في الدين.

وهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿مَعَكمْ﴾ [الشعراء: ١٥]: خطاب لموسى وأخيه ومن كان معهما، أو على جعل الاثنين جماعة.

﴿ما تَعْبُدُون؟ قالوا نعْبُد أصناما﴾ [الشعراء: ٧٠، ٧١]: إنما سألهم الخليل مع علمه أنهم يعبدون الأصنام ليُبَيِّن لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويُقيم عليهم الحجة.

فإن قلت: لم صرّحُوا بقولهم نعبد مع أن السؤال يُغني عن التصريح بذلك. وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿ماذا أنْزَلَ ربُّكم؟ قالوا: خَيْراً﴾ [النحل: ٣٠].

فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فنظلُّ لها عاكِفين﴾ [الشعراء: ٧٠، ٧١] ـ مبالغة في ذلك.

﴿مَنْ أتى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيم﴾ [الشعراء: ٨٩]؛ أي من الشرك والمعاصي. وقيل الذي يلقى به ربه وليس في قلبه شيء غيره. وقيل بقلب لديغ من خشيته، والسليمُ اللديغ لغة. وقال الزمخشري: هذا من بديع التفاسير؛ وهذا الاستثناء

يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من أتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع. والمعنى على هذا: المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله، وإن البنين لا ينفعون إلا مَنْ علمهم الدين، وأوصاهم بالحق. ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً ويكون قوله: ﴿من أتى الله﴾ بدلاً من قوله: ﴿مالٌ وبنون﴾ [الشعراء: ٨٨] على حذف مضاف تقديره إلا مال مَنْ أتى الله وبنوه.

ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى لكن.

﴿ما أَضَلَّنَا إلاَّ المُجْرِمُون﴾ [الشعراء: ٩٩]: يعنون كبراءهم وأهل الحَزْم والجُرْأَة منهم.

﴿ما أنا بِطَارِدِ المؤمنين﴾ [الشعراء: ١١٤]: لما طلب قوم نوح منه أن يطرد الأراذل في زَعْمهم أعرض عنهم، وجاوبهم بهذا، وكذلك قريش طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء من مجالسته كبلال، وعمَّار، وصُهيب.

﴿مَرْجُومين﴾ [الشعراء: ١١٦]: إما بالحجارة، أو بالقول والشتم. والأول أظهر؛ لأنه صح عنهم أنهم كانوا يرجمونه حتى أن صبياً كان على عاتق والده، فلما رأى نوحاً قال له ألقني، فأخذ حجراً من الأرض ورماه به؛ فحينئذٍ دعا عليهم، وقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً...﴾ [نوح: ٢٦] الآية. والرجم بمعنى القتال أيضاً.

﴿مَشْحون﴾ [الشعراء: ١١٩]: مملوء. ومعناه أن الله تعالى لما أراد هلاك قوم نوح جاءه جبريل، وأمره أن يتَّخذ الفلك قال: كيف أصنعه؟ قال: انحت مائة ألف وأربعة وعشرين ألف لوح، فصار ينحتهم ويجدُ على كل لوح اسم نبيء. فقال نوح: يا رب، ما هؤلاء؟ فقال الله له: انحتها وأظهر أسماءهم عليها، فنحتها وظهر له على كل لوح اسم نبيء من آدم إلى نبينا ومولانا محمد ﷺ، ثم أمره أن يتَّخذ على عددهم دُسُراً، ويضم الألواح بعضها إلى بعض، ففعل، فكلما مرّ عليه مَلأٌ من قومه سخروا منه. فلما ضم الألواح قالوا له: ما هذا؟ قال: سفينة النجاة. فقالوا: وأين البحر؟ فقال: يأتي الله به.

وفي الخبر أنه احتاج إلى أربعة ألواح، فقال له جبريل: انحتها فنحتها وظهر على الأول أبو بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث عثمان، وعلى الرابع عليّ؛ فقال نوح: مَنْ هؤلاء؟ قال الله له: هم أصحاب حبيبي وصَفِيِّي وخيرتي من خلقي، ينصرونه ويبذلون مهجهم دون مهجته؛ فهم عندي بمنزلة الأنبياء.

فلما ظهرت هذه الأسماء الكرام أنجى الله بها أصحاب نوحٍ عليه السلام؛ فالذي يحبهم ويصلي عليهم أولى بالنجاة من الآلام.

﴿مَصَانِعَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]: جمع مصنع؛ وهو ما أتقن صنعه من المباني. وقيل: مآخذ الماء.

﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]: يراد به عمر الدنيا. والمعنى أن مدةَ إمهالهم لا تُغْني مع نزول العذاب بعدها وإن طالت مدةَ سنين؛ لأن كل ما هو آت قريب.

﴿ما تَنَزَّلَتْ به الشياطين. وما يَنْبَغِي لهم...﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] الآية: الضمير للقرآن؛ وهذا ردّ على مَنْ قال إنه كهانة نزلت الشياطين به على نبينا ومولانا محمد ﷺ. وأنَّى لهم بالوصول إلى ذلك!.

ولفظة ﴿ما ينبغي﴾ تارة تستعمل بمعنى لا يمكن، وبمعنى لا يليق. وإذا مُنعوا من استراق السمع عند مبعثه ﷺ فكيف يستطيعون الكهانة.

﴿ما ظُلِمُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]: في هذا إشارة إلى ما قاله حسّان بن ثابت وغيره من الشعراء في هَجْو الكفار بعد هجوهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين؛ فأباح الله لهم الانتصار، حتى قال ﷺ لحسان: كيف تهجو قريشاً وأنا منهم؟ فقال: لأسلَّنَّكَ منهم سلّ الشَّعْرةِ من العَجين.

﴿مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَها وسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ [النمل: ٨]: يعني في مكان النار ومَنْ حول مكانها، يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام. قال الزمخشري: الظاهر أنه عام في كل مَنْ كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام.

﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ [النمل: ١١] تقديره: لكن مَنْ ظلم مِنْ سائر الناس لا من المرسلين. وقيل متصل على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء؛ وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصْمتهم من الذنوب. وأيضاً تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم.

﴿مَكثَ غَيْرَ بَعِيد﴾ [النمل: ٢٢]؛ أي أقام زماناً قريباً. ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم. ويحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان أو إلى الهُدْهد؛ وهو أظهر.

﴿ماذا يَرْجِعُون﴾ [النمل: ٢٨]: من قوله: ﴿يَرْجعُ بعضُهم إلى بَعْضٍ الْقَولَ﴾ [سبأ: ٣١].

﴿ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْله﴾ [النمل: ٤٩]: الضمير راجع إلى قوم صالح؛ وذلك أنهم اجتمعوا وتشاوروا في قتله، فقالوا نسافر إلى أرضٍ، ثم نرجع خفية من الناس، ونقتل صالحاً، ثم نحلف مائة عند أقربائه إنا ما قتلناه، ولا علمنا له قاتلاً.

﴿مكروا مَكْراً ومَكَرْنَا مَكْراً﴾ [النمل: ٥٠]: هذا على جهة المشاكلة كما قدمنا مراراً؛ وذلك أنهم أرادوا المكر بصالح، والله أراد المكر بهم والنجاة بصالح.

رُوِي أنهم لما قتلوا الناقة قال لهم صالح: تمتَّعُوا في داركم ثلاثة أيام، وعلامةُ ذلك أن تكون وجوهكم في اليوم الأول حمر، وفي الثاني صفر، وفي الثالث سود؛ فلما رأوا هذه العلامة قالوا نقتل صالحاً كما قتلْنَا الناقة؛ فقصدوا إلى داره في اليوم الرابع، وكان يوم الأربعاء، فأخذ جبريل عليه السلام بسور البلد وزَلْزَلَه، وصاح عليهم صيْحةً ماتوا منها بأجمعهم.

وقيل: إن الرهط الذين تقاسموا على قَتْله اختفوا ليلاً في دارٍ قريبة من داره

ليخرجوا منها لقَتْله بالليل، فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصَّيْحَةِ، ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

فإن قلت: عذَّب الله من قتل الناقة ولم يعذب من قتل الحسين.

فالجواب كانت الناقة سببَ الفتنة لقوم صالح؛ لأنهم طلبوها؛ وعادةُ الله سبحانه هلاكُ من طلب آية ولم يؤمن العذاب. والحسين وَلد مَنْ أُرسل رحمة للعالمين، وفي ذلك الزمان كانت أبوابُ العذابِ مفتوحةً، وفي زمان الحسين مغلوقة؛ ألا ترى أن قوم صالح لم ينْفَعْهم الندم على قتلها، وهذه الأمّةُ مرحومة بمن هو رحمة للعالمين، اللهم كما أرسلته لنا رحمة، فرفعتَ به العذاب عن جميع الخلائق، لا تحرمنا منها، أقسمت عليك بجاهه عندك، فإنه قال: إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون صلاة وسلاماً دائمين بدوامك باقيين ببقائك، لا منتهى لهما دون علمك، إنك على كل شيء قدير.

﴿مَنْ في السمواتِ والأَرضِ الغَيْبَ إلا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥]: سبب نزول هذه الآية أنّ قريشاً سألوه ﷺ متى الساعة؟ فأخبره الله بعدم علمها؛ ولذلك قالت عائشةُ رضي الله عنها: مَنْ زعم أنّ محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفِرْية على الله.

فإن قلت: قد أخبر بكثير من المغيّبات، فوقعت على حسب ما أُخبر به؛ وذلك معدود في معجزاته.

والجواب أنه ﷺ بيّن ذلك بقوله: إني لا أعلم الغيب إلا ما علمني الله، اقرؤوا إن شئتم: ﴿عالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيْبِه أحداً. إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

فإن قلت: قد ظهر من أخبار الكهّان والمنجمين ما وقع وصدقهم.

والجواب أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف، أو عن وَهْم، لا عن علم؛ ولا

يجب تصديقُهم؛ لأن الآية نَفَتْ علمهم؛ وإنما يجب علينا تصديق الرسل؛ لأنه علم إلهي.

وقيل: إن الغيب في هذه الآيةُ يُراد به متى تقوم الساعة. ولذلك قال: ﴿وما يَشْعُرونَ أيّانَ يُبْعَثُون﴾ [النمل: ٦٥]. وقد قدمنا في النحل من هدا المعنى؛ ورضي الله عن بعض العلماء لما دخل على بعض الملوك ووجده متحيّراً؛ فقال له: مالك؟ فقال له الأمير: رأيت البارحة ملك الموت في المنام؛ وسألته: كم بقي من عمري؟ فأشار لي بأصابعه الخمس، ولا أدري هل هي خمس ساعات أو أيام أو جمعات أو أشهر أو سنين؟ فقال له: إنما أشار لك بالخمس إلى الحديث في: خمس لا يعلمهن إلا الله؛ ثم قرأ: إنَّ الله عنده علمُ الساعة... الخ. فهدأ رُوعه. وإذا كان ملك الموت الموكل بقبض الأرواح لا يدري عمر العبد حتى يؤمر بقبض روحه، فما بالك بمن افترى على الله، ورحم الله القائل:

لعمرك ما تَدْرِي الضَّوَارِبُ بالحصا ولا زاجراتُ الطير ما اللهُ صانِع

فإن قلت: كيف قال: «إلا اللهُ» بالرفع على البدل، والبدلُ لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلاً، ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها؛ والله تعالى ليس ممّن في السموات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون: إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى لا فيهما ولا داخلاً فيهما ولا خارجاً عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوباً.

فالجواب من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل، وإن كان منقطعاً؛ كقولهم: ما في الدار أحد إلا حمار بالرفع، والحمار ليس من الأحدين؛ وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله تعالى في السموات والأرض بعلمه، كما قال تعالى: ﴿وهو معكم أيْنَ ما كُنتم﴾ [الحديد: ٤]؛ فجاء البدل على هذا المعنى للظرفية

المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

والثالث: أن قوله من في السموات والأرض يراد به كلّ موجود؛ فكأنه قال: مَنْ في الوجود، فيكون الاستثناء على هذا متصلاً، فيصحّ الرّفْعُ على البدل؛ وإنما قالَ مَنْ في السموات والأرض جَرْياً على منهاج كلام العرب؛ فهو لفظٌ خاص يراد به ما هو أعمُّ منه.

والرابع: أن يكون الاستثناء متَّصلاً على أن يتأوّل من في السموات في حق الله كما يتأول قوله: ﴿أأمِنْتُم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]. وحديث السوء أو شبه ذلك.

﴿مَنَّ ضل فَقُلْ إنما أنا مِنَ الْمُنْذِرِين﴾ [النمل: ٩٢]؛ أي إنما عليَّ الإنذارُ والتبليغ. والمعنى إن زلتم عن طريق الرشاد، وأضلَّكم الله عن رؤية السداد فلا يضرني ذلك ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له مِنْ هَاد﴾ [الرعد: ٣٣]، وفي هذه الآية دلالةٌ على أن الله هو المضلُّ والهادي.

﴿مَنْ جاءَ بالحسنَةِ فله خَيْرٌ منها﴾ [النمل: ٨٩]؛ أي عشر إلى سبعمائة، أو من قال: لا إله إلا الله فَلَهُ الجنّة، بدليل: ﴿من جاء بالسيئة فكُبَّتْ وجوهُهم في النار﴾ [النمل: ٩٠]. والسيِّئةُ هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

﴿مَراضِع﴾ [القصص: ١٢]: جمع مُرضع، وهي المرأة التي ترضع، أو جمع مَرْضَع بفتح الميم والضاد، وهو موضع الرضاع، يعني الثَّدْي.

﴿ماءَ مَدْيَن﴾ [القصص: ٢٣]؛ أي بئره، وكانت مدينة شعيب عليه السلام؛ وذلك حين قدم موسى من مصر، وسقى غَنَم شُعيب، فرأى نفسه غريباً فقيراً جائعاً تعبانَ، فقال: أنا الغريب، أنا الفقير، أنا الضعيف، أنا الحقير؛ فنُودي في سره: يا موسى المريض الذي ليس له مثلي طبيب، والضعيف الذي

ليس له مثلي رقيب، والفقير الذي ليس له مثلي نصيب، والغريب الذي ليس له مثلي حبيب. كان لموسى سبعة أسفار، فوجد فيها سبعة أشياء: سفر الخوف: قوله لأمه: ﴿فإذا خِفتِ عليه فألْقِيه في اليَمّ﴾ [القصص: ٧]؛ فوجد: ﴿وأَلْقيْتُ عليكَ محبةً مِنّي﴾ [طه: ٣٩]. وسفر الهروب، فوجد الأنس: ﴿ولما وردَ ماءَ مَدْين﴾ [القصص: ٢٣]. وسفر الطلب لما سار بأهله فوجد الرسالة: يا موسى إني أنا الله. والسفر ببني إسرائيل لما قال: ﴿أن أَسْرِ بعبادِي﴾ [طه: ٧٧، الشعراء: ٥٢]. فوجد فيه النجاة: ﴿فأنجينا موسى﴾. وسفر النصَب: ﴿لقد لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَبا﴾ [الكهف: ٦٢]، فوجد الخضر. وسفر المقاتلة لما قالوا له: ﴿اذهَبْ أَنْتَ وربُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤]. فوجد فيه الحجَر: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاك الحجَر﴾ [الأعراف: ١٦]. وسفر الطور: ﴿ولما جاء مُوسَى لِميقَاتِنا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فوجد فيه الكلام: ﴿وكلَّمه ربّه﴾.

فإن قلت: بأي شيء عرف موسى الكلام؟.

فالجواب: لما علم أن كلام المخلوقين ينقطع وهو بصماخ الآذان ومن جانب واحد؛ ووجد له هيبة ولذة، ولما سمعه غير منقطع، ومن غير جارحة، ومن جميع الجوانب، علم أنه كلام خالقه؛ ولذلك لما قال له الشيطان: مع من تتكلم؟ فقال له: مع الله. قال: ومن أين علمت؟ قال: بهذه الأشياء؛ فلم يزل في قلب موسى من هذا حتى سأله الرؤية، فلم يُعْطَها؛ لأنها لم تكن وقتها. وكيف يرى الباقي بالفاني؟ وكيف يرى الرحمن من رأى الشيطان؟ ولما ذهب إلى الجبل جعل هارون واسطة بينه وبين قومه، فقال له: انظر إلى الجبل، فلما تجلّى الربُّ إلى الجبل صار سبعين ألف قطعة، وخرج من كل قطعة عارف يقول: أَرني أنظر إليك؛ فقال الله لموسى: أتظنّ أنك مشتاق إليّ؟ انظر إلى هؤلاء تطلب مطلبك، فخر موسى صعِقاً من جزَعهم. وأيضاً لو أعطي الرؤية بسؤاله كان مكافأةً لسؤاله، كالمائدة لعيسى، وإحياء الطيور لإبراهيم، مكافأة لسؤالها، ولم تكن الرؤية مكافآة لشيء؛ لأنها ليس مثلها شيء. وأيضاً لما طلب رؤيةَ الحبيب قال

تعالى: ﴿وما كُنْتَ بِجَانبِ الطُّورِ إذْ نادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦]. ولم يكن وجد رؤيته فكيف يعطيه رؤيته، ولا وجد له لذة، كأنه قال له: لن تراني بعين الحبيب وأمَّتِه حتى تكون معهم، ثم تراني؛ وأيضاً قد أعطاه الله رؤية القلب من غير سؤال، فلا يجوز في الحكمة أن يعطيه رؤيةَ البصر بالسؤال، وكأنْ رؤية القلب أعظم وأفضل منْ رؤية البصر؛ لأنّ رؤيةَ البصر مؤقتة، ورؤية القلب دائمة. قال المخزومي: إنما لم يعطه الرؤية؛ لأنه قال في أزلـه: ﴿لا تـدْرِكـه الأبصـار﴾؛ [الأنعام: ١٠٣]؛ يعني في الدنيا؛ فمنعه الرؤية حتى يتحقَّق ما قال، كما أنّ آدم عليه السلام لما قال الله: ﴿إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾ [البقرة: ٣٠] - قضي عليه بالمعصية والخروج من الجنة، حتى يتحقق قوله. وأيضاً لما كان نوره يغلبُ الأبصار حفظ بَصَره، وكيف يستطيع النور الضعيف الثبات مع القوي، ونحن نشاهد بعض البصر يذهب بنورِ البرق.

فإن قلت: لِمَ لَمْ تَصِرْ قلوب العارفين دَكّاً كالجبل وهو يتجلّى لهم في كل ساعة.

والجواب: لما تعوّدت القلوب جمالَه ونورَه مُنذ خلقها فاطمأنّت وسكنت. ولو كانت ساعة لدكَّت القلوبُ كالجبل، فمن ادَّعى رؤيته بالقلب يصدق قوله بخلاف البصر.

﴿مَن استَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين﴾ [القصص: ٢٦]: هذا من قول صفورا لأبيها، فقال لها: ما رأيتِ من قُوّته وأمانته؟ فقالت: رفع الحجر الذي على رأس البئر وحده، ولا يرفعه إلا أربعون رجلاً، وكنت أمشي أمامه، فقال: تأخَّرِي حتى لا يقع بصري على أعضائك، وجعلت هذه المخاطبة رغبة فيه، لكنها كتمت محبته كزُلَيْخا، قالت: ﴿عسى أَنْ ينفَعنا أو نتخذه وَلداً﴾ [يوسف: ٢١، القصص: ٩]. وكذلك خديجة بنت خُويلد جعلت خدمة سيدنا ومولانا محمداً ﷺ سبباً للاتصـال بـه، وكذلك أنت يا محمدي، جعل الله لك امتثالَ الأوامر واجتناب النواهي سبباً لإقباله عليك ومواعدتك الجنة إكراماً لك ومحبة فيك؛ فلما سمع شُعيب مقالة ابنته رغب فيه وقال: ﴿إني أريد أن أُنكِحكَ

إحْدَى ابْنَتَيّ هاتين﴾ [القصص: ٢٧]. فقال موسى: ليس لي قدرة على المهر. قال شعيب: ﴿على أَنْ تَأْجرني ثَمَانِيَ حِجَج﴾ [القصص: ٢٧]؛ فرضي موسى، وجمع شُعيب أَهْل بلده وعقد النكاح، وسلمها إليه.

قال السدِّي: أتى ملك إلى شعيب بعصا موسى، وكانت من سِدْرةِ المنتهى، نزل بها آدم من الجنة. وقيل مِنْ آس فورثها شيث، ثم إدريس، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم إبراهيم، ثم يعقوب، ثم الأسباط، ثم إلى شعيب؛ فقال لموسى: ادخل البيت، وخذ عصا من بين العصيّ، واذهب نحو الغنم؛ فدخل موسى وخرج بعصاه، فرآه شعيب، وقال هذه أمانة، رُدّها إلى موضعها، وخذ الأخرى؛ فرجع ووضعها، وأراد أَخْذَ الأخرى. فدخلت هذه العصا في يده، وكلما جهد أن يأخذ الأخرى لم يقدر، فأخذ تلك العصا، وذهب نحو الغنم؛ فقال شعيب: قد ذهب بأمانة الغير، فألحقه واستردها منه؛ فأدرك موسى وقال: أَعطني العصا، فأبى موسى من إعطائه، فتنازعا واتفقا على أن يحكم بينهما مَنْ لقيهما أولاً، فلقيهما ملك على صورة آدمي، فقال: احكم بيننا. فقال: يا موسى، ضع العصا على الأرض، فإن قدرْتَ أن ترفعها فهي لك، وإن قدر على رَفْعها هو فهي له؛ فوضع العصا على الأرض، فجهد شعيب على رَفْعها فلم يقدر البتّة، فتناولها موسى بيده ورفعها من وقته، وظهرت منها معجزات كثيرة قدمناها. وكذلك بالخاتم الذي جعله الله العهْد بينه وبين خَلْقه.

وخمس أوراق من التين التي كانت تستره: الواحدة أكلتها الظِّباء فصارت مِسْكاً، والثانية أكلتها الحوت فصارت في بطنها عنبراً، والثالثة أكلتها النحل فصارت عسلاً. والرابعة الدود فصارت في بطنها إبريسماً، والخامسة جميع الأشجار التي في العالم.

والمقام جعله الله آية بيّنة ومصلّى للمسلمين.

فتأمل يا محمدّي من اتَّصف بالأمانة من عند الله، وعند خلقه؛ فإن اتصفتَ بها كم لك من تشريف! ألا تراه يقول: ألست بربكم؟ وقال: ﴿إنَّ اللهَ اشترَى

مِنَ المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة: ١١١]. كأنه يقول: عبدي ليس لي حاجةٌ لطاعتك وخِدْمتك، ولكن أمرتك بالطاعة والعبادة، وحملت عليك البلاءَ والمشقة، وطلبت منك النفس والمال والطاعة في جميع الأحوال؛ لتعلم أنّ مرادي منك الوصال؛ وإنما جعلت الأعمال لقطع تهمة الكفار وطعْنهم.

فإن قلت: يشتري أنفسهم وهي له، ولم يقل قلوبهم.

والجواب إنما قال ذلك على طريق الانبساط، كسيّد يقول لعبده: أقرضني كذا وكذا، واشتر منّي كذا، والمال والنفس له؛ وإنما أراد أن يريه كمال لطافته بتمام محبّته، وأيّ حاجة له في ثمن ببيعك، ولكن ليكون فخرك أكبر، وتعلم أنه يحبّك ويرضاك؛ لأن السيد لا يشتري العبد إلا لمحبته فيه، ولا يرضاه عبداً لغيره، ولا يطلب حوائجه إلا منه، وقال أنفسهم؛ لأن أنفسهم معيوبة، والقلوب نقية؛ فاشتراء المعيوب يدل على أنه لا يرده لعلمه بالغيب؛ فاشتراؤه لك يا محمدي؛ دليل على أنه يريد إصلاح عَيْبك، ومَنْ كان قادراً على إصلاح عيْب السلعة لا يردها في المشاهد، ﴿مَنْ أَوفَى بِعَهدِهِ من الله﴾ [التوبة: ١١١]، فأوف بعهده، كما قال: ﴿أَوْفُوا بعَهْدِي أُوفِ بِعَهدِكم﴾ [البقرة: ٤٠]. فلو أراد إبليس أنْ يُغْوِيك ويدعو ما ليس فيك لم يقدر؛ لأن المشتري الأول هو الله، والثمن هو الجنّة، والدال على هذا البيع هو رسولنا وحبيبنا؛ ولذلك دخل الجنة ليلةَ المعراج ليصف لنا الثمن وكيفيته، فأَبشروا يا أُمة محمد؛ فأنتم خير أمة، سمّاكم الله أُمّة الهداية والدعوة والفضيلة والخير، وسماكم بأسماء الخليل، وأعطاكم خِصَال الكليم، وأكرمكم بإكرام نبيكم الحبيب؛ قال تعالى في الخليل: ﴿إنّ إبراهيم كان أُمّةً﴾ [النحل: ١٢٠]. وقال: ﴿كنتم خَيْرَ أُمّة﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال: ﴿إن إبراهيم كان أمّةً قانِتاً لله﴾. ولكم: ﴿أَمَّنْ هُو قانِتٌ آناءَ اللّيلِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال للخليل: ﴿حَنِيفاً﴾ [البقرة: ١٣٥]. ولكم ﴿حُنَفَاء ويُقِيموا الصلاة﴾ [البينة: ٥]. وقال في إبراهيم: شاكراً. مسلماً. وفياً. وفيكم: الصابرين. والمسلمين. والشاكرين. ويُوفُون بالنّذْر. وقال في إبراهيم: صدّيقاً نبيّاً. وفيكم: أولئك هم الصديقون. وقال في إبراهيم: رحيماً،

حلياً، أوَّاهاً، منيباً. وقال فيكم رُحماءُ بينهم. إنه كان للأوَّابين غفوراً. مُنيبين إليه.

وقال للكليم: إني اصطفَيْتُكَ. ولا تَخَفْ. ولقد مننَّا عليكَ مرةً أخرى. ونجَّيْنَاهما وقومهما. وكتبنا له في الألواح من كل شيء. قد أُوتيت سؤْلك يا موسى. قد أجيبت دعوتكما. وقرّبناه نَجِيّاً. وقال لكم: قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. لا تخف. ولا تحزنوا. ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا. إني معكم. لئن أقمتم الصلاة. بل الله يمُنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان. وننجِّي الذين اتقوا. ثم أورثْنَا الكتاب الذين اصْطَفَيْنَا من عبادنا. وآتاكم من كلِّ ما سألْتُموه. وقال ربُّكم ادْعُوني أَستَجِبْ لكم. واسجُدْ واقترب. ما يكون من نَجْوَى ثلاثة إلا هو رابعهم.

وأما إكرام الحبيب فعشرة: ﴿إنا فَتَحْنَا لكَ فَتْحاً مُبيناً، ليَغْفِرَ لك اللهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبك وما تأخر، ويتمّ نعمتَه عليكَ ويَهْديَكَ صِراطاً مستقيماً. وينْصُرك الله نَصْراً عزيزاً﴾ [الفتح: ١، ٢، ٣]. ﴿وجئْنَا بكَ على هؤلاء شَهيدا﴾ [النساء: ٤١]. ﴿أليس الله بكافٍ عَبْده﴾ [الزمر: ٣٦]. ﴿أَلَمْ نشْرح لكَ صَدْرك﴾ [الشرح: ١]. ﴿إنّ الله وملائكتَه يصلُّون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ﴿يومَ لا يُخْزِي الله النبيّ والذين آمنوا معه﴾ [التحريم: ٨]. وقال لكم يا أُمّته: ﴿ما يفتح الله للناس مِنْ رَحْمةٍ﴾ [فاطر: ٢]. ﴿إن الله يغفِرُ الذنوب جَميعاً﴾ [الزمر: ٥٣]. ﴿وأَتممْتُ عليكم نِعْمَتي﴾ [المائدة: ٣]. ﴿وإنّ الله لَهادِ الذين آمنوا﴾ [الحج: ٥٤]. ﴿إن ينْصُرْكُم الله فلا غالِبَ لكم﴾ [آل عمران: ١٦٠]. ﴿لِتكُونوا شُهَدَاءَ على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿وكفى الله المؤمنين القِتَال﴾ [الأحزاب: ٢٥] ﴿أفَمَنْ شرح الله صَدْره للإسلام﴾ [الزمر: ٢٢]. ﴿هو الذي يُصَلّي عليكم ومَلاَئكتُه﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكرُوا الله﴾. [آل عمران: ١٣٥].

اللهم اغفر لنا ولا تؤاخذنا بجاه نبينا وشفيعنا ﷺ.

﴿ما كنْتَ بجانِبِ الغَرْبي﴾ [القصص: ٤٤]: هذا خطاب لنبينا ومولانا محمد ﷺ، والمراد به إقامة الحجة، لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره.

والغربيّ: المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى، والأمر المقضيّ إليه هو النبوءة.

﴿ما كنْت من الشاهدين﴾ [القصص: ٤٤]: يعني من الحاضرين هناك على هذه الغيوب التي أخبرناك بها، ولكنها صارت إليك بوَحينا؛ فكان الواجب على الناس المسارعةُ إلى الإيمان بك وامتثالُ أمرك؛ ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ [القصص: ٤٥] بعد زمان موسى، فتطاول عليهم العمر؛ وطالت الفَتْرة؛ فأرسلْناك على فترة من الرسل، فغلبت عقولهم، واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك.

﴿مَقْبُوحين﴾ [القصص: ٤٢]: مطرودين مبعودين. وقيل قبحت وجوههم لسوادها وزرقة أعينهم. يقال قبح الله وجهه ـ بتشديد الباء وتخفيفها.

﴿مَنْ أحبَبْت﴾ [القصص: ٥٦]: الخطابُ لنبينا ومولانا محمد ﷺ. وسببُ نزولها إعراض عمِّه عن الإسلام لما قال له: يا عمّ؛ قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله. فقال: أخاف أن تعيِّرني قريش؛ ومات على الكفر؛ فأنزل الله عليه: ﴿إنك لا تهدي مَنْ أحبَبْت﴾. ولفظ الآية مع ذلك على عمومه.

﴿ما كان ربُّك مُهْلِكَ القُرى حتى يبعثَ في أُمِّها رَسُولا﴾ [القصص: ٥٩]: أُمّ القرى: مكة؛ لأنها أول ما خلق من الأرض، ولأن فيها بيت الله. والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى ببعث محمد ﷺ في أُمّها؛ فإن كفروا أهلكهم الله بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم.

﴿وما أوتيتُمْ مِنْ شيء﴾ [القصص: ٦٠]: تحقير للدنيا وتزهيد فيها، وأنها لا قيمة لها، وما عند الله خير وأبقى.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاه وَعْداً حَسَناً﴾ [القصص: ٦١]: هذه الآية إيضاح لما قبلها من البَوْنِ بين الدنيا والآخرة. والمراد بمن وعدناه المؤمنون، وبمن متعناه الكافرون. وقيل محمد ﷺ، وأبو جهل. وقيل حمزة، وأبو جهل. والعموم أحسن لفظاً.

﴿ماذا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِين﴾ [القصص: ٦٥]: أي هل صدقتموهم أو كذبتموهم؟ فلا يدرون جواباً؛ لما يرون من الأهوال، ولا يسأل بعضهم بعضاً لتساويهم في الحيرة.

﴿ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] أي يخلق ما يشاء من الأمور على الإطلاق؛ لأنه أعلم بمصالحها، لا يُسأل عما يفعل. وقيل سببها استغراب قريش لاختصاص نبينا ومولانا محمد ﷺ بالنبوّة.

﴿ما كان لهم الخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]: ما نافية. والمعنى ما كان للعباد اختيار؛ إنما الاختيار والإرادةُ لله وحده؛ فالوقفِ على قوله: ويختار. وقيل: إن ما مفعول ليختار. ومعنى الخِيَرة على هذا الخير والمصلحة. وهذا يجري على قول المعتزلة، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان، ولو كانت ما مفعولة لكان اسمها مضمراً يعود على ما وكانت الخِيرة منصوبة على أنها خبر كان. وقد اعتذر عن هذا مَنْ قال إن ﴿ما﴾ مفعولة بأنْ قال: تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف.

وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدرت كان تامة، ويوقف على قوله: ما كان؛ أي يختار كل كائن، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة؛ وهذا بعيد جداً.

﴿ما إنَّ مَفَاتِحَه﴾ [القصص: ٧٦]: هي التي يفتح بها. وقيل هي الخزائن. والأول أظهر. وكانت مفاتيح خزائنه حمل مائة بعير. وفي رواية سبعين بعيراً.

قال مجاهد: وكان وزن كل مفتاح درهماً. وفي رواية وزن نصف درهم. ويفتح بكل مفتاح سبعون باباً. فلما جمع المال ترك النوافلَ من العبادات، فأمر الله تعالى موسى أن يطلب منه زكاةَ أمواله، فحسب مقدارَ زكاته فرآه كثيراً؛ فلم يُؤَدّه، وكان يركب عنده ألف غلام وألف جارية بسروج من ذهب، وثيابهم من ذهب.

﴿مكانَه بالأَمْسِ﴾ [القصص: ٨٢]: تمنّى بنو إسرائيل مكانَ قارون لما رأوا من مركبه، وما أعطاه اللهُ من الزينة والحشم؛ فلما امتنع قارون من الزكاة ألح عليه موسى؛ فقال له: اجمع أهل مصر غداً، فإن غلبتني بالحجة أعطيتك زكاة المال. فدعا قارون امرأةً ذات حُسن وجمال، وقال لها: إني أجمع بني إسرائيل، فإن شهدت على موسى بالفسق، وقلتِ أنا حاملة منه أعطيتك ما أُغنيك. فقبلت. ثم جمع قارون بني إسرائيل في داره، ودعا موسى؛ فقالت بنو إسرائيل: عِظْنَا موعظةً. فوعظهم، وقال: من سرق مالاً قُطِعت يده، ومن زنى بامرأة قُتل. فقال قارون: إن فعلتَ ما قلت فكيف الحكم عليك؟ فقال موسى: إن فعلتُ وجب عليّ الحكم. فقال قارون: لي شاهد بأنك زنيت بهذه المرأة وهي حامل منك. فأشار إليها وقامت، وأوقع الله الرعْبَ في قلبها، وحوَّل لسانها من الكذب إلى الصدق، وقالت: إن موسى بريء مما يقوله قارون ـ وأقرَّتْ بقول قارون لها، وإني أخاف الله من ذلك، هو رسوله وكليمه.

فغضب موسى عليه وناجى واشتكى من قارون، فجاءه جبريل وقال: يا موسى، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: جعلت الأرض في أمرك فأيّ شيء تأمرها فهي مطيعة لك في إهلاك قارون. فرجع موسى إليه وهو جالس على السرير متّكئاً على فراش من ديباج، فضرب موسى عصاه على الأرض، وقال لها: خُذِيه؛ فأخذَتْه إلى ركبتيه، فتضرع إلى موسى فلم يلتفت إلى قوله، وهو يستغيث إليه مراراً، ويعرض عنه؛ فقال الله له: يا موسى، استغاث بك أربع مرات فلم تُغِثْهُ، وعِزَّتي وجلالي لو استغاث بي مرةً واحدة لأَغَثْتُه؛ فحينئذ قام

الذين تَمَنَّوْا مكانه بالأمس يقولون: ﴿ويكأن الله يَبْسط الرزْقَ لمن يشاء ...﴾ [القصص: ٨٢] الآية. وخسف الله به وبداره الأرض؛ لأنه لو لم يخسف بداره لقالت بنو إسرائيل: دعا عليه موسى ليأخذ ماله؛ فانظر هذه الرحمة الشاملة حيث عاتب كليمَه على عدوه وقوله لو: لو استغاث بي لأغثته، وإن لم تعمل على هذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أَسْرَفُوا على أنفسهم...﴾ [الزمر: ٥٣] الآية؛ وإضافته إليك في قوله: وإلهكم إله واحد. فما أشرفها من إضافة! وما أحسنه من تشريف! ولذلك يقول تعالى: خلقت الأشياء كلّها لك، وخلقتك من أَجْلِي، فكلهم لك، وأنا لك؛ فإذا كنتَ لي فأيٌّ شيء يبقى لإبليس معك. وسمّى العبد عبداً لأنه محل العَصا، ومسلكه العيوب؛ ولما أضاف العبد إلى نفسه خاف أن يسلبه إبليس من الله عز وجل فقال: ﴿وهو معكم﴾، فأضافه إلى نفسه حتى لا يقدر إبليس أن يسلبه منه، وليس لك الفخر أيها العبد بنسبتك لسيدك؛ بل الفخر لك لأنه إلهك والإله يرزقك؛ وإن عملت عملاً قَبِله منك، وإن أذنبت ذنوباً غفرها لك، وأنت تشاهد العبد يسمِّي عَبْدَه باسمٍ لا يقدر أحد أن يرفعه ما دام سيده حيّاً، وهو تعالى أضافك إليه شئت أَو أبيت؛ ويكفيك من محبته لك ولطفه بك أنه قال: ﴿أسرفُوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣]، ولم يقل أسرفتم؛ لئلا يخجل العاصي، ويفتضح؛ وتستُّراً عليه حتى لا يهتك ستره ما لم يشرك به، فإنْ رجع بعد الشرك قَبِله وأقبل عليه؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ يَغْفِرُ الذنوبَ جميعاً﴾ [الزمر: ٥٣]؛ ومعاصيك أيها العبد بين اثنين؛ في الله وفي الرسول، فأما التي في الرسول فقد شفع الله فيك، وقال له: فاعْفُ عنهم واستَغْفِر لهم. والتي في الله يأمر الرسول أن يشفع فيك إلى الله؛ وذنوبُك أيضاً لا تخرج من اثنين: إما صغيرة فهي مغفورة باجتناب الكبائر؛ قال تعالى: ﴿إن تجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْن عنه نُكَفِّرْ عنكم سيِّئَاتِكم﴾ [النساء: ٣١]. وإما كبيرة فقد ادَّخر لكَ الرسولُ الشفاعة فيها؛ قال ﷺ: « ادخرْتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ».

قال الحسن البصري: كنتُ ماراً بمكة فسمعتُ امرأةً تقول لزوجها: كل إساءةٍ

تفعلها بي فلا بَأْسَ عليك إذا لم تبدّل بي غيري ولم تشرك غيري معي. فقلت: هذه مثل قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به﴾ [النساء: ٤٨].

وسمع نصراني امرأة تقول لزوجها: أنا ومالي لك ما لم تشرك معي ضرة. فقال: هذا مخلوق لا يرضى بشريك معه، فكيف بالخالق؟ فأسلم من الشرك.

وقال يحي بن معاذ الرازي: إلهي، كاد رجائي قبل المعصية يقارب رجائي قبل الطاعة؛ لأنه بطاعة العبد يظهَرُ من الله العدل وهو الثواب، وبمعصيته يظهر منه الفضل وهو الرحمة.

وقال أيضاً: مثل المؤمن طاعة واحدة بعشرة أمثالها ومعصيته بين ثلاث: طاعة الندامة والخوف والرجاء؛ وكان من دعائه: إلهي، إنْ تعذِّبني يفرح إبليس ويحزن محمد، وإن تعْفُ عني يفرح نَبيِّي ويحزن عدوّي، وأنا أعلم أنك لا تريد شماتةَ العدوّ وحزْنَ الحبيب؛ وقد قلت: ﴿أنّي أنا الغَفُور الرَّحيم﴾ [الحجر: ٤٩].

فإن قلت: هل بين هذين الاسمين فرق؟ وهل الغفار والغافر بمعنى الغفور؟ وَلِمَ لَمْ يَقُلْ في العذاب: أنا المعذّب؛ بل قال: ﴿وأنَّ عذَابي هو العذابُ الأليم﴾ [الحجر: ٥٠]؟

فالجواب أن الغفور للعصاة يغفر لهم جمع معاصيهم، والرحيم للمطيعين يقبل جميعَ طاعاتهم مع التقصير. والغافر للذنب والغفّار مبالغة للذنوب الكثيرة؛ قال تعالى: ﴿وإني لغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢]؛ والغفور لتعجيل المغفرة؛ قال تعالى: ﴿إنه كان للأوّابين غفوراً﴾ [الإسراء: ٢٥]. وبالجملة فله سبحانه مائة اسم، التسعة والتسعون أخبرك بها نبيك؛ فكلما ذكرته بها ذكرك بتسعة وتسعين رحمة من عنده؛ وإنما قال عذابي؛ لأن المغفرةَ صفةٌ والعذاب فعل، والفعل يجوز أن يكون وألاَّ يكون، والصفةُ لا تجوز إلا أن تكون البتة.

﴿مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]: المعاد: الموضع الذي يُعاد إليه؛ يعني مكة.

ونزلت الآية حين الهجرة؛ ففيها وَعْدٌ بالرجوع إلى مكة وفَتْحها، وفيها خاصية لمن أراد من المسافرين الرجوعَ إلى وطنه فليقرأها حين خروجه يعـدْ إليه. وقيل يعني الآخرة، ففيها الإعلام بالحشر. وقيل يعني الجنة.

﴿ما كنْتَ تَرْجُو أن يُلْقَى إليكَ الكتابُ﴾ [القصص: ٨٦]؛ أي ما كنت تطمع أن تنالَ النبوءة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، ورحم الناس بنبوءَتِكَ. والاستثناء بمعنى لكن هو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلاً؛ والمعنى ما أنزلناْ عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لكَ أو للناس، ورحمة على هذا مفعول من أجله، أو حال. وعلى الأول منصوب على الاستثناء.

﴿مَنْ كان يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ...﴾ [العنكبوت: ٥] الآية؛ تسلية للمؤمنين، ووَعْدٌ لهم بالخير في الآخرة، والرجاء هنا على بابه. وقيل هو بمعنى الخوف.

﴿مَنْ جاهد فإنما يُجَاهِدُ لنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]؛ أي منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن اللهَ لا تنفعه طاعة العباد. والمراد بالجهاد هنا إمّا جهاد النفس، وهو أعظم من جهاد العدو؛ لقول عمر رضي الله عنه: رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

﴿مَنْ يقول آمَنّا بالله﴾ [العنكبوت: ١٠]: نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذَّبهم الكفارُ رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا: إنا كنَّا معكم.

﴿مَوَدَّةَ بَيْنكم﴾ [العنكبوت: ٢٥]: بنصب مودة: على أنه مفعول من أجله، أو مفعول ثان لاتخذتم، ورفعها على أنه خبر ابتداء مضمر، أو خبر إن وتكون ﴿ما﴾ موصولة. ونصب بينكم على الظرفية وخفضه بالإضافة.

﴿ما كانُوا سابِقين﴾ [العنكبوت: ٣٩]؛ رأى لم يفوتوا مَنْ أرسلنا عليه حاصباً، إن أراد بالحاصب الريح، فيعود على قوم عاد، وإن أراد به الحجارة فيعود على قوم لوط، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر. واستعمال

اللفظ الواحد في معنيين جائز للآية: إن الله وملائكته يصلّون على النبي. ويقرب ذلك هنا؛ لأن المراد ذكر أحد أصناف الكفّار.

﴿مَنْ أخذَتْه الصَّيْحة﴾ [العنكبوت: ٤٠]: كثمود، ومَدْين.

﴿مَنْ خَسَفْنَا به الأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]: كقارون وأصحابه.

﴿مَنْ أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠]: قوم فرعون وقوم نوح.

﴿مثَلُ الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلياءَ كمثَلِ العَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]. شبّه الله الكفارَ في عبادتهم الأَصنام بالعنكبوت في بنائها بيتاً ضعيفاً، فكما أنّ ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشي؛ كذلك ما اعتمدت عليه الكفّار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرون.

﴿ما يَدْعُونَ مِنْ دُونه مِنْ شيء﴾ [العنكبوت: ٤٢]: ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها، أو هي نافية والفعل معلّق عنها؛ والمعنى على هذا: أَلستم تدعون من دونه شيئاً له بالٌ؛ فيصح أن يسمى شيئاً.

﴿ما كنْتَ تَتْلُو مِنْ قبله من كتابٍ ولا تخطُّه بيَمِينِك﴾ [العنكبوت: ٤٨]: في هذه الآية احتجاج على أنَّ القرآن من عند الله؛ لأنه ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن. واختلف هل كتب بيده ﷺ؟ والصحيحُ أنه كتب في عمرة الْحُدَيْبية اسمه ﷺ لما طلب منه عمر أن يغيِّر محمد رسول الله فأَبى عليّ من تغييره وقال: والله لا أُغيِّر اسمك لأجل قريش. وقد ألف الباجي فيه تأليفاً.

فإن قلت: ما فائدة قوله: بيمينك؟

فالجواب أنَّ ذلك تأكيد للكلام وتصوير للمعنى المراد.

﴿مَوَدةً ورحمةً﴾ [الروم: ٢١]: يعني الجماع، ورحمة: الولد. والعمومُ أحسن وأبلغ.

﴿مَسّ الناسَ ضُرٌّ﴾ [الروم: ٣٣]: قد قدمنا في غير ما موضع أن هذا إنحاء على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد، ويشركون به في الرخاء.

﴿ما آتَيْتُم مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ في أموالِ الناس فلا يَرْبُو عند الله﴾ [الروم: ٣٩]: هذه الآية معناها كالذي تقدم في قوله: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا ويُرِبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]؛ ومعناها ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يَزْكُو عند الله، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به. وقيل المراد أن يهب الرجل أو يُهْدي له ليعوضه أكثر من ذلك، وإن كان جائزاً فإنه لا ثواب فيه. وقرىء: وما آتيتم بالمد بمعنى أعطيتم. وبالقصر بمعنى جئتم به، أي فعلتموه. وقرىء لتربوا ـ بضم التاء. وليربو ـ بالياء مفتوحة ونصب الواو.

﴿من يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى الله﴾ [لقمان: ٢٢]: الوجه هنا عبارة عن المقصد، يعني يستسلم وينقاد لربوبيّته.

﴿ما في الأرض مِنْ شَجَرَةٍ أقْلام...﴾ [لقمان: ٢٧] الآية: إخبار بكثرة كلمة الله، والمرادُ اتساع عِلْمِه، ويعني أنه لو كانت شجرةُ الأرض أقلاماً والبحور مِدَاداً تصبّ فيه صَبّاً دائماً، وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلماتُ الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهيةٌ، وكلمات الله غير متناهية.

فإن قلت: لِمَ لَمْ يقُل: ﴿والبحر مداداً﴾ [الكهف: ١٠٩]، كما قال في الكهف؟

فالجواب أنه أغنى عن ذلك قوله: «يَمُدُّه»؛ لأنه من قوله مدّ الدواة وأمدها.

فإن قلت: لِمَ قال من شجرة ولم يقل من شجر ـ باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

فالجواب أنه أراد تفصيلَ الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة.

فإن قلت: لم قال: ﴿كلمات الله﴾ ولم يقل كلام الله بجمع الكثرة؟

فالجواب أن هذا أبلغ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنها جَمْع قلةٍ فكيف ينفد الجمع الكثير؟

وروي أن سبب نزول الآية قول اليهود قد أوتينا التوراة وفيها العِلْمُ كله، فنزلت الآية؛ لتدلَّ على أنّ ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية.

وقيل سببها أنَّ قريشاً قالوا: إن القرآن سينفد.

﴿مولودٌ هو جَازٍ عن وَالدِهِ شَيْئاً﴾ [لقمان: ٣٣]: يعني أنّ الوالد لا ينفع ولده، والولد لا ينفع والده؛ لأن كلَّ واحد مشغول بنفسه.

فإن قلت: ما فائدة إبراز الضمير في الولد دون الوالد؟

قلت: لِمَا جُبل عليه الوالد من المحبة والشفقة لولده، بخلاف الولد؛ فإنه لا يصل لتلك المحبة والشفقة، ولو كان في غاية البر.

﴿ماذَ تَكْسِبُ غَداً﴾ [لقمان: ٣٤]: أي من خير أو من شر، أو طاعة أو معصية، أو عافية أو بلية؛ وفيه الإشارةُ إلى أنَّ العاقل ينظرُ ما يفعل الله به؛ فيسلّم له أموره، ويشكره على النعم، ويتوب إليه من المعاصي، ويصبر للنقم.

﴿مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]: اسمه عزرائيل، تحت يده ملائكة، وبهذا يجمع بين قوله: ﴿قل يتوَفَّاكُمْ مَلَكُ الموت﴾ [السجدة: ١١]. وبين قوله: ﴿توفَّتْهُ رُسلُنا﴾ [الأنعام: ٦١] وسببُ توليته لقَبْض أرواح بني آدم: استغاثة القَبْضَة من التراب التي خلق الله منها آدم، فقال لها: امتثال أمر الله أولى من رحمتك؛ فلما ولاه على قبض الأرواح قال: يا ربّ، يسبونني ويبغضونني. فقال الله له: سأجعل لموتهم أسباباً من مرَضٍ وغَرَق، وحرق وقَتْل، حتى لا يذكروك.

﴿ما أُخْفِيَ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن﴾ [السجدة: ١٧]: يعني أنه لا يعلم أحد مقدار

ما يُعطيهم الله من النعيم، ورضوان الله أكبر من ذلك. وقرىء بإسكان الياء، على أن يكون فعل المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أفمَنْ كان مؤْمِناً كمن كان فاسقاً لا يَسْتَوُون﴾ [السجدة: ١٨]: يعني المؤمنين والفاسقين على العموم. وقيل المؤمن علي بن أبي طالب، والفاسق عقبة ابن أبي مُعيط.

﴿ماءٍ مَهين﴾ [السجدة: ٨]؛ أي ضعيف. وفيه إشارةٌ إلى الاعتبار بهذه الخلقة من نطفة مذرة، ويحمل في جوفه العذرة، ويرجع جيفة قذرة، فيعرف نفسه، وينزلها منزلتها من الضعف والافتقار، ويدع العزةَ والاستكبار.

﴿ما جعَلَ اللهُ لرجُلٍ مِنْ قَلْبَيْن في جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]؛ لأنه كالإناء إذا ملأته بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مجَال، وهذا هو السبب في زهد أهل الصوفة في الدنيا لئلا تشغلهم عن محبوبهم.

قال ابن عباس: كان في قريش رجلٌ يقال له ذو قَلْبين لشدة فهْمه، فنزلت الآية؛ نفَتْ ذلك. ويقال إنه ابن خَطَل، وقيل جميل بن معمر. وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئةً لما بعده من النفي؛ أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم.

فإن قلت: قد قال الله تعالى: ﴿النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنْفُسهم وأَزواجُه أمهاتُهم﴾ [الأحزاب: ٦]. وفي قراءة أبي: وهو أَبٌ لهم ـ فما فائدة هذا النهي؟

فالجواب أنه أولى بهم من أنفسهم في شفقته عليهم وإنقاذهم من النار. ألا ترى أنه في الدنيا قال: أُمَّتي أمتي. وفي الحشر: لا أَسألكَ فاطمةَ ابنتي ولا نفسي، وإنما أسألك أُمتي. وفي الصراط: اللهم سلِّم أمتي. وفي الحساب: لا تفضح أمتي. وفي الميزان يا إسرافيل أرجح لأمتي. ولا يرضى ﷺ أنْ يبقى أحد من أمته في النار. فيجب علينا حبّه أكثر من أنفسنا، وننصر دينه، ونترك حمية أنفسنا، ونجعل لأزواجه الرضا والمبرة أكثر من أمهاتنا، وإن أوجب الله عليهم حَجْبهن عنا فلعظيم حرمتهنّ.

وأما كونه أباً لنا فالأَوْلَى نسبتنا لآبائنا، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوهم لآبائهم...﴾ [الأحزاب: ٥] الآية؛ وسيأتي سِرُّ نسبتنا إلى أبينا إبراهيم؛ وذلك أنه أُمر بذَبْح ولده، فقال: ﴿إني أرى في المَنَامِ أني أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]؛ فقال الله: يا إبراهيم أرسلتُك بالمشاورة، فبعزّتي إن نظرت إليَّ دون الولد، وقطعت عنه قلبك، وسلّمت لأمري لأجعلن أمة محمد أولادك. قال تعالى: ﴿مِلّة أَبِيكم إبراهيم﴾ [الحج: ٧٨].

وأما محمد ﷺ فلم ينظر إلى شيء دون الله البتة: ليلة المعراج عرض عليه جميع الأشياء فلم يلتفت إلى شيء دونه؛ وهذا قوله: ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى، فلما لم ينظر عليه السلام إلى شيء دونه قطع عنه نسب المخلوقين؛ قال تعالى: ﴿ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ ولو كان النبي أبانا انقطع عنا لِجُرْمِنا، كما أن يعقوب قُطع عن أولاده بالجرم؛ بل كان نبيّاً، فلا يقطع عنا بالْجُرم. ولما كان الأب لا تقبل شهادته لابنه وهو ﷺ شهيداً علينا ومزكياً لأعمالنا فتُقْبل تَزْكيته.

﴿معروفاً﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أي إحساناً، يعني أن نَفْع الأولياء الذين ليسوا بقرابة الوصية لهم عند الموت مندوب إليه؛ وأما الميراثُ فللقرابة خاصة.

واختلف هل المراد بالأولياء المؤمنون أو الكفار؟ واللفظ أعمّ من ذلك.

﴿مسطوراً﴾ [الأحزاب: ١٤]: مكتوباً.

﴿ما تَلَبَّثُوا بها إلاَّ يسيراً﴾ [الأحزاب: ١٤]: الضمير للمدينة.

﴿ما وعدَنَا اللهُ ورسولهُ إلا غُرُورا﴾ [الأحزاب: ١٢]: قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسولُ الله ﷺ حين أمر بحَفْر الخندق من أنّ الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين. وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أم حَسِبْتُم أن تَدْخُلُوا الجنّةَ ولمَّا يَأْتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلكم...﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية. فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرفون.

﴿مَنْ قَضَى نَحْبَه﴾ [الأحزاب: ٢٣]: يعني من قُتل شهيداً كأنس بن

النضر، وحمزة بن عبد المطلب. وقيل قضى نحبه: وَفَى للعهد الذي عاهد الله عليه. ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: طلحة مِمَّنْ قَضَى نَحْبَه ولم يقتل يومئذ.

﴿مَنْ يَنْتَظِر﴾ [الأحزاب: ٢٣]: المفعول محذوف؛ أي ينتظر أن يقضي نحبه، وهو انتظار الشهادة على قول ابن عباس؛ أو ينتظر الحصولَ على أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر.

﴿مَنْ يقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣١]: الضمير عائد على أزواج نبينا ومولانا محمد ﷺ؛ أي من يأتِ منهن بعمل صالح يُضاعف لها ثوابه، لفضلهن على الله؛ كما أن من أتى منهن بعمل سيء يُضاعف على البناء للمفعول، وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل. وقرىء أيضاً من تقنت - بالتاء - حملاً على المعنى، وبالياء حملاً على لفظ مَنْ.

﴿ما كان لمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ...﴾ [الأحزاب: ٤٦] الآية: معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيارٌ مع الله ورسوله؛ بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله. والضمير من قوله: ﴿مِنْ أمرهم﴾ - راجع إلى الجَمْع الذي يقتضيه قوله: لمؤمن ولا مؤمنة؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات. وهذه الآية موطِّئة للقضية المذكورة بعدها.

وقيل: سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة فزوَّجها لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلتِ الآية قالوا رَضِينا يا رسول الله.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فلا وربِّك لا يؤمنون...﴾ [النساء: ٦٥] الآية. وكقوله: ﴿فلْيَحْذَرِ الذين يُخَالفون عَن أَمْرِه أنْ تُصيبَهم فِتْنة﴾ [النور: ٦٣] ﴿إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ليَحْكُمَ بينهم أَنْ يَقُولوا سمِعْنَا وأطَعْنا﴾ [النور: ٥١].

﴿ما كان مُحَمّد أبا أحدٍ مِنْ رِجَالِكم﴾ [الأحزاب: ٤٠]: هذا ردٌّ على

مَنْ قَال في زيد بن حارثة زيد ابن محمد، فاعترض على النبي ﷺ، حين تزوّج امرأة زيد. وعموم الآية في النفي لا يعارضه وجود الحسن والحسين. لأنه ﷺ لها أب في الحقيقة؛ وإنما كانا ابني ابنته. وأما ذكور أولاده فماتوا صغاراً فليسوا من الرجال.

﴿ما ملكَتْ يمينُك مِمّا أفاء اللهُ عليكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]: في هذه الآية إباحة السَّراري لمولانا محمد ﷺ، ولم يملك منهن غير مارية وريحانة. وما أفاء الله عليه: الغنائم، ومنهن صفية، لكنه أعتقها، وجعل عتقها صداقها.

﴿ما اللهُ مُبْدِيه﴾ [الأحزاب: ٣٧]: روي أنه ﷺ ذهب يوماً لزيارة زَيْد، فخرجت زينب كالشمس الضاحية، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين؛ فلما جاء زيد أخبرَتْه بقوله ﷺ، ففهم أنها أعجبته؛ ومِنْ خصائصه ﷺ إذا وقع بصره على امرأة وأعجبته وجب على زوجها طلاقُها رِضاً له ﷺ؛ فأتى إلى رسول الله ﷺ، وقال له: قد طلقتُ زينب يا رسولَ الله. فقال له: أمْسِكْ عليك زوْجك واتَّقِ الله، فأبْدَى الله ذلك بأن قَضَى الله بتزويجها. قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسولُ الله ﷺ يُخفي شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه.

فإن قلت: قد حرم الله عليه خائنةَ الأعين، فكيف أخفى في نفسه حبَّه طلاقها من زيد؟

فالجواب أن الذي أخفى إنما هو أمر مُباح لا إثم فيه ولا عَيب؛ أشفق على أُمّته من التسلُّط عليه بألسنتهم، فيكون فيه هلاكهم؛ وتأمّل قولَه في أم سلمة لما أتته في معتكفه، وانطلق معها بغَلس ولقيه الصحابة وهو معها؛ فقال: إنها أُمُّكم أمّ سلمة. فقالوا: أو تحدثنا أنفسنا بذلك، وأنتَ رسول الله؟ فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فأبدى الله زواجَها منه؛ وبهذا كانت تفخر على نساء رسول الله ﷺ، وتقول: إن الله زوّجني من فوق سبع سموات.

وقيل: إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فأخفاه؛ فأعلمه الله في كتابه.

﴿ما فَرَضْنَا عليهم في أَزْوَاجِهِم﴾ [الأحزاب: ٥٠]: يعني أحكام النكاح، والصداق، والوليّ، والاقتصار على أربع، وغير ذلك.

﴿مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عزَلْتَ فلا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: [الأحزاب: ٥١]: في معناه قولان:

أحدهما: من عزلْتَه من نسائك فلا جناح عليك في ردّه بعد عزْله.

والآخر: مَن ابتغيت ومَنْ عزلت سواء في إباحة ذلك لك. فمن للتبعيض على القول الأول، وأما على الثاني فنحو قولك: مَنْ لقيته ممن يلقاك سواء.

﴿ما ملكَتْ يَمِينُك﴾ [الاحزاب: ٥]: المعنى أنّ الله أباح الإماء، فالاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حُسْنُهُنّ.

﴿ما كان لكم أن تُؤْذُوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تَنْكِحُوا أزواجَه مِنْ بَعْدِهِ أبداً﴾ [الأحزاب: ٥٣]: تكرير الآيات القرآنية في إذايته ﷺ إشارةٌ لعظم ذلك؛ وإذا نهى الله عن الجلوس في بيته للحديث والاستئناس فما بالك بمن تنَقَّصه أوْ عَابَه أو آذاه؛ وهذا لا يشكُّ أحدٌ في كفره.

وقد ألف الناس في هذا المعنى تواليف؛ ومن أوكد احترامه الاستماعُ لحديثه والصلاةُ عليه عند ذكره.

وأما تحريم أزواجه فسببُه أنّ بعضهم قال: لو مات رسولُ الله ﷺ لتزوجتُ عائشة؛ فحرّم الله على الناس تزوجهن، وهذا في مدخولته، وأما غير المدخول بها فجائز. وقد تزوج عكرمة بن أبي جهل إحداهن، فلم ينكر عليه الخلفاء رضي الله عنهم.

﴿ما اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: ٥٨]: يعني اجترحوا. وفي الآية تنبيه على أنّ ذلك هو البهتان، وهو ذِكْرُ الإنسان بما ليس فيه، وهو أشد من الغيبة مع أنها

محرَّمة، وهي ذِكْرُه بما فيه مما يَكْرَه؛ وإذا أردت أن تعرف عظيم مرتكبها فقِسْ ما بين قوله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل أن يطأ الرجلُ أمّه». وقوله ﷺ: «مِن أَرْبَى الرِّبَا استطالةُ المسلم في عِرْض أخيه بغير حق» - يظهر لك عظيم ما نحن فيه من الهلاك إن لم يعْفُ عنا مولانا؛ فعليك بدعاء آدم عليه السلام: رَبّنا ظلَمْنَا أنفسنا وإنْ لم تَغْفِرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين. فسمع نداءه فتاب عليه وهَدَى.

﴿مَلْعُونين﴾ [الأحزاب: ٦١]: نصب على الذم، أو بدل من قليل، أو حال من ضمير الفاعل في: ﴿يجاورونك﴾؛ تقديره: سيقفون ملعونين.

﴿ما يَلِج في الأرض﴾ [سبأ: ٢]: أي ما يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك، وما يخرج منها من النبات وغيره.

﴿وما يَنْزِلُ من السماء﴾ [سبأ: ٢]: من المطر والملائكة والرحمة والعذاب.

﴿وما يَعْرُجُ فيها﴾ [سبأ: ٢]: أي يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿ما بَيْنَ أَيْدِيهم وما خَلْفَهم من السماء والأرض﴾ [سبأ: ٩]: قد قدمنا معناه. والمعنى هنا أو لم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا أن الذي خلقهما قادر على بَعْثِ الناس بعد موتهم. ويحتمل أن يكون المعنى تهديداً لهم لقوله: ﴿إن نَشَأْ نَخْسِفْ بهم الأرض أو نُسْقِطْ عليهم...﴾ [سبأ: ٩] الآية.

﴿مَسْكَنِهم﴾ [سبأ: ١٥]: الإشارة إلى قوم سبأ، وقد قدمنا أن مساكنهم كانت بين الشام واليمن، وكان الرجل منهم لا يتزود ويمشي في ظل الشجر، ولا يخاف من أحد؛ فكفروا بأَنْعُم الله، وقالوا باعِدْ بَيْنَ أسفارنا ليتزّودوا للأسفار ويمشوا في المفاوِز؛ فجعل الله إجابتهم كما قال: ﴿مَزّقناهم كل مُمَزَّق﴾ [سبأ: ١٩]؛ أي فرّقناهم في البلاد حتى ضُرب المثل بفرقتهم؛ فقيل: تفرّقوا أَيْدي سبأ. وفي الحديث: إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلدهم تفرّقوا فتيامَنَ منهم ستة، وتشاءم أربعة.

﴿ماذا قال ربُّكم﴾ [سبأ: ٢٣]: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنّ هذه الآية في الملائكة عليهم السلام، وقد قدمنا معنى ذلك.

﴿ما آتَيْنَاهم من كُتُب يَدْرُسُونهَا...﴾ [سبأ: ٤٤] الآية: معناها يحتمل وجهين: أحدهما ليس عندهم كتاب يدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلةٌ؛ إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا الرد عليهم. والآخر أنه ليس عندهم كتاب ولا جاءهم نذير؛ فهم محتاجون إلى مَنْ يعلمهم ويُنذرهم؛ فلذلك بعث الله إليهم محمداً ﷺ؛ فالقصد على هذا إثبات نبوءته.

﴿ما بلَغُوا مِعْشَارَ ما آتَيْنَاهُم﴾ [سبأ: ٤٥]: المعشار: العشر، والضمير في بلغوا لكفّار قريش، وفي آتيناهم للكفار المتقدمين؛ أي أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال. وقيل الضمير في بلغوا للمتقدمين، وفي آتيناهم لقريش؛ أي ما بلغ المتقدمين عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة. والأول أصح؛ وهو نظير قوله: ﴿كانوا أشدَّ منهم قوة﴾ [فاطر: ٤٤].

﴿ما بِصاحِبِكم مِنْ جنَّة﴾ [سبأ: ٤٦]: الضمير لنبينا ومولانا محمد ﷺ؛ لأنهم إذا تفكروا في أقواله وأفعاله دلَّهم ذلك على رَجَاحة عقله، ومتانة علمه، وأنه ليس بمجنون ولا مُفْتَرٍ على الله.

﴿ما سألْتُكم مِنْ أجْرٍ فهو لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]: هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فخذه، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا؛ فهو كقوله: ﴿قل ما أَسألكم عليه مِنْ أجْر﴾ [الفرقان: ٥٧].

وقيل معناه: ما سألتكم من الصلاة فهو لكم.

﴿ما يَشْتَهُون﴾ [سبأ: ٥٤]: الضمير للكفار، يعني أنهم يريدون الرجوع

إلى الدنيا، أو دخول الجنة، أو الانتفاع بالإيمان حينئذ؛ فيُحَال بينهم وبين شهوتهم.

﴿ما يَفْتَح اللهُ للناسِ مِنْ رَحمة﴾ [فاطر: ٢]: الفتح في هذه الآية: عبارة عن العطاء، والإمساك عبارة عن الْمَنْع، والإرسال والإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمنّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة. فمعنى الآية لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعْطي لما منع.

فإن قيل: لم أنّث الضمير في قوله: فلا ممسك لها؛ وذكّره في قوله فلا مرسل له، وكلاهما يعود على ما الشرطية.

فالجواب أنه لما فَسَّر الأول بقوله: من رحمة ـ أنث لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير.

﴿مَنْ زُيِّنَ له سوءُ عَمِلِه﴾ [فاطر: ٨]: توقيف؛ وجوابه محذوف، تقديره أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله كمن لم يُزَيّن له. ثم بني على ذلك ما بعده؛ فالذي زُين له سوءُ عمله هو الذي أضلَّه الله، والذي لم يزين له سوءُ عمله هو الذي هداه.

﴿مَكْرُ أولئكَ هو يَبُور﴾ [فاطر: ١٠]: قد قدمْنَا في حرف الباء أنَّ البَوارَ معناه الهلاك، ومعناه هنا أنّ مكرهم يبطل ولا ينفعهم.

﴿ما يُعَمَّر مِنْ مُعَمَّر...﴾ [فاطر: ١١] الآية. معناها أنّ التعمير ـ وهو طول العمر، والنقص وهو قصره ـ مكتوب في اللوح المحفوظ.

فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان في شخص واحد؛ فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿ولا يُنْقَص من عُمره﴾ [فاطر: ١١] على الشخص المعمر؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو الصحيح ـ أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب؛ فوضع من معمر في موضع من أحد؛ وليس المراد شخصاً واحداً؛ وإنما ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبداً ولا يثيبه إلا بحق.

والثاني: أن المعنى لا يُزَادُ في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب؛ وذلك أن يكتبه في اللوح المحفوظ إن تصدَّق فلانٌ فعمره ستّون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون؛ وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: صلَة الرحم تزيد في العمر، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية. وقد قال كعب حين طعن عمر: لو دعا الله فزاد في أَجله، فأنكر الناسُ ذلك عليه، فاحتج بهذه الآية.

والثالث: أن التعمير هو كَتْب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ؛ وذلك في حق كل شخص.

﴿ما يَسْتَوِي البَحْرَان﴾ [فاطر: ١٢]: قد قدمنا معنى البحرين، والقَصْدُ في هذه الآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده. وقال الزمخشري: إن الله ضرب البحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر؛ وهذا بعيد.

﴿ما يَسْتَوِي الأَحياءُ ولا الأموات﴾ [فاطر: ٢٢]: الآية تمثيل لمن آمن؛ فهو كالحيّ؛ ومن لم يؤمن فهو كالميت. وقوله: ﴿وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] عبارة عن عدم سمع الكفّار للبراهين والمواعظ؛ فشبّههم بالموتى في عدم إحساسهم.

وقيل المعنى أنَّ أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم؛ وإنما بعثت إلى الأحياء.

وقد استدلت عائشة بالآية على أنَّ الموتى لا يسمعون؛ وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لِقَتْلى بَدْر حين جُعلوا في القَلِيب، وقوله: ما أنت بأَسمع لما أقول لهم منهم؛ ولكن يمكن الجَمْعُ بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا رُدَّت إليهم أرواحهم سمعوا، وإن لم ترد إلى أجسادهم لم يسمعوا؛ فردَّ الله إلى أهل القليب أرواحهم ليسمعوا خطابه ﷺ تهويلاً لهم وحسرةً في قلوبهم.

﴿ما أُنْذِرَ آباؤُهم﴾ [يس: ٦]: ما نافية. والمعنى لم يُرسَل إليهم ولا

لآبائهم رسول ينذرهم. وقيل المعنى لتنذر قوماً مثل ما أُنذر آباؤهم؛ فما على هذا موصولة بمعنى الذي أو مصدرية؛ والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فهم غافلون﴾ [يس: ٦]؛ يعني أنّ غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون بمعنى قوله: ﴿ما أتاهم مِنْ نذير﴾ [السجدة: ٣]. ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقدمون.

﴿مَنِ اتّبعَ الذِّكْرَ وخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بالغَيْبِ﴾ [يس: ١١]؛ أي غير مشاهِد له؛ إنما يصدّق رسوله ويسمع كتابه.

فإن قلت: كيف قرن بالخشية الاسم الدالّ على الرحمة في يس وق، وفي فاطر [١٨] أضافه للربوبية؟

وجوابك: معناه في فاطر أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشَوْن ربَّهم وهم غائبون عن عذابه وغائبون عن الناس، فخشيتهم حقّ لا رياء، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار. بالغيب في موضع الحال من الفاعل في «يخشون»؛ وإنما ذكر الرحمة مع الخشية لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه بحلمه ورحمته. قال الزمخشري: ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن الرحمن قد صار يستعمل استعمال الاسم، كقولنا الله.

﴿مَنْ لا يَسْأَلكُم أَجْراً﴾ [يس: ٢١]: هذا من قول حبيب النجار لقومه؛ يعني أن هؤلاء المرسلين لا يسألونكم أُجرة على الإيمان فتخسرون معهم ويثقل عليكم؛ وإنما يطلبونكم لمنفعتكم الأخروية، والذي يطلبك لنفسك من غير طمع في دنياك أوْلى باتباعه لتمحض نُصحه، ثم دلّهم على اتباعه.

﴿مالِي لا أَعْبدُ الذي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢]: معناه أي شيء يمنعني عن عبادة ربي؟ وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قُصد به البيان لقومه ولذلك قال لهم: ﴿وإليه تُرجعون﴾ [يس: ٢٢]؛ فخاطبهم بخطاب من يشاهدون رجوعَ قومهم واحداً بعد واحد.

﴿ما أَنزلْنَا على قَوْمه مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ من السماء﴾ [يس : ٢٨] : المعنى أن الله أهلكهم بصيْحَةٍ صاحها جبريل، ولم يحتَجْ في تعذيبهم إلى إنزال جُنْد من السماء ؛ لأنهم أهونُ من ذلك.

وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلاً كما قالت قريش : ﴿لولا أُنزلَ إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً﴾ [الفرقان : ٧]. وقالوا أيضاً : ﴿لَوْمَا تَأْتينا بالملائكة إنْ كُنْتَ مِنَ الصادقين﴾ [الحجر : ٧]. فردَّ اللهُ عليهم بقوله : ﴿ما نُنَزِّلُ الملائكة إلا بالحقّ﴾ [الحجر : ٨] ؛ يعني أنّ نزول الملائكةِ لغير النبي إنما هو للانتقام منه أو لقَبْض رُوحه. وقد جرت حكمة الله أَن إيمان خَلْقه إنما يكون نظرياً بالدليل والبرهان، ولو نزلت الملائكة لاضطر خلقه إلى الإيمان به، لأنهم رأوا الحقّ عياناً، ورأوا المعجزات التي آمن بها الصحابة ولم يروها ؛ فطُوبى لمن رأى صحفاً تُتْلى سواداً في بياض، وآمن بها وصدقها، وكيف لا وقد قال فيهم ﷺ : « أولئك إخواني حقاً ».

﴿ما كُنّا مُنْزِلِين﴾ [يس : ٢٨] ؛ أي ما كنا لننزل جنْداً من السماء على أحد ؛ وبهذا يتبينُ لك أن لفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بَعْد ذلك.

فإن قلت : قوله تعالى في الأحزاب : ﴿فأَرْسلنا عليهم رِيحاً وجُنُوداً لم تَرَوْها﴾ [الأحزاب : ٩] ؛ وقد أنزل الله خمسة آلاف ملك يوم بَدْر وحُنين لنُصْرة رسول الله ﷺ ؟

والجواب أن معناه ما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جُنْداً من السماء ؛ وذلك أن الله عز وجل أجرى هلاك قوم بالريح، وقوم بالصيحة، وقوم بالغَرَق، بحسب حكمته السابقة. ولما كان إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يستأْهِلُها الكفرة أَخذَهُم الله بأَقلّ الأمور. ولما جعل الله الملائكة خدّاماً لهؤلاء الأمة المحمدية يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، ليحظوا بحظ الردّ لحرمة حبيبهم وصفيهم محمد ﷺ، وجعلهم

يستغفرون لهم، حتى إن جبريل طلب منه ﷺ أن تجوز أمّته على جناحه ليقيهم من حَرّ نار جهنم، وطلبت الملائكةُ يوم بَدْر وحُنين ربها في نصرتهم إكراماً وتشريفاً لنبيهم؛ ألا تراهم ليلة القدر يطلبون النزول إليهم للسلام عليهم، والحضور معهم، يرغبون في غفران ذنوبهم والتشفّع فيهم؛ فمَنْ أَولى منك يا محمدي بالتشريف إن كنتَ من أمة النبي الشريف؛ اللهم بحرمته عندك، ومكانته لديك، لا تحرمنا من رؤيته وجِوَاره في مستقرّ رحمتك، واغفر لنا ما جنيناه، إنك أنت الغفور الرحيم.

﴿ما عملَتْهُ أَيديهم﴾ [يس: ٣٥]: ما معطوفة على ثمره؛ أي ليأكلوا من ثمره وممَّا عملت أيديهم بالحَرْث والزراعة والغراسة. وقيل: ما نافية. وقرىء: وما عملت بغير هاء، وما على هذا معطوفة.

﴿مَنَازل﴾ [يس: ٣٩]: مساكن ومواطن، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كلّ ليلة واحدةً منها مِنْ أول الشهر ثم يستتر في آخره ليلة أو ليلتين. قال الزمخشري: وهذه المنازل هي مواقع النجوم.

﴿ما يَنْظُرون إلاّ صَيْحةً واحِدةً تأْخذُهم﴾ [يس: ٤٩]: يعني النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصعق تأخذهم بغتة.

﴿مَنْ بَعثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ [يس: ٥٢]: المرقد يحتمل أن يكونَ اسم مصدر، أو اسم مكان، قال أبيّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر.

ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: مِنْ مرقدنا أنها استعارة وتشبيه، يعني أنَّ قبورهم شُبِّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد، وإن لم يكن رقاد في الحقيقة.

﴿ما وَعدَ الرحمنُ وصدَق الْمُرْسَلُون﴾ [يس: ٥٢]: هذا مبتدأ محذوف الخبر، ويحتمل أن يكون هذا الكلام مِنْ بقية كلامهم، أو يكون من كلام الله تعالى، والمؤمنون يقولونها للكفار على وَجْهِ التقريع.

﴿مَكَانَتِهِم﴾ [يس: ٦٧]: مكانهم. والمعنى لو نشاء لمسخناهم مَسْخاً يُقعدهم في مكانهم؛ فلا يقدرون على الذهاب ولا على الرجوع.

﴿مَنْ نُعَمِّرْه نُنَكِّسْهُ في الخَلْق﴾ [يس: ٦٨]؛ أي نحوّل خلقته من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله، ومن الشباب إلى الهرم، وشِبْه ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ثم جعل مِنْ قُوّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَة﴾ [الروم: ٥٤].

واختلف في حد التعمير الذي يصل الإنسان فيه إلى هذا. والصحيح أنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وقد قدمنا الحديث: مَنْ صدق في صغره حفظه الله في كبره. فالذي تراه صادقَ اللهجة يحفظه في كبره من ذهاب عقله. ومقصود الآية الاستدلالُ على قدرة الله ـ في مشاهدتهم ـ على تنكيس الإنسان إذا هرم فالذي يقدر على هذا يقدر على مسخكم لولا رحمته بكم؛ ولذلك ختم الآية بالعقل الذي هو أُسّ الأمور.

﴿ما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]: هذه الضمائر راجعةٌ لنبيِّنا ومولانا محمد ﷺ؛ لأنهم قالوا له شاعر؛ فرد الله عليهم بهذه الآية؛ واعجبا منهم! وهم يرونه لا يزنُ شعراً ولا يذكره؛ وإذا ذَكَر بيتاً منه كسره، ويقولون فيه شاعر! تَبًّا لهم!

فإن قلت: قد تكلّم بكلام على وزْن الشعر؛ كقوله ﷺ: هل أنت إلا أصبع دميت. وفي سبيل الله ما لقيت.

وقال: أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب؟

فالجواب أن هذا ليس بشعر، ولم يقصده؛ وإنما جاء بالاتفاق لا بالقصد، كالكلام المنثور. ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون الذي تحدَّاهم اللهُ بسورة منه فلم يقدروا، مع أنهم طُبعوا على الفصاحة والشعر؛ فهو من أعظم المعجزات. كأنه قال لهم: إن قلتم فيه إنه شاعر فأتوا بشعر مثله، مع أنه ليس بشعر، ولا ينبغي له الشعر لصدقه وأَمانته؛ والشعراء يَتَّبِعهم الغاوُون أَلَمْ تَرَ

أَنَّهُم في كلِّ وَادٍ يَهيمون. ولهذا ذمّ الله الشعراء؛ لإفراط التجوّز فيه، وإنْ ورد في الحديث: إنَّ من الشعر لحكمة ـ فإنما يصدق على ما هو عَرِيّ عن الأوصاف الذميمة، ورحم الله الشافعي في قوله: الشعر كلام، والكلام منه حسن ومنه قبيح.

﴿مَنَافِعُ وَمَشَارِب﴾ [يس: ٧٣]: قد قدمنا في النحل معناه.

﴿مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه﴾ [يس: ٧٨]؛ يعني أن العاصي بن وائل أو أمية بن خلف، أو أُبيّ بن خلف، على اختلاف الروايات أتى إلى رسول الله ﷺ بعظم رميم، فقال له: يا محمد؛ مَنْ يُحْيي هذا؟ فقال له: الله يحييه، ويميتك ثم يحييك، ويدخلك جهنم؛ فانظر كيف نَسِي خلقته الأولى، واستعظم وجودَ الثانية، هل هذا إلا من المعاندة في المحسوس؟ فكيف يطلق اسم الخالق على من لم يخلق جميع الناس؟ ولقد أنزل الله خمس آيات على نبيه لو لم يكن منها إلا واحدة لمنعَتْنَا من التمتع بهذه الدنيا: ﴿أم حَسبَ الذين اجْتَرحُوا السيئاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿أفمن يُلْقَى في النار خَيْر﴾ [فصلت: ٤٠]. ﴿أفَمن كان مؤمناً كمَنْ كان فاسِقاً﴾ [السجدة: ١٨]. ﴿سنَفْرُغ لكم أيها الثَّقلان﴾ [الرحمن: ٣١]. ﴿أفحَسِبْتُم أنما خلَقْناكم عَبَثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فجميعُ المخلوقات على أصنافها لم يخلقها الله إلا لحكمة: الملائكة لخدمته؛ وما منّا إلا مقَام معلوم. والأرض للعبرة بها؛ قل سيروا في الأرض. وفي الأرض آياتٌ للمُوقنين. والأنعام للمنفعة؛ لتركبوا منها ومنها تأكلون. والعارف لعبادته؛ وما خلقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا ليَعْبُدون. والعالم للرحمة؛ قال تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا مَنْ رحم ربُّك﴾. فهنيئاً لمن فتح الله بصيرته وتَبّاً لِمَنْ أعماها له.

﴿ما كانوا يَعْبُدون﴾ [الصافات: ٢٢]: يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك. وقد قدمنا أن فائدةَ دخول الأصنام والمعبودات النار زيادةُ نَكالهم.

﴿ما ظَنّكُم بربّ العالَمين﴾ [الصافات : ٨٧] ؛ أيْ أيّ شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم وقد عبدتم غيره؟ فالقَصْدُ بهذا التأويل التهديد . أو أي شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره . والقصد بهذا تعظيم الله وتوبيخ لهم، كما تقول: ما ظنُّك بفلان! إذا قصدت تعظيمه.

﴿متَّعناهم إلى حِين﴾ [الصافات : ١٤٨] : الضمير يعود على قوم يونس لمّا آمنوا وخرجوا بالأطفال والبهائم، وفرّقوا بينها وبين أولادها ، وتضرعوا إلى الله ، وأخلصوا بالبكاء ، وتابوا إلى الله توبةً، وعهدوا أن من كذب أو سرق أو زنى أقاموا عليه الحد ، وأنهم مشاركون في علومهم وأموالهم؛ فرفع الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين.

واختلف ما المرادُ بالْحِين؟ وقد قدمناه في حرف الحاء . وأما قوله تعالى ﴿تُؤْتي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، فقيل: سنة، أو ستة أشهر ، أو شهران؛ ولما دخل عليهم ذو القرنين وجدهم تائبين، لا باب لبيت، ولا غنيّ فيهم ولا فقير ، ولا عالم ولا جاهل؛ كلٌّ واحد منهم جادَ على جاره بما عنده من علم ومال، فطلب أن يُدْفَن معهم.

وقد ذكر الناس في قصصهم طُولاً تركناه لعدم صحته.

وقد صح أنه ﷺ مرّ بهم ليلة الإسراء ، فآمنوا به وصدقوه، وقد لقي غلاماً في مسيره إلى الطائف فأخبره أنه منهم، فانظر يا محمدي مَنْ رجع إلى الله كيف يقبله؟ وكيف لا يقبله ، وهو يقول: ﴿وهو الذي يَقْبَلُ التوبةَ عن عباده ويَعْفُو عن السيئات﴾ [الشورى : ٢٥].

فإن قلت: قد قال في آية أخرى: ﴿غافر الذَّنْبِ وقَابِل التَّوْبِ﴾ [غافر : ٣] فهل بين العفو والمغفرة فرق؟

قلنا : العفو عنها يستلزم مغفرتها ، فسبحان مَنْ لم يَرْضَ بغفرانها حتى بدّلها لهم حسنات مكافأةً لتوبتهم.

فإن قلت: الاعتقاد أنّ طائفة من هذه الأمة لا بدّ لهم من دخول النار.

قلنا: إن لم يتوبوا؛ وفيه إشارة إلى عدم الأَمْن من مَكْرِ الله؛ ولذلك ورد الحديث: المؤمن بين مخافتين: بين أَجَل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. وأيضاً من لم يذق الشدة لم يجد حلاوة النعمة؛ فقوم يستغيثون من النار، وقوم تستغيث النار منهم، وقوم تقول لهم النار: أجر يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وقوم يَمْتَحِشون فيها ما شاء الله ثم يخرجون منها ويتحسر مَنْ فيها، ﴿ربمَا يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر: ٢]؛ فالمؤمن الذي يدخلها تكون عليه بَرْداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم؛ وذلك أنهم تعجبوا منه من عدم حَرْقها له، فأراد الله أن يُرِيهم يوم القيامة ليعلموا أنّ صانع النار والنور واحد، فتحرق من يشاء خالقُها، وتهرب ممن يطيعه. قال تعالى: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّا﴾ [مريم: ٧٢].

﴿ما لكم كيف تَحْكُمون﴾ [الصافات: ١٥٤]: ما استفهامية معناها التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها ينبغي الوقْفُ على قوله: ما لكم؟ ثم يقرأ: كيف تحكمون.

﴿ما مِنّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤]: هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام؛ وتقديره: ما منّا ملك إلاّ ولَهُ مقام معلوم، فحذف الموصوف لحذف الكلام؛ والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم مَنْ هو في سماء الدنيا وكذلك في كل سماء، أو المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف؛ ولذلك فخروا بصفوفهم وتسبيحهم، ومنهم قيام لا يركعون، ومنهم سجود لا يرفعون، ومنهم قعود لا يقومون؛ فجمع الله لهذه الأمة المحمدية في الصلاة عبادة الملائكة من قيام وقعود، وركوع وسجود، وتسبيح وتكبير؛ وزادهم من التحيات الذي كان من الرسول ليلة الإسراء حين قال: التحيات لله... الخ؛ فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله

وبركاته، فطِبْ نفساً وقَرّ عيناً يا محمدي بما خوّلك مولاك؛ وأعلم أنكَ تقِفُ بين يديه، فانظر وقوفك بمَ يكون؟ هلاّ وهبت نفسك له وأسلمتها موافقة لقولك: وَجَّهْت وجهي هذا بلسانك، فأين وجهتك؟

فإن قلت: لِمَ كان الدخول فيها بتكبيرة والخروج منها بتسليمتين، والركوع واحدٌ والسجود اثنين؟

والجواب لأن الواحد يقبل الواحد؛ فإذا قلت الله أكبر فكأنك أقبلت عليه وعظّمته على كل شيء؛ فرضي منك هذه الكلمة المشرفة، وأقبل عليك، وإن اشتغلت بغيره فلم تُفْرِدْه وقطعت نفسك عنه؛ ألا ترى أنّ التسليمتين قطعت عنه وانفصلت عن مناجاته؛ كرمضان تدخل فيه بشاهدٍ واحد وتخرج منه بشاهدين؛ ولما كان السجودُ أقربَ إلى الله من جميع أفعال الصلاة أمرك بسجدتين، أو لأنّ السجود للأصنام كان عندهم مرة واحدة فزادك أخرى لتفرّق بين السجود لله والسجود لغيره؛ أو لأنّ الملائكة كانوا سجوداً وطلبوا من الله ليلةَ الإسراء بحبيبه أن يروه فأَذِن لهم ورفعوا رؤوسهم لرؤيته فسجدوا مرةً لله شكراً لرؤيته، فأمر الله بذلك: الأولى امتثالاً لأمر الله، والثانية شكراً له بأن أهَّلك لطاعته.

فإن قلت: لما كان السجود بهذه الْمَثَابة فهلاّ أمر به المصلّي على الميت؛ لأنه شفيع، والشفيع لا يجد قربة إلى الله أفضل منه.

والجواب: لما كان في السجود للمصلِّي على الميت إيهام بالسجود له أمره اللهُ بعدم السجود، كأنه يقول: لا أريد أن تسجد لي حتى يرتفع الحجاب بيني وبينك.

﴿مَناص﴾ [ص: ٣]: مَفَرّ ونجاة، من قولك: ناص يَنُوص إذا فرَّ، التقدير وليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص. قال أبو القاسم: معناه فرار بالنبطية.

﴿ما سمِعْنَا بهذا في المِلّةِ الآخِرة﴾ [ص: ٧]: هذا من كلام الملأ الذين خرجوا من عند أبي طالب وتفرقوا في طرق مكة، ومرادهم بالملة الآخرة ما

أدركوا عليه آباءهم، أو الملة المنتظرة؛ لأنهم كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء، فلما جاءهم جحدوا، واستيقنتها أنفسهم ظلماً.

﴿ما هُنَالِكَ مهزوم مِنَ الأحزاب﴾ [ص: ١١]: هذا وعيد بهزيمتهم في القتال، وقد هُزموا يوم بَدْر وغيره؛ وما هنا صفة لجند، وفيها معنى التحقير لهم؛ والإشارة بهنالك إلى حيث وَضَعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء. وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب؛ وهذا بعيد. وقيل الإشارة إلى موضع بَدْر. ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصَّبُوا للباطل فهلكوا.

﴿ما يَنْظُرُ هؤلاء إلا صَيْحةً واحدةً﴾ [ص: ١٥]: المراد بهؤلاء قريش ومَنْ تبعهم. والصيحةُ الواحدة: النفخ في الصُّور. وقيل: ما أصابهم من قَتْل وشدائد؛ وهو أظهر؛ لأن من مات فقد قامت قيامته؛ وقد ورد في الحديث.

﴿مَسَّنِيَ الشيطانُ بنُصْبٍ وعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]: بضم النون وإسكان الصاد، وبفتحها وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، وبفتحها؛ بمعنى المشقة. وهذا من كلام أيوب لما سلّط الله عليه الشيطان ليَفْتِنَه، وأهلك ماله وولده، ووسوس قلبه، استغاث ودعا الله بتفريج كَرْبه خوفاً من فِتْنَته.

فإن قلت: أين هذا من قوله تعالى: ﴿إنّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نعم العَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]؛ وأيُّ قدرة للشيطان حتى يُنسب ما أصابه من البلاء إليه؟

فالجواب أنه صبر على ما أصابه في المال والولد والنفس، فلما وصل إلى الوسوسة استغاث؛ ويكفيك من صبره أن الله قَرنه بنون العظمة وهاء الضمير، فلا يعتقد في رسول الله غير ذلك، ونسبة الفعل للشيطان على جهة نسبة الشر إليه؛ كقول موسى: ﴿وما أَنْسَانِيهُ إلاّ الشيطانُ﴾ [الكهف: ٦٣]. ﴿هذا من عَمَلِ الشيطان﴾ [القصص: ١٥]. وقوله ﷺ لما نام ليلة الْوَادِي: إن بهذا الوادي شيطاناً. فهو تنسب إليه الشرور. ولذلك يتبرأ يوم القيامة ممن أطاعه، ويقول: ﴿ما كان لي عليكم مِنْ سُلْطَان إلا أَنْ دَعَوْتُكم فاسْتَجَبْتُم لي﴾

[إبراهيم: ٢٢]. فالنسبة إليه نسبة مجازية، كما أن نسبة الخير إلى الله حقيقة. وقد صحّ أنّ التائبين يمرون يوم القيامة تحت لواء آدم، والشاكرين تحت لواء نوح، والمُوفين بالعهود تحت لواء إبراهيم، والمحزونين تحت لواء يعقوب، والمحبوسين تحت لواء يوسف، والصابرين تحت لواء أيوب، والمخلصين تحت لواء موسى، والزاهدين تحت لواء عيسى، والصادقين تحت لواء يحيى، والمحبين تحت لواء الحبيب على جميعهم الصلاة والسلام، والمؤذنين تحت لواء بلال، والصالحين تحت لواء عُمر، والصدّيقين تحت لواء أبي بكر، والمتقين تحت لواء عثمان، والراكعين تحت لواء علي رضي الله عنهم أجمعين.

﴿ما لَهُ مِنْ نَفَاد﴾ [ص: ٥٤]: الضمير يعود على نعيم الجنة؛ لتقدم ذكره، أو لرزق الدنيا.

﴿مَنْ قَدّم لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النار﴾ [ص: ٦١]: هذا كلام الأتباع؛ دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب؛ فهو كقولهم: ﴿ربَّنا هؤلاء أضلُّونا فآتِهم عذاباً ضِعْفاً من النار﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿ما لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهم من الأشرار﴾ [ص: ٦٢]: قيل إن القائلين لهذه المقالة أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم. والرجال المذكورون هم عمّار، وبلال، وصُهَيب، وأمثالهم. واللفظ أعمُّ من ذلك.

والمعنى أنهم قالوا في النار: ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدهم في الدنيا من الأشرار.

﴿ما كان لي مِنْ عِلْمٍ بالمَلأ الأعلى إذ يَخْتصِمُون﴾ [ص: ٦٩]: القصد بهذه الآية الاحتجاج على نبوءة نبينا ومولانا محمد ﷺ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها. والملأ الأعلى هم الملائكة، وعليهم يعود الضمير في يختصمون؛ واختصامُهم هو في قصة آدم حين قال الله لهم: إني جاعل في الأرض خليفة. حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن.

وقيل: إن الملائكة تقول: هؤلاء بنو آدم الذين اخترتهم وفضّلتهم وجعلتهم خلفاء، وأمرتنا بالسجود لأبيهم قد عصوك، وتركوا خِدْمتك وأمْرَك. فيقول الله لهم: دعوهم فإنما استزلَّهم الشيطان وأغواهم هو وأولاده، ولو ابتليتُكم بما ابتليتهم به لوقعتم فيما وقعوا فيه. وفي الحديث أنه ﷺ رأى ربَّه فقال: يا محمد؛ فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: لا أدري. قال: في الكفّارات؛ وهي إسباغ الوضوء على المكاره. وفي رواية في المسرات، والمشي بالأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

وقيل الضمير في يختصمون للكفار؛ أي يختصمون في الملأ الأعلى؛ فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تُعْبد؛ وهذا بعيد.

﴿ما أنا من المُتَكلِّفين﴾ [ص: ٨٦]: أي الذين يتصنعون ويتخيّلون بما ليسوا من أهله.

﴿ما نَعْبُدهُم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]: أي يقول الكفار: ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقرِّبونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده. ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو الذين عبدوا عيسى أو عُزَيراً؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة.

﴿مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّار﴾ [الزمر: ٣]: هذا إشارة إلى كذبهم في قولهم: ﴿ليقرِّبُونا إلى الله﴾ [الزمر: ٣].

﴿ما شِئْتُم مِنْ دُونه﴾ [الزمر: ١٥]: هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتّخْلِية لهم على ما هم عليه.

﴿مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]: جمع مثنى؛ أي تثنّى في القصص. ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء؛ لأنه يثني فيه على الله.

فإن قيل: مثاني جَمْع، فكيف يوصفُ به المفرد؟

فالجواب أن القرآن ينقسم إلى سور وآيات كثيرة؛ فهو جمع بهذا الاعتبار.

ويجوز أن يكون كقولهم: بُرْمَة أعشار، وثوب أخلاق. أو يكون تمييزاً من متشابه، كقولك: حسن شمائل.

﴿ما كنْتُم تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]؛ أي يقال للكفار والعُصاة: ذوقوا ما كسبتم من الكفر والمعصية.

﴿مَيِّتُون﴾ [الزمر: ٣٠]: في هذا وعيد للكفار؛ لأنهم إذا ماتوا ظهر لهم مَنْ كان على الحق ومَنْ كان على الباطل. وفيه إخبار أيضاً أنه ﷺ يموتُ لئلا يختلف الناسُ في موته، كما اختلفت الأممُ في غيره.

﴿فَمَنْ أظلم مِمَّن كذَب على الله﴾ [الزمر: ٣٢]: أي لا أحد أظلم مِمَّنْ كذب على الله بأنه اتخذ صاحبةً وولداً. وفي آية أخرى: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن منَعَ مساجدَ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٤]. وفي أخرى: ﴿ومن أظلم مِمّن افْتَرى على الله كذِباً﴾ [الأنعام: ٢١]. وفي أخرى: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمن ذُكِّرَ بآيات ربّه﴾ [الكهف: ٥٧]. وهذه الأظلمية تختلف باختلاف الأنواع، وتطلق كلُّ آية على ما يليق بها من الكذب وغيره، حسبما بيناه في غير هذا الموضع.

﴿ما أُنْزِلَ إليكم مِنْ رَبّكم﴾ [الزمر: ٥٥]: من الأوامِر واجتناب نواهيه.

﴿مَقَالِيدُ﴾ [الزمر: ٦٣]: بالفارسية مفاتيح. وقيل خزائن. واحدها إقْليد. وقيل مِقْليد. وقيل لا واحد لها من لفظها. ومعناها مالك السموات ومدبِّر أمرها وحفظها، وهي من باب الكناية؛ لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدَها، كما أن الخزائن أيضاً تجيء في جهة الله عز وجل إنما تجيء استعارة بمعنى اتساع قُدْرته، وأنه المبتدع المخترع. ويشبه أن يقال فيما قد أوجد من المخلوقات، وهذا يتُجوّز به على جهة التقريب والتفهيم للسامعين. وقد ورد القرآن بذكر الخزائن، ووقعت في الحديث الصحيح: ماذا فتح الليلة من الخزائن. والحقيقةُ في هذا غير بعيدة؛ لكنه ليس باختزان حاجة ولا قلة قدرة، كما هو اختزان الشيء.

قال عثمان بن عفان: فسألتُ رسولَ الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض، فقال: هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يُحْيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

فإن صح هذا الحديث فمعناه أنّ مَنْ قال هذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيراتِ والبركات من السماء والأرض؛ لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك، فكأنها مفاتح له، ولله سبحانه سبع خزائن: خزانة المطر في السماء، وخزانة النبات في الأرض، وخزانه اللؤلؤ والمرجان في البحر، وخزانة الموزونة في الجبال، وخزانة الأفكار للكفار، وخزانة الرضوان للأبرار، وخزانة المعرفة في القلوب.

وفي الحديث: إن بعضَ الأنبياء قال: يا رب؛ لكلّ ملك خزانة، فما خزانتك؟ قال: لي خزانة أوسع من الكرسي، وأعظم من العرش، وأطيب من الجنة، وأزين من الملكوت، أرضها المعرفة، وسماؤها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبة، ونجومها الخواطر، وترابها الهمّة، وجدارها اليقين، وسحابُها العقل، ومطرها الرحمة، وأشجارها الطاعة، وثمرها الحكمة؛ ولها أربعة أركان: التوكل، والتفكر، والأنس، والذكر. ولها أربعة أبواب: العلم، والحلم، والرضا، والصبر؛ ألاَ وهي القلب.

﴿مَنْ شاءَ الله﴾ [الزمر: ٦٨]: يعني أَن جميع من في السموات والأرض يموت عند نَفْخَةِ الصعق، إلاّ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم الله بعد ذلك.

﴿مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥]: الضمير يعود على قوم فرعون؛ يعني أن الله وقى مؤمنهم مِنْ مكرهم، كما هو عادته سبحانه في وقاية مَنْ فَوَّض أمره إليه.

﴿ما للظَّالمين مِنْ حَمِيم﴾ [غافر: ١٨]: المراد بهم الكفّار، يعني أنهم ليس لهم من يشفع فيهم.

﴿وما دُعَاءُ الكافرين إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾ [غافر : ٥٠]: يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى استئنافاً.

﴿مَعْذِرتُهم﴾ [غافر : ٥٢]: يحتمل أنهم لا يعتذرون. ويحتمل أنهم يعتذرون، ولكن لا تنفعهم المعذرة.

﴿ما هُمْ بِبَالِغِيه﴾ [غافر: ٥٦]: أي لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك، أو من نيل النبوءة.

﴿مَثْوَى المتَكبِّرين﴾ [غافر : ٧٦]: أي جهنم.

فإن قيل: قياسُ النظم أن يقول: فبئس مدخل الكافرين؛ لأنه تقدم قبله: ادخلوا.

والجواب أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثَّوَاء.

﴿مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر : ٧٨]: هم الذين ذكر الله في كتابه من الرسل؛ وقد قدمنا أنهم خمس وعشرون، وجملة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ هذا في حديث أبي ذَرّ. وفي حديث غيره: إن الله بعث ثمانية آلاف رسول. وفي حديث آخر أربعة آلاف.

﴿مَنْ أَحْسَنُ قولاً مِمَّن دَعَا إلى اللهِ﴾ [فصلت : ٣٣]: يدخل في هذا كلُّ من دعا إلى عبادة الله وطاعته على العموم. وقيل: المراد محمد ﷺ. وقيل المراد المؤذِّنون. وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شُرع الأذان بالمدينة، ولكن المؤذّنون يدخلون في العموم. والدعوة من الله على أربعة أوجه: دعوة الضيافة: ﴿واللهُ يَدْعُو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥]؛ ودعوة المغفرة: ﴿يَدْعُوكُم ليَغْفِرَ مِنْ ذنُوبكم﴾ [إبراهيم: ١٠]. ودعوة الحمد والإجابة: ﴿يوم يدعوكم فتَسْتَجِيبون بحمده﴾ [الإسراء : ٥٢]. ودعوة المحاسبة: ﴿يوم نَدْعُو كلَّ أُناس بإمامهم﴾ [الإسراء : ٧١].

وفيه خمسة أقوال:

بصحائف أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزَمْنَاه طـائِـرَه في عُنُقُـهِ﴾ [الإسراء: ١٣].

أو بأعمالهم المتقدمة؛ قال تعالى: ﴿علِمَـتْ نَفْسٌ مـا قـدَّمـت وأَخَّـرَتْ﴾ [الانفطار: ٥٠].

أو بإمامهم في المذهب؛ قال تعالى: ﴿وجعلناهم أَئمَّةً يدعون إلى النار﴾ [القصص: ٤١]. أو برسولهم، أو بدعائهم إلى الخير والشر، أو بمعبودهم، أو بإمامهم في الأعمال الصالحات.

وأما الدعوةُ إلى الخلق فالدعوةُ إلى دين الرب. قال تعالى: ﴿ادْعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ [النحل: ١٢٥]. أو الدعوة إلى بيت الله تعالى: ﴿وأَذِّنْ في الناس بالحجِّ يأْتُوك رجالاً﴾ [الحج: ٢٧]. أو الدعوة إلى عبادة الله. فالدعوةُ عامة، والهداية خاصة؛ قال تعالى: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [يونس: ٢٥].

﴿ما يُقَال لكَ إلاّ ما قَدْ قِيلَ للرُّسلِ مِنْ قَبْلك﴾ [فصلت: ٤٣]: في معناها قولان:

أحدهما: ما يقول لك الله من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسل من قبلك.

أو ما يقول لك الكفَّار من التكذيب والإيذاء إلا مثل قول الأمم المكذّبين لرسلهم؛ فالمراد في هذا تسلية النبي ﷺ بالتأسّي؛ وعلى القول الأول أنه ﷺ أتى بما جاءت به الرسلُ فلا تُنْكر رسالته.

﴿ما مِنَّا مِنْ شَهيد﴾ [فصلت: ٤٧]: هذا قول المشركين حين يناديهم يوم القيامة، أين شركائي؛ فيقولون: أعلمناك ما مِنّا مَنْ يشهد لك اليوم بأن لك شريكاً؛ لأنهم كفروا ذلك اليوم بشركائهم.

﴿ما كانـوا يـدعـون مـن قَبْـلُ﴾ [فصلـت: ٤٨]: أي لم يـروا حينئـذ

شركاءهم؛ فما على هذا موصولة. أَوْ ضلَّ عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك؛ فما على هذا مصدريّة.

﴿ما لَهُمْ مِنْ مَحِيص﴾ [فصلت: ٤٨]؛ أي علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب. وقيل يوقف على ﴿ظَنُّوا﴾ [فصلت: ٤٨] ويكون ﴿ما لهم﴾ استئنافاً؛ وذلك ضعيف.

﴿ما تفرَّقُوا إلا مِنْ بعد ما جاءهُم العِلْمُ بَغْياً بينهم﴾ [الشورى: ١٤]: يعني أَهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿مَنْ كان يُريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له في حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]: عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا؛ وهو مستعار من حَرْث الأرض؛ لأن الحارث يعمل وينتظر المنفعةَ بما عَمِل.

﴿ما قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]؛ أي يئسوا.

﴿مَنْ عَفَا وأصلح فأَجْرُه على الله﴾ [الشورى: ٤٠]: في هذه الآية إشارة إلى فعل الحسن بن علي حين بايع معاوية، وأسقط حقَّ نفسه؛ ليصلح أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم؛ ولهذا قال فيه ﷺ: « إن ابني هذا سيد، ولعل الله يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ».

وفيها دليل على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿ولَمَنِ انتصر...﴾ [الشورى: ٤١] الآية.

فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البَغْيُ هم يَنْتَصِرون﴾ [الشورى: ٣٩]، والمباحُ لا مَدْحَ فيه ولا ذم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّ المباحَ قد يُمْدَح، لأنه قيام بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرُّزاً ممن بدأ بالظلم؛ فكان المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

والثالث: أنه إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب فانتصاره ﷺ محمود؛ لأن قتال أهل البغي واجب؛ لقوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تَبْغي﴾ [الحجرات: ٩]. وقد سمَّى ﷺ المقاتلين لعليّ بالفئة الباغية؛ وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية.

﴿ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكتابُ ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢]: المقصد بهذه الآية شيئان:

أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ، بأن علَّمه الله ما لم يكن يعلم.

والآخر احتجاج على نبوءته، لكونه أتى بما لم يكن يَعْلَمه ولا تعلّمه من أحد.

فإن قلت: أما عدمُ درايته للكتب فلا إشكال. وأما الإيمان فلا إشكال أن الأنبياءَ مؤمنون بالله قبل مبعثهم، لكنه وقع الخلاف في نبينا؛ هل كان متديّناً بشريعة مَنْ قَبْله أو بشريعته؟

والجواب الإيمان يحتوي على معارف كثيرة؛ وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه. وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك؛ فالإيمانُ هنا يعني به كمال المعرفة؛ وهي التي حصلت له بالنبوءة؛ ولهذا أشار ﷺ بقوله: «كلّ يوم لا أَزْدَاد فيه علماً لا بُورِك في صبيحة ذلك اليوم»؛ فكان ﷺ يزداد كل يوم من المعارف ما لا يُحصى ذِكْرُه. وأما في الجنة، فلا تسأل عما تنكشف له من المعارف اللدنيَّة والأسرار الربانية، ويفيض منها على هذه الأمة المحمدية، لكل واحد منهم نصيبٌ بقدر ما اتّبعه واقتدى به؛ فهم يزدادون معارفَ وجمالاً وبهجة وسروراً، مالا يحيط بها إلا واهبها، جعل الله لنا منها أوْفَر نصيب بجاه النبي الحبيب.

﴿مَضَى مَثَلُ الأَوَّلِين﴾ [الزخرف: ٨]؛ أي تقدم لك يا محمد كيف أهلكنا

القرون السالفة، والأمم الماضية، لما كفروا وتمرَّدوا؛ وهكذا من عاندك؛ ففيه تسليةٌ له ﷺ.

﴿ما كُنّا له مُقْرِنِين﴾ [الزخرف: ١٣]: أي مطيقين وغالبين.

﴿ما أَرْسَلْنَا من قَبْلك﴾ [الزخرف: ٢٣]: معنى الآية: كما اتَّبَع هؤلاء الكفارُ آباءهم بغير حجة كذلك اتبع كلُّ من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة؛ بل بمجرد التقليد المذموم.

﴿مَعَارِجَ عليها يَظْهَرُون﴾ [الزخرف: ٣٣]؛ أي أدراجاً وسلالم. والمعنى لولا أن يكفر الناسُ كلُّهم لجعلنا للكفار كلَّ ما يتمتعون به ذهباً وفضة لهوان الدنيا علينا. ومعنى يظهرون: يرتفعون. ومنه: ﴿فما ٱسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوه﴾ [الكهف: ٩٧].

﴿مَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرحمن نُقَيِّضْ له شيطاناً﴾ [الزخرف: ٣٦]: من قولك: عَشِيَ الرجل إذا أظلم بَصَرُه. والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة. وقال الزمخشري: يعش - بفتح الشين، إذا حصلت الآفة في عينه، ويعشو - بالضم، إذا نظر نظر الأعشى، وليس به آفة؛ فالفرق بينهما كالفرق بين قولك: عمي وتعامى، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق. والأظهر أن ذلك عبارةٌ عن الغفلة وإهمال النظر. والمراد بذكر الرحمن هنا القرآن عند الزمخشري، وعند ابن عطية ما ذكّر الله عباده من المواعظ؛ فالمصدر مضاف إلى الفاعل. ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله.

ومعنى الآية أنَّ مَنْ غفل عن ذكر الله يسَّرَ اللهُ له شيطاناً يكون له قريناً؛ فتلك عقوبةٌ عن الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من دَاوَمَ على الذكر تباعد عنه الشيطان. مصداقُه الحديث: إن الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم، واضع خرطومه عليه؛ فإن ذكر العبدُ الله خَنَس، وإن غفل عنه وَسْوَس.

﴿ما نُرِيهم مِنْ آيةٍ إلاّ هي أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها﴾ [الزخرف: ٤٨]: الآيات

هنا المعجزات، كقلب العصا حيَّة، وإخراج اليد بيضاء. وقيل البراهين والحجج العقلية؛ والأول أظهر.

ومعنى أكبر من أختها: أنها في غاية الكبر والظهور، ولم يرد تفضيلها على غيرها من آياته؛ إنما المعنى أنك إذا نظرت وجدتَ كبيرة، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة؛ فهو كقول الشاعر:

★ مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لقيت سَيِّدهم ★

هكذا قال الزمخشري.

ويحتمل عندي أن يريد: ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها؛ فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها.

﴿مَهين﴾ [الزخرف: ٥٢]: المراد بذلك موسى، ووصفه فرعون بالضعيف الحقير.

﴿ملائكةً في الأَرْضِ يَخْلُفُون﴾ ﴿الزخرف: ٦٠]: في معناها قولان:

أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكةً يسكنون الأرضَ ويخلفون فيها بني آدم، فقوله: ﴿منكم﴾ متعلق ببدل المحذوف: أو بـ ﴿يخلفون﴾.

والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة؛ أي لولدنا منكم أولاداً ملائكة يخلفون أولادكم؛ فإنَّا قادرون على أن نخلف من أولاد الناس ملائكة؛ أفلا تذكرون خَلْقَنا عيسى من غير والدٍ وأنتم مُقِرُّون به.

﴿ماكِثُون﴾ [الزخرف: ٧٧]: دائمون.

﴿مَنْ شَهِد بالحقِّ وهم يَعْلَمُون﴾ [الزخرف: ٨٦]: اختلف هل يعني بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع. والمعنى لا يملك المعبودون شفاعةً، لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه. ويحتمل على هذا أن يكون ﴿من شهد﴾ مفعولاً بالشفاعة على إسقاط حرف الجر؛ تقديره: الشفاعة فيمن شهد بالحق؛ وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع

فيحتمل أن يكونَ الاستثناء منقطعاً، وأن يكون متصلاً؛ لأنها فيمَنْ عبد عيسى والملائكة. والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا مَنْ شهد منهم بالحق.

﴿مَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]: فيه قولان: المنابر، والمساكن الحسان.

﴿ما كانوا مُنْظَرِين﴾ [الدخان: ٢٩]؛ أي مؤخرين.

﴿مَوْلًى عن مَوْلًى﴾ [الدخان: ٤١]: المولى هنا يعم الوليّ والقريب وغير ذلك من الموالي الذين تقدم ذِكْرُهم.

﴿ما يُهْلِكُنَا إلا الدَّهْر﴾ [الجاثية: ٢٤]: هؤلاء هم الدهرية، ومقصودُهم إنكار الآخرة.

﴿مَنْ أَضَلُّ...﴾ [الأحقاف: ٥] الآية. معناها لا أحد أضلّ مِمّن يَدْعُو إلهاً لا يستجيب له وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل؛ ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿ما كنْتُ بِدْعاً من الرُّسُل﴾ [الأحقاف: ٩]: البدع، والبديع من الأشياء: ما لم يُرَ مثله؛ أي ما كنتُ أوَّلَ رسول، ولا جئتُ بأمر لم يجيء به أحد قبلي؛ بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلأيّ شيء تنكرون ذلك؟

﴿ما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]: فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أَمْر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنّ المؤمنين في الجنة والكفار في النار؛ وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله.

والثاني: في أمر الدنيا؛ أي لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيّبة؛ وهذا هو الأظهر.

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تُلْزِمه الشريعة.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان النبي ﷺ قد رأى في النوم أنه يهاجِرُ إلى أرض نخل؛ فقلق المسلمون لتأخّر ذلك؛ فنزلت هذه الآية.

﴿ما حَـوْلَكُـمْ مِـنَ القُـرَى﴾ [الأحقـاف: ٢٧]: يعني بلادَ عـادٍ وثمود وغيرها. والمراد إهلاك أهلها.

﴿مَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ الله...﴾ [الأحقاف: ٣٢]: الآية: يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى. والمعنى: ليس بمعجز في الأرض، لا يفوت.

﴿مَوْلَى الَّذينَ آمَنُوا﴾ [محمد: ١١]؛ أي وليّهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وأنَّ الكافرين لا مَوْلَى لهم﴾ [محمد: ١١]. ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله تعالى مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ورُدّوا إلى الله مولاهم الحقِّ﴾ [يونس: ٣٠]؛ لأن معنى المولى مختلف في الموضعين؛ فمعنى مولاهم الحقّ ربهم؛ وهذا على العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله: ﴿مَوْلَى الذِين آمَنُوا﴾ [محمد: ١١]؛ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين؛ لأنه بمعنى الولي الناصر.

﴿مَنْ يَبْخَلْ فإنما يَبْخَلُ عن نَفْسه﴾ [محمد: ٣٨]؛ أي إنما ضرر بُخْله على نفسه؛ فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق.

﴿فَمَنْ نكثَ فإنما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه﴾ [الفتح: ١٠]؛ أي نقض البيعة.

﴿مَعَرّةٌ بغير عِلْم﴾ [الفتح: ٢٥]، أي تصيبكم مِنْ قتلهم كراهةٌ ومشقّة. واختلف هل يعني الإثم في قتلهم، أو الدية، أو الكفارة، أو الْمَلاَمة، أو عَيْب الكفار لهم بأن يقولوا: قتلوا أهل دينهم، أو تألم نفوسهم من قَتْل المؤمنين، وهذا أظهر؛ لأنّ قَتْلَ المؤمن الذي لا يُعلم إيمانه - وهو بين أهل الحرب - لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب.

﴿مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّـه﴾ [الفتـح: ٢٥]: كـان ﷺ قـد سـاق عـام الْحُديبية مائة بَدَنَةٍ مُقَلّدة. وقيل سبعين؛ فمنعه المشركون من الوصول إلى مكة ﴿ومَحِلّه﴾ موضع نَحْرِه، يعني مكة والبيت. ومعكوفاً حال من الْهَدْي. وأن يبلغ مفعول بالعكْفِ. والمعنى صدُّوكم عن المسجد الحرام، وصدُّوا الْهَدْي عن أن يبلغ محله، أو حبس المسلمين للهَدْي بينما ينظرون في أمرهم.

﴿مَثَلُهم في التّوراة﴾ [الفتح: ٢٩] : أي وصفهم فيها ، وتَمَّ الكلام هنا ، ثم ابتدأ قوله : ﴿وَمَثَلُهُم في الإنجيل كزَرْع﴾ [الفتح: ٢٩] . وقيل : إن مَثَلهم في الإنجيل عطف على مثلهم في التوراة ، ثم ابتدأ قوله : كزرع ، وتقديره هم كزرع . والأولُ أظهر ؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان ، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك . وعلى هذا يكون المثل في الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل ، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف ، كمثلهم في التوراة .

﴿مَغْفِرةً وأَجْراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩] : وعد يعمُّ جميعَ الصحابة رضوان الله عليهم ، وفي هذا تشريف لهم ؛ وكيف لا وقَدْ ذكر الله مؤمنَ آلِ فرعون بكلمة قالها ينصر بها موسى إلى آخر الدهر ، فما بالك بمن شدّ الله بهم الدِّين وأعلاه حتى عمّ جميع الأرضين ، وأغاظ اللهُ بهم الكافرين ؛ اللهم بحُرْمَتِهم لديك اغْفِرْ لنا ولجميع المذنبين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين .

﴿ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهم﴾ [ق: ٤]: هذا ردّ على الكفّار في إنكارهم البعث . ومعناه قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم ، فلا يصعب علينا بعثُهم . وفي الحديث : كلُّ جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ، وفيه يركب ؛ إشارة لكم أيها العبيد في بقائه وتركيب الجسد منه .

وقيل : المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم ؛ والأول قول ابن عباس والجمهور ، وهو أظهر .

﴿مَرِيج﴾ [ق: ٥] ؛ أي مختلط ؛ فتارة يقولون ساحر ، ومرة كاهن ، فاختلط أمرهم واضطرب .

﴿ماء مباركاً﴾ [ق: ٩]: يعني المطر كله . وقيل الماء المبارك مطر مخصوص . وقيل مطر النيسان ، وليس كلُّ مطر يتّصف بالبركة ؛ وهذا ضعيف .

﴿ما كنْتَ مِنْهُ تَحِيد﴾ [ق: ١٩] ؛ أي تهرب . والخطاب للإنسان .

﴿مَنّاعٍ للخير﴾ [ق: ٢٥] ؛ أي للزكاة المفروضة . والصحيح العموم .

﴿مَزِيد﴾ [ق: ٣٠]: يعني النظر إلى الله، كقوله: للذين أحسنوا الْحُسْنَى وزيادة. وقيل يعني ما لم يخطر في قلوبهم، كما ورد في الحديث: إن الله قال: أَعْدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عَيْن رأَتْ، ولا أُذن سمعَتْ، ولا خطر على قَلْب بشر.

﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]: هذا كقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يَخْشَوْن ربّهم بالغيب﴾؛ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف.

﴿ما يَهْجَعُون﴾ [الذاريات: ١٧]؛ أي ينامون، بل كانوا يقطعون أكثر الليل بالصلاة والتضرع والدعاء.

﴿المحروم﴾ [الذاريات: ١٩]: اختلف الناس في معناه حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم. والمعنى الجامع للأقوال كلها أن المحروم الذي حرمه الله المال بأيّ وجْهٍ كان، والمحروم والمحارف بمعنى واحد؛ لأن المحارف الذي انحرف عنه الرزق.

﴿ما خَطْبُكم﴾ [الذاريات: ٣١]، أي ما شأْنكم وخَبَركم؟ والخطْب أكثر ما يقال في الشدائد.

﴿مَنْ كان فيها من الْمُؤْمنين﴾ [الذاريات: ٣٥]: الضمير المجرور لقرية قوم لوط، لأن الكلام يدل عليها، وإن لم يتقدم ذكرها. والمراد بالمؤمنين لوط وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها.

فإن قلت: قد وصفهم أولاً بالمؤمنين، ثم قال بعد: ﴿فما وجَدْنَا فيها غَيْرَ بَيْت من المسلمين﴾ [الذاريات: ٣٦]؛ فهل جمعوا الوصفين؟ وهل هما بمعنى واحد؟

فالجواب أنهم جمعوهما، ومعنى الإسلام الانقياد. والإيمان هو التصديق؛ ثم إنهما يُطلقان بثلاثة أوجه باجتماعهما كهذه الآية، وباختلاف المعنى، كقوله: قالت الأَعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا. فالإيمان والإسلام في هذا الموضع متباينان في المعنى.

وبالعموم كقوله تعالى: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات؛ فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخصّ لأنه بالقلب خاصة.

﴿الماهِدُون﴾ [الذاريات: ٤٨]: موطىء للموضع.

﴿ما أَنْتَ بِمَلُوم﴾ [الذاريات: ٥٤]؛ أي قد بلّغتَ الرسالة فلا لوم عليك.

﴿ما خَلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلاّ ليَعْبُدون﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي. وقيل ليتذلّلوا لي؛ فإنّ جميع الإنس والجن متذلّل لربوبيتي.

فإن قلت: ما فائدة ذكر الصنفين؟ ولم لم يذكر الملائكة وهم أكثر عبادةً منهما؟ وما فائدة تقديم الجن على الإنس؟

فالجواب أنه لم يذكر الملائكة لأنه لا تقع منهم معصية لعصمتهم، وأيضاً لم يكلَّفُوا بالعبادة غير السجود لآدم. وإنما قدم الجن لثقله؛ ومن عادة العرب تقديم الأثقل في كلامهم إذا جامعه الأخفّ؛ لنشاط المتكلم؛ وأيضاً فإن المطيعين من الإنس أكثر، فأخَّرهم ليختم بهم، وليرهبَ الجنّ من ذلك. وقيل غير هذا من الأجوبة حذفناه لطوله.

﴿ما أُرِيدُ منهم مِنْ رِزْقٍ وما أُرِيد أَنْ يُطْعِمُون﴾ [الذاريات: ٥٧]؛ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم، ولا أريد أن يطعموني؛ لأني منَزَّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيّ عن العالمين. وقيل المعنى: ما أُريد أن يطعموا عبيدي؛ فحذف المضاف تجوّزاً. وقيل معناه: ما أريد أن ينفعوني؛ لأني غنيٌّ عنهم، وعبَّر عن النفع العام بالإطعام. والأول أظهر.

﴿مَسْجُوراً﴾ [الطور: ٦]؛ أي مملوءاً، وهو بحر الدنيا. وقيل: بحر في السماء تحت العرش. والأول أظهر.

وقيل: المسجور الفارغ من الماء. ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة. واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد. وقيل في معناه: الموقد ناراً،

من قولك: سُجِّرت القبور. واللغة أيضاً تقتضي هذا. وروي أن جهنم في البحر.

﴿ما أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِم مِنْ شيء﴾ [الطور: ٢١]؛ أي ما نَقَصْنَاهم شيئاً من ثواب أعمالهم؛ بل وفّيناهم أجورهم. وقيل المعنى: ألحقنا ذرياتهم بهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك؛ بل فعلنا ذلك تفضُّلاً زيادة إلى ثواب أعمالهم. والضمير على القولين يعودُ على الذين آمنوا. وقيل إنه يعود على الذرية. وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دُونه في العمل لتقرَّبهم عيْنهُ»، وكذلك كرامة الأبناء بسبب الآباء؛ فقيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا. وقيل على الإطلاق في أولاد المؤمنين.

فإن قلت: لم قال: بإيمانٍ بالتنكير؟

فالجواب أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء؛ فالمراد تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفع درجتهم، فكيف إذا كان إيماناً عظيماً.

﴿ما ضَلَّ صاحِبُكم وما غَوَى﴾ [النجم: ٢]: هذا جواب القسم. والخطاب لقريش عن النبي ﷺ.

الضلال والغي، والفرق بينهما أنّ الضلال بغير قصد والغي بقصد وتكسّب.

﴿ما يَنطِقُ عن الهوَى﴾ [النجم: ٣]؛ أي ليس يتكلم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما يُوحى إليه. وفي هذا دليل على أن السنن بِوَحْي من الله؛ ويشهد لهذا الرجل الذي سأله وقد تناثر رأسه من القمل.

﴿ما أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]: إبهام يقتضي التفخيم والتعظيم. وفي معناه أقوال:

الأول: أن المعنى أوحى إلى عبده محمد ما أوحى.

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى؛ وعاد الضمير على الله في

القولين؛ لأن سِيَاقَ الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره؛ فهو كقوله: إنا أنزلناه في ليلة القَدْر.

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى.

والأول أظهر بدليل سؤال عائشة له ﷺ: ما أوحى إليك ربك؟ فأبى أن يخبرها، فألَحَّتْ عليه وأقسمت له بالله، فقال: يا عائشة، أوحى إليّ أنه لا يحاسب أمتي غيره لما سألته أن يجعل حسابَهم إليّ. وقال: لا أريد أن يطَّلع على مساويهم أَنتَ ولا غيرك. وفي رواية: أنت شفيع لهم وأنا رحيمهم، فكيف تضيع أمةٌ بين شفيع ورحيم؟

﴿ما كذَبَ الفؤادُ ما رَأَى﴾[النجم: ١١]؛ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدق بقلبه أَن الذي رأى بعينه حق، والذي رأى هو جبريل، يعني حين رآه قد ملأ الأفق. وقيل: الذي رأى ملكوت السمٰوات. والأول أرجح: ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ [النجم: ١٣]. وقيل الذي رأى هو الله تعالى، وقد قدمنا إنكار عائشة رضي الله عنها لذلك. وسئل ﷺ: «هل رأيتَ ربَّك؟» فقال: نوراني نراه!

﴿ما يَغشَى﴾ [النجم: ١٦]: فيه إبهام لقصد التعظيم. وفي الحديث قال: فغشيها ألوان لا أرى ما هي، وهذا أولى ما تُفَسَّر به الآية.

﴿ما زَاغَ الْبَصَرُ وما طَغَى﴾ [النجم: ١٧]؛ أي بَصَرُ محمد ﷺ؛ أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره، بل أثبتها وتيقَّنها.

﴿مَنَاةَ الثالثةَ الأخرى﴾ [النجم: ٢٠]: صخرة كانت لهذيل وخُزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم الأوثان عندهم؛ لأنه تعالى أكدها بهاتين الصفتين؛ قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: الأخرى ذمّ وتحقير؛ أي المتأخرة الوضيعة القدر. ومنه: وقالت أُخراهم لأولاهم.

﴿ما تَمَنَّى﴾ [النجم: ٢٤]: يعني ليس للإنسان ما تمنّى من الأمور؛ لأنها

بيد الله يعطي ما يشاء ويمنع ما شاء؛ وفيه إشارةٌ إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام فيهم. وقيل: هو تمنِّي بعضهم أن يكون نبيئاً. وقيل غير هذا. والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه.

﴿مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠]؛ أي انتهاء علمهم؛ لأنهم علموا منفعتهم في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿ما فِيه مُزْدَجَر﴾ [القمر: ٤]: اسم مصدر بمعنى ازدجار، بمعنى أنه مظنة أن يزجر به، يعني قد جاء قريشاً من القصص والبراهين والمواعظ ـ لو عقلوها ـ ما يصدقونك به يا محمد.

﴿ما تُغْنِي النُّذُر﴾ [القمر: ٥]: يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية بمعنى الاستبعاد والإنكار.

﴿مَغْلُوبٌ فانْتَصِر﴾ [القمر: ١٠]: أي قد غلبني الكفار فانتصر لي أو انتصر لنفسك.

وقالت المتصوفة: معناه قد غلبتني نفسك حين دعوتُ على قومي فانتصر مني. وهذا ضعيف؛ لأن قوم نوح مكروا به وأرادوا إهلاكه، ومكر الله بخروجهم من وجه الأرض، فأخرج الله منها ماء حارّاً، وأنزل من السماء ماء بارداً، وأظهر من بينهما طوفاناً مُبيداً، فأهلك عدوّه، وأَنْجَى حبيبه؛ كذلك يقول الله تعالى: يا إسرافيل، انفخ في الصور، ويا أهل القبور والنشور ويا سماء انفطري، ويا كواكب انتشري. ويا شمس انكدري؛ ﴿ثم نَنَجِّي الذين اتقوا ونَذَر الظالمين فيها جِثِيّا﴾ [مريم: ٧٢].

﴿ما أَمْرُنا إلاَّ واحدةٌ﴾ [القمر: ٥٠]: عبارة عن سُرعة نفوذ أمر الله، ويراد بالواحدة الكلمة التي هي: كُنْ.

﴿مَقْعَدِ صِدْق﴾ [القمر: ٥٥]: مكان رضا.

﴿مَرْجَان﴾ [الرحمن: ٢٢]: صغار اللؤلؤ عند بعضهم. قال ابن عطية: المرجان حَجر أحمر. وذكر الجواليقي عن بعض أئمة اللغة أنه أعجمي.

فإن قلت: لا يخرج المرجان إلا من البحر الملح؛ فما معنى قوله تعالى: ﴿يخرج منهما﴾ [الرحمن: ٢٦]، وكذلك قوله: وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي لا تخرج إلا من البحر الملح؟.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: إن ذلك تجوّز في العبارة، كما قال: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم؛ والرسل إنما هي من الإنس.

والثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح، حيث تنصبّ أنهار الماء العذب، وينزل المطر؛ فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبّ في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً.

الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحسّ.

﴿مَنْ عليها فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]: الضمير للأرض؛ يدلُّ على ذلك سياقُ الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر، ويعني بمن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء.

﴿مَقْصُورَاتٌ في الخِيَام﴾ [الرحمن: ٧٢]، أي محجوبات، لأن النساء يُمْدَحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج منها، ولا تقام الخيام من الخشب والحشيش، وإنما هو لؤلؤ مجوَّف فلا الديار الديار، ولا الخيام الخيام. وفي الحديث: إن جبريل ينغمس كلّ يوم في عين الحياة، وينتفض، فكلما سقطت قطرة من ريشه سقطت منه حوراء عليها خيمة لؤلؤ لا يراها ملك ولا غيره، غيرةً منه سبحانه على وليّه المُطيع له أنْ يَرَاها غيره، فكيف لنا بالوصول إلى هذا النعيم المقيم، وأكبر من هذا التلذذ برؤية المولى العظيم - إلا باطّراح أنفسنا بين

يديه، وقولنا له: أنتَ أنتَ، ونحن نحن، ولا بد لنا من الوصول إليك، فعامِلْنَا بما يعامل به المولى الكريم لعبده اللئيم، فلا فضيحة إلا ونحن أهلها، ولا ستْر إلا وهو أهله، فاسترنا بما نحن أهله بما أنت أَهله يا رحيم.

﴿ما أَصحابُ الْمَيْمَنَة﴾ [الواقعة: ٨]: هذا ابتداءٌ خبر، وفيه معنى التعظيم، كقولك: زيد ما زيد.

والْمَيْمَنَة يحتمل أن تكون مشتقّة من اليمن، وهو ضدّ الشؤم، وتكون الْمَشْأَمة مشتقة من الشؤم. أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال واليَدُ الشُّؤْمَى هي الشمال، وذلك لأن العربَ تجعل الخير من اليمين والشرَّ من الشمال. أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال. أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال. أو يقال أَصحاب الميمنة أصحاب اليمين على أنفسهم؛ أي كانوا ميامين على أنفسهم؛ وأصحاب الشمال مشائيم على أنفسهم.

﴿مَوْضُونة﴾ [الواقعة: ١٥]: منسوجة. وقيل المشتبكة بالدرّ والياقوت. وقيل معناه متواصلة قد أُدْني بعضها إلى بعض.

﴿ما أَصحابُ اليَمين﴾ [الواقعة: ٢٧]: هذا مبتدأ وخبر، وقُصِد به التعظيم، فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده. ويحتمل أن يكون الخبر في صدر الآية، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضاً. والأول أحسن. وكذلك إعراب ما أصحاب الشمال.

﴿مَنْضود﴾ [الواقعة: ٢٩]؛ أي نضّد بالتمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق.

﴿مخضود﴾ [الواقعة: ٢٨]: يعني لا شوك فيه؛ وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوُصِف سِدْرُ الجنة بضدّ ذلك. وقيل المخضود هو الموقر الذي انثنت أَغصانه من كثرة حمله، فهو على هذا من خضد الغُصْنَ إذا ثناه.

﴿ماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١]؛ أي مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته. وقيل المعنى أنه جارٍ في غير أخاديد ولا ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿مَحْرومُون﴾ [الواقعة: ٦٧]: ممنوعون من الرزق، يعني يقولون ذلك لو جعل الله زَرْعَهم حُطاماً.

﴿مَتَاعاً للمُقْوِين﴾ [الواقعة: ٧٣]: أي الذين دخلوا في الْقِوَاء، وهي الفَيَافي؛ ولذلك عبر عنه ابن عباس بالمسافرين. ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل إذا خلا؛ فمعناه الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام؛ ولذلك عبر عنه بعضهم بالجائعين.

﴿مَوَاقِع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥]: فيه قولان:

أحدهما قول ابن عباس أنها نجوم القرآن؛ لأنه نزل على نبينا ومولانا محمد ﷺ منجّماً، كما قدمناه في عشرين سنة أو أكثر؛ فكل قطعة منه نَجْم.

والآخر، وهو قول كثيرٍ من المفسرين أنها النجوم الكواكب، ومَوَاقعها مغاربها ومساقطها. وقيل مواضعها من السماء. وقيل انكدارها يوم القيامة.

﴿مَدِينين﴾ [الواقعة: ٨٦]: أذلاء من قولك: دِنْتُ له بالطاعة. ومعنى الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوها إن كنتم صادقين؛ أي مربوبين ومقهورين.

﴿ما لكم لا تُؤْمِنُون باللهِ والرَّسول﴾ [الحديد: ٨]: استفهام يُراد به الإنكار. ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ما لكم؛ والواو في قوله: والرسول يدعوكم ـ واو الحال؛ ومعناه أيُّ شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟.

﴿ما لكم ألاَّ تُنْفِقُوا في سبيل الله﴾ [الحديد: ١٠]: فيه تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا. ومعناه أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، واللهُ يرِثُ ما في السموات وما في الأرض إذا أفنى أهلها.

﴿ما أَصاب مِنْ مُصِيبةٍ في الأرض ولا في أَنْفُسكم...﴾ [الحديد : ٢٢] الآية. معناها أنّ الأمور كلها مقدَّرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون. قال ﷺ : إنَّ الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء. والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يُصيب من خير أو شر. وقيل أراد به المصيبة في العُرْف؛ وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر، لأنه أهم على الناس. فانظر هذا اللطف العظيم من هذا الرب الكريم في دعاء عباده بهذه الآية إلى إراحة أنفسهم شفقةً عليهم وهي قطب دائرة العبادة عليه، ومدارها، وهو ثبات الباعث عليها؛ ألا ترى ما وعدهم به من الأجر على الصبر على المصائب مع ما في الرضا بها من الراحة والسلامة، وما في الجزع من الهمِّ والغم والعقوبة، وكيف يسخطُ الجاهل بعواقب الأمور، وإنما أجهلك بها لتسأله أَنْ يختارَ لك ما لا تختاره لنفسك، إذ هو عالم بما يصلح لك، والكلام على هذه الآية طويل تكفّل بجمعه علماء أجلة كالغزالي وابن عطاء الله والقشيري وغيرهم، جزاهم الله عنّا ما هو أهله.

فإن قلت: قد فصل في هذه الآية مصائب الأرض، كالزلازل والقحوط. وفي أنفسكم بالمرض والموت والفقر؛ وأجمل في التغابن [١١]؛ فما الحكمة؟.

فالجواب إنما فصل فيها موافقة لما قبلها؛ لأنه فصَّل في سورة الحديد أحوال الدنيا والآخرة بقوله: ﴿اعلموا أنما الحياةُ الدنيا لعب ولهو...﴾ [الحديد: ٢٠] الآية؛ فناسب ذلك التفصيلُ التفصيلَ في الآية. وأما سورة التغابن [١١] فناسب الإجمال الوارد فيها من ذلك المشترك؛ وتحصَّل نظم السورتين على أَتَمِّ مناسبة.

فإن قلت: ما لنا نفرح بالخير ونجزع من الشر، وقد قال تعالى: لكيلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحوا بما آتاكم. وقد قال أبو بكر رضي الله عنه لما أوتي بمالٍ كثير: اللهم لا نستطيع أن نفرح إلاَّ بما زيَّنت لنا. وقد حثى أيوب من الجراد الذي سقط عليه، فقال الله له: ألم يكن فيما أبليتك ـ أي أعطيتك ـ غِنًى عن هذا؟ فقال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركاتك.

فالجواب أن النهي إنما هو عن الفرح الذي يعود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم. وقد ذكر القرافي فرقاً بين الرضا بالقضاء وبين الرضا بالمقضيّ. وضرب له مثلاً بالطبيب إذا وصف للعليل دواءً مرّاً، أو قطع يده المتآكلة. فإن قال بئس ترتيب الطبيب ومعالجته، وكان غير هذا يقوم مقامه بما هو أيسر فهو تسخّط بقضاء الطبيب، وإذاية له، وجناية عليه، بحيث لو سمعه الطبيب كره ذلك، وشقَّ عليه. وإن قال: هذا الدواء مُرٌّ قاسيْتُ منه شدائد، وقطع اليد لي منها آلام عظيمة مبرّحة فهذا سخْطٌ بالمقضي الذي هو الدواء والقَطْع لا بالقضاء الذي هو ترتيب الطبيب ومعالجته؛ فهذا ليس يقدح في الطبيب، ولا يؤلمه إذا سمع بذلك؛ بل يقول له: صدقت، الأمر كذلك، فعلى هذا إذا ابتلي الإنسانُ بمرض فتألّم من المرض بمقتضى طبعه فهذا ليس عدم رضا بالقضاء، بل عدم رضاً بالمقضيّ. وإن قال: أي شيء عملته حتى أصابني مثل هذا؟ أو ما ذَنْبي؟ أو ما كنت استأْهِلُ مثل هذا؛ فهذا عدم رضا بالقضاء؛ فنحن مأمورون بالرضا بالقضاء، ولا نتعرض لجهة ربنا إلا بالإجلال والتعظيم، ولا نعترض عليه في ملكه. وأما أنا أُمِرْنا أن تطيب لنا البلايا والرزايا ومؤلمات الحوادث فليس كذلك، ولم ترد الشريعة بتكليف أحد ما ليس في طبعه، ولم يُؤمر الرَّمِدُ باستطابة الرمد المؤلم، ولا غيره من المرض؛ بل ذمَّ اللهُ قوماً لا يتألّمون ولا يجدون للبأساء وقْعاً بقوله: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما اسْتَكَانُوا لربِّهم وما يَتَضَرَّعون﴾ [المؤمنون: ٧٦]، فمن لم يتمسكن، ويذل للمؤلمات، ويظهر الجزَع منها، ويسأل ربه إقالة العثرة ـ فهو جبار عَنِيد، وشيطان مَرِيد.

فإن قلت: يفهم من هذا أن من قدر الله عليه بمعصيته يجبُ عليه الرضا بها؛ وليس كذلك.

فالجواب أن الرضا بالمقضيّ قد يكون واجباً كالإيمان بالله والواجباتِ إذا قدرها الله للإنسان، وقد يكون مندوباً في المندوبات، وحراماً في المحرمات، والرضا بالكفر كفر، ومباحاً في المباحات. وأما بالقضاء فواجب على الإطلاق

من غير تفضيل؛ فمن قضي عليه بالمعصية أو الكفر ـ والعياذ بالله ـ فالواجبُ عليه أن يلاحظ جهةَ المعصية والكفر فيكرههما. وأما إنْ قدر الله فيهما فالرضا ليس إلا. ومتى تسخّطه وسفه الربوبية في ذلك كان ذلك معصية، وكفراً منضمّاً إلى معصيته وكفره على حسب حاله في ذلك. أما إذا تاب ورجع إلى الله من ذلك فلا شكّ أنّ المعصية في حقه نعمةٌ من الله عليه؛ لأن الذنبَ يورث الافتقار، والطاعة تورث الاستكبار؛ والمعصيةُ تورِث ذلاً وافتقاراً خير من طاعة تورث عزّاً واستكباراً. قال ﷺ: «لولا أنّ الذنب خير للمؤمن من العُجْب ما خَلّى الله بين عَبْدٍ وبين ذَنْب أبداً». وفي الحديث: إن إبليس ليوقع العبد في معصية فلا يزالُ هذا العبد نادماً عليه وخائفاً من عقوبته، فيقول إبليس: يا ليتني لم أوقعه فيه؛ والكلام هنا طويل تركناه لذلك.

﴿مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً...﴾ [الحديد: ١١] الآية: ندب الله عبادَهُ في هذه الآية إلى الإنفاق في سبيل الله؛ وهذا من لطْفِ اللهِ بهم؛ تارة يدعوهم إلى الزُّهد في الدنيا والخروج عنها بالإقراض، وتارة بلفظ المضاعفة؛ فهنيئاً لكم أيتها الأمة بما خوّلكم مولاكم.

وسبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه﴾ [الزلزلة: ٧] ـ شَقّ ذلك على النبي ﷺ لأجل الأمة، ولم يرض بذلك؛ فأنزل اللهُ: ﴿أولئك يُؤتَوْن أجرهم مرتين﴾، فلم يَرْضَ بذلك؛ فأنزل الله: ﴿مَنْ جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾، فلم يرض بذلك، وقال: «رب زد أمتي»؛ فأنزل الله: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾؛ فقال: «رب؛ زِدْ أُمتي»؛ فأنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللهَ قرضاً حسناً...﴾ الآية.

والكثير لا يكون أقلَّ من ثلاثة، والدنيا كلّها قليل، والإضعاف لا يكون أقل من ثلاث مرات مثل الدنيا. فقال: رب، زد أمتي؛ فأنزل الله: ولسوف يُعْطِيك رَبُّكَ فتَرْضَى.

فإن قلت: هلا أعطاهم بغير قَرْض ولا مجيء حسنة في قوله تعالى: ﴿مَنْ جاء

بالحسنة﴾. وما الحكمة في أنَّ الله ذكر الصدقةَ بلفظ القرض؟ وما الحكمة في الإضعاف؟.

فالجواب أن الله تعالى لو أعطى الثواب بغير شيء لكان يجب أن يُعطي الكفّار مثلَ ما يعطي المؤمنين؛ فجعل الحسنات إلى المؤمنين لتمنع الثواب عن الكفار بها، ولا تكون حجة عند الله. وذكر الصدقة بلفظ القرض؛ لأن المقرض محتاج، فذكر أنك محتاج إليه مضطر، فلا يمنعك لاحتياجك، ولتعلم أنه يُخْلفه لك. والقرض ليس فيه مذلّة، بخلاف الصدقة. ومن أقرضته لا يمنُّ عليك. ولما كان للأمم الخالية عمر طويل وطاعات كثيرة بخلاف هذه الأمة، فخصَّها الله بتضعيف الطاعات، وتفصيل الأوقات؛ لتكون أعمالُهم زاكيةً عليهم. ولما كان في الطاعات تقصيرٌ جعل لهم الإضعاف؛ إذ هو بغير تقصير، وبه تُنال الجنة؛ لأنها من فضله ورحمته لا بعملهم وسعْيهم وإن ظلموا بعضهم بعضاً تؤخذ حسناتهم بقدر مظلمتهم حتى تفنى ولا يبقى إلا التضعيف، فيقولون: يا ربنا، أعطنا من أضعاف عملنا. فيقول اللهُ لهم: ذلك ليس من الفعل؛ وإنما هو من فضلي ورحمتي، فلا نصيب لكم فيها، فلا تؤخذ منهم.

﴿مَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]: يعني أنَّ الحديد فيه منافع لسكك الحرث والمسامير؛ وذلك أن كلَّ صنعة لهم مفتقرة إليه، فلا يستغنى عنه.

﴿مَنْ يَنْصُرُه ورُسُلَه بالغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]: يعني أنَّ الله أنزل الحديد ليعمل منه السلاحُ لقتال أعْداءِ الله، وليعلم اللهُ مَنْ ينصره؛ أي ليعلمه موجوداً فالتغير ليس في علم الله؛ بل في هذا الحديث الذي خرج من العدم إلى الوجود. ومعنى ﴿بالغيب﴾ بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه، فآمن به لقيام الأدلة عليها، فأيُّ عذر لتاركِ الجهاد في سبيل الله؟ وقد أخبر أنه أرسل رسلاً، وأنزل كتباً، وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يقاتل به من عاند، ولم يهتد بهَدْي الله.

﴿ما كتَبْنَاهَا عليهم إلاَّ ابتغاءَ رِضْوَان الله﴾ [الحديد: ٢٧]: أي فرضنا وشرعنا. وفي هذا قولان:

أحدهما أن الاستثناء منقطع. والمعنى ما كتبنا على الذين اتّبعوا عيسى الرهبانية من الاعتزال عن الناس، ورَفْض النساء، وتَرْك الدنيا، ولكنهم فعلوها من تِلْقَاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

والآخر أنّ الاستثناء متصل: والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ابتدعوها؛ ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم، لكن ابتدعوها. والمعتزلة يعربون ﴿رهبانية﴾ مفعولاً بفعل مضمر يفسره ابتدعوها؛ لأن مذهبهم أنَّ الإنسانَ يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم الفاسد.

﴿ما رَعَوْهَا حقَّ رِعَايَتِها﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء بها. والضمير في رعَوْها للذين ابتدعوها لرهبانيةٍ، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله عليهم، لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامُه؛ ولهذا أشار ﷺ بقوله لعبد الله بن عمر: إنك لا تطيق ذلك، أَحبُّ العمل إلى الله أَدْوَمه وإن قل. حتى قال: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. وكان أَحبَّ العمل إليه ما كان ديمةً.

﴿ما هُنَّ أُمهاتِهم﴾ [المجادلة: ٢]: ردّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أنَّ تصيير الزوجة أُمّاً باطل؛ لأن الأم في الحقيقة الوالدة التي ولدت.

﴿ما يكون مِنْ نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رَابِعُهم﴾ [المجادلة: ٧]: يحتمل أن تكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فيكون ثلاثة مضافاً إليه؛ أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون ثلاثة بدلاً أو صفة؛ والأول أحسن.

﴿ما هم مِنْكُمْ ولا مِنْهُم﴾ [المجادلة: ١٤]: يعني أنّ المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود؛ فهو كقوله تعالى فيهم: مُذَبْذَبين بين ذلك... الآية. وإذا عُوتبوا على سوء قولهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا. وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة مذكورة في السير وغيرها.

﴿ما ظَنَنْتُم أَن يَخْرجُوا وظَنُّوا أنهم مـانِعَتُهمْ حصُونُهم من الله﴾ [الحشر : ٢] : ضمير الغيبة يعود على بني النَّضير ؛ وذلك لكثرة عُدتهم ومَنَعة حصونهم ؛ فأخذهم الله ولم تُغْنِ عنهم من الله شيئاً .

﴿ما آتاكُمُ الرسولُ فخذُوه...﴾ [الحشر : ٧] الآية . نزلت بسبب الفيء ؛ يعني ما آتاكم من الفيء فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ؛ فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفَيْءِ ، ونهي للأنصار عنه ؛ ولفظُ الآية مع ذلك عامّ في أوامره ونواهيه ﷺ ؛ ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع مِنْ لُبْس المخيط على المحُرِم ، ولعن اللهُ الواشمَة وغيرها لوروده عنه ﷺ .

﴿كَمَثَلِ الذين مِنْ قَبْلهم قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهم﴾ [الحشر : ١٥] ؛أي هؤلاء اليهود كمَثَلِ الذين مِنْ قَبْلهم ـ يعني اليهود من بني قَيْنُقاع ؛ فإن رسول الله ﷺ أَجلاهم عن المدينة قبل بني النضير ، فكانوا مثلاً لهم . وقيل يعني أهلَ بَدْر الكفار ؛ فإنهم قبلهم ، ومثّلٌ لهم في أن غلبوا وقهروا .

والأول أرجح ؛ لأنّ قوله : قريباً ـ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة ؛ وذلك أوقع على بني قَيْنقاع . وأيضاً فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أَلْيق لأَنّهم يهود مثلهم ، وأُخرجوا من ديارهم ، كما فعل بهم ؛ وذلك هو المراد بقوله : ذاقوا وبال أمرهم .

﴿كمثل الشيطان...﴾ [الحشر : ١٦] الآية . مثّل الله المنافقين الذين أَغْووا اليهود من بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان ؛ فإنه يَغْوِي ابن آدم ثم يتبرأ منه ، والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس .

وقيل : أراد الشيطان الذي أغوى قريشاً يوم بدر ، وقال لهم : إني جارٌ لكم . وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ؛ فإنه استودع امرأة فزيَّن له الشيطان الوقوع عليها ، فحملت فخاف الفضيحة ، فزيَّن له الشيطان قَتْلها ، فلما وجدت مقتولة تَبَيَّن فعله ، فتعرّض له الشيطان ، وقال له : اسجد لي وأنجيك ، فسجد له وتبرَّأ منه . وهذا ضعيف في النقل . والأولُ أَرجح .

﴿مودَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]: أي محبّة، وقد كمُلَت في فَتْح مكة؛ فإنه أسلم حينئذٍ سائر قريش. وقيل المودة تزوّج النبيّ ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب. وردّ ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية.

وبالجملة لما أمر الله المسلمين بمعاداة الكفار ومقاتلتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم؛ فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم أن يجعل بينهم مودة.

﴿مِثْلَ ما أَنْفَقوا﴾ [الممتحنة: ١١]؛ أي اطلبوا من الكفار ما أنفقْتُم من الصدقة على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار، وليطلب الكفارُ منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

فإن قلت: يفْهَمُ من تكرر هذه الآية بقاء حكمها.

والجواب أنه لما قال الله: ﴿واسألوا ما أنْفَقْتُم ولْيَسْألُوا ما أنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠]. قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم، ولا نُعْطي صداق مَنْ فَرّتْ زوجتُه إلينا من المسلمين؛ فأنزل الله هذه الآية الأخرى. وأمر المسلمين أن يدفعوا الصداقَ لمن فرَّت زوجته إلى الكفار من المسلمين، ويكون هذا النوع من مال الغنائم على قول مَنْ قال: إنّ معنى فعاقبتم: غنمتم. وقيل من مال الفيء. وقيل من الصدقات التي كانت تُدْفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين؛ فأزال الله دَفْعَها إليهم حين لم يرضوا حكمه.

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآيات قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادَنَةُ النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة؛ إذ لا يجوز لنا مهادنة المشركين من العرب؛ إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف؛ وإنما تجوز مهادنةُ أهلِ الكتاب والمجوس؛ لأن الله تعالى قال في المشركين: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وقال في أهل الكتاب: حتى يُعْطُوا الجِزْيَة. وقال ﷺ في المجوس: سنّوا بهم سنَّةَ أهل الكتاب.

﴿مَرْصوص﴾ [الصف: ٤]: هو الذي يُضَمّ بعضُه إلى بعض. وقيل: هو

المعقود بالرصاص؛ ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة، وفيها إشارةٌ إلى الثبات في القتال والجِدّ فيه.

﴿مثَلُ الذين حُمِّلوا التوراةَ﴾ [الجمعة: ٥]؛ أي كلِّفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، فلما لم يطيقوا أمْرَها ولم يعملوا بها شبّههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره، ولا يدري ما فيها؛ وهم أيضاً حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأنها تنطِقُ بنبوءة نبينا ومولانا محمد ﷺ؛ فمن قرأها ولم يؤمِنْ بها فقد خالف التوراة.

﴿ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التجارة﴾ [الجمعة: ١١]: سبب هذه الآية أنَّ رسول الله ﷺ كان قائماً يخطب على منبره يوم الجمعة، فأقبلت عِير من الشام بطعام وصاحِبُ أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العِير المدينةَ بالطبل والصياح سروراً بها؛ فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهلُ المسجد إليها، وتركوه ﷺ قائماً على المنبر، ولم يَبْقَ معه إلا اثنا عشر رجلاً. قال جابر بن عبد الله: أنا أحدهم؛ وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة.

واختلف في الثاني عشر فقيل عبد الله بن مسعود. وقيل عَمّار بن ياسر، وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية. وروي أنه ﷺ قال: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة مسوَّمةً في السماء على الناقضين».

فإن قلت: ما بالُ الصحابة الموصوفين بالصلاح والعفاف يُهرعون للعِير ويَدَعُون أشرفَ الخلق على منبره يعِظُهم ويذكرهم؟.

فالجواب أنَّ ذلك منهم كان عند هجرته ﷺ إليهم، ولم يوقر الإيمان في صدورهم، وكانت مَسْغَبة عظيمة، ولهم عيالٌ يطلبونهم؛ فلكثرة فرحهم بسرور عيالهم وعلمهم بحسن خلق نبيهم وأنه بعثه الله رحمةً لهم ومُيَسّراً لدينهم، خرجوا لنظر العير؛ هل أتى بطعام كثير يفرحون بهم أهاليهم؟ ولأنهم كانوا قد صلُّوا معه ﷺ الصلاة المفروضة، وظنهم أنَّ الخطبة ليست من شرط الصلاة، وأنهم سيرجعون إليه ﷺ بعد نظرهم، وإلاَّ لو علموا وجوبَ ذلك عليهم لآثروه على

أنفسهم وأولادهم؛ ألم تسمع إلى قولهم في غَزْوَة بدر لمّا استشارهم ﷺ في القتال: نحن أسيافك القاطعة، ودروعك المانعة، إنْ خُضْتَ بحراً خضناه معك؛ وإن قاتلت ندفع عنك، ولسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهَبْ أنْتَ ورَبّك فقَاتِلا، ولكن نقول لك: اذهَبْ أنْتَ وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون.

فإن قلت: لِمَ قال: ﴿انفضُّوا إليها﴾ [الجمعة: ١١] ـ بضمير المفرد، وقد ذكر التجارة واللهو؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد انفضُّوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة؛ ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه؛ قاله الزمخشري.

والآخر: أنه قال ذلك تَهمُّماً بالتجارة؛ إذ كانت أَهَمَّ، وكانت هي سبب اللهو، ولم يكن اللهو سببها؛ قاله ابن عطية.

فإن قلت: لم قدّم في هذه الآية اللهو على التجارة، وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟.

فالجواب أنّ كلّ واحدٍ من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه؛ وذلك أنَّ العرب تارةً يبدأون بالأكثر، ثم ينزلون إلى الأقل؛ كقولك: فلان يخون في الكثير والقليل؛ فبدأت بالكثير، ثم أردفت عليه القليل؛ وهي دونه. وتارة يبدأون بالأقل، ثم يرتَقُون إلى الأكثر؛ كقولك: فلان أمين على القليل والكثير؛ فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الكثير. ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً؛ فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أحرى وأولى؛ ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله: إذا رَأَوْا تجارة أو لَهْواً انفضُّوا إليها ـ قدم التجارة هنا ليبيِّن أنهم ينفضُّون إليها من باب أولى، انفضاضهم إلى اللهو الذي هو دونها.

وقوله: خَيْر من اللَّهْوِ ومن التجارة ـ قدم اللَّهوْ؛ ليبين أنّ ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه؛ ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.

فإن قلت: لِمَ قال ﷺ في المتخلفين والمنفضّين: لولا هؤلاء لعذبوا بالحجارة؟ وهل ذلك خاصٌّ بالجمعة أو بسائر الصلوات لو تخلفوا عنه؟ ولِمَ قال في الجمعة: فاسعوا إلى ذكر الله؟ وقال ﷺ في الصلاة ائتوها وعليكم السكينة والوقار بغير سرعة.

فالجواب لمّا جهلوا قَدْرَ هذا الرسول ﷺ عذبوا لولا أنّ الله دفع عنهم بمن عرف حقَّ الله وحق رسوله، كما قال تعالى: ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضهم ببعض؛ وهذا خاصٌّ بالجمعة؛ لأنها عملٌ وذكر، وهو الخطبة؛ وسائر الصلوات عمل؛ ولذلك تُسمَّى يوم الجمعة عند أهل الجنة يوم المزيد؛ يزدادون فيه جمالاً وحسناً كما يزدادُ أهلُ الدنيا هرماً وضعفاً؛ وتُعْرَفُ عند أهل السماء بيوم الخير؛ وعند أهل الكتاب يوم التوبة، وعند أهل الزَّبُور بسيِّد الأيام، وفي الفرقان يوم الجمعة؛ قال ﷺ: يوم الجمعة حَجّ المساكين؛ لأنه يشبه الحج لإتيان المكلّف إليها بعد النداء؛ كالحج: وأذِّن في الناس، وإذا نُودي للصلاة. وفي الغسل لها، كما يغتسل للحج؛ وزادت الجمعة بإباحة الطِّيب والتزيُّن والخطبة التي كانت في الحج يوم عَرفة. ولما حرم الصيد في الإحرام وأُبيح بعده حرّم البيع والشراء عند صلاة الجمعة، وأبيح بعدها؛ وابتغاء الفضل كما في مريد الحج؛ قال تعالى: ليس عليكم جُنَاح أن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ ربكم؛ ويسعى إليها من بعيد، كما يسعى إلى الحج من كل فَجّ عَميق؛ وأُمِر المكلف بالذكر بعد الفراغ منها، كما أمر الحاج به في قوله: ﴿فاذكُروا الله كذِكْرِكم آباءَكم﴾ [البقرة: ٢٠٠]. وقال في الحج: فإن خَيْرَ الزَّادِ التقوى. وقال في الجمعة: قُلْ ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة. والإجماعُ على أنَّ يوم الجمعة أفضلُ من يوم عرفة للحديث: خَيْرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يوم الجمعة، فيه تقوم الساعة، وفيه خُلق آدم... الحديث.

﴿مَنْ يُؤْمِن بالله يَهْدِ قَلْبَه﴾ [التغابن: ١١]: قيل معناه من يؤمن بأنّ كل

شيء بإذن الله يَهْدِ اللهُ قلْبَه للتسليم والرضا بقضاء الله؛ وهذا حسن، إلاَّ أنّ العمومَ أحسن منه.

﴿ما استَطَعْتُم﴾ [التغابن: ١٦]: ما ظرفية، وهذا ناسخ لقوله: ﴿اتقوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وروي أنه لما نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على الناس حتى نزل: ﴿ما استطعتم﴾. وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حق تقاته﴾ معناه فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أَحدٌ إلاَّ ما يستطيع. فهذه الآيةُ على هذا مُبَيِّنَةٌ لتلك؛ وتحرَّز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان، وما يؤاخذ به العبيد.

﴿مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه﴾ [التغابن: ١٦]: هو بُخْلها وطمعها، فمن وُقِيها وُقِي شرَّ الدنيا والآخرة. وقيل: إنها نزلت في الطلاق. ومعناها من يتَّقِ الله فليطلق طلقة واحدة حسبما تقتضيه السنَّة.

﴿يجعل له مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢] بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق. وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلَّق ثلاثاً: إنك لم تتَّق اللهِ فبانت منك امرأتُك، ولا أَرى لك مخرجاً، أي لا رَجْعة لك.

والصحيح أنها على العموم، وأنّ من يتَّق الله في أفعاله وأقواله يجعل له مخرجاً، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

وروي أنها نزلت في عَوْف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أُسِر ولده وضيّق عليه رزقه، فشكَا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسّع الله عليه رزقه.

وروي عنه ﷺ أنه قال ـ حين قرأ هذه الآية: مَخْرَجاً من شبهات الدنيا، وغمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

وقال ﷺ: إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ومن يَتّقِ الله... الآية.

فإن قلت: إن الله تعالى تكفّل بأرزاق العباد على الجملة، فما فائدة قوله: ﴿ويَرْزُقْه من حيث لا يَحْتَسِب﴾ [الطلاق: ٣].

فالجواب أن الرزق مضمون لكل حيّ طولَ عمره، وهو الغذاء الذي به تقوم

الحياة، قال تعالى: ﴿ومَا مِنْ دَابّةٍ في الأرض إلا على الله رِزْقها﴾ [هود: ٦].
وأما رزق المتقين فوعْدُ الله لهم أن يأتيهم بسهولة من غير تَعب، كما قال ﷺ: تكفّل اللهُ لطالب العلم برزقه. وفي حديث آخر: استنزلوا الرزق بالصدق. مصداقه قوله تعالى: ﴿ولو أنّ أَهْلَ الكتاب آمَنُوا واتّقَوا لكفَّرْنا عنهم سيئاتهم...﴾ [المائدة: ٦٥] الآية. فبيَّن لك سبحانه أنهم لو عملوا بما في التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، أي لَوَسَّعْنا عليهم أرزاقنا، وأغدقنا عليهم إنفاقنا، لكنهم لم يفعلوا ما نحبُّ، فلذلك لم نفعل ما يحبون.

وانظر كيف تكفّل الله سبحانه بالرزق لعباده تعريفاً بوداده، ولم يكن ذلك واجباً عليه؛ بل أوجبه على نفسه إيجاب كرم وتفضّل، كأنه يقول: أيها العبد ليست كفالتي ورزقي خاصّاً بك؛ بل كلُّ دابة في الأرض أنا كافِلُها ورازقها، وموصِّل إليها قُوتَها؛ فاعلَمْ بذلك سعةَ كفالتي، وغناء ربوبيّتي، وأن شيئاً لا يخرج عن إحاطتي ورعايتي؛ فثِقْ بي كفيلاً، واتخذني وكيلاً؛ فإذا رأيتَ ذكري لأصناف الحيوان، ورعايتي إياها، وقيامي بحسن الكفالة لها وأنت أشرفُ هذا النوع، فأنت أولى بأن تكون لكفالتي واثقاً، ولفضلي رامقاً؛ ألا تراني قلت: ﴿ولقد كرَّمْنَا بَني آدَم﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ أي على سائر أجناس الحيوان إذ دعوناهم إلى خدمتنا، ووعدناهم دخول جنتنا، وخطبناهم إلى حضرتنا؛ ومما يوضِّح لك كرامة الآدمي على غيره من المكونات أن المكونات مخلوقات من أجله، وهو مخلوق من أجل حضرة الله؛ فإذا علمت أن الأكوان مخلوقة من أجلك إمّا انتفاعاً وإما اعتباراً، وهو نفع أيضاً، فينبغي لك أن تعلم أن الله سبحانه إذا رزق مَنْ هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقاً، فاستَحْيِ منه أن تكون بعدما كساك حُلّةَ الإيمان، وزَيّنَك بزينة العرفان، أن تستَوْلِيَ عليك الغفلةُ والنسيان، حتى تميل إلى الأكوان، أو تطلب من غيره وجوهَ امتنان.
وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنُوا أَوْفُوا بالعقود﴾ [المائدة: ١]. ومن العقود التي عاقدْتَه عليها ألاَّ ترفع حوائجك إلا إليه ولا تتوكل إلا عليه؛ ولازِم

إقرارك له بالربوبية يوم [﴿أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرِّيتهم وأشهدهم على أنفسهم] ألستُ بربكم﴾ فرضيت به ربّاً واحداً رازقاً، فكيف تُوَحده هنالك وتجهله ها هنا؟ وقد تواتر عليك إحسانه، وغمرك فضله وامتنانه.

فإن قلت: ما فائدة تكرير ذِكْر التقوى في هذه السورة في مواطن ثلاث؟

فالجواب أن أوامرها دارت على الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق إذا دعت إليه الضرورة في وَقْتِه لاستقبال العدة حتى لا يقع الضرار بالمطلقة في تطويل عِدّتها، والأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها، وأن تخرج المعتدّة من بيتها حيث وقع عليها الطلاق، والأمر بإنفاذ ما يقع الاعتماد عليه من إمساك أو مفارقة، ومن حسن الصحبة وجميل العشرة: إن اعتمد الإمساك، أو بالإمتاع أو التلطف رَعْياً لما تقدم من الصحبة إن عَوّل على المفارقة فلرَعْي هذه الأوامر أكّد سبحانه بالتزام التقوى فيما ذكر؛ فتأمله جارياً على أوضح تناسب.

﴿ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] الخطاب للنبي ﷺ، نهاه الله أن يطلبَ رضا أزواجه بتحريم ما أحلَّ الله له من تحريمه للجارية، ابتغاءَ رِضَا حَفْصة؛ وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية. وأما تحريمُه للعَسل فلم يقصد به رِضَا أزواجه، وإنما تركه لرائحته، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة.

﴿ما يُؤْمَرُون﴾ [التحريم: ٦]: وصف للملائكة بأنهم لا يعصون، وتأكيد لعدم عصيانهم. وقيل: إن معنى ﴿لا يعصون﴾ [التحريم: ٦] امتثال الأمر، ويفعلون ما يؤمرون جدُّهم ونشاطُهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿ما تَرَى في خَلْقِ الرَّحْمنِ﴾ [الملك: ٣]: بيان وتكميل لما قَبْله، والخطاب بقوله: ﴿ما تَرى﴾ و﴿وارْجع البَصر﴾ [الملك: ٤] وما بعده للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر.

﴿مَنَاكِبِها﴾ [الملك: ١٥]: قال ابن عباس: هي الجبال. وقيل الجوانب والنواحي. وقيل الطرق.

والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذُّلَّ والمناكب تشبيهاً بالدّوَابّ.

﴿مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِه...﴾ [الملك: ٢٢] الآية. توقيف على الحالتين أيهما أهدى. والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان:

أحدهما أن المَشْيَ استعارة في سلوك طريق الهُدَى والضلال في الدنيا.

والآخر أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحْمَل إلى جهنم على وجهه.

فأما على القول الأول فقيل: إن الذي يمشي مُكِبًّا أبو جهل، والذي يمشي سَوِيّاً سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وقيل حمزة. وقيل هي على العموم في كل مؤمن وكافر. وقد تمشي هذه الأقوال أيضاً على القول الثاني.

والمُكِبُّ هو الذي يقع على وجهه؛ يقال أكبَّ الرجلُ وكبَّه غيره؛ فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال.

﴿ماؤُكم غَوْراً﴾ [الملك: ٣٠]: مصدر وُصفَ به بمعنى غائراً، أي ذاهباً في الأرض، وهذا احتجاج على المشركين.

والمعنى إنْ غار ماؤكم الذي تشربون منه هل يأتيكم إله غير الله بماءٍ معِين.

واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول. وقوله: وكأس من مَعِين؛ أي من خمر تجري من العيون.

﴿ما أَنْتَ بنعمةِ رَبِّكَ بمَجْنُون﴾ [القلم: ٢]: هذا جواب القسم، وهو خطاب لنبينا ومولانا محمد ﷺ، معناه نفي ما نسبه الكفار له من الجنون؛ وبنعمة ربك ـ اعتراض بين ما وخبرها؛ كما تقول: أَنْتَ ـ بحمد الله ـ فاضل. والجار والمجرور في موضع الحال. وقال الزمخشري: إن العامل فيه بمجنون.

﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيم﴾ [القلم: ١١]؛ أي كثير المشي بالنميمة، يقال نميم ونميمة بمعنى واحد. قال ﷺ: لا يدخل الجنة نَمّام منّاع للخير؛ أي شحيح؛ لأن الخير

هنا هو المال. وقيل معناه منّاع من الخير؛ أي يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح.

﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ [القلم: ٣٦] ما مبتدأ ولكم خبره، وتَمّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه. وفي الآية توبيخ للكفار؛ أي كيف تحكمون بأهوائكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم؟

﴿مَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث﴾ [القلم: ٤٤]: مفعول معه، أو معطوف؛ وفيه تهديد للمكذبين بالقرآن.

﴿مَذْمُوم﴾ [القلم: ٤٩]: هذا جواب لولا، والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء؛ فإنه قال في الصافات: ﴿فَنَبَذْنَاه بالعَرَاءِ وهو سَقِيم﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ فالمعنى لولا رحمةُ الله لنُبِذَ بالعَرَاء وهو مذموم، لكنّه نُبذ وهو غير مذموم.

﴿ما هو إلا ذِكْرٌ للعالَمِين﴾ [القلم: ٥٢]: الضمير يعود على القرآن، يعني أنه موعظة وتذكير للخلق.

﴿ما الحاقّة﴾ [الحاقة: ٢]: ما استفهامية يُراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر الحاقّة. وكان الأصل الحاقة ما هي؟ ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل؛ وكذلك ما أَدْرَاك ما الحاقّة؟ لفظه الاستفهام، والمراد به التهويل والتعظيم.

﴿مَنْ قَبْلَه﴾ [الحاقة: ٩]: أي قبل فرعون من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب. والظاهر أنهم هم المراد؛ لأن عاداً وثمود قد ذكرا، وقوم لوط هم «المؤتفكات»، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لما طَغَا الماءُ﴾ [الحاقة: ١١]. وقرىء قِبَله ـ بكسر القاف وفَتْح الباء، ومعناه جنده وأتباعه.

﴿مَفْتُون﴾ [القلم: ٦]: قيل إن المفتون المجنون؛ ويحتمل غير ذلك مِنْ معاني الفتنة. واختلف في الباء التي في قوله بأيكم؛ قيل زائدة، وقيل هي غير

زائدة. والمعنى بأيكم الفتنة؛ فأوقع المفتون موقع الفتنة، كقولهم: ما لَهُ معقول؛ أي عقل. وقيل إنها بمعنى في؛ والمعنى في أيّ فريق منكم المفتون. واستحسن ابن عطية هذا.

﴿مَنْ دَخل بَيْتِيَ﴾ [نوح: ٢٨]: يعني المسجد. وقيل السفينة. وقيل شريعته؛ سماها بيتاً استعارة؛ وهذا بعيد. وقيل داره؛ وهذا أرجح لأنه الحقيقة.

﴿مَنْ يَسْتَمِع الآنَ يَجِدْ له﴾ [الجن: ٩]: قد قدمنا أنّ رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعثه ﷺ، واختار ابنُ عطية والزمخشري أنه قبل المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث، وكَثُر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية؛ ودليلها قوله ﷺ لأصحابه ـ وقد رأى كوكبا انقضَّ: ما كنتم تقولون للجاهلية لهذا؟ قالوا: كنا نقول مَلكَ ملك، أو مات ملك. فقال ﷺ: «ليس الأمر كذلك». ثم وصف استراق الجن السمع. وقد ذكر شعراء الجاهلية في ذلك أشعارهم.

﴿ماءً غَدَقا﴾ [الجن: ١٦]: أي كثيراً، وهو استعارة في توسيع الرزق؛ يعني أنهم لو استقاموا على الكفر لوسَّع اللهُ عليهم؛ إملاءً لهم واستدراجاً. ويؤيّد هذا قوله: ﴿لِنَفْتِنَهم فيه﴾ [الجن: ١٧].

والصحيح أن الطريقة هي الإسلام وطاعة الله. والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للكافرين المذكورين في قوله: ﴿وأما القاسِطُون...﴾ [الجن: ١٥] أو لجميع الجن الذين استمعوا القرآن، أو لجميع الخلق.

﴿مَنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَه﴾ [الجن: ٢٣]: الآية في الكفار، وحملَها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن مذهبهم خلودهم في النار؛ وعلى أنها في الكفار وجهان:

أحدها: أنها مكية، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالةُ ما قبلها وما بعدها على أنَّ المرادَ بها الكفار، وجمع ﴿خالدين﴾ [الجن: ٢٣] على معنى مَنْ يَعْصِ؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مساجِدَ﴾ [الجن: ١٨]: واحدها مَسْجَد ـ بفتح الجيم. وهذا بعيد،

وأراد هنا المساجد على الإطلاق، وهي بيوت عبادة الله. وروي أنَّ الآية نزلت بسبب تقلُّب قريش على الكعبة. وقيل أراد الأعضاء السبعة التي يسجدُ عليها، ومعناها لما كانت المساجد لله فكيف تعبدون فيها غَيْرَ الله؟ وكذلك الأعضاء ملكها واختراعها عندي، فكيف تصرفونها في غير ما طَلَبْتُ منكم؟

﴿ما يُوعَدُون﴾ [الجن: ٢٤]: الضمير للكفّار، يعني أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه، حتى إذا رأوا ما يوعدون.

﴿مَنْ شاء اتَّخَذَ إلى رَبِّه سَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٩]: أي سبيل التقرب إلى الله؛ ومعنى الكلام حضٌّ على ذلك وترغيب فيه.

﴿ما تَيَسَّرَ من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠]: أي إن لم تقدروا على قيام الليل كلّه فقوموا بعضَه، واقْرأوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن؛ وهذا الأمر للندب.

وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور. وقال قوم - منهم الحسن وابن سيرين: هو فرضٌ لا بد منه، ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صَلَّى الوتر فقد امتثل هذا الأمر. وقيل: كان فرضاً، ثم نسخ بالصلوات الخمس. وقال بعضهم: هو فرض على أَهْل القرآن دون غيرهم.

﴿مالاً مَمْدُوداً﴾ [المدثر: ١٢]: اختلف في مقداره؛ فقيل ألف دينار. وقيل عشرة آلاف. وقيل يعني الأرض؛ لأنها مدت.

﴿مَهَّدْتُ له تَمْهِيداً﴾ [المدثر: ١٤]: الضمير يعود على الوليد بن المغيرة، ومعناها بسطتُ له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.

﴿ما جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلاّ فِتْنَةً للذين كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١]: أي جعلناهم تسعة عشر ليفتتن الكفّار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم؛ كما قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم في واحد منهم.

﴿ماذَا أَرَادَ اللهُ بهذَا مَثَلاً﴾ [المدثر: ٣١]: استبعاد منهم أن يكون هذا من عند الله.

﴿ما يَعْلَمُ جنودَ رَبِّكَ إلا هُو﴾ [المدثر: ٣١]: يحتمل القصد بهذا وجهين:

أحدهما: وصف جنودِ اللهِ بالكثرة؛ أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله.

والآخر: رَفْعُ اعتراض الكفار على التسعة عشر؛ أي لا يعلم أَعدادَ جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عدداً قليلاً، ومنهم عدداً كثيراً، حسبما أراد الله.

﴿ما هِيَ إلاّ ذِكْرَى للبَشر﴾ [المدثر: ٣١]: الضمير لجهنم، أو للآيات المتقدمة.

﴿ما سلَكَكُمْ في سَقَر﴾ [المدثر: ٤٢]؛ أي ما أدخلكم النار؟ وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به المسلمون. وسقر: أحد طبقات جهنم السبعة. وقد صحّ أنَّ من كان في الطبق الأول تناديه الملائكةُ: ويْلٌ يومئذ للمكذبين. وتنادي مَنْ كان في الثاني: فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون. وفي الثالث: ويْلٌ لكل هُمَزةٍ لُمَزة. وفي الرابع: فويلٌ لهم مما كَسَبَتْ أيديهم. وفي الخامس: وويْلٌ للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة. وفي السادس: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٢]. وفي السابع: ويل للمطَفِّفين الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يستَوْفُون.

﴿مَنْ شاءَ ذَكره﴾ [المدثر: ٥٥]: فاعل شاء ضمير يعودُ على من، وفي ذلك حضٌّ وترغيب. وقيل الفاعل هو الله، ثم قيّد فعل العبد بمشيئة الله.

فإن قلت: ما وَجْهُ مخالفة هذه الآية لسورة عبَس [١١، ١٢] وسورة الإنسان [٢٩]؟

فالجواب أن ضمير التذكير هنا لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته، والمذكّر به عظة أو موعظة، وهو أيضاً وعظ وتنبيه؛ فتارة تُرَاعِي العرب في مثل هذا جهة التذكير، وتارة تراعي جهة التأنيث، فتَحْمِل الضمير على ما تدعيه من تذكير أو تأنيث.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ما سلَككم ـ وهو سؤال للمجرمين ـ قولَه:

﴿يَتَساءَلُون عن المجرمين﴾ [المدثر : ٤٠ ، ٤١] ؛ وهو سؤال عنهم ؛ وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل : يتساءل المجرمون ما سلككم؟

قلت : ما سلككم ليس ببيان التساؤل عنهم ؛ وإنما هي حكاية قول المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين ، فيقولون : قلنا لهم : ما سلككم في سقَر ؟ قالوا : لم نك من المصلّين ؛ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار ، كما هو نهج التنزيل في غرابة نَظْمه .

﴿مَعَاذِيرَه﴾ [القيامة : ١٥] : في معناه قولان :

أحدهما : أنّ المعاذِيرَ الأعذار ؛ أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ، ولو اعتذر عن قبائحها .

والآخر : أنّ المعاذير الستور ؛ أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو أسدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح .

﴿مَعَاشاً﴾ [النبأ : ١١] : أي يُطلب فيه المعيشة ، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش . وقال الزمخشري : معناه يعاش فيه ؛ فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السيئات التي بمعنى الموت .

﴿مَفَازاً﴾ [النبأ : ٣١] : أي موضعَ فَوْز ، يعني الجنة .

﴿ما قَدَّمَتْ يَدَاه﴾ [النبأ : ٤٠] : يعني يرى كلٌّ أحد ما عمل من خير أو شر .

﴿ماءَها ومَرْعَاها﴾ [النازعات : ٣١] : نسب الماء والمرعى إلى الأرض ؛ لأنهما يخرجان منها .

فإن قيل : لِمَ قال : ﴿أخرج﴾ بغير عطف العاطف ؟

فالجواب أنَّ هذه الجملة في موضع الحال ، أو تفسير لما قبلها ؛ قاله الزمخشري .

﴿مَتَاعاً لكم ولأنْعَامِكم﴾ [النازعات: ٣٣]: تقديره فَعل ذلك كلّه متاعاً لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكلّ ما ذُكر.

﴿ما عَلَيْكَ ألاّ يزَّكّى﴾ [عبس: ٧]: أي لا حرج عليك إذا يتزكى هذا الغنيّ.

﴿مَنْ جاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: ٨]: معناه يُسرع في مشيه مِنْ حِرْصه على طلب الخير: هو عبدالله بن أمّ مكتوم.

﴿مَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢]: تأمّل إلى تأنيثه الضمير في قوله: ﴿إنها﴾ [عبس: ١١]، وتذكيره هنا على معنى الوعظ أو الذكر أو القرآن.

﴿مَرْفُوعةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]: إن كانت الصحف المصاحف فمعناه كذلك أو مرفوعة في السماء؛ ومطهّرة: منزهة عن أيدي الشياطين.

﴿ما أكْفَره﴾ [عبس: ١٧]: تعجُّب من شدة كُفْره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مَوْءُدَة﴾ [التكوير: ٨]: هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حيّة من كراهيته لها، ومن غيرته عليها؛ فتسأله يوم القيامة: بأي ذَنْبٍ قتلت؟ على وجه التوبيخ لقاتلها. وقرأ ابن عباس سألت ـ بفتح الهمزة والسين ـ بأي ذنب قَتلتُ ـ بفتح القاف وسكون اللام وضم التاء. واستدل ابن عباس بهذه الآية على أنّ أولاد المشركين في الجنة؛ لأنّ الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿ما أحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]: عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]: أي في حياتها، وأخَّرت مما تركته بعد موتها من سنّة سنّتها أو وصية أوْصَتْ بها.

﴿ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم﴾ [الانفطار: ٦]: هذا توبيخ وعتاب، معناه أي شيء غرّك بربكَ حتى كفرت به، أو عصيته، أو غفلت عنه؛ فدخل في الخطاب الكفّارُ، وعصاةُ المؤمنين، ومن يغفل عن الله في كل الأحيان.

وروي أنه ﷺ قرأ: ما غَرَّك بربك الكريم؛ فقال: غره جهله. وقال عمر: غَرّهُ حُمْقه. وقرأ: إنه كان ظلوما جهولاً. وقيل: غَرّه الشيطان المسلَّط عليه. وقيل: غره طمَعُه في عَفْو الله عنه.

ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كلَّ واحد منها مما يَغُرُّ الإنسان، إلا أنّ بعضها يَغُرُّ قوماً وبعضُها يغُرُّ قوماً آخرين.

فإن قيل: ما مناسبةُ وصْفِه بالكريم للتوبيخ على الغرور؟

فالجواب أن الكريم ينبغي أن يُعْبَد ويطاع؛ شكْراً لإحسانه، ومقابلةً لكرمه. ومَنْ لم يفعل فقد كفر النعمة، وأضاع الشكر الواجب.

وقيل: إنه يخاطب العبد بالكرم تلقيناً للمؤمن في تذكره بكرمه؛ فيقول: غَرَّني حلمُك وكرمك، ونقمةً للكافر في تعديد النعمة عليه في الدنيا، واستعانته بها على مخالفته.

﴿مَرْقومٌ﴾ [المطففين: ٩]: أي مكتوب، بلسان العبرانية، وارتفع في الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب.

وقال ابن عطية: كتاب مرقوم خبر إن، والظرف مُلْغى؛ وهو تكلُّف يفسد به المعنى.

وقد رُوي في الأثر ـ ما يفسر الآية، وهو أن الملائكةَ تصعد بصحيفة فيها عمَلُ العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في علّيين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجّين.

﴿مَخْتُوم﴾[المطففين: ٢٥]: قد فسره الله بأنّ ختامه مسك.

﴿مَرُّوا بِهِمْ يتغامَزُون﴾ [المطففين: ٣٠]: أي يغمز بعضهم إلى بعض، ويشير بِعَيْنه. والضمير في مرُّوا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار؛ والضمير في يتغامَزُونَ للكفار لا غير.

﴿ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِين﴾ [المطففين: ٣٣]: أي ما أرسل للكفار

حافظين على المؤمنين؛ يحفظون أعمالهم، ويشهدون رشْدَهم أو ضلالهم؛ فكأنه قال: كلامهم في المؤمنين فُضُول منهم.

﴿مَنْ أُوتِي كتابَه وراءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠]: يعني الكافر. وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة بن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود؛ وكان من عُتَاةِ الكافرين؛ ولفظها أعمُّ من ذلك.

فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتَى كتابه وراء ظهره، وقال في الحاقة بشماله؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره، وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه.

﴿ما لهم لا يُؤمنون﴾ [الانشقاق: ٢٠]: الضمير لكفّار قريش، يعني أيّ شيء يمنعهم عن الإيمان؟

﴿ما نَقَمُوا منهم...﴾ [البروج: ٨] الآية؛ أي ما أنكر الكفّار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله. وهذا لا ينبغي أنْ يُنْكَر. وهذا كقوله: ﴿وما نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْنَاهم اللهُ ورسولُه﴾ [التوبة: ٧٤]؛ أي ما عابوا إلا الغِنَى الذي كان حقّه أنْ يشكروا عليه؛ وذلك في الجُلاَس، أو في عبدالله بن أبيّ.

فإن قلت: لم قال: أن يؤمنوا ـ بلفظ المضارع، ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟

فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذّبوهم؛ فلذلك ذكره بلفظ المستقبل؛ فكأنه قال: إلا أنْ يدوموا على الإيمان.

﴿ماءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]: من الدفق، بمعنى الدّفع، فقيل معناه مدفوق

وصاحبه هو الدافق في الحقيقة؛ فقال سيبويه: هو على النسب؛ أي ذو دفق. وقال ابن عطية: يصحُّ أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفق بعضاً؛ ومقصود الآية إثبات الحشر؛ فأمر الإنسان أن ينظر أَصْلَ خلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه مِنْ ماءٍ دافق قادرٌ على أَنْ يُعيده.

ووَجْهُ اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن على كلّ نفس حافظاً يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر، حيث تُجازَى كلُّ نفس بأعمالها.

﴿مَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ولا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]: الضمير للإنسان؛ ولما كان دَفْعُ المكاره في الدنيا إمّا بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبر الله أنه يعدمهما يوم القيامة.

﴿ما شاءَ اللهُ﴾ [الأعلى: ٧]: فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه لا تَنْسى إلا ما شاء الله أن تنساه؛ كقوله: أوْ نُنسيها.

والآخر: أنه لا تنسى شيئاً، ولكن قال: إلاّ ما يشاء الله ـ تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: خالدين فيها إلا ما شاء الله، على بعض الأقوال.

وعَبَّر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي؛ والأول أَظهر؛ فإن النسيان جائز على النبيّ ﷺ، فيقال: أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه، ثم يذكره. ومن هذا قولُ النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشر رحمه الله: لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أُنسيتها.

﴿موضوعة﴾ [الغاشية: ١٤]: مُعَدة بشرابها.

﴿مَبْثُوثة﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة؛ وذلك عبارة عن كثرتها. وقيل مبسوطة.

﴿مالاً لُبَداً﴾ [البلد: ٦]: أي كثيراً. وقرىء بضم اللام وكسرها، وهو جمع لبدة ـ بالضم والكسر، بمعنى الكثرة. ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة؛ فإنه أنفق أموالاً في إنفاق أمر به رسول الله ﷺ. وقيل في الحارث بن

عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفَّارات، فقال: لقد أنفقْتُ مالي مذ تبعت محمداً.

﴿ما أدْرَاكَ ما العَقَبة﴾ [البلد: ١٢]: تعظيم للعَقَبة، ثم فسرها بفكّ الرقبة، وهو تفسير لاقْتَحم. وفك الرقبة هو عِتْقها؛ قال رسول الله ﷺ: مَنْ أعتق رقبةً مؤمنة أعتق الله بكل عضْوٍ منها عضواً من النار.

﴿مَسْغَبَة﴾ [البلد: ١٤]: مجاعة. يقال سغب الرجل إذا جاع.

﴿مَقْرَبة﴾ [البلد: ١٥]: قرابة.

﴿مَتْرَبَة﴾ [البلد: ١٦]: فَقْر.

﴿مَرْحَمة﴾ [البلد: ١٧]: أي وصّى بعضهم بعضاً برحمة المساكين وغيرهم. وقيل المرحمة كلُّ ما يؤدّي إلى رحمة الله.

﴿مَيْمنة﴾ [البلد: ١٨]: جهة اليمين.

﴿مَشْأَمة﴾ [البلد: ١٩]: جهة الشمال. وروي أنّ الميمنة عن يمين العرش. ويحتمل أن يكونا من اليُمْن والشؤم.

﴿ما بَنَاها﴾ [الشمس: ٥]: ما هاهنا، وفي قوله: «وما طَحَاها وما سوّاها» [الشمس: ٦، ٧] - موصولة بمعنى مَنْ. والمراد الله تعالى. وقيل إنها مصدرية. كأنه قال: والسماء وبنيانها. وضعَّفَ الزمخشري هذا بقوله: فألهمها؛ فإن المراد الله تعالى باتفاق؛ فهذا القولُ يؤدِّي إلى فساد النظم، وضعّف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق.

فإن قيل: لم عدل عن مَنْ إلى «مَا» في قول مَنْ جعلها موصولة؟

فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصْفيّة، كأنه قال: والقادر الذي بَنَاها.

فإن قلت: لم نكّر النفس؟

فالجواب مِنْ وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقوله: علمت نَفْسٌ ما أحضرت.

والآخر: أنه أراد نفس آدم. والأول هو المختار.

﴿ما خلق الذَّكَرَ والأنْثَى﴾ [الليل: ٣]: ما بمعنى مَنْ. والمرادُ بها الله تعالى، وعَدَلَ عن «مَنْ» لقَصْدِ الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكَر والأنثى.

﴿مَنْ أعْطَى واتَّقَى...﴾ [الليل: ٥] الآية، أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة، وشِبْه ذلك؛ أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتَّقَى الله. وعَبَّر بعضُهم عن تصديقه بالحسنى بلا إله إلا الله، أو بالمثوبة.

﴿الحسنى﴾ [الليل: ٦]: هي الجنة. وقيل يعني الأجر والثواب على الإطلاق. وقيل: يعني الخلف على الْمُنفِق.

﴿مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى وكذَّب بالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٨، ٩]: أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق؛ فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة أعطى، كما أن استغنى في مقابلة اتّقى؛ وكذّب بالحسنى في مقابلة صدّقَ بالحسنى؛ ونيسره للعسرى في مقابلة نيسره لليسرى. ومعنى استغنى استغنى عن الله، فلم يُطِعْه، أو استغنى بالدنيا عن الآخرة.

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق؛ لأنه أنفق مالَه في سبيل الله، وكان يشتري مَنْ أسلم من العبيد ويَعْتقهم.

وقيل: نزلت في أبي الدحداح؛ وهذا ضعيف؛ وإنما أسلم أبو الدّحْدَاح بالمدينة.

وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حَرْب؛ وهذا ضعيف لقوله: سنُيَسِّره للعسرى. وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك.

﴿ما وَدَّعَك رَبُّك وما قَلَى﴾ [الضحى: ٣]: بتشديد الدال من الوداع. وقرىء بتخفيفها؛ بمعنى ما تركك. والوداع مبالغة في الترك. وقد قدمنا في مواضع أن معنى قلى أي أبغض.

وسببُ نزول هذه الآية إبطاء جبريل بالوَحْي عن رسول الله ﷺ ، حتى قيل: إن محمداً قَلاَه ربه.

﴿ما أَدْرَاكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ [القدر: ٢]: هذا تعظيم لها، وحق لها أن تعظَّم، وهي من خصائص هذه الأمة، وهي تنتقل في العام كلّه. وفي الحديث: التمسوها في العَشْر الأَوَاخر من رمضان. وعند ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين، وأخذ ذلك من كلمات هذه السورة إلى قوله: ﴿هي﴾ [القدر: ٥].

وقيل: إذا وافق إفراد العشر الأواخر من رمضان ليلة الجمعة فهي ليلةُ القدر. والصحيح أنها من المخفيات السبع؛ وهي الولي في خلقه، والاسم الأعظم في الأسماء؛ وغضبه في معصيته؛ ورضاه في طاعته؛ وساعة الجمعة في اليوم كلّه؛ والصلاة الوسطى في الصلوات. كلُّ ذلك حرصاً على اتباع الأوامر واجتناب النواهي.

﴿ما تَفَرَّقَ الذين أُوتوا الكتابَ إلاّ مِنْ بَعْدِما جاءَتْهم البيِّنَة﴾ [البينة: ٤]؛ أي ما اختلفوا في نبوءة نبينا ومولانا محمد ﷺ إلاّ مِنْ بعد ما علموا أنه حق. ويحتمل أنْ يريد تفرُّقَهم في دينهم، كقوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِف فيه﴾ [هود: ١١٠]. وإنما خصّ الذين أُوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحةَ نبوءةِ نبينا ومولانا محمد ﷺ بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿ما أُمِرُوا﴾ [البينة: ٥]: معناه ما أُمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، ولكنهم حرّفوا وبدّلوا. ويحتمل أن يكون المعنى ما أُمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به؟

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ خَيْراً يرَهْ﴾ [الزلزلة: ٧]: المثقال: هو الوزن. والذرة: النملة الصغيرة. والرؤية هنا ليست برؤية بصر؛ وإنما هي عبارة عن الجزاء. وذكر الله مثقال الذرة تنبيهاً على ما هو أكثر منه من طريق الأولى؛ كأنه قال: مَنْ يعمَلْ قليلاً أو كثيراً. وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا

يجازَى في الآخرة على حسناته؛ إذ لم تقبل منه. واستدل أهلُ السنة بهذه الآية على أنه لا يخلّد مؤمن في النار؛ لأنه لو خلّد لَمْ يَرَ ثَوَاباً على إيمانه، وعلى ما عمل من الحسنات.

وروي عن عائشة أنها تصدقت بحبّة عِنب، فقيل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة. وسمع رجل هذه الآية عند النبي ﷺ فقال: «حسبي، لا أُبالي ألاّ أسمع غيرها».

﴿مَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٨]: هذا على عمومه في حق الكفار. وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بستّة شروط: وهي أن تكون ذنوبهم كبار. وأن يموتوا قبل التوبة منها. وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها. وألاّ يشفع فيهم. وألاّ يكونوا ممن استحق المغفرة بعمل كأَهْلِ بَدْر؛ للحديث: لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئْتُم فقد غفرتُ لكم. وألاّ يعفو الله عنهم؛ فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له.

﴿ما في القبور. وحُصِّلَ ما في الصّدُور﴾[العاديات: ٩، ١٠]: عبارة عن البعث، وجَمْع ما في الصحف. وأظهر مُحَصّلا، ومُيِّز خيره من شرّه.

﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه﴾ [القارعة: ٦]: هو جمع ميزان، أو جمع موزون. وميزان الأعمال يوم القيامة له لسانٌ وكفَّتان وعمود، وتُوزَن فيه الأعمال. والخفة والثقل متعلقة بأجسام، إما صحف الأعمال أو ما شاء الله. وقالت المعتزلة: الميزان عبارة عن العدل في الجزاء.

فإن قلت: يفهم من قوله: ونَضَع الموازين ـ أنها جماعة لكل أحد ميزان، فإن كان فلا إشكال، وإن كان واحداً فما معنى الجمع؟

فالجواب أنه صحّ أنه ميزان واحد؛ وإنما جمع لما فيه من كفّتين ولسان وعمود.

قال الغزالي والقرطبي: ولا يكون الميزان في حق كل أحد؛ فالسبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يأخذون صحفاً، ولا يرفع لهم ميزان.

وروي الترمذي - وحسّنه - حديث: يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق، ويُنشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كلّ سجل مثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكر مِنْ هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب. فيقول: ألكَ عُذْر؟ فيقول: لا، يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً، وإنك لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة فيها أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم؛ فتُوضع السجلاتُ في كفّة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء.

فانظر يا أخي عظيم فضل الإقرار، وقُبْح الإنكار فيمن أنكر أفعاله، حتى تشهدَ عليه جوَارِحُه، اللهم إنا مقِرّون بأنا مطيعون عدوّك إبليس الذي أَبْلَسْته من عدم طاعته لأبينا آدم، ولا حيلة لنا بالفرار مع غوايته إلا بتوفيقك، فثبّتْنَا على عصيانه هنا ويوم الوقوف بين يديك؛ فإنك تعلم أَنّا لا نعصيك لجهلنا بمعصيتك، ولا نتعرض لعقوبتك؛ وإنما جهلنا قَدْرَك؛ فمن ينقذنا من عقوبتك إن عاقبتنا؟ ومَنْ يوصلنا لرحمتك إن قطعتنا؟ وبحبل من نعتصِمُ إن طردتنا وأخجلتنا من الوقوف بين يديك؛ إذ ليس لنا حجة تجاهد عنا غير رحمتك التي أعدَدْتها لعصاة عبادة، وقد بلَغنا عنك أنك تقول لعبد من عبادك: فأي الأمرين أحبّ إليك أن أَجزيك بعملك أو بنعمتي عليك؟ فيقول: يا رب، أنت تعلم أني لم أعصك. فتقول: خُذُوا عبدي بنعمةٍ من نعمي، فما تبقى له حسنة إلا استفرغتها تلك النعمة. فيقول: يا رب، بنعمتك ورحمتك، هذا حالُ من لم يعصك يتعلق برحمتك، فكيف حال مَنْ لا يجد في صحيفته حسنةً، لكن جودك يعمّ المفاليس.

قال بعض المحبين: رأيت أبي يزيد بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: بأي عمل قدمت إلى حضرتي؟ وبأي وسيلة

توسلْتَ إلى رحمتي؟ فكلما ذكرتُ شيئاً في طاعته قابلني بجزء من نعمته، حتى اضمحلّت أعمالي، وفنيت أقوالي، وعظمت حَيْرتي، واشتدت كُرْبتي، فقلت: يا رب، جئتك بك إليك؛ فنادتني الملائكة من سائر جهات العرش: الآن وصلت. هذا حال أبي يزيد الذي ترك ما يريد لما يريد، فكيف حال مَنْ خالف أَمْرَ مولاه في كل ما يريد.

وقال بعضهم: رأيتُ سفيان الثوري بعد موته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، فرأيت ذُلَّ العبودية، وعِزَّةَ الربوبية، فليتني لم أبرح. ثم أمر بي إلى الجنة. فأقبلت أمشي بين أنهارها وأشجارها لا أسمع حِسّاً ولا أرى شخصاً، فإذا النداء: يا سفيان. قلت: لبيك! لبيك! فقال: هل كنت إلاّ عبداً في الدنيا تؤثرنا على مَنْ سِوَانا؟ فقلت: أنت أعلم يا ربّ. فلم أَزَلْ أمشي حتى استوحشتني الحورُ العين.

فإن قلت: ما معنى هذا الوقوف وهذا الحساب هنا، وإنما يكون في الدار الآخرة؟

فالجواب: هذا هو العرض الذي يُعرض فيه العبد على ربه بعد مفارقة جسده، وحينئذ يبدو له منزله، وما أعدّ الله له، يشهد لذلك الحديث لعائشة: ذلك العرض؛ ومَنْ نوقش الحساب عُذّب. والكلام هنا طويل، ليس هذا محل بسطه.

﴿مَنْ يؤمن بربه فلا يخافُ بَخْساً ولا رَهَقا﴾ [الجن: ١٣]: هذا من كلام الجن الذين أتوا إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن مسعود: كنّا مع النبي ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعَاب، فقلنا: استُطير واغتيل، فبتنا بِشَرِّ ليلة بات بها قومٌ؛ فقلنا له: يا رسول الله، ما الذي أصابك؟ فقال: أتاني جاء من الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فقال: انطلقوا بنا، فإذا آثار نيرانهم، وسألوا الزاد فقال: لكم

كل عِظم ذُكر اسمُ الله عليه يقَعُ في أيديكم أَوْفَر ما يكون لحماً، وكلّ بَعْر علفٌ لدوابكم. ثم قال ﷺ: «فلا تستجمروا بها؛ فإنها طعامُ إخوانكم من الجن».

فإن قلت: يُفهم من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿يُجِرْكُم من عذابٍ أليم﴾ [الأحقاف: ٣١] - أنه لا ثواب للجن غير النجاة من العذاب.

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الثواب مسكوت عنه. **والثاني:** أن ذلك من قول الجن. ويجوز أن يكونوا لم يطّلعوا إلا على ذلك، وخفي عليهم ما أَعدَّ الله لهم من الثواب؛ ولذلك قيل: إن من الجن مقرَّبين وأبراراً، كما أن من الإنس كذلك. واختلف هل يكونون مع المؤمنين في الجنة ويرون ربنا كالمؤمنين؟ فالصحيح أنهم رَبض الجنة. والرؤية خاصة بالإنس.

﴿مَاعُون﴾ [الماعون: ٧]: قيل الزكاة. وقيل المال بلغة قريش. وقيل الماء. وقيل: كلّ ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدّلْو، والمقص. وقد سئل ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: الماء والنار والملح. وفي بعض الطرق: الإبرة والخميرة.

﴿مَسَد﴾ [المسد: ٥]: هو اللِّيف. وقيل: المسد الْحَبْل الْمُحْكم فَتْلاً من أي شيء كان؛ تقول: مسدتُ الحبل، إذا أحكمت فَتْله. وامرأة ممسودة، إذا كانت ملتفّة الْخَلق ليس في خَلْقها اضطراب.

﴿مَنُون﴾ [الطور: ٣٠]: له معنيان: الموت والدهر. ومنه قول قريش في رسول الله ﷺ: «إنما هو شاعر نتربَّص به رَيْبَ المنون»، فيهلك كما هلك مَنْ كان قبله من الشعراء؛ كزهير، والنابغة.

﴿مؤمن﴾: مصدق، والله تعالى مؤمن، أي مصدق ما وعد به، ويكون من الأمان؛ أي لا يأمن إلا من أمنه الله. وقول إخوة يوسف: ﴿وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي مصدق لمقالنا.

﴿مُفْلحون﴾ [البقرة: ٥]؛ أي باقون؛ والفلاح الظفر أيضاً، ثم قيل لكل من عقل وحزم وتكافلت فيه خلالُ الخير قد أفلح.

﴿مصلحون﴾ [البقرة: ١١]: يحتمل أن يكون جحوداً للكفر؛ لقولهم: آمنّا، أَو اعتقاداً أنهم على صلاح.

﴿مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤]: ساخرون، فجاوبهم الله بأنه يستهزيء بهم، أي يُمْلِي لهم، بدليل قوله: ﴿ويَمُدُّهم﴾ [البقرة: ١٥].

وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاءٌ بهم؛ كقوله في الحديد: ﴿ارْجِعُوا وراءكم فَالْتَمِسُوا نُوراً...﴾ [الحديد: ١٣] الآية.

وقيل: إنما سمي استهزاء بهم تسمية للعقوبة باسم الذنب، كقوله: ومكَرُوا ومَكر الله، وإنما جاء ﴿مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤] بجملة اسمية مبالغة وتأكيداً، بخلاف قولهم: آمَنَّا - فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

﴿مَشَوْا فيه﴾ [البقرة: ٢٠]: إن عاد الضمير إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم. وإن رجع إلى المتقين فالمعنى أنهم يلوحُ لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: كلّما - ومع الإظلام: إذا ؟

فالجواب أنهم لما كانوا حراصاً على المشي ذكر معه كلما؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة.

﴿مُتَشَابِهاً﴾ [البقرة: ٢٥]: يحتمل أن يشبه ثَمَرَ الدنيا في جنْسه. وقيل: يشبه بعضُه بعضاً في المنظر، ويختلف في المطعم. وأما قوله: ﴿كِتَاباً مُتشابهاً﴾ [الزمر: ٢٣] - فمعناه يصدق بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه ولا تناقض، كما قدمنا.

﴿مُطَهّرة﴾ [البقرة: ٢٥]: أي من الحيض والبول والغائط؛ فهنّ مطهرات خَلْقاً وخُلقاً، محبّبات ومحبات، مسلَّمات من العلل والعيوب.

﴿مُزَحْزِحِهِ﴾ [البقرة : ٩٦] : أي مبعده .

﴿مُخْلِصُون﴾ [البقرة: ١٣٩] : الإخلاص في العمل : ألاّ يُطلب به غير الله . وفي هذه الآية استدلال باستعمال النية في الأعمال . وبهذا أمر الله أَهْلَ المِلل كلها ؛ قال تعالى : ﴿وما أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصين له الدِّين﴾ [البينة : ٥] ؛ لأن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال ، وضدّ الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجليّ ، وضد الإخلاص في الأعمال هو الشِّرك الخفي ، وهو الرياء ؛ قال ﷺ : « الرياء هو الشرك الأصغر » . وفي الحديث القدسي : أنا أَغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أَشرك فيه معي تركْتُه وشريكه .

واعلم أنّ الأعمال على ثلاثة أنواع : مأمورات ، ومنهيات ، ومُباحات . فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارةٌ عن خلوص النية لوجه الله ، بحيث لا يَشُوبُها نية أخرى ؛ فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول ؛ وإن كانت النيةُ لغير وَجْهِ الله مِنْ طلب منفعة دنياوية ، أو مدح ، أو غير ذلك ، فالعملُ رِياء مَحْض مردود .

وإن كانت النيةُ مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال .

وأما المنهيات فإنْ تركها دون نِيّة خرج عن عهدتها ولم يكن له أَجْرٌ في تركها . وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر .

وأَما الْمُبَاحات كالأكل والجماع وغير ذلك فإن فعلها بغير نيّة لم يكن له أَجر ، وإن فعلها بنية وَجْهِ الله كان له فيها أجر ؛ فإن كان مباح يمكن أن يصير قُرْبة إذا قصد به وجْهُ الله مثل أن يقصد بالأول القوة على العبادة ، ويقصد بالجماع التعفّف عن الحرام .

﴿مُصِيبة﴾ [البقرة : ١٥٦] ، ومصابة ومصوبة : الأمر المكروه يحلُّ بالإنسان في نفسه أو ماله أو ولده .

﴿مُسَوَّمَة﴾ [آل عمران : ١٤] : راعية ؛ من قولك : سام الفرسُ وغيره إذا جال في المسارح .

وقيل: الْمُعْلَمة في وجوهها؛ فهو من السيما بمعنى العلامة. وقيل: الْمُعَدَّة للجهاد، وقد قدمنا أنّ المسوَّمة في حجارة قَوْمِ لوط المكتوب عليها أسماء أصْحَابها.

﴿محرراً﴾ [آل عمران: ٣٥]: أي عتيقاً مِنْ كلّ شغل إلاّ خدمة المسجد. وقائل هذه المقالة حنّة ـ بالنون ـ امرأة عمران، وهي أُم مريم.

﴿مُصَدِّقاً بكلمةٍ من الله﴾ [آل عمران: ٣٩]: أي مصدّقاً بعيسى عليه السلام، مؤمناً به. وسُمّي عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمةِ الله وَحْدَها، وهي قوله: كُنْ، لا بسببٍ آخر، وهو الولد كسائر بني آدم.

﴿مُمْتَرين﴾ [آل عمران: ٦٠]: شاكين.

﴿مُوتُوا بغَيْظكم﴾ [آل عمران: ١١٩]: تقريع وإغاظة. وقيل دعاء.

﴿مُسَوِّمِين﴾ [آل عمران: ١٢٥] ـ بفتح الواو وكسرها؛ أي معلّمين، أو مُعْلمين خيلهم أو أنفسهم. وكانت سيما الملائكة يوم بَدْر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء. وقيل: كانوا بعمائم صفر. وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب. وقيل: كانوا على خيل بُلق.

﴿ما جعله اللهُ إلا بشْرَى﴾ [آل عمران: ١٢٦]: الضمير عائد على إنزال الملائكة والإمداد بهم.

﴿مُضَاعَفة﴾ [آل عمران: ١٣٠]: كانوا يزيدون في الرّبا عاماً بعد عام.

﴿مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥] نُصب على المصدر؛ لأن المعنى كتب الموت كتاباً. وقال ابن عطية: نصب على التمييز

﴿مُتَوَكّلين﴾ [آل عمران: ١٥٩]: التوكلُ هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حِفْظها بعد حصولها، وفي رَفْع المضر ، ورَفعها بعد وقوعها؛ وهو من أَعْلَى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله تعالى: ﴿إن الله يُحِبُّ الْمُتَوَكلين﴾ [الطلاق: ٣]. والآخر الضمان الذي في قوله تعالى: ﴿ومَنْ يَتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقد يكون واجباً لقوله: ﴿وعلى الله فَتَوَكَّلوا إن كنْتُم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣] فجعله شرطاً في الإيمان ولظاهر قوله: ﴿وعلى الله فلْيَتَوَكَّل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٦٠]؛ فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أنّ الناسَ في التوكل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وَكيله المأمون عنده الذي لا يشكّ في نصيحته له وقيامِه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أُمه، فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

وَالثالثة: أن يكون العبد مع ربه كالميّت بين يدي الغاسل؛ قد أسلم إليه نفسه بالكليّة، فَصاحِبُ الدرجة الأولى له حظّ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار، بخلاف صاحب الثالثة.

وهذه الدرجات مبنيةٌ على التوحيد الخالص، فهي تَقوَى بقوّته، وتضعف بضعفه.

فإن قلت: هل يشترط في التوكل تَرْكُ الأسباب أم لا ؟
فالجواب أَنّ الأسبابَ على ثلاثة أقسام:

أحدها: سبب معلوم قطعاً قد أَجراه الله، فهذا لا يجوز تَرْكهُ، كالأكل لدَفْعِ الجوع؛ واللباس لدفع البرد. ولا يجوز تركُ ما يُؤْذِي النفس ولا استعمالُ إذايتها، وقد سئل الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام عمن ترك الأكل حتى أضعف النفس عن الصلاة والنكاح، وترك الواجبات. فأجاب بأنه لا يجوز استعمال ما يخلّ بالواجبات.

والثاني: سبب مظنون؛ كالتجارة وطلب المعايش وشِبْه ذلك، فهذا لا يقدح فِعْلُه في التوكل؛ بل يجب استعماله؛ وهو أفضل من العبادة؛ لأن طلب الحلال فريضةٌ على كل مسلم. وفي الحديث: مَنْ بات تعباً من الحلال يأت مغفوراً له.

والاشتغال بالْكَسب لإغناء النفس أَفضلُ من العبادة واحتياجها، ولهذا قال ﷺ في رجل قالوا له فيه: ما أطول عبادةَ فلان! فقال: مِنْ أَين قُوته؟ قالوا: مِنْ عندنا يا رسول الله. قال: أنتم أَعبد منه.

وحكاية الثلاثة نفر المعتكفين في المسجد، وإخراج عُمر أحدهم لكونه كان يسأَل الناس معلومة.

ولمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيتَ صلى في كل رُكْنٍ منه ألف ركعة، فأوحى الله إليه: رَغِيف في بطن جَوْعان أفضلُ عندي من عبادتك هذه.

وفي الحديث إن الله يحبّ المؤمن المحترف؛ فوصفه بالإيمان؛ إذ التوكلُ من أعمال القلب لا من أعمال اليد. ويجوز تَركهُ لمن قوي على ذلك.

والثالث سبب موهوم بعيد؛ وهذا يقدحُ فعله في التوكل. ثم إن فوق التوكل التفويض، وهو الاستسلام لأمر الله بالكلّية؛ فإن المتوكل له مرُادٌ واختيارٌ، وهو يطلبُ مراده باعتماده على ربه. وأما المفوّض فليس له مراد ولا اختيار؛ بل أسند الاختيار إلى الله؛ فهو أكمل أدَباً مع الله.

﴿مُنَادِياً﴾ [آل عمران: ١٩٣]: هو النبي ﷺ يَدْعُو إلى الله، فمن أجابه دخل داره وأطعمه من مائدته، ومن لم يُجِبْهُ لم يدخلها ولم يأكل من مائدته.

﴿مُحْصَنَات﴾ [النساء: ٢٤]: الإحصان يَرِدُ على أوجه: العفّة: ﴿والذين يَرْمُون الْمُحْصَنَات﴾ [النور: ٤]. والمراد بهن ذوات الأزواج. والتزوج: ﴿فإذا أُحْصِنَّ فإن أَتَيْن بفاحشةٍ﴾ [النساء: ٢٥]. والحرية: ﴿نصفُ ما على المحصنات مِن العذاب﴾ [النساء: ٢٥]؛ فاقتضت الآية حدَّ الأَمَة إذا زَنَتْ بعد أن تزوجت. ويؤخذ حدُّ غير المتزوجة من السنّة، وهو مثل المتزوجة؛ وهذا على قراءة أُحْصِنّ بضم الهمزة وكسر الصاد. وقرىء بفتحها؛ ومعناه أسلمن. وقيل: تزوَّجْنَ.

﴿مُسَافِحات﴾ [النساء: ٢٥]: أي غير زانيات؛ لأن السفاح هو الزنى؛ وهو منصوب على الحال؛ والعامل فيه ﴿فانكحوهن﴾.

﴿مختالاً﴾ [النساء : ٤٦] : اسم فاعل، وزْنُه مفتعل من الخيلاء، وهي الكبرى والإعجاب.

﴿مُلكاً عَظِيماً﴾ [النساء : ٥٤] : الضمير يعود على آل إبراهيم؛ وهم: يوسف وداود، وسليمان.

﴿مُقِيتاً﴾ [النساء : ٨٥] : قيل قديراً. وقيل حفيظاً. وقيل الذي يقيت الحيوان؛ أي يرزقهم القُوت.

﴿مؤْمِنَةٍ﴾ [النساء : ٩٢] : نعت للرقبَة المعتوقة؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا واختلَفوا في رقَبة الظّهار وكفّارة اليمين كما قدمنا.

﴿مُتَعمّداً﴾ [النساء : ٩٣] : أي يقصد الفِعْلَ قصداً عازماً، فأَمّا إن قصد التحليل فهو كافر؛ وأما إنْ قَصد الفعْلَ مع اعتقاده التحريم فهو عاصٍ في المشيئة عند الأشعرية.

واختلف في القاتل عَمْداً إذا تاب هل تُقبل توبَتُه أم لا ؟ وكذلك اختلفوا إذا اقتُصّ منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا ؟ والصحيح السقوط لقوله ﷺ : « مَنْ أَصاب ذَنْباً فعُوقب به في الدنيا فهو له كفّارة ». وبذلك قال جمهور العلماء.

﴿مُتَشابِهَات﴾ [آل عمران : ٧] : قد قدمنا حكم المتشابه في القرآن، وأنه على ثلاثة أضرب: منه ما تعلّق به أهل الزَّيْغِ من خارجي القِبلة؛ نحو قوله سبحانه: ﴿فوَرَبِّك لنَسْأَلَنَّهُم أَجمعين﴾ [الحجر : ٩٢]. مع قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فيومئذٍ لا يُسأَل عن ذَنْبِه إنْسٌ ولا جَانٌّ﴾ [الرحمن : ٣٩]. ومنه ما تعلّق به أهلُ البِدْعة مِنْ أهل القِبْلَة من أصول المسائل الفقهية، نحو قوله سبحانه: ﴿لا تُدْرِكهُ الأبصارُ﴾ [الأنعام : ١٠٣]، مع قوله تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذ ناضِرة﴾ [القيامة : ٢٢] ونحو قوله سبحانه: ﴿وإذ تَخْلُقُ مِنَ الطِّين كهيئة الطَّير﴾ [المائدة : ١١٠]؛ وقوله: ﴿وتخلقون إفْكاً﴾ [العنكبوت :

١٧]، مع قوله تعالى: ﴿هل مِنْ خَالقٍ غَيْرِ اللهِ يرزُقكم﴾ [فاطر: ٣]. وقوله تعالى: ﴿واللهُ خلقكم وما تَعْمَلُون﴾ [الصافات: ٩٦].

الثالث ما تعلق به المخالف من مسائل الفروع في الأحكام الفقهية، نحو قوله سبحانه: ﴿وثِيَابَك فَطهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، حيث احتجوا به في إزالة النجاسة بكل مائع غير الماء مع قوله: ﴿وأنْزَلْنَا من السماء ماءً طَهُوراً﴾ [الفرقان: ٤٨]. وقوله: ﴿وينزلُ عليكم من السماء ماء ليطهِّركم به﴾ [الأنفال: ١١].

﴿مُسْتَضْعَفين في الأرض﴾ [النساء: ٩٧]: اعتذار عن التوبيخ الذي وبختهم الملائكة؛ أي لم تقدروا على الهجرة. وأما قوله: ﴿والمستَضْعَفين من الرجال والنساء والوِلْدَان﴾ [النساء: ٧٥] فهم الذين حبَسهم مشركو قريش بمكة ليَفْتِنُوهم عن الإسلام.

﴿مُرَاغَماً﴾ [النساء: ١٠٠]؛ أي موضعاً ومتجوّلاً يرغم عدوه بالذهاب إليه.

﴿مُحِلِّي الصَّيْد﴾ [المائدة: ١]: نصب على الحال من الضمير في لكم.

﴿مُنْخَنِقة﴾ [المائدة: ٣]: هي التي تخنق بحَبْل وشبهه.

[مُتَجانِفٍ لإثْمٍ﴾ [المائدة: ٣]: هو بمعنى غير باغ ولا عاد.

﴿مُكلِّبِين﴾ [المائدة: ٤]: أي معلمين للكلاب الاصطياد. وقيل معناه أصحاب كلاب؛ وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في ﴿عَلَّمْتُم﴾. ويقتضي قوله: علمتم ومكلِّبين ـ أنه لا يجوز الصيد إلا بجارحٍ معلم، لقوله: ﴿ما علمتم من الجوارح مكلِّبين﴾ [المائدة: ٤]، على القول الأول؛ ولتأكيده ذلك بقوله: ﴿تعلمونهن﴾ [المائدة: ٤].

﴿مُتَرَدِّية﴾ [المائدة: ٣]: هي التي تردَّتْ من جبل أو حائط أو بئر وفاتت ولم تدرك ذكاتها.

﴿مُقَدَّسَة﴾ [المائدة: ٢١]: مطهرة؛ يعني أرض بيت المقدس. وقيل الطور. وقيل دمشق.

﴿مُهَيْمِناً﴾ [المائدة: ٤٨]: ابن عباس. قيل: شاهداً. وقيل مؤتمناً.
﴿مُقيم﴾ [المائدة: ٣٧]: أي دائم حيثما وقع.

﴿مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَديْه﴾ [المائدة: ٤٦]: يعني التوراة، لأنها قبله؛ والقرآنُ مصدّقٌ للتوراة والإنجيل، ومصدقاً عطف على موضع قبله: فيه هُدًى ونُورٌ؛ لأنه في موضع الحال.

﴿مُقْتَصِدةٌ﴾ [المائدة: ٦٦]: أي معتدلة، ويُراد به مَنْ أسلم منهم؛ كعبدالله بن سلام، وقيل: من لم يعاد الأنبياء المتقدمين.

﴿مُنْتَهُون﴾ [المائدة: ٩١]: توقيف يتضمّن الزَّجْرَ والوعيد؛ ولذلك قال عمر: انتهينا، انتهينا.

﴿مُسَمًّى عِنده﴾ [الأنعام: ٢]: إنما جعله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه.

﴿مُبْلِسُون﴾ [الأنعام: ٤٤]: أي متحيِّرون ساكتون، قد انقطعت حجَّتُهم؛ لأنهم تركوا الاتّعاظ بما ذُكّروا به من الشدائد؛ وفتح عليهم أبواب الرزق والنعيم؛ ليشكروا عليها فلم يشكروا؛ فأخذهم الله.

﴿مُخْرِج الميّتِ من الحيّ﴾ [الأنعام: ٩٥]: معطوف على ﴿فالق﴾ [الأنعام: ٩٥]. وفيه إشارة إلى إخراج الحب اليابس من النبات والشجر. وقال ابن عباس وغيره: بل ذلك كله إشارةٌ إلى إخراج الإنسان الحي من النطفة الميتة، وإخراج النطفة الميتة من الإنسان الحي، وكذلك سائر الحيوان.

فإنْ قلت: ما وَجْهُ إتيان هذه الآية بلفظ الأمم، بخلاف آل عمران والروم؟

فالجواب لأنّ بناءها على آية بُنيت على اسم الفاعل، وإن كان خبراً، وهو قوله تعالى: ﴿إنّ الله فالِقُ الْحَبِّ والنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]؛ ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿فَالِقُ الإصباح وجاعل الليل سكَنا﴾؛ [الأنعام: ٩٦]؛ فلما اكْتَنَفت الآية اسما فاعلين جيءَ فيها باسم الفاعل؛ ليناسب ذلك، فعطف: ﴿ومخرج﴾ على ﴿فالق﴾، إذ هو معطوف على ما عطف عليه؛ فهو معطوف عليه، ثم جيءَ

بعد باسم فاعل، وهو قوله: فالق الإصباح؛ فتناسب هذا، ولم يقع في غيرها من السور مثل هذا؛ فلذلك لم يعدل إلى اسم الفاعل. والله أعلم.

فإن قلت: فما بال قوله: يُخرج الحي من الميت في هذا الموضع ورد بالفعل وقد اكتنفه قوله: فالِق الحب والنوى. ومخرج الميت من الحي؛ وهما اسما فاعلين؟

والجواب عن ذلك ما قاله الزمخشري: لأنّ فَلْق الحب والنَّوَى بالنبات والشجر الناميين من جنْسِ إخراج الحي من الميت، لأن الناس في حكم الحيوان. ألا ترى قوله: يُحْيِي الأرض بعد موتها. وذكر هذا عقب قوله: ومخرج الميت من الحي لأنه معطوف على قوله فالق الحب والنَّوَى كما تقدم، وهذا من حسناته.

﴿مُشتَبِهاً وغَيْرَ مُتَشَابِه﴾ [الأنعام: ٩٩]: يحتمل أن يكون الاشتباهُ في الأوراق أو في الثمر، ويتباين في الطعم، ويحتمل أن يكون الاشتباه في الطعم وتتباين في المنظر. وهذه الأحوال موجودة بالاعتبار في أنواع الثمرات. وأمر اللهُ بالنظر إلى أول ما يخرج ضَعِيفاً لا منفعة فيه، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يتميّع أو ينضج أي يطيب.

فإن قلت: هل لقوله هنا: ﴿مُشْتَبِهاً﴾ معنى غير معنى الآية في قوله: ﴿مُتَشابهاً﴾؟.

فالجواب: لا فرق بينهما إلا ما لا يعَدُّ فارقاً؛ إذ الافتعال والتفاعل متقاربان، أصولُها الشين والباء والهاء، من قولك: أَشبه هذا هذا إذا قاربه.

ومثاله ورد في هذه الآية على أخفّ التباين، وفي الثانية على أثقلها رَعْياً للترتيب المتقرر، وقد مر نحو هذا في قوله تعالى: ﴿فمن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨] في البقرة. وقوله في طه: ﴿فمن اتبّعَ هداي﴾ [طه: ١٢٣].

وأما سِر خَتْم كل واحدة بما يليق بها فلسنا نطيلُ بذكره، ولو تكلمت على سر كل آية وما يليق بها لطال بنا الكتاب، وحارت بالتأمل فيه الألباب؛ نفعنا الله بهذا القرآن العظيم دِيناً ودُنيا.

﴿مُسْتَقَرٌّ ومُستَوْدَع﴾ [الأنعام: ٩٨]: يعني الولد في صلب الأب، وفي رحم الأم. وقيل: الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها؛ لكن من كسر القاف فهو اسم فاعل ومستودع اسم مفعول؛ والتقدير فمستقر ومستودع، ومَن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر ومستودع مثله؛ والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع.

﴿مُتَرَاكِباً﴾ [الأنعام: ٩٩]: يعني السنبل أو الرمان؛ لأن بعضه على بعض.

﴿مُحَرَّمٌ على أزواجنا﴾ [الأنعام: ١٣٩]: إنما ذكر محرم حملاً على لفظ ما، وكانوا يقولون في أجنة البَحِيرة والسائبة ما وُلد منها حيّاً فهو للرجال خاصة، ولا يأكل منها النساءُ؛ وما ولد منها ميّتاً اشترك فيه الرجالُ والنساء.

﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُه﴾ [الأنعام: ١٤١]: في اللون والطعم والرائحة والحجم. وفي ذلك دليل على أن الخالق مختار مريد.

﴿مُقَرَّبِين﴾ [الأعراف: ١١٤]: عطف على معنى «نَعَمْ»، كأنه قال: نعطيكم أجراً ونقربكم.

واختلف في عدد السحرة اختلافاً متبايناً، مِنْ سبعين رجلاً إلى سبعين ألفاً؛ وكلٌّ ذلك لا أَصْل له في صحة النقل.

﴿مُلْقِين﴾ [الأعراف: ١١٥]: في تعبيرهم بهذه الجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكِّنون فيه. وتأمَّل إلى تعبيرهم عن إلقاء موسى في قولهم: إما أَنْ تُلْقِيَ - بالفعل، وكيف لا يحقرون أَمْرَ موسى وقد كان معهم من أسباب السحر سبعون وِقْراً، فلما رأى موسى ما عندهم أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله إليه لا تخف إنكَ أَنْتَ الأعلى.

وكذلك المؤمن في حال النَّزْع يرى ملك الموت يقبض روحه، ويرى إبليس يقصد إيمانه فيخاف ويحزن، فينزل الله الملائكة يبشّرونه بقولهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأَبشروا بالجنة التي كنتم تُوعدون.

يا محمدي، هذه الآية الشريفة التي أنزلها الله تعالى على نبيك؛ فلك فيها من

البشارة ما لا تُحصيه العبارة. وقد قيل فيها من الأقوال في الاستقامة والبشارة نحو الخمسين قولاً، وقد قال هذه الكلمة المشرفة أربعة نفر؛ أولهم فرعون قالها اضطراراً، فأخذه الله نَكَال الآخرة والأولى.

وقالها المنافق استكباراً فأورثته الدَّرْكَ الأسفل. وقالها قوم يونس افتقاراً فأورثتهم الأمان. وقالها العارف افتخاراً فأورثته البِشارة والأمن من الخوف.

وأعظم من ذلك نزولُ الملائكة عليه؛ فسبحان مَنْ شرف هذه الأمة الكريمة بخدمة الملائكة لهم؛ منهم من يستغفر لهم، ومنهم من يحفظ أرزاقهم وأنفسهم، ومنهم من يسوقُ إليهم الرياحَ والأمطار، ومنهم من يقبض أرواحَ الأبرار والفجار.

فإن قلت: هل الخوف والحزن بمعنى؟.

فالجواب أن الناسَ اختلفوا في الخوف والحُزْن على ثلاثين قولاً أو أكثر؛ فقال جعفر الصادق:

لا تخافوا مِنْ عَزْلِ الولاية، ولا تحزنوا من كثرة الجناية، وأبشروا بفضل العناية.

وقيل: لا تخافوا من الجحيم، ولا تحزنوا من فَوْتِ النعيم، وأبشروا برؤية الكريم.

وقيل: لا تخافوا خَوْفَ الكفار، ولا تحزنوا حُزْنَ الفجّار، وأبشروا بثواب الأبرار.

وقيل: لا تخافوا من كثرة العصيان، ولا تحزنوا من قلة الإحسان، وأبشروا بلقاء الرحمن.

وقيل: لا تخافوا من العيوب، ولا تحزنوا من الذنوب، وأبشروا بالمطلوب.

وقيل: لا تخافوا من العقاب، ولا تحزنوا من الحساب، وأَبْشِروا بحسن المآب.

وقيل: لا تخافوا من الشقاوة، ولا تحزنوا من القيامة، وأبشروا بحفْظِ الأمانة.

وقيل: لا تخافوا يا أهل الفريضة. ولا تحزنوا يا أهْل السنة، وأبشروا يا أهل النافلة.

وقيل: الخوف لأولياء الله، والحزن لعباد الله، والبشارة لمن أطاع الله.

وقيل: لا تخافوا يا أهل الصلاة، ولا تحزنوا يا أهل الزكاة، وأبشروا يا أهل الإيمان.

وقيل: لا تخافوا يا طالبي الدنيا، ولا تحزنوا يا طالبي العُقْبى، وأبشروا يا طالبي المولى.

وقيل: لا تخافوا أيُّها المذنبون، ولا تحزنوا أيها المطيعون، وأبشروا أيها المشتاقون.

وقيل: لا تخافوا من السؤال، ولا تحزنوا من المحال، وأبشروا بالوصال.

وقيل: لا تخافوا يا أهل الملالة، ولا تحزنوا يا أهل الندامة، وأبشروا يا أهل الكرامة.

وقيل: لا تخافوا أيها المريدون، ولا تحزنوا أيها الصديقون، وأبشروا أيها المتقون.

وقيل غير ذلك من الأقاويل، كلّها لمن قال: رَبّنَا الله ثم استقاموا.

فإن قلت: شرط مع هذه الكلمة الاستقامة وأنّى لنَيْلها؟.

فالجواب أن «ثُمّ» على ثلاثة أوجه:

للتقديم؛ ﴿ثم لنَحْنُ أَعْلَمُ بالّذين هُمْ أَوْلَى بها صِلِيّا﴾ [مريم: ٧٠].

وللتقرير؛ ﴿ثم كان من الذين آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧].

وللترديف؛ وقد قدّمْنَاها في حرف الثاء.

وأما الاستقامة فأقربُ ما قيل فيها: استقاموا على طريق الهداية والسنّة، ولا يقدح الميل عنها ومخالفتها مَنِ استغفر وأناب؛ رزقنا الله التوبة والإنابة.

﴿مُنْقَلِبُون﴾ [الأعراف: ١٢٥]: هذا من قول السَّحَرة، وذلك أن الله تعالى قال له: يا موسى: إنّ السحرة ألقوا حبالهم وعصيَّهم فرأيت منهم السحر العظيم؛ فألْقِ عصاك حتى تنظر إلى قُدْرة الرب الكريم؛ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مُبين، فتلقّف سحْرَ السحرة كله، فقصد نحو الكفّار فاتحاً فَاهُ، فنفر الكفّار من كل جانب، ومات منهم ما لا يُحْصَى عددهم، ثم قصد نحو سرير فرعون؛ فلما دنا منه صاح فرعون ونادى: أَغِثْني يا موسى؛ فأخذ موسى عصاه، فعادت إلى حالتها الأولى؛ فلما رآها السحرةُ خرُّوا سجّداً، وكشف الله لهم حجاب الأرض؛ فرأوا الثرى، ورفعوا رؤوسهم فنظروا إلى العرش فاشتاقوا لقاء الله، فقالوا: آمَنَّا بربِّ العالمين، ربّ موسى وهارون. فقال لهم فرعون: ﴿آمَنْتُم به قبل أَنْ آذَنَ لكم...﴾ الآية؛ فقالوا: لا ضَيْرَ يا فرعون؛ إنك لا تقطع إلا الأيدي والأرجل، ولا تقطع المحبة والمعرفة من قلوبنا.

والنكتة فيه أنَّ السحرة كانوا مع الكفر والخيانة، وأقسموا بعزّة فرعون، وقصدوا المعارضة مع معجزة الرسول، فلما سجدوا سجدةً واحدةً مع هذه الكبائر، رفع الله لهم حجابَ الأرض والسموات، وأكرمهم بالإيمان. وأنت يا محمدي إذا سجدْتَ له سبعين سنة أو أكثر، وقصَدْتَ بيتَ الله بالتوبة والندامة، وطهَّرت نفسك من الحدث والخيانة أَفَتَرَاكَ تحصر ما أعدّ لك من الكرامة؟ كلا وعزته ليكشفن لك عن ذاته حتى تتمتّع بقُرْبه في جواره.

﴿مُبِين﴾ [الأعراف: ١٠٧]: نعت لثعبان، وقد قدمنا أنه صار كالجبل العظيم؛ ففي هذه الآية سماه ثعباناً، وفي أخرى حيّة، وفي أخرى جان، وفي أخرى عصا؛ كلّ ذلك تعظيماً لها، وكيف لا وقد أهلكت سبعين ألف وِقْر من السحر، وسمَّى كلمة التوحيد بسبعين اسماً؛ ولذلك أهلكت سبعين سنّة بالكفر. هذه العصا معجزة موسى بكلمة التوحيد التي هي كلمةُ المولى. اللهم إنا نستودعكها فأَحْيِنا عليها، وأَمِتْنا عليها، وثبِّتْنا عند الحاجة إليها بجاه كلامك ونبيك ﷺ.

تنبيه

جميعُ الرسل جاءت بهذه الكلمة المشرفة دون سائر الطاعات؛ وأول مَنْ شهد بها اللهُ وملائكته ثم الرسل؛ قال تعالى: ﴿شهِدَ اللهُ أَنه لا إلَه إلا هُو والملائكةُ...﴾ [آل عمران: ١٨] الآية؛ ثم أمرك بها في قوله: ﴿فإن تَولَّوْا فقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُون﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ ولا يبقى في الجنة غيرها والقرآن، والحمد لله، والحب لله، فعليك أيها الأخ بحفْظِها، ولا تدنّسها بالمعاصي؛ وإن قُدِّرَتْ عليك فامْحُها بتوبة، كالثوب تغسله كلما تدنس؛ وإن لم تَتُب وتوسخ فيوم زينة المحشر ما تلبس؟ وحَرِّض عليها من أحببته أو تعلق بك.

فإن قلت: لأي شيء ذكر الشهادة على نفسه، مع أن الشهادة من النفس لا تُقبل؟.

فالجواب أنّ الله لما بعث نبيه محمداً بالرسالة، وأمرهم بتوحيد الله، فقال: قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا؛ فقالوا: مَنْ يشهدُ أنكَ رسولُ الله؟ قال لهم: أي شيء أكبر شهادة؟ فقالوا: الله أكبر شهادة؛ فأنزل الله الآية.

ومعناها شهد شهادةً فرضيَها، وأمر الخَلْقَ بها بعد شهادتِه لنفسه في أزَلِه؛ ففيها رجاءٌ لهذه الأمة، وذلك أنه مدح أهل الطاعة على اختلاف أحوالهم من التائبين والعابدين، وغيرهم، يُرَجّي من لم يكن له عَمَل غير الشهادة، وقال: ﴿إن الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصالحات كانت لهم جناتُ الفِرْدَوْس﴾ [الكهف: ١٠٧]. إلى قوله: ﴿لِكَلِمات ربي﴾ [الكهف: ١٠٩]. وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن قلت: لم ذكر النفي قبل الإثبات؟.

والجواب: لإكمال المدحة؛ لأن قول الرجل: لا عالم في البلد إلا فلان أمدح من قولك: فلان عالم في البلد.

وأيضاً فالنجاةُ من النار أَوْلى من دخول الجنة، فأمر الله أوّلاً بما ينجّي من النار، وهي البراءة من عبادة الأصنام، ثم بالتوحيد الذي يدخل الجنة.

وأيضاً فنَفْي الإلهية عن الأصنام إثباتُ الألوهية لله؛ وليس في إثبات الإلٰهية لله نفيُ الإلٰهية عن الأصنام؛ لأن العاقل لا يكون بغير التولّي إلى معبوده، فإذا نفى الإلهية عن الأصنام ثبت تولّيه إلى الله، وإذا أثبت الإلهية لله فليس يتبرأ عن الأصنام؛ لأنه ربما يكون لواحد معبودان، فما أشرف هذه الكلمة المشرفة إن وُفّقت إليها، وأماتَك الله عليها، ألا تراها تسعة عشر حرفاً على عدد الزبانية، وكلماتها سبعة على عدد أبواب جهنم.

ولما كان النهار نصفان والليل نصفان كانت الأنصاف أربعة، ليكون مَنْ قالها في اليوم والليلة مغفوراً له ذنوب ما عمل فيهما.

﴿مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيه﴾ [الأعراف: ١٣٩]: من التَّبَار، وهو الهَلاَك. والضمير عائد على القوم الذين قالوا لموسى: اجعَلْ لنا إلهاً نعبده كما يَعْبُد هؤلاء أصنامَهم، فقال لهم: أتريدون أن تهلكوا كما هلك هؤلاء؟.

﴿مُبْصِرُون﴾ [الأعراف: ٢٠١]: هو من بصيرة القلب؛ يعني إذا لمسهم طائف من الشيطان تذكّروا عقابَ الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، والنظر والاعتبار، وغير ذلك.

﴿مُمِدُّكُم بأَلْفٍ من الملائكةِ مُرْدِفين﴾ [الأنفال: ٩]، أي مكثركم. ومن قرأه بفتح الدال فهو اسمُ مفعولٍ، ومن قرأه بالكسر فهو اسمُ فاعل. وصحّ معنى القراءتين، لأنَّ الملائكة المنزلين ردف بعضهم بعضاً، فمنهم تابعون ومتبوعون، يقال: ردفته وأردفته: إذا جئت بعده.

﴿مُوهِنُ كَيْدِ الكافرين﴾ [الأنفال: ١٨]: من الوهن وهو الضعف. وقريء بالتشديد والتخفيف، ومعناهما واحد.

﴿مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]؛ أي منحازاً إلى جماعةٍ من المسلمين؛

فإنّ الجماعة حاضرة في الحرب؛ فالتحيُّز إليها جائز باتفاق؛ واختلف في التحيُّز إلى الإمام والمدينة والجماعة إذا لم يكن شيء من ذلك حاضراً.

وروي عن عمر بن الخطّاب أنه قال: أنا فِئَة لكل مسلم؛وهذا إباحة لذلك. والفرار من الزحف من الكبائر في أي عصر كان إلاَّ أن يكون الكفار أكثر من مِثْلي المسلمين.

﴿مُتَحَرِّفاً﴾ [الأنفال: ١٦]: بالنصب على الاستثناء، من قوله: من يُوَلِّهم يومئذ.

وقال الزمخشري: انتصب على الحال، ومعناه الكرّ بعْد الفَرّ، ليُري عدوّه أنه منهزم ثم يعطف؛ وذلك من الخداع في الحرب. وفي الحديث: الحرب خدعة. وقد وقع للصحابة من هذا ما تكفل أصحابُ السير بنقله.

﴿مُخْزِي الكافرين﴾ [التوبة: ٢]: يعني مُهْلِكهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار.

﴿مُؤْتَفِكات﴾ [التوبة: ٧٠]: يعني مدائن قوم لوط، وائتفكت بهم يعني انقلبت.

﴿مُرْجَوْن﴾ [التوبة: ١٠٦]: بالهمز وتركه، وهما لغتان، ومعناه التأخير. قيل هم الثلاثة الذين خُلّفوا قبل أن يتوبَ الله عليهم. وقيل: هم الذين بنَوا مسجد الضِّرار.

﴿مُعَذِّرُون﴾ [التوبة: ٩٠]: هم المعتذرون. ثم أدغمت التاء في الذال، ونُقلت حركتها إلى العين.

واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصّرون؛ من عَذَر في الأمر إذا قصر فيه، ولم يجد؛ فوزنه على هذا المفعلون.

وروي على هذا أنها نزلت في قوم من غِفَار، والاعتذار يكون بحق ويكون بباطل. ومُعَذّرون الذين أعذروا، أي أتوا بعُذْر صحيح.

﴿مَجْراها ومُرْساها﴾ [هود : ٤١] : مشتقان من الجري والإرساء ، وهو الثبوت ، أو من وقوف السفينة . ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان ، أو مصدرَيْن .

ويحتمل الإعراب وجهين :

أحدهما أن يكون بسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا ؛ والتقدير اركبوا متبركين ببسم الله ، أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان ، بمعنى وقت إجرائها وإرسائها ، أو ظرفين للمكان ويكون العامل فيه ما في قولك بسم الله مِنْ معنى الفعل ، ويكون قوله بسم الله متصلاً مع ما قَبْله ، والجملة كلام واحد .

والوجه الثاني أن يكون كلامين ، فيوقف على اركبوا فيها ، ويكون بسم الله في موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر ؛ أي إجراؤها وإرساؤها ، ويكون بسم الله على هذا مستأنفاً غَيْرَ متّصل بما قبله ، ولكنه من كلام نوح ، حسبما ورد أنَّ نوحاً كان إذا أراد أن يُجري السفينة قال : بسم الله ؛ فتجري . وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتَقف .

وفي الآية إشارة إلى أن يكون العبد في جميع تصرفاته مشتغلاً بمولاه ؛ ولذلك قال الصوفية : أنت سفينة الوجود ، وسفينة نوح عليه السلام كان إجراؤها وإرساؤها كما أخبر الحقُّ سبحانه في كتابه بسم الله مجراها ومرساها ، وقد أرشدت الشريعةُ المحمدية أن يكون جميعُ تحركك وسكونك بذكر الله تعالى . فتفتتح عند نَوْمِكَ بسم الله ، وعند أكلك وشُربك وخروجك من منزلك ودخولك فيه ، ولباس ثوبك وتجريده كذلك ؛ وعند استفتاح كلامك ، وعند نكاحك وسفرك وإيابك إلى أهلك ، وعند قيامك وقعودك ؛ فإن كنت في حالك محمديّاً رسَتْ سفينتُك على جُودِيّ السلامة ، وإن تخلفت عنه لم يكن لك عاصمٌ من أَمْرِ الله ، وغرقْتَ في طوفان المهالك ، وإن لم تشعر أنك هالك فتيقّظ من سَكْرَة هواك تجد روحك في قارورة شهواتك غارقاً في فَضْلة معاصيك .

ذكر أن ابنَ نوح عليه السلام حين تخلّف عن ركوب السفينةِ اتخذ قارورة قَدْر ما تحمله، وصعد على الجبل، فلما بلغه الماء دخل فيها، وأغلقها على نفسه، وأرسل عليه إدرار البول حتى مات غريقاً فيه، فاكسرها بحجر عزيمة التوبة، وناد بلسان حالك ومقالك: يا منقذ الغرقاء، ويا منجي الهَلْكَى، أنقذني؛ فإني ذاهب، لعل حنين صوتك يشفع فيك، أَمَّنْ يُجيب المُضطَرَّ إذا دَعَاهُ.

﴿مُتَّكئاً﴾ [يوسف: ٣١]: بسكون التاء وتنوين الكاف هو الأترج بلغة الحبشة. قاله ابن أبي حاتم: وبفتح التاء ما يُتَّكأ عليه، وإعطاؤها السكاكين للنساء يدلُّ على أن الطعام كان مما يُقْطع بالسكاكين كالأترج. وقيل كان لحماً. وقيل: أَعْتَدَتْ لهن فراشاً يَتَّكِئْنَ عليه.

﴿مُزْجَاةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]: أي قليلة، بلسان العجم. وقيل ناقصة. وقيل: إنَّ بضاعتهم كانت عروضاً، فلذلك قالوا هذا حياءً منه، وطلبوا منه الصدقة، ودعوا له، وقالوا: إن الله يجزي المتصدّقين، وسمُّوا الزيادة صدقة.

وهذا يقتضي أن الصدقة كانت حلالاً لهم قبل نبينا ومولانا محمد ﷺ.

وقيل: تصدق علينا بردّ أخينا إلينا، فلما شكوا له رَقَّ لحالهم وعرَّفهم حينئذٍ بنفسه، فتشبَّهْ بهم واسْتَحِ من مولاك بنَقْص بضاعتك، لعله يمدك، لأن الجفاء يذهب بالصفاء، كيف يصل روح التوحيد والمعرفة الوافية إلى القلوب الجافية الخاطئة القاسية!.

فإن قلت: ما منعهم من قولهم: إن الله يجزيك على صدقتك، بل عرضوا له؟.

فالجواب أنهم كانوا يعتقدون كُفْرَه، لأنهم لم يعرفوه، فلو قالوا: إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا، لأن الله لا يجزي الكافر. فقالوا لفظاً يُوهم أنهم أرادوه ولم يريدوه.

﴿مُعقِّبَاتٌ﴾ [الرعد: ١١]: قد قدمنا أنهم جماعات الملائكة، وسمّوا

بذلك لأنهم يعقبُ بعضهم بعضاً؛ ومنه الحديث: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. وأما قوله تعالى: ﴿لا مُعَقِّب لِحُكمه﴾[الرعد :٤١]ـ فمعناه الذي يكر على الشيء فيبطله، يقال: عقب الحاكم على حكم مَنْ قبله إذا حكم بعد حكمه بغيرة.

﴿مُصْرِخكم﴾ [إبراهيم: ٢٢]: مغيثكم. واختلف: هل هذا من قول الشيطان في القيامة أو في النار؟.

﴿مُهْطِعين مُقْنِعي رؤوسِهِم لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتُهم هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]: الضمير للظالمين. والمعنى أنهم يسرعون يرفعون رؤوسهم ويخفضونها من شدة ما يرون من الهول.

والهواءُ المراد به هنا الريح؛ يعني أنَّ أفئدتهم كالهواء، إشارة إلى ذهابها وعدم انتفاعهم بها.

ويحتمل أن يراد العقل، ولا سيما إذا قلنا إن محلّه القلب؛ وهو أن عقولهم تذهب وتصير كالهواء؛ لأنهم يذهلون لشدة ما ينالهم. وهذا تشبيه. والبيانيون يجعلونه استعارةً؛ لأنهم يقولون: زيد كالأسد تشبيه، وزيد أسد استعارة، ورأيت أسداً يكر ويفر في الحرب فيه خلاف عندهم، وكذلك زيد مثل الأسد.

﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسلَهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧]: يعني الوعد بالنصر على الكفار. فإن قلت: لم قدم المفعول الثاني على الأول؟.

فالجواب أنه قدم الوَعْدَ ليُعْلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً على الإطلاق؛ ثم قال ﴿رسلَه﴾، ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رسله وخيرةَ خلقه؛ فقدَّم الوعد أولاً لقَصْدِ الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص.

﴿مُقَرَّنين في الأصفاد﴾ [إبراهيم: ٤٩]: يعني المجرمين مربوطين في الأغلال؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سبعون ذِرَاعاً﴾ [الحاقة:

٣٢]. وقوله: ﴿مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾ [الفرقان: ١٣]؛ أي يا ثبوراه، كقول القائل: يا حسرتي، يا أسفي.

﴿مُتَوسّمين﴾ [الحجر: ٧٥]: حقيقة التوسُّم النظرُ إلى السمة، وهي العلامة التي يعرف بها المرء، ومعناها الفراسة؛ قال ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله.

﴿مُخْلَصِين﴾ [الحجر: ٤٠]: المخلَص: هو الذي يغويه إبليس بالتزيّن، ولا يسمع منه؛ أو يزين له ولا يغويه.

فإن قلت: هل التزيُّن والإغواء بمعنى واحد؟.

فالجواب أنّ الإغواء يستلزم الفعل، والتزين لا يستلزمه؛ فقوله تعالى: ﴿إلاَّ عبادك منهم المُخْلَصين﴾ [الحجر: ٤٠] مسبّب عن الإغواء، لا عن التزين؛ فالمخلَصين يزين لهم ولا يغويهم، ولا يقدر عليهم بوجه.

﴿مُقِيم﴾ [الحجر: ٧٦]: أي ثابت يراه الناس. والضميرُ للمدينة المهلكة التي أخذتها الصيحة.

﴿مُشْرِقين﴾ [الحجر: ٧٣]: أي داخلون في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس.

﴿مُبِين﴾ [الحجر: ٧٩]: أي واضح. وضمير التثنية في ﴿إنهما﴾ [الحجر: ٧٩] قيل لمدينة قوم لوط أو قوم شعيب، ﴿فالإمامُ﴾ على هذا الطريق. وقيل للوط ولشعيب، أي أنهما على طريق من الشرع واضح.

﴿مستهْزِئين﴾ [الحجر: ٩٥]: كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة، كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ، فكفى الله نبيَّه أمرهم، وأهلكهم بمكة.

وقيل: كأبي جهل وأصحابه، أهلكهم الله ببدر. ويحتمل الجميع.

﴿مُنْكِرَة﴾ [النحل: ٢٢]: نعت للقلوب، يعني أنهم أنكروا وحدانية الله،

واستكبروا عنها. والفاء للتسبيب، وليس هو من باب ذكر اللازم عقب الملزوم؛ وإنما هو من باب ذكر الشيء عقب نقيضه؛ لأنَّ لازم كونه إلهاً واحداً التصديق لا الإنكار والكفر.

وظاهر كلام الزمخشري أنّ الوحدانية ثابتة بالعَقْل؛ لأنه قال: قد ثبت بما تقدَّم إبطال أن تكون الإلهية لغيره، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم.

وظاهر كلام ابن عطية أنها ثابتة بالسمع؛ لأنه قال: لمّا تقدم وصفُ الأصنام جاء الخبر الحقّ بالوحدانية؛ وهذه مخاطبةٌ لجميع الناس معلمة بأن الله متَّحد وحدة تامة، لا يحتاج لكمالها إلى منضاف إليها.

والصحيح أنها مستفادة منهما معاً.

ابن عرفة: القضية على ثلاثة أقسام:

عقلية؛ كقولك الواحد نصف الاثنين، والجوهر متحيّز أو مفتقر إلى العَرَض.

وشرعية؛ كقولك: الميت يبعث.

ومركبة منهما، كقولك: الله سميع بصير.

واختلفوا في قولك: الله إله واحد؛ فذهب الفَخْر إلى صحة إثباته بالسمع. ونقل ابن التِّلْمِسَاني في شرح المعالم الدينية عن بعضهم أنه لا يصح إثباتُه بالسمع.

وقال في شرح المعالم الفقهية: إنّ ما تتوقّف دلالةُ المعجزة عليه لا يصحُّ إثباتُه بالسمع؛ كوجود الإله؛ لئلا يلزم عليه الدور. وما لا يتوقف عليه يصح إثباتُه بالسمع؛ ككونه واحداً؛ ذكره في أول الباب السابع في الإجماع.

وعندي أنَّ الآية تدل على صحة إثبات الوحدانية بالسمع والعقل؛ لقوله: فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم مُنْكِرةٌ، كأنه يقول: فالمكذبون بالآخرة قلوبهم مُنكرة؛ ولو كانت لا تتوقف على السمع لقال: فالصمُّ العمي، أو

فالمتصاممون قلوبهم منكرة، فذِكْره عُقَيب الإيمان يشعر بعِلّيتِه له، فهو دليل على أنهم سمعوا فلم يؤمنوا بالآخرة، ولو لم يكن معلّقاً على الإيمان لما ذكره بعده.

﴿مُفْرَطُون﴾ [النحل: ٦٢]: بكسر الراء والتخفيف من الإفراط، أي متجاوزون الحدَّ في المعاصي. وبفتح الراء والتخفيف، من الفَرْط؛ أي يعجلون إلى النار. وبكسر الراء والتشديد من التفريط.

﴿مُنْكَر﴾ [النحل: ٩٠]: هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي.

﴿مِلِئْتَ منهم رُعباً﴾ [الكهف: ١٨]: الضمير لأصحاب الكهف، وضمير الخطاب لنبينا ومولانا محمد ﷺ؛ يعني أنك يا محمد لا تستطيع النظر إليهم لما ألبستهم من الهيبة؛ فإذا كان القويّ الجأش لا يستطيع النظر إليهم فكيف يَدَّعي غيره رؤيتهم؟.

﴿مُلْتَحَدا﴾ [الكهف: ٢٧]: أي ملجأ تميل إليه فتجعله حرزاً.

﴿مُهْل﴾ [الكهف: ٢٩]: هو بلسان أهل المغرب. وقيل بلغة البربر: درْدِيّ الزّيْتِ إذا انتهى حرّه، وروي هذا عن رسول الله ﷺ.

وقيل: هو ما أُذيب من الرصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفقا﴾ [الكهف: ٣١]: هو شيء يُرْتَفَق به. وقيل يُرتفق عليه من الارتفاق، بمعنى الاتّكاء.

﴿مُنْقَلَبا﴾ [الكهف: ٣٦]: أي مرجعاً؛ وهذا قول المؤمن لأخيه الكافر؛ أي إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أَخي لأجدنَّ في الآخرة خيراً من جنّتي في الدنيا.

وقريء خير منهما بضمير الاثنين للجنتين، وبضم الواحدة للجنة.

﴿مُقْتَدِراً﴾ [الكهف: ٤٥]: من أسماء الله، ومعناه مَنْ له القُدرة والقوةُ والعظمة والكبرياء؛ وإنما يوصف بذلك تعظيماً؛ فكلّ مقدور معلوم، وليس كل معلوم مقدوراً؛ لأن المحالات كلها معلومة للقديم سبحانه، وليست بمقدورة له؛

لأنه لا يُوصف بالقدرة على خَلْق نفسه، ولا على خلق كلامه، أو شيء من جهاته الذاتية، ولا على الجمع بين الضدّين، وجعل الشخص في مكانين في وقت واحد، ولا على أن يجعل العالم بأسره في بَيْضة كما يعتقده الجاهل.

فإن قلت: مقدوراته أكثر أم معلوماته؟.

فالجواب أن إطلاق هذا السؤال خطأ؛ لأنه إن أراد السائلُ مقدوراته التي لم توجد مع معلوماته التي لم توجد لم تصح المفاضلة بينهما؛ لأن ما ليس بشيء لا يقال إنه أكثر مما ليس بشيء، وإن أراد بذلك مقدوراته الموجودة مع معلوماته أكثر؛ لأن ذاته وصفاته معلومة له، وليست بمقدورة له؛ بل كانت مقدورة له، وهكذا الموجودات في حال وجودها في الحال من الحدوث معلومة له؛ وليست بمقدورة له؛ بل كانت مقدورات له في حال الحدوث. والله أعلم.

﴿مُوَاقِعُوها﴾ [الكهف: ٥٣]: الضمير للمشركين وشركائهم، وضمير التأنيث عائد على النار؛ ويعني أنهم يظنّون أنهم يقعون فيها؛ والظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَهْلِكهم مَوْعِدا﴾ [الكهف: ٥٩]: بضم الميم وفتح اللام: اسم مصدر من أَهلك.

﴿مُفْسِدُون في الأرض﴾ [الكهف: ٩٤]: يعني بالقَتْل والظلم وسائر وجوه الشر. وقيل: كانوا يأكلون بني آدم. والضمير يعود على يأجوج ومأجوج؛ وهما قبيلتان من بني آدم في خلقتهم تَشْوِيه في الطول والقصر وطول الأذنين.

﴿مُثْلَى﴾ [طه: ٦٣]: حُسْنَى، تأنيث أمثل.

﴿مُحْدَث﴾ [الأنبياء: ٢]، بفتح الدال، يعني أن هذا القرآن مجدّد النزول؛ لأنه قديم متعلق بالذات القديمة، لم يقرأ ولم يسمع؛ فلما خلق الله الْخَلْق وأوجدهم كتَبَه في اللوح المحفوظ أو في ألواح على ما روي، ونَزل به جبريل إلى بَيْتِ العزّة، كما قدمنا؛ فصار يتجدّد بالنزول به على نبينا ومولانا محمد ﷺ؛ فصار مقروءاً متلُوّاً مكتوباً مسموعاً؛ وذلك لا يوجب تغيُّر حاله، كما أن مولانا

جلّ وعلا لم يكن في الأزَل معبوداً ولا مسجوداً له ولا مذكوراً؛ فخلق الخلق ليعبدوه ويوحّدوه ويذكروه؛ فصار لهم معلوماً ومعبوداً.

﴿مُشْفِقُون﴾ [الأنبياء: ٢٨]: خائفون. والضمير عائد على الملائكة الذين لا يَعْصُون الله ما أمرهم، فهؤلاء ملائكة مطَهَّرون مشفقون من العقوبة.

وأنت أيها المتلطخ لا تشفق مع عصيانك، وهو كل يوم يناديك: عَبْدِي ـ أرسلتُ إليكَ رسائلَ المواعظ تناديك: ارجع إلَيّ؛ الملائكة صفو بلا كدر، والشياطين كدر بلا صفو؛ وأنت مجمع البحرين، فمتى غلب صَفْوُ عقلك على كدر شهوتك أخدمتك حملةَ العرش بمدحة ويستغفرون للذين آمنوا، يا مودعاً بدائع البدائع، الأكوان ألواح، وأنت الكاتب، وشجرة وأنتَ الثمر، وقوالب وأنت المعنى، ونافجة وأنْتَ المسك، ودفتر وأنت الخطوط؛ يا عجباً لك كيف أعجبك دخان الشهوات عن أسرار المشاهدات؟ اشتغلْتَ بجمع الفاني عن التلذّذ بخدمتنا، وشرهت عليها شره الكلب للجيفة، ولم تُشفق من عتابنا؛ أما سمِعْتَ أهْلَ الجنة يقولون: إنا كنا قبل في أهلنا مُشْفِقين، فَمنَّ الله علينا ووقَانا عذاب السموم، فكيف تطمع أن تكون من أهلها وأنتَ غير مُشْفِق من عذابنا. اللهم ارحمنا إذا صِرْنَا إليك، والطف بنا يوم الوقوف بين يديك، فإنّ قلوبنَا قد ماتَتْ عن طاعتك، وأعيننا قد جمدت مِنْ خَشْيَتك، وآذاننا صُمّت عن سماع موعظتك، وعُقِل العَقْلُ عن التفكر في آياتك، وخرس اللسان عن شكر نعمتك، وقُيدت الأقدام عن الإقدام إلى حضرتك، فنحن كالذي استهوته الشياطين، فلا تؤاخذنا بذنوبنا، وعامِلْنا بفضلك وكرامتك بجاه أكرم الخلق عندك، وخيرتك صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

﴿مُضْغَة﴾ [الحج: ٥]: قطعة لحم.

﴿مُخَلّقة﴾ [الحج: ٥]: تامة الخلقة.

﴿وغير مخلَّقة﴾ [الحج: ٥] غير التامة، كالسقط. وقيل المخلّقة الْمُسَوَّاة السالمة من النقصان.

﴿مُعْتَرّ﴾ [الحج: ٣٦]: المتعرض بغير سؤال، ووَزْنه مفتعل؛ يقال: اعتررت القوم، إذا تعرضت لهم.

والمعنى أَطعموا مَنْ سأل ومن لم يسأل مَّمن تعرض بلسان حاله. أو أطعموا من تعفّف عن السؤال بالكلية، ومن تعرّض للعطاء.

﴿المُخْبِتِين﴾ [الحج: ٣٤]: الخاشعين. وقيل المتواضعين. وقيل: نزلت في أبي بكر وعُمر وعثمان وعليّ. وكذلك، قوله بعد ذلك: ﴿وبَشِّر المحسنين﴾ [الحج: ٣٧]. واللفظ فيها أعمّ من ذلك.

﴿مُعَاجِزين﴾ [الحج: ٥١]: مسابقين. ومعجزين: فائتين، ويقال مثبطين.

﴿مُخْضَرَّة﴾ [الحج: ٦٣]؛ أي تصير الأرض خضراء بالمطر.

وقيل: إنها لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارّة؛ وفهم بعضُهم أنه أراد به صبيحة ليلة المطر؛ وأما على معنى تصير فذلك عامّ في كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجوابٍ؛ ولو كانت جواباً لقوله: أَلم تر ـ لنصبت الفعلَ، وكان المعنى نَفْي حضرتها؛ وذلك خلاف المقصود؛ وإنما قال بنفي المضارع ليفيد بقاءها كذلك مدةً.

﴿مُعْرِضُون﴾ [المؤمنون: ٧١]: أي لا يستمعون إلى لغو الكلام، ولا يدخلون فيه. وأنواعه كثيرة نحو العشرين نوعاً.

ويحتمل أَنْ يريدَ أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأَحْرَى.

﴿مُذْعِنين﴾ [النور: ٤٩]؛ أي منقادين مطيعين لقَصْد الوصول إلى حقوقهم.

وسببُ نزولها أنَّ رجلاً من المنافقين كانت بينه وبين يهوديّ خصومةٌ، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فأعرض عنه ودعاه إلى كعب بن الأشرف.

﴿مُتَبَرِجاتٍ﴾ [النور : ٦٠] : أي مظهرات للزينة ؛ فأباح الله للنساء وَضعَ الثياب بشرط ألاَّ يقصدن إظهار زِينةٍ .

وقيل متبرجات متكشفات الشعور .

﴿مستَقَرًّا﴾ [الفرقان : ٢٤] : إقامة .

﴿مُشْرِقين﴾ [الحجر : ٧٣ ، الشعراء : ٦٠] : قد قدمنا أنه وقت طلوع الشمس . وقيل معناه هنا نحو المشرق . وانتصابُهُ على الحال .

﴿مُدْرَكُون﴾ [الشعراء : ٦١] : لما خاف قومُ موسى من إدراك فرعون لهم قالوا هذا .

﴿مُسَحَّرِين﴾ [الشعراء : ١٨٥] : معلّلين بالطعام والشراب ؛ أي أنك بشر مثلنا .

﴿مُجرمين﴾ [الشعراء : ٢٠٠ ، النمل : ٦٩] : يحتمل أن يريد به كفار قُريش أو المتقدمين .

﴿مُنْظَرون﴾ [الشعراء : ٢٠٣] : تَمنَّوْا أن يؤَخَّروا حين لم ينفعهم التمني .

﴿مُخْسِرِين﴾ [الشعراء : ١٨١] ؛ أي ناقصين الكيل والوزن .

﴿مُبْصِرَةً﴾ [النمل : ١٣] : واضحة الدلالة . وإسناد الإبصار لآيات موسى مجاز ؛ وهو في الحقيقة لمتأملها .

﴿مُرْسِلَةٌ إليهم بهديَّةٍ﴾ [النمل : ٣٥] : هذا من كلام بلقيس تأكيداً للمعنى الذي أرادَتْه حين قالت لقومها : إني مجربة هذا الرجل بهديّة من نفائس الأموال ؛ فإن كان ملكاً دنياويّاً أَرْضَاه المال ، وإن كان نبيئاً لم يُرْضِه المال ؛ وإنما يرضيه دخولُنا في دينه .

وقد أكثر الناسُ في وصف هذه الهدية ، تركناهُ لطوله ؛ فانظر هذا اللطف والسياسة من نبيّ الله سليمان في دعاية بلقيس إلى الإيمان ؛ فقدّم لها أولاً الكتاب ،

وقدم فيه اسمه على اسم الله؛ لأنه واسطة بينه وبين الله، ولما كان الأنبياءُ في البشرية من جبلّة المُرْسَل إليهم، وجِنْسهم في الظاهر، واصطفاهم اللهُ بعلمه وحكمته، كانوا أكثر فَهْماً وإدراكاً. ولذلك قال لمن أتى بهديّة بلقيس: ﴿فما آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ ممَّا آتاكم﴾ [النمل: ٣٦]؛ فلما رأت ذلك منه خافت وفزِعت وأسلمت مع سليمان.

فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانُها، وكانت المسافةُ بين محله وبين بلدها قريبةً؛ وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومَأْرِب؟

فالجواب أن اللهَ أخفى ذلك عنه لمصلحةٍ رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب.

فإن قلت: كيف قال الهدهد: وأُوتِيَتْ من كل شيء - مع قول سليمان: وأُوتينا من كل شيء، كأنه سوّى بينهما.

والجواب فَرْق ما بينهما أنّ سليمان قال ذلك من المعجزات والنبوءة وأسباب الدين وأسباب الدنيا؛ فهذا العطفُ على شكر مولاه وعطف الهدهد على الملك، ولم يرد إلا ما أعطيته بلقيس من أسباب الدنيا اللائقة بحالها؛ فبَيْن الكلامَيْنِ بَوْنٌ بعيد.

﴿مُمَرَّد﴾ [النمل: ٤٤]: أملس، ومنه الشجرة الْمَرْدَاء، والأَمْرَد الذي لا شَعْر على وجهه.

﴿مُحْضَرِين﴾ [القصص: ٦١]: أي للنار.

﴿مُنِيبِينَ إليه﴾ [الروم: ٣١]: منصوب على الحال، من قولك: ﴿فَأَقِمْ وَجْهك﴾ [الروم: ٣٠]؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأُمّته؛ فلذلك جمعهم في قوله: مُنِيبين.

وقيل هو حال من قوله: ﴿فَطَر الناسَ﴾ [الروم: ٣٠]، وهذا بعيد.

﴿مُعَوِّقِين﴾ [الأحزاب: ١٨]؛ أي يمنعون الناسَ من الجهاد، ويعوقونهم بأقوالهم وأفعالهم. ويقال عاقه عن الأمر، وعوّقه وعَقّاه.

﴿مُقْمَحُون﴾ [يس: ٨]: يقال قَمَحَ البعيرُ إذا رفع رأسه، وأَقْمَحَهُ غَيْرُه إذا فعل به ذلك.

والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلالُ حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع. وقيل: مُقْمَحون ممنوعون من كلّ خير.

﴿مُظلِمُون﴾ [يس: ٣٧]: داخلون في الظلام.

﴿مُدْبِرين﴾ [الصافات: ٩٠]: أي تركوا إبراهيم إعراضاً منهم، وخرجوا إلى عيدهم. وقيل: إنه أراد بالسقم الطاعون؛ وهو داء يُعْدِي، فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى.

﴿مُسْتَسْلِمُون﴾ [الصافات: ٢٦]: أي معطون بأيديهم.

﴿مُشْتركون﴾ [الصافات: ٣٣]؛ أي في النار.

﴿مُحْسِنِين﴾ [الصافات: ١١٠]: جمع محسن، ووصف به إبراهيم لمّا ابتلاه فوجده مُجِدّاً في طاعته.

فإن قلت: لم قال في حقه كذلك دون قوله ﴿إنّا﴾ وقال في غيره إنا كذلك؟

فالجواب أنه تقدم في قصة إبراهيم نفسها ﴿إنّا كذلك﴾ [الصافات: ١٠٥]، فأغنى عن تكرار ﴿إنا﴾ هنا.

﴿مُدْحَضِين﴾ [الصافات: ١٤١]؛ أي مغلوب في القرعة والحجة، وسبب مقارعته أنه لما ركب السفينة وقفت ولم تَجْرِ، فقالوا: إنما وقفت من حادثٍ حدث، فنَقْتَرع لنرى على مَنْ تخرج القرعة فنطرحه؛ فاقترعوا، فخرجت القُرْعة على يونس، فطرحوه في البحر؛ فأوحى الله إلى حُوت من حيتانه: اذهب فالتقمه، ولئن خدشْتَ له لحماً، أو كسرت له عظماً لأعذّبنك عذاباً لم أُعذِّبه

أحداً من العالمين؛ فالتقَمته ومشَتْ به البحار كلُّها تفخر على أبناء جنسها، حتى نبذَتْه بالعراء وهو سقيم بعد أربعين يوماً.

ورُوِيَ أن الحُوت صام أربعين يوماً.

وأنتَ يا محمدي، أكرمك الله بالقرآن، وفضّلك بالإيمان، ولا تمتنع عن الآثام، ولا تفخر على أبناء جنسك.

ولما خسف اللهُ بقارون، واستغاثت الأرضُ، وقالت: اللهم كما أريتنا عدوّاً من أعدائك فأرِنا حبيباً من أحبابك لنتسلّى برؤية الحبيب.

وكذلك بيت المقدس لما خَرَّبه بُخْت نَصّر استغاث بالله، فأراه الله نبينا ﷺ ليلة الإسْراء؛ وهذه هي الحكمة في إسْرائه من بيت المقدس.

ولما أوحى اللهُ إلى البحر أَنْ ينفلِقَ لفرعون حتى يدخلَ فيه استغاث، فدخل فيه موسى أمامَه.

وكذلك النار لما علمت أنها دارُ أعدائه سألَتْه أن يُريها أحبّاءه، فأدْخل المؤمنين النار لتتسلّى برؤية الأحبّاء عن رؤية الأعْداء؛ قال تعالى: ﴿وإنْ منكم إلاّ وَاردُهَا﴾ [مريم: ٧١]. والمقصود بوُرودهم إجابةُ دعوة النار لا الإحراق؛ قال تعالى: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

وأعلم أنّ الله تعالى ابتلى تسعةً من الأنبياء فوجدوا تسعة أشياء: ابتلى آدمَ بوسوسة الشيطان فوجد التوبة، وإبراهيم بالنار فوجد الخلّة، وإسماعيل بالذبح فوجد الفداء، ويعقوب بالشدَّةِ والقَحْط فوجد الفرج، والملك، ويوسف بالسجن فوجد الصديقية، وأيوب بالبلاء فوجد الصبر، ويونس بالحوت فوجد النجاة، ونبينا محمد ﷺ باليُتْم فوجد العزّة؛ قال تعالى: ﴿فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى﴾ [النجم: ٩]، وسليمان ابتلاه الله بزوال الملك فوجد الإنابة. وسببُ زوال ملكه أنه نظر إليه فابتلاه اللهُ بإلقاء الجسد على كرسيه وإلى مَلَئِه وقُوّته فابتلاه بآصف، وإلى سياسته فابتلاه بالهدهد؛ فقال: ﴿أَحطْتُ بما لم تُحِطْ به﴾

[النمل: ٢٢]؛ وإلى جنوده فابتلاه بنملة قالت له تنظر إلى جنودك ولو عرضْتُ عليك جنودي سنةً لم يفرغوا؛ فإياك والنظر إلى غيره سبحانه، فتبتلى؛ لأنَّ من عادته سبحانه أنّ من أحبّ شيئاً ابتُلي بفراقه؛ فإن رجع إلى الله ردّه الله عليه؛ كسليان لما رجع إلى اللهِ ردَّ اللهُ عليه مُلْكه. وموسى لما رجع إلى الله ردَّ اللهُ عليه عصاه؛ فقال له: خُذْها ولا تَخَفْ. وَيعقوب قال: إنما أَشكُو بَثِّي وحُزني إلى الله جمع الله شَمْلَه به؛ وإبراهيم لما رجع إلى الله في ذَبْح ولده فداه الله بِذبْحٍ عظيم.

وتأمَّلْ هذا اللطفَ منه سبحانه حيث لم يُرِدْ مواجهة خليله بقَتْلِ ولده بالوحي، فأراه في المنام؛ وكذلك الحق سبحانه يقول: ما تردّدت في شيء كترددي في قَبْضِ رُوح المؤمن؛ هو يكره الموت وأنا أحبُّ لُقياه.

﴿مُلِيم﴾ [الصافات: ١٤٢]؛ من اللوم، وهو التعيير؛ وذلك أنه فعل ما يُلام عليه في خروجه من قومه بغير إذن ربّه، فحبسه في بطن الحوت حتى طهره، وأخرجه بتسبيحة واحدة؛ وكذلك المؤمن يَحْبِسه في النار حتى يطهره من غير أَلَمٍ يناله فيها لأن له عقدَ الوصلة، كأيوب حلف أن يضرب زوجته مائةَ سوط، فأمره اللهُ أن يأخذ بيده ضِغْثاً ـ وهو ملء كفٍّ من الحشيش كي لا تتأذّى امرأتُه بالضرب.

فإن قلت: كيف يجمع بين هذا وبين قوله: ﴿فلولا أنه كان مِنَ المسبِّحين﴾ [الصافات: ١٤٣] ـ فإنها تقتضي أنه لولا التسبيحُ لَلَبِث، فاللبث مُنْتَفٍ لوجود التسبيح؛ وهذه تقتضي لولا تداركه النعمة لنبذ، وهو مذموم؛ فهو يقتضي انتفاء النبذ، وانتفاء النبذ هو اللّبْث، وهذه تقتضي ثبوت اللبث لا انتفاء اللبث، والأولى تقتضي انتفاء اللبث وكون اللبث مثبتاً مَنْفِياً محالٌ؛ أو يقال الأولى تقتضي ثبوت النبذ والثانية انتفاؤه.

وأجاب بعض الفضلاء بأَنّ لو الأولى في قوّة لولا التسبيح لثبت اللبث، والثانية في قوة لو انتفت النعمة لنبذ، ولما كان الواقع مِنْ مراد الله تعالى أنَّ

التسبيح ثابت كان انتفاؤه محالاً، والواقعُ أيضاً أن النعمة ثابتة فانتفاؤُها محال، ولما كان ملزوم الشرطين محالاً لا جرم ترتب عليه محال؛ ونظّروه بقوله تعالى: ﴿ولَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]؛ أي لاَستُؤصِلُوا، ﴿ولو جَعَلْنَاه مَلِكاً لجعلناهُ رجلاً، ولَلَبَسْنَا عليهم ما يَلْبِسُون﴾ [الأنعام: ٩]. وهذه تقتضي عدم الهلاك، وإن أنزل الملك؛ ولما كان جَعْل الملك على الوجه الذي طلبوه رسولاً محالاً لما سبق في عِلْمه لا جرمَ ترتَّب عليه المحال، والحقُّ الواضح الذي لا تكلف فيه أن الآية الثانية إنما نفت النبذ المقيَّد بكونه مذموماً، والنَّفْيُ المقيد لا يستلزم نفي المطلق؛ فلا يلزم نفي النبذ على وَجْه الإكرام؛ وبه ينبغي الجواب عن آيتي الأنعام؛ فإن الإهلاك الذي كنى عنه بقضاء الأمر إنما رُتّب على إنزال الملك على صورته لا على صورة الرجل، واللبس عليهم؛ والذي يستلزم بقاءَهم هو إنزاله على صفةِ الرجل، أو يقال نلبس عليهم الأمر، ثم نهلك.

﴿مُغْتَسل﴾ [ص: ٤٢] وغسول: الماء الذي يُغْتَسلُ به، والموضع الذي يغتسل فيه أيضاً. وروي أنّ أيوب ضرب الأرضَ مرتين فنبع له عينان، فاغتسل من أحدهما، وشرب من الأخرى.

﴿مُقْتَحِمٌ﴾ [ص: ٥٩]: أي داخل في زِحَامٍ وشدَة؛ وهذا من كلام خزَنَةِ النار، خاطبوا به رؤساءَ الكفار الذين دخلوا النار أولاً، ثم دخل بعدهم أتباعُهم، وهم الفَوْجُ المشارُ إليه.

وقيل هو من كلام أهل النار بعضهم لبعض. والأولُ أظهر.

﴿مُتَشَاكِسُون﴾ [الزمر: ٢٩]: أي متنازعون متظالمون. وقيل متشاحّون. وأصله من قولك: رجل شَكِس، إذا كان ضيّق الصدر.

ومعنى ضرب هذا المثل بيانُ حالِ مَنْ يشرك بالله ومن يوحّده، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعةٍ من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوكُ بينهم في أسوأ حالٍ، وشبَّه مَنْ يوحّد الله كمملوك لرجل واحد.

﴿مُسْرِفين﴾ [الزخرف: ٥]: الضمير لقريش.

فإن قلت: كيف قال: ﴿إنْ كُنْتم﴾ [الزخرف: ٥] على الشرط بحرف إن التي معناها الشكّ، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟

والجواب أنّ في ذلك إشارةً إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيء لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع.

﴿مُقْرِنين﴾ [الزخرف: ١٣]، أي مطيعين وغالبين، من قولك: فلان قِرْنُ فلان، إذا كان مِثْلَه في الشدة.

﴿مُقْتَدُون﴾ [الزخرف: ٢٣]: مُتّبعون، والمعنى أنهم ليس لهم حجةٌ، وإنما يقلّدون آباءهم.

فإن قلت: ما الفرقُ بين الآية الأولى في قوله: ﴿مُهْتَدون﴾ [الزخرف: ٢٢]، وفي هذه: مُقْتدون؟

فالجواب أنه لما تقدم في الآية الأولى قولُ كفّار العرب السامعين القرآن من رسول الله ﷺ وادعاؤهم أن آباءهم كانوا مهتدين فنحن مهتدون، ولهذا قال: ﴿قل أَوَ لَوْ جِئتُكم بأَهْدَى مِمّا وَجَدْتُم عليه آباءَكم﴾ [الزخرف: ٢٤] يعني أَتَتَّبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، قالوا: إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفكّ عنه، وإن جئتنا بما هو أهدى.

وخصَّ الآية بعدها بالاقتداء لأنها حكاية عمن كان قبلهم من الكفار، ادّعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فاقتضت كلُّ آية ما خُتمت به.

﴿مُرْسَلِين﴾ [الدخان: ٥]: من إرسال الرسل عليهم السلام. وقيل: من إرسال الرحمة. والأول أظهر.

﴿مُنْشَرِين﴾ [الدخان: ٣٥]: معناه مُحْيين.

﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]، بضم الميم من الإقامة بالموضع، وبفتحها موضع قيام. والمراد به الجنة.

﴿مُرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: ٥٩]: منتظرون هلالكَ يا محمد، فارتقب أنْتَ نَصْرَنا، وفيه وعدٌ ووعيدٌ لهم.

﴿مُحَلِّقِينَ رؤُوسَكم ومُقَصِّرِين﴾ [الفتح: ٢٧]: الحِلاَق والتقصير مِنْ سُنَّة الحجّ والعمرة، والحِلاَق أَفضلُ من التقصير للحديث. رحم الله المحلّقين ثلاثاً والمقصرين.

﴿مُصيْطِرُون﴾ [الطور: ٣٧]: أي أرباب غالبون. وقيل المصيطر المسلّط القاهر. ومنه: ﴿لَسْتَ عليهم بمصَيْطِر﴾ [الغاشية: ٢٢].

﴿مُنْتَهى﴾ [النجم: ١٤]؛ أي آخر. والمعنى أَنَّ جميعَ العلوم تنتهي إلى الله، ثم يقف العلماءُ عند ذلك. أو إلى الله المصير. وفي الحديث لا فكرة في الرب.

﴿مُؤْتَفِكة﴾ [النجم: ٥٣]: هي مدينةُ قوم لوط. ومعنى ﴿أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣] طرحها من علوّ إلى سفل، فجعلها تهوي. ومنه: ﴿فأُمُّه هَاوِية﴾ [القارعة: ٩].

﴿مُسْتَمِرّ﴾[القمر:٢]:أي دائم. وقيل ذاهب يزولُ عن قريب. وقيل معناه شديد؛ وهو على هذا من المِرّة بمعنى القوة.

﴿مُسْتَقِرّ﴾ [القمر: ٣]؛ أي كلُّ شيء لا بد له من غاية؛ فالحقُّ يحق والباطل يبطل.

﴿مُزْدَجَر﴾ [القمر: ٤]: اسم مصدر بمعنى ازدجار، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنّة أَنْ يزدجر؛ والمراد بها قصص القرآن وبراهينه ومواعظه.

﴿مُنْهَمر﴾ [القمر: ١١]؛ أي كثير، كان الله يقول مكر قَوْمُ نوح وأرادوا قَتْله وإخراج نوح من بينهم، ومكَرْنا نحن بخروجهم مِنْ وجه الأرض، ففتحنا

أبواب السماء بماءٍ منهمر، فقلنا: يا سماء أمطري، ويا أرضُ انشقّي، ويا طوفان أهلك، ويا كافر، اهلك بأهلك.

﴿مُدَّكر﴾ [القمر: ١٥]: تحضيض على الادّكار، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده، ووزْن مُدَّكر مفتعل؛ وأصله مدتكر، ثم أُبدل من التاء دال، وأُدغم فيه الدال.

فإن قلت: ما فائدة تكرير هذه الآية، وقوله: ﴿فذوقُوا عذابي ونُذُر﴾ [القمر: ٣٩].

فالجواب أنه كرره ليُنَبِّه السامعَ عند كل قصة فيعتبر بها؛ إذ كلٌّ قصة من القصص عِبرةٌ وموعظة، فختم كلَّ واحدة بما يوقِظُ السامع من الوعيد في قوله: فكيف كان عذابي ونذر. ومن الملاطفة في قوله: ﴿ولقد يَسَّرْنَا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر﴾ [القمر: ٣٢].

﴿مُنْقَعِر﴾ [القمر: ٢٠]؛ أي منقطع، وشبَّه اللهُ قَوْمَ عادٍ بذلك لما بَغَوْا وتمرَّدُوا، وقالوا لهود: لا نلتفتُ إلى قولك، ولا نخاف من تهديدك؛ فإن كنت صادقاً فأنزل علينا عذاباً. قال: قد وقع عليكم من ربكم رِجْسٌ وغَضَب؛ فمنع الله عنهم المطر ثلاثَ سنين حتى هلكت المواشي والدواب، فقال لهم هود: استَغْفِروا رَبَّكم ثم تُوبُوا إليه. فقالوا: لا نَتُوبُ، ولكن نرسل رجالاً إلى مكَّةَ للاستسقاء؛ لأنهم كانوا يعظّمونها، ويطلبون بها حوائجهم؛ فبعثوا منهم ستَّةً وآمن منهم رجلان، وقالا: إلهنا إنك تهلك قَوْمَ هود، ولسنا منهم؛ فاستجِبْ دعاءنا، واقْضِ حاجتنا؛ فسمعا صوتاً: سَلْ تُعْط. فقال أحدهما: إلهي إني أسأل عُمْرَ سبْع نُسور، فسمع صوتاً: أُعْطِيت ذلك؛ فبقي أربعةٌ من الكفار؛ وكان اسمُ واحد منهم قيدا، فقالوا له: ادْعُ أنْتَ، فدعا، وقال: اللهم إني لم أجيء لمريض أُداويه، ولا لأجْلِ أسيرٍ فأَفْديه، اللهم فاسْقِ عاداً كما كنْتَ تسقيهم، فهاجت ثلاث سحائب حمراً وبيضاً وسُوداً، فسمع صوتاً: اخْتَرْ أيّها شئت. فقال: قد اخترت السوداء، فسمع صوتاً يقول: قد اختَرْتَ رَعَّاداً لايبْقَى مِنَ

الرَّعاد أحداً لا والداً ولا ولداً. فأمر الله تعالى ملك الريح أن يرسل من الصَّرْصَر مقدار حلقه.

قال وَهْب بن مُنَبّه اليماني: تحت الأرض السفلى، كما يقال لها العقيم، تعصفُ يوم القيامة، فتقلعُ الجبالَ من أماكنها، وترفعُ الأرض وتُزَحْزِحُها، وتشقّ الأرض؛ قال تعالى: ﴿وحُمِلَت الأرضُ والجبالُ فدُكّتا دَكّةً واحدةً﴾ [الحاقة: ١٤]، وسبعة آلاف موكّلون بهذا الريح، فأمر الله الملك الموكّل به أن يرسل جزءاً من هذا الريح إلى قوم عاد؛ فقال: إلهي، كم أرسل؟ قال: مقدار منخر ثور. قال: إلهي كثير؛ فأمر الله أن يرسل مقدار حلقة خاتم، فقال: إلهي كثير؛ لا تَدَع شيئاً في الأرض إلا أهلكته. فأمر الله أن يرسل مقدار سَمِّ الخِيَاط، فلما جاءتهم السحاب قالوا: ﴿هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فقال لهم هُود: ﴿بل هُوَ ما استَعْجلَتْمُ به رِيحٌ فيها عذابٌ أليم﴾.

فجاءتهم الريح، فخرج منهم سبعمائة، وصعدوا في الجبل، أخذ كلٌّ واحد منهم بيد صاحبه وذيله طامعين في النجاة، فلما اشتد الريح صاحوا وركضوا في الجبل، فساخ إلى ركبتهم، فلما حان العذابُ أظلمت السماء، ورعدت، فنزلت ريح، فهدم جميع أبنيتهم ورفعها في الهواء، فجعلها مثل الدقيق المطحون، فصار رَمْلاً، وهذه الرمالُ التي على وجه الأرض من ذلك، ثم رفع قومَ هود إلى الهواء وضربهم على الأرض، فصاروا كأنهم أَعجاز نَخْلٍ خاوية.

وروي أن هوداً جمع المسلمين، وخَطّ حولهم خطًّا، فكانت الريحُ تأتي إلى ذلك الخط، وترجع كما قال تعالى: ﴿تَنْزِعُ الناسَ﴾ [القمر: ٢٠]. والإشارةُ بذلك إلى أَنَّ الريحَ إذا هبت يوم القيامة على نار جهنم تصير النارُ تحت أَقدام أُمته خامدةً، ويعطون صحائفهم؛ واحد بيمينه والآخر وراء ظهره.

﴿مُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]؛ أي محترق متفتت، كأنه صاحب الغنم الذي يجمع الحشيش في الحظيرة لغنمه أو للسكنى؛ وشبَّه الله ثموداً لما هلكوا بما يتفتّت في الحظيرة من الأوراق وغيرها.

وأما المُحْتَضَر في قوله: ﴿كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَر﴾ [القمر: ٢٨]، فمعناه محضور مشهود؛ وذلك أن الله جعل للناقة يوماً ولقوم صالح يوماً يشربون فيه الماءَ فلا يتعدونه، فاحتاجوا في يوم ورُودِ الناقة إلى الماء، وطلبوا ماءً فلم يجدوه، فقال قُدَارُ: لا بُدَّ مِنْ قَتْل هذه الناقة. فقالوا جميعاً: هذا صواب؛ فأخذ سيفاً، وخرج فاختفى في شِعْبِ جَبَل، وكان وقت رجوع الناقة من الماء، فلما دنت منه حمل عليها وقتلها، ثم قصد إلى ولدها فمد الولد إلى الجبل فانشقَّ بقُدرة الله ودخل فيه.

﴿مُسْتَطَر﴾ [القمر: ٥٣]؛ أي مكتوب، وهو من السطر؛ تقول سطرت واستطرت؛ وهو بمعنى واحد.

﴿مُنْشَآت﴾ [الرحمن: ٢٤]: يعني السفن؛ وإنما سُمّيت بذلك لأن الناس ينشئونها. وقرىء بكسر الشين بمعنى أنها تنشىء السير أو تُنْشىء الموج.

﴿مُدْهَامَّتَان﴾ [الرحمن: ٦٤]: أي تضربان إلى السواد من شدة الخضرة؛ وضميرُ التثنية يعود على العينين الجاريتين.

﴿مُتَّكِئين﴾ [الرحمن: ٧٦]؛ من التوكّؤ على شيء.

﴿مُخَلَّدُون﴾ [الواقعة: ١٧]: الذين لا يموتون. وقيل المُقَرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط؛ والأولُ أظهر.

﴿مُتَقَابِلين﴾ [الواقعة: ١٦]؛ أي وجوه بعضهم إلى بعض.

﴿مُغْرَمُون﴾ [الواقعة: ٦٦]؛ أي معذّبون؛ لأنّ الغرام هو أشدُّ العذاب. ومنه: ﴿إنَّ عذابَها كان غَراماً﴾ [الفرقان: ٦٥]، يعني لو جعل الله زَرْعكم حُطاماً لقلتم ذلك.

ويحتمل أن يكون من الغرم؛ أي مُثْقَلون بما غرمناكم من النفقة.

﴿مُزْن﴾ [الواقعة: ٦٩]: هي السحاب.

﴿مُقْوِين﴾ [الواقعة: ٧٣]: قد قدّمنا أنهم الذين لا زاد لهم. والْمُقْوِي أيضاً الكثير المال؛ لأنه من الأضداد.

﴿مُدْهِنُون﴾ [الواقعة: ٨١]: يعني متهاونون، وأصله من المداهنة، وهي لِينُ الجانبِ والموافقة بالظاهر لا بالباطن.

وقال ابن عباس: معناه مكذبون؛ وهذا خطاب للكفار؛ ومنه قوله: ﴿وَدُّوا لو تُدْهنُ فيُدهِنُون﴾ [القلم: ٩].

﴿مُقَرَّبِين﴾ [الواقعة: ٨٨]: المراد بهم السابقون المذكورون في أول سورة الواقعة في قوله: ﴿والسابقون السابقون﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

﴿مُسْتَخْلَفين﴾ [الحديد: ٧]: يعني في الإنفاق في سبيل الله وطاعته.

رُوِي أنها نزلت في الإنفاق في غَزْوة تَبُوك، وعلى هذا روي أن قوله: ﴿فالَّذين آمَنُوا وأنفَقوا لهم أجرٌ كبير﴾ [الحديد: ٧] - نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهَّز جيش العُسْرة. ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باقٍ لجميع الناس.

وقوله: ﴿مُسْتَخْلَفين فيه﴾- يعني أنَّ الأموالَ التي بأيديكم إنما هي أموالُ الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متَّعكم بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها؛ فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه.

ويحتمل أنه جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم، فورثتم عنهم الأموال، فأنفقُوها قبل أن تخلّفوها لمن بعدكم، كما خلّفها لكم مَنْ كان قبلكم.
والمقصود على كل وجه التحريض على الإنفاق، والتزهيد في الدنيا.

قال في قوت القلوب: وقد مثّل بعضُ الحكماء ابْنَ آدم بدود القزّ، لا يزال ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مَخْلص؛ ويقتل نفسه، ويصير القز لغيره؛ وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه؛ لأن القز يلتفّ عليه فيروم الخروج منه فيشمسِ، وربما غُمز بالأيدي حتى يموت، لئلا يقطع القز، ويخرج القزّ

صحيحاً؛ فهذه صورة لمكسب الجاهل الذي يترك أهله وماله، فينعم ورثته بما يَشْقَى به؛ فإنْ أَطاعوا به كان أَجره لهم وحسابه عليه. وإنْ عصوا به كان شريكَهم في المعصية؛ لأَنه أكسبهم إياها به؛ فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم: إذهابه عمره لغيره، أو نظره إلى ماله في ميزان غيره؟ وأشار إلى ذلك أبو الفتوح السُّني:

أَلَمْ تـر أن المرءَ طـول حيـاتـه ... مُعنًّـى بـأمْـر لا يـزال يُعَـالِجُـه
كـذلـك دود القَـزّ ينسـج دائماً ... ويهلك غمّاً وسْط مـا هـو نـاسجـه

وقال آخر:

يُفْنِي الحريـصُ بجَمْـعِ المال مـدتَـه ... وللحـوادث مـا يبقـى ومـا يَـدَعُ
كـدودة القـز مـا تبنيـه يُهْلِكهـا ... وغيره بـالـذي تبنيـه ينتفِـعُ

وبالجملة فإن اللهَ أعطاكَ أربعة أشياء: أولها اللسان، وكلّفك منه الذِّكْر له، والقولَ الحسن لخَلْقه؛ قال تعالى: اذكروا الله. ﴿وقولُوا للناسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ٨٣].

والقلب وكلفك منه محبةَ اللهِ ومحبة المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿والذين آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ أي من الصنم. وقال تعالى: ﴿ولا تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ للذين آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

فإن قلت: من أَين يُعرف أن المؤمن يحبّ الله أكثر من الكافر، والكافر يقتل نَفْسه لمعبوده، والمؤمن لا يفعل ذلك؟.

فالجواب أنّ الكافر إذا أصابته شدّةٌ تبرّأَ من معبوده؛ قال تعالى: ﴿فإذا ركِبُوا في الفُلْكِ...﴾ [العنكبوت: ٦٥] الآية. وقال: أَغَيْرَ اللهِ تَدْعون. والمؤمن لا يعرض عن الله بالشدائد والمحن، قال تعالى: ولنَبْلُوَنّكم. والكافرُ يتبرّأُ من معبوده يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿إذ تَبَرّأَ الذين اتُّبِعوا﴾[البقرة: ١٦٦]. ﴿ويَكُونونَ عليهم ضِدّاً﴾ [مريم: ٨٢]. والمؤمن لا يتبرأ من معبوده. ومحبةُ الكافر بعد الرؤية، ومحبةُ المؤمن قبل الرؤية. ومحبة الكافر من جانب واحد

وهو من نفسه ليس لمعبوده منه محبّة، ومحبة المؤمنين من الجانبين؛ لقوله: يُحبُّهم ويحبّونه. والكافر أظهر المحبةَ لمعبوده بقربان نفسه، والمؤمن كتم في نفسه؛ بل نهاه معبوده عن قَتْلها؛ قال تعالى: ﴿ولا تَقْتُلوا أنْفُسكم إنَّ اللهَ كان بِكُمْ رَحيما﴾ [النساء: ٢٩]. وكيف يقتل نفسه وهي ماله؛ قال تعالى: ﴿إنَّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنْفُسَهم وأموالَهم﴾ [التوبة: ١١١].

وأيضاً لو قتل المؤمنُ نفسه لأجل معبوده ـ لأن له عنده خطراً عظيماً ـ قال بعضُ العارفين رفع الله القسمة بينه وبين العارفين؛ فكان للعارف اثنان: المعرفة والشهادة، ذكرهما لنفسه في قوله تعالى: شَهِد اللهُ... الآية؛ وقوله: أفمن شرح اللهُ صَدْره للإسلام، ولله اثنان العزة والطاعة؛ قال تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكم اللهُ ورسولُه﴾ [المائدة: ٥٥]. وقوله: ﴿اللهُ وَلِيُّ الذين آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فإن قلت: ما علامةُ حقيقة المحبة؟.

فالجواب ما قاله بعض: ألاَّ ينظر إلى ما دونه، كما قال الأصمعي: كنْتُ ماراً في البادية، فاستقبلتني جارية كأنها علَم أو فلْقَة قَمَر، فنظرت إليها فقالت: لِمَ نَظَرْتَ إليّ؟ قلتُ: كلّي بكلك مشغول. فقالت: إنْ كان كما قُلْت فكلّي لكلك مبذول، ولكن وراءك أحسن مني، فنظرت إلى خَلْفِي فلطمتني لطمة كادت تُذْهب بصري، فقلت: ما هذا؟ قالت: ظننتُ أنك عارف، فلما نظرتَ إليّ رأيتك عاشقاً، والآن لست بعارف ولا عاشق؛ ثم ولَّتْ عني وهي تقول:

حبّــك في القفـــار شـــدَّدني ثمـــرات مــــن الحـــبّ أوّاه
خَـــوْف القطيعـــة أزعجنـــي فـــآهٍ مــــن الخـــوف ثم آه

وفي بعض الكتب: كذب من ادَّعى محبَّتي ثم يجد لذة الطعام والشراب. كذب من ادَّعى محبَّتي فإذا جنَّهُ الليل نام عني. كذب من ادَّعى محبتي ثم خطر بباله غيري. وأعطاك اللهُ المال، وطلب منك القَرْض والصدقة، وطلب من نفسك العبادة والمعونة لخلقه؛ قــال تعــالى: ﴿وتَعَـاوَنُـوا على البِـرِّ والتقـوى﴾ [المائدة: ٢].

﴿الْمُصَدّقين والْمُصَدّقات﴾ [الحديد: ١٨]: بتشديد الصاد، من الصدقة؛

وأصله المتصدقين؛ وكذلك قرأ أبيّ بن كعب. وقريء بالتخفيف من التصديق؛ أي صدَّقوا الرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿مُهْتَد﴾ [الحديد: ٢٦]: من الاهتداء الذي هو ضد الضلال.

﴿مُتكَبِّر﴾ [الحشر: ٢٣]: من أسماء الله، وهو الذي له التكبُّر حقاً، والمتكبر ضد المتواضع؛ فلا ينبغي الاتصاف بأوصاف الله، ولذلك يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما أدخلْته النار.

﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]: كل مَنْ هاجر من النساء إلى النبي ﷺ. أمره الله بعدم ردّ مَنْ هاجر من المؤمنات منهن، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذٍ أميمة بنت بشر، امرأة حسان بن الدحداحة.

وقيل سُبيعة الأَسْلمية؛ ولما خرجت جاء زوجها، فقال: يا محمد، رُدّها علينا، فإن ذلك في الشرط لنا عليك؛ فنزلت الآية. فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردها، وأعطى مَهْرَها لزوجها.

وقيل: نزلت في أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط؛ هربت من زوجها إلى المسلمين.

واختلف في الرجال: هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد مَنْ أَسلم منهم أو تجوز حتى الآن؟ على قولين. والأظهر الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء.

﴿مُزَّمِّل﴾ [المزمل: ١]: وزنه متفعل، فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي.

وقد قدمنا أنه من أسمائه عليه السلام؛ ناداه الله به.

قال السهيلي: وفي ندائه به فائدتان:

أحدهما الملاطفة؛ فإنَّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتقّ من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعليّ: قُم أبا تراب.

والثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبَّه إلى ذِكْر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشتركُ فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة.

وفي معنى تسميته ﷺ بهذا الاسم ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزمّلاً في كساء أو لحاف؛ والتزمُّل: الالتفاف في الثياب بِضَمّ وتشمير؛ هذا قول عائشة والجمهور.

الثاني: أنه كان قد تزمَّل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أنه المتزمل للنبوءة؛ أي المتشمر المجد في أمرها.

والأول هو الصحيح، لما ورد أنه لما جاءه الملك وهو في غارِ حِرَاء في ابتداء الوحي ورجع إلى خديجة ترعد فرائصه، فقال زَمِّلُوني زَمِّلُوني؛ فنزلت: يا أيها المدثر. وعلى هذا نزلت: يا أيها المزمل، فالتزمُّل على هذا تزمُّله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل.

وقال الزمخشري: كان نائماً بالليل متزملاً في قطيفة، فنودي يا أيها المزمّل ليهجز إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل. وهذا القول بعيد غَيْرُ سديد.

﴿مُنْفَطِر به﴾ [المزمل: ١٨]: أي ممتلئة به بلسان الحبشة؛ قاله ابن عباس. والانفطار في اللغة الانشقاق. والضمير المجرور يعود على اليوم الذي تنفطر السماء بشدة هَوْله. ويحتمل أن يعود على الله؛ أي تنفطر بأمره وقُدْرته. والأول أظهر.

فإن قلت: ما فائدة مجيء منفطر بالتذكير والسماء مؤنثة؟.

فالجواب تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة؛ تقديره ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف.

﴿مدّثر﴾ [المدثر: ١]: من أسمائه عليه الصلاة والسلام، وتسميته بذلك كتسميته بالمزّمّل، ومعناه الذي تدثّر في كساء أو رداء.

قال السُّهَيلي: في ندائه بالمدثر ما في ندائه بالمزمل.

وثالثة وهي أن العرب يقولون: النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجدّ والتشمير؛ والتدثر بالثياب ضدٌّ هذا؛ فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير.

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن. والصحيحُ: اقرَأ باسْمِ رَبِّك.

﴿مُسْتَنْفَرَة﴾ [المدثر: ٥٠]، بفتح الفاء: التي استنفرها الفزع، وبالكسر بمعنى النافرة.

وشبَّه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام. ويعني حمير الوحش.

﴿مُنَشَّرة﴾ [المدثر: ٥٢]؛ أي منشرة غير مطويّة، كما كُتبت لم تُطْو بعد. وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نَتَّبِعك حتى تأتي كلَّ واحد منّا بكتاب من السماء فيه: مِنْ رَبِّ العالمين إلى فلان بن فلان ـ تأمر باتّباعك.

﴿مُلْكاً كَبِيرا﴾ [الإنسان: ٢٠]: يعني كثرة ما أَعطاهم اللهُ حتى أن أدنى أهلِ الجنة منزلةً مَنْ له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد في الحديث.

وقيل: إن الملائكة تسلّم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

﴿مُنْذِر مَنْ يَخْشَاها﴾ [النازعات: ٤٥]؛ أي إنما بُعِثْتَ يا محمد لتُنْذِر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها، وخصّ الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿مُسْفرة. ضاحِكةٌ مُسْتَبْشِرة﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]: أي مضيئة من السرور، وهو من قولك: أَسفر الصبح إذا أضاء.

﴿مُطفِّفين﴾ [المطففين: ١]: التطفيف في اللغة هو البَخْس والنَّقْص، فسره بذلك الزمخشري؛ واختاره ابن عطية.

وقيل: هو تجاوُز الحدّ في زيادة أو نقصان. واختاره ابن الفرس؛ وهو أظهر؛ لأن المراد به بخْس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه، أو ينقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جُهينة له مكيالان، يأخذ بالأَوْفَى، ويُعْطي بالأنقص؛ فالسورةُ على هذا مدنية. وقيل: إنها مكية؛ لذكر أساطير الأولين. وقيل نزل بعضها بمكة وأنزل أَمْرُ التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله.

﴿مُؤْصَدة﴾ [البلد: ٢٠، الهمزة: ٩]: مغلقة مطبقة، يقال: أُوصدت الباب إذا أغلقته. وفيه لغتان الهمز وترك الهمز.

﴿مُمَدَّدة﴾ [الهمزة: ٩] العَمَد: جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع وقريء بضمتين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب. والممددة: الطويلة.

وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنّ أبواب جهنم أُغلقت عليهم ثم مدّت على أبوابها عُمد تشديداً في الإغلاق والثقاف، كما تثقف أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بمُوصدة.

والآخر: أنهم موثقون مغللون في العمد؛ فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمر، تقديره هم موثقون في عُمُدٍ.

﴿مُنْفَكّين﴾ [البينة: ١]: زائلين. والمعنى أن جميع الكفار لم يكونوا منفكّين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ. ومعنى منفكين منفصلين. ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أنّ المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوءة نبيّنا ومولانا محمد ﷺ حتى بعثه الله.

الثالث: اختاره ابن عطية، وهو: لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقُدْرته حتى يبعث الله إليهم رسولاً يقيم عليهم الحجة.

الرابع: وهو الأظهرُ عندي: أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا عن الدنيا حتى بعث الله لهم محمداً، فقامت عليهم الحجّةُ؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دونَ بَعْثه لقالوا: ربنا لو أرسلت إلينا رسولاً؛ فلما بعثه الله لم يبق لهم عُذْر ولا حجة؛ فمعنى مُنْفكين على هذا كقولك لا تبرح ولا تزول حتى يكون كذا وكذا.

﴿ميثاق﴾ [البقرة: ٢٧]: قد قدمنا أنه العهد حيثما وقع والموثق؛ مفعال من الوثيقة.

﴿من بعده﴾ [البقرة: ٥١]: الضمير لموسى؛ أي من بعد غيبته في مناجاته على الطُّور.

﴿ملّةَ أبِيكم إبراهيم﴾ [الحج: ٧٨]: انتصب ملّة بفعل مضمر تقديره: أعني بالدين ملّة إبراهيم، أو التزموا ملّة إبراهيم.

وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف؛ كأنه قال كملّة.

وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدم، كأنه قال: وسّع عليكم توسعة ملّةِ أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف.

فإن قلت: لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم.

فالجواب أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أباً لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده. وأيضاً فإن قريشاً وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثَرُ الأمة؛ فاعتبرهم دون غيرهم.

وقد قدمنا في هذا الحرف أنَّ الله نسب هذه الأمةَ لإبراهيم؛ لأنه ﷺ يشفع فيهم، والوالد يستحي من زلّة ولده، ولم ينسبهم لآدم؛ لأنه عاملهم بما لم يُعامل به آدم عند ذنوبهم. ألا تراهم يرتكبون كلَّ ساعة المخالفة، وهو يسترهم ويرزقهم ويعافيهم، وإن نادَوْه لَبّاهُمْ، وإن استغفروه غفر لهم؛ وأعظَمُ من ذلك أنه نسبهم إلى الوفاء في قوله تعالى: ﴿وإبراهيمَ الّذي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]؛ ﴿إنَّ إبراهيمَ لَحليمٌ أوّاهٌ مُنِيب﴾ [هود: ٧٥]. وكما أحْيا اللهُ على يديه الطيور، وأظفره بعدوّه النمرود، ولم تصل النار إلى جسده؛ بل أحرق قيوده

ـ كذلك يحيي الله قلوب هذه الأمة المحمدية إذا ندموا على المخالفة، ويُظفرهم بعدوهم إبليس في القيامة ويبرد عليهم النار، فلا يذوقون فيها الماء، كما صح أنهم يموتون فيها إماتة... الحديث بطوله في صحيح مسلم.

فهنيئاً لكم يا أمة محمد على ما خوّلكم له من النعم لحرمة نبيكم، اللهم اجعلنا من أمته، واحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ لا مبدّلين ولا مغَيِّرين.

﴿مِسْكِين﴾ [البقرة: ١٨٤]: مفعيل من السكون، وهو الذي سكنه الفقر؛ أي قلل حركته، وهو أحوَجُ من الفقير.

وقال الأصبعي: بل المسكين أحسن حالاً من الفقير؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿أمَّا السفينةُ فكانت لِمَساكِين﴾ [الكهف: ٧٩]؛ فأخبر أنَّ المسكين له سفينةٌ من سفن البحر، وهي تساوي قيمةً كبيرة.

والصحيح الأول؛ لأن الله قال في أصحاب السفينة: مَساكين، على وجه الإشفاق عليهم، لكونهم يغصبون فيها، أو لكونهم في لجج البحر، ولا سيما على قراءة مَسَّاكين ـ بتشديد السين؛ أي يمسكون السفينة.

﴿مِحْرَاب﴾ [آل عمران: ٣٩]: قد قدمنا أنه مقدم المجلس وأشرفه، والمحراب أيضاً: الغرفة، وجمعه محاريب. وأما قوله: ﴿كلما دخلَ عليها زكريا المحرابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] ـ فالمراد به موضع عبادتها.

﴿مِثْقَال ذَرَّة﴾ [النساء: ٤٠]: أي وزنها، وهي النملة الصغيرة؛ وذلك تمثيل بالقليل تنبيه على الكثير.

﴿مِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]: أي ديناً؛ وفي هذا دليل على أن الله أمر بالدين القيم لجميع العالم. وأما الأحكام والفروع فقد قدمنا أن ذلك مختلف.

﴿مِدْراراً﴾ [الأنعام: ٦]: بناء تكثير من الدر. يقال دَرّ المطر واللبن وغيره. وفي الآية دليلٌ على أنَّ التوبةَ والاستغفار سببٌ لنزول المطر.

﴿مِنْ قَبْلُ كانوا يَعْمَلُون السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨]: أي من قبل إتيان الرسل كانت عادةُ قوم لوط إتيان الفواحش في الرجال.

﴿مِنْ وراءِ إسحاقَ يَعْقوب﴾ [هود: ٧١]: أي من بعده، وهو ولده. وقيل الوراء ولد الولد. ويعقوب بالرفع وبالفتح معطوف على إسحاق.

﴿مِن الزَّاهدين﴾ [يوسف: ٢٠]: أي في قيمة يوسف؛ لأنهم علموا أنه حر، أو بقيمته. وقيل: إن يوسف نظر إلى أسفل الجبّ، فرأى صورة وجهه في الماء فاستحسنه، فخطر بباله: لو كنْتُ مملوكاً لكنت عزيزاً، وعزّ لي ثمني؛ فبعث الله إليه السيارة، وسلّط عليه إخوته حتى باعوه بثمن بَخْس، وأراه أنَّ قيمته بجمال الباطن لا بجمال الظاهر. فلما وصل أسفل الجب، وجاءته السيّارة واشتروه لأن إخوته دبَّروا قتله، ولم يقدروا، وأرادوا بُعْده، والله غالب على أمره، فصيَّره ملكاً.

وأنْتَ يا محمدي دبَّر لك إبليس القطع والهجران، والله يدبِّر لك العفو والغفران، ويصيّرك ملكاً كريماً.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: يا رب، الأمم الماضية خسفْتَ بهم، وأمطَرْتَ عليهم الحجارة، ومسختهم قِرَدة وخنازير، فماذا تصنع بأمتي؟ فقال: يا محمد؛ أصبُّ على أمتك الرحمة من أعنان السماء، وأبدل سيئاتهم حسنات، ولو أني أُحب العتاب ما حاسبْتُ أُمَّتك. فلما أراد الانصراف من عنده قال: إلهي، لكل راجع من سفرة تُحفة، فما تُحْفة أمتي؟ قال: رحمتي لهم ما عاشوا، وبُشْراي لهم إذا ماتوا، وفُسحتي لهم إذا قبروا، وكرامتي لهم إذا بعثوا، وحُبِّي لهم إذا حضروا، ورؤيتي لهم إذا زاروا.

وفي الحديث: إن الشيطان ينادي يوم القيامة أين أحبَّائي وأهل طاعتي من أُمَّة محمد؟ فينادي الجبار جل جلاله: كذبت يا لَعِين، أنت للنار وهم للجبَّار.

﴿مِنْ أهلها﴾ [يوسف: ٢٦]: الضمير لامرأة العزيز؛ يعني أن الصبي الذي

شهد ليوسف كان من أهلها ؛ لأنه أوثق للحجة وأحسن في براءة يوسف. وهذا الصبي هو أحد الأربعة الذين تكلّموا في المهد ، وبَرَّؤُوا أصحابَهم مما رموهم به.

افتَرى الله شهد لكَ بالإيمان وخاطبك به في القرآن، أفتراه يضيّعك بعد شهادته لك ؟.

فإن قلت : هل سمعتْ زُليخا هذه الشهادة من الصبي ؟.

فالجواب أنها لم تسمعه لاستيلاء الشهوة عليها ، فأصمَّ سمعها وبصرها ؛ ولذلك قال ﷺ : حبُّك الشيء يُعمي ويُصم.

﴿مِنَ المُحْسنين﴾ [يوسف: ٣٦]: هذا من قول الفتيان ليوسف، يعني إنّا رأيناك من المحسنين إلى أهل السجن في عيادة مرضاهم، وتعبير رؤياهم، وقضاء حوائجهم؛ فالإحسان أورث يوسف محبةَ أهل السجن فيه.

وأنتَ يا محمدي أولى بمحبة الله لكَ ورحمته، ونصرته ونفي الخوف عنه إن كنت محسناً؛ قال تعالى: ﴿ما عَلَى المُحْسِنين مِنْ سَبِيل﴾ [التوبة: ٩١]. ﴿إنَّ اللهَ مع الذين اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ﴾ [يوسف: ٣٥]: أي الدالة على براءته. والضمير يعود على الملك وزُليخا ، وإنما عرضت به للسجن والعذاب؛ لأنه أيسر الأشياء ، وكانت ترجوه إنْ بَقِي. فكذلك عرض مولانا لنا أيسر الأمرين الفضل والعدل؛ فإن عاملناه بالعقل والعدل عاملنا بالفضل؛ لأن له في الأمور التي يبديها ويخرجها أمرين؛ ألا ترى إلى قصة يوسف عليه السلام كيف مضى عليه حينٌ من الدهر ، وهو مشتغل ببلواه، وغيره مشتغل به وبهواه، حتى إن أباه بكى على فراقه وإخوته بكوا حسداً له، وبكى يوسف على ما ابْتُلي به في صغر سنه وغُربته، وبكت امرأةُ العزيز على محبته، فلما كشف الله الغطاء، وأظهر بدائع لطفه تغيَّرت الأحوال فصار بكاءُ يعقوب وحزنُه على خواتم الأمور فرحاً؛ فحكى اللهُ عنه قوله: يا بني، إن اللهَ اصطفى لكم الدين.

وأما الإخوة فإنهم رجعوا إلى الاستغفار، وقالوا: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين.

وأما يوسف عليه السلام فقال: توفَّني مسلماً وألْحِقني بالصالحين.

وأما زليخا فإنها قالت: الآن حَصْحَصَ الحقُّ.

فكيف تحزن يا محمدي على فَوْتِ الدنيا، وأنت ترى أحوالها وزوالها واضمحلالها، وتدّعي أنك تَطْلُبُ الحقّ؟ هيهات!.

﴿من السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]: إنما لم يقل من الجب، لوجهين: أحدهما في ذكر الجب خزي إخوته وتعريفهم بما فعلوا؛ فترك ذِكْرَه توقيراً لهم.

والآخر أنه خرج من الجب إلى الرقّ، ومن السجن إلى الملك؛ فالنعمة به أكثر.

هذا يوسف لم يرد تعيير إخوته، والمؤمن الذي أطاع مولاه أفتراه يذكره بذنوبه؟ كلاّ والله لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه.

وقد قدمنا أن الكرامات التي كانت للنبي عليه السلام كانت لأمَّته.

﴿من البَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]: أي من البادية، وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعدّ في النعم مجيئهم إلى الحاضرة؛ فيفهم من مقارنة خروجه من السجن ومجيئهم من البادية شؤمها؛ ولذا قال ﷺ: مَنْ بَدَا جَفَا؛ وذلك لتركهم الجمعة، وقلّة الإقامة بالدين، هذا في زمان أهل الخير والدين، وأما في هذا الزمان فالبادية أكثر خلاصاً مع الله لقلّة حبهم في الدنيا، والتصنّع لأهلها؛ وليس الخبر كالعيان، والمشاهد لا يحتاج لبرهان.

﴿مِنَ المُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]: من للتبعيض؛ لأنه لم يعطه الله إلا بعض ملك مصر.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ﴾ [يوسف: ١٠٢]: احتجاج على صحة نبوءة نبينا ومولانا محمد ﷺ لإخباره بالغيوب.

﴿مِحَال﴾ [الرعد : ١٣] : مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنُه مفعل. وقيل معناه شديد المكر، مِنْ قولك محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعال. ويقال المحال من قولهم محل فلان بفلان إذا سعى به إلى السلطان، وعرَّضه للهلاك.

﴿مِنْ كُلِّ شَيء مَوْزُون﴾ [الحجر : ١٩] : أي مقدَّر بقَصْدٍ وإرادة، فالوزن على هذا مستعار. وقيل المراد ما يوزن حقيقة، كالأطعمة والذهب. والأول أحسن وأعم.

﴿المعلوم﴾ [الحجر : ٣٨] : اليوم الذي طلب إبليس أن يُنْظَر إليه هو يوم القيامة، والوقت المعلوم الذي أُنظر إليه هو يوم النّفخ في الصور النفخة الأولى حين يموت مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض. وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلاً منه أو مغالطة، إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبداً لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه وأعطاه الإنظار إلى النفخة الأولى.

﴿مِنْ بَعْدِها لغَفورٌ رَحيم﴾ [النحل : ١١٠]، أي بعد الأفعال المذكورة، وهي الهجرة والجهاد والصبر.

﴿مِنْ دُوني وَكِيلاً﴾ [الإسراء : ٢] : أي رباً تَكِلُون إليه أمركم.

﴿مِنْ لَدُنِّي عُذْرا﴾ [الكهف : ٧٦] : أي قد عذرت إلى معتذر عندي. وفي الحديث : كانت الأولى من موسى نسيانا.

﴿مِنْ كلِّ شيء سبَباً﴾ [الكهف : ٨٤] : أي فهْماً وعلماً يُتَوصل بهما إلى معرفة الأشياء. والسبب : ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك.

﴿مِتُّ قَبْل هَذا﴾ [مريم : ٢٣] : إنما تمنَّتْ مريم الموتَ خوفاً من إنكار قومها، وظنهم بها الشر، ووقوعهم في ذَمّها. وتمني الموت جائز في مثل هذا.

وليس هذا من تمني الموت لضرر نزل بالبدن، فإنه منهي عنه للحديث: لا يتمنى أحدكم الموت لضرر نزل به، وليَقُل اللهم أَحْيني ما كانت الحياة خيراً لي.

وحكي أنه لما اشتد بها الموت قالت هذا.

فإن قلت: ها هي آمنة أمّ مولانا محمد ﷺ لم تَجِدْ ألماً حين ولادته، ومريم وجدت الألم؟.

والجواب أن الله أجرى العادة في هذه الدار أنه على قدر الفرح يكون التَّرَح، ومريم قَرَّ اللهُ عينها بعيسى، وشاهدت معجزاته، وظهور أمره، فاشتدَّ عليها الأَمْرُ، وأُمُّ سيد الأولين والآخرين لم يكن لها منه حظّ، ولم تشاهده، فرفع الله عنها الألم. وقيل العطاء مقسوم على قَدْر البلاء. ألا ترى إلى نوح لمّا يئس من إيمان قومه ولم يفرح بهم وآذَوْه استجاب اللهُ له فيهم، ونبيُّنا علم إيمان أُمّته، واتّباع شريعته، فاحتمل أذاهم، ولم يَدْعُ على قومه، فقال: اللهم اغْفِرْ لقَوْمي فإنهم لا يعلمون.

فإن قلت: قد دعا عليهم بقوله: اللهم أعنّي عليهم بسَبْع كسبع يوسف. وقال لما صب عليه سَلَى الجَزُور: اللهم عليك بقريْش.

والجواب أنه دعا عليهم، لأنه غَضِب لله؛ إذ عادته ﷺ الصفح ما لم تهتك حُرْمته، فيغضب لله؛ وكان حينئذ في الصلاة فدعا عليهم لذلك. وأيضاً فإنه علم ﷺ عدم إيمان المدعوّ عليه، كما صح. وأما دعاؤه بالاستعانة عليهم بالجدب فللطمع في إيمانهم، كقوم يونس.

فتأمل يا محمديّ عنايةَ الله فيك في أزله، فلا تجزع من البلايا والرزايا، فإنما هي تطهيرات. ومقاساة البلية مقسومة على حسب الكرامة، فكما أعد لك من النعيم المقيم ما لا عين رأتْ ابتلاك على حسب ما أعدّ لك. يقول تعالى: عبدي رفعت البلاء عن الملائكة فهم مخفَّفون من الهموم، ولا لهم همّ الرزق، ولا شدة الجوع، ولا ألم المرض، ولا خوف العواقب؛ لأن الجنةَ غير معدودة لهم.

وقد قدرت البلايا والمِحَن والشدائد والهموم، وخوف زوال الإيمان عليك؛

لأن الجنة معدودة لك، والرؤية موعودة لأجلك، ومقاساة البلية مقسومة على حسب القطيعة؛

﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢]: يعني من غير بَرَص ولا عاهة؛ وذلك لحكم:

منها أنه لما أتعب يده حين لطم فرعون في حال صباه أكرم الله يده بأن جعلها بيضاء. وكذلك الخليل أتعب يده بكَسْرِ الأصنام فأكرمه الله بإحياء الطيور على يديه. وكذلك النبي ﷺ أتعب يده بِرَمْي التراب في وجوه الكفار فأكرمه الله بانشقاق القمر بإشارته، ونبع الماء من بين أصابعه.

فالمؤمن الذي يكرم يده بمدها في الطاعة أفتراه لا يكرمها الله بأَخْذ كتابه وتزيينه بأَساور من فضة. وإذا أَتعب رجله بالمشي إلى الجماعة يكرمه بخمود النار تحت قدميه؛ فتقول له: جُزْ يا مؤمن، قد أطفأ نورك لهبي.

وكذلك إذا أتعب قلبه في ردّ وساوس الشيطان يكرمه الله تعالى بنور معرفته ومحبّته.

ولما أكرم تعالى يد موسى بنور النبوة لم تحترق، ولو احترقت لم تكن معجزة؛ وكذلك إسماعيل لما كان نور المصطفى في وجهه ﷺ لم يعمل فيه السكين، وأكرمه الله بنور الحبيب الكريم، وفداه بالذبح العظيم، وحرم عليه العذاب الأليم.

وكذلك العبد إذ أكرمه الله بنور المعرفة والإيمان نَجّاه من النيران وحرم عليه القَطْع والهجران.

ولما كانت يده حجة على فرعون حفظها الله من النار كي لا تبطل حجّته، كذلك المعرفة حجّتُك على الكافرين، فسَلْه أن يحفظ حجتك من الزوال.

ومنها أنّ الله تعالى أراه مِنَّته وهيبته فحفظ يده من النار كي يرى منته، وأحرق لسانه بالجمرة كي يرى هَيْبته، كذلك قصة امرأة عمران قالت: ﴿رَبِّ

إنّي نَذَرْتُ لك ما في بَطْنِي مُحَرَّراً﴾ [آل عمران: ٣٥]، فولدت أنثى كي لا تصلح لتمام الخدمة التي أضمرت في نفسها، لترى هيبته بذلك، فتقبّلها ربها بنقصانها لترى منته.

كذلك قصة الخليل لما قُيِّد ورُمي في النار احترق قَيْدُه ولم تحترق يده؛ ليرى هيبته ثم يرى منَّته، كذلك العبد يوقعه اللهُ في المعصية ثم يحفظ قَلْبَه من الشرك والنكرة لينظر العبد إلى المعصية، فيرى هيبته، ثم ينظر إلى معرفته فيرى مِنّته، ويبقى مع مولاه في رؤية المنة ورؤية الهيبة.

ومنها أنه أخذ الجمرة بإلهام الله وإذن الملك، ووضعها في فمه باختيار نفسه دونَ أَمْرِ ربه، فاحترق لسانه، وكذلك العبد يعصي بنفسه، واختيار هواه، ثم يخاف رَبّه ويندم بقلبه فتذوب نفسُه، فيأمر ربُّه بإدخاله النار، ويحفظ قلبه من ألم الهجران.

﴿مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]: هذا من كلام موسى للسامري، عاقبه بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومواكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقولَ طول حياته: لا مِسَاس؛ أي لا مماس ولا إذاية.

وروي أنه كان إذا مسّه أَحد أصابته الحمّى له وللذي مسه، فصار هو يَبْعُد عن الناس، وصار الناس يبعدون عنه؛ وهذه كانت عقوبته.

والصحيح أنه تاب فقَبِلَ اللهُ توبته.

وروي أن موسى هَمَّ بالدعاء عليه، فنهاه الله عن ذلك، فقال: لم يا رب؟ فقال: لسخائه.

﴿مِشْكاة﴾ [النور: ٣٥]: كوَّة غير نافذة بلغة الحبشة؛ قاله مجاهد؛ وإنما وصفها بذلك لأن المصباح فيها شديد الإضاءة.

وقيل: المشكاة الذي يكون المصباح على رأسه. والأول أصح وأشهر.

﴿مِسْك﴾ [المطففين: ٢٦]: ذكر الثعالبي أنه فارسي، وهو دَمٌ مجتمع في عنق الظبي الذي تبع آدم يبكي عليه، فأكرمه الله بالمسك.

وأنت يا عبد الله إن تتبعتَ أمره يكرمك بالجنة التي فيها أنواع اللذات والطيبات من الروائح، وتشرب من مائه، ختامه مسك.

﴿مِصباح﴾ [النور: ٣٥]: هو الفتيل بناره. والمعنى أنه قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهر؛ لأنه جسم شفاف.

والمعنى أن صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتُصوّره البشر من الإضاءة؛ وإنما شبهه بالمشكاة، وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار.

﴿مِنْسَأته﴾ [سبأ: ١٤]؛ أي عصاته بلغة الحبشة، وقرئت بالهمز وبغير همز.

وقصَّتُها أنَّ سليمان عليه السلام دخل قبةً من قوارير، وقام يصلّي متكئاً على عصاه، فقبض الله رُوحه، وهو متكيء عليها؛ فبقي كذلك سنَةً لم يعلم أحَدٌ بموته حتى سلّط الله عليها دابّة الأرض وهي السوسة. واختصرنا كثيراً مما نقله الناس لعدم صحته.

وحِكْمَةُ ذلك أن الجن كانت تدَّعي عِلْمَ الغيب، فتخبر الناس؛ فرد الله ذلك القول بقوله تعالى: ﴿تبيَّنت الجنُّ أَنْ لو كانُوا يَعْلَمُون الغَيْبَ ما لبِثُوا في العذاب المهين﴾ [سبأ: ١٤]. فعِلْمُ الغيب لا يطَّلِع عليه إلا الله، ومَنْ يُرد اللهُ أن يعلمه من نبي أو صديق.

ورضي الله عن السيد الذي دخل على بعض الملوك فوجده مهموماً، فقال: مالك؟ فقال: رأيتُ ملك الموت، فاختبرته عما بقي من أَجلي، فأشار لي بأصابعه الخمس؛ فلا أدري أخمس ساعات أو أيام أو جمعات أو أشهر أو سنين؟ فقال له: أشار لك إلى أنّ الخمس التي انفرد الله بعلمها في قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ عنده عِلْمُ الساعة...﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

فإذا كان ملك الموت الموكّل بقبض الأرواح لا يعلم أَجَلَ شخص حتى يُؤْمر بقبض روحه فكيف يطّلع الغير على الغيوب؟

ولهذا أبطل العلماء ما يدعـونـه أهـل البطـالـة مـن الاطلاع على الغيـوب، ويستدلّون عليه بأمارات باطلة.

﴿مِيعَاد يَوْم﴾ [سبأ: ٣٠]: يعني يوم القيامة أو نزول العذاب بهم في الدنيا، وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف.

﴿مِرّةٍ﴾ [النجم: ٦]: أي ذو قوة، أو ذو هيئة حسنة. والأول هو الصحيح في اللغة. وقيل: مرة أي محكم الفَتْل.

﴿مِرْصاد، أو مَرْصَد﴾ [النبأ: ٢١، التوبة: ٥]: طريق وانتظار؛ أي تنتظر الكفّار ليدخلوها. وقيل معناه طريقاً للمؤمنين يجُوزُون عليها إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على مَتْن جهنم.

وأما قوله تعالى: ﴿إن رَبّك لبِالْمِرْصاد﴾ [الفجر: ١٤] فهو عبارة على أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكلّ زمان، ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفُوته أَحد من الجبابرة والكفار. وفي ذلك تهديد لكفّار قريش وغيرهم.

وقد كتب بعضُ الفضلاء لمن هدده: فيا للعجب ذبابة تطنّ في أذن الفيل أم بعوضة تعدّ في التماثيل؟ وستندم على ما حدّثتْك نفسك من أماني كاذبة، وخيالات غير صائبة؛ فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تعنّى بالأمراض؛ فسبحان الله! كم بين قوي وضعيف، ودنيء وشريف؛ فإن عُدْنا إلى الظواهر المحسوسات، وعَدَلْنا عن البواطن المعقولات، قلنا أُسْوَة برسول الله ﷺ، حيث قال: ما أُوذِي نبيّ بمثل ما أوذيت، فكانت العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن من أمرنا بالمرصاد واتْلُ أوّلَ النحل وآخر ص.

﴿ما﴾: اسمية وحرفية؛ فالاسمية تَرِدُ موصولة بمعنى الذي نحو: ﴿ما عِنْدَكم يَنْفَدُ وما عِنْد الله باق﴾ [النحل: ٩٦]. ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.

والغالب استعمالها فيما لا يعلم، وقد تستعمل في العالم؛ نحو: ﴿والسماء وما بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]. ﴿ولا أنتم عابِدُون ما أعْبُد﴾ [الكافرون: ٣]؛ أي الله.

ويجوز في ضميرها مراعاة اللفظ؛ واجتمعا في قوله: ﴿ويَعْبُدونَ من دون الله مْا لا يَمْلِك لهم رِزْقاً من السموات﴾ [النحل: ٧٣].

وهذه معربة بخلاف الباقي.

واستفهامية بمعنى أي شيء؛ ويُسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وأجناس العلماء وأنواعهم وصفاتهم؛ نحو: ما هي. ما لَوْنُها. ما ولاّهم. ﴿مَا تِلْكَ بيمينكَ يا موسى﴾ [طه: ١٧]. وما الرحمن. ولا يسأل بها عن أعيان أولي العلم، خلافاً لمن أجازه.

وأما قول فرعون: وما ربُّ العالمين ـ فإنما قاله جَهْلاً؛ ولهذا أجابه موسى بالصفات. ويجب حذف ألفها إذا جُرَّت، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، فَرْقاً بينها وبين الموصول؛ نحو: ﴿عَمّ يتساءلون﴾. ﴿فيمَ أَنْتَ من ذِكْرَاها﴾ [النازعات: ٤٣] ﴿لِمَ تقولُون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢]. ﴿بِمَ يرجع المرسلون﴾.

وشرطية نحو: ﴿ما نَنْسَخْ من آية أو نُنْسها﴾ [البقرة: ١٠٦]. ﴿وما تَفْعَلُوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿فما استقَامُوا لكم فاسْتَقِيمُوا لهم﴾ [التوبة: ٧].

وهذه منصوبة بالفعل بعدها.

وتعجبية نحو: ﴿ما أصبرهم على النار﴾ [البقرة: ١٧٥]. ﴿قُتِل الإنسان ما أكفره﴾ [عبس: ١٧]. ولا ثالث لهما في القرآن إلا في قراءة سعيد بن جُبير: ما أَغرك بربك الكريم.

ومحلّها في رفع الابتداء وما بعدها خبر، وهي نكرة تامة.

ونكرة موصوفة؛ نحو: ﴿بعوضة فما فوقها﴾ [البقرة: ٢٦]. ﴿نِعمّا

يَعِظكم به﴾ [النساء: ٥٨] أي نعما شيء يعظكم. وغير موصوفة نحو: ﴿فنعمّا هي﴾ [البقرة: ٢٧١].

الحرفية ترد مصدرية إما زمانية؛ نحو: ﴿فاتَّقُوا اللهَ ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦]؛ أي مدة استطاعتكم.

أو غير زمانية؛ نحو: ﴿فذُوقوا بما نَسِيتم﴾ [السجدة: ١٤]، أي بنسيانكم.

ونافية إما عاملة عمل ليس؛ نحو: ﴿ما هذا بشر﴾ [يوسف: ٣١]. ﴿ما هُنّ أُمَّهاتِهم﴾ [المجادلة: ٢]. ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٧]. ولا رابع لها في القرآن.

أو غير عاملة؛ نحو: ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وَجه الله﴾. ﴿فما ربحت تجارتُهم﴾. قال ابن الحاجب: وهي لنفي الحال. ومقتضى كلام سيبويه أنَّ فيها معنى التأكيد؛ لأنه جعلها في النفي جواباً لقد في الإثبات؛ فكأنما قد فيها معنى التأكيد، فكذلك ما جعل جواباً لها.

وزيادة للتأكيد إما كافة؛ نحو: ﴿إنما الله إله واحد﴾. ﴿إنما إلهكم إله واحد﴾. ﴿كأنما أغشيت وجوهُهم قِطَعاً من الليل مُظْلما﴾ [يونس: ٢٧]. ﴿ربما يودُّ الذين كفروا﴾.؛

وغير كافّة نحو: ﴿فإمّا ترينّ﴾. ﴿أيّاً مّا تدعو﴾ ﴿أيما الأَجَلَيْنِ قضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨]. ﴿فبما رحمة من الله﴾. ﴿مما خطيئاتهم﴾. ﴿مثلاً مّا بعوضة﴾.

قال الفارسي: جميعُ ما في القرآن من الشرط بعد إما مؤكد بالنون لمشابهته فعل الشرط بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أن ما كاللام في القسم، لما فيها من التأكيد.

وقال أبو البقاء: زيادة ما مُؤْذِنة بإرادة شدة التأكيد.

فائدة

حيث وقعت « ما » قبل « ليس » أو « لم » أو « لا » أو بعد إلاّ فهي موصولة، نحو: ﴿ما ليس لي بحق﴾. ﴿ما لم يعلم﴾. ﴿ما لا تعلمون﴾. ﴿إلاّ ما علّمتنا﴾.

وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهي مصدريّة. وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملها؛ نحو: ﴿بما كانوا يظلمون﴾. وحيث وقعت بين فِعْلين سابقهما علم أو دراية، أو نظر، احتملت الموصولة والاستفهامية نحو: ﴿وأعلم ما تُبْدُون وما كنْتُم تَكْتُمون﴾ [البقرة: ٣٣]. ﴿ما أدْرِي ما يُفعل بي ولا بِكُم﴾ [الأحقاف: ٩]. ﴿ولتَنْظُر نَفْسٌ ما قدَّمت لِغَد﴾ [الحشر: ١٨].

وحيث وقعت في القرآن قبل إلا فهي نافية؛ إلا في ثلاثة عشر موضعاً: ﴿مما آتيتموهن شيئاً إلا أنْ يخافا ألا يُقِيما﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ﴿فنِصْفُ ما فرَضْتُم إلا أن يَعْفون﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ﴿ببعض ما آتَيْتُموهنَّ إلا أنْ يَأْتين﴾ [النساء: ١٩]. ﴿ما نكح آباؤكم مِنَ النساء إلاّ ما قد سلف﴾ [النساء: ٢٢]. ﴿وما أكل السَّبُع إلاّ ما ذَكَّيْتُم﴾ [المائدة: ٣]. ﴿ولا أخافُ ما تشركون به إلا أن يشاء ربي﴾ [الأنعام: ٨٠]. ﴿فَصّل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾ [الأنعام: ١١٩]. ﴿ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨] في موضعي هود. ﴿فما حَصَدْتُم فذَرُوه في سُنْبله إلاّ﴾ [يوسف: ٤٧] ﴿ما قدمتم لهنَّ إلاّ﴾ [يوسف: ٤٨] ﴿وإذ اعتزَلْتُمُوهُم وما يَعْبُدون إلا الله﴾ [الكهف: ١٦] ﴿وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر: ٨٥] حيث كان.

﴿ماذا﴾: ترد على أوجه:

أحدها: أن تكون ما استفهامية وذا موصولة، وهو أرجح الوَجهين في: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة: ٢١٩] - في قراءة الرفع؛ أي الذي ينفقونه العَفْوُ؛ إذ الأصل أن تجاب الاسمية بالاسمية، والفعلية بالفعلية.

الثاني: أن تكونَ ما استفهامية وذا إشارة.

الثالث: أن يكون ﴿ماذا﴾ كله استفهاماً على التركيب، وهو أرجح الوجهين في: ماذا ينفقون قل العَفْوَ ـ في قراءة النصب؛ أي ينفقون العَفْو.

الرابع: أن يكون ماذا كله اسم جنس، بمعنى شيء، أو موصولة بمعنى الذي.

الخامس: أن تكون ما زائدة، وذا للإشارة.

السادس: أن تكون ما استفهاماً، وذا زائدة. ويجوز أن يخرج عليه.

﴿متى﴾: ترد استفهاماً على الزمان نحو متى نَصْرُ الله.

وشرطاً نحو: متى أضع العمامة تعرفوني.

﴿مَع﴾: اسم بدليل جرها بمن في قراءة بعضهم: ﴿هذا ذكر من مَعِي﴾ [الأنبياء: ٢٤]؛ وهي فيها بمعنى عند. وأصلها لمكان الاجتماع، أو وقته نحو: ﴿ودخل معه السجنَ فَتَيان﴾ [يوسف: ٣٦]. ﴿أرْسِله معنا غداً﴾ [يوسف: ١٦] ﴿لن أُرْسِلَه معكم﴾ [يوسف: ٦٦].

وقد يُراد به مجرد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة الزمان والمكان؛ نحو: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾. ﴿واركعوا مع الراكعين﴾. وأما نحو: إنّي معكم. إنّ الله معَ الّذين اتقوا. وهو معكم أين ما كُنْتُم. إنّ مَعِي رَبّي سيَهْدِين ـ فالمراد الحفظ والعلم والمعونة مجازاً.

قال الراغب: والمضاف إليه لفظ مَعَ هو المنصور، كالآيات المذكورة.

﴿من﴾ حرف جر، له معان؛ أشهرها ابتداءُ الغاية، مكاناً وزماناً وغيرهما؛ نحو: من المسجد الحرام. من أوّل يوم. إنه مِنْ سُليمان.

والتبعيض بأَنْ تسدّ «بعض» مسدَّها، نحو: ﴿حتى تُنْفِقُوا مما تحبُّون﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقرأ ابن مسعود بَعْضَ ما تحبّون.

والتبيين؛ وكثيراً ما تقعُ بعد ما ومهما، نحو: ﴿ما يَفْتَحِ اللهُ للناس مِنْ رحمة﴾. ﴿ما نَنْسَخْ من آية﴾. ﴿مهما تَأْتِنَا به من آية﴾.

ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ من الأوثان﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿أساور مِنْ ذهب﴾ [الكهف: ٣١].

والتعليل: ﴿مما خطيئاتهم أُغرقوا﴾ [نوح: ٢٥]. ﴿يجعلون أصابِعهم في آذانهم مِنَ الصَّوَاعق﴾ [البقرة: ١٩].

والفصل بالمهملة وهي الداخلة على ثاني المتضادّين، نحو: ﴿يعلم الْمُفْسد من الْمُصْلح﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿ليميز اللهُ الخبيثَ من الطيب﴾ [الأنفال: ٣٧].

والبدل؛ نحو: ﴿أرَضِيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة: ٣٨]؛ أي بدلها. ﴿لجَعَلْنَا منكُمْ ملائكة في الأرض يَخْلُفُون﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ أي بدلكم.

وتنصيص العموم؛ نحو: ﴿وَمَا مِنْ إلهٍ إلا الله﴾ [آل عمران: ٦٢]. قال الكشاف: هو بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق.

ومعنى الباء: ﴿ينْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ﴾ [الشورى: ٤٥]؛ أي به.

وعلى؛ نحو: ونصرته من القوم؛ أي عليهم.

وفي؛ نحو: إذا نُودِي للصلاة من يوم الجمعة؛ أي فيه.

وفي الشامل، عن الشافعي: أن من في قوله: ﴿وإن كان مِنْ قوم عدوّ لكم﴾ بمعنى في؛ بدليل قوله: ﴿وهو مُؤْمن﴾.

وعن؛ نحو: ﴿قد كُنّا في غَفْلَةٍ من هذا﴾، أي عنه.

وعند، نحو: ﴿لن تُغْنِيَ عنهم أَمْوَالُهم ولا أولادُهم من الله﴾ [آل عمران: ١٠]؛ أي عنده.

والتأكيد؛ وهي الزائدة في النفي، أو النهي أو الاستفهام؛ نحو: ﴿وما تسقط

من ورقة إلا يَعْلَمُها﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿ما تَرى في خَلْقِ الرحمن من تَفَاوت فارْجِع الْبَصَرَ هل تَرَى مِنْ فُطُور﴾ [الملك: ٣]. وأجازها قوم في الإيجاب، وخرجوا عليه: ﴿ولقد جاءَكَ مِنْ نَبَأ الْمُرْسَلِين﴾ [الأنعام: ٣٤]. ﴿يُحَلَّوْن فيها مِنْ أساوِر﴾ [الكهف: ٣١]. ﴿مِنْ جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَد﴾ [النور: ٤٣]. ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبصارهم﴾ [النور: ٣٠].

فائدة

أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق السدّي، عن ابن عباس، قال: لو أنّ إبراهيم حين دعا قال: اجعل أفئدة الناسِ تَهْوِي إليهم لازدحمت عليه اليهودُ والنصارى، ولكنه خص حين قال: أَفئِدةً من الناس، فجعل ذلك للمؤمنين.

وأخرج عن مجاهد، قال: لو قال إبراهيم: فاجعل أَفئدة الناس تهوي إليهم لزاحمتكم عليه الروم وفارس؛ وهذا صريح في فهم الصحابة والتابعين التبعيض من ﴿من﴾. وقال بعضهم: حيث وقعت يغفر لكم في خطاب المؤمنين لم تذكر معها من، كقوله في الأحزاب. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله وقولوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لكم أعمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لكم ذنوبَكم﴾ [الأحزاب: ٧٠]. وفي الصف: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة...﴾ [الصف: ١٠] الآية. إلى قوله: يغفر لكم ذنوبكم. وقال في الكفار في سورة نوح: يغفر لكم من ذنوبكم، وكذا في سورة الأحقاف؛ وما ذلك إلا للتفرقة بين الخطابين لئلا يُسوّي بين الفريقين في الوعد. ذكره في الكشاف.

﴿مَن﴾ بالفتح: لا تقع إلا اسماً؛ فترد موصولة كما قدمنا مراراً، كقوله: ومَنْ عنده لا يستكبرون عن عبادته. وشرطية نحو: مَنْ يعمل سوءاً يُجْزَ به. واستفهامية نحو: مَنْ بعثَنَا مِنْ مَرْقدنا. ونكرة موصوفة: ومن الناس مَنْ يقول؛ أي فريقاً يقول. وهي كما في استوائها في المذكر والمفرد وغيرهما.

والغالب استعمالها في العاقل، عَكْس ما. ونكتَتُه أن ﴿ما﴾ أكثر وقوعاً في

الكلام منها، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل، فأعطوا ما كثرت مواقعه للتكثير. وما قلّت للتقليل، للمشاكلة؛ قال الأنباري: واختصاص مَنْ بالعاقل وما بغيرها في الموصولين دون الشرط؛ لأن الشرط يستدعي الفعل ولا يدخل على الأسماء.

﴿مَهْما﴾: تقع اسماً يعود الضمير عليها في: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾ [الأعراف: ١٣٢]. قال الزمخشري: عاد عليها ضمير به وضمير بها حملاً على اللفظ، وعلى المعنى. وهي شرط لما لا يعقل غير الزمان كالآية المذكورة، وفيها تأكيد؛ ومن ثم قال قوم: إن أصلها ما الشرطية وما الزائدة، أُبدلت ألف الأولى هاء دَفْعاً للتكرار.

حرف النّون

﴿نوح عليه السلام﴾ : من أولاد آدم عاش بعد الطوفان ستين سنة، وبعثه الله بعد إدريس، وهو أولُ مَنْ صنع السفينة بأَمْرِ الله، وكانت سببَ نجاته ومَنْ آمنَ به، وتنسلت الخلق من أولاده: سام، وحام، ويافث؛ ولذلك يقال له آدم الأصغر؛ لأن المؤمنين الذين كانوا معه في السفينة انقرضوا، وكان اسمه يشكر فَمرَّ على كلب ميت فجعل يده على أَنْفه، وقال: ما أقبح رائحته؛ فقال له جبريل: يقول لك ربك اخْلُقْ أَنْتَ مَنْ هو أحسن رائحة منه، فبكى على ذلك أربعين سنة. فقال له جبريل: يا نوح، كم تَنُوح! يكفيك من هذا النوح.

فانظر هذه السياسة العظيمة، والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه من خلقه، قال تعالى: ﴿إنّ اللهَ اصْطَفَى آدم ونوحاً وآل إبراهيم﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ وكان في احتمال المشقة من قومه غاية حتى ضاق ذَرْعه منهم، ودعا عليهم؛ فأجاب اللهُ دعاءَه، ونَجّاه ومَنْ معه، وسلم عليه في قوله: ﴿سَلامٌ على نُوحٍ في العالمين﴾ [الصافات: ٧٩]. ﴿قيل يا نوح اهْبِطْ بسلام مِنّا﴾ [هود: ٤٨].

﴿نبيئا﴾ : مشتق من الإنباء، وهو الإخبار؛ لقوله تعالى: ﴿ذلك مِنْ أنباء الغَيْب﴾ [آل عمران: ٤٤]. ﴿نَبِّئْنَا بتَأْوِيله﴾ [يوسف: ٣٦].

وقيل هي مشتقة من الرفعة والتفضيل؛ لقوله تعالى: ﴿وكان رسولاً نبيئا﴾ [مريم: ٥١]. ومنه الحديث: كنت نبيئاً وآدمُ بين الماء والطين، يعني في علمه سبحانه. فأَمّا أَنْ يكونَ نبيئاً حقيقة وهو غير موجود فلا يتصور؛ لأن كونه نبيئاً يدل على وجوده عليه الصلاة والسلام، وكلُّ نبيء مخبر، وليس كل مخبر نبيء؛ إذ لا يجوز استعمال هذا الاسم في غير الأنبياء، وإن كان المخبر صادقاً.

﴿نظر﴾ : له معنيان من النظر، والانتظار؛ ومن الانتظار يتعدّى بغير حرف. ومن نظر العين يتعدى بإلى، ومن نظر القلب يتعدّى بفي.

﴿أَنْدَاداً﴾ [البقرة: ٢٢]: جمع ند، وهو المضاهي والمماثل والمعاند؛ والمراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله؛ والمقصود الأعظم منها الأمر بتوحيد الله، وتَرْك ما عُبد من دونه، وذلك هو الذي يترجم عليه بقولنا: لا إله إلا الله؛ فيقضي ذلك الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول لا إله إلا الله الذي تنزَّهَتْ عن سمة الحديث ذاته، ودَلَّت على وحدانية آياته؛ الأول الذي لا بداية لأزليته، الآخر الذي لا نهاية لسَرْمَدِيّته، الظاهر الذي لا شك فيه، الباطن الذي ليس له شبيه، كلم موسى بكلامه القديم المنزّه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، ولا بحروف ترجع، كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء، جلّ ربنا وعلا وتبارك وتعالى.

﴿نكالاً﴾ [البقرة: ٦٦]: عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخّر. وقيل عبرة لمن تقدم وتأخر؛ والمراد بهم في البقرة أصحابُ السَّبْتِ؛ ليتعظَ بهم من يأتي بعدهم. وأما قوله تعالى: ﴿فأخذَه اللهُ نَكَالَ الآخرةِ والأولى﴾ [النازعات: ٢٥]. فالمعنى أنه غرقه في الدنيا ويُعذبه في الآخرة. وقيل الآخرة قوله: أنا رَبُّكم الأعلى. والأولى قوله: ما عَلِمْتُ لكم مِنْ إلهٍ غيري. وقيل بالعكس.

والمعنى أخذه الله وعاقبَه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى.

وروي أنه لما ادَّعَى الربوبية أراد جبريل أن يعذّبه ويخسف به الأرض، فرجع إلى ربه في شأنه، فقال له: مهلاً يا جبريل؛ فإنما يستعجل بالعذاب مَنْ يخاف الفوت، وكذلك العبد العاصي إذا أسْرف على نفسه يتوقع من الله العذاب والمِحْنَة، فينعطف الله عليه بالمحبة والمعرفة.

وقيل: إن الله أمهله أربعين سنة: عَشرة لبِرِّه بوالديه، وعشرة لبره بالطعام، حتى إنه اتخذ إبرة من ذهب يلتقط بها ما يسقط منه، وعشرة لسخائه وكرمه،

وعشرة لتضرعه إلى الله وتمرّغه في الرماد؛ ويقول: يا رب، إنّ حُبّ الدنيا قد غلب عليّ وأنا أعلم أنك ربّ الكل.

﴿نَنْسخ مِنْ آية أو نُنْسِها﴾ [البقرة: ١٠٦]: من النسيان، وهو ضد الذكر، أي ننسها النبي ﷺ بإذن الله، كقوله: ﴿سَنُقْرِئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ [الأعلى: ٦]. أو بمعنى الترك، فتركها غير منزّلة عليك أو غير منسوخة، وقرىء بالهمز بمعنى التأخير؛ أي نؤخر إنزالها أو ننسخها.

وقد قدمنا الكلام في الناسخ والمنسوخ.
وقرىء بضم النون، أي نأمر بنسخه.

﴿نَبْتَهل﴾ [آل عمران: ٦١]: من اللعنة، نقول: لعنَةُ الله على الكاذب منّا ومنكم. هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه، وإن لم يكن لعنة. ولما نزلت الآية أرسل رسولُ الله ﷺ إلى نصارى نَجْران ودعاهم إلى المباهلة، ودعا بعلي وفاطمة والحسن والحسين، فلم يقدروا على المباهلة لعلمهم أنهم على الباطل، وأعطوا الجزية على البقاء في دينهم.

﴿نَطْمِسَ وُجوهاً﴾ [النساء: ٤٧]: نمحو ما فيها من عَيْن وأنْف وحاجب، حتى تصير كالأدبار في خُلوّها عن الحواس.

﴿نلعنهم كما لَعَنّا أَصحابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧]؛ أي نمسخهم كما مسخنا أصحابَ السبت الذين قلنا لهم: ﴿كونوا قِرَدةً خاسِئين﴾ [البقرة: ٦٥]، أو يكون من اللعن المعروف؛ والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها؛ أو يعود على الذين أُوتوا الكتاب على الالتفات.

قال شَهْر بن حَوْشَب، عن كعب الأحبار: كان أبي من مؤمني أهلِ التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، وكان من أعلم الناس بما أنزل الله في التوراة وبكتب الأنبياء؛ ولم يكن يدخر عني شيئاً، فقال لي يوماً: يا بني؛ إني قد حضرتني الوفاة، وقد علمت أني لم أدّخر عنك شيئاً مما كنْتُ أعلم، غير

ورقتين ذكر فيهما النبيُّ المبعوث؛ وقد أظَلّ زمانه، وكرهت أن أخبرك بذلك، ولا آمن عليك بعد وفاتي من بعض هؤلاء الكذّابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك، وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما؛ فلا تتعرض لهما ولا تظهرهما زمانَك هذا، وأَقِرَّهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي؛ فإذا خرج فاتّبعه، وانظر فيهما؛ فإن الله يزيدك بذلك خيراً كثيراً.

فلما مات والدي لم يكن أَحبّ إليّ من انقضاء المأتم، حتى أنظر ما في الورقتين؛ فلما انقضى المأتم فتحت الكُوّة، ثم استخرجت الورقتين؛ فإذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين، مولدهُ بمكة، ومهاجره بطيبة، ليس بفَظّ ولا غليظ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح؛ أمتُه الحمّادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال، وتذلّلُ ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم على كل مَنْ ناوأه؛ يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم، وأناجِيلُهم في صدورهم، وهم يأكلون قُرْبانهم في بطونهم، ويؤجرون عليها، وتراحُمهم بينهم تراحمُ بني الأب والأم؛ وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم؛ وهم السابقون والمشفّع لهم.

فلما قرأت هذا قلتُ في نفسي: والله ما علمني شيئاً خيراً لي من هذا.

فمكثت بهذا ما شاء الله، حتى بُعث النبي ﷺ، وبيني وبينه بلادٌ بعيدة، لا أقدر على إتيانه.

وبلغني أنه خرج بمكة فهو يظهر مرة ويستخفي أخرى؛ فقلت: هو هذا، وتخوّفت ما كان والدي خوّفني وحذّرني من الكذابين، وجعلت أحبُّ أن أتبين وأتثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أَتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه، وجعلتُ ألتمس السبيل إليه، فلم يُقَدّر لي، حتى بلغني أنه توفي صلوات الله وسلامه عليه؛ فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنْتُ أظن. ثم بلغني أنّ خليفته قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلاً حتى جاءتنا جنودُه، فقلت في

نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهُم الذين كنت أرجو وأنتظر؟ وكيف سيرتهم وأعمالهم؛ وإلى متى تكون عاقبتهم.

فلم أزل أَدْفَع ذلك وأُؤخره لأتبين وأتثبت، حتى قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فلما رأَيْتُ صلاةَ المسلمين وصيامهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء علمتُ أنهم هم الذين كنت أنتظر؛ فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذ رجل من المسلمين يقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أُوتوا الكتابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لما معكم...﴾ [النساء: ٤٧] الآية، فلما سمعتها خِفْتُ ألا يصبح حتى يحول الله وجهي من قفاي، فلما أصبح غدوتُ على عمر، فأسلمت حين أَصبحت.

وقال كعب لعمر عند انصرافه إلى الشام: يا أمير المؤمنين؛ إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي فيها بنو إسرائيل مفتوحة على يَدِ رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سِرُّه مِثْلُ علانيته، وعلانيتهُ مثلُ سرّه، لا يخالف قوله فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعُه رهبان بالليل أُسُود بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثَكِلَتْك أُمُّك! أحقٌّ ما تقول؟ قال: أي والذي أنزل التوراةَ على موسى، والذي يسمع ما نقول؛ إنه لَحقّ. فقال له عمر: الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا، وأكرمنا ورحمنا بنبينا محمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء.

﴿نَقِيرا﴾ [النساء: ٥٣، ١٢٤]: هو النقرة التي في ظَهْر النّواة؛ وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء؛ ويبخلون بما هو أكثر منه من باب الأَوْلى.

﴿نَطِيحة﴾ [المائدة: ٣]: هي التي نطحتها بهيمةٌ أخرى حتى ماتت.

﴿نَقِيباً﴾ [المائدة: ١٢]: هو نَقيب القوم القائم بأمورهم.

﴿نَعَم﴾ [المائدة، ٩٥]: هي الإبل والبقر والغنم خاصة، وجمعه أنعام، لا واحد له من لفظه.

﴿نَفَقاً في الأرض﴾ [الأنعام: ٣٥]؛ أي منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض. وهذه الآية في سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ؛ لأنه كان شديدَ الحِرْص على إيمانه قومه؛ فقيل له: إن استَطعْتَ أَن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم بآية يؤمنون بسببها فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك؛ فاستسلم لأمر الله.

﴿نبأ﴾ [الأنعام: ٦٧]: خبر. ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترك الهمز تخفيف. وقيل: إنه عند من ترك الهمز مشتق من النبوة، وهي الارتفاع.

﴿نَصْر﴾ [الأعراف: ١٩٢]: بالصاد معروف، وبالسين اسم صنم. ومنه: ﴿يَعُوق ونَسْرا﴾ [نوح: ٢٣]، واسم طائر أيضاً.

﴿نَكِد﴾ [الأعراف: ٥٨]: عسر. وقيل: أربع كلمات في أربعة كتب: في التوراة الحسود يموت كمداً. وفي الإنجيل البخيل تأكل ماله العدا. وفي الزّبور: الظالم لا يفلح أبداً. وفي الفرقان: ﴿والذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نكِدا﴾ [الأعراف: ٥٨].

﴿نَتَقْنا الجَبلَ فوقهم﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي رفعناه، والضمير لبني إسرائيل؛ يعني أن الله قال لهم: خُذوا التوراة، فأبوا من أخذها، فاقتلع الجبَل ورَفَعه فوقهم كأنه ظُلّة... الآية.

ومنه قولهم: نتَقَتِ المرأةُ إذا أكثرت الولد.

وأين هؤلاء القوم من هذه الأمة المحمّدية، حيث أخذوا الكتابَ بقوة، فصاروا يَتْلُونه آناءَ الليل والنهار، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكّرون في خَلْقِ السموات والأرض؛ ولهذا أكرمهم الله تعالى مُثَنَّيات لم يُعْطِها غيرهم: مكة، والمدينة؛ والقبلة اثنان: الكعبة وبيت المقدس. والدعاء اثنان: الأذان والإقامة؛ والجهاد اثنان: مع الكفار، والمنافقين. والصبر اثنان: مع الله بالرضا ومع الأمة بالنفس. والدعاء اثنان: في الدنيا: ربّنا لا تؤاخذنا. وفي الآخرة:

﴿يوم لا يُخْزِي اللهُ النبيّ والذين آمَنُوا معه﴾ [التحريم: ٨]. ﴿ثُلّة مِنَ الأَولين. وثُلّة من الآخرين﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]. والشفع والوتر، والليالي العشر.

وهذه كلّها خاصة بهذه الأمة المحمدية؛ ولهذا أَخَّر اللهُ حسابَ الأمم كلها إلى يوم القيامة، وحرّم الجنة على سائر الأمم حتى يدخلها هو ﷺ وأمّته؛ لأنها دارهم.

ولما أَخذوا الكتابَ بقوّة ورِضاً سهّله اللهُ عليهم، ويَسَّرَه لهم، حتى إن منهم من يختمه في كلّ ساعة، ومنهم من يختمه اثنا عشر ألف بالليل، واثنا عشر ألف بالنهار؛ وأعظم من ذلك أنّ الله سهَّل حِفْظَه عليهم، حتى أن حبيباً حفظه وهو ابنُ خمس سنين، وآخر حفظه في النوم؛ وأَعطاهم إجابة الدعاء عند خَتْمِه، وقَرّبهم عند السجود له، وذكَّرهم بالفلاح إذا أنفقوا أموالهم، واشترى منهم أنفُسَهم، والهداية إذا جاهدوها، وقبل التوبة إذا وافقوها، والكفاية إذا توكلوا عليه، والزيادة من النعم إن شكروه، والإجابة إذا دعوه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، وغفر لهم قبل أن يستغفروه.

﴿نكَصَ على عَقِبيه﴾ [الأنفال: ٤٨]؛ أي رجع إلى وراء، وهو إبليس لمـّا تصور لقُريش حين خرجوا إلى بَدْر على صورة سُراقة بن مالك، وقال لهم: إني جارٌ لكم مِن قَوْمي، وأنصركم بجندي، فلما رأى الملائكةَ خاف ورجع القهقرى، وقال: إني أَرى ما لا تَرَوْن.

﴿نجَس﴾ [التوبة: ٢٨]: كل ما ينجس، وسَمَّى اللهُ الكافر بأنه نجس لكُفْره؛ وقيل لجنابته فيُمنع من دخول المسجد. وأباح الشافعي دخوله في كل مسجد ما عدا المسجد الحرام؛ وأباح أبو حنيفة دخولَ المشركين المساجد ما عدا المسجد الحرام؛ وأباح دخول أهلِ الكتاب في المسجد الحرام. وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم. وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد في مَنْع جميع الكفار من جميع المساجد.

﴿نسيء﴾ [التوبة : ٣٧] : هو في اللغة الزيادة. ومعنى : ﴿ إنما النَّسِيء زيادة في الكُفْر﴾ [التوبة : ٣٧] ، أنّ العرب كانوا أصحاب حروب وغارات، فشقّ عليهم تَرْكُها في الأشهر الحرم؛ لأنها كانت محرّمة عليهم، فيحرمون شهراً آخر بدلاً من الشهر الحرام. وربما أَحلُّوا المحرم وحرموا صفر، حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة.

﴿نَخُوض ونَلْعب﴾ [التوبة : ٦٥] : من كلام وديعة بن ثابت؛ بلغ النبي ﷺ أنه قال: هذا يريد أَنْ يفتتح قصور الشام، هيهات هيهات! فسأله عن ذلك، فقال: كنا نخوض ونلعب.

﴿نَقمُوا﴾ [التوبة : ٧٤] ؛ كرهوا غايةَ الكراهة ؛ أي عابوا الغنى الذي كان حقّه أن يشكروا عليه ؛ وذلك في الجلاس أَوْ فِي عبد الله بن أبيّ.

﴿نَسُوا اللهَ فنَسِيهم﴾ [التوبة : ٦٧] ؛ أي غفلوا عن ذكره فتركهم من رحمته وفَضْله.

﴿نَكِرَهم﴾ [هود : ٧٠] : وأَنكرهم واستنكرهم بمعنى واحد. وضمير الجمع يعودُ على الرسل الذين جاؤوا إبراهيم فقدّم لهم الطعام، فخاف منهم لمّا لم يأكلوا طعامه.

﴿نَذير﴾ [هود : ٢] : منذر. وأنذر أعلم بالمكروه قَبْل وقوعه. والمنذرين. وكيف كان عذابي ونُذر؛ فهو مصدر. والنذير بغير ألف، ومنه: أَعْذَرَ ثم أنذر. وليوفوا ﴿نذورهم﴾ [الحج: ٢٩].

﴿نرتع ونلعب﴾ [يوسف: ١٢] : بالنون، فهو ضمير إخوة يوسف؛ وإنما قالوا نلعب لأنهم لم يكونوا حينئذٍ أنبياء. وقيل: إن اللعب من المُباح لتعلُّم القتال كالمسابقة بالخيل.

ومن قرأه بكسر العين فهو من الرّعي، أي من رَعْي الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض ومواساته.

ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع؛ وهو الإقامة في الخصب والتنعم. والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل، ووزنه على الأول نفتعل.

ومن قرأ يرتع ويلعب ـ بالياء فالضمير ليوسف.

﴿نَسْتَبِق﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي نجري على أقدامنا لننظر أيّنا يسبق، أو من المسابقة في الرمي.

﴿نتَّخِذه ولداً﴾ [يوسف: ٢١]: من قول العزيز الذي اشتراه بوَزْنه ذهباً، يعني نتبنّاه.

﴿نَاجٍ منهما﴾ [يوسف: ٤٢]؛ أي من الساقي، والذي رآه أنه يعصر الخمر، يعني أن يوسف قال للذي ظن أنه ينجو: اذكرني عند ربك. والظن هنا بمعنى اليقين؛ لأن قوله: قُضِي الأمر ـ يقتضي ذلك. أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن، وذلك أن رسولَ الملك جاء هذا الساقي بعد ثلاثة أيام، وأخرجه من السجن، وخلع عليه، وذهب به مكرَّماً إلى الملك؛ فقال له يوسف عند خروجه: اذكرني عند ربك؛ فتزلزلت الأرض، وانشقَّ الجِدار، وجاء جبريل، وقال: يا يوسف؛ إن الله يقول لك: مَنْ حَبَّبَك في قلب يعقوب؟ فقال: ربي. ومن أنجاك من يَدِ إخوتك؟ قال: ربي، قال: ومن حفظك في قعر الجب؟ قال: ربي، ومن أعشق فيك زليخا؟ قال: ربي، ومن أَنْجاك من كيدها؟ قال: ربي. فقال جبريل: إنّ ربّك أَحْسن إليك هذا الإحسان فأيَّ عجز رأيت منه حتى استغَثْتَ بالملك الديّان؟ يا يوسف، إن جدك إبراهيم لم يستغث بجبريل حين قال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا؛ وجَدّك إسماعيل لم يستَغث من إبراهيم وقت القُربان، ولكن قال: ستَجِدني إنْ شاءَ اللهُ من الصابرين. وأنت لم تصبر في السجن ثلاثة أيام، وتركْتَ استغاثةَ الديان.

فخرَّ يوسف ساجداً، وبكى أربعين يوماً، وقال: إلهي بحرمة جدي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وبحقِّ والدي يعقوب إلاَّ رَحَمْتَني، وتجاوزتَ عني؛ فجاء جبريل عليه السلام. وقال: إن الله تعالى يقول: عفَوْت عنك، ولكن حكمتُ ببقائك في السجن سبع سنين.

هذا رسول الله حُبِس على كلمةٍ سبع سنين، فكيف بك يا عاص خمسين سنة أو أكثر؛ فتفكر بقلب وَاع، كيف يكون حالُك؟ فإن أردت الحال الحميدة فعليك بالتوبة والإقلاع؛ فإن الله أمنك في الدنيا بقوله تعالى: ﴿فلا يخاف ظُلْماً ولا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، وفي حال النزع: ألاّ تخافوا ولا تحزنوا، وفي القيامة: لا خوف عليكم ولا أنتم تَحْزَنون، وفي الجنة: ادخلوها بسلام آمنين.

﴿نَكْتَل﴾ [يوسف: ٦٣]: وزنه نفتعل؛ وهذا من قول إخوة يوسف لأبيهم حين أرادوا المُعَاوَدة إلى الطعام بسبب المجاعة التي كانت ببلادهم.

ورُوي أن جبريل قال ليوسف: إن إخوتك جاءوا إليك فم تعاملهم؟ فقال: آذَوْني كثيراً، ولا أدري إلاّ العفو والتجاوز. فقال له: بهذا أمرك الله.

قال بعض العلماء: إخوة يوسف جاءوا إليه ثلاث مرات: أولاً محتاجين سائلين، فأكرمهم وأعطاهم النعمة، وقال: اجعلوا بِضَاعَتهم في رِحَالهم. وجاءوا في الثانية متكبّرين فَرِحين، فرجعوا مغمومين حين قال لهم يوسف: ارْجعُوا إلى أبيكم؛ لأن يوسف كان ملكاً، والملوك لا تحبُّ المتكبرين. وجاءوا في المرة الثالثة بالابتهال والتضرع، فرجعوا فرحين مسرورين؛ لأن يوسف عليه السلام كان رحيماً؛ والرحيمُ يحب مَنْ تضرع.

﴿نمير أَهْلَنا ونحفَظُ أَخانا ونَزْدَادُ كَيْلَ بَعير﴾ [يوسف: ٦٥]: هذا من كلام إخوة يوسف لما قال لهم: ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم... الآية. فطلبوا من أبيهم، وواعدوه بالميرة وهي سوق الطعام؛ وواعدوه بحفظ أخيهم لما تقدَّم منهم من الجفاء؛ وعدم الوفاء؛ وأخبروه بوفاء الملك لهم إنْ أتوه به، وأعانهم يوسف على ذلك؛ فجعل البضاعةَ في رحالهم ليكون لهم تقويةً على الرجوع إلى مصر مرةً أخرى، حتى يرى يوسف أخاه، وكذلك كتم اللهُ بضاعة الإيمان في قلب المؤمن ليكون له تقوية للوصول إلى جنته، حتى يرى المولى؛ فلما سمع يعقوب مقالهم أسْلم لهم بنيامين وأخذ عليهم العَهْدَ: ﴿لَتَأْتُنَّني به إلا أَنْ يُحَاط بكم﴾ [يوسف: ٦٦]؛ أي تغلبوا، فلا تطيقون.

فدخلوا على يوسف وهو على سرير في حجاب، فلما رآه بنيامين تذكر يعقوب وبكى بُكاء كثيراً، ثم أمر الحاجب بسؤالهم عن أبيهم، فسألهم، فقالوا له: هو في البكاء والحزن والتضرع، ثم أمر برفع الحجاب، فسلّموا جميعاً عليه، وأعطاه بنيامين كتابَ أبيه، فأخذه وقَبّله، ثم أَرْخَى الستر عليه، وقرأ الكتاب؛ فإذا فيه الوصية على ولده، وما جرى ليوسف من قبله؛ فبكى وغيض دَمْعُه، ثم أمر بالطعام فأحضر، وأمرهم بالجلوس مَثْنَى مثنى، من كان لأب وأم في مائدة واحدة، فبقي بنيامين وَحيداً فبكى، فسألهم مِمّ بكاؤه؟ فقالوا: كان له أخ لأمه فأكله الذئب، فقال يوسف: اجلس معي يا فتى، ولا تأكل وحيداً؛ فلما دنا من يوسفِ ورآه غُشي عليه، فلما أفاق قال له يوسف: أنا أخوك فلا تَبْتَئس بما كانوا يعملون.

والنكتة فيه أنّ بنيامين كان وحيداً متحيّراً غريباً، فقال له يوسف: أنا أخوك؛ وموسى كان متحيّراً غريباً، فقال الله له: إني أنا ربك فاخْلَعْ نَعْلَيْك. كذلك العاصي إذا تحيَّر في بعض المعاصي والذنوب، يقول الله تعالى: إني أنا الغفور الرحيم - يعني إذا تاب وأقلع.

وقد قدمنا أن الله تعالى وعد بغفران ذنوبه وتبديلها حسنات ومحبّته ودخول الجنة وفلاحه.

فإن قلت: كيف عرفهم هو ولم يعرفوه؟ وعرفه بنيامين؟.

والجواب أن يوسف كان وفيّاً وإخوته جُفاة، فشؤم الجفاء أعمى قلوبهم حتى لم يعرفوه؛ لأن الجفاءَ يمنع المعرفة والصفاء، جفاء يوسف أثَّر في قلوبهم حتى لم يعرفوه، فمن جَفَا مولاه سبعين سنة أو أكثر كيف لا يخاف منه أن يسلبه معرفته وقْتَ النزع، قال تعالى: ﴿ونُقَلِّبُ أَفئدتَهم وأَبصارهم...﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية. وقد صح أن الجفاء يأتي بالغضب، ويذهب بالعفَّة، ويأتي بالمخالفة، ويذهب بالمراقبة، ويأتي بالمنازعة، ويذهب بالصلح، ويأتي بالفرقة، ويذهب بالوصلة؛ ويأتي بالبُغْض، ويذهب بالمودة، ويجعل صاحبه أجنبياً، ويذهب بالصلح.

وقيل: إنما عرفهم لأنهم كانوا على صفتهم التي رآهم يوسف أوّلاً، ولم يكن يوسف على الصفةالتي كان عليها من الصغر.

وقيل: إن يوسف لم يقطع الرجاء عن رؤيتهم؛ بل كان يتفكر فيهم؛ فلذلكَ عرفهم، وهم قطعوا الرجاء عن رُؤْيته؛ فلذلك لم يعرفوه.

والإشارة فيه أنّ قَلْبَ العبد إذا كان مشغولاً بمحبة الرب عرفه من غير رؤية. وقلب الكافر كان مشغولاً بمحبة الصنم فلذلك لا يعرفه حين يرى الدلائل الظاهرة.

وقيل: إنه كان مُتَبَرْقِعاً، فلذلك لم يعرفوه، ودخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك.

وقصته من أولها إلى آخرها عجيبة، كما قال تعالى: ﴿آياتٌ للسائلين﴾. وقد تكفل بجمعها وما فيها من النكت والإشارات والفوائد الإمام الهمداني وهو عجيب لمن تأمّله.

﴿نَزَغَ الشيطانُ بَيْنِي وبَيْنَ إخْوتي﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي أفسد وأغوى. وإنما قال يوسف هذا القول لما رأى من لطف الله تعالى، حيث أضاف الكذب إلى القميص، فتأدَّب وأضاف ذَنْبَهم إلى الشيطان والإخوة إلى نفسه، ولم ينفهم عن نفسه، لكيلا يهتك أستارهم، وتسوء ظنونهم.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿إنما استَزَلَّهم الشيطانُ ببَعْض ما كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] حتى تتأدب الملائكة بذلك، فلا يذكرون في القيامة زلّتك ولا يهتكون سترك.

﴿نَار السَّمُوم﴾ [الحجر: ٢٧]: أي حرها. وهذا من قول إبليس بزَعْمِهِ الفاسد أن النار أقوى من الطين؛ وليس كذلك؛ بل هي في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق، فلما ظنَّ إبليس أن صعودَ النار وخفّتها تقتضي فَضْلاً على سكون الطين وبلادته قاس أن ما خلق منها أفضل مما خلق من الطين، فأخطأ قياسه، وذهب عنه أن الروح الذي نفخ في آدم ليس من الطين.

وهذا التعليل يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زَعْمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس، فكفْرُه كفرٌ مجرد.

قيل: إن لجهنّم سموم، ولسمومها نار تكون بين سماء الدنيا وبين الحجاب وهي النارُ التي تكون منها الصواعق.

﴿نَفيرا﴾ [الإسراء: ٦]: أي عدداً. وهو مصدر من قولك: نفر الرجل إذا خرج مسرعاً، أو جمع نفر.

﴿نَأَى بِجَانِبه﴾ [الإسراء: ٨٣]: أي بعد، وذلك تأكيد وبيان للإعراض. وقريء ناءَ ونأى، وهما بمعنى واحد. ويقال النأي الفراق، وإن لم يكن ببُعد.

﴿نَفِد البَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩]: فني. ومعنى الآية: لو كتب عِلْمُ الله بمداد البحر لنَفد البَحْر ولم ينفد علم الله؛ وكذلك لو جيء ببحر مثله كما قدمنا.

﴿نادى ربَّه﴾ [مريم: ٣]: أي دعاه. والضمير لزكريا؛ وإنما ناداهُ حين رأى من مريم الكرامات التي ذكر اللهُ، من وجُود فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فحينئذٍ طلب الولد فأجابه الله بيحيي.

﴿نَدِيّا﴾ [مريم: ٧٣]: قد قدمنا أنَّ الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقاماً وأَجملُ مجلساً؛ فنحن أكرم على الله منكم.

﴿نُمِدُّ له مِنَ العذاب مَدّا...﴾ [مريم: ٧٩] الآية. قد قدمنا أنها في العاصي بن وائل. والمعنى نزيد له في العذاب، ونرثه الأشياء التي قال إنه يُؤتاها في الآخرة؛ وهي المال والولد، ووِراثتها بأن يهلك ويتركها. وقد أسلم ولداه هشام وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

﴿نَحْشُر المتّقين إلى الرحمن وَفْداً. ونسوقُ المجْرِمين إلى جهنّم وِرْدا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]: قد قدمنا أن الحشر على خمسة معان: حشر الميثاق: ﴿وإذ أخذ ربُّكَ مِنْ بَنِي آدم﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وحَشر التصوير: ﴿يخرجُ مِنْ بَيْنَ الصُّلْب والتَّرائِب﴾ [الطارق: ٧]. وحشر البرية؛ ﴿والله أَنْبَتكُمْ من

الأرض نَباتا﴾ [نوح: ١٧]. وحشر الخدمة: ﴿وإذَا بلغ الأطفالُ منكم الحُلُم﴾ [النور: ٥٩]. وحشر الكرامات: ﴿يوم نحشر المتقين﴾ [مريم: ٨٥]. والمراد بالمتقين هنا من اتَّقى الشرك والنفاق. وقيل في المتّقي أقوال؛ والظاهر أنهم الممتثلون ما أمرهم الله وانتهوا عمَّا نهوا عنه. وقد قدمْنَا ما أكرمهم اللهُ في الدنيا والآخرة.

فإن قلت: ما الحكمة في ذكر الحَشْر للمتقين، وخصوصيتهم للرحمن لهم والسوق إلى المجرمين وخصوصيتهم لجهنم؟.

فالجواب أن الحَشْر مع الرضا والاختيار، والسوق مع الكراهية والسخط. والحشر للكرامة والأمانة والعلم. والسوق للجهد والإهانة. ولما كان الرضوان والسلام والرؤية والخلود للمتقين، وهو أكبر من الجنة خصَّهم بذكر الرحمن؛ لأن شوقهم إليه ورجاءهم فيه؛ فدلهم إليه لتسكُنَ نفوسهم. ولما كان عند المجرمين الخوف من عقوبة النار لا مِنْه؛ لأنهم لم يعرفوه ـ ذكرهم بما هو أشد عليهم؛ وهي جهنم؛ ولو عقلوا لعلموا أنَّ نار القطيعة أشدُّ من القطيعة، لكنهم خُوّفوا بما هو معقول عندهم، فسبحان مَنْ خاطب عباده بما يفهمونه؛ خاطب المطيعَ بما هو مشتاق إليه، وخاطب العاصي بما يخافه؛ وعلى هذا هو أسلوب القرآن العظيم. وما يَعْقِلُها إلا العالمون.

﴿نَنْسِفَنَّه في اليَمِّ نَسْفا﴾ [طه: ٩٧]؛ أي نلقيه في البحر تفريق الغبار ونحوه. والضمير يعود على العِجْل المتَّخَذ من أَثَر فَرَسِ جبريل.

﴿نَبَذْتها﴾ [طه: ٩٦]؛ أي ألقيتها على الحلي، فصار عجلاً، وعلى العجل فصار له خُوَار

﴿نَقُصُّ عليكَ من أنباء ما قَدْ سبق﴾ [طه: ٩٩]: يعني من أحوال المتقين؛ لنثبِّت به فؤادك، ولذلك قال له في سورة يوسف: نَقُصّ عليك أحسن القصص والقصص يكون مصدر أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، وإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقُصُّ محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدلّ عليه.

قيل سبب نزول هذه الآية أنّ النبي ﷺ كان مرفوعاً مكرَّماً، فحسده أهلُ

مكة، كذلك يوسف كان مكرماً عند أبيه. والإشارة فيه كأَنَّ الله يقول: يا محمد إخوة يوسف جعلوه كذّاباً فصيَّرْتُه ملكاً عليهم، وسجدوا له؛ كذلك أُقهر أعداءك وأُصَيِّرهُم عبيداً بين يديك شرقاً وغرباً؛ وكذلك الشيطان يحسدُ أُمَّتك على ما أنعمت عليهم من محبتك واتباعك، فأُصيرهم يوم القيامة ملوكاً كراماً، وأقهر عدوهم وحُسَّادهم حتى يقولوا يا ليتنا أَطعنا اللهَ وأَطعنا الرسولا.

﴿نَنْقُصُهَا مِن أطْرَافِها﴾ [الأنبياء: ٤٤]: بموت الناس، وهَلاكِ الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك. وقيل: بموت العلماء منها، أو بما فتح الله على المسلمين منها باستيلاء الكفّار عليها لقوله: ﴿أَفَهُمُ الغالبون﴾ [الأنبياء: ٤٤].

﴿نَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ ليَوْم القِيَامة﴾ [الأنبياء: ٤٧]: قد قدمنا معنى وَضْعها، وإنما أفرد القسط وهو صفةٌ للجمع؛ لأنه مصدر وُصف به كعَدْل ورضا، أو على تقدير ذوات القسط. وقد قدمنا أيضاً أن لكل شخص ميزاناً لجمعه، أو إنما جمعه باعتبار الكفّتين واللسان، أو باعتبار الموزونات.

﴿نفحةٌ مِن عذاب رَبّك﴾ [الأنبياء: ٤٦]؛ أي قطرة. وفيها تقليلُ العذاب. والمعنى أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأَذْعَنُوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿نافلة﴾ [الأنبياء: ٧٢]: أي عطية. والتنفيل: العطاء. وقيل سمّاه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال؛ فكأنه تبرع. وقيل الهبة إسحاق، والنافلة يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: هَبْ لي من الصالحين؛ فأُعطي يعقوب زيادة على ما سأل؛ ولهذا اختار بعضهم الوقْفَ على إسحاق لتباين المعنى.

وهذا ضعيف؛ لأنه معطوف على كلّ قول.

﴿نادى مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]: أي دعا نوح قبل إبراهيم ولوط.

﴿نَصَرْنَاه مِنَ القَوْم﴾ [الأنبياء: ٧٧]: إنما تعدَّى نصرناه بمن؛ لأنه مطاوع انتصر المتعدي بمن، أو تضمن معناه نجّيناه أو أجرناه.

﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨]: رَعَتْ فيه لَيْلاً، والضمير راجع إلى قصة

الرجلين المتخاصمين إلى داود، دخلت غنم أحدهما في زَرْع الآخر بالليل، وأفسدته؛ فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم.

ووَجْهُ هذا الحكم أنّ قيمة الزرع مثل قيمةِ الغنم؛ فخرج الرجلان على سليمان، وهو بالباب، فأخبراه بما حكم أبوه، فدخل عليه فقال: يا نَبيّ الله؛ لو حكمت بغير هذا كان أرفق بالجميع. قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحبُ الغنم الأَرْض ليصلحها حتى يعودَ زَرْعُها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنَم ينتفعُ بألبانها وصوفها ونَسْلِها؛ فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنم إلى صاحبها والأرض بزَرْعها إلى ربّها.

فقال له داود: وُفِّقْتَ يا بني، وقضى بينهما بذلك.

ووجه حكم سليمان أنه جعل حكم الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع؛ وأوجب على صاحب الغنم أنْ يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان.

ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحاً لا حُكماً.

واختلف الناس، هل كان حكمهما باجتهاد أو بوحيٍ؛ فمَنْ قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء.

وروي أن داود رجع عن حكمه لمّا تَبَيَّن له أن الصواب خلافه.

وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء؛ وعلى القول بالجواز اختلف: هل وقع أم لا؟.

﴿نَقْدِرَ عليه﴾ [الأنبياء: ٨٧]: أي نُضيق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿ومَنْ قُدِرَ عليه رِزْقه﴾ [الطلاق: ٧].

وقيل هو من القدر والقضاء؛ أي ظن أن لن نَقدر عليه بعقوبته. ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

والإشارة فيه كأنه يقول: يا عبدي لما خرج يونس خروجَ غَضب، فنادى فأنجيته؛ كذلك إذا خرجت لي خروج غضب من ذنوبك، فتلوم نفسك، أَنجيتك من همومك، وأقول لك: إن الله يغفر الذنوب جميعاً.

ولما خرج إبراهيم خروجَ أدب، فقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين فألبسته لباس الخلّة، وبردت عليه النار؛ كذلك عبدي الصالح يخرجُ من بطنه خروجَ أدب، فأُنعم عليه بالعلم والمعرفة، وأبرد عليه نيران الكفرة، ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان... الآية.

وكما أن موسى خرج خروج هرَب خائفاً يترّقب، وكذلك العبد يخرج من الدنيا خروجَ مَنْ يهرب من الشيطان كيوم يسمعون الصيحة بالحق. وكما آنست موسى بابْنَةِ شعيب في دارِ غُربة، كذلك أُونسك في القبر وأُريك مقامك من الجنة.

وكما أن لوطاً خرج خروج طرب، فسرى بأهله، كذلك العَبْدُ يخرج من القَبْر خروجَ طرب؛ لأنه يخرج لإيمانه الذي كان يـرتجيـه ولحفظتـه الذيـن كـانـوا يُؤنسونه؛ وكما أنجيت لوطاً وقومه من العذاب كذلك أُنجي المؤمنين وأعذّب الكافرين.

﴿نَكِير﴾ [الحج: ٤٤]: مصدر بمعنى الإنكار.

﴿نبّيء عبادي...﴾ [الحجر: ٤٩] الآية فيها ترجية وتخويف، وقد قدمنا سر الغفور الرحيم، والعذاب الأليم؛ فرجاء الخلق إلى نفسه، وخوفهم من عذابه.

﴿نَصِيبكَ مِنَ الدُّنيا﴾ [القصص: ٧٧]؛ أي حظَّك فيها.

واختلف ما المراد بهذا الحظّ؟ فقيل: حظّه منها ما يَعْمَلُ فيها من الخير؛ فالكلام على هذا وعظ. وقيل التمتّع بها مع عَمَله للآخرة؛ فهو على هذا إباحـةٌ للتمتع بالدنيا لئلا يَنْفِرَ عن قبول الموعظة. ومنه الحديث: اعمَلْ لدنياك كأنك تعيش أبداً ولأخراك كأنك تموت غداً. وفي الحديث أيضاً: العاقل لا يُرَى مشتغلاً إلا في دِرهمٍ لمعاشه، وعمل لمعاده.

﴿ناديكم﴾ [العنكبوت: ٢٩]: مجلسكم. والمراد بهم قومُ لوط، لإذايتهم الناس بأقوالهم وأفعالهم.

﴿نَسْلَخُ منه النهار﴾ [يس: ٣٧]؛ أي نجرِّده منه، وهو استعارة.

﴿نُنكِّسْهُ﴾ [يس : ٦٨] : نردّه .

﴿نَحِسات﴾ [فصلت : ١٦] : معناه من النحس ، وهو ضدّ السعد . وقيل شديدة البرد . وقيل متتابعة . والأول أرجح .

وروي أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء . وقريء بإسكان الحاء وكسرها ؛ فأما الكسر فجَمْع نحس ، وهو صفة . وأما الإسكان فتخفيف من الكسر ، أو صفة على وزن فعل ، أو وصف بالمصدر . وفي الحديث : آخِرُ أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر .

﴿نَعْمَةٍ﴾ [الدخان : ٢٧] ـ بفتح النون : هي النفع العاري من كلّ ضرر يوازيه ، ويدعى عليه ؛ يقال أنعم عليه فلان ، وأنعم الله على فلان : إذا فعل به ما لا يتعقبه ضرر وهلاك ؛ ولا يقال أَنعم عليه وإنْ نفعه في الحال .

﴿نَسْتَنْسِخُ ما كنْتُم تَعْمَلُون﴾ [الجاثية : ٢٩] : أي نأمر الحفَظَة بكتابة أعمالكم . وقيل : إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العِباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم ؛ فتأتي أفعالُ العباد على نحو ذلك ، فتكتبها أيضاً الملائكة ؛ فذلك هو الاستنساخ .

وكان ابن عباس يحتجُّ على ذلك بأن يقولَ : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل . وفائدة كتب الحفظة الاحتجاج عليهم في الآخرة ، كما صح أنَّ بعض العباد ينكر كتبها عليه ، فيُنْطق اللهُ جوارحَه بتصديقهم .

وفي الحديث : إن الحفظة تصعد بعمل العبد ، ويقابلونه باللوح المحفوظ ، فيجدونه سواء ، وتكتب عليه سيئة فلا يجدونها فيخجلون من ذلك ، ويقول الله : قد بلغت ندامة قلبه واستغفاره إليَّ قبل صعودكما ، فذلك قوله تعالى : يَمْحو اللهُ ما يشاء ويثبت .

﴿نَقَّبُوا في البِلاد﴾ [ق : ٣٦] ؛ أي طافوا فيها ؛ وأصله دخولها من أنقابها ، ومن التنقيب عن الأمر ، بمعنى البَحْث عنه .

﴿نجم﴾ [النجم: ١]: مشتق من التنجيم، وهو جِنْس، واختلف ما المراد بقوله: والنجم، فقيل:

هو الثريا، لأنه غلب عليها التسمية بالنجم. ومعنى هَوَى غرب أو انْتَثر يوم القيامة.

الثاني أنه جنس النجم. ومعنى هوى انقضّ برَجْمْ الشياطين.

وقيل: إنه من نجوم القرآن، وهوى على هذا معناه نزل.

وأما ﴿النَّجْم الثّاقب﴾ [الطارق: ٣] فهو من أسمائه عليه الصلاة والسلام.

وقيل: زُحل؛ لأنه أرفع النجوم؛ إذ هو في السماء السابعة.

﴿نَذِير من النُّذُرَ الأولى﴾ [النجم: ٥٦]: قد قدمنا أن النذير هو المخبر، والمراد به القرآن. والنُّذُر الأولى: من نوعها وصفتها.

﴿النجمُ والشَّجَر﴾ [الرحمن: ٦]: قال ابن عباس: هو النبات الذي لا ساق له، كالبقول. والشجر: الذي له ساق. وقيل: النجم: جنْسُ نجوم السماء.

والسجود عبارة عن التذلّل والانقياد، وقيل سجود النجم غروبه، وسجود الشجر بظلّه.

﴿نَضّاختان﴾ [الرحمن: ٦٦]؛ أي يفوران بالماء. والمراد بهما العينان الجاريتان.

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أدنى من أوصاف الجنتين السابقتين؛ لأنه قال فيهما: ﴿عَيْنَان تجريان﴾ [الرحمن: ٥٠]. وقال في الأخْرَيَيْن: عَيْنَان نضّاختَان. والجَرْيُ أشد من النَّضْخ. وقال: ﴿فيهما من كل فاكهةٍ زَوْجان﴾ [الرحمن: ٥٢]. وقال هناك: ﴿فيهما فاكهة ونَخْلٌ ورمان﴾ [الرحمن: ٦٨].

وكذلك صفات الحُور هنا أبلغ من صفاتها هناك؛ وكذلك صفات البسط.

ويفسِّرُ ذلك قولُ رسول الله ﷺ: جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

﴿النشأةَ الأولى﴾ [الواقعة: ٦٢]: هذه الحياة، والنشأة الأخرى البعث من القبور.

والمقصود بذكرها التنبيهُ على أنّ الله قادر على أن يبعثهم؛ ففيها تهديدٌ واحتجاج على البعث.

﴿نَجْوى﴾ [المجادلة: ٧]: سرار؛ كقوله تعالى: ﴿إذ هم نَجْوى﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ أي متناجون. ومنه: ﴿لا تتناجَوْا بالإثم والعُدْوان﴾ [المجادلة: ٩]. ﴿إنّما النَّجْوَى مِنَ الشيطان﴾ [المجادلة: ١٠].

﴿نَصُوحا﴾ [التحريم: ٨]؛ أي خالصة، من قولهم، عسل ناصح: إذا خلص من الشمع.

قال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح هي أن يتوب من الذّنْب، ثم لا يعود إليه أبداً، ولا يريد أن يعود.

وقيل: هي أَن تضيق على التائب الأرضُ بما رَحُبت، كتوْبة الثلاثة الذين خُلّفوا.

وقال الزمخشري: وُصِفت التوبةُ بالنّصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفةُ التائبين؛ وهي أن ينصحوا بالتوبة.

وهي واجبة على كل مكلف بالكتاب والسنة والإجماع.

وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذُو الجلال، لا من حيث أَضرّ ببدن أو مال. والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توَان. وَالنية ألاَّ يعود إليه أبداً ومهما قضي عليه بالذنب أحدث عزماً مجدداً.

وآدَابُها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقروناً بالانكسار. والإكثار من التضرع والاستغفار. والإكثار من الحسنات.

ومراتبها سبع: فَتوبة الكفار من الكفر. وتوبة المُخْلصين من الذنوب الكبائر. وتوبة العدول من الصغائر. وتوبة العابدين من الفترات. وتوبة السالكين من علل

القلوب والآفات. وتوبة أهل الورع من الشبهات. وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات.

والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب. ورجاء الثَّوَاب. والخَجَل من الحساب. ومحبّة الحبيب. ومراقبة الرقيب. وتعظيم المقام. وشكر الإنعام.

﴿نَفَرٌ من الجِنّ﴾ [الجن: ١]: النفر ما بين الثلاث إلى العشرة. وروي أنهم كانوا سبعة، وكانوا كلُّهم ذكراناً؛ لأن النفر الرجال دون النساء؛ وكانوا من أهل نصّيبين. وقيل: من أهل الجزيرة.

وقد قدمنا أنه رآهم النبيّ ﷺ، واستعدّ لهم، واجتمع معهم.

وقيل: إنه لم يرهم، ولم يعلم باستماعهم، حتى أعلمه الله بذلك، ولعلها قضايا مختلفة، وقد وردت في ذلك أحاديث مضطربة.

وسببُ اجتماعهم أنهم لما طُرِدوا عن استراق السمع من السماء بِرَجْم النجوم قالوا: ما هذا إلاَّ لأَمْرٍ حدث؛ فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءتَه ﷺ في صلاة الفجر في سُوق عكاظ؛ فاستمعوا إليه، وآمنوا به.

﴿ناشئة الليل﴾ [المزمل: ٦]: قال ابن عباس: ناشئة الليل: قليل الليل - بالحبشية.

وقيل ساعاته كلُّهن. وقيل: ما بين المغرب والعشاء. وقيل: القيام أول الليل بعد العشاء. وقيل: النفس الناشئة بالليل؛ أي تنشأ من مضجعها، وتقوم للصلاة. وقيل: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة. وقيل: العبادة الناشئة بالليل. وقيل: الناشئة القيام بعد النوم. فمن قام أَوَّل الليل من قبل أن ينام فلا يقال له: ناشئة.

﴿ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣]: بالظاء من النظر، ومنه: وجوه يومئذ ناظرة. وبالضاد من التنعم، ومنه: ﴿ناضرة﴾ [القيامة: ٢٢]. وأما: ﴿نَظِرة إلى مَيْسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠] - فمعناه التأخير إلى حال اليُسْر.

وهذه الآية نَصٌّ في رؤية مولانا جلّ وعزّ في الدار الآخرة، وهو مذهبُ أهل السنة، خلافاً للمعتزلة. وتأوّلوا ناظرة بمعنى منتظرة؛ وهذا باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدّى بغير حرف جر، تقول نظرتك بمعنى انتظرتك. وأما المتعدي بإلى فهو من نظر العين. ومنه قوله: ﴿ومنهم مَنْ يَنْظُر إليك﴾ [يونس: ٤٣]. وقال بعضهم: ﴿إلى﴾ هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم؛ وهذا تكلف في غاية البُعْد. وتأوّلَه الزمخشري بأن معناه كقول الناس: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه، ويتعلّق به. وهذا بعيد.

وقد جاءت أحاديث صحيحة في النظر إلى الله صريحة لا تحتمل التأويل؛ فهي تفسير للآية، ولو لم تكن جائزة لم يسألها نبي الله موسى في قوله: ﴿رب أَرِنِي أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿نَخِرَة﴾ [النازعات: ١١]، وناخرة بمعنى بالية مُتَفَتّتة، واستعظم الكفارُ رجوعَهم في الآخرة بعد مصيرهم إلى هذا الوصف، ولم ينظروا في خلقتهم الأولى من العدم.

﴿نَمَارِقُ﴾ [الغاشية: ١٥]: وسائد، واحدها نمرقة ونُمرقة.

﴿نَجْدَيْن﴾ [البلد: ١٠]؛ أي طريقي الخير والشر، فهو كقوله: ﴿إنّا هَدَيْنَاه السبيل؛ إمّا شاكراً وإمَّا كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٣].

﴿ناقَة اللهِ﴾ [الشمس: ١٣]: منصوب بفعل مضمر، تقديره: احذروا ناقة الله؛ أو احفظوا. والمراد بها ناقة صالح عليه السلام.

﴿نَسْفَعاً بالناصيةِ. ناصِيةٍ كاذبةٍ خاطئة﴾ [العلق: ١٥، ١٦]؛ أي لنحرقنّها بالنار؛ من قولك: سفعته النار، أو من الجذب والقَبْض على الشيء. والآيةُ في أبي جهل؛ أوعده الله إن لم يَنْتَهِ عن كفره وطُغْيانه أن يأخذَ بناصيته، وهي مقدّم الرأس، فيُلْقي بها في النار. وهذا كقوله تعالى: ﴿فيُؤْخذ بالنَّوَاصي والأقدام﴾ [الرحمن: ٤١].

وأكد لنسفعاً باللّام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالألف مراعاةً للوقف عليها. ويظهر لي أنَّ الوعيد نفّذ عليه يوم بَدْر، حين قُتل، وأُخذ بناصيته، وجُرَّ إلى القَلِيب.

ووصف ناصيته بالكذب تجوّزاً، والكاذب الخاطيء في الحقيقة صاحبها، والخاطيء الذي يفعل الذنب متعمداً. والمخطيء الذي يفعله من غير قصد.

﴿نَقْعاً﴾ [العاديات: ٤]: يعني أنّ الإبل حرّكْنَ الغُبار عند مَشْيِهنّ.

﴿نَفَّاثَات﴾ [الفلق: ٤]: النفث: شبه النفخ دون تفْل وريق. قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق. وهذا النفث ضَرْبٌ من السحر؛ وهو أن ينفث على عُقَد تُعْقَد في خيط أو نحوه على اسم المسحور، فيضره ذلك.

وحكى ابن عطية أنه حدّثه ثِقَةٌ أنه رأى ببلاد المغرب خيطاً أحمر قد عُقدت فيه عقد على فُصْلاَن ـ وهي أولاد الإبل، فمنعت ذلك رضاعَ أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفَصِيل إلى أمه فرضع في الحين.

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفثة ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن، وهو السحر ومن إثمهن في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهن الناس ومن خبثهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيبه الله من الشر عند نَفْثهن.

والنفاثات بناء مبالغة، والموصوف محذوف، تقديره النساء النفاثات، أو الجماعات النفاثات، أو النفوس النفاثات. والأول أصح؛ لأنه رُوي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكنَّ ساحرات سحرن وأبوهن سيدَنا ومولانا محمد ﷺ، وعقدنَ له إحدى عشرة عُقدة، فأنزل الله تعالى المعوّذتين إحدى عشرة آية بعدد العُقَد، وشفا الله رسولَهُ ﷺ.

فإن قيل: لم عرف النفاثات بالألف واللام، ونَكّر ما قبله، وهو غاسق وما بعده وهو حَاسِدِ، مع أن الجميع مستعاذٌ منه؟

فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم؛ لأن كـل نفاثة شريرة، بخلاف الفاسق والحاسد فإن شرَّهما في بعضٍ دون بعض.

﴿نُسبِّحُ بحمدك ونُقَدّس لك﴾ [البقرة: ٣٠]: هذا من اعتراف الملائكة والتزام التسبيح. والتقدير: نسبح ملتبسين بحمدك؛ فهو في موضع الحال. ويحتمل أن يـكون الكـاف فـي قوله ﴿لك﴾ مفعولاً، ودخلت عليها اللام، كقولك: ضربت لزيد، أو أن يكون المفعول محذوفاً؛ أي نُقَدِّسك على معنى نُنَزِّهك؛ أو نعظمك وتكون اللام في لك للتعليل؛ أي لأجلك، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أي نطهرها لك.

فإن قلت: الملائكة معصـومـون مطهـرون مـن الرذائـل، فما معنـى هـذا الاعتراض في قولهم: ﴿أتجعل فيها مَنْ يُفسد فيها﴾ [البقرة: ٣٠].

والجواب أنه ليس فيها اعتراض ولا افتخار ولا مِنّة بإظهارهم للتسبيح، وإنما حملهم على هذا القول أَنَّ الله أعلمهم أَنْ يستخلفَ في الأرض مَنْ يعصيه، فاستبعدوا ذلك.

وقيل: كان في الأرض جِنٌّ، فأفسدوا؛ فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقاست الملائكة بني آدم عليهم.

﴿نُسُك﴾ [البقرة: ١٩٦]: ذبائح. واحدها نسيكة.

﴿ننشزها﴾ [البقرة: ٢٥٩] ـ بالراء: نحييها، وبالزاي: نرفعها للأحياء، مأخوذ من النشز، وهو المكان المرتفع العالي.

﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]؛ أي نطيل لهم المدة، فليس فيه خير لهم، إنما هو استدراج ليكتسبوا الآثام.

﴿نُكَفِّر عنكم سَيِّئَاتكم﴾ [النساء: ٣١]: وعد بغفران ذنوب هذه الأمة إذا اجتنبوا الكبائر.

﴿نَصِيب ممَّا اكْتَسَبُوا﴾ [النساء ٣٢] : يعني من الأجر والحسنات. وقيل من الميراث. ويردُّه لفظ الاكتساب.

وسببها أنّ النساء قلن: ليْتَنا استَوَيْنَا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغَزْو؟ فنزلت نَهْياً عن ذلك؛ لأن في تمنيهن ردًّا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها.

﴿نُشُوزا﴾ [النساء: ١٢٨]، بالزاي، له معنيان: شر بين الرجل والمرأة وارتفاع، ومنه: ﴿انْشُزوا﴾ [المجادلة: ١١]؛ أي قوموا من المكان، قال تعالى: ﴿وإن امرأةٌ خافَتْ من بَعْلِها نُشوزاً أو إعراضاً...﴾ [النساء: ١٢٨] الآية يفهم منها أنّ الإعراض أخفّ من النشوز. وقوله: ﴿واللاتي تخَافون نُشُوزهنَّ﴾ [النساء: ٣٤]؛ أي معصيتهن وتَعَاليهنّ عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج.

﴿نُصْليهم ناراً كلما نَضِجَتْ جلودُهم بَدّلْنَاهم جُلوداً غَيْرَها﴾ [النساء: ٥٦]؛ أي نشويهم. والضمير عائد على الذين كفروا. وقيل: تُبدَّل لهم جلود بعد جلود أخرى دون نفوسهم، هي المعذبة. وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار. وقيل الجلود السرابيل، وهو بعيد.

﴿نُصُب﴾ [المائدة: ٣] ـ بضم الصاد، مفرده نصاب: حجارة كان أهل الجاهلية يعظّمونها ويذبحون عليها. وليست بالأصنام؛ لأن الأصنام مصوّرة، والنصب غير مصورة. وهي الأنصاب. والنصب ـ بفتح الصاد: العناء والتعب. وقول أيوب: ﴿مَسَّني الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب﴾ [ص: ٤١] أي ببلاء وشر.

﴿نُرَدُّ على أعقابنا﴾ [الأنعام: ٧١]؛ أي نرجع من الهُدَى إلى الضلال. وأَصلُه الرجوعُ على العَقِب في المشي، ثم استُعير في المعاني. وهذه الجملة معطوفة على ﴿أَنَدْعُو﴾ [الأنعام: ٧١]؛ والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ. وقيل لكل مَنْ لم يظفر بما يريد.

﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]؛ أي نبعدك عما جرى لقومك من الوصول إلى قَعْر البحر.

وقيل: نُلقيك على نَجْوَة من الأرض؛ أي على موضع مرتفع.

والباء في ببدنك للمصاحبة، والمراد به الجسد دون الروح. وقيل: بدرعك، وكان الدرع من ذهب، يُعرف بها. والمحذوف في موضع الحال.

﴿نُغَادِر﴾ [الكهف: ٤٧]: نترك، يقال: غادرني كذا، وأغدرته إذا خلّفته. ومنه سمي الغدير؛ لأنه ما تخلّفه السيول.

﴿نُكْراً﴾ [الكهف: ٧٤]؛ أي منكراً، وهو أبلغ من قوله: ﴿إمْراً﴾ [الكهف: ٧١]. ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿نُفِخَ في الصُّور﴾ [الكهف: ٩٩]؛ وهو القَرْن الذي ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة، كما جاء في الحديث: إنه على صورة جناح النحل، وينفخ فيه إسرافيل نفختين: إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور.

﴿نُزُلا﴾ [الكهف: ١٠٢]: ما ييسَّر للضيف والقادم عند نزوله. والمعنى أن لهم جهنم بدل النزل، كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كانت لهم جنّات الفِرْدَوْس نُزُلا﴾ [الكهف: ١٠٧].

ويحتمل أن يكون النزل من النزول.

﴿نُنَبِّئُكم بالأَخْسَرِين أَعْمالاً﴾ [الكهف: ١٠٣]: الآية في كفار العرب لقوله: كفروا بآيات ربهم ولقائه. وقيل في الرهبان يتعبدون ويظنُّون أنّ عبادتهم تنفعهم، وهي لا تُقبل منهم.

﴿نُهى﴾ [طه: ٥٤]: عقول، واحدتها نُهْية.

﴿نُعِيدكُم﴾ [طه: ٥٥]؛ أي بالدفن.

﴿نُخْرِجكم﴾ [طه: ٥٥]؛ أي بالبعث.

﴿نُحَرِّقَنّه﴾ [طه: ٩٧]؛ أي بالنار، أو نبرده بالمبارد، على من قرأه بفتح

النون وضم الراء. وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يَفْنَى بالإحراق بالنار.

والصحيح أنّ المقصود بإحراقه بالنار إفسادُ صورته، فيصحّ حَمْل قراءة الجماعة عليْه.

﴿نُكِسُوا على رُؤُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥]: استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل، يقال نُكِس فلان: إذا سقط من مكان وارتفعت رِجلاه، ونُكِس المريض إذا خرج من مرض ثم عاد إلى مثله.

والضمير يعودُ على قوم إبراهيم لمّا وجدوا الفأس معلّقاً في عُنق كبيرِ أصنامهم فسألوه، فقال: فَعله كَبِيرُهم هذا... الآية.

﴿نُشُوراً﴾ [الفرقان: ٣]؛ أي الحياة بعد الموت. ومنه: وإليه النُّشور.

﴿نُمَكِّنْ لهم حرَماً آمِناً﴾ [القصص: ٥٧]: هذا ردٌّ على قريش من اعتذارهم في تخطّف الناس لهم إنْ آمنوا. والمعنى أنّ الحرم لا تتعرض له العرب بقتالٍ، ولا يمكِّن اللهُ أحداً من إهلاك أهله؛ فقد كانت العرب تُغير بعضها على بعض، وأهلُ مكة آمنون من ذلك.

﴿نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه مَنْ تذكَّر وجاءكم النَّذِير﴾ [فاطر: ٣٧]: هذا من قولِ الله لأهل النار القائلين: ربَّنا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحاً غَير الذي كُنَّا نعمل. وهو قول أهل الطبقة الخامسة؛ لأنه صح أن أهل «الأولى» يقولون: يا حنّان يا منّان؛ وهم العصاةُ من هذه الأمة، «والثانية» تقول: ربنا غلبت علينا شِقْوَتنا وكنّا قوماً ضالّين، «والثالثة» تنادي: ربنا أَخْرِجنا منها فإن عُدْنَا فإنا ظالمون، «والرابعة» تنادي: ربَّنا أَخِّرْنَا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتك، «والسادسة» تقول: ادْعُ لنا ربَّك يخفّفْ عنا يوماً من العذاب، «والسابعة» تنادي: يا مالك، ليقض علينا ربُّك. فيجاوب كلَّ أحدٍ بما يليق به؛ فهؤلاء قال لهم: أو لم نُعَمِّركُم، ما يتذَكَّرُ فيه مَنْ تذكر، وجاءكم النّذير. وهو نبيُّنا ومولانا محمد ﷺ. وقيل: الشيب؛ لأنه نذير بالموت. والأوّل أظهر.

وقد اطلع بعضهم يوماً في المرآة، فرأى الشيب في لحيته، فاعتزل أهلَه ومالَه حتى لحق بالله.

وقد اختلف في حد التعمير، كم هو؟ وقد قدمنا أنه سبعون سنة للحديث. وقيل البلوغ. والأول أرجح.

﴿نُحَاس﴾ [الرحمن: ٣٥]: دخان. وقيل هو الصُّفْر يُذَاب ويصبُّ على رؤوس أَهْلِ الموقف. وقرىء نحاس ـ بالرفع عطف على « شُوَاظ ». وبالخفض عطف على نار.

﴿ن﴾ [القلم: ١]: حرف من حروف الهجاء. وحكى الكِرْمَاني في العجائب أن معناه اصنع ما شئت. وقيل: إنه من حرف الرحمن؛ فإن حروف الرحمن في الم وحم ون وقيل: إن ﴿ن﴾ هنا يراد به الحوت. وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع. وهذا لا يصحُّ، على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه ذو النُّون. وقيل: إن ن هنا يراد به الدواة. وهذا غير معروف في اللغة؛ ويبطل قول مَنْ قال إنه الحوت أو الدواة بأنه إن كان كذلك لكان مُعْرباً بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفاً دليلٌ على أنه حرف هجاء؛ نحو: الم، وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿نُقِرَ في النَّاقُور﴾ [المدثر: ٨]: يعني النفخ في الصُّور. ويحتمل أن يريد النفخةَ الأولى، أو الثانية.

﴿نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠]: ذهب بها كلها بسرعة.

﴿النفوسُ زُوِّجَت﴾ [التكوير: ٧]: فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع؛ فالمعنى جعل الكافر مع الكافر، والمؤمن مع المؤمن. والآخر زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم مع الْحُور العين. والثالث زوجت الأرواح والأجساد؛ أي رُدّت إليها بعد البعث.

والأول هو الراجح؛ لأنه مرويّ عن رسول الله ﷺ وعن عمر بن الخطاب وابن عباس.

﴿نِحْلَة﴾ [النساء : ٤] ؛ أي عطية منكم لهن، أو عطية من الله. وقيل معنى نحلة شِرْعة وديَانة؛ وانتصابُه على المصدر من معنى آتوهنَّ، أو على الحال من ضمير المخاطبين.

والمراد بهذا أنَّ المهور هبةٌ من الله تعالى للنساء والنفقة عليهن؛ وسببه ـ على ما قيل ـ أن حواء لما أصاب آدم التعب في الحرث أخذت قبضةً من الزرع وزرعته، فنبت شعيراً؛ فلما رأت تغيّر أفعالها وظهور نكالها اغتمت، فقال: اغتممتِ لأجلنا ساعة لأرفع قدرك بأن أكلف الرجال هَمَّ النفقة عليكِ وعلى بناتك، وأمتحنهنّ بالمهر والنفقة عليكن؛ فمن اغتمت لأجله ساعةً أنجاها من الغمّ دهراً طويلاً، فكيف من أغتم من خوف قطيعته سبعين سنة أو أكثر، كيف لا ينجّيه منها.

﴿نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ [مريم : ٢٣] ؛ بفتح النون وكسرها : هو الشيء الحقير الذي إذا أُلْقِي لم يُلْتَفَتْ إليه.

﴿النُّونُ﴾ : على أوجه : اسم، وهي ضمير النسوة؛ نحو : ﴿فلما رأَيْنَهُ أَكْبَرْنَه وقطَّعْنَ أيديهن وقُلْن﴾.

وحرف؛ وهي نوعان: نون التوكيد، وهي خفيفة وثقيلة؛ نحو : ليُسْجَنَنَّ وليكونا. ولنسفَعاً. وقطّعْنَ أيديهن. ولم تقع الخفيفة في القرآن إلا في هذين الموضعين، وثالث في قراءة شاذة، وهي: فإذا جاء وَعْدُ الآخرة لِنَسوءاً وجوهَكُم. ورابع في قراءة الحسن: أَلْقِياً في جهنم؛ وذكره ابن جني في المحتسب.

ونون الوقاية، وتلحق ياء المتكلم المنصوبة بفعل: فاعبدني. ليحزنني. أو حرف، نحو : يا ليتني كنت معهم. إني أنا الله.

والمجرورة بلدن، نحو : من لدنِّي عُذْرا. أوْ مِن أوْ عَنْ؛ نحو : ما أغنى عني. وألقيت عليك محبةً مني.

﴿التّنوينُ﴾ : نون تثبت لفظاً لا خطّاً. وأقسامه كثيرة.

تنوين التمكين، وهو اللاّحق للأسماء المعربة، نحو: هُدًى ورحمةً. وإلى عاد أخاهم هُوداً. إنا أرسلنا نُوحاً.

وتنوين التنكير؛ وهو اللاحق لأسماء الأفعال، فَرْقاً بين معرفتها ونكرتها، نحو التنوين اللاحق لأُفٍّ في قراءة مَنْ نَوَّنَه، وهيهات في قراءة مَنْ نوَّنها.

وتنوين المقابلة؛ وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم، نحو: مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائبات عابدات سائحات.

وتنوين العِوَض؛ إما عن حرف آخر؛ نحو: فاعل المعتل، نحو: والفجر وليالٍ. ومن فوقهم غَوَاشٍ. أو عن اسم مضاف إليه في كلّ وبعض وأي، نحو: كلٌّ في فلك. فضلنا بعضهم على بعض ﴿أَيّاًمَّا تَدْعُوا﴾ [الإسراء: ١١٠].

أو عن الجملة المضاف إليها إذ، نحو: وأنتم حينئذٍ تَنْظُرون؛ أي حين إذ بلغت الروح الحلقوم.

وإذا على ما تقدم عن شيخنا، ومَنْ نَحَا نحوه: وإنكم إذاً لمن الْمُقَرَّبين؛ أي إذا غلبتم.

وتنوين الفواصل الذي يسمى في غير القرآن الترنُّم، بدلاً من حرف الإطلاق؛ ويكون في الاسم والفعل والحرف. وخرَّجَ عليه الزمخشري وغيره: قواريراً. ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]. كلا سيكفرون؛ بتنوين الثلاثة.

﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب، فتكون تصديقاً للْمُخْبر، ووَعْداً للطالب، وإعلاماً للمستخبر. وإبدالُ عينها حاءً وكسرها وإتباع النون لها في الكسر لغاتٌ قرىء بها.

﴿نِعْمَ﴾: فعل لإنشاء المدح لا يتصرف.

حَرف الصاد المهمَلة

﴿صالح عليه السلام﴾: قال وهب: هو ابن عبيد بن هاير بن ثمود بن حاير بـن سام بن نوح، بُعِثَ إلى قومه حين راهق الحلم، وكان رجلاً أحمر إلى البياض، سبط الشعر، فلبث فيهم أربعين سنة.

وقال نوف البكَالي: صالح من العرب لما أهلك الله عاداً عمرت ثموداً بعدها، فبعث الله صالحاً غلاماً شابًّا، فدعاهم إلى الله حتى شمط وكَبر، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبيء إلا هود وصالح؛ أخرجها في المستدرك.

وقال ابن حجر وغيره: القرآن يدلُّ على أنَّ ثموداً كان بعد عاد، كما كان عاد بعد قوم نوح.

وقال الثعلبي ـ ونقله عنه النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت: هو صالح بـن عبيد بن آسف بن ماشح بن عبيد بن هاذر بن ثمود بن عاد بـن عوض بن آدم ابن سام بن نوح، بعثه الله إلى قومه وكانوا عَرَباً منازلُهم بين الحجاز والشام، فأقام فيهم عشرين سنة، وأقام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

﴿صلاة﴾: تأتي على أوجه:

الصلـوات الخمس: يقيمـون الصلاة. وصلاة العصر: تحبسـونها مـن بعـد الصلاة. وصلاة الجمعة: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة. والجنازة: ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم. والدعاء: وصلّ عليهم. والدين: أَصَلاَتُكَ تَأْمُرك. والقراءة: ولا تَجْهَر بصلاَتك. والرحمة والاستغفار: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون على النبي. يا أيُّها

الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً. ومواضع الصلاة: وصلوات ومساجد. قال الجواليقي: هي بالعبرانية كنائس اليهود؛ وأصلها صَلُوتا.

﴿صَيّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]: المطر. وأصله صَيْوب، ووزنه فيعل؛ وهو مشتق من قولك: صاب يَصُوب. وقوله: أو كصَيِّبٍ من السماء، فهو عطف على الذي استوقد. والتقدير أو كصاحب صيّب. وأو للتنويع؛ لأن هذا مثَلٌ آخر ضربه الله للمنافقين. وفي قوله: من السماء - إشارة إلى قوته وشدة انْصِبَابه.

قال ابن مسعود: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر، وأيْقَنا بالهلاك، فعزما على الإيمان، ورجعا إلى النبي ﷺ، وحَسُنَ إسلامهما، فضرب اللهُ ما نزل بهما مثلاً للمنافقين.

وقيل المعنى: تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خَوْفهم على أنفسهم بمن أصابه مطَرٌ فيه ظلمات ورَعْدٌ وبَرْق؛ فضلَّ عن الطريق، وخاف الهلاك. وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إن التشبيه على التفصيل؛ فالمطر مثل القرآن أو الإسلام، والظلمات مَثَلٌ لما فيه من البراهين الواضحة.

فإن قيل: لم قال: رعد وبرق بالإفراد، ولم يجمعها كما جمع ظلمات؟

فالجواب أنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع. ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعها لأنهما في الأصل مَصْدران.

﴿صَوَاعق﴾ [البقرة: ١٩]: جمع صاعقة، وهي كلُّ عذابٍ مُهلك. ومنه يَجْعَلُون أَصابعهم في آذانهم من الصَّوَاعق؛ أي من أجل الصواعق. قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآنَ في مجلسه ﷺ؛ فهو على هذا حقيقة في المنافقين، والصواعق على هذا ما يكرهونه من القرآن، والموت هو ما يتحقق فَوْته؛ فهما مجازان.

وقيل: إنه راجع إلى أصحاب المطر المشبّه بهم، فهو حقيقة فيهم. والصواعق

على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار؛ والموت أيضاً حقيقة.

وقيل: إنه راجع إلى المنافقين على وَجْه التشبيه لهم في خوفهم، بمن جعل أصابعَه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد؟

فإن قيل: لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم؟ والأنامل هي التي تجعل في الأذن.

فالجواب أن ذكر الأصابع أبْلغ، لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك جمعها مع أنّ الذي يجعل في الأذن السبابة خاصة.

﴿صابئين﴾ [البقرة: ٦٢]: خارجين من دِين إلى دين. يقال: صبَأ فلان إذا خرج من دِينه إلى دِينٍ آخر، وصبأت النجوم خرجت من مطالعها، وصبأ نَابُه: خرج.

قال قتادة: الأديان ستة، واحد للرحمن، وخمسة للشيطان. الصابئون يعبدون الملائكة، ويُصَلّون إلى القبلة، ويقرأون الزّبور. والمجوس يعبدون الشمس والقمر. والذين أشركوا يعبدون الأوثان. واليهود والنصارى معلوم دينهما.

﴿صَفْراء﴾ [البقرة: ٦٩]: من الصُّفرة المعروفة، ومنه: ﴿جِمَالات صُفْر﴾ [المرسلات: ٣٣]. وقيل سودا. وهو بعيد. والظاهر صفراء كلها. وقيل: القَرْن والظّلْف فقط؛ وهو بعيد.

﴿الصّفا والْمَرْوَة﴾ [البقرة: ١٥٨]: جبلان صغيران بمكة السعْيُ بينهما واجبٌ عند مالك والشافعي رضي الله عنهما.

فإن قلت: لم جيء في الآية بلفظ يقتضي الإباحة، وهو قوله: ﴿فلا جُنَاحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

والجواب أن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية

صنم، يقال له إسَاف، وعلى المروة صنم يقال له نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيماً للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك.

فإن قلت: مِنْ أين يُؤخذ وجوبُ السعي؟

فالجواب أنه واجب بالسنة؛ لقول عائشة: أوجب رسولُ الله ﷺ السعْيَ بين الصفا والمروة، وليْس لأحد تَرْكُه.

وقيل: إن الوجوبَ يُؤخذ من قوله: ﴿شَعَائِرِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وهذا ضعيف؛ لأن شعائر الله منها واجبة، ومنها مندوبة. وقد أخذ بعضهم من الآية نَدْبَ السعي بينهما.

﴿الصَّلاَةِ الوُسْطى﴾ [البقرة: ٢٣٨]: على القول بأنها الظهر أو الجمعة؛ لأنها في وسط النهَار، أو لفَضْلها؛ من الوسط وهي الخيار. وسُمّيت وُسْطى لتوسُّطها في عدد الركعات على القول بأنها المغرب؛ لأنها بين الركعتين والأربع، ولتوسُّط وقْتِها على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار. وإنما أَجرى ذكرها بعد دخولها في الصلوات وأخفاها للاعتناء بها. وبالجملة ما مِنْ صلاة إلا وقيل فيها وسطى.

﴿صَفْوان﴾ [البقرة:٢٦٤]: حجر كبير أملس. وهو اسمٌ واحد معناه جمع، واحدتها صفوانة.

﴿صَلْدا﴾ [البقرة: ٢٦٤]: أملس. وهذا تمثيل للذي يمنّ ويُؤْذي بالذي يُنفقه رياء، وهو غير مؤمن، كحجر عليه تراب فيظنّه مَنْ يراه أرضاً مُنْبِتة طيبة، فإذا نزل عليها المطر انكشف التراب، فبقي الْحَجَرُ لا منفعةَ فيه؛ فكذلك المرَائي يظنُّ أن له أجراً، فإذا كان يوم القيامة انكشف سِرُّه ولم تنفعه نفقَتُه.

﴿صَدُقَاتِهِنّ﴾ [النساء: ٤]: أي مهورهنّ؛ يُؤْمر الزوجُ بإعطائها ذلك، واحدتها صَدُقة.

﴿صَعِيدا﴾ [المائدة: ٦]: وجه الأرض عند مالك، كان تراباً أو رملاً أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كله. وعند الشافعي التراب لا غير. واختلف في التيمم بالذهب والملح، وبالآجر والجص المطبوخ، وبالجدار وبالنبات الذي على وجه الأرض؛ وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد.

﴿صَيْد﴾ [المائدة: ٩٦]: كلّ ما كان ممتنعاً ولم يكن له مالك، وكان حلالاً أَصْله، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال فهو صَيْد.

﴿صدَف عَنْها﴾ [الأنعام: ١٥٧]؛ أي أعرض عن آيات الله.

﴿صَغَار﴾ [الأنعام: ١٢٤]: أشد الضر، وهو الذل.

﴿صَديد﴾ [إبراهيم: ١٦]: قيح ودم.

﴿صَوْم﴾ [مريم: ٢٦]، أصله في اللغة الإمساك مطلقاً، ثم استُعْمل في الشرع في الإمساك عن الطعام والشراب. وقد جاء بمعنى الصّمْت في قول مريم: ﴿إني نَذَرْتُ للرحمن صَوْماً فلن أكلِّم إنسيّا﴾ [مريم: ٢٦]. وقيل تعني الصيام؛ لأن مِنْ شَرْطِهِ في شريعتهم الصمت؛ وإنما أُمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها؛ ولأنّ عيسى تكلّم عنها وأخبرها بأنها نَذَرَت الصمْتَ، ولا يجوزُ في شريعتنا نَذْر الصمت.

وانظر ما أثمر الصمت لها من تبرئتها على لسان ولدها بقوله: إني عبدالله ـ ألهمه الله بذلك، لأنه علم أن بعض الكفّار سيقولون ما ليس لهم به علم، كما قال: ما اتخذ الله من ولد. وقال: إنْ يقولون إلا كذباً؛ فهذه حجَّتُه عليهم إلى يوم القيامة بقول الله: أَأَنتَ قلْتَ للناس اتَّخِذُوني وأُمّي إلهين من دون الله... إلى قوله: أن اعبدوا اللهَ رَبّي وربكم؛ وقد قلت في الأولى: إني عبدالله.

وقد كان امتحان عيسى متصلاً بمحنة أُمِّه، كما كان امتحان يوسف متصلاً بامتحان أبيه؛ لأن الله تعالى قال: كلَّما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقاً... الآية. فقيل لها: يا مريم؛ إن كنت صادقةً في دَعْواك فاصْبِري على المحنة، فنفخ جبريل في جَيْبِها، فقالت: إني أعوذُ بالرحمن منك... الآية. قال

تعالى: ﴿فأَجَاءها الْمَخَاضُ إلى جِذْعِ النخلة....﴾ [مريم: ٢٣] الآية؛ أي قبل أن ترفع الواسطة بيني وبين حبيبي، فقيل لها في سِرّ: إنه دَعْواك، حيث قلتِ: إنه من عند الله.

كذلك امتحن يوسف بمحنة أَبيه يعقوب، فكان في الأمر ما كان؛ لأنه قال: لا تَقْصُصْ رُؤْياك على إخوتك؛ إذ عاقبه؛ فلما قيل له: بلغت المحنةُ غايتها قال: إنما أَشْكُو بَثِّي وحزْني إلى الله؛ أي دعواك حين قلت: لا تقصص رُؤْياك على إخوتك.

كذلك النبي ﷺ لما سمع قولَ الكفار في رَبّه ضاق صَدْرُه، فأنزل الله: ولقد نعلم أنك يَضِيقُ صَدْرُك بما يقولون. خُذِ العَفْو وأْمُر بالعُرْف... الآية، ولو قالوا ما قالوا من الجنون والسحر، فأنا أجبْتُ شانئك عنك بقولي: هَمّاز مَشَّاء بنَميم؛ أي شانئك هو الأَبْتر.

كذلك قصة مريم في قولها: إني نذرْتُ للرحْمَن صوما، قالوا: هذا أنكر وأعظم؛ فإن من عرف ربّه كَلَّ لسانُه، فأشارت إليه، فأجاب الله عنها على لسان ولدها.

كذلك المؤمن أمره اللهُ تعالى بالسكون، وترك الخصومة عمن ظلمه حتى يتولّى الجوابَ الملكُ الوهّابُ؛ قال تعالى: ﴿ولا تحسبَنّ اللهَ غافلاً عما يَعْمَلُ الظالمون﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وفي الحديث: إذا أراد الله أن يرفع درجةَ عبدٍ قيَّض اللهُ له مَنْ يظلمه. وحكي أن وزيراً ظلم بعْضَ الرعية في أخذ جِنَانٍ له طلب بَيْعه منه، فأبى؛ فقال له: إنِّي آخذه منك. فقال له: أشكوك إلى الملك. فقال له: إن بيني وبينه معرفةً، قال: أشكوك إلى ربك. فلما لقيه بعد مدة قال له: ما قال لكَ الذي شكوْتَ له؟ قال: قال لي: ﴿ولا تحسبَنَّ اللهَ غافلاً عما يَعْمَل الظالمون﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية. فارتعدت فرائصُ الوزير، ونزل من سَرْجه، فقبَّل يده، وطلب منه العفو.

هذا شأن مَنْ عرفه وله في عظمته وتفكره في كلامه؛ بخلاف ما نحن عليه

من ظُلم أنفسنا. ما أرى بصائرنا إلا عميَتْ عن مشاهدة مشاهدِ القوم إذا أشخصت لنا الصفات منهم شخصاً هرب، كأننا ضِدّان لا نجتمع.

اللهم أَقِلْ عثراتنا، وارحم ضراعتنا، ولا تؤاخذنا بأفعالنا؛ لأنا علمنا أنك عفُوّ تحبُّ العفو، فاعْفُ عنا بجاهِ سيدنا ومولانا ومنقذنا من الهول العظيم صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم.

﴿صَفًّا﴾ [طه: ٦٤]: ذكر فيه أبو عبيدة وجهين: الصف الذي يصلّى فيه، كما قال بعضهم: ما استطعت أن آتي الصفَّ اليوم. وصفوف الناس كما قال: «ثُمَّ ائْتوا صَفّا». وأما قوله تعالى: ﴿إن الله يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صَفّا﴾ [الصف: ٤]، فقد قدمنا أنه ليس المراد به نفس التصافّ؛ وإنما المقصود به الثبوت والجدّ في القتال، خلافاً لمن قال: إن قتال الرجالة أَفضل مِنْ قتال الفرسان؛ لأن التراصّ فيه يمكن أكثر مما يمكن للفرسان. قال ابن عطية: وهذا ضعيف، خَفي على قائله مقصد الآية.

﴿صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢]: مستوى من الأرض أملس لا نبات فيه.

﴿صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦]: معناه قائمات قد صفَفْنَ أيديهن وأرجلهن؛ وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور، ووزنُه فواعل، وواحده صافة. وقرىء صوافي؛ أي خوالص لا يشركون في نحرها أو في التسمية على نحرها.

﴿صَوَامع﴾ [الحج: ٤٠]: منازل الرهبان، جمع صَوْمَعة - بفتح الميم - وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين. وسمِّي بها في الإسلام موضع الأذان. والمعنى لولا دفاع الله لاستولى الكفّار عليها.

فإن قلت: قد استولى الكفّار عليها فهدَمُوها وخرَّبوا المساجد؟

فالجواب أن ذلك بذنوب أهلها، وما اجترحوا فيها من المعاصي؛ لأن الله وعد بنصر مَنْ ينصرُ دِينه في مواضع من كتابه: إنْ تَنْصُروا الله ينصركم. ولينصرنَّ الله مَنْ يَنْصُره.

﴿صَرْفاً ولا نَصْراً﴾ [الفرقان: ١٩]؛ أي حيلة ولا نصرة. يعني أنهم لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم عذاب الله. والصرفُ والمنعُ والحيلولة بمعنى واحد. ومنه قوله تعالى: ﴿وحِيْلَ بينَهم وبَيْنَ ما يَشْتَهُون﴾ [سبأ: ٥٤] ويحتمل على هذا أن يكون الخطابُ للمشركين أو المعبودين. والصرف على هذين الوجهين صرف العذابِ عنهم. أو يكون الخطاب للمسلمين، والصرف على هذا ردّ التكذيب.

﴿صَرْح﴾ [النمل: ٤٤]؛ أي قصر. وقيل صَحْن الدار، وإنما صنع سليمانُ هذا الصَّرْح لأنّ الجن كرهوا تزوّج سليمان لبلقيس، فقالوا له: إن عقلها مخبول، وإن رِجْلها كحافر الحمار؛ فاختبر عقلها بتنكير العرش، فوجدها عاقلةً؛ لأنها قالت: كأنه هو، ولم تَقُل نعم؛ لأنها تغيَّر عليها أمره، ولم تقل لا؛ لأنها كانت ترى بَعْضَ علاماته. ثم أمر بأن يتخذوا قَصْراً من زجاج، ويحفروا حولَه نهراً، ويجعلوا فيه السمك والضفادع، وأمر بأن يتَّخِذُوا على الماء قنطرة من زجاج، ففعلوا ما أُمروا، ثم أمرها أَنْ تدخلَ الصرح، فعزمت على الدخول، فرأت الزجاج على الماء، فحسبته لُجَّة وكشفت عن ساقَيْها؛ فرأى سليمانُ أنها ليس فيها شيء من العيوب والْمَنْقصة؛ وأَسلمت فتزوّجها سليمان، وكان يأتيها في كل شهرٍ مرة.

﴿صَيَاصِيهم﴾ [الأحزاب: ٢٦]: حصونهم. وصَيَاصِي البقَر قرونها؛ لأنها تمنع بها وتدفع عن أنفسها، وصيصاء الدّيك: شَوْكاته، ونزلت الآية في يهود بني قُريظة؛ وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فَنَقَضُوا عَهْده، وصاروا مع قريش؛ فلما انصرفت قريش عن المدينة حصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكم سَعْد بن معاذ، فحكم بأن يُقْتَل رجالهم، وتُسْبَى نساؤهم، وذَرَاريهم.

﴿صَرِيخ﴾ [يس: ٤٣]: هو المغيث والْمُنْقِذ من الغرق.

﴿صديق﴾ [الشعراء: ١٠١]: مَنْ صدقك محبته، وآثرك على نفسه؛ وهو أقلّ من القليل. وفي قوله تعالى: ﴿فما لنا من شافِعين. ولا صديقٍ حَمِيم﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] إشارةٌ إلى كثرة الشفعاء في العادة وقلَّة الأصدقاء.

﴿صَافّات﴾ [الصافات: ١]: اختلف فيها؛ فقيل هي الملائكة التي تصفُّ في السماء صفوفاً لعبادة الله. وقيل: هي مَنْ يصفُّ مِنْ بني آدم في الصلاة والجهاد والأول أرجح؛ لقوله عن الملائكة: ﴿وإنا لنحن الصافّون﴾ [الصافات: ١٦٥]. وأما قوله: ﴿والطير صافَّات﴾ [النور: ٤١] - فمعناه أنهن يصففن أَجْنِحتهنّ في الهواء.

﴿صافِنَات﴾ [ص: ٣١]: جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يدَيْه أو رِجْليه، ويقف على طرف الآخر. وقيل: الصافن هو الذي يسوّي يديه. والصفَن علامة على فراهة الفرس والجياد السريعة الجَرْي.

واختلف الناس في قصص هذه الآية؛ فقال الجمهور: إنَّ سليمانَ عليه السلام عرضت عليه خَيْلٌ كان وَرثها عن أبيه. وقيل: أخرجتها له الشياطين من البَحْر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل أكثر؛ فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشيّ، وقيل العصر؛ فأسف لذلك، وقال: ردُّوا عليّ الخيل، فطفق يضرب أعناقَها وعراقيبها بالسيف حتى عقَرها لمّا كانت سبباً لفَوت الصلاة، ولم يترك منها إلا اليسير؛ فأبدله الله أسرعَ منها وهي الريح.

فإن قلت: تفويتُ الصلاة ذَنْبٌ لا يفعله سليمان، وعقْر الخيل لغير فائدة لا يجوز؛ فكيف يفعله سليمان؟ وأي ذنْب للخيل في تفويت الصلاة؟

فالجواب: إنما عقرها لمجاعةٍ كانت بالناس؛ فتقرَّب بها إلى الله في إطعامهم لها، لا سيما على قول: إنه لم تَفُتْه صلاة، ولا عقر الخيل، بل كان يصلّي فعرضت عليه الخيل، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها، فلما فرغ من الصلاة قال: ردُّوها عليّ فطفق يمسح عليها بيده كرامةً ومحبةً.

وقيل المسح عليها إنما كان وَسْماً في سُوقها وأعناقها، للحبس في سبيل الله.

وقد حكي أنّ عبدالله بن المبارك فاتَتْه تكبيرة الإحرام مع الإمام بسبب بَيْعٍ باعَهُ، فربح فيه ألْفَ دينار، فتصدّق بها عسى أن يكون كفّارةً لتلك التكبيرة.

فاقْتَدِ أيها المسكين بتأسُّفك على ما فاتك من أوقاتك في المخالفة، ولا يشغلك شاغلٌ عن الطاعة بجهد الاستطاعة؛ فإن سليمان أنعم الله عليه بأنواع النعم، ولم يعاتبه باشتغاله لقوله: هذا مِنْ فَضْلِ رَبّي. ويوسف أعطاه الله الْمُلْك ولم يُعاتبه على اشتغاله به؛ لأنه قال: هذا من فضل الله علينا. وقال في شأن النبي ﷺ: وكان فضل الله عليك عظيماً. ولم يأْذَن له في نظرة واحدة إلى الدنيا غيرة منه عليه؛ فقال: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيك...﴾ [طه: ١٣١] الآية؛ فأظهر أن فضله عليه في المنع أفضلُ منه في العطاء، وكذلك قال لأمّته: ﴿قلْ بِفَضْلِ الله وبرحمته فبذلك فلْيَفْرَحُوا هو خَيْرٌ مما يَجْمَعُون﴾ [يونس: ٥٨].

وروي أنّ وجوهَ هذه الأمة تُحْشَر يوم القيامة كالكوكب الدرّيّ، فتقول الملائكة: ما عملكم في الدنيا؟ فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قُمْنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها، ثم تحشر طائفة وجوهُهم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت. ثم تُحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نسمعُ الأذان في المسجد.

وروي أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتَتْهم التكبيرة الأولى ويعزّون سبعاً إذا فاتتهم الجماعة.

وحكي أنه كان شدّاد بن حكيم البلخي الحاكم يمرُّ يوماً بمسجد من مساجد البلخي ومؤذّنه يؤذّن وبحذاء هذا المسجد حانوت رجلٍ معدل، فلما فرغ المؤذّن من الأذان اشتغل ذلك المعدّل بجمع المتاع الذي بين يديه، ثم خرج إلى الصلاة؛ فلما كان في الغد جاء المعدّل وشهد على رجل بحق، فرد شهادته وقال: إنك مستَخِفٌّ بأمر الصلاة حيث استقبلت أولاً إلى رفع الأمتعة التي بين يديك بعد الأذان، ثم خرجت إلى الصلاة. ذكره في الإحياء.

﴿صَرْصر﴾ [الحاقة: ٦]: أحد رياح العقوبة، وثانيها العقيم، وثالثها القاصف، كما قال تعالى: ﴿فيرسل عليكم قَاصِفا﴾ [الإسراء: ٦٩]؛ وهذه الرياح تهبّ في البحر دون البر برحمةِ الله، إلاَ مَنْ أراد الله هلاكه بها. ورياح الرحمة ثلاث: منشرات، كقوله تعالى: ﴿والنَّاشِرات نَشْراً﴾ [المرسلات: ٣].

والمبشرة، كقوله: ﴿مُبَشِّرات﴾ [الروم: ٤٦]. والثالث الذاريات. فهذه رياحُ الرحمة تهبُّ على كل شيء في الدنيا. وقيل ثلاث رياح تهبُّ من الجنة: الجنوب، والشمال، والصبا. ومنها خلق الله الفرس، وبها نصر الله نبيَّه؛ قال ﷺ: نُـصرت بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدّبور؛ وريح الصبا ريحٌ مباركة تهبُّ من قِبَل الكعبة وقْتَ الإسحار، وتحملُ الأنين والاستغفار إلى الملك الجبـار؛ وهي الريح التي أوصلت ريحَ يوسف إلى يعقوب حيث قال: إني لأجِدُ ريح يوسف؛ ولهذا قال أبو علي الدقاق: والريحُ رسولُ العشاق.

﴿صَفْحا﴾ [الزخرف: ٥]: مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال؛ ومعناه على هذا: أنمسك عنكم الذِّكْرَ عَفْواً عنكم وغُفراناً لذنوبكم؛ أو مصدر من المعنى، أو مفعول من أجله؛ تقول: صفحت عنه إذا أعرضْتُ عنه، كأنه قال: أنترِكُ تَذْكيركم إعراضاً عنكم.

﴿صرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٢٩]: من صرّ القلم وغيره إذا صوّت. وقيل معناه في جماعة النساء؛ يعني أن امرأةَ إبراهيم صاحت بقولها: يا ويلتي أألِد وأنا عجوز؛ فـاستغـربـت مـن ولادة العجـوز؛ ولـذلـك: ﴿صَكَّـتْ وجْهَهـا﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ أي غَطَّتْه حياءً من المبشرين لها، أو تعجُّباً من وِلادتها.

﴿صَلْصال﴾ [الحجر: ٢٦]: قد قدمنا أنه الطين اليابس الذي يُصَلْصِلُ؛ أي يصوِّتُ وهو غير مطبوخ؛ فإذا طبخ فهو فخار. ويقال الصلصال الْمُنْتِن، مأخوذ من صلّ اللحم وأَصلّ: إذا أنتن، فكأنه أراد صلاّلاً، فقلبت أَحد اللامين؛ وفيه إشارة إلى ما كان في تربة آدم من الطين الحر؛ وذلك أنّ الله خلقه من طيّب، وخبيث، ومختلف اللون، مرة ذكر في خلقه هذا ومرة هذا.

﴿صَغَتْ قلوبُكما﴾ [التحريم: ٤]؛ أي مالت عن الصواب. وقرأ ابن مسعود بالزاي. والمعنى: إن تَتُوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يُوجب التوبة؛ وهذا الخطاب لعائشة وحفصة مما جرى من تسبُّبها في تحريم رسولِ الله الجارية أو العسل الذي تقدم ذكرها.

﴿صَرِيم﴾ [القلم: ٢٠]: ليل؛ يعني أنهم حلفوا أَنْ يقطعوا غَلَّة جَنَّتِهم عند الصباح، فأصبحت كالليل، لأنها اسودَّتْ لِمَا أصابها. وقيل: أصبحت كالنهار، لأنها ابيضَّت كالحَصِيد. ويقال صريم لليل والنهار. وقيل الصريم: الرماد الأسود، بلغة بعض العرب. وقيل: أصبحت مصرومة، أي مقطوعة.

﴿صارِمين﴾ [القلم: ٢٢]؛ أي حاصدين لثمرها.

﴿صَعَداً﴾ [الجن: ١٧]: شاقاً، يقال تصعَّدني الأمر: أي شقّ عليّ، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تصعَّدني شيء ما تصعَّدَتْني خطبة النكاح. ومنه: « سأُرْهِقه صَعُودا »؛ أي عقبةً شاقّة، يعني أن الوليد بن المغيرة يكلّف أن يصعد جبلاً في النار من صَخْرة ملساء، فإذا صعد أعلاها لم يترك أن يتنفّس وجُذِب إلى أسفلها، ثم يكلف مثل ذلك.

﴿صَوَابا﴾ [النبأ: ٣٨]: إصابة المراد. ويقال في المثل: أصاب الصواب. ومنه: رُخاءً حيث أَصاب. وقد يعبَّر بالصواب عن الحق، فيقال: هذا صواب؛ أي حق؛ فكلُّ مصيب مُحِقّ وبالعكس.

﴿صاخّة﴾ [عبس: ٣٣]: من أسماء القيامة، وهي مشتقّة من قولك: صخّ الآذان إذا أصمّها بشدة إصْخاخها، فكأنه إشارة إلى النفخ في الصور، أو إلى شدة الصوت حتى يَصخّ مَنْ يسمعه لصعوبته. وقيل: هي من قولك أَصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿صَدَقة﴾ [البقرة: ١٩٦]: تنطلق على الزكاة الواجبة، وعلى التطوّع: ﴿إن الْمُصَّدِّقين والْمُصَّدِّقَات﴾ [الحديد: ١٨] ـ بالتشديد؛ أي المتصدقين والمتصدقات. وأما قوله تعالى: ﴿إنكَ لمن الْمُصَدِّقين﴾ [الصافات: ٥٢] ـ بالتخفيف ـ فهو من التصديق.

﴿صَدّ﴾ [النساء: ٥٥]: له معنيان: بالتعدي بمعنى منع غيره من شيء، ومصدره صَدًّا، ومضارعه بالضم. وغيره بمعنى أعرض، ومصدره صدودا.

﴿صار﴾ : له معنيان: من الانتقال، ومنه: ﴿تَصِير الأمور﴾ [الشورى: ٥٣]، والمصير. وبمعنى ضَمّ، ومضارعه يصور، ومنه ﴿فصُرْهنّ إليك﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿صَمَد﴾: هو الذي يُلْجأ إليه في الحوائج، ليس فوقه أحد. وقيل: إنه الذي لا يأكل ولا يشرب لقوله: وهو يُطْعِمُ ولا يُطعَم. وقيل: إنه الذي لا جَوْفَ له. والأول هو المراد. ورجَّحه ابن عطية؛ فإن الله هو مُوجد الموجودات وبه قوامُها، فهي مفتقرة إليه؛ إذ لا تقومُ بأنفسها وحيثما ورد في القرآن فنفى الولد عنه؛ كقوله في مريم: ﴿قالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ [مريم: ٨٨]، ثم أعقبه بقوله: ﴿إنْ كلُّ مَنْ في السموات والأرض إلاّ آتِي الرحمنَ عَبداً﴾ [مريم: ٩٣]. وقوله: ﴿بَدِيعُ السموات والأرض أنَّى يكون له ولد﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بَلْ لَهُ ما في السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٦]، وكذلك في الإخلاص ذكره مع قوله: ﴿لم يَلِد﴾ [الإخلاص: ٣]؛ ليكون برهاناً على نَفْيِ الولد.

﴿صرّهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: بالنبطية فشققهن. وأخرج ابن المنذر عن وهب بن وهب قال: ما في اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء، قال: وما فيه من الرومية؟ قال: فصِرهُنّ، يعني قطعهنّ بكسر الصاد. والضمير راجع إلى الطيور الذي أَمر الخليل بذبحها وتقطيع أجزائها، وهي الديك والطاوس والحمام والغراب، لما سأل الله رؤية إحياء الموتى.

فإن قلت: كيف يشكُّ الخليلُ في إحياء الموتى، فيطلب رؤيته؟

فالجواب أنه لم يشكّ؛ وإنما طلب معاينة الكيفية لَمّا رأى دابّة قد أكلتها السباع والحيتان، فسأل عن الكيفية، وصورة الإحياء، لا عن وقوعه؛ وذلك لا يقدح في رسالته، وهو معصوم.

واشتكى بعضُ الفقراء لشيخه تهمّمه في الرزق، فقال له: خُذْ كفّاً من تراب ومُرْه يرجع ذهباً؛ فقال: ومَنْ إمامي في هذا؟ قال: الخليل حين قال: رَبّ أَرِني

كيف تُحْيي الموتى. قال: أو لم تُؤْمن؟ فالذي يقدر على رجوع التراب ذهباً في يديك يقدر على رزقك حيثما كنْت.

والحكمةُ في هذا أن النفس لا تطمئن إلا بالمعاينة، وليس الخبر كالعيان.

﴿صُوَاعَ الملِك﴾ [يوسف: ٧٢]؛ أي مكياله، وهو السقاية؛ وكان يشرب بها يوسف، ويُكال بها الطعام، وكان من فضة. وقيل من ذهب. وقصد بجعله في رَحْلِ أخيه الاحتيالَ في أَخْذه؛ إذ كان شَرْع يعقوب أنّ مَنْ سرق استعبده المسروق منه. والسرّ فيه أن بنيامين لما تعرَّف إليه يوسف؛ وتحقَّق عنده بالمعرفة، لم يتنكر بأَن نُودي عليه بالسرقة. ولما رضي في معرفته بالبلاء كان ثمرته أن آواه إلى نفسه؛ كأَنّ مولاك يقول لك: لا تبال يا مؤمن ببلائي؛ فإن الجنة مَثْواك.

وورد في الحديث: إن الله يطهّر المؤمن في الدنيا بأنواع البلاء، فإنْ بقِيتْ عليه بقيةٌ طهَّرَه بشدة الموت، حتى يَلْقَى الله وليس عليه ذنب.

وقرأ يحي بن يعمر: صواغ الملك ـ بغين معجمة: يذهب إلى أنه كان مصوغاً، فسماه بالمصدر.

﴿صَخْرة﴾ [لقمان: ١٦]: قيل أراد لقمان الصخرة التي عليها الأرض. وهذا ضعيف؛ وإنما معنى الكلام أن مِثْقَالَ خَرْدَلة من الأعمال أو من الأشياء لو كانت في أخفى موضع كجوف صخرة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة. وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

وأما قول موسى: ﴿أرأيتَ إذ أَوَيْنَا إلى الصَّخرة﴾ [الكهف: ٦٣] ـ فإن المراد بها التي نام عندها. ومعنى أرأيت، أي أخبرني.

فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام، وإن كلّ واحد من أرأيت، وإذ أوينا، فإني نسيتُ الحوت ـ لا متعلّق له.

والجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من

نسيانه، فدهش فطفق يسألُ موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دَهَاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام.

﴿صَدَفَيْن﴾ [الكهف: ٩٦]، بضم الصاد وفتحها، بمعنى الجبلين.

﴿صُنْعَ الله﴾ [النمل: ٨٨]: مصدر العاملُ فيه محذوف. وقيل هو منصوب على الإغراء؛ أي انظروا صُنْعَ الله، وهو فعلُه في مرور الجبال وهي جامدة.

﴿صُحُفاً مطهَّرة﴾ [البينة: ٢]، يعني القرآن في صحفه. وأما قوله تعالى: ﴿صحفاً مُنَشَّرة﴾ [المدثر: ٥٢] ـ فقد قدمنا أنهم طلبوا مِنْ رسول الله ﷺ أن يعطي كلّ واحد منهم صحيفةً يأمره فيها بالإيمان. وقوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصُّحف الأولى﴾ [الأعلى: ١٨] ـ فالمراد به أن هذا الكتاب ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين، كما ثبت هذا الكتاب.

قلت: من أمثلة ما نزل على بعض الأنبياء سورة الأعلى؛ قال ﷺ: كلُّها في صحف موسى وإبراهيم. ولما نزلت: والنجم إذا هوى فبلغ: وإبراهيم الذي وفّى [النجم: ٣٧، ٥٩] قال: وَفّى ألا تَزر وازِرةٌ وِزْرَ أخرى إلى قوله هذا نذير من النُّذر الأولى.

وأخرج الحاكم من طريق ابن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد: ﴿التائِبُون العَابِدون...﴾ [التوبة: ١١٢] إلى قوله: ﴿وبَشِّر المؤمنين﴾. و﴿قد أفلح المؤمنون...﴾ [المؤمنون: ١] إلى قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾. و﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية. والتي في المعارج: ﴿والذين هم على صلاتهم دائمون...﴾ [المعارج: ٢٣] إلى قوله: ﴿قَائمون﴾ [المعارج: ٣٣]، فلم يَفِ بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد ﷺ.

وأخرج البخاري، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنّ النبي ﷺ موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومُبَشّراً ونَذيراً وحِرزاً للآمنين ـ الحديث.

وأخرج ابن الضُّرَيس وغيره عن كعب قال: فتحت التوراةُ بالحمد لله الذي خلق السموات والأرض... وختمت بالحمـــد لله الذي لم يتخذ ولداً، إلى قوله: وكبِّرْهُ تكبيرا.

وأخرج عنه من وَجْهٍ آخر، قال: أول ما نزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أَتْلُ ما حَرَّم ربكم عليكم...﴾ [الأنعام: ١٥١] الخ. قال بعضهم: هذه الآيات العشر التي كتبها اللهُ لموسى في التوراة أول ما كتب، وهي توحيدُ الله، والنهي عن الشرك، واليمين الكاذبة، والقتل، والعقوق، والزنى، والسرقة، والزور، ومدّ العين إلى ما في يَدِ الغير، والأمر بتعظيم السَّبْت.

وأخرج الحاكم عن أبي مَيْسرة أنّ هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعمائة آية: أول سورة الجمعة: يُسبِّح لله ما في السموات وما في الأرض.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن محمد بن كعب القُرظي، قال: البرهان الذي أُرِي يوسف ثلاثُ آيات من كتاب الله: ﴿وإنَّ عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]. وقوله تعالى: ﴿وما تَكُونُ في شَأْنٍ وما تَتْلُو منه مِنْ قرآن ولا تعملون مِنْ عمل إلا كُنّا عليكم شهودا﴾ [يونس: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿أفمَنْ هُوَ قائم على كلِّ نَفْسٍ بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣]. زاد غيره آية أخرى: ﴿ولا تَقْرَبوا الزنى﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، في قولـه: ﴿لولا أَنْ رأى بُرهَانَ ربه﴾ [يوسف: ٢٤] ـ قال: رأى آيةً من كتاب الله نهته، مُثّلت له في جدار الحائط، فهذا ما وقفتُ عليه مما أنزل على غير نبينا ﷺ.

واختلف في بسم الله الرحمن الرحيم. والصحيح أَنَّ سليمان تلفظ بها؛ لحديث الدارقُطْني من حديث بُرَيْدَة أن النبي ﷺ قال: لأعُلِّمنّك آيةً لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري: بسم الله الرحمن الرحيم.

ومن أمثلة ما خص به الفاتحة، وآية الكرسي، وخاتمة البقرة.

وروى مسلم عن ابن عباس: أتى النبيَّ ﷺ ملك؛ فقال: أبشر بنورين، قد أوتيتهما لم يُؤْتهما نبيء قبلك: فاتحة الكتاب. وخواتيم سورة البقرة.

وأخرج أبو عبيدة في فضائله، عن كعب، قال: إنَّ محمداً ﷺ أُعطي أربع آيات لم يُعطهن موسى، وإن موسى أعطي آية لم يعطها محمد ﷺ، وهي: اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا، وخلِّصنا من أَجل أنَّ لك الملكوت والأيد والسلطان والملك والحرم والأرض والسماء، الدهر الداهر، أبداً أبداً، آمين آمين. وأما الأربع التي لم يعطهن موسى فهي: خواتيم البقرة. لله ما في السموٰات وما في الأرض، وآية الكرسي.

﴿صِرَاط﴾ [الفاتحة: ٧]: هو في اللغة الطريق، ثم استُعمل في القرآن، بمعنى الطريقة الدينية، وأصله السين ثم ينقلب صاداً لحرف الإطباق بعدها. وفيه ثلاث لغات: بالصاد، والسين، وبين الصاد والزاي. وحيثما ورد في القرآن فمعناه الطريق الموصّل إلى الصراط الحسيّ المنصوب على مَتْنِ جهنم، ليَمُرَّ المؤمنون عليه، أرقّ من الشعر، وأحدّ من السّيف، وفي حافتيه كلاليب معلّقة مأمورة بأَخْذِ من أُمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس في نار جهنم؛ ويمرون عليه بحسب اتّباعهم لهذا الصراط المعنوي؛ فأولهُم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وكأشد الرجال حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير إلا زَحْفاً. وقد صح أنَّ له عقبات سبع لا يجاوزها إلا مَنْ قطع عَقَبات الدنيا. وأنكره أكثَرُ المعتزلة، لعدم إمكان العبور عليه. ويسهِّله الله على المؤمن كأنه واد واسع.

﴿صِبْغَة الله﴾ [البقرة: ١٣٨]: يعني دين الله، وهو استعارةٌ من صبغ الثوب وغيره؛ ونَصْبُه على الإغراء، أو على المصدر من المعاني المتقدمة، أو بدل من ملّة إبراهيم.

﴿صِرّ﴾ [آل عمران: ١١٧]: بَرْدٌ شديد، أصاب حَرْثَ الذين ظلموا أنفسهم، وهم الكفار، فلم ينتفعوا به، وكذلك لا ينتفعون في الآخرة بأعمالهم.

﴿صدّيقةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]: بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفُ مريم بهذه الصفة دون النبوءة يدفع قول مَنْ قال إنها نبيئة.

﴿صِنْوَان وغَيْر صِنْوان﴾ [الرعد: ٤]: هي النخلات الكثيرة، ويكون أصلها واحداً. وغير الصِّنْوَان المتفرق، ووَاحِدُ الصِّنْوان صِنْو.

﴿صِبْغ﴾ [المؤمنون: ٢٥]: الصبغ والصباغ ما يُصْبَغُ به، أي يغمس فيه الخبز ويُؤْكَل به.

﴿صِهْراً﴾ [الفرقان: ٥٤]: النسب والصهر يعمّان كلَّ قُربى؛ فالنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أَب وأُم قَرُب ذلك أو بَعُد. والصهر: هو الاختلاطُ بالتناكح.

وقيل: أراد بالنسب الذكور؛ أي ذوي نسب ينتسب إليهم؛ وأراد بالصهر الإناث؛ أي ذوات الصهر يصاهر بهن؛ فهو كقوله: ﴿فجعل منه الزَّوْجَيْن الذّكَر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩].

حرف الضاد المعجمة

﴿ضرب﴾ : له أربعة معان: من الضرب باليد وشِبْهه. ومن ضرب الأمثال. ومن السفر. ومنه: ﴿ضربتم في الأرض﴾ [المائدة: ١٠٦]. ومن الإلزام؛ ومنه: ﴿ضُرِبت عليهم الذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١]؛ أي أُلزموها. ﴿وضَرَبْنَا على آذانهم﴾ [الكهف: ١١]؛ ألقينا عليهم النوم. و﴿أَفَنَضْرِبُ عنكم الذكْرَ﴾ [الزخرف: ٥]؛ أي نمسك عنكم التذكير.

﴿ضرّ﴾؛ بفتح الضاد وضمها بمعنى، وكذلك الضَّيْر - بالياء؛ ومنه: ﴿لا يَضُرّكم كَيْدهم﴾ [آل عمران: ١٢٠]. والضراء: ما يصيبه من المرض وسوء الحال.

﴿ضَيْق﴾ [النحل: ١٢٧]، وضَيّق مثل ميت وميت، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدر. وفي قوله تعالى: ﴿ولا تَكُ في ضيق مما يَمْكُرون﴾ [النحل: ١٢٧] - تسْلية له ﷺ؛ أي لا يضيق صَدْرُك بمكرهم، وهو منسوخ بآية السيف.

فإن قلت: أيُّ فرق بين هذه الآية في حذف النون منها، وبين إثباتها في آية النمل [٧٠].

والجواب: إنما حذفها في النمل موافقة لما قبلها، وهو قوله: ولم يك من المشركين. وأيضاً فقد قدمنا أنه سُلِّي بها عن قتل عمّه حمزة، فبالغ في الحذف؛ ليكون ذلك مبالغة في التسلّي. وجاء في النمل على القياس، ولأن الحزن هناك دون الحُزْن هنا.

وهذه الكلمة كثر ورودها في القرآن، فحذف النون منها تخفيفاً من غير

قياس؛ بل تشبيهاً بحروف العلة، وأتى ذلك في بضْعَة عشر موضعاً: سبعة منها ﴿يك﴾ بالياء، وموضعان ﴿نَكُ﴾ بالنون، وموضع آخر أَكُ بالهمزة. والله أعلم.

﴿ضَنْكا﴾ [طه: ١٢٤]؛ أي ضيقة. والمعنى أن الله تعالى ضيَّق عليه المعيشة؛ وهكذا حال مَنْ أنعم الله بوجوده مِنْ سبع ورَزَقَه من سبع، فكفر بأنعُمِ الله، وأعرض عنها، وصرف همَّتَه لغير ربّه أن يضيق عليه في الدنيا، ويُحشر أعمى في العقبى، قال: ﴿كذلك أَتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها وكذلك اليَوْمَ تُنْسى﴾ [طه: ١٢٦].

فإن قلت: أما خلقنا مِنْ سبع، فقد فهمناها من الآية الكريمة، وأما رزقنا من سبع فلم نفهم معناها.

والجواب أنّ الله خلقنا في سبعة أحوال من سبعة أشياء، وأرواحنا من سبعة أشياء، وخلق لنا سبعة أركان ظاهرة، وسبعة أركان باطنة، ثم رزقنا من سبعة أشياء، ثم وعدنا بسبع مقامات.

أما الأحوال السبعة فقال تعالى: ﴿ولقد خَلَقْنَا الإنسانَ من سُلاَلَةٍ من طِين...﴾ [المؤمنون: ١٢]. وأما الأرواح فمن النار، والنور، والريح، والطيب، والعلم، والأنس، والبقاء، ثم جمعه في قلبك فحينئذ تتحركُ في بطن أمك؛ فحرارةُ الروح من النار، وضياؤه من النور، وطهارته من الطيب، ونفسه من الريح، وذهنه من العلم، وألفته من الأنس، وحياته من البقاء.

ثم رزقك من دَمِ الحيض إلى حال الخروج، ثم اللبن إلى الفطام، ثم بعد ذلك خمسة أشياء: الماء من السماء، والنبات من الأرض، واللبن من الثدي، والثمار من الشجر، واللحم من الأنعام.

ثم خلقك من سبعة أشياء: من العظم، والعَصَب، والعروق، واللحم، والجلد، والظفر، والشعر.

وأعطاك سبعة أركان باطنة: القلب، والكبد، والطحال، والمرارة، والرئة، والدماغ، والمخ.

وأعطاك سبعة أركـان ظـاهـرة: اليـديـن، والرجلين، والعينين، والأذن، والأنف، واللسان، والفرج.

ثم رزقك من سبعة أشياء؛ فقال تعالى: ﴿إن صَبَبْنَا الماءَ صَبًّا...﴾ [عبس: ٢٥]. فهذا معنى الحديث: خُلقتم من سبع، ورزقتم من سبع.

ثم وعدك بسبع مقامات: الموت، والقبر، والبعث، والميزان، والمحاسبة، والصراط، والدَّارَيْن، فريق في الجنة وفريق في السعير.

فمن عرف هذا كيف يلتفت لسواه سبحانه، أَو يطلبُ غيره؟ هذا في المعيشة الضيقة في الدنيا والآخرة، هلا تشبَّه بالملائكة الكرام في السبع سموات: منهم مَنْ عبدالله على الحياء والملازمة، ومنهم على الخوف والخشية، ومنهم على حُسْن الظن، ومنهم على الخدمـة والحرمـة، ومنهـم على المودّة والمحبـة، ومنهـم على الشـوق والصفاء، ومنهم على القرب والمؤانسة. ونحن لا مِنْ هؤلاء ولا مِنْ هؤلاء؛ بل من الذين قال الله فيهم: ﴿إنْ هُمْ إلاّ كالأَنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]. ورحم الله القائل: خلقك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته، ليعلمك جلالةَ قَدْرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تنطوي عليك أَصدافُ مكنوناته.

وجميع العالم مبني على سبعة أشياء: ضياء، ونور، وظلام، ولطافة، وكثافة، ودقة، ورقة، فجعل الضوء نصيب الشمس، والنور نصيب القمر؛ قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمْسَ ضياء والقَمر نورا﴾ [يونس: ٥]. وجعل الضوءَ نصيب وجهك. والنـور نصيـب بصرك، والظلام نصيـب الشيـاطين، وجعلـه لشعرك. واللطافة نصيب الطيور، وهو نصيب قلبك. والكثافة نصيب الجبال، وهو نصيب عظمك. والدقة نصيب الماء، وهو نصيب ريقك. والرقة نصيب الهواء، وهو نصيبُ رُوحك. ثم جعل في قلبك الضوءَ مثل المعرفة، والنور مثل اليقين، والظلام مثل السيئة، واللطافة مثل الرجاء، والكثافة مثل الخوف، والرقة مثل المحبة، والدقة مثل الشوق؛ فمن أراد أن تكون عيشته هنيئة، وحياته طيبة فليُشْعِلْ في قلبه المعرفة بزَنْد الجهد، وحجر التضرع، وحراقة إطفاء الشهوة،

وكبريت الانتباه، ومسرجة الصدق، وفتيلة الشكر، ودُهن التوكل؛ حتى توقد نور المعرفة في قلبه؛ كالذي يريد أن يُوقد ناراً يحتاج إلى سبعة أشياء: زند، وحجر، وحراقة، وكبريت، ومسرجة، وفتيلة، ودهن؛ ثم يعلق السراج بثلاث سلاسل في ثلاث عُرا؛ وحينئذ يعلّق في سقف البيت.

وهكذا صاحبُ سراج المعرفة لا بد له من سلسلة الخوف معلّقة بعُرْوَة العدل، وسلسلة من الرجاء في عُروة الفضل، وسلسلة من المحبة في عروة الكرامة، وحينئذ يعضد بالعرش، ولا تقدر رياح الأعضاء السبعة ومعاصيهن أن تُطْفِيء هذا السراج؛ فهؤلاء المجوس أوقدوا ناراً ليعبدوها فلم يقدر أحدٌ على إطفائها؛ فكيف يقدر أحد على إطفاء نور المحبة. والله تعالى يقول: ﴿يريدون أَنْ يُطفِئُوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأْبَى اللهُ إلا أنْ يُتِمَّ نوره ولو كرِهَ الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢].

﴿ضَلَلْنَا في الأرض﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي صِرْنا تراباً؛ وهذا استبعادٌ من الكفار للبعث. وقرىء صَلَلْنا؛ أي أنتنا وتغيَّرْنَا، من قولهم: صَلّ اللحم وصنّ وأصنّ: تغيّر.

﴿ضَرِيع﴾ [الغاشية: ٦]: فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك، يقال له الشِّبْرِق؛ وهو سم قاتل. وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال الضريع: شوك في النار.

الثاني: أنه الزّقُّوم؛ لقوله: ﴿إن شَجَرة الزقّوم. طَعَامُ الأثيم﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤].

الثالث: أنه نباتٌ أخضر مُنْتن ينبت في البحر. وهذا ضعيف.

الرابع: أنه وادٍ في جهنم. وهذا أضعف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب؛ ولله دَرُّ مَنْ قال: الضريع طعام أَهل النار؛ فإنه عَمَّ وسَلِم من عهدة التعيين. واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب، وليس هو به. وقيل: هو بمعنى مُضْرِع البدن أي مضعف.

وقيل: العرب لا تعرف هذا اللفظ.

﴿ضُحى﴾ [الأعراف: ٩٨ ، طه: ٥٩]: أول النهار. والفعل منه أضحى. وأما ضَحِيَ، بكسر الحاء، يَضْحَى في المضارع، فمعناه برز للشمس وأصابه حرُّها. ومنه: ﴿لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٩].

﴿ضِعْف، وضُعْف﴾ [الأعراف: ٣٨]: لغتان. وضاعف الشيء كثّره؛ وجرى فيه التشديد. وضِعف الشيء، بكسر الضاد: مثلاه. وقيل مثله. والضعف أيضاً العذاب.

﴿ضلّ﴾ [البقرة: ١٠٨]، بضاد، من الضلال. ومنه: ﴿وأضلّهم السَّامِرِيّ﴾ [طه: ٨٥]. وبالظاء المشالة، من الإقامة. وأصله ظللت فحذفت إحدى اللامين. ومنه: ﴿ظلْتَ عليه عاكفا﴾ [طه: ٩٧] ـ وأصله أقام بالنهار، ثم استعمل في الدؤوب على الشيء ليلاً ونهاراً.

﴿ضِغْثاً﴾ [ص: ٤٤]: مِلْء كفّ من الحشيش والشجر. قال الضحاك: كالشجر الرطب. قال ابن عباس: قبض أيوب قبضةً من سنبل، فوَسِعَتْ كفُّه مائةَ سنبلة؛ وذلك أنه حلف ليضربنَّ امرأتَه مائة جلدة لما باعت ذُؤابتها، فأمره الله بأَخْذ حُزمة مما قام على ساق؛ لأن لها حق الخدمة.

وأنت يا محمديّ إذا خدمْتَه وقُمْتَ بحقه، ولن تقدر على ذلك، لا يجمع عليك عقوبتين، فتورد النار؛ لإبرار قسمه في قوله تعالى: ﴿وإنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُها﴾ [مريم: ٧١]. وينجّيك منها لحرمة إيمانك؛ قال تعالى: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢]. ﴿وسيُجَنَّبُها الأَتْقى﴾ [الليل: ١٧].

﴿ضِدّا﴾ [مريم: ٨٢]: يكون للواحد والجمع، ومعناه أن الكفّار يكفرون بعبادة المعبودين، ويكون لهم خلاف ما أَمَّلُوه منهم فيصير العزّ الذي أمّلوه ذلّة. وقيل معناه العون.

﴿ضِيْزَى﴾ [النجم: ٢٢]: أصلها فُعلى بضم الفاء، ولكنها كسرت للياء التي بعدها. يقال ضازَه حقه إذا نقصه.

حَرف العَيْن المهمَلة

﴿عاذ﴾: بالله يعوذ؛ أي استجار بالله ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف. ويقال: استعاذ يستعيذ. ومنه: ﴿معاذ الله﴾ [يوسف: ٢٣].

﴿عالَمين﴾: جمع عالم، وهو عند المتكلمين كلُّ موجود سوى الله تعالى. وقيل العالمين الإنس والجن والملائكة لجمعه جَمْعَ العقلاء. وقيل الإنسان خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿أتأتـون الذُّكْـرَانَ مـن العـالَمين﴾ [الشعـراء: ١٦٥]. والأول هـو الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ لأنَّ رحمته ﷺ عمَّت جميع الموجودات. وقد قال لجبريل يوماً: ما نالك من رحمتي؟ قال له: لولا وجودك لم أُذكر بقوله: ﴿ذِي قُوّةٍ عند ذي العَرْش مَكِين...﴾ [التكوير: ٢٠] الآية.

﴿عَمه﴾: تحيَّر. ومنه: ﴿ويمدهم في طُغيانهم يعْمَهُون﴾ [البقرة: ١٥]؛ أي يتحيرون في ضلالهم.

﴿عاكفين﴾: مقيمين للعبادة ملازِمين حيث وقع، ومنه قوله: ﴿وطَهِّرَا بيتي للطائفين والعاكفين﴾ [البقرة: ١٢٥].

فإن قلت: قد ورد في آية الحج [٢٦] مكان العاكفين القائمين، فهل هما بمعنى واحد؟.

والجواب المراد بالقائمين ذوو الإقامة والملازمة على صفةٍ مخصوصة، وإذا أريد بالقائمين هذا فهو والعكوف مما يصح أن يعبَّر بأحدهما عن الآخر، مع أن لفظ العكوف أخص بالمقصود؛ فيكون خصوص آية الحج بقوله: والقائمين،

لتقدم ذكر العكوف في قوله قبل الآية: ﴿سواء العاكِف فيه والبادِ﴾ [الحج: ٢٥]؛ فلما تقدم ذكْرُ العكوف متصلاً بالآية وقع الاكتفاءُ بذلك، وعُدل عن التكرار الذي من شأن العرب العدولُ عنه إلا حيث يُراد تعظيم أو تهويل، نحو قوله: الحاقّة ما الحاقّة؛ وشبه ذلك. ولما لم يقع ذكر العكوف قبل آية البقرة ولا بعدها وهو مُرادٌ لكونه أخص بالمقصود لم يكن بُدٌّ من الإفصاح، وكان قد قيل في آية الحج: والقائمين، وأغنى ذكرهم متقدماً عن الإتيان به حالاً منبّهة، وأغنى قوله في البقرة: والعاكفين عن قوله: والقائمين؛ لأن العكوف الملازمة؛ وهو المراد بالقيام؛ فورد كلٌّ على ما يجب ويناسب. ويُراد بالركّع السجود ـ المصلون. ومن قال: إن المراد بقوله: والقائمون المصلّون فوَجْهُه أنَّ ذِكر العكوف قد حصل فيما تقدم، فاكتفي به، ولم يكن وقع قبل آية البقرة ولا بعدها؛ فلم يكن بُدٌّ من ذكره. وعَبَّر عن المصلين بالركّع السجود. وتحصّل أنه المقصود بالآيتين، ووردتا على ما يلائم. والله أعلم.

﴿عدل﴾: مِثْل، كقوله: ﴿أو عَدْل ذلك صِياماً﴾ [المائدة: ٩٥]. وفدية، كقوله: ﴿ولا يُؤخذ منها عَدْل﴾ [البقرة: ٤٨]. وكذا قوله: ﴿وإن تعدل كلَّ عَدْل لايُؤْخَذ منها﴾ [الأنعام: ٧٠]. والعدل من أسماء الله تعالى؛ لأن أفعاله كلها عدل؛ فقيل العدل هو الحق؛ فكل عدل حق، وما ليس بعدل فليس بحق.

فإن قلتِ: ما وَجْه تقديم العدلِ في آيةٍ وتأخيره في أخرى؟.

والجواب أن في تقديم الشفاعة قطعاً لطمَعِ مَنْ زَعم أن آباءهم تشفع لهم، وأنّ الأصنام شفعاؤهم عند الله. وأخَّرها في الأخرى؛ لأن التقدير في الآيتين لا يُقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع بعد القبول. وقدَّمَ العدل في الأخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها.

﴿عفونا﴾ [البقرة: ٥٢]: له ثلاثة معان: الصفح عن الذنب، والإسقاط من غير كلفة؛ ومنه: ﴿ماذا يُنْفِقُون قل العَفْو﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل؛ مشاكلة للسؤال، على أن يكون: ماذا ينفقون مركباً مفعولاً بينفقون. وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون ما مبتدأ وذا خبره.

﴿عفا﴾ [المائدة: ٩٥]: له أربعة معان: عفا عن الذنب؛ أي صفح عنه. وعفا أسقط حقّه؛ ومنه: ﴿إلا أن يَعْفُون أو يَعفو الذي بيده عُقْدة النكاح﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حتى عَفَوْا﴾ [الأعراف: ٩٥]. وعفا المنزل درس.

﴿عنَت﴾ [النساء: ٢٥]: زنى. ومنه: ﴿لمنْ خَشِي العنَتَ منكم﴾ [النساء: ٢٥]. وأما قوله تعالى: ﴿لأعْنتكم﴾ [البقرة: ٢٢٠] فمعناه لضيَّق عليكم بالمنع من مخالطتهم. ابن عباس: لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى.

﴿عوَان﴾ [البقرة: ٦٨]: متوسطة بين ما ذكر، ولذلك قال « ذلك »، مع أن الإشارة إلى شيئين.

﴿عَهِدْنا إلى إبراهيم﴾ [البقرة: ١٢٥]: العهد له معان: بمعنى اليقين: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ الله﴾ [النحل: ٩١]؛ ألا ترى قوله: ﴿ولا تَنْقُضُوا الأَيْمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١]. ويقال عليّ عهدُ الله، أي اليمين بالله. وبمعنى الأمان؛ قال تعالى: ﴿فأَتِمُّوا إليهم عَهدهُمْ إلى مُدّتهم﴾ [التوبة: ٤]. وبمعنى الوحي: ﴿إنّ اللهَ عَهِد إلينا﴾ [آل عمران: ١٨٣]. وبمعنى الوعد: ﴿قل أَتَّخذْتم عند الله عَهْداً﴾ [البقرة: ٨٠]. وبمعنى الميثاق: ﴿لا ينال عَهْدي الظالمين﴾ [البقرة: ١٢٤]؛ أي ما وعدناكَ به لا ينال الظالمين من ذرِّيتك. والوعد من الله ميثاق. وبمعنى المحافظة؛ ومنه الحديث: حُسن العَهد من الإيمان. وبمعنى الزمان؛ يقال: كان ذلك على عهد النبي ﷺ، وعلى عهد إبراهيم وموسى وعيسى. وبمعنى الوصية كهذه الآية؛ وكقوله: ﴿ولقد عَهِدْنا إلى آدم من قَبْل﴾ [طه: ١١٥]؛ أي وصّيناه ألا يأكل من الشجرة، فنَسِيَ العهد الذي عهدناه، وأكل منها؛ فآدمُ دخل الجنَّة بعهده، وخرج.

وأنت يا محمديّ تدخل الجنة بعهْدِي، فلا تخرج. والسرُّ فيه أنّ آدم لم يكن له ركوع ولا سجود، ولا جهاد ولا تضرّع؛ ولكنه لم يعتقد الزلّة كما قال تعالى: ﴿ولم نَجد له عَزْما﴾ [طه: ١١٥]. وإبليس اعتقد الزلَّةَ بعد عبادته ولم يعتذر، فلم تخلّصه حسناته، كالكافر يعتقد الزلاّت الكثيرة، ولا يعتذر.

وأنت تعتذر فكيف لا أقبل عُذْرك، وقد كلفتك بأوامر كثيرة، ونهيتُك عن نواهي عديدة؛ وأبوك آدم لم يكن له إلا أمرٌ واحد وهو البُعْدُ من الشجرة، وقد قبلت عُذْرَه؛ فإن اعتذرتَ إليَّ ألحقتك بأبيك في السكنى معه؛ قال تعالى: ﴿والَّذِين آمَنُوا واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَتُهم بإيمان أَلْحَقْنا بهم ذرِّيَتَهُمْ وما أَلَتْناهُمْ مِنْ عملهم مِنْ شَيْء﴾ [الطور: ٢١].

﴿عابدُون﴾ [البقرة: ١٣٨]: مخلصون. وقيل أذلاّء، من قولهم: طريق معبّد، أي مذلّل قد أثّر الناس فيه.

﴿عزَمُوا الطَّلاق﴾ [البقرة: ٢٢٧]؛ أي طلّقوا أو آلوا، فيُطَلّق عليهم الحاكم. والضمير يعودُ على المؤْلِين؛ وطلاقهم بائن عند الشافعي وأبي حنيفة، رَجْعِيّ عند مالك.

﴿على المَوْلود له رزْقُهنَّ وكسْوَتهنّ بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٣]: في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد أَوْجَبها اللهُ للأمّ على الوالد؛ وهو قول الزمخشري وابن العربي.

الثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، وعلى ذلك حملها ابن فورك.

﴿عرَّضتم به منْ خِطْبَة النِّساء...﴾ [البقرة: ٢٣٥] الآية: إباحة للتعريض بخطبة المرأة المعتدَّة. ويقتضي ذلك النهي عن التصريح.

﴿عَلَى الْموسعِ قدَرُه وعلى المقْتِر قدَرُه﴾ [البقرة: ٢٣٦]: بإسكان الدال وفتحها، وهما بمعنى. وعلّق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: ﴿حقاً﴾. وتعلّق مالك في الندب بقوله: ﴿على المحسنين﴾؛ لأن المحسن تطوّع بما لا يلزم.

والحاصل أنه يمتّع كلّ أحد على قدر ما عنده؛ والموسر: الغنيّ. والمقتر: الضيّق الحال.

﴿على نساء العالمين﴾ [آل عمران: ٤٢]: هذا التفضيلُ لمريم ما عدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، أو يكون على نساء زمانها. وقيل: هذا الاصطفاء مخصوص بأَنْ وُهب لها عيسى من غير أَبٍ؛ فيكون ﴿على نساء العالمين﴾ عامًّا. وقيل: إنها كانت نبيئة لتكليم الملائكة لها؛ قال بعض العلماء: إن عائشة أفضل من مريم؛ لأَنَّ براءة مَريم كانت على لسان عيسى، وبراءة عائشة كانت بقول الله تعالى.

فالربُّ الذي تولىّ براءتك وتطهيرك بقوله تعالى: ولكن يريدُ ليطهِّركم. التائبون العابدون الحامدون... الآية وسمّاكم يا أُمَّة محمد بالهداية والخير، والعدل والأمانة؛ أفتراه يطردهم بعد أن دعاهم إلى نفسه، وهو لا يُريد قبولهم. وقد سمعناه يقول للتائبين: وإني لغفّارٌ لِمَنْ تاب إذا مشوا إليه برجْل الندامة على قدم الاعتذار، وللعابدين إذا مشوا برجل النّشاط على قدم الجهد والاجتهاد على قدم الدرجات؛ ومَنْ يأتِه مؤمناً قد عمل الصالحات. وللزاهدين إذا مشوا برجل القناعة على قدم التوكّل مع مراد الله؛ تلْك الدارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرْضِ ولا فَساداً؛ وللمحبين إذا مشوا برجل الرضا على قدم المودّة مع مُراد الذكر؛ أَلا بذكْر الله تَطْمئنُّ القلوب؛ وللمشتاقين إذا مشوا برِجْل المحبة على قدم الإنابة، مع مراد القربة: وجوهٌ يومئذٍ ناضرة.

فإن قلت: ما الحكمة في تَبْرِيح العارفين؟.

فالجواب لأنهم تعهدوا على الكفار بتبليغ الرسالة إليهم. ومن كان شاهداً له يخدمه ويزكّيه ليكون شاهداً له على الحقيقة؛ قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩].

﴿عَرْضُها السمواتُ والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ أي تقرن السموات والأرض بعضُها إلى بعض، كما تُبْسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم

طولها إلا الله؛ لأنّ الله قال لها: امتدّي فامتدت، ثم قال لها: امتدي فامتدت، ثم قال لها: امتدي فامتدت؛ قالت: إلى أَيْنَ يا رب؟ قال: إلى منتهى رحمتي؛ فقالت: لا منتهى لرحمتك. فقال لها: ولا منتهى لك.

وقيل: ليس العَرْض هنا خلافَ الطول؛ وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض.

فإن قلت: إذا كان عرضها هذا، فما معنى ما ورد أنها في السماء؛ وقيل في الأرض؛ وقيل بالوَقْف حيث لا يعلمه إلا الله؟.

والجواب أن الذي يجب اعتقادُه ويفهم من القرآن والحديث أنَّ الجنة في عالم الجبروت، وأن العرش سَقْفها؛ كما صحّ في الحديث: سَلُوا الله الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة. والآية الكريمة: ﴿قلنا اهْبِطُوا﴾ [البقرة: ٣٨] تدلُّ على أنها فوق السموات. وقد قدمنا أنَّ العوالم أربعة: الملك، وهو الدنيا وما فيها. والملكوت وهو السموات وما فيها. والجبروت وهو اللَّوْح والكرسي والقلَم. والجنة وفوقها العرش الذي تأوي إليه أَرواحُ الشهداء. وعالم العزّة لا يَعْلَمُ ما فيه إلا الله ورسوله الذي زج فيه ﷺ، وشاهد فيه من العجائب ما أخبر الله به في قوله: ﴿لقد رَأَى مِنْ آياتِ رَبّه الكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، وخلف جبريل عند سِدْرَةِ المنتهى، وقال: يا محمد، لا أقدر على مجاوزة هذا المكان؛ وما مِنّا إلا له مَقام معلوم.

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان، من طريق عبيد، عن مجاهد، عن ابن عمر ـ مرفوعاً: أن جهنم محيطةٌ بالدنيا، وأن الجنة من ورائها، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة.

فإن قلت: يفهم من هذا الحديث أنّ جهنم تحت الأرض.

والجواب أنا نقول فيها بالوقف؛ إذ لا يعلم محلَّها إلا الله، ولم يثبت عندي حديثٌ أَعْتَمده في ذلك غير ما رواه ابن عبد البر وضعّفه، عن عبدالله بن عمر ـ مرفوعاً: لا يركب البحر إلاَّ غازٍ أو حَاجّ أو معتمر؛ فإنَّ تحت البحر ناراً.

وفي شُعب الإيمان للبيهقي، عن وهب بن منبه: إذا قامت القيامةُ أمر بالمغلق فيكشف عن سقَر وهو غطاؤها، فيخرج منه نار، فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شَفِير جهنّم ـ وهو بحر البحور ـ نشفته أسرعَ من طرفة عَين، وهو حاجز بين جهنم والأرضين؛ فإذا نشفت الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة.

وقيل هي في وجه الأرض؛ لما رُوِي عن وَهْب أيضاً قال: أشرف ذو القرنين على جبل قاف، فرأى تحته جبلاً صغيراً إلى أنْ قال: يا قاف؛ أخبرني عن عظمة الله؛ فقال: إن شأْنَ ربِّنا لعظيم، وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسائة عام في خمسائة عام من جبال ثلج، يحطّم بعضها بعضاً، ولولا هي لاحترقت من حرّ نار جهنم.

وروى الحارث بن أبي أُسامة في مسنده، عن عبد الله بن سلام، قال: الجنة في السماء، والنار في الأرض.

وروي أن اليهود قالوا لعمر: جنة عَرْضُها السموات والأرض، فأين النار؟ قال عمر: أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؛ وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إنها لمثلها في التوراة. قالوا: إن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والأرض.

فإن قلت: قد صحّ أنها لا منتَهى لها، وأن العرش سقفها، والعرش له حدّ ومقدار؛ فما معناه؟.

والجواب أنّ العرش لها كالخيمة، فلا يلزم أن يكون العرش محتوياً على جميعها؛ وهذا مشاهد. وقد صح أنها تَبْقَى بلا ساكن حتى يخلق الله لها مَنْ يسكنها.

فتفكَّرْ أَيُّها العبد عَبْد مَنْ أنت؟ ومَنْ أنْتَ حتى أَهَّلكَ لخدمته وعرَّفك به حتى طلبته؟ وما قيمةُ أعمالك في جَنْب مَنْ عبده؟ فاحمد الله على أن أهَّلك لخطابه، وجعلك من أحبابه، وإياك ومعصيته؛ فإنها تورثك بُعْده. أما علمت أنّه على قَدْر معرفتك به هنا تكون رؤيتك له هناك، وبمعرفتك له يتولّد منه

التعبُ، لكنها توصلك إلى رؤيته التي يزول عنك بها النَّصَب والكَرْب؛ ولما علم سبحانه أنّ الدنيا دارُ مِحَن ومعايش، جعل لهم هذه المعرفة التي يتوصَّلُون بها إلى رؤية ذاته، وعلى قَدْر طول الغربة يكون سرور الأوْبة؛ ولو رأيناه بغير تعب لما وجدنا لها لذّةً؛ ألا ترى آدَم لم يعرف قدرها حتى خرج منها، والمسوقُ بالتعب ألذُّ من المسوق بلا تعب؛ فالمعرفة ميدان الخدمة، والرؤية ميدان الراحة، والمعرفة تكون مع بُعْد عن المراد، والرؤية مع قُرب النفس إلى المراد، والمعرفة مع الخوف والخطر، والرؤية مع الرضا والكرامة. والمعرفةُ أول الكرامة، والرؤية تتمتها، والمعرفة في جوار الشيطان، والرؤية في جوار الرحمن، والمعرفة البراءة عن الخلق، والرؤية الوصول إلى الحق. والمعرفة للواصفين، والرؤية للواصلين. والمعرفة في الجنس، والرؤية في الأنس. وأهل المعرفة يشتاقون إلى موضع الواصلين، والواصلون لا يشتاقون إلى موضع العارفين، فكلٌّ من رأى فقد عرف، وليس من عرف قد رأى.

فإن قلت: لم خُصَّت هذه الآية بما تمهَّد فيها من قصد المبالغة والتعظيم من قوله: ﴿سارِعُوا إلى مغفرةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، دون آية الحديد [٢١].

والجواب لبنائها على الحضّ على الجهاد وعظيم فَضْلِه، وذكر قصة بَدْر وأُحُد من لدن قوله: ﴿وإذْ غَدَوْتَ من أهلك تُبَوِّىءُ المؤمنين...﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى ما بعد الآية المتكلم فيها؛ ولما لم يكن في آية الحديد شيء من ذلك ناسب كلاماً ورد فيها. والله أعلم.

﴿عَزَمْتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي صححت رأيك فيما مضى من الأمر. والمخاطبُ بذلك نبينا ومولانا محمد ﷺ.

﴿عاشِرُوهُنّ﴾ [النساء: ١٩]؛ أي صاحبوهن بالمعروف؛ وأمر الله في هذه الآية الرجالَ بالصفح عنهن وممازحتهنّ وخدمتهن بما أمكن، وله عليها أعظم من ذلك، لقول الله العظيم: ﴿وللرِّجَالِ عليهنَّ دَرَجةٌ والله عَزِيزٌ حكيم﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿عَضَل﴾ المرأة؛ أي منعها من الزواج؛ ومنه: ﴿لا تَعْضُلوهن أن يَنْكِحْن أزواجهنّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. ﴿ولا تعضُلوهن لتَذْهَبُوا ببعض ما آتَيْتُموهنَّ﴾ [النساء: ١٩]. قال ابن عباس: هي في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوُّج بعده، إلا أنّ قوله: ما آتيتموهنَّ على هذا معناها ما آتاها الرجلُ الذي مات. وقال ابن عباس أيضاً: هي في الأزواج الذين يمسكون المرأةَ ويُسيئون عِشْرَتها حتى تفْتدي بصداقها؛ وهو ظاهرُ اللفظ في قوله: ﴿ما آتيتموهن﴾ [النساء: ١٩]. ويُقَوِّيه قوله: ﴿وعَاشِرُوهُنّ بالمعروف﴾ [النساء: ١٩]؛ فإن الأَظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم؛ وقيل هي للأولياء.

﴿عَاقِر﴾ [آل عمران: ٤٠]: له معنيان: المرأة العقيم. واسم فاعل من عقر الحيوان.

﴿عَزَّرْتُموهم﴾ [المائدة: ١٢]: نصرتموهم، وأعنتموهم.

﴿عَدْواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨]: اعتداءً، استدل الملائكة بهذا على سدّ الذرائع، يعني لا تسبُّوا آلهتهم، فيكون ذلك سبباً لأن يسبّوا الله.

﴿عند الله﴾: يعني الآيات بيد الله لا بيدي.

﴿عَتَوْا﴾ [الأعراف: ٧٧]: تكبّروا وتجبّرُوا، وهم الذين لا يقبلون الموعظة.

﴿عَدَل﴾ يعدل عدلاً: ضد جار، وعدل عن الحق عدولاً، وعدلت فلاناً بفلان سوَّيْتُ بينهما، ومنه: ﴿ثم الذين كفَرُوا بربهم يَعْدِلُون﴾ [الأنعام: ١]؛ ودخَلَتْ ﴿ثم﴾ لتدُلَّ على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض والظلمات والنور. وكذلك قوله: ﴿ثم أَنْتُم تَمْتَرُون﴾ [الأنعام: ٢] استبعاد لأن يمتروا فيه بعد وضوح آياته، وبعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم؛ وفي ضمن ذلك تعجيب من فِعْلهم، وتوبيخ لهم؛ والذين كفروا هنا عامٌّ في كل مشرك؛ وقد يختصُّ بالمجوس بدليل ذِكْر الظلمات والنور، أو بعَبَدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردُّ في أكثر القرآن.

﴿عَرَض الدُّنيا﴾ [الأنفال: ٦٧]: عتاب لمن رغب في فداء الأسارى، فإذا عاقب أحبّ خَلْقِهِ على هذا الشيء التافه فما بالُك بمن هو منغمس في الحرام، مرتكب للآثام، قد غلب عليه سكر المدام، لا يَرْعَوِي عن قبيح، ولا يَزْدَجِرُ عن لوم. هذا وقد أحلّ الله لهم الأكل من الغنائم مع احتياجهم إليها.

﴿عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨]: فَقْراً، وذلك أنّ المشركين كانوا يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف بعضهم قلّةَ القوت بها إذا منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فَضْله، فأسلمت العربُ كلها، وتمادى جلْبُ الطعام إلى مكة، ثم فتح المسلمون سائرَ الأمصار.

﴿عَنْ يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩]: عن قهر وذل فيدفعها بيده لا يبعثها مع أحد، ولا يمطل بها، كقولك: يداً بيد.

وقيل عن استسلام وانقياد، كقولك: أَلْقى فلان يَدَه. وقيل عن إنعام منكم عليهم بذلك؛ لأنّ أَخْذ الجزية منهم وتَرْك أنفسهم عليهم مِن بَذْل المعروف.

﴿عزيز﴾: اسم الله تعالى: معناه الغالب. ومنه: ﴿وعَزَّني في الخطاب﴾ [ص: ٢٣]؛ أي غلبني. والغلبة ترجع إلى القدرة والقوة، ومنه: ﴿فعزَّزْنا بثالثٍ﴾ [يس: ١٤]؛ أي قوّينا. وقيل العزيز العديم المثل. وأما قوله تعالى: ﴿عزيز عليه مَا عنِتُّم﴾ [التوبة: ١٢٨]. فعزيز صفةٌ للرسول، وما عنتّم فاعل بعزيز، وما مصدرية. أو ما عنتّم مبتدأ وعزيز خبر مقدّم. والجملة في موضع الصفة.

والمعنى أنه يشقُّ عليه ﷺ عَنَتُكم وما يضرّكم في دينكم ودنياكم؛ يقال عزّه يَعُزه عزاً إذا غلبه. ومنه قولهم: منْ عزّ بزَّ؛ أي من غلب سلب.

﴿عَدْن﴾ [التوبة: ٧٢]: هي أعظم مُدن الجنة. وقيل هو اسم علم على الإقامة.

﴿عاصم﴾: مانع؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إلاَّ مَنْ رَحِم﴾ [هود: ٤٣]. وتحتمل الآية أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون عاصم اسم فاعل، ومَنْ رحم كذلك بمعنى الراحم. فالمعنى لا عاصم إلا الراحم؛ وهو اللهُ تعالى.

والثاني: أن يكون عاصم بمعنى العصمة؛ أي معصوم، ومن رحم بمعنى مفعول، أَي منْ رحمه الله. فالمعنى لا معصوم إلا مَنْ رحمه الله، فالاستثناءُ على هذين الوجهين متّصل.

والثالث: أنْ يكون عاصم فاعل، ومَنْ رحم بمعنى المفعول، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن مَنْ رحمه اللهُ فهو المعصوم.

والرابع: عكسه، والاستثناء على هذين منقطع.

﴿عذابٌ يُخْزِيه﴾ [هود: ٣٩]: هو الغرق، والعذابُ المقيم عذاب النار.

﴿عَمَلٌ غَيْر صالح﴾ [هود: ٤٦]: فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أنْ يكونَ الضمير في ﴿إنّه﴾ سؤال نوح نجاةَ ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابْنِ نوح، وحُذِفَ مضاف من الكلام، تقديره: إنه ذُو عمل غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، وما مصدر وُصف به مبالغة، كقولك: رجل صوم. وقرأ الكسائي عمل ـ بفعل ماض، غَيْرَ صالح ـ بالنصب. والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال؛ لأن الله تعالى لما أراد أن يعذبه قطع نسبَه عنه، ووصفه بعدم الصلاحية.

وأَنْتَ يا محمديّ أضافك إلى نفسه، بقوله: يا عبادي، وإلهكم، أَفَتراه يعذّبُك بعد هذه الإضافة؟.

ولذلك قيل الإشارات ستة: إشارة إلى المتقين بقوله: ﴿سارِعُوا إلى مَغْفِرةٍ مِنْ رَبّكم﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وإشارة العابدين: ﴿فاسْعَوْا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩]. وإشارة العاصِين: ﴿يا عبادِي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣]. وإشارة الهاربين إلى حِصْنه: ﴿فَفِرُّوا إلى الله﴾ [الذاريات:

٥٠]. وإشارة التائبين إلى الفلاح: ﴿وتُوبوا إلى الله جميعاً﴾. وإشارة أهل الكتاب إلى الفلاح: ﴿يا أهل الكتاب تعَالوا إلى كلمة﴾.

وإذا أردت محبةَ الله لعباده فانظر كيف خفَّف المعصيةَ على النفس، وثقل عليها الطاعة؛ ليكون لها حجة، ويقبل عذرها إذا رجعَتْ إليْه؛ فاللهُ يُثيبُ المطيعَ بغاية الثواب للامتثال، ويعاقب الكافر بأقبح العقوبة للمخالفة، والعاصي يعاقبه في الدنيا بأنواع الأمراض والأسقام حتى في قطع شِسْع نَعْله إن لم يَتُبْ، حتى يلقى الله ولا ذَنْب عليه. قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبَتْ أيديكم ويَعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿عاهدتُم من المشركين﴾ [التوبة: ١]: إنما أسند العَهْد إلى المسلمين؛ لأن فعْل الرسول ﷺ لازم للمسلمين، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان ﷺ قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة؛ فمنهم مَنْ وفى؛ فأَمر الله أن يتمَّ عهدَه إلى مدته، ومنهم مَنْ نقض أو قارب النقض، فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد.

﴿عَاهدْتَ منهم﴾ [الأنفال: ٥٦]: يريد بني قُرَيظة.

﴿على سَوَاء﴾ [الأنفال: ٥٨]؛ أي على مَعدلة. وقيل معناه أنْ تستوي معهم في العلم فتنقض العهد.

﴿عَرَضاً قريباً﴾ [التوبة: ٤٢]: هذا الكلام وكثيرٌ مما بعده في هذه السورة في المنافقين الذين تخلَّفُوا عن غزْوَة تبُوك؛ وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة، وكانت في شدة الحرّ وطيب الظلال والثمار، فثقلت عليهم؛ فأخبر الله في هذه الآية أنّ السفر لو كان لعرض الدنيا أو مسافة قريبة لاتّبعوه.

﴿عفَا اللهُ عنك لِمَ أَذنْتَ لهم﴾ [التوبة: ٤٣]: قدَّم الله العفْو لنبيّه قبل عتابه؛ إكراماً له وجَبْراً لقلْبه أن ينصدع؛ وذلك لخوفه من ربه؛ كأنه قال: أصلحك الله يا محمد؛ لِمَ أذِنْتَ لهم في التخلُّف عن الخروج معك حتى يتبيّن لك الذين صدَقوا وتَعْلم الكاذبين؛ لأنهم قالوا نستأذنه في القعود، فإن أَذِن لنا

قعدنا، وإن كان يظهر الصدق من الكذب، وإن لم يأذن قعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع.

﴿عَنِيد﴾: ومعاند وعَنُود بمعنى واحد؛ أي معارض للحق مخالف، يقال: عِرقٌ عَنُود، وطعنة عنود؛ إذا خرج الدم منها على جانب.

﴿على تَقْوَى مِنَ الله﴾ [التوبة: ١٠٩]؛ أي حسن النية في تأسيس بُنْيانه، وقصد وَجْه الله، وإظهار شرعه. والمراد به مسجد المدينة؛ أو مسجد قُبَاء.

﴿على اللهِ رِزْقُها﴾ [هود: ٦]: قد قدمنا أنه وَعْد وضمان.

فإن قيل: كيف قال: «على الله» بلَفْظِ الوجوب؛ وإنما هو تفضّل؛ لأن الله لا يجب عليه شيء؟.

والجواب أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان، ولأنه لما وعد فيه صار واقعاً لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿عَرْشُه على الماء﴾ [هود: ٧]: دليل على أنّ الماء والعرش كانا موجودين قَبْل خَلْقِ السموات والأرض، فسبحان مَنْ لا يُشْبه صنعَه صنع المخلوقين، ولا تدرك حقائق حكمته بصيرةُ المحققين؛ إبليس كانت قبلته العرش، فصار مخذولاً ومطروداً، وعمر بن الخطاب كانت قبلته الصنم فصار مودوداً ومحموداً، إذا أراد الله أن يُدْخِل المنافق فيمن يوافق، وإذا لم يرد إدخال الموافق فيمن ينافق لا رادّ لقضائه، ولا مُعَقِّب لحكمه، سمكة أخذتها اليهود فصاروا قردة، وسمكة أخذت يونس فصارت رئيس السمكِ.

﴿عَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود: ٤٨]؛ أي في السفينة. واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذريّة ممن معك. ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة. فَمِنْ على هذا لابتداء الغاية؛ والتقدير على أمم ناشئة ممن معك. وعلى الأول تكون مِنْ لبيان الجنس.

﴿عذَابٍ غَلِيظ﴾ [هود: ٥٨]: يحتمل أن يريد به عذابَ الآخرة؛ ولذلك

عُطف على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح. ويحتمل أن يُريد بالثاني أيضاً الريح؛ وكرّره إعلاماً بأنه عذاب غليظ، وتعديد النعمة في نجاتهم.

﴿عَصَوْا رُسُلَه﴾ [هود: ٥٩]: في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن مَن عصى رسولاً واحداً لزمه عِصْيان الجميع؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله تعالى وعلى توحيده.

والثاني: أن يراد الجنس، كما قدمنا.

وانظر كيف شنَع كفْرَهم، وهَوّل على فعلهم بحرف التنبيه وبتكرار أسمائهم.

﴿عَصِيب﴾ [هود: ٧٧]: شديد.

﴿عَالِيها سَافِلَها﴾ [هود: ٨٢]: الضمائر لمدائن قوم لوط، واسمها سدوم. يقال: أحور من قطاة سَدُوم.

روي أن جبريل أدخل جناحَه تحت مدائنهم واقتلعها فرفعها حتى سمع أهلُ السماء صراخَ الديكة ونُباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة.

﴿عليها حَجارةً مِن سِجِّيل﴾ [هود: ٨٢]: أي على المدائن. والمراد أهلها ومَنْ كان خارجاً منها. وأما من كان فيها فقد هلك بقلْبها.

﴿على العرش﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي على سرير الملك؛ يعني أنَّ يوسف رفع أبويه على العرش وخَرُّوا سجّداً؛ لأنه كان تحية السلام عندهم السجود؛ وإنما سمى خالته أمّاً لأن العرب تسمِّيها أُمّاً وكان يعقوب تزوّجها من بعد وفاة أم يوسف.

والإشارة فيه أن يعقوب لما تغرّب من كنعان جعل حِجْر يوسف مأواه، والرسول ﷺ لما تغرّب من أبويه جعل حجر أَبي طالب مأواه. وأنت يا محمديّ إذا تغربت في الدنيا، وجعلت الآخرةَ منزلك جعل الله الجنة مَأْواك، قال تعالى: فإنّ الجنَّةَ هي المأوى.

﴿عَمْر﴾، وعُمْر، بالجزم والضم واحد؛ وهو الحياة، ومنه: ﴿لعَمْرك﴾ [الحجر: ٧٢]، ولا يكون في القَسم إلا مفتوحاً.

﴿عَبر﴾ [يوسف: ٤٣]: يعبُر: له معنيان: من عبارة الرؤيا، ومنه: ﴿إن كنتم للرؤْيا تَعْبُرون﴾ [يوسف: ٤٣]. ومن الجواز على الموضع. ومنه: عابري سَبِيل.

﴿عَمِين﴾ [الأعراف: ٦٤، والنحل: ٦٦] وعَمُون، جمع عم، وهو صفة على وزن فَعِل، بكسر العين، من العمى في البصر، أو في البصيرة.

﴿عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ [الرعد: ٢]: اختلف العلماء: هل للسماء أعمدة ترونها؟ فالقائل بها قال: لها جبل قاف؛ وهذا القائل يجعل الضمير في ترونها عائد على العَمَد، فيكون المعنى أنها مرفوعة بغير عمد مرئيّ. وهذا لا يصح. والصواب مذهب الجمهور أنها مرفوعة بغير عَمد. واستدل به ابنُ عبد السلام على أنَّ السماءَ بسيطة؛ إذ لو كانت كورية لما احتيج إلى قوله: بغير عمد؛ لأن الكورية مرفوعة بعمد يعتمد بعضها على بعض. ابن عرفة: وهذا لا حجة فيه؛ لأَنّ الناس لا يعرفون ولا يقطعون بكونها كورية أو بسيطة، وإنما يصحُّ هذا لو كانوا يقطعون بأحد الأمرين، فيقال لهم: بغير عَمَد ليفهم كمالُ القدرة.

ورُوي أن ذا القَرْنَين لما وصل إلى جبل قاف صعد عليه حتى ربط خَيْله بجانب السماء؛ وهذا يحتاج لنَقْلٍ صحيح.

﴿عد﴾، بغير ألف: من العدد، وأعد بالألف: يَسَّرَ الشيء وهيّأه.

﴿عَضُدا﴾ [الكهف: ٥١]: أعوانا.

﴿عَرَضْنا جهنَّم﴾ [الكهف: ١٠٠]؛ أي أظهرناها حتى رآها الكفار.

﴿عَنَتِ الوُجوهُ﴾ [طه: ١١١]؛ أي ذلّت وخضعت، وكيف لا تخضع وتذل، والأنبياء يومئذٍ يقولون: نَفْسي نفسي، لا أسألك غيرها!.

واعلم أنّ الله ذكر الوُجوه في القرآن على سبعة أوصاف، ورتّب وجوه الكفار في الآخرة على سبع: وَجه التسليم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِي﴾ [آل عمران: ٢٠]. ووَجْه العبرة: ﴿على وَجْهِ أَبي﴾ [يوسف: ٩٣]. ووجه الرضا والتفويض: ﴿قد نَرَى تقلُّبَ وَجْهِك﴾ [البقرة: ١٤٤]. ووجه العبادة: ﴿سِيْمَاهُم في

وُجوههم﴾ [الفتح: ٢٩]. ووجه الإقبال والطاعة: ﴿فوَلُّوا وجُوهَكم شَطْره﴾ [البقرة: ١٤٤، ١٥٠]. ووجه الإخلاص: ﴿وجَّهْتُ وَجْهِي﴾ [الأنعام: ٧٩]. ووجه الطهارة: ﴿فاغْسِلُوا وُجُوهَكم﴾ [المائدة: ٦].

وأما وجوه الكفار فذكر لها سبعة ألوان من العذاب: ﴿تلفح وُجُوههم النار﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ [محمد: ٢٧]. ﴿كُبَّتْ وجُوههم في النار﴾ [النمل: ٩٠]. ﴿الذين يُحْشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ [الفرقان: ٣٤]. ﴿ونحشرهم يوم القيامةِ على وجوههم عُمْياً وبُكماً وصُمّاً مأواهم جهنم﴾ [الإسراء: ٩٧]. ﴿وجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرة﴾ [عبس: ٤٠]. ﴿فأما الذين اسوَدَّتْ وجوههم﴾ [آل عمران: ١٠٦].

فإياك أيها الأخ أن يكون وجْهُك أحدَ هذه الوجوه؛ واحرص على أن يكون من الوجوه السبعة الذين ذكرهم الله في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿تعرف في وجوههم نَضْرَةَ النَّعيم﴾ [المطففين: ٢٤]. ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمة. لِسَعْيِها رَاضية﴾ [الغاشية: ٨، ٩]. ﴿وجوه يومئذٍ ناضِرة. إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ﴿وجوه يومئذ مُسْفِرَةٌ. ضاحكة مستبشرة﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]. ﴿وأما الذين ابيضَّتْ وجوهُهم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١٠٧].

اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كلَّ شيء رحمة وعلما.

﴿عَزْما﴾ [طه: ١١٥]: رأياً مَعْزُوماً عليه.

﴿عَشِير﴾ [الحج: ١٣]: صاحب.

﴿على عُروشها﴾ [الحج: ٤٥]: قد قدمنا أن المراد به السقف حيثما وقع، وعرشُ الله أعظم المخلوقات، ونسبة السموات والأرض إليه كحلقة ملقاةٍ في فَلاَةٍ من الأرض، ويحمله الأملاك على كواهلهم، ذاكرين الباقيات الصالحات، وإلا لعجزوا عن حَمْله.

﴿عَذابُ يومٍ عَقِيم﴾ [الحج: ٥٥]: يعني يوم بَدْر. ووصفه بالعقيم؛ لأنه

لا ليلة بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقْتَلون فيه. وقيل هو يوم القيامة، والساعة مقدماته. ويقوِّي ذلك قوله: ﴿الْمُلْكُ يومئذٍ لله﴾ [الحج: ٥٦]. ثم قسَّم الناسَ إلى أصحاب الجحيم وأصحاب السَّعِير.

﴿على أَعْقَابِكم تَنْكِصُون﴾ [المؤمنون: ٦٦]؛ أي ترجعون إلى وراء، والضمير راجع إلى المترفين، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات، وهي القرآن.

﴿عَنِ الصِّرَاطِ لنَاكِبُون﴾ [المؤمنون: ٧٤]؛ أي عادلون. ويحتمل أن يكون صراط الدنيا، وهو المقصود الموصّل إلى الصراط الحسي.

﴿عَدَد سِنِين﴾ [المؤمنون: ١١٢]: يعني في جوف الأرض أمواتاً. وقيل أحياء في الدنيا. ويقال ذلك لأهل النار على وَجْه الاستهزاء والسخرية، فيجيبون بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، لاستقصار المدة، ولِمَا هم فيه من العذاب بحيث لا يعدّون شيئاً، فيقال لهم: اسأل ﴿العَادِّين﴾ [المؤمنون: ١١٣]. ويعنون به مَنْ يقدر أن يعدّ، وهو من عُوفي مما ابْتُلوا به؛ ويعنون الملائكة.

﴿عَبَثا﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ أي باطلاً. والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب.

﴿عذابَهَا كان غَراماً﴾ [الفرقان: ٦٥]؛ أي هلاكاً وخُسراناً. وقيل مُلازماً. ويحتمل أن يكون هذا من كلامِ أهلِ النار، أو من كلام الله عز وجل.

﴿عَبَّدْتَ بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي ذَلّلتهم واتخذتهم عبيداً. ومعنى هذا الكلام أنك عددت نعمةً عليّ تعبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة؛ إنما هي نقمة؛ لأنك كنْتَ تذبح أبناءهم؛ فلذلك وصلتُ أنا إليك فربَّيْتَني؛ فالإشارةُ بقوله: ﴿تلك﴾ [الشعراء: ٢٢] إلى التربية، وأنْ عَبّدت في موضع رفْع عطف بيانٍ على ﴿تلك﴾، أو في موضع نصب، على أنه مفعول من

أجله. وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة عليَّ؛ لأنك عَبَّدْتَ بني إسرائيل، وتركتني؛ ففي المعنى الأول إنكار لنعمته، وفي الثاني اعتراف بها.

﴿عَوْراتٍ لكم﴾ [النور: ٥٨]: معنى العورة الانكشاف فيما يُكره كَشْفُه؛ ولذلك قيل عورة الإنسان؛ وهي ما بين السرة إلى الركبة؛ وضمير خطاب الجمع يعود على جواز الانكشاف في غير هذه الأوقات الثلاثة؛ وهي قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة.

وقد قدمنا في حرف الثاء أنَّ هذه الآية محكمة، وقول المستأذن للنبي ﷺ في الانصراف واحتجاجه: إن بيوتنَا عَوْرة ـ فمعناه منكشفة للعدوّ، وخالية، وقيل خالية للسراق؛ فكذَّبهم الله في ذلك بقوله: إنْ يريدون إلا فراراً منك يا محمّد.

﴿عَرَاء﴾ [الصافات: ١٤٥]: الأرض التي لا شجر فيها ولا ظلّ. وقيل يعني الساحل.

﴿على شَرِيعةٍ من الأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]؛ أي على ملّة ودين.

﴿عارضاً مستَقْبِلَ أَوْدِيتهم﴾ [الأحقاف: ٢٤]: قد قدمنا أن العارضَ السحاب، والضمير يعود على قوم عاد، فلما رأَوْا هذا العارِضَ ظَنُّوا أنه مطر، ففرحوا به، فقال لهم هود: بل هو ما استعجَلْتم به، رِيحٌ فيها عذاب أليم. تُدَمِّر كلَّ شيء بأَمْرِ رَبها ـ عموم يراد به الخصوص.

﴿عَرّفها لهم﴾ [محمد: ٦]: الضمير يعود على أهل الجنة، يعني أَنّ الله عرفهم منازلَهم فيها، فهو من المعرفة؛ ولذلك صح في الحديث: إن أحدهم أَعرف بمنزله فيها من معرفته بمنزله في الدنيا. وقيل: إن الله طيَّبها لهم؛ فهو من العَرْف، وهو طيب الرائحة. وقيل معناه شرَّفَها ورفَعها؛ فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿عاصف﴾ [يونس: ٢٢]: ريح شديدة. والعَصْف ورق الزرع. وقيل التبن والرَّيحان. وقيل هو الريحان المعروف. وقيل كل مشموم طيّب الريح من النبات.

﴿عَبقرِيّ﴾ [الرحمن: ٧٦]: منسوب إلى أرض يعمل فيها الوَشْي وهي خَبِرة، وهو الممدوح من الرجال والفرش. وتزعم العرب أنه بلد الجان، فإذا أعجبها شيء نسبَتْه إليه. والمعنى أن الله وصف طنافس أهل الجنة وزَرَابيهم ونسبها إلى عبقر. وفي الحديث في نزع عمر: فلم أر عبقريًّا يَفْرِي فَرِيّه.

﴿عَتَتْ عن أَمْرِ رَبّها﴾ [الطلاق: ٨]؛ أي تكبَّرُوا وتجبّروا. والضمير يعود على القرية، والمراد أهلها؛ وكذلك: ﴿فحاسبناها حِساباً شدِيداً وعذّبْنَاها عَذَاباً نُكْراً﴾ [الطلاق: ٨].

وهذا كلُّه في الدنيا؛ لأنه قال بعده: ﴿أَعَدَّ اللهُ لهم عذاباً شديداً﴾ [الطلاق: ١٠]. ولأن قوله: فحاسَبْنَاها وعذَّبْنَاها ـ بلفظ الماضي، فهو حقيقة فيما وقع، مجازٌ فيما لم يقع. ومعنى حاسبناها؛ أي وأخذناهم بجميع ذنُوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها، والعذابُ هو عقابهم في الدنيا. والنُّكْرُ هو الشّديد الذي لم يُعْهَد مثله.

فاشكر الله يا محمديّ على أنّ عقوبتك إنما هي في الدنيا إذا لم تَتُبْ من الذنب ولم تستغفر ـ بالآلام والأمراض والأسقام، ولا يجمع عليك عقوبتين، وإن استغفرت فتكتب لك حسنات.

﴿عَلاَ في الأَرْض﴾ [القصص: ٤] يعلو: تكبَّر؛ ومنه: ﴿قَوْماً عَالِين﴾ [المؤمنون: ٤٦]. والعليّ اسمُ الله، والمتعالي والأعلى من العلاء؛ بمعنى الجلال والعظمة. وقيل بمعنى التنزيه عما لا يليق به.

﴿عزب﴾ الشيءُ: غاب. ومنه: ﴿وما يَعْزُبُ عن رَبِّك﴾ [يونس: ٦١]؛ أي لا يخفى عنه.

﴿عبس وبَسَر﴾ [المدثر: ٢٢]: البسور: تقطيب الوَجْهِ، وهو أَشدُّ من العبوس. والمراد بهذا الوصف الوليد بن المغيرة لمّا حسده ﷺ ولم يَدْرِ ما يقول فيه، وضاقت عليه الحيل عبس في وجهه، وقال لما قال له: إن قريشاً قد

أَبغضتك لمُقَارَبتك لمحمد، ففكّر في نفسه، وقال: أَقول فيه قولاً يُرضيهم؛ فقال: أَقولُ في القرآن شعر؟ ما هو بشعر. أقول كاهن؟ ما هو بكاهن. أقول سحر؛ وإنه قول البشر غير منزل من عند الله.

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ اللهِ يُفَجِّرُونها تفجيرا﴾ [الإنسان: ٦]؛ أي حيث شاؤُوا من منازلهم تفجيراً سهلاً، لا يَصْعُب عليهم. وفي الأثر: إن في قصر النبي ﷺ في الجنة عيناً تتفجَّر إلى قصور الأنبياء والمؤمنين على قَدْر اتِّباعهم له، وكيف لا وهو مَنْبَع الخير الدنياوي والأخروي، وجميع علومهم متفجرة مِن علْمِه ﷺ؛ وهل نال جميع الموجودات من الخيرات إلا مِنْ فَيْض جُودِه؟ أو هل خلق اللهُ الجنةَ إلاَّ من أجله، فيعطيها مَنْ شاء مِنْ خَلْقه. و﴿عَيْناً﴾ في الآية بدلٌ من كافور، على القول بأن الخمر تمزج بالكافور. وبدل من موضع كأس على القول الآخر، كأنه قال: يشربون خمراً خَمْر عين. وقيل: هو مفعول بيشربون. وقيل منصوب بإضمار فعل.

قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى يشربها. وهذا ضعيف؛ لأن الباء تزاد في مواضع ليس هذا محلّها؛ وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل؛ لأن العين المذكورة يُمزج بها الكأس من الخمر.

فلتتأَمّلْ أَيها الناظر إلى وصفهم بالعبودية وإضافتهم إلى الوصف العظيم، تعرف بذلك عظيمَ منزلتهم، ويشهد لذلك تشريف نبينا ﷺ بقوله: ﴿سبحان الذي أَسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١]، ولم يقل بنبيّه؛ لأن العبودية أَشرف التحلية.

وإذا تأملْتَ وصف العبودية في القرآن لا تجِدُها إلاّ لَمَنْ يتصف بالطاعة؛ كقوله: ﴿وعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِين يَمْشُون على الأرض هَوْناً﴾ [الفرقان: ٦٣]. فما أحسنها من إضافة من محبٍّ لمحبوب؛ مرةً أضافهم إلى الاسم العظيم، ومرة إلى الرحمة؛ وأعظم من هذا أنه أضاف العاصي إلى نفسه، بقوله: ﴿يا عبادي الذين أَسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣]؛ كي لا يقدر إبليس أَن يسلبه منه

ولا يضرّه؛ فالذي أضافكَ إليه مع عصيانك أتراه لا يرزقك؟ أو إن رجَعْتَ إليه لا يَقْبَلُك؟ أو إن استغفرته لا يغفر لك؟ كلا، والله؛ بل يقبلك على ما فيك من العيوب، فسبحان مَنْ خلق الْخَلق ليرزقهم، ويظهر قدرته فيهم، ويُميتهم ليظهر قَهْرَه، ويُحْيِيهم ليظهر جلالته، ويدخلهم جنّتَه ليظهر فَضْله، ويعذبهم ليظهر عدله فيهم ونِقْمته؛ لا يُسأل عَمّا يفعل وهُمْ يُسْأَلون.

• ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ [النبأ: ٣٦]؛ أي كافياً، من أَحْسَبَهُ الشيء إذا كفاه. وقيل معناه على حسب أعمالهم. ويقال أصل هذا أن تعطيه حتى يقول حَسْبي حسبي؛ فهناك أعطاهم بغير حساب.

وفي موضع قال: ﴿كَفى بِنَا حاسِبِين﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وهم المعاملون بالفَضْل. وفي موضع قال: ﴿كفى بنفسك اليومَ عليك حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤]. وهم مَنْ أراد اللهُ أن يُعامِلهم بالعدل.

﴿عَسْعَس﴾ [التكوير: ١٧]: من الأضداد. ويقال عسعس الليل: أقبل ظلامه في أوله، وقيل في آخره. وهذا أرجح؛ لأَنّ آخر الليل أفضله، ولأنه أعقبه بقوله: والصبح إذا تنَفَّس؛ أي استطار واتسع ضَوْءُه.

﴿عَدَّلك﴾ [الانفطار: ٧]، بتشديد الدال: قوّم خَلْقك، وبالتخفيف: صرفك إلى ما يشاء من الصورة في الْحُسْن والقبْح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، وغير ذلك، من اختلاف الصور.

وبالجملة فابنُ آدم من أكرم المخلوقات في تعديل صورهم في أيديهم، والمشي على أرجلهم، وانتصاب قامتهم، وتركيب أجسادهم، والعلم والعقل، والأكل باليمين، وسَتْر العورة، واللباس؛ والرجال باللّحى، والنساء بالذوائب.

فتأمّلْ يا ابن آدم في هذه الكرامات التي أكرمك بها، وأضافك بالكرامة إليه، في قوله: ﴿ما غَرَّكَ بربّكَ الكريم﴾ [الانفطار: ٦]. وإلى رسوله في قوله: ﴿إنه لقَوْلُ رسول كريم﴾. وإلى كلامه في قوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾. وإلى مدخل رحمته: ﴿ونُدخلكم مُدْخَلاً كريماً﴾ [النساء: ٣١]. وإلى تفصيل

أعضائك من عَظْم ولحم، ومخ وعصب وعروق ودم، وجلد وظفر وشعر؛ كل واحد منها لحكمة، لولاها لم يكن الجسدُ بحسب العادة؛ فالعظامُ منها هي عمود الجسد، فضمّ بعضها إلى بعض بمفاصِلَ وأقْفال من العضلات والعصب ـ رُبطت بها، ولم يجعلها عظماً واحداً؛ لأنك ترجع مثل الحجر، ومثل الخشبة؛ لا تتحرك، ولا تجلس ولا تقوم، ولا تركع ولا تسجد لخالقك، وجعل العصب على مقدار مخصوص، ولو كان أقواها هو لم تصحّ عادةُ حركةِ الجسم؛ ولا تصرُّفه في منافعه؛ ثم خلق الله تعالى المخَّ في العظام في غاية الرطوبة، ليرطب يَبس العظام وشدّتها، ولِتَقْوى العظام برطوبته؛ ولولا ذلك لضعفت قوّتها، وانخرم نظام الجسم لضعفها بحسب مجرى العادة. ثم خلق اللحم، وعبّأه على العظم، وسدّ به خللَ الجسد كله، فصار مستوياً لحمة واحدة، واعتدلت هيئةُ الجسد به، واستوت.

ثم خلق العروق في جميع الجسد جداولَ لجريان الغذاءِ فيها إلى أركان الجسد، لكلّ موضع من الجسد عددٌ معلوم من العروق صِغَاراً وَكِباراً؛ ليأخذ الصغير من الغذاء حاجَته والكبيرُ حاجتَه. ولو كانت أكثر مما هو عليه أو أنقص، أو على غير ما هي عليه من الترتيب ـ ما صحَّ من الجسد بحسب العادة شيء. ثم أَجْرَى الدمَ في العروق سيّالاً خاثراً، ولو كان يابساً أو أكثف مما هو عليه لم يَجْرِ في العروق. ولو كان ألطف مما هو عليه لم تتغذ به الأعضاء. ثم كسا اللحم بالجلد؛ ليَستُرَه كلّه، كالوعاء له. ولولا ذلك لكان قشراً أحمر. وفي ذلك هلاكهُ. ثم كساه الشعر وقايةً للجلد وزينة في بعض المواضع. وما لم يكن فيه الشعر جعل له اللباس عوضاً منه، وجعل أُصوله مغروزة في اللحم ليتمَّ الانتفاعُ ببقائه وَلِين أصوله، ولم يجعلها يابسة مثل رؤوس الإبر؛ إذ لو كانت كذلك لم يَهْنِه عَيْش.

وجعل الحواجبَ والأشفار وقاية للعين، ولولا ذلك لأهلكها الغُبار والسقط، وجعلها على وَجْهٍ يتمكن بسهولة من رَفْعِها على الناظر عند قَصْد النظر، ومن

إرخائها على جميع العين عند إرادة إمساك النظر إلى ما تُؤذى برؤيته ديناً أو دنيا، ولم يجعل شَعرها طبقاً واحداً لينظر من خللها.

ثم خلق شَفَتيْنِ ينطبقان على الفَمِ يَصُونان الفمَ والحَلْق من الرياح والغُبار، وينفتحان بسهولة عند الحاجة إلى الانفتاح. ولما فيهما أيضاً من كمال الزينة وغيرها.

ثم خلق بعدها الأسنان ليتمكن بها من قطع مأكوله وطَحْنِه. وجعل اللسان الذي يجمَعُ به ما تفرق من المأكول في أرجاء الفم؛ ليتمكن تسهيله للابتلاع بطَحْنِ الأرحاء؛ وخلق فيه معنى الذوق لكل مأكول ومشروب. ولَم يخلق جَلّ وعلا الأسنان في أول الخلقة لئلا يضر بأُمِّه في حال رضاعه بالعَضّ؛ ولأنه لا يحتاج إليها حينئذ لضعفه عما كثف من الأغذية التي تفتقر إلى الأسنان؛ فلما كبر وترعرع وصلح للغـذاء خلـق لـه الأسنـانَ، وجعلهـا نـوعين: بعضهـا محددة الأطراف؛ وهي التي للقطع، يقطـع بها المأكـول، وبعضهـا بسيطـة وهـي التي للطحن؛ فسبحانه! ما أكثر عجائب صُنْعه، وأوسع الآيات الدالة عليه! ولكن لا نبصر شيئاً إلا بتوفيق الله تعالى.

ثم لما كان المأكول شديداً كثيفاً، ولم يكن يجري في الفم إلى الْحَلْق ـ وهو كذلك على يبسه ـ أنبع الله تعالى في الفم عيْناً نَبّاعة على الدوام أَحْلَى من كل حلو، وأعذب من كل عذب، فيحرك اللسان الغذاء، ويمزجه بذلك الماء، فيعود زلقاً، فينحدر في الحلق بلا مؤونة؛ ولهذا إذا أبدل الله تعالى تلك العين جفوفاً من المرض لم يَمْضِ على الحلْق شيء، وإن مضى فبمشقَّة عظيمة؛ ومن عجيب هذه العين أنها مع عدم انقطاعها لم يكن ماؤها يملأ الفم في كلّ وَقْتٍ حتى يتكلفَ الإنسان مؤونة عظيمة في طَرْح ذلك عنه. جرت على وَجْه الحكمة فيه أن تعدد أَوْجُه منفعتها؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم خلق أظفار اليدين والرجلين، لتشتـدّ بها أطـرافهـا، لكثرة حـركتهـا، والتصرف بها في الأمور، وليحكّ بها، وينتفع في موضع الحاجة.

وانظر إلى خلْق الأصابع، وجعلها مفرقة ذات مفاصل؛ ليتمكن بذلك من قَبْضها وبَسْطِها بحسب الحاجة.

ولما كان الشّعر والظّفر مما يطول لما في طولها من الصالح لبعض الناس، وفي بعض الأوقات، وكان جَزّها مما يحتاج إليه في بعض الأوقات، لم يجعلها كسائر الأعضاء في تألم الإنسان بقطعها.

فانظر إلى دقائق هذا الصنع الجليل، وحُسْن المعاني مِنْ ربّ جميلٍ لجميع الحيوان؛ وخص هذا الآدمي بخصائص وحِكَم يُعْجِز ذكرها. وقد أشرنا إلى بعضها؛ وقد ذكر أهل التشريح تفصيلها.

وبالجملة فهذا الآدميُّ هو العالَـم الأكبر، وجميـع المخلـوقـات هـو العـالم الأصغر، وكيف لا وقد جمع الله فيه ما تفرق في كلّ الأشياء؛ فإن كان للسماء علوّ فللآدَمِيّ القامة. وإن كان في الفلك شمس وقمر فللآدمي العينان. وإن كان له نجوم فللآدمي الأسنان. وإن كان للفلك الدوران فللآدمي السير. وإن كان للسماء القطر فلعين الآدمي الدمعة. وإن كان للبرق لمعة فللآدمي اللمحة. وإن كان للأرض الزلزلة فلنفس الآدمي الرّعْدة. وإن كان للأرض القرار فللآدمي السكون والوقار. وإن كان في الأرض الأنهار فللآدمي العروق. وإن كان للأرض النبات والأشجار فلنَفْسِ الآدمي الشعور. وإن كان في السماء العرش فهمّة المؤمن أعلى وأعظم؛ وهي متعلقة بالمولى. وإن كان في السماء الجنّة فللمؤمن القلب؛ وهو أزين منها، لأن الجنة محل الشهوة، والقلب محل المعرفة؛ وخازن الجنّة رضوان وخازن قلب المؤمن الرحمن. إنّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وفي رواية: القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء.

اللهم يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثبت قلوبنا على طاعتك، وأَعِنْها على عبادتك، وهَبْ لها أرواحاً تَقُودُها إلى مشاهدتك؛ فإنك قلت: ﴿والسابقون السابقون. أولئك الْمُقَرَّبُون﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]. ﴿فأصحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] وأَعِذْنا من أَرواح أصحابِ المشأمة.

قال بعضهم: للمؤمنين أربعة أرواح: روح الإيمان، وبها عَبَدُوا اللهَ ووَحَّدُوه. وروح القوة، وبها جاهدوا أعداء الله. وروح الشهوة، وبها أصابوا لذة المطعم والمشرب والتمتّع. وروح الحياة، وبها تحركوا إلى الطلبات.

وأما أصحاب المشأمة فبروح الحياة استعانوا على طول الأمل، وبروح القوة على المعصية، وبروح الشهوة على أَخْذ الحرام والشبهة؛ فلذلك شبههم بالأنعام فقال: ﴿إنْ هُمْ إلاّ كالأنعام﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقال آخر: إنْ كان في العالم سبع سموات فللآدميّ سبعة أعضاء، وأمر أن يسجد عليها: اليدين، والرجلين، والركبتين، والوجه. وإن كان في العالم الحيوان فللآدمي القمل والبراغيث والصئبان. وإن كان للعالم شمس فللآدمي المعرفة أنور منها والعلم. وفي العالم النجوم وفي الآدمي العلوم. وفي العالم الطيور وفي الآدمي الخواطر. وفي العالم جبال وفي الآدمي العظام. وفي العالم أربع مِيَاهٍ: عذب، ومُنْتن، ومُرّ، ومالح. وفي الآدمي العذب في فَمِه، والمرّ في أُذنيه، والمالح في عينيه، والْمُنْتن في أنفه.

فتفكَّر يا ابن آدم كيف خلقك وصوَّرك على سبعة أعضاء، وسبعين مفصلاً، ومائة وثمانية وأربعين عظماً، وثلاثمائة وستين عِرْقاً، ومائة ألف وأربعة وعشرين ألف شعرة، حياتها بروح واحدة. وجميع الأجناس المختلفون خالقهم العزيز الجبّار.

﴿عَيْنٍ آنِيَة﴾ [الغاشية: ٥]: قد قدمنا أنها شديدة الحر، ووَزنُ آنِيَة هنا فاعلة، بخلاف آنية مِنْ فضة فإن وزنها أَفعلة.

﴿عالية﴾ [الغاشية: ١٠]: نعت للجنة، لكن يحتمل أن تكون من علوّ المكان، أو من علوّ المقدار، أو الوجهين.

﴿عَيْنٌ جارية﴾ [الغاشية: ١٢]: يحتمل أن يريد جنْسَ العيون، أو واحدة شرّفها بالتعيين.

﴿عَلَيْنَا لَلهُدَى﴾ [الليل: ١٢]؛ أي بيان الخير والشر. وليس المراد الإرشاد عند الأشْعرية، خلافاً للمعتزلة

﴿عائِلاً فأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]: يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجاً، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله؛ وهذا الفقر والغنى هو في المال، وغِنَاهُ عليه السلام هو أَنْ أعطاه اللهُ الكَفاف. وقيل: هو رِضَاه بما أعطاه الله. وقيل المعنى وجدك فقيراً إليه فأَغناك به.

﴿عَلَق﴾ [العلق: ٢]: جَمْع علَقة، وهي النُّطْفَة من الدم، يخلق منها الإنسان. وإنما جمع العلق في سورة اقرأ؛ لأنه أراد الجماعة، بخلاف قوله: ﴿فإنا خلَقْنَاكُمْ مِنْ تُراب ثم مِنْ نطفة ثم مِنْ عَلقة﴾ [الحج: ٥]؛ لأنه أراد كلَّ واحدٍ على حِدَته، ولم يدخل آدم في الإنسان هنا. لأنه لم يخلق من علقة؛ وإنما خُلِق من طين.

فليتأمل العاقِل خِلْقته من علقة في رَحم مغمومة من دَمٍ حيض، فلما كبر وترعرع صار يخاصِمُ مَوْلاه؛ كما قال تعالى: ﴿فإذا هو خَصِيمٌ مُبين﴾ [يس: ٧٧].

﴿عَلّم بالقلم﴾ [العلق: ٤]: هذا تفسير للأكرم المذكور قبله؛ فدلَّ بهذا على أن نعمةَ التعليم أكبر نعمة. وخص من التعليمات الكتابة بالقلم، لما فيها من تخليدالعلوم، ومصالح الدنيا والدين. وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم.

يا معاشرَ العلماء، قد كتبتُم ودَرَسْتُم، ولو ناقشكم بالمحاسبة لأفلستم؛ ما يكون جوابكم إذا قال لكم: يا أُمَّة أحمد، قد كُرِّمْتُم وفُضِّلْتُم، وأعطيتكم ما لم أُعْطِها أمةً قبلكم، وشرفتكم بما شرفت به الأنبياء. أمَا سمعتم ما قلت لنوح: ﴿اهْبِطْ بسَلامٍ مِنّا﴾ [هود: ٤٨]. ولكم: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل: ٥٩]. وقلت لإبراهيم: ﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ولكم: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢]. وأعطيت العَصَا لموسى. ولكم قُلْت: ﴿قَوْلاً سديداً. يُصْلِحْ لكم أعمالكم﴾

[الأحزاب: ٧٠ ، ٧١]. وأحييت على يَدِ عيسى الْمَوْتَى؛ وقلت لكم: ﴿أَوَ مَنْ كان مَيْتاً فأحيَيْنَاه﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وأعطيت الملك لسليمان، وأعطيتكم الملك، وخصوصاً الملك الكبير. وأحضرت العرش على يد آصف وأزلفْتُ الجنة لكم. ولئن بشرت يعقوب بريح القمِيص فقد قلت لكم: ﴿فرَوْحٌ ورَيْحان وجَنَّة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٩]. فبأيّ عمَلٍ تدخلوها؟ وبأي نية نويتموها؟ علّمتكم ما لم تعلموا ، وخاطبتكم بما تفهمون، واستملت قلوبكم لتأنسوا؛ فلم تزيدوا إلا بُعْداً، ودعوتكم لدار كرامتي فأعرضتم عنها، فلا إليَّ تقرَّبْتُمْ، ولا لها أردتُمْ، ولا بها تلذّذتم. أما علمتم أنكم لا تَدْعُون لدياركم إلاّ من تحبّون أن تطعموه، ولا تنسبون إلى أنفسكم إلا مَنْ تريدون أن تكرموه. أما سمعتم قولي: والله يَدْعُو إلى دار السلام. يدعوكم ليغفر لكم مِن ذنوبكم؛ فلِمَ تقاعستم؟ اللهم إنكَ أنعمتَ علينا بنعم لا تحصى، وأعظمها الخطُّ بالقلم، وعلمتنا ما لم نكن نعلم، فجعلناها سُلّماً لمعاصيك، فحلمْتَ عنا، ولم تعاجلنا بالعقوبة فضلاً منك علينا، فأنّى لنا بجوابك عند العَرْض عليك، والوقوف بين يديك، إلا قولنا لك: غرّنا حِلمُك وكرمك، فأتْمِمْ علينا جودك وإحسانك، وقولك لعبدك: سترتُهَا عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، وإن لم يقَعْ منك ذلك فقيِّضْ نبينا وحبيبنا للشفاعة؛ فإنك أخبرتنا على لسانه الصادق المصدَّق؛ أنّ شفاعتَه لأهل الكبائر من أمته، ونحن من أُمته المؤمنون به المصلّون عليه. عليه الصلاة والسلام؛ يا سيد الخلق، ها أنا أَتَوَسَّلُ بك إلى ربي في غفران ذنوبي.

﴿عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]: يعني العلوم على الإطلاق، أو علْمَ الكتابة بالقلم. وعلى هذا فالإنسان نبيُّنا ومولانا محمد ﷺ؛ لقوله: وعلَّمَكَ ما لم تكن تعلم. وهو ﷺ لم يكتب ولم يقرأ.

﴿عَصْر﴾ [العصر: ١]: دَهْر؛ أقسم اللهُ به في كتابه، لكن اختلف ما المراد به؟ فقيل صلاة العصر؛ أقسم الله بها لفَضْلها؛ ولذا ورد في الحديث: مَـنْ فاتَتْه صلاة العَصْر فكأنما أوتر أَهله وماله؛ أي خسرهما. وقيل إنه

العشيّ؛ أقسم به كما أقسم بالضّحى؛ ويؤيّد هذا قول أبيّ بن كعب: سألت رسولَ الله ﷺ عن العصر، فقال: أقسم ربكم بآخر النهار.

﴿على الأفْئِدة﴾ [الهمزة: ٧]: يعني أنَّ النارَ تبلغُ القلوبَ بإحراقها. قال ابنُ عطية: يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع ما في القلوب من العقائد والنيّات باطلاع الله إياها.

﴿عَنْ صَلاَتِهِم سَاهُون﴾ [الماعون: ٥]: هو تركها بالكلية؛ وهذا كقوله تعالى: أَضاعوا الصلاةَ واتَّبَعُوا الشهوات. وقيل هم الذين يؤخِّرُونها عن وقتها تهاوُناً بها، كما ورد في الحديث. وكذلك قالت عائشةُ رضي الله عنها: والله ما ضيَّعُوها، وإنما أخَّروها عن وقتها المختار.

﴿عُدْوَان﴾: [البقرة: ١٩٣]: ظُلْم وتعدّ حيثما وقع. وقوله: ﴿فلا عُدْوَانَ إلاّ على الظالمين﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ أي فلا جزاء ظُلم إلا على ظالم؛ تسميةً لعقوبته باسم ذنبه.

﴿عَرَفات﴾ [البقرة: ١٩٨]: اسم علم للموقف. سُمِّي بذلك لتعارُفِ الناس به. والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صَرْف؛ فإن فيه التعريف والتأنيث. وقيل: إنما سمي به لأنَّ آدم عرف فيه حوّاء.

﴿عَرَج﴾ [المعارج: ٣]: يعرُج ـ بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع: صعد وارتقى. ومنه: ﴿المعارج﴾ [المعارج: ٣]. وعرِج بالكسر في الماضي والفتح في المضارع: صار أعرج.

﴿عرْضةً لِأَيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٤]؛ أي لا تكثروا الحلف به فتَبْتَذِلُوا اسمه. ويقال هذا عرضة لك؛ أي عدة لك.

﴿عقود﴾ [المائدة: ١]: ما عقده المرءُ على نفسه مع غيره من بيع ونكاح وعِتْق وشِبْه ذلك. وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات؛ كالحج والصيام وشبه

ذلك. وقيل: ما عقده اللهُ على عباده من التحليل والتحريم في دينه. ويجبُ الوفاء بكل ذلك كما وصّى بذلك في غير ما موضع.

﴿عُرْف﴾ [الأعراف: ١٩٩]: هو أفعال الخير. وقيل العرف الجاري بين الناس من العوائد. واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿عُصْبَة﴾ [يوسف: ٨]؛ أي جماعة من العشرة، ومراد إخوة يوسف بهذا القدرةُ على النَّفْعِ، وأنهم لا يقاومون اطمئناناً لأبيهم.

﴿عُقْبَى الدَّار﴾ [الرعد: ٢٢]؛ أي عاقبة. وعاقَب له معنيان: من العقوبة على الذنب، ومن العقبى. ومنه: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبْتُم﴾ [الممتحنة: ١١]؛ أي أصبتم عُقبى.

﴿عَيْن﴾: له في القرآن معنيان: العين المبصرة، وعين الماء: وله في غير القرآن معانٍ كثيرة.

﴿عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، وعسيًّا وعسوًّا بمعنى واحد، وهو يبس في الأعضاء والمفاصل. وقيل مبالغة في الكبر.

﴿عسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدا﴾ [الكهف: ٢٤]: هذا كلامٌ أُمِر النبي ﷺ أن يقوله. والإشارةُ بهذا إلى خبر أصحاب الكهف؛ أي عسى أن يُؤتِيَني اللهُ من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوءتي من خبر أصحاب الكهف. واللفظ يقتضي أن المعنى عسى أن يوفقني الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أَرْشَد من خبر أصحاب الكهف وأقرَبُ إلى الله. وقيل: إن الإشارة إلى المنسي؛ أي إذا نسيتَ شيئاً فقُلْ عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسيّ.

﴿عُقْدة﴾ [طه: ٢٧]؛ أي حُبْسة، والمراد بها الرُّتَّة التي كانت في لسان موسى من الْجَمْرَةِ التي جعلها في فِيه، وهو صغير، حين أراد فرعونُ أَن يجربه. وإنما قال «عقدة» - بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها ليَفْقَه قوله؛ ولم يطلب الفصاحةَ الكاملة.

﴿عُجَاب﴾ [ص: ٥] وعجيب بمعنى واحد؛ وهو قولُ الكفار الذين تعجّبُوا من التوحيد ولم يتعجبوا من الكفر الذي لا وَجْهَ لصحته.

ورُوي أَنَّ المسلمين فرحوا بإسلام عمر، وتغيَّر المشركون لذلك؛ فاجتمعوا ومشَوْا إلى أبي طالب وقالوا: أنْتَ شيْخُنا وكبيرنا، وقد علمتَ ما فعل هؤلاء السفهاء منا، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابْنِ أخيك؛ فاستحضر أبو طالب رسولَ الله ﷺ، وقال: يا بْنَ أخي، هؤلاء قومُك يسألونك السؤال فلا تَمِلْ كلَّ الْميل على قومك. فقال ﷺ: «ماذا تسألونني؟ فقالوا: ارفض آلهتنا وارْفضنا وندعك وإلهك». فقال ﷺ: «أرأيتكم إنْ أعطيتكم ما سألتم أَمُعْطِيّ أنتم كلمةً واحدة تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم؟» قالوا: نعم وعشراً؛ أي نعطيكها وعشر كلمات معها. فقال: قولوا لا إله إلا الله. فقاموا، وقالوا: أَجعل الآلهةَ إلهاً واحداً! إن هذا لشيء عُجَاب؛ أي بليغ في العجب.

﴿عُرُباً﴾ [الواقعة: ٣٧]: جمع عَروب؛ وهي المتودّدة إلى زوجها بإظهار محبّتها؛ وعبَّر عنهن ابنُ عباس بأنهن العواشق. وقيل هن الحسنة الكلام.

﴿عتُلٍّ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

﴿عُتْبَى﴾: معناه الرضا. ومنه: ﴿فما هم مِنَ الْمُعْتَبِين﴾ [فصلت: ٢٤]. ﴿ولا هم يُسْتَعْتَبُون﴾ [النحل: ٨٤]. والعتاب: العذاب.

﴿عِبْرة﴾ [آل عمران: ١٣]: اعتباراً وموعظة حيثما وقع.

﴿عِيدا﴾ [المائدة: ١١٤]: كل يوم مجمع؛ ولذا طلب عيسى المائدة أن تكون تنزل عليهم كلّ يوم عيد. وقال ابن عباس: المعنى تكون مجتمعة لجميعنا أوّلنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة، لا عيداً يدور؛ وإنما سُمّي عيداً لعوْدِه بالفرح والسرور على قومٍ وعلى قوم بالحزن، وكذلك المأتم، سمي بذلك؛ لأنه لم يتم لأحد فيه أمر.

﴿عيسى ابن مريم﴾: قد قدمنا سرَّ الإفصاح بأمه، ولم يسمّ امرأة في القرآن غيرها؛ وذلك لنفي التهمة؛ لأن العادة بين الْخَلق ألاّ يصرح الرجلُ باسم امرأته؛ فسمّاها اللهُ باسمها كي لا يظنَّ ظانٌّ أنها زوجته، وخلقه الله بغير أبٍ. وكلّم الناسَ في الْمَهد ككلامه في حال الكهولة، وعلّمه التوراةَ في بطن أمه، وأحيا الموتى على يديه، وأبرأ الأكْمَه والأبْرَصَ، وأكرمه الله بالزُّهد في الدنيا حيث لم يتخذ من الدنيا شيئاً؛ ولهذا قال عليه السلام: مَنْ أراد أن ينظُرَ إلى زُهْد عيسى فلينظر إلى زُهد أبي ذَرّ. وعلمه الخطَّ الجيد؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: الخط عشرة أجزاء: أحدها لجميع الْخَلْق وتسعة لعيسى ابن مريم خاصة.

وكانت مدةُ حَمْله ساعة. وقيل ثلاث ساعات. وحملَتْ به وهي بنْتُ عشر سنين. وقيل بنتَ خمس عشرة سنة.

ورفعه الله إلى السماء، وله ثلاث وثلاثون سنة. ونؤمن بنزوله في آخر الزمان، ويقتل الدجال.

وفي مسند أحمد من حديث جابر: يخرج الدجّال في خفقة من الدِّين، وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة، يسيحها في الأرض؛ اليومُ منها كالسنة، واليومُ منها كالشهر، واليومُ منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه. وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيْه أربعون ذراعاً، فيقول للناس: أناَ ربُّكم، وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه كلّ مؤمن كاتب وغير كاتب، يَرِدُ كلَّ ماءٍ ومَنْهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خُبز، والناس في جهد إلا من اتّبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه: نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار؛ فمن أدخل الذي يسمّيه الجنة فهو في النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو في الجنة.

قال: ويبعث معه شياطين تُكلِّم الناسَ، ومعه فتنةٌ عظيمة يأمر السماء فتُمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس؛ فيقول الناس: أيها الناس، هل يفعل مثل هذا إلا الرّب، فيفر الناسُ إلى جبال الشام، فيأتيهم فيحاصرهم

فيشتدّ حصارهم، ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى في باب «لُدّ» في السحَر، فيقول: أيها الناس، ما منعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذّاب الخبيث؟ فإذا هم بعيسى، فتُقام الصلاة، فيقال له: تقدّم، فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلّي بكم؛ فإذا صلّوا صلاةَ الصبح خرج بهم إليه، فحين يراه الكذّاب يَنْمَاث ـ أي يذوب ـ كما يذوب الْمِلحُ في الماء، فيقتله حتى إن الحجر والشجرَ ينادِي: يا روح الله، هذا يهوديّ، فلا يتركُ ممَّن كان يتبعه أحدٌ إلا قتله.

وفي الصحيح أحاديثُ بمعنى ذلك. وفي أحاديث أنه يتزوَّج ويُولَدُ له الولد، ويمكث في الأرض سبع سنين، ويُدْفن معه ﷺ.

وفي الصحيح أنه رَبْعة أحمر كأنما خرج من دِيْمَاس ـ يعني حَمّاما.

وعيسى اسمٌ عبراني أو سرياني، وهو أحد الأربعة الذين سمّاهم الله قبل وجودهم.

فإن قلت: قد اختاره الله لإقامةِ دينه، وخَصّه بما لم يخصّ به أحدٌ غيره؛ فلِمَ لا يتقدم للصلاة بهذه الأمّة؟ وما الحكمة في تمثيل الله له بآدم؟ ولِمَ خُلِق من غير أب.

والجواب أن الله ينزله لتجديد الشريعة المحمدية، فلو أَمّ بهم لظنّوا أنه أتى بشريعته المتقدمة، فنفى توهّم ذلك بقوله: ليتقدم إمامكم.

وأمّا تمثيلُ اللهِ له بآدم فلأنَّ بقاءَ آدم بالتراب وبقاءَ النفس بالريح، والترابُ طيّب والريح طيبة، والتراب يميز الخبيث من الطيب، والريح تميز الْحَبّ من التِّبْن، والريح رحمة والأرض رحمة، والأرض مسخّرة، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرْضَ ذَلُولاً﴾ [الملك: ١٥]. والريح مسخّرة، والأرض مختلفة: خبيث وطيب، وحَزْن وسَهْل، والريح مختلفة منها لواقح وصَرْصر، وصَبا وشمال، ودَبُور وجُنُب، والتراب يطفىء النار، والريح أيضاً يطفئها. وكما مثّل الله عيسى بآدم مثّل الدنيا بماء السماء، قال تعالى: إنما مثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ

أنزلناهُ من السماء ـ في أنّ كثرته يضرّ، وقِلّته ينفع. ومثَّل المنفق بالزرع، قال تعالى: ﴿مثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم﴾. ومثّل عابِدَ الأصنام بالعنكبوت، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الذين اتّخَذُوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت﴾، في ضَعْفِ نسجها. ومثّل أعمالَ المنافقين بالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. ومثّل أهْلَ الكتاب بالحمار، في قوله: ﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحِمَار يحمل أسفاراً﴾. ومثّل بلعام بالكلب؛ قال تعالى: ﴿فمَثَلُه كمثَلِ الكَلْب﴾. وشبَّه التوحيد بشجرة النخلة؛ قال تعالى: ﴿كشجرة طيِّبَة﴾. والكفر بشجرة الدِّفْلَى كما قدمنا. ومثَّل آدم بالتراب.

وخلق الله عيسى من غير أَب، ليكون دليلاً على ثبوت الصانع. وذلك أنه خلق آدمَ مِنْ غير أبٍ ولا أمّ، وخلق عيسى من غير أب، وخلقك من أبٍ وأم؛ ليكون دليلاً على وحدانيته، وكمال قدرته، وبطلان الطبع والنجوم.

﴿عِوَجا﴾ [الكهف: ١]: اعوجاج حيثما وقع بكسر العين في المعاني التي لا تُحَس، وبالفتح في الأشخاص ونحوها. ومعناه عدم الاستقامة، ومعناه في قوله: ﴿ولم يجعل له عِوَجاً. قَيِّماً﴾ [الكهف: ١]، الذي لا تناقُضَ فيه، ولا خَلَلَ فيه، وقيل لم يجعله مخلوقاً. واللفظُ أَعَمُّ من ذلك.

﴿عُدْوَة﴾ [الأنفال: ٤٢]، بكسر العين وضمها: شاطىء الوادي. والمراد بالدنيا في قوله: ﴿إذ أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا﴾ [الأنفال: ٤٢]: القريبة من المدينة. والعُدْوَة القُصْوى البعيدة. والقصوى والدنيا تأنيث الأقصى والأدنى.

﴿عِير﴾ [يوسف: ٧٠]: رفْقة. وقيل إبل تحمل المِيْرة.

﴿عِجَاف﴾ [يوسف: ٤٣]: قد بلغت في الهُزل النهاية، وكان الملك قد رأى في نومه سبْعَ بقرات سِمَان أَكلتهنّ سَبْعٌ عِجَاف، فتعجَّب كيف غلبتهن، وكيف وسعتها في بطونهن.

﴿عِضِين﴾ [الحجر: ٩١]: قد قدمنا أنّ معناه أجزاء، ومفرده عِضَه.

والعاضِهُ الساحر؛ قال عكرمة: العِضَهُ: السحر ـ بلغة قريش. يقولون للساحرة: عاضهة، ويقال عضهوه آمنوا بما أحبّوا منه، وكفروا بالباقي، فأحبط كفْرُهم إيمانهم.

﴿عِجْلاً جَسَداً﴾ [الأعراف: ١٤٨]: ولد البقرة، والجمع العجاجيل، والأنثى عِجْلة؛ وبقرة مُعْجِلة: ذات عِجْل. قيل سمي عجلاً لاستعجال بني إسرائيل عبادته، وكانت مدةَ عبادتهم له أربعون يوماً، فعوقبوا في التِّيهِ أربعين سنة كلّ يوم بسنة، وكان السامريّ من قوم يعبدون البقر، واسمه موسى بن ظفر، وكان جسداً لا يأكل ولا يشرب.

ونقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي رحمها الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرأون القرآن، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدّف والشبّابة، هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فقال: مذهبُ الصوفية أنّ هذا بطالة وجهالة وضَلالة، وما الإسلامُ إلا كتابُ الله وسنةُ رسوله ﷺ. وأما الرقْصُ والتواجد فأوّل مَنْ أحدثه أصحاب السامريّ لما اتخذ لهم عِجْلاً جسداً له خُوَار، قاموا يرقصون حَوْلَه، ويتواجدون، فهو دين الكفّار وعباد العجل؛ وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابِه كأنما على رؤوسهم الطير مع الوقار.

فينبغي للسلطان مع نُوّابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضُر معهم، ولا يُعينهم على باطلهم.

هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد من أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

وقال القُشيري: كان إبراهيم عليه السلام مِضْيّافاً، وكان عامّة ماله البقر، وقدم العجل للملائكة، واختاره سَمِيناً زيادةً في إكرامهم. وقيل: إن جبريل مسح العجل بجناحه، فقام مسرعاً حتى لحق بأمه.

ومما يُحْكَى من محاسن القاضي محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن فريعة

البغدادي، ووفاته سنة سبع وستين وثلاثمائة: أن العباس بن المعلى الكاتب كتب إليه: ما يقول القاضي وفّقه الله تعالى في يهوديّ زنى بنصرانية، فولدت ولداً جِسْمُه للبشر ووجهه للبقر، وقد قبض عليهما؛ فما يرى القاضي فيهما؟

فكتب القاضي بديهاً: هذا من أعدل الشهود على أن الملاعين اليهود أُشربوا حُبَّ العجل في صدورهم، حتى أخرج من أُيورهم. وأرى أن يُنَاط برأس اليهودي رأس العجل ويصْلَب على عُنق النصرانية: الرأْس مع الرِّجْل، وأن يُسحبا على الارض، وينادى عليهما: ظلمات بعضها فوق بعض. والسلام.

وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة، فأتى بها الغَيْضَة، وقال: اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر؛ فكبر الولد - وكان باراً بأمه، وكانت من أحسن البقر؛ فساوموها حتى اشتروها بملء جِلْدها ذهباً؛ وكانت البقـرة إذ ذاك بثلاثة دنانير، وكانوا طلبوا البقرة التي أمرهم الله بذبحها أربعين سنة.

﴿عِفْريتٌ من الجِنّ﴾ [النمل: ٣٩]: قد قدمنا أن اسمه الكَوْدَن؛ وهو القويُّ المارد من الشياطين، والفاء فيه زائدة. قال ابن عباس: هو صخر الجني. وقال ابن زيد: استدعاه ليُريه القدرة التي هي من عند الله.

وروي أن هذا العرش الذي أمر سليمان بمجيئه كان من فضة وذهب مُرَصَّعاً باليواقيت والجوهر، وأنه كان في جوفه سبْعُ بيوتٍ عليها سبعة أَغلاق.

قال ابن عباس: كان سليمان مهيباً لا يُبْدَأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأَلُ عنه، فرأى ذات يوم رَهجاً قَرِيباً منه؛ فقال: ما هذا؟ فقالوا له: بلقيس. فقال: ﴿أيها الْمَلأُ أيّكم يأتيني بعرشها...﴾ [النمل: ٣٨] الآية؟ فقال له العفريت: أنا آتِيكَ به قَبْل أن تقوم من مقامك. وكان يجلس مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر، فقال الذي عنده علم من الكتاب - وهو آصَف بن برْخيا، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل، كان يعلم اسْم اللهِ الأعظم. وقيل هو الخضر، وقيل جبريل. والأول أشهر: أنا آتيك به - في الموضعين - يحتمل أن يكون فعلاً مستقلاً، واسم فاعل - قبل أن يرتَدّ إليك طَرْفُك؛ أي قبل أن

تُغْمِضَ بصرك إذا نظرت إلى شيء. فدعا باسم الله العظيم الأعظم، وهو: يا حيّ، يا قيّوم، يا إلٰهنا، وإله كل شيء، إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. وقيل ياذا الجلال والإكرام. فشُقّت الأرض بالعرش حتى نبع بين يدي سليمان. وقيل: جِيءَ به في الهواء. وكان بين يدي سليمان والعرش مسيرةُ شهرين للْمُجدّ.

﴿فلما رآهُ مستَقِرًّا عنده﴾ [النمل: ٤٠] جعل يشكر الله الذي أنعم عليه بعبارة فيها تعليمٌ للناس وعرضة للاقتباس.

﴿عِين﴾ [الصافات: ٤٨]، بكسر العين: جمع عَيْناء، وهي الكبيرة العينين في جمال.

﴿عِزّة وشِقَاق﴾ [ص: ٢]؛ أي تكبّر وعداوة وقصد المخالفة، يعني أن كفرهم ليس ببرهان؛ بل هو بسبب العزة والشقاق، ونكَّرهما للدلالة على شدَّتهما وتفاقم الكفار فيهما.

﴿عِصَمِ الكَوَافِر﴾ [الممتحنة: ١٠]: جمع عصمة: النكاح؛ وأمر اللهُ المسلمين في هذه الآية أن يفارقوا نساءهم المشركات مِنْ عَبَدة الأوثان؛ فالآيةُ على هذا محكمةٌ. وقيل: يعني كلَّ كافرة؛ فعلى هذا نسخ منها جواز تزوّج الكتابيات بقوله: ﴿والْمُحْصَنَاتُ من الذين أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلكم﴾ [المائدة:٥]. وقيل إن قوله: ﴿ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافر﴾ [الممتحنة: ١٠] - نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلّقها.

﴿عِزين﴾ [المعارج: ٣٧]: جمع عِزَة - بتخفيف الزاي، وأصله عزوة. وقيل عزهة، ثم حذفت الهاء وجُمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة.

﴿عِشَار﴾ [التكوير: ٤]: جمع عُشَراء؛ وهي الناقة الحامل التي مرَّ لحملها عشرة أشهر، وهي أَنْفَسُ ما عند العرب وأعزّها، فلا تعطّل إلا من شدة الهول. وتعطيلها هو تركُها مسيّبة أو ترك حَلبها.

﴿عِيشة رَاضِية﴾ [الحاقة: ٢١]: قد قدمنا أنَّ المرادَ بها ذاتُ رضا، فهو كقولهم: تامر، لصاحب التمر.

قال ابن عطية: ليست بذا اسم فاعل. وقال الزمخشري: يجوز أن يكونَ اسْمَ فاعل، نُسب الفعل إليها مجازاً وهو لصاحبها حقيقة.

﴿على﴾: حرف جر له معان:

أشهرها: الاستعلاء حِسّاً أو معنى، نحو: وعَليها وعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلون. كلُّ مَنْ عليها فانٍ. فضَّلْنا بعضَهم على بعض. ولهم عليّ ذَنْب.

ثانيها: المصاحبة، كمع؛ نحو: وآتى المالَ عَلَى حُبّه؛ أي مع حُبّه. وإنّ ربَّك لذُو مغفرةٍ للناسِ على ظُلْمهم.

ثالثها: الابتداء كمِنْ؛ نحو: إذا اكْتَالُوا على الناس؛ أي من الناس. لفرُوجهم حافظون إلاّ على أزواجهم؛ أي منهم؛ بدليل احفظ عَوْرتك إلاَّ مِنْ زوجتك.

رابعها: التعليل، كاللام، نحو: ولِتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم؛ أي لهدايته إياكم.

خامسها: الظَّرْفية كَفِي؛ نحو: ودخل المدينةَ على حِين غَفْلَةٍ؛ أي في حين غَفْلة. واتَّبَعوا ما تَتْلو الشياطينُ على مُلْك سليمان؛ أي في زَمَن مُلْكِه.

سادسها: معنى الباء، نحو: حقيق على ألاَّ أقولَ على الله إلاّ الحقَّ؛ أي بأن أَقول، كما قرأ أُبيّ.

فائدة

هي في: وتوكَّلْ على الحيّ الذي لا يموت ـ بمعنى الإضافة والإسناد؛ أي أَضِفْ توكّلك وأَسنِدْه إليه. كذا قيل. وعندي أنها بمعنى باء الاستعانة.

وفي نحو: كتب على نَفْسِه الرحمة ـ لتأكيد المجازات. قال بعضهم: وإذا ذُكرت النعمةُ في الغالب مع الحمد لم تقترن بعلى، وإذا أريدت النقمةُ أُتي بها؛ ولهذا كان ﷺ إذا رأى ما يعجبه قال: الحمدُ لله الذي بنعمته وجلاله تتِمُّ الصالحات. وإذا رأى ما يكرَهُ قال: الحمد لله على كل حال.

تنبيه

تَرِد ﴿على﴾ اسماً فيما ذكره الأَخْفَش إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمًّى واحد، نحو: ﴿أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] لما تقدمت الإشارةُ إليه في ﴿إلى﴾. وترد فعلاً من العلوّ؛ نحو: ﴿إنَّ فِرْعَونَ عَلاَ في الأرض﴾ [القصص: ٤].

﴿عن﴾: حرف جَرٍّ له معان:

أشهرها: المجاوزة؛ نحو: فلْيَحْذَرِ الذين يُخَالِفُون عن أمْرِه؛ أي يجاوزونه ويتعدَّون عنه.

ثانيها: البدل؛ نحو: لا تَجْزي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً.

ثالثها: التعليل؛ نحو: وما كان استِغْفَارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وعَدَها إيّاه ـ أي لأجل موعدة. ما نحن بِتَارِكي آلهتنا عَنْ قَولك ـ أي لقولك.

رابعها: معنى على؛ نحو: فإنما يَبْخَلُ عَن نفسه ـ أي عليها.

خامسها: معنى مِنْ، نحو: يَقْبَلُ التوبةَ عن عباده ـ أي منهم؛ بدليل: فتُقُبِّل من أحدهما.

سادسها: معنى بَعْد، نحو: يُحَرِّفُون الكَلِم عن مواضعه؛ بدليل أنَّ في آية أخرى: مِن بعد مواضعه. لتركبن طَبَقاً عن طبق ـ أي حالة بعد حالة.

تنبيه

ترد اسماً إذا دخل عليها من، وجعل منه ابن هشام: ﴿ثم لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بين أَيديهم ومن خَلْفِهم وعن أَيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف: ١٧]. قال: فتُقَدَّر معطوفةً على مجرور مِنْ لا على مِنْ ومجرورها.

﴿عسى﴾: فعل جامد لا يتصرّف، ومِنْ ثَمَّ ادَّعى قوم أنه حرف، ومعناه الترجّي في المحبوب، والإشفاق في المكروه. وقد اجتمعا في قوله: ﴿وعسى أنْ

تكرَهُوا شيئاً وهو خَيْرٌ لكم وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرّ لكم﴾ [البقرة: ٢١٦]. قال ابن فارس: وتأْتي للقرب والدنّو؛ نحو: ﴿قل عَسى أن يكون رَدِفَ لكم﴾ [النمل: ٧٢]. قال الكسائي: كلٌّ ما في القرآن من عسى على وَجْه الخبر فهو مُوَحد، نحو الآية السابقة، وواحد على معنى عسى الأمر أن يكون كذا. وما كان على الاستفهام فإنه يجمع، نحو: ﴿فهل عسَيْتُم إنْ تولَّيتم أن تُفْسِدوا في الأرض﴾ [محمد: ٢٢]. قال أبو عبيدة: معناه هل عَدَدْتم ذلك؟

وأخرج ابنُ أبي حاتم والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس قال: كلٌّ عسى في القرآن فهي واجبة. وقال الشافعي: يُقَال عسى من الله واجبة.

وقال ابنُ الأنباري: عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين:

أحدهما: ﴿عسى ربُّكم أَنْ يرحمكم﴾ [الإسراء: ٨] - يعني يا بني النضير، فما رحمهم الله؛ بل قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ، وأوقع عليهم العقوبة.

والثاني: ﴿عسى ربُّه إن طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجاً خيراً منكن﴾ [التحريم: ٥]. فلم يقع التبديل. وأبطل بعضُهم الاستثناء، وعمم القاعدة؛ لأنَّ الرحمة كانت مشروطة بألَّا يعودوا كما قال: وإنْ عُدْتُم عُدْنا. وقد عادُوا فوجب عليهم العذاب، والتبديلُ مشروط بأن يطلّق ولم يطلّق. فلا يجب.

وفي الكشاف في سورة التحريم: عسى إطْمَاعٌ من الله لعباده وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون على ما جرت به العادة من الإجابة بلعل وعَسى؛ ووقوعُ ذلك من الجبابرة موقع القطع والبتّ.

والثاني: أن يكون جِيءَ به تعلماً للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء.

وفي البرهان: عسى ولعل من الله واجبتان. وإن كانتا رجاءً وطمعاً في كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والباري منَزَّهٌ عن ذلك. والوجه في استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكّون

ولا يقطعون على الكائن منها، والله يعلم الكائنَ منها على الصحة صارت لها نسبتان: نسبة إلى الله تعالى تسمَّى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوق تسمَّى نسبة شكّ وظن؛ فصارت هذه الألفاظ لذلك تارة تردُ بلفظ القطع حسبما هي عليه عند الله نحو: ﴿فسوفَ يأتي اللهُ بقَوْمٍ يحبُّهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤]. وتارة بلفظ الشكّ بحسب ما هي عليه عند الْخَلْق، نحو: ﴿فعسَى اللهُ أَنْ يأتيَ بالفَتْح أو أَمْرٍ مِنْ عنده﴾ [المائدة: ٥٢]. ﴿فقُولاَ له قَوْلاً ليّناً لعلَّه يتذكَّرُ أو يخْشى﴾ [طه: ٤٤] وقد علم اللهُ حالَ إرسالها ما يفضي إليه حال فرعون، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الطمع والرجاء، ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك، والعربُ قد تُخْرِج الكلام المتيقّن في صورة المشكوك لأغراض.

وقال ابن الدهان: عسى فعل ماضي اللفظ والمعنى؛ لأنه طمَعٌ قد حصل في شيء مستقبل. وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى؛ لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع.

تنبيه

وردت في القرآن عسى على وجهين:

أحدها رافعةٌ لاسْمٍ صريح بعده فعلٌ مضارع مقرون بأن. والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ناقص عامل عملَ كان، فالمرفوعُ اسمُها وما بعده الخبر. وقيل متعدّ بمنزلة قارب معنى وعملاً، أو قاصر بمنزلة قرب، وأَنْ يفعل بدل اشتمال مِنْ فاعلها.

الثاني أن يقع بعدها أن والفعل، فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة.

وقال ابن مالك: عندي أنها ناقصة أبداً، وأَنْ وصِلَتُها سدَّتْ مسدّ الجزأين كما في: ﴿أَحسِب الناسُ أن يُتْركوا﴾ [العنكبوت: ٢].

﴿عند﴾: ظرف مكان تستعمل في الحضور والقُرْب، سواء كانا حسيَّيْن، نحو: ﴿فلما رآه مستَقِـرًّا عنـده﴾ [النمـل: ٤٠]. ﴿عنـد سِـدْرَةِ المُنْتَهـى﴾ [النجم: ١٤]. ﴿عندها جَنَّة المأوى﴾ [النجم: ١٥]. أو معنويَّيْن نحو: ﴿وقال الذي عنده عِلْـمٌ مِـنَ الكتـاب﴾ [النمـل: ٤٠] ﴿وإنهم عنـدنـا لمن المُصطَفين الأَخْيَار﴾ [هود: ٤٧]. ﴿في مَقْعَد صِدْقٍ عند مَليك مُقْتدر﴾ [القمر: ٥٥]. ﴿أحياء عند ربـهم﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿ابْنِ لي عندكَ بيتاً في الجنة﴾ [التحريم: ١١]. فالمراد في هذه الآية قُرْب التشريف والمنزلة وطلب الجار قبل الدار.

ولا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة بمن خاصة، نحو: من عندك. ولما جاءهم رسـول مِنْ عند الله. وتعاقبها لدى ولَدُن، نحو: ﴿لدَى الحَنَاجر﴾ [غافر: ١٨] ﴿لَدَى البابِ﴾ [يوسف: ٢٥]. ﴿وما كنْتَ لدَيْهم إذ يُلْقُون أقلامَهم﴾ [آل عمران: ٤٤]. وقد اجتمعتا في قوله تعالى ﴿آتَيْنَاهُ رحمةً مِنْ عندنا وعلَّمناه مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾ [الكهف: ٦٥].

ولو جِيءَ فيهما بعند أو لدن صحّ، ولكن ترك دفْعاً للتكرار، وإنما حسن تكرار لدى في: وما كنت لدَيْهم، لتَبَاعُد ما بينهما.

وتفارق عند ولدى «لَدُن» من ستة أوجه؛ فعند ولَدَى تصْلح في محل ابتداء غاية وغيرها، ولا تصلح لدن إلا في ابتداء غاية.

وعند ولَدَى يكونان فَضْلَة نحو: ﴿وعندنا كتابُ حَفيظ﴾ ﴿ولدينا كتابٌ ينطِقُ بالحق﴾ [المؤمنون: ٦٢]. ولدن لا تكون فَضْلة.

وجر «لدن» بِمنْ أكثَرُ من نَصْبِها، حتى إنها لم تجيء في القرآن منصوبة. وجرّ ﴿عند﴾ كثير. وجَرّ «لدى» ممتنع.

وعند ولدى معربان، ولَدُن مبنية، في لغة الأكثرين.

ولدن قد لا تضاف، وقد تضاف للجملة بخلافها. وقال الراغب: لدن: أخصّ من عند وأبلغ، لأنه يدلّ على ابتدائها بالفعل.

وعند أمكَنُ من لدن من وجهين: أنها تكون ظرفية للأعيان والمعاني بخلاف لدى، وعند تستعمل في الحاضر والغائب، ولا تستعمل لدى إلاّ في الحاضر؛ ذكرهما ابن الشجري وغيره.

حرف الغين المعجمة

﴿غمَام﴾: سحاب أبيض، سُمِّي بذلك لأنه يغمّ السماء، أي يسترها. ومنه: ﴿هل يَنْظرونَ إلاّ أَنْ يأتيهم اللهُ في ظُلَلٍ من الغمام﴾ [البقرة: ٢١٠]: جمع ظلة، وهو ما علاكَ من فَوْق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله فهو من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف كما قدمنا في وَجه المتشابه. وتأويله عند المتأوِّلين يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. ويحتمل أن يكون ينظرون بمعنى يطلبون ذلك لجهلهم؛ كقولهم: ﴿لولا يكلِّمُنا الله﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿غفور﴾: من أسماء الله، ومعناه الساتر على عبادة ذنوبهم. ومنه الْمِغْفَر؛ لأنه يستر الرأسَ. وغفرتُ المتاعَ في الوعاء إذا جعلته فيه، لأنه يغطيه ويستره.

﴿غلول﴾: من الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق. وقد جاء الوعيد لمن غلّ شيئاً بأَنْ يسوقه يوم القيامة على رقبته في قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بما غَلَّ يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٦١]. وقد جاء ذلك مفَسَّراً في الحديث؛ قال ﷺ: لألفينَّ أحدَكم على رقبته رِقاعٌ يوم القيامة. لألفينّ أحدَكم على رقَبته صامتٌ. لألفين أحدَكم على رقبته إنسان؛ فيقول: يا رسول الله أَغِثْني؛ فأقول: لا أَملك لكَ من الله شيئاً.

فتأَمل أَيها المخالف، هل يمنعك من اللهِ أَحدٌ إلا أَن يأخذَ الله لمن يشاء. هذا رسولُ الله سيد الأَوّلين والآخرين يقول: يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً. يا فاطمة بنت محمد، لا أملك لك من الله شيئاً. فكيف يتَّكِلُ المغرور على أحد في مخالفته أمر الله.

﴿غائط﴾ [النساء : ٤٣] : مكان منخفض ، ثم استُعمل في حاجةِ الإنسان ؛ لأن العرب كانوا يطلبون ذلك في قضاء حوائجهم ، فكني عن الحدَثِ بالغائط .

﴿غمَرات الموت﴾ [الأنعام : ٩٣] : شدائده وكرباته كما يغمر الشيء إذا علاه وغطّاه ؛ فتذكر أيها الأخ كرباته وسكَراته ، فإن كنْتَ منهمكاً نفّرك . وإن كنت تائباً رقاك بمحبة تأخيره لتغنَم أو تعجيله لتسلم . وإن كنت محبّاً شوّقك ؛ لأن المحب يحبُّ لقاء حبيبه ؛ ولكن التفويض أعلى . ولو انتظرنا ضربة شرطي لتكدّر عيشنا ، فكيف وفي كلّ نفس يمكن مجيء الموت بسكراته وغُصصه ؛ ونودّ أن لو قدرنا على صِيَاح وأنين ، ويودّ مَنْ حضره فترةَ ساعةٍ ؛ ليقول : لا إله إلا الله ، فلا يُمْهل ، وتُجْذَب رُوحه من كل عُضو وعِرق ، فتبرد قدماه ثم ساقاه ، ثم فَخِذاه ، وهكذا حتى تبلغ الحلقوم ؛ فعنده ينقطعُ نظَرُه إلى دنياه ، ويغلق عنه باب توبته ؛ كما رُوِي أن اللهَ يقبلُ توبةَ عَبْده ما لم يغرغر ، ثم يرى ملائكةَ ربِّه تعالى وثناءهم عليه ، وقولهم : ﴿اليوم تُجْزَوْن عذابَ الْهُون ...﴾ [النساء : ٤٣] الآية ؛ فيا لها من مصيبة لو عقل ؛ ولهذا كانوا رضي الله عنهم يُديمون ذِكْرَ الموت ، ويخافون من سُوء العقيدة . وفي الصحيحين : إن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحبّ إليه مما أَمامه ؛ ومن ختم له بشرٍّ فضدّه ؛ وسببُه عقيدةٌ فاسدةٌ تثمر عند موته الجحود أو الشك ، فما لم يُرْحَم بتوبةٍ عذابُه دائمٌ ، نسأل الله العافية .

وإذا تأملنا وجدنا أسباب سوءِ الخاتمة موجودة فينا ، وسأُنبئك بأقلها ؛ وهي :

الإصرار على فعل منهيّ ، أو صفة مذمومة ، كعُجْب ونحوه .

ومنها الغفلة عن ذكر الله ، فقد خطف خلقٌ كثير بنزغة الشيطان لتمكّنه منهم . ولهذا اختار الشارعُ لفْظَ الشهادتين ؛ فإن الشيطان يجهد في شبهة مكفّرة عند الموت ، غالبها في الرسالة ؛ لعلمه اقتصارنا على التعليلة ؛ وكل ما نزغ في التوحيد دفع بلا إله إلا الله ، أو في الرسالة دُفع بمحمد رسول الله ؛ فكأنَّ التهليلة صلاة ؛ وذكر سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ لا يبطلها ؛ وإن كان أجنبيًّا

منها. كيف وأجلّ أسنان مفتاح التهليلة الشهادة الثانية؛ فأَكْثِر من ذِكْرِ هذه الكلمة المشرّفة، حتى تمتزجَ مع معناها بلحمك ودمك؛ واطلب منه سبحانه الثباتَ عليها؛ فقد قطع ظهورَ العابدين سوء الخاتمة، فكيف يُخْصِب لك جَنَابٌ حتى ترى ما خُطّ لك في أمّ الكتاب. وعلامةُ حسن الخاتمة استقامةٌ ودوام ذكرٍ؛ للحديث: يموت المرءُ على ما عاش عليه. ولحديث: كلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِق له. فكيف نطمع بحسنها وقد غرقنا في حب الدنيا والمواظبة على خصالٍ مذمومة، وعند فراقنا لها يخاف علينا من استيلاء الشيطان لتمكُّنه منَّا عند الموت. وعلامةُ ذلك أن في حبها طولَ أملنا؛ ونسينا الآخرة؛ والهوَى يصدُّ عن الحق؛ فكل فتنة أَتتنا فمِنْ حُبِّ الدنيا والْجَهْل بمصارع أقراننا في كل ساعة. أمرنا الصادقُ الصَّدُوق أن نكونَ فيها كالغريب أو عابري سبيل؛ وإذا أَمسينا فلا ننتظر الصباحَ، وإذا أصبحنا فلا ننتظر المساءَ، ونأخذ من صحتنا لسقمنا، ومن حياتنا لموتنا؛ فأعرضنا عن نُصْحه، وأطَلْنَا أملَنا مع رؤيتنا لموت الأطفال والشبّان؛ ولهذا بادر مَنْ فتح الله بصيرته، فكان يصلّي الصبح بوضوء العشاء؛ وآخر لم يضعْ جَنْبه على الأرض عشرين سنةً، وآخر حسب ما بين مضغ اللقمة وبَلْعها خمسين تسبيحة؛ فكان لا يتقوّت إلا بحساء الشعير، وآخر يقومُ ليلاً ولا يُغْفِي إلا إغفاءَ الطير. وآخر وِرْدُه كلَّ يوم مائة ألف تسبيحة. وآخر لا يتحدث مع أخيه فيعاتبه على ذلك، فيقول له: أبادِرُ خروج رُوحي. ونحن مشتغلون بدُنْيا فانية؛ ويا ليتنا نِلْنَا منها شيئاً؛ وهذا سليمانُ أُعطي منها ما لم يُعْطه أحدٌ قبله ولا بعده، والرياح تجري بأمره رُخاءً حيث أَراد، فلما استَوْسق مُلكه قال: هذا من فَضْلِ ربي... الآية؛ فما عَدَّها نعمةً كما نعدّها، ولا حسبها كرامةً من الله كما نظنُّها؛ بل خاف أَن يكونَ استِدْراجاً من حيث لا يعلم؛ ونحن أُنعم علينا بنعمها لنصرفها في الطاعة، فغفلنا عنه وصرفْناها في معصيته؛ أليس من الخُسْران المبين ما نحن فيه من الضلال المبين؟ عِشْنا عَيْش البهائم؛ بل هي أحسن حالاً منّا؛ لأنها تحس ونحن في موت الحسِّ. اللهم يا منقِذَ الغرقاء، ويا منجّي الهَلْكَى بعد أن يئسوا، أنقذْنا من هذا الوحل العظيم بجاه نبيك الكريم، عليه أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم.

﴿غبر﴾: له معنيان: ذهب وبقي. ومنه: ﴿عجوزاً في الْغَابِرين﴾ [الشعراء: ٧١]؛ أي في الهالكين. قد غبرَتْ في العذاب: أي بقيت فيه ولم تسرْ مع لوط. ويقال في الباقين؛ وإنما جمع جَمْع المذكر تغليباً في الرجال.

﴿غيّا﴾ [مريم: ٥٩]: خسرانا. وقد يكون بمعنى الضلال، كقوله: ﴿وإن يَرَوْا سبيلَ الغَيّ يتخذوه سبيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فيكون على حذف مضاف، تقديره يلقَون جزاءَ غَيّ.

﴿غار﴾: [التوبة: ٤٠]: نقب في الجبل.

﴿غيَابَةِ الجُبّ﴾ [يوسف: ١٠، ١٥]: غوره، وما غاب منه؛ قال بعض أهل العلم: إنما قال أَلْقُوه في غَيَابة الجب أخوه إربيل، وقيل يهوذا، ففعلوا ذلك؛ فلما أرسلوه في الجبّ أرادوا أن يقطعوا الحَبْل؛ فبعث الله جبريل عليه السلام ليأخذه ويُؤْنسه؛ وقال: يا يوسف؛ لا تغتمّ، إنهم قطعوا حبْل النَّسب، وأنا وصَلْت حبل الوصلة والسبب.

كذلك المؤمن، يريد الشيطان أن يقطعَ بينه وبين مولاه حبلَ الوصلة، والله يريد وَصْلها به؛ لأنه الغفور الوَدُود، وكيف يقطعها وقد حبَّب إليه الإيمانَ وزينه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان! ألا ترى يوسف وموسى ومحمداً صلّى الله عليهم وسلَّم أجمعين؛ حبّبهم الله إلى الْخَلْق، ولم يضيّعهم في أيدي الأعداء؛ بل تولّى حِفْظهم ونجاتهم.

﴿غاشِيَةٌ مِنْ عذابِ الله﴾ [يوسف: ١٠٧]: غَشِي الأمر يغشى - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع - معناه غَطَّى، حِسًّا أو معنى. ومنه: ﴿واللَّيل إذا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يُغطي بظلامه. وينقل بالهمزة والتشديد، فيقال: غَشّى وأَغشى. ﴿ومِنْ فوقهم غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ يعني ما يغشيهم من العذاب. والغاشية أيضاً القيامة؛ لأنها تغشى الخلق. وقيل: هي النار، من قولهم: ﴿وتَغْشَى وجوهَهم النار﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أَهل الشقاوة، وأهل السعادة.

﴿غَوْراً﴾ [الكهف: ٤١]: مصدر وُصف به؛ فهو بمعنى غائر؛ أي ذاهبٌ في الأرض. وقد قدمنا معناه في قوله: مَعين.

﴿غَرَاماً﴾ [الفرقان: ٦٥]: ملازماً. قال الحسن: كلُّ غريم مفارق غريمه إلا النار.

﴿غُرورا﴾ [الأحزاب: ١٢]: قد قدمنا أنه بفتح الغين الشيطان، وبضمها الباطل، مصدر، من غررت.

﴿غَرَابِيب سُود﴾ [فاطر: ٢٧]: قد قدمنا أنه جمع غِرْبيب؛ وهو الشديد السواد، وقدم الوصف الأبلغ لقصد التأكيد.

﴿غَوْل﴾ [الصافات: ٤٧]، بفتح الغين: اسم عام في الأذى والضرّ. ومنه يقال: غالَه وأغاله، إذا أهلكه. وقيل: الغَوْل وَجَع في البطن. ويقال الغضب غَوْل للحلم، والحرب غول للنفوس؛ وإنما قدم المجرور في قوله: لا فيها غَوْل؛ تعريضاً بخَمْر الدنيا؛ لأن فيها غَوْل.

﴿غَسَّاقاً﴾ [النبأ: ٢٥]: بتخفيف السين وتشديدها: صَدِيد أهل النار. وقيل: ما يَسِيل من عيونهم. وقيل: عذابٌ لا يعلمه إلا الله.

﴿غَاسِقٍ إذا وَقَب﴾ [الفلق: ٣]: فيه أقوال: الليل إذا أظلم. ومنه قوله: ﴿إلى غَسق الليل﴾ [الإسراء: ٧٨]؛ وهو قول الأكثر؛ لأن ظلمةَ الليلِ ينتشر عندها أهلُ الشر من الإنس والجن؛ ولذلك قيل في المَثَل: الليل أَخْفَى للويل. وقيل القمر؛ للحديث: يا عائشة، استعيذي بالله مِنْ شَرّ هذا الغاسق؛ وأشار إليه. ووُقوبه على هذا كسوفه؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسَّوَاد؛ وبمعنى الدخول؛ فالمعنى إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به. وقيل: الشمس إذا غربت؛ والوقوب على هذا بمعنى الظلمة، أو الدخول. وقيل النهار إذا دخل في الليل وهذا قريبٌ من الذي قبله وقيل الغاسق سقوط الثريا، لأنها تهيج عندها الأسقام والطاعون للحديث: النجم هو الغاسق؛ فيحتمل أن يريدَ

الثريا. وقيل إنه الذّكَر إذا قام، حكاه النقاش عن ابن عباس؛ لأنه لا يملك الإنسان نفسه مع انتشاره؛ ولهذا أُكْرِم مَنْ ذكـر الله عند جماعه بأن الشيطان لا يضرُّ ولده إنْ كـان؛ لأنه آثر ذِكْرَ الله على شهوة نفسه.

وقال الزمخشري: يجوز أن يريد بالغاسق الأسود من الحيات، ووقَبه ضربه. وحكى السهيلي أنه إبليس.

﴿غادَرَ﴾: ترك. ومنه: ﴿لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرة﴾ [الكهف: ٤٩]. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ منهم أحداً﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿غُلْف﴾ [البقرة: ٨٨]: جمع أغلف، وهو كلُّ شيء جعلته في غلاف، ولما قالوا: ﴿قلوبنا في أَكِنَّة مما تَدْعونا إليه﴾ [فصلت: ٥]؛ أي محجوبة ـ ردّ الله عليهم بأنَّ عدمَ إيمانهم بسبب كفرهم؛ ﴿فقليلاً ما يُؤمنون﴾ [البقرة: ٨٨]؛ أي إيماناً قليلاً يؤمنون. وما زائدة ويجوز أن تكون القلةُ بمعنى العدم أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿غُرْفة﴾ [البقرة: ٢٤٩]، بضم الغين لها معنيان: المسكن المرتفع، ومنه: ﴿أولئك يُجْزَون الغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥]. ﴿وهـم في الغُـرفـات آمِنـون﴾ [سبأ: ٣٧] وغَرفة من الماء ـ بالفتح: المرة الواحدة. ومنه: ﴿إلا من اغترف غرفةً بيده﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقرىء بضم الغين؛ وهو المصدر، وبفتحها هو الاسم.

﴿غُفْرانَك﴾ [البقرة: ٢٨٥]: مصدر، والعامل فيه مضمر، ونصب على المصدرية؛ تقديره: اغفر غُفْرانك. وقيل على المفعولية، تقديره نطلب غفرانك.

﴿غُزَّى﴾ [آل عمران: ١٥٦]: جمع غاز، ووزنه فعّل ـ بضم الفاء وتشديد العين. ومعناه أن المنافقين قالوا لإخوانهم من الأوْس والخزرج يوم أُحد: ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٥٦]؛ أي سافروا؛ وإنما قال ﴿إذا﴾ التي

للاستقبال مع قالوا؛ لأنه على حكايةِ الحال الماضية؛ لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقْتلوا. وهذا قول مَنْ لا يؤمن بالقَدَر والأَجَل المحتوم؛ ويقرب منه مذهبُ المعتزلة في القول بالأجَلين.

﴿غَلَا﴾ يَغْلُو؛ وهو مجاوزة الحدّ والإفراط؛ ومنه: ﴿لا تَغْلُوا في دينكم﴾ [النساء: ١٧١].

﴿غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]: وغَمّ، ككُرْبة وكَرْب بمعنى ظُلْمة.

﴿غُثَاء﴾ [المؤمنون: ٤١]: يعني هالكين كالغُثَاء، وهو ما يحمل السيلُ من الورق وغيره مِمّا يبلى ويسودّ. ومنه قوله تعالى: ﴿والذي أخرج الْمَرْعى. فجعلهُ غُثَاءً أَحْوى﴾ [الأعلى: ٤، ٥]. فمعناه أنَّ الله أخرج النباتَ أخضر، فجعله بعد خُضْرته غُثاء أَسود؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفّن واسوَدّ.

وقيل: إن ﴿أَحوى﴾ حال من المرعى؛ ومعناه الأخضر الذي يضرِبُ إلى السواد. وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير، تقديره الذي أخرج المرعى أحوى، فجعله غثاء. وفي هذا القول تكلّف.

﴿غُرفات﴾ [سبأ: ٣٧]: جمع غرفة. وقد قدمنا أنها اسم جنس.

﴿غُصّة﴾ [المزمل: ١٣]: أي يختنق به آكله. وقيل: هو شَوْك من نار يعترض في حلوق أهل النار، لا ينزل ولا يخرج. وروي أن رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية فصعق.

﴿غِشَاوة﴾ [البقرة: ٧]: مجاز باتفاق بمعنى الغطاء، تقول: غشيت الشيء غَطيته، ووحّد السمع في قوله: ﴿وعلى سَمْعِهِم﴾ [البقرة: ٧]؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تُجْمع.

﴿غِلّ﴾: عداوة وحسد. ومنه: ﴿ونزَعْنَا ما في صدُورهم مِنْ غلّ إخواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلين﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿غِلْظَة﴾: أي شدة؛ ومنه: ﴿لو كنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلك﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي تفرقوا. وأما قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الذين يَلُونَكُمْ مِنَ الكفّار ولْيَجِدُوا فيكم غِلْظة﴾ [التوبة: ١٢٣] - فمعناه الأمر بقتْل الأقرب فالأقرب، والشدة في إجلابهم على تدريج.

وقيل إنها إشارة إلى قَتْل الروم بالشام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفّار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمَّها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدة.

﴿غُلِبت الرومُ. في أَدْنَى الأرْضِ﴾ [الروم: ٢، ٣]: المراد به هزم كسْرى ملك الفرس. وأدنى الأرضِ بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وقيل: في أدنى أرضِ العرب منهم، وهي أطرافُ الشام. وقد قدمنا أنها سُميت الروم باسم جدّهم.

﴿غيض﴾ [هود: ٤٤] الماء، وغاض: نقص، بلغة الحبشة.

﴿غسْلين﴾ [الحاقة: ٣٦]: قد قدمنا أنه غسَالة أَهْل النار، وكلّ جرح أو دبر غسلته فخرج منه ماءٌ فهو غِسْلين.

﴿غير﴾: اسم ملازم للإضافة والإبهام، فلا تنصرف ما لم تقع بين ضِدّين. ومن ثَمَّ جاز وصفُ المعرفة بها في قوله: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة: ٧].

والأصل أن تكون وصفاً للنكرة نحو: نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل. وتقع حالاً إن صلح موضعها للا. واستثناء إن صَلح موضعها إلا؛ فتعرب بإعراب الاسم الواقع بعد إلا في ذلك الكلام. وقرىء قوله تعالى ﴿لا يستوي القاعِدُون من المؤمنين غَيْر أولي الضَّرَر﴾ - بالرفع على أنها صفة للقاعدين، أو استثناء وبدل على حَدّ: ما فعلوه إلا قليلٌ. وبالنصب على الاستثناء. وبالجر خارج السبع صفة للمؤمنين.

وفي المفردات للراغب: غير يقال على أوجه:

الأول: أن تكون للنفي المجرد من غير إثباتِ مَعْنى به، نحو: مررتُ برجل غير قائم، أي لا قائم، قال تعالى: ﴿ومَنْ أضَلُّ مِمَّن اتَّبَع هوَاهُ بغَيْر هُدًى مِنَ الله﴾ [القصص: ٥٠]. ﴿وهو في الخصام غَيْرُ مُبِين﴾ [الزخرف: ١٨].

الثاني: بمعنى إلاّ فيُستَثْنَى به، ويوصف به النكرة، نحو: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣].

الثالث: لنفي الصورة من غير مادّتها، نحو: الماء إذا كان حارًّا غيره إذا كان بارداً. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلما نَضِجت جلودُهم بَدّلْنَاهم جُلوداً غيْرَها﴾ [النساء: ٥٦].

الرابع: أن يكون ذلك متناولاً لذاتٍ، نحو: ﴿تَقُولونَ على الله غير الحق﴾ [الأنعام: ٩٣]. ﴿أغير الله أبْغي رَبّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. ﴿إيت بقرآن غير هذا﴾ [يونس: ١٥] ﴿ويستبدل قوماً غيْرَكم﴾ [التوبة: ٣٩].

[تم الجزء الثاني، ويليه إن شاء الله الجزء الثالث وأوله حرف الفاء]



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
حرف الهمزة	٣
آدم أبو البشر	٣
إدريس	٣
إبراهيم، واشتقاقه	٤
إسماعيل	٤
إسحاق	٤
أيوب	٤
إلياس	٥
اليسع	٥
إسرائيل ـ معناه	٥
أحمد	٦
آزر	٦
خواص بعض الأنبياء	١٢
أسماء الأصنام التي جاءت في القرآن	١٥
أمر زيد بن حارثة	١٧
سليمان والخيل	١٩
اللات والعزى	٢١
الأقوال في معنى أول الحشر	٢٢
ما أخذ من فدك فهو خاص بالنبي	٢٣
الاختلاف في مقدار الحقبة	٢٥
الأنبياء وصغار الذنوب	٢٧
من أخبار أصحاب الفيل	٢٨
المعاني المختلفة لكلمة « أمة »	٢٩
الهدي والمحصر	٢٩
إبهام وقت الساعة	٣١
أولو العزم من الرسل	٣١
اسم إبليس	٣٢
الإنجيل	٣٣
الاختلاف في « الذي انسلخ »	٣٤
من حديث الإفك	٣٧
رؤية غير ذي المحارم	٣٨
الياسين والقراءة فيها	٣٩
إرم، قبيلة عاد	٤١
وقت التضحية	٤٢
الهمزة على وجهين:	
(أ) الاستفهام	٤٢
اختصت همزة الاستفهام بأمور	٤٢
إذا دخلت على « رأيت »	٤٣

الموضوع	الصفحة
(ب) الهمزة حرف للنداء	٤٣
أحد، وواحد	٤٤
أحد تستعمل على ضربين	٤٥
إذ وأوجه استعمالها: للزمان	٤٥
كل ما كان في القرآن (إن)، وما كان (إذ)	٤٦
إذ تكون للتعليل	٤٧
إذ تكون للتوكيد وللتحقيق	٤٧
تلزم إذ الإضافة	٤٧
إذا على وجهين: للمفاجأة	٤٨
ولغير المفاجأة	٤٩
ناصب «إذا»	٥٠
إذا تدخل على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع	٥١
إن تستعمل في المشكوك فيه والموهوم والنادر	٥٢
قد تأتي «إذا» زائدة	٥٢
إذن: معناها	٥٣
إذن نوعان	٥٣
ألف «إذا»	٥٥
«أف» واستعمالها	٥٥
«أل» على ثلاثة أوجه:	
أن تكون اسماً موصولاً	٥٦
وأن تكون حرف تعريف	٥٦
وأن تكون زائدة	٥٧
«أل» في اسم الله	٥٧
نيابة «أل» عن الضمير المضاف ..	٥٨
«ألا» على أوجه:	
التنبيه	٥٨
التحضيض والعرض	٥٨
«ألّا» حرف تحضيض	٥٩
«إلّا» على أوجه:	
الاستثناء	٥٩
بمعنى غير	٥٩
أن تكون عاطفة	٥٩
بمعنى بل	٥٩
بمعنى بدل	٦٠
«الآن» للزمان الحاضر وتستعمل في غيره مجازاً	٦٠
«آل» في الآن	٦٠
«إلى» له معان	٦٠
قد تستعمل «إلى» اسماً	٦١
«اللهم» ومعناها	٦٢
«أم» وهي قسمان متصلة	٦٢
يفترق القسمان من أربعة أوجه	٦٢
أم منقطعة، وهي ثلاثة أقسام	٦٣
قد ترد «أم» محتملة الاتصال والانفصال	٦٣
قد تقع «أم» زائدة	٦٤
«أما» حرف شرط وتفصيل وتوكيد	٦٤
«إما» ترد لمعان	٦٥
«إنْ» على أوجه: شرطية ونافية .	٦٥

الموضوع	الصفحة
كل شيء في القرآن (إنْ) فهو إنكار	٦٧
«إنْ» المخففة من الثقيلة	٦٧
«إن» زائدة	٦٧
«إن» للتعليل	٦٧
«إنْ» بمعنى «قد»	٦٨
«أنْ» على أوجه	٦٨
«إنَّ» على أوجه	٧١
«أنَّ» على وجهين	٧١
«أنّى» اسم مشترك بين الاستفهام والشرط	٧٢
«أو» ترد لمعان	٧٢
كل شيء في القرآن «أو» فهو مخير	٧٥
«أولى» ومعناها	٧٥
«إيْ» حرف جواب	٧٦
«أيّ» على أوجه	٧٦
«إيَّا» اختلفوا فيه على أقوال	٧٧
اللغات فيه	٧٨
«أيان» واستعمالها	٧٨
«أين» تستعمل في الاستفهام والشرط	٧٨
«أينما»	٧٨
ذكر الله من النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل عشرة	٧٩
وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء	٧٩
وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء	٨٠
في مكة آيات كثيرة	٨١

الموضوع	الصفحة
أول من بنى المسجد الحرام	٨٢
إبراهيم والقمر	٨٣
بغي قارون	٨٦
بين إبراهيم ونمرود	٨٨
الباء حرف، وله معان:	٩٠
الإلصاق، والتعدية	٩٠
الاستعانة، والسببية، والمصاحبة، والظرفية، والاستعلاء، والمجاورة	٩١
التبعيض، والغاية، والمقابلة، والتوكيد (وهي الزائدة)	٩٢
بحث في «كفى بالله شهيداً»	٩٢
الباء في «وامسحوا برؤوسكم»	٩٣
«بل» حرف إضراب إذا تلاها جملة	٩٣
«بل» قد يكون معناها الانتقال من غرض إلى آخر	٩٣
بل إذا تلاها مفرد فهي للعطف	٩٣
«بلى» لها موضعان	٩٤
«بئس» لإنشاء الذم	٩٤
«بين» واستعمالها، وما تضاف إليه	٩٤
أحوال الريح وصفاتها	٩٧
الإيلاء	٩٧
انفراد الله بعلم تأويل المتشابه	٩٨
الاستقسام بالأزلام	٩٩
من قصة موسى والسحرة	١٠٠
طلب موسى الرؤية	١٠٠
اتساع اللغة	١٠١

الموضوع	الصفحة

اتساع علم الله ١٠٧
النكاح بالإجارة ١١٠
حديث الورود على الحوض ١١١
الفتن التي تقع بين المسلمين ١١٥
من يعتقد أن للكواكب تـأثيراً على المطر ١١٨
الظهار، وحديث خولة ١١٩
النفقة تختلف باختلاف الناس ١٢١
انصراف النبي عن الدنيا ١٢٣
درجات المقـربين فـوق درجـات الأبرار ١٢٥
المحاسبة على ما في نفوس العباد .. ١٢٦
الآيات البينات ١٣٢
التاء حرف قسم ١٣٣
ثم حرف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك، والترتيب، والمهلة ١٣٦
الكـوفيـون يجرون ثم مجرى الفـاء والواو ١٣٧
ثَمّ اسم يشار به إلى البعيد ١٣٧
الجزية ١٤٣
جعل تتصرف على خمسة أوجه ١٤٤
الحواريون ١٤٧
حاشا ـ معناها واستعمالها ١٥٨
حتى، والفرق بينها وبين إلى ١٥٨
الغاية التي بعد «إلى» وحتى ١٥٩
«حتى» تـرد ابتدائية وعاطفة ١٥٩
«حيث» معناها، وإعرابها ١٦٠
في نزول عيسى ١٦٤
المهاجرون والأنصار ١٦٦
جمع الله بين الخوف والطمع ١٦٨
الخوف ثلاث درجات ١٦٨
النـــــاس في الخوف على ثلاث مقامات ١٦٩
النـــــاس في الرجاء على ثلاث مقامات ١٦٩
داود: نسبه، وعبادته، وصفته ١٧١
دياراً، استعماله في النفـي، وزنـه، أصله ١٧٤
الدعاء ورد على أوجه ١٧٥
خلق السماء والأرض ١٧٥
تقسيم أمـــــوال بني النضير على المهاجرين ١٧٧
«دون» تـرد ظـرفـاً، وتستعمـل للتفاوت في الحال ١٧٨
ذو الكفل ـ من هو ١٧٩
ذو القرنين: اسمه، وسبـب هـذا اللقب ١٧٩
في تسمية ابن البنت ابناً ١٨١
«ذكر» ورد على أوجه ١٨٢
إبراهيم والذبيح ١٨٣
ذو: معناه، واستعماله ١٨٤
الوصـــف بـ«ذو» والوصـــف بصاحب ١٨٤

الموضوع	الصفحة
« رَبّ » لـه أربعـة معـان: الإلـه والسيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر	١٨٥
الرباط	١٨٧
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه	١٨٨
متى تستقيم المراقبة	١٨٨
أقوال ثلاثة في قولـه تعـالى: ردوا أيديهم في أفواههم	١٨٩
النبي أرسل رحمة للعالمين	١٩٠
آداب تلاوة القرآن	١٩٣
الرحمة وردت في القرآن على أوجه	٢٠٠
الربا	٢٠٣
« رب » حرف، وفي معناها ثمانيـة أقوال	٢٠٦
زكريا	٢٠٧
بشارته بولده	٢٠٨
اللغات فيه	٢٠٨
زيد بن حارثة	٢١٢
طالوت بعثه الله لقتال جالوت	٢١٣
تزوج الإماء	٢١٣
بين قابيل وهابيل	٢١٤
طه ـ من أسماء النبي	٢١٦
طور: جبل	٢١٩
ظن له ثلاثة معان	٢٢١
الظلم يقع في القرآن على ثلاثة معان	٢٢١
كان يونس في ثلاثة غموم	٢٢٢
ظن تأتي بمعنـى الشـك والكـذب وبمعنى اليقين	٢٢٤
الكلالة	٢٢٨
أصحاب الكهف	٢٢٩
صاحب الحوت	٢٣٢
الكوثر في تفسيره سبعة أقوال	٢٣٥
الحوض وأركانه	٢٣٦
مقدار يوم القيامة	٢٣٩
الذين يؤتون أجرهم مرتين	٢٤١
الكاف حرف جر، له معان:	
التشبيه	٢٤٣
والتعليل، والتأكيد	٢٤٣
ترد الكاف اسماً	٢٤٤
الكاف في ذلك	٢٤٤
كاد، فعل ناقص	٢٤٤
ترد كاد بمعنى أراد	٢٤٥
كان فعل ناقص	٢٤٥
كـان تـأتي في القـرآن على خمسة أوجه	٢٤٥
كأن حرف للتشبيه المؤكد، وللظن والشك	٢٤٦
كأين اسم مركب	٢٤٦
اللغات فيه	٢٤٦
كذا لم ترد في القرآن إلا للإشارة	٢٤٦
« كل » معناها، ورودها على ثلاثـة أوجه	٢٤٧
اتصال « ما » بكل	٢٤٨
كلا وكلتا	٢٤٨
« كلا » معناها	٢٤٩

الموضوع	الصفحة

كم، استفهامية، وخبرية ٢٥٠
« كي » له معنيان ٢٥٠
« كيف » ترد على وجهين ٢٥٠
شراء المغنيات وبيعهن ٢٥٥
كيفية إنزال القرآن ٢٥٦
السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا ٢٥٧
إنزال الكتب الأخرى ٢٥٨
السر في نزول القرآن منجماً ٢٥٨
إنزال التوراة جملة ٢٦٠
معنى إنزال القرآن ٢٦٢
في التنزيل طريقان ٢٦٢
المنزل على النبي فيه ثلاثة أقوال ... ٢٦٢
كلام الله المنزل قسمان ٢٦٤
للوحي كيفيات ٢٦٥
في أم القرآن كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة ٢٦٧
حال النبي إذا نزل عليه الوحي ٢٦٨
هل يصوم أحد عن وليه ٢٦٩
ما يجوز أن يفعله الإنسان عن غيره ٢٦٩
ما كان في شريعة غيرنا ٢٦٩
لوط، نسبه ٢٧١
لقمان: لم يكن نبياً ٢٧١
اليهود يسألون النبي عما خلق في الأيام السبعة ٢٧٢
اختلاف العلماء في قطع شجر المشركين ٢٧٤
قسم الخمس ٢٧٤
حد السورة ٢٧٥
اختصاص كل سورة بما سميت به ٢٧٧
اللام على أربعة أوجه:
جارة، وناصبة، وجازمة، ومهملة غير عاملة ٢٨٣
اللام لها معان:
الاستحقاق، والاختصاص، والملك، والتعليل، وموافقة « إلى »... ٢٨٣
و « على » و « في » و « عند » و « بعد »، والتبليغ، والصيرورة ٢٨٤
والتأكيد، والتبيين للفاعل أو المفعول، والناصبة، والجازمة... ... ٢٨٥
اللام غير العاملة أربعة:
لام الابتداء ٢٨٦
واللام الزائدة ٢٨٦
ولام جواب القسم، واللام الموطئة ٢٨٦
« لا » على أوجه: نافية ٢٨٧
أن تكون لطلب الترك ٢٨٨
وأن تكون للتأكيد ٢٨٨
ترد « لا » اسماً بمعنى غير ٢٨٩
قد تحذف ألف « لا » ٢٨٩
« لات » أصلها، وعملها ٢٨٩
لا جرم - تركيبها، وإعرابها ٢٩٠
« لكنّ »، عملها، ومعناها ٢٩٠
« لكنْ » المخففة ضربان ٢٩٠
لعل: عملها ومعناها ٢٩١
« لم »: عملها ٢٩٢
« لَمَّا » - على أوجه ٢٩٢

الموضوع	الصفحة
لم ولَمَّا يفترقان من أوجه	٢٩٢
« لن » معناها	٢٩٣
« لو » عكس « إن »	٢٩٤
إفادتها الامتناع	٢٩٤
كل شيء في القرآن « لـو » فـإنـه لا يكون أبداً	٢٩٥
إذا أوقعت بعد « لو » أن	٢٩٥
جواب لو	٢٩٦
ترد « لو » شرطية في المستقبل	٢٩٧
ومصدرية	٢٩٧
وللتمني، والتعليل	٢٩٧
« لولا » على أوجه:	٢٩٧
حرف امتنـاع لـوجـود، وبمعنـى « هَلا »، وللتـوبيـخ والتنـدم في الماضي	٢٩٧
وللاستفهام	٢٩٨
وتكون للنفي	٢٩٨
جميع ما في القرآن من « لولا »	٢٩٨
« لومـا » بمنزلة لولا	٢٩٩
ليت: عملها ومعناها	٢٩٩
ليس: للنفي	٢٩٩
محمد رسـول الله جمع الله لـه كـل كمال	٣٠٠
كيف كان يأتي جبريل النبي	٣٠١
موسى عليه السلام ـ نسبه، وسبـب تسميته موسى، وصفته	٣٠١
الحكمة في تزويج أربع	٣٠٥

الموضوع	الصفحة
نسبـة الحسنـة إلى الله والسيئـة إلى النفس	٣٠٦
إبراهيم وذبح ولده	٣٠٨
مدين: أرض شعيب	٣١٠
شعيب أرسل إلى مدين وأصحـاب الأيكة	٣١٠
معنى مَثَلُه كمَثَلِ الكلب	٣١١
في يوم بدر	٣١٢
للمؤمنين أمانان من العذاب	٣١٢
استغفار النبي لأبي طالب	٣١٥
من حديث الثلاثة الذين خلفوا ...	٣١٥
الصديقون أرفع درجة	٣١٦
من آمن بموسى	٣١٧
أول من تسعر به النار	٣١٨
تشبيه المؤمن بالسميع وبالبصير	٣١٩
وتشبيه الكافر بالأعمى والأصم	٣١٩
على قدر النعمة تكون النقمة	٣٢٤
أسماء القرآن	٣٢٦
للقرآن خمسة وخمسون اسماً	٣٢٦
سبب كل تسمية	٣٢٨
محاورة الصحابـة في تسميتـه بعـد جمعه	٣٣١
حيض الحامل	٣٣٣
مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه	٣٣٦
واضع اللغة	٣٣٩
تكرير الأمر بالتوكل	٣٣٩

الموضوع	الصفحة

تخصيص الرسالة بالرجال ٣٤٩
الفرث والدم ٣٥١
مؤاخذة الحيوان ٣٥١
مثَلٌ لله والأصنام ٣٥٢
مثَلٌ لبطلان مذاهب المشركين ٣٥٢
أمر الساعة يسير ٣٥٣
عمار بن ياسر يشكو للرسول ما صنع به من العذاب ٣٥٣
المشاكلة في اللفظ ٣٥٤
في يوم أحد ٣٥٤
المُثْلة حرام ٣٥٤
ضمن اللهُ للمتمسِّك به الهدى ٣٥٥
الباعث على التقوى عشرة ٣٥٦
درجات التقوى خمسة ٣٥٦
ذكر الصبر بالقرآن في أكثر من سبعين موضعا ٣٥٦
ذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة ٣٥٦
الصبر على أربعة أوجه ٣٥٧
فوق الصبر التسليم ٣٥٧
تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ٣٥٨
مريم ـ معناها ٣٦٥
لمَ سئل موسى عن العصا ٣٦٧
موسى وفرعون ٣٦٨
موسى يسير إلى الطور ٣٧٠
الرجوع إلى الله في رفع المحن والشدائد ٣٧٣
من قصةِ أيوب ٣٧٣
الانقياد على وجهين ٣٧٥
رؤية العبد لسيدته ٣٧٨
آية كافية جامعة ٣٧٩
نوح يتخذ الفلك ٣٨٤
قوم صالح لما قتلوا الناقة ٣٨٦
تعذيب الله من قتل الناقة ٣٨٧
قريش يسألون النبي: متى الساعة ... ٣٨٧
أخبار الكهان والمنجمين ٣٨٧
موسى وشعيب ٣٨٩
كيف عرف موسى كلام الله ٣٩٠
زواج موسى من ابنة شعيب ٣٩١ـ٣٩٢
إكرام الحبيب بعشرة ٣٩٤
النبي يخبر بحال موسى وهو لم يحضره ٣٩٥
أم القرى مكة ٣٩٥
بين قارون وموسى ٣٩٧
شبه الله الكفار في عبادتهم الأصنام بالعنكبوت ٤٠١
اتساع علم الله ٤٠٢
يجب التسليم والانقياد لأمر الله ٤٠٦
زيد بن حارثة ليس ابناً للرسول .. ٤٠٧
إباحة السراري للنبي ٤٠٧
النبي وزوجة زيد بن حارثة ٤٠٧
تحريم أزواج الرسول ٤٠٨

الموضوع	الصفحة

مساكن قوم سبأ ٤٠٩
الملائكة يوم بدر ٤١٥
النبي وقول الشعر ٤١٦
جميع المخلوقات لم يخلقها الله إلا لحكمة ٤١٧
قوم يونس ٤١٨
كل واحد من الملائكة له مقام معلوم ٤١٩
لم كان الدخول في الصلاة بتكبيرة، والخروج منها بتسليمتين ٤٢٠
ألوية الرسل والأنبياء يوم القيامة .. ٤٢٢
عدد الرسل ٤٢٦
الدعوة من الله على أربعة أوجه ٤٢٦
العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار ٤٢٨
كيف ذكر الانتصار في صفات المدح ٤٢٨
الفرح بالخير والجزع من الشر ٤٤٣
لم ذكر الله الصدقة بلفظ القرض .. ٤٤٥
المسلمون يخرجون إلى العير ويتركون النبي يخطب ٤٥٠
رزق العباد ٤٥٣
طبقات جهنم سبعة ٤٦٠
ليلة القدر ٤٦٨
المؤمنون لا يجزون بذنوبهم إلا بستة شروط ٤٦٩
فضل الإقرار ٤٧٠
في الحساب ٤٧٠
الوقوف بين يدي الله ٤٧١
ثواب الجن ٤٧٢
من الجن مقربون وأبرار ٤٧٢
الأعمال على ثلاثة أنواع:
مأمورات ومنهيات ومباحات ٤٧٤
التوكل على ثلاث مراتب ٤٧٦
هل يشترط في التوكل ترك الأسباب ٤٧٦
الأسباب على ثلاثة أقسام ٤٧٦
حكم المتشابه في القرآن ٤٧٨
موسى وسحرة فرعون ٤٨٢
اختلف الناس في الحزن والخوف على ثلاثين قولاً أو أكثر ٤٨٣
« ثم » على ثلاثة أوجه ٤٨٤
الشهادة جاء بها جميع الرسل ٤٨٦
على العبد أن يكون في جميع تصرفاته مشتغلاً بمولاه ٤٨٩
الفرق بين التزين والإغواء ٤٩٢
الوحدانية ثابتة بالعقل، أو بالسمع وهذه القضية على ثلاثة أقسام ٤٩٣
هدية بلقيس ٤٩٨
يونس في بطن الحوت ٥٠٠
ابتلى الله تسعة من الأنبياء فوجدوا تسعة أشياء ٥٠١
بين هود وقومه ٥٠٦
عثمان يجهز جيش العسرة ٥٠٩

الموضوع	الصفحة
مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القز	٥٠٩
من أين يعرف أن المؤمن يحب الله أكثر من الكافر	٥١٠
ما علامة حقيقة المحبة	٥١١
لم سمي الرسول بالمزمل	٥١٣
ولم سمي الرسول بالمدَّثر	٥١٣
سبب نزول سورة « المطففين »	٥١٥
لم نسب الله هذه الأمة لإبراهيم	٥١٦
أمة محمد	٥١٨
من قصة يوسف	٥١٩
على قدر الفرح يكون الترح	٥٢٢
من قصة موسى	٥٢٣
سليمان وموته	٥٢٥
من كتاب بعض الفضلاء لمن هدده	٥٢٦
ما : اسمية وحرفية	٥٢٦
استعمالها	٥٢٦
الاسمية ترد موصولة	٥٢٦
واستفهامية ، وشرطية ، وتعجبية ، ونكرة موصوفة	٥٢٧
ما الحرفية ترد مصدرية ، إما زمانية أو غير زمانية	٥٢٨
وعاملة عمل ليس أو غير عاملة	٥٢٨
وزائدة للتأكيد : كافة ، وغير كافة	٥٢٨
إذا وقعت « ما » قبل ليس ، أو لم أو لا ، أو بعد « إلا » فهي موصولة	٥٢٩
وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهي مصدرية	٥٢٩
وحيث وقعت بعد الباء فهي تحتملها	٥٢٩
وحيث وقعت في القرآن قبل « إلا » فهي نافية إلا ثلاثة عشر موضعا	٥٢٩
ماذا : ترد على أوجه	٥٢٩
متى : ترد استفهاماً ، وشرطا	٥٣٠
مع : اسم	٥٣٠
مِنْ : حرف جر له معان	٥٣٠
« مَنْ » لا تقع إلا اسماً	٥٣٢
الغالب استعمالها في العاقل	٥٣٢
« مهما » اسم ، للشرط	٥٣٣
نوح ، نسبه وسبب نجاته ومن آمن به	٥٣٤
الرسول يدعو نصارى نجران إلى المباهلة	٥٣٦
من حديث لكعب الأحبار عن بعث النبي	٥٣٦
من صفات الرسول	٥٣٧
من خواص الأمة المحمدية	٥٣٩
يوسف والساقي	٥٤٢
يوسف وإخوته	٥٤٣
الحشر على خمسة معان	٥٤٦
الحكمة في ذكر الحشر للمتقين ، والسوق إلى المجرمين	٥٤٧

الموضوع	الصفحة
من قصة الرجلين المتخاصمين إلى داود	٥٤٩
التوبة النصوح	٥٥٣
فرائض التوبة	٥٥٣
آداب التوبة	٥٥٣
مراتب التوبة	٥٥٣
البواعث على التوبة	٥٥٤
رؤية المولى في الدار الآخرة	٥٥٥
الاستعاذة من النفثة	٥٥٦
« ن » حرف من حروف الهجاء	٥٦١
النون على أوجه: اسم	٥٦٢
وحرف	٥٦٢
التنوين ـ أقسامه	٥٦٢
نَعَمْ، حرف جواب	٥٦٣
نعْمَ، فعل لإنشاء المدح	٥٦٣
صالح، نسبه: بعثه الله إلى قومه	٥٦٤
الصلاة: تأتي على أوجه	٥٦٤
الأديان ستة	٥٦٦
السعي بين الصفا والمروة	٥٦٦
نذر مريم الصوم	٥٦٨
سليمان والخيل	٥٧٢
رياح العقوبة	٥٧٣
رياح الرحمة	٥٧٤
أول ما نزل في التوراة	٥٧٩
البرهان الذي أري يوسف	٥٧٩
من أمثلة ما خص به الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة	٥٧٩
إن الله خلقنا في سبعة أحوال من سبعة أشياء	٥٨٣
ثم رزقنا سبعة أشياء	٥٨٤
ثم وعدنا بسبع مقامات	٥٨٤
الجنة، والعرش، وجهنم	٥٩٢
الإشارات ستة	٥٩٧
مدينة لوط	٦٠٠
ذكر الله الوجوه في القرآن على سبعة أوصاف	٦٠١
ورتب وجوه الكفار في الآخرة على سبع	٦٠٢
ابن آدم من أكرم المخلوقات	٦٠٧
للمؤمنين أربعة أرواح	٦١١
بعد إسلام عمر	٦١٦
من صفات عيسى	٦١٧
خروج الدجال	٦١٧
قراءة القرآن مع إنشاد الشعر	٦٢٠
سليمان وعرش بلقيس	٦٢١
« على » حرف جر له معان:	٦٢٣
الاستعلاء، والمصاحبة، والابتداء والتعليل، والظرفية	٦٢٣
وبمعنى الباء	٦٢٣
« على » في: وتوكل على الحيّ الذي لا يموت	٦٢٣
ترد « على » اسماً	٦٢٤
« عن » حرف جر له معان: المجاوزة، البدل	٦٢٤

الموضوع	الصفحة
التعليل، بمعنى على، بمعنى « مِنْ » وبمعنى « بَعد »	٦٢٤
« عن » ترد اسماً إذا دخل عليها « مِنْ »	٦٢٤
عسى فعل جامد	٦٢٤
عسى فيه وجهان	٦٢٥
عسى ولعل الله واجبتان	٦٢٥
وردت في القرآن عسى على وجهين	٦٢٦
عند ظرف مكان	٦٢٧
عند لا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة بمن خاصة	٦٢٧
تفارق عند ولدى « لَدُن » من ستة أوجه	٦٢٧
ذكر الموت	٦٣٠
أسباب سوء الخاتمة	٦٣٠
« غير له معنيان »	٦٣٢
« غير » اسم ملازم للإضافة والإبهام	٦٣٦
« غير على أوجه »	٦٣٦